جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
مكتب تنسيق التعريب
الربـــاط

عدد خاص

اللسان العربي

يشتمل هذا العدد على:

I- أبحاث مصطلحية ودراسات لغوية

II- أعمال ندوة «الألفاظ العلمية الحضارية والتراثية" المنعقدة في فاس أيام: 26-29أكتوبر 2000 م.

III - أعمال مؤتمر التعريب العاشر المنعقد بدمشق: 20-25يوليو 2002م.

عدد مزدوج
العددان: (55)و(56)
ذو القعدة 1424 هـ/دجنبر(كانون الأول) 2003 م

بسم الله الرحمن الرحيم

التصفيف الضوئي والإخراج
مكتب تنسيق التعريب

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء
الإيداع القانوني رقم : 1964/13

محتويات العددين: 55 و 56

تقديم 6

I - أبحاث مصطلحية ودراسات لغوية

1. المصطلح ومشكلات تحقيقه

د. إبراهيم كايد محمود.......................8

2. مفهوم المصطلح المعرّف

د. مصطفى اليعقوبي..............................30

3. صـــناعة المصـــطـــلح عـــند الفـــارابي

د. نعمان بوقرة..............................36

4. البحث الدلالي وطرق استثماره في قصة حي بن يقظان الفلسفية لابن طفيل

أ.محمد الطوكي...................................49

5. كيف يصنف المنادى وما وظيفته؟

د. محمد خان......................................60

6. ألفاظ الحياة العامة : دراسة لغوية ومعجمية (مَثَلٌ من سلطنة عمان)

د. حليمة عمايرة...................................68

II– أعمال ندوة "الألفاظ العلمية الحضارية والتراثية"
المنعقدة في فاس أيام 26–29 أكتوبر 2000

أ– الافتتاح

1. برنامج الندوة..98
2. كلمة عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية..101
3. كلمة مدير مكتب تنسيق التعريب..102

ب– البحوث

1. نحو مصطلحات عربية
د. أحمد مطلوب..105
2. ألفاظ الحضارة : هل هي كلمات عادية أم مصطلحات تقنية؟
د. علي القاسمي..112
3. دور التراث العلمي واللغوي في وضع المعجم العربي الحديث المتخصص
د.عبد اللطيف عبيد..119
4. الألفاظ التراثية و التعريب في عصرنا الحاضر
د. عبد الرحمن الحاج صالح 128
5. المصطلح العربي الحضاري والتراثي: قضايا ومقاربات
د. محمد رشاد الحمزاوي..135
6. اللغة المتداولة في الميدان البيداغوجيّ : الكتاب المدرسيّ نموذجاً
د. رتيبة الصفريوي..142
7. بعض النماذج المصطلحية من لغة التواصل
د. الحاج بن مومن..156
8. مصطلحات الألوان في اللهجة الدارجة الفاسية: قراءة في المكون والدلالة
د. عبد المالك الشامي..163
9. المعاجم المصطلحية الحديثة: أي فائدة لها في تعريب العلوم ؟
د. عبد الوهاب التازي سعود..170
10. اللغة التقنية و التعريب: ميدان السياقة نموذجاً
د. ليلى المسعودي..173
11. التقرير الختامي:..183
12. قائمة المشاركين:..192

III – مؤتمر التعريب العاشر المنعقد بدمشق

في الفترة من 20–2002/7/25

جدول أعمال المؤتمر

1– الجلسة الافتتاحيـــــة

– كلمة السيد وزير التربية السوريّ، ممثل راعي المؤتمر 199

– كلمة السيد نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.................. 204

– كلمة السيد مدير مكتب تنسيق التعريب.. 206

– كلمة السيد رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.. 208

– كلمة السيد رئيس جامعة دمشق.. 212

2– أبحـــــاث المؤتـــمـــر

1. تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ: ضرورته، معوقاته، شروط ومتطلبات نجاحه

أحمد دويدار عبده البسيوني.. 215

2. دور الأستاذ الجامعيّ في تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ

د. هاني مرتضى 228

3. إعداد الكتاب العلميّ الجامعيّ باللغة العربية، تأليفاً وترجمةً

د. موفق دعبول ود. خضر الأحمد................................ 239

4. دور الحاسوب في توليد المصطلح وتوحيده ونشره

د. محمد مراياتي ود. عماد الصابوني ود. مروان البواب............ 257

5. الترجمة الآلية من منظور المعجم العربيّ

د. نبيل علي محمد عبد العزيز.................................. 263

6. دور المصطلح العلميّ العربيّ الموحد في تعريب التعليم العالي

د.علي القاسمي.. 272

3- قضايا التعريب والمصطلح

1. وحدة المصطلح وسياسة التعريب

د. عبد الكريم خليفة 300

2. تعريب التعليم الطبيّ والصيدليّ في الوطن العربيّ

أ. شحادة الخوري 311

3. نظرات ومقترحات في قضايا التعريب

د. الشاهد البوشيخي.. 320

4. خطوات على طريق التعريب

د. محمد يونس عبد السميع الحملاوي.. 323

5. في لغة الصحافة وتعريب العلوم

د. محمد رشاد الحمزاوي.. 326

6. تعليم الترجمة والترجمية : المفاهيم والمصطلحات.

د. هنري عويس، أ. لينا فغالي، أ. جينا أبو فاضل.. 343

7. النص المتخصص: مدخل إلى تحسين تعليم العربية

أ. مي حبيقة الحداد، أ. رنا الحكيم بكداش.. 348

4- أوضاع تعريب التعليم العالي في الوطن العربي

1. اللغة العربية وتعريب التعليم العالي

د. عز الدين البوشيخي.. 354

2. قضية التعريب في مصر

د. محمود حافظ إبراهيم.. 361

3. تجربة التعريب في التعليم العالي في تونس

د. الحبيب دلالة.. 365

4. اللغة العربية في التعليم العالي بالجزائر : واقع وبديل

د. صالح بلعيد.. 369

5. رؤى حول تعريب التعليم الجامعيّ

د. أحمد بن عبد القادر المهندس..378

6. تعريب التعليم العالي في ليبيا

د. مصطفى محمد أبو شعالة..387

7. تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال

د. عاطف نصار..391

8. طريقة إنجاز مشروع الذخيرة اللغوية العربية

د. عبد الرحمن الحاج صالح..396

9. مجلة العلوم

د. عدنان الحموي..407

5- تقارير اللجان

- تقرير لجنة دراسة مشروع معجم مصطلحات تقانات الأغذية..410
- تقرير لجنة دراسة مشروع معجم مصطلحات علم الوراثة..411
- تقرير لجنة دراسة مشروع معجم مصطلحات الحرب الإلكترونية..414
- تقرير لجنة دراسة مشروع معجم مصطلحات الطب البيطري..416
- تقرير لجنة دراسة مشروع معجم مصطلحات الصيدلة..418

6- الجلسة الختامية

- التقرير الختامي..420
- بيان دمشق حول تعريب التعريب العالي..429
- كلمات الوفود العربية المشاركة في المؤتمر العاشر للتعريب..431
- البرقية المرفوعة إلى السيد رئيس الجمهورية العربية السورية..438
- كلمة الأستاذ الدكتور أحمد شفيق الخطيب (باسم المشاركين في المؤتمر)..439
- كلمة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم..443
- كلمة السيد وزير التربية السوري، ممثل راعي المؤتمر..445
- قائمة بأسماء المشاركين..447

I - أبحاث مصطلحية ودراسات لغوية

1. المصطلح ومشكلات تحقيقه

د. إبراهيم كايد محمود

2. مفهوم المصطلح المعرَّف

د. مصطفى اليعقوبي

3. صناعة المصطلح عند الفارابي

د. نعمان بوقرة

4. البحث الدلالي وطرق استثماره في قصة حي بن يقظان الفلسفية لابن طفيل

أ.محمد الطوكي

5. كيف يصنف المنادى وما وظيفته؟

د. محمد خان

6. ألفاظ الحياة العامة: دراسة لغوية ومعجمية (مَثَلٌ من سلطنة عمان)

د. حليمة عمايرة

المصطلح ومشكلات تحقيقه

د. إبراهيم كايد محمود (*)

يشهد العالم تطوراً هائلاً في كل مناحي الحياة، يرافقه ظهور الكثير من المفاهيم والمبتكرات والمستحدثات التي تملأ حياة الإنسان، والتي تحتاج إلى أسماء وعلامات تعرف بها، إذا أراد الفرد أن يتحدث عنها، ومعروف أن الجهة المخولة لاستيعاب كل الأمور المستحدثة والحاجات المتجددة والمفاهيم الجديدة هي اللغة، لأنها "تتحرك طوعاً كلما تلقت منبهاً خارجياً، فما أن يستفزها الحافز حتى تستجيب بواسطة الانتظام الداخليّ الذي يمكنها من استيعاب الحاجة المتجددة والمقتضيات المتولدة "[1].

وهذا التقدم الكبير والتطور السريع في المعرفة البشرية بكل أنواعها يعتمد على نقل المعلومات وتبادلها وتوثيقها، وتخزينها، ويستخدم المصطلحات والمفاهيم الدالة عليها كأساس يُعتمد عليه في تنظيم الآراء والأفكار العلمية، والمعلومات الأخرى كافة. إلاّ أن هذا التطور العلميّ والتقنيّ الهائل والسريع أدى إلى صعوبة وضع مصطلحات كافية لتغطي كل جوانب المعرفة الإنسانية. "إذاً لا يوجد تناسب أو تطابق بين عدد المفاهيم العلمية وعدد المصطلحات التي تُعَبِّر عنها. فعدد الجذور في أية لغة لا يتجاوز الآلاف، في حين يبلغ عدد المفاهيم الموجودة الملايين، وهي في ازدياد ونمو مطردين، ففي حقل الهندسة الكهربائية مثلاً يوجد حالياً أكثر من أربعة ملايين مفهوم، في حين لا يحتوي أكبر معجم، لأية لغة، على أكثر من ستمائة ألف مدخل. ولهذا تلجأ اللغات إلى التعبير عن المفاهيم الجديدة بالبحث والتركيب والاشتراك اللفظيّ وغير ذلك من الوسائل الصرفية والدلالية. وقد يقود ذلك إلى ارتباك واضطراب على المستويين الوطنيّ والدوليّ، وخاصة أن تصنيف المفاهيم وطريقة التعبير عنها يختلفان من لغة إلى أخرى، مما يؤدي إلى صعوبة في تبادل المعلومات ونموها أو تغييرها، وفي وضع المصطلحات المقابلة لها. ومن هنا نشأ علم المصطلحات، وهو علم حديث النشأة شهد ميلاده هذا القرن ومازال في دور النمو والتكامل[2].

ونظراً لتشعب العلوم وكثرة الفنون في العصر الحديث زادت عناية العرب بالمصطلحات التي لابد لهم من وضعها من أجل مواكبة التطور العلميّ الذي يشهده العالم. وأفادوا من مزايا اللغة العربية واعتمدوا الوسائل والطرق التي اعتمدها علماؤنا القدماء في هذا الغرض وأدت إلى استيعاب العربية لكل علوم عصرهم وفنونه، وأعانتهم على مواكبة الحضارة وإحرازهم قصب السبق في هذا المجال.

إن التطور الاجتماعيّ والثقافيّ سبب هام في ظهور مفاهيم جديدة ليس لها ما يقابلها في اللغة، فيعمد المعنيون بهذا المفهوم أو ذاك إلى وضع لفظ يدل عليه،

(*) قسم اللغة العربية- جامعة الملك فيصل- المملكة العربية السعودية

ويُعْرَفُ المفهوم به، وهم عادة يلتمسون ذلك اللفظ من ألفاظ لغتهم التي يستخدمونها ويحرصون على إغنائها بكل ما تحتاج إليه من ألفاظ، حتى تبقى لغة العلم والحضارة، وقادرة على مواكبة كل جديد، من أجل أن يكتب لها البقاء والاستمرار، لأن المصطلح العلميّ هو "أداة البحوث العلمية، وعن طريقه يتم التفاهم بين العلماء في شؤون المواد العلمية، وليس هناك علم بدون قوالب لفظية تعرف به، وهذه القوالب اللفظية هي التي نعني بها المصطلح العلميّ (3).

تعريف المصطلح:

بداية لابد من تحديد معنى "المصطلح "، وهو مصدر ميميّ للفعل اصطلح، وقد يكون اسم مفعول لذات الفعل، على تقدير متعلق محذوف، أي "مصطلح عليه ". وقد كان لعلمائنا القدماء جهود طيبة في مجال فهم المصطلح، وتحديد معناه والوقوف على أهميته، وقد رأوا أنه لابد من اتفاق مجموعة من العلماء عليه، ولابد من استعماله في مجال علميّ مُعَيَّن، أو فن بعينه، حتى يكون واضح المعنى، محدد الدلالة، مؤدياً الغرض المراد.

ومن خلال تتبع هذا اللفظ في كتب التراث، نلمس أنه يغلب على العلماء عدم التفريق بين كلمتي "مصطلح" و "اصطلاح" فقد استخدم المصطلحان وكأنهما مترادفان تماماً، فالجاحظ ،ت (255هـ) يقول: وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف، وقدوة لكل تابع (4). فالعرب، في رأيه، ارتجلوا ألفاظاً معينة ليدل كل لفظ منها على معنى محدد وليؤدي مفهوماً واضحاً، معتمدين على الاشتقاق في وضع الأسماء للمسميات، وما لم يكن له اسم في لغتهم اصطلحوا عليه، وخلقوا له اسماً أو ابتكروا له لفظاً للدلالة عليه. و لم تكن عملية الاصطلاح هذه مقصورة على شخص بعينة، بل كانت اتفاقاً بين اثنين أو أكثر، وكلما جَدَّ لهم معنى، أوْجَدوا له اسماً أو اشتقوه من لفظ معروف لمشابهة معينة، فيقول:"ترك الناس مما كان مستعملاً في الجاهلية أموراً كثيرة، فمن ذلك تسميتهم للخراج: أتاوة، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان: الحلوان، والمكس، كما تركوا: أنعِم صباحاً، أنعِم ظلاماً وصاروا يقولون: كيف أصبحتم وكيف أمسيتم... واستحدثوا أسماء لم تكن وإنما اشتقت لهم من أسماء متقدمة على التشبيه، مثل قولهم لمن أدرك الإسلام "مخضرم" (5).

وكذلك نجد الخوارزميّ (ت 380 هـ) لم يفرق بين "الاصطلاح" و"المصطلح" فهو يقول في وصفه لكتابه " مفاتيح العلوم "أنه جعله" جامعاً لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات، مضمناً ما بين كل طبقة من العلماء من المواضعات والاصطلاحات" (6) ويمكن القول إنه قد أورد في نصه السابق ألفاظاً متقاربة المعنى أو شبه مترادفة هي"مفاتيح، أوائل، مواضعات، اصطلاحات ". كل هذا يقودنا إلى القول بأن الخوارزميّ لا يرى فرقاً ذا قيمة بين هذه الألفاظ.

ولا نعدم أن نجد مَنْ استخدم اللفظين بمعنى واحد، فهذا أبو الحسين أحمد بن فارس ت (395 هـ) يقول: "حتى لا يكون شيء منه مصطلحاً عليه"، ويقول

في موضع آخر "ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحاً لم يكن أولئك في الاحتجاج بأولى منا في الاحتجاج بنا لو اصطلحنا على لغة اليوم ولا فرق[7]. ثم يقول: "إنه لم يبلغنا أن قوماً من العرب في زمان يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح قد كان قبلهم وقد كان في الصحابة وهم البلغاء الفصحاء من النظر في العلوم الشريفة ما لاخفاء به، وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو إحداث لفظة لم تتقدمهم[8]. ومثل هذا نجده عند التهانويّ ت 1158 هـ الذي وسم كتابه باسم "كشاف اصطلاحات الفنون " وقد ذكر سبب وضعه لهذا الكتاب أنه لاحظ " اشتباه الاصطلاحات، فإن لكلّ اصطلاحاً خاصاً به " ونجده في موضع تالٍ يقول "فاقتبست منها المصطلحات، أوان المطالعة"[9] هكذا نجد أن التهانويّ لم يفرق بين الاصطلاح والمصطلح وتحدث عنهما كأنهما شيء واحد.

وفي العصر الحديث يمكن القول إنه قد ظهرت ثلاثة اتجاهات حول استخدام لفظي "مصطلح " و "اصطلاح". الاتجاه الأول اكتفى بلفظ "اصطلاح " للدلالة على معنى اللفظ الذي يوضع للدلالة على معنى من المعاني المستجدة، واستبعد لفظ " مصطلح" نهائياً، و لم يأتِ على ذكر له، كما فعل أحمد فارس الشدياق في كتابه"الجاسوس على القاموس"فقال:" إن الاصطلاح هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص "[10]، ومثل هذا جاء في المعجم الوسيط "اصطلحوا على الأمر تعارفوا عليه، واتفقوا، و الاصطلاح -مصدراً- هواتفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكل علم اصطلاحاته" [11].

وتحدث الاتجاه الثاني عن اللفظين باعتبارهما شيئاً واحداً لا فرق بينهما، كما قال محمود فهمي حجازي "وكلا المصدرين "اصطلاح " و "مصطلح " لم يرد في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف، أو في المعجمات العربية القديمة العامة. ومع تكون العلوم في الحضارة العربية الإسلامية تخصصت دلالة كلمة "اصطلاح " لتعني الكلمات المتفق على استخدامها بين أصحاب التخصص الواحد للتعبير عن المفاهيم العلمية لذلك التخصص. ولهذا المعنى استخدمت -أيضاً- كلمة "مصطلح "، وأصبح الفعل "اصطلح " يحمل-أيضاً- هذه الدلالة الجديدة المحددة" [12] فالمصطلح والاصطلاح شيء واحد لا فرق بينهما، فكلاهما استخدم من قِبَل أهل الاختصاص للدلالة على المفاهيم العلمية لهذا التخصص أو ذاك، فسواء قلنا "اصطلاح" أو"مصطلح " فالأمر واحد.

والاتجاه الثالث: يمثله كل من عبد الصبور شاهين، الذي فرَّق بين هذين اللفظين بقوله: " فنحن نتذوق في استعمالنا لكلمة (اصطلاح) معناها المصدريّ، الذي يعني الاتفاق والمواضعة والتعارف، ونقصد في استعمالنا لكلمة (مصطلح) معناها الاسميّ الذي يترجم كلمة (Term) الإنجليزية، ولذلك لا نجد بأساً في أن

نقول: (إن اصطلاحنا على مصطلح ما ضرورة في البحث)، وهو أولى وأفضل من أن نقول: (إن اصطلاحنا على اصطلاح) بهذا التكرار الرقيق. ويبدو أن هذه التفرقة في الاستعمال لم تكن واضحة قديماً" [13] وقد أشار إلى ما جاء عند (وبستر) في تعريف كلمة (Term) بأنها: لفظ أو تعبير ذو معنى محدد في بعض الاستعمالات، أو معنى خاص بعلم أو فن أو مهنة أو موضوع، وجاء تعريفه لكلمة (Terminology) أنها : "مجموعة الألفاظ الفنية أو الخاصة المستعملة في عمل أو فن أو علم لكلمة موضوعات خاصة"، وبناء على التعريفين السابقين اللذين قالهما وبستر قدم شاهين تعريفه للمصطلح فقال: "هو اللفظ أو الرمز اللغويّ الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علميّ أو عمليّ أو فنيّ أو أيّ موضوع آخر ذي طبيعة خاصة" [14].

أما يحيى جبر فيذهب إلى ضرورة استخدام لفظ "الاصطلاح " دون لفظ "مصطلح "، ويرى أن كلمة "مصطلح " لا تصلح لغة، وسبب ذلك أنها لم ترد في معاجمنا القديمة، و لم يستخدمها أسلافنا فيقول: "إنه لغريب حقاً أن نجد معظم الباحثين يستخدمون كلمة "مصطلح " بدلاً من "اصطلاح " مع العلم أن هذه الكلمة لا تصلح لغة إلا إذا اصطلحنا عليها، وذلك أن أسلافنا لم يستخدموها، و لم ترد في المعجم لهذه الدلالة ولا لغيرها، وإنما استخدم العرب بدلاً منها، اصطلاح، كلمة مفرد، مفتاح، لفظ". [15] واكتفى بهذا القول دون أن يوضح لنا الفرق بين هاتين الكلمتين "اصطلاح " و "مصطلح " ومن أين جاء كل منهما وفي أيّ عصر.

أما توفيق الزيديّ فقد تتبع ظهور "اصطلاحية" عند الغربيين وأشار إلى أن أول استخدامها في أوروبا كان في القرن الثامن عشر، كما أشار إلى أن، الاصطلاحية، والمصطلحية، شيئان مختلفان لكل منهما مجالاته ورجالاته، وأن المصطلحية انبثقت عن الاصطلاحية، يقول: "غدت مسألة المصطلح عند الغـــرب موضوع علم مستقل هو الاصطلاحيـــــة " La Terminologie " ، وكعادة الغربيين في التأريخ لألفاظهم ومصطلحاتهم، فقد درسوا تاريخية مصطلح "اصطلاحية" في ثقافتهم في مختلف مدلولاته، بداية من استعماله الأول في القرن الثامن عشر لدى Christian Gottfried Schuly ،فظهوره بفرنسا سنة 1801 لدى Sebastin Mercier، ثم استعماله العلميّ بإنجلترا سنة 1837 لدى (William Whewell عن الاصطلاحية كان علمها الوليد المصطلحيةLa Terminographie التي تُعنى بالجانب التطبيقيّ، وكان واضع هذه التسمية الفرنسيّ ألان راي Alian Ray . فإن عنيت الاصطلاحية بالجانب النظريّ وبمسألة الاصطلاح عامة، فإن المصطلحية عُنيت بالمصطلحات، جمعاً ودراسةً ونشراً. وإن تكامل العِلْمان فمعالجتهما هي من اختصاص الاصطلاحيين Les Terminographes والمُصطلحيين Les Teminologues، وليس الأمر هنا من قبيل الألقاب، بل إنه الدليل على أن مسألتيْ الاصطلاح والمصطلح قد استقر عِلماهما. وللعِلْمَين أهلٌ عارفون بخفاياهما، ولقد سارت شهرة عديد هؤلاء الاصطلاحيين والمصطلحيين الذين يقفون على رؤوس مدارس بعينها

أمثال أوجان فوستر Eugen Waster ، وهلموت فلبير Helmot Felber ، وألان راي Alain Ray ، وروبار دوبوك Robert Dubuc " (16).

وقد ذكر محمود حجازي تعريفات هذا العلم عند الأوروبيين منذ أقدم تعريف الذي يقول: إن المصطلح كلمة لها في اللغة المتخصصة معنى محدد وصيغة محددة، وعندما يظهر في اللغة العادية يشعر المرء أن هذه الكلمة تنتمي إلى مجال محدد". ثم يذكر تعريفاً من التعريفات الحديثة يقول: "المصطلح كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة (علمية أو تقنية ... إلخ) يوجد موروثاً أو مقترضاً، ويستخدم للتعبير بدقة عن المفاهيم وليدل على أشياء مادية محددة". ثم يشير إلى اتفاق المتخصصين في علم المصطلح على أفضل تعريف وهو "الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها، أو بالأحرى استخدامها، وحُدِّدَ في وضوح، وهو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى، ويرد دائماً في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد، فيتحقق بذلك وضوحه الضروريّ " (17).

إن حرص العلماء في القديم والحديث على تعريف المصطلح وتحديد مفهومه وتوضيح المراد به، نابع من أهميته ودوره في ربط الصلات بين الأمم والتواصل بين الشعوب، كما أنه نابع من أهميته في نقل العلوم والمعرفة وتعميم الثقافة والابتكارات، ونشر كل جوانب الحضارة المعاصرة والنظريات المختلفة التي تخدم جوانب الحياة الإنسانية كافة، فالمصطلح "يلعب دوراً مهماً في ربط الصلة بين الأمم والشعوب، وفي نقل المعرفة والتقانة (التكنولوجيا). ونشر آثار الحضارة الحديثة، فضلاً عن أن من النظريات ما يقرّ التوافق بين المصطلحات و أوضاع الشعوب الاجتماعية" (18).

والحاجة إلى المصطلح لا تنتهي، ودائرته لا تغلق، ومجاله لا يحد، فهو علم دائم التجدد والتطور لأنه مرتبط بنمو المعرفة الإنسانية واتساع دائرتها ونطاقها، فكلما جَدَّ جديد في حياة الإنسان اصطلح على اسم له، فعملية الاصطلاح لا تنتهي عند حَدّ، لأن المعرفة الإنسانية لا تتوقف.

وقد عرف العرب القدماء المصطلح، وخبروا خفاياه وجوانبه المختلفة، كما لمسوا أهميته وفوائده في بناء النهضة العلمية التي سعوا إليها، ووقفوا على طرائق وضعه، مما أفادوه من الترجمات عن اللغات الأخرى، وبلغت العربية قمة التطور والمرونة في التعبير عن كل المستجدات من النظريات العلمية والآراء الفلسفية، حتى أصبحت الواسطة الكافية للتعبير عن كل مناحي الفكر العلمي والتقني في تلك العصور.

وفي العصر الحديث رأى علماؤنا التخلف الحضاريّ والفكريد الذي تعيشه أمتنا العربية، وتلمسوا السبب في ذلك، فأدركوا مدى قصور لغتنا عن الوفاء بمتطلبات العصر، ومدى قصورها في التعبير عما يَجِدُّ من مفاهيم علمية وتقنية حضارية، فهبَّ الغيورون منهم لدعم العربية، وابتكار المصطلحات التي تعبر عن مستجدات الحياة، وبذلوا جهوداً مضنية في سبيل تعزيز

لغتهم ورفدها بما تحتاج إليه، حتى لا تطغى عليها القوالب اللفظية الأجنبية، ويُحْكَم عليها بالعجز والفشل، وأنها ليست لغة علم، وتُحَقَقُ المقولة الباطلة بأنها لغة عاطفة وأدب. فأسست لهذا الغرض المؤسسات العلمية والثقافية، كما أُسست المجامع اللغوية التي جعلت من أولويات مهامها وضع المصطلحات العلمية التي تفتقر إليها اللغة العربية، وقد واجه رجال هذه المجامع والمؤسسات صعوبات جمة في هذا الإطار، ذللوا معظمها، معتمدين على طبيعة اللغة العربية وما لها من مزايا وخصائص تساعد في هذا المجال. كما اصطدموا بعدة عقبات تحول دون تحقيق عملية الاصطلاح بسهولة ويسر، التي من أهمها أننا نأخذ من لغات بعيدة عن اللغة العربية، لا تنتمي إلى نفس العائلة التي تنتمي إليها العربية، فلكل لغة ولكل عائلة لغوية خصائص معينة تختلف فيها عن غيرها من اللغات، وهذا يعني أن الأخذ بين لغتين متباعدتين من حيث الانتماء اللغويّ أصعب بكثير من الأخذ بين لغتين تنتميان إلى عائلة لغوية واحدة، فالعربية المعاصرة، تأخذ كثيراً من مصطلحاتها من اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية اللتين تنتميان إلى العائلة الهندوأوروبية، وهذا يعني أن الاصطلاح على هذه المفاهيم الكثيرة التي تُسْتَحْدَثُ بسرعة فائقة، نظراً لسرعة التطور العلميّ والتقنيّ، سيكون أمراً عسيراً وبحاجة إلى جهد ووقت كافيين حتى يمكن التعبير عنها بدقة وصحة تامتين.

وإذا حاولنا أن نستقصي هذه العقبات، التي تقف عائقاً في وجه تحقيق الاصطلاح، أمكننا في البداية أن نقول: إن قسماً منها يختص باللغة العربية واللغات التي تأخذ منها والهوة العميقة التي تفصل العربية عن غيرها من اللغات الهندوأوروبية. والقسم الثاني يتعلق بمنهجية الاصطلاح. فلابد هنا من الحديث عن وضع آلية تُسهم في محاولة تقليل البعد بين العربية واللغات التي تأخذ منها. كما لابد من الحديث عن منهجية وضع المصطلح وما يحول دون تحديدها بدقة.

تأخذ اللغة العربية معظم المصطلحات عن اللغات الأوروبية التي تمتاز بصفة الإلصاق فتستطيع أن تُوجِدَ ما تحتاج إليه من المصطلحات بزيادة السوابق Prefixes أو اللواحق Suffixes أو الأحشاءInfexes ، وباستعمال هذه الأدوات تتمكن هذه اللغات من التعبير عن كل المعاني والمفاهيم والأفكار بدقة ووضوح، وهو ما تفتقر إليه اللغات السامية والعربية إحداها، فالعربية كما هو معروف من اللغات الاشتقاقية وإن بدا فيها بعض الجوانب الإلصاقية كما هو الحال في الجمع السالم والمثنى والتأنيث وغيرها. كما تتميز اللغات الأوروبية بقدرة فائقة على صوغ الكلمات المركبة، وهو ما لا نجده عند اللغة العربية، إحدى اللغات السامية، التي من خصائصها خلوها من الكلمات المركبة إلاّ في بعض الأعداد، هذان سببان من الأسباب التي تعيق عملية الاصطلاح وتجعلها صعبة وشاقة.

والقسم الثاني من أسباب صعوبة صوغ المصطلح هو: منهجية وضع المصطلح، فلا نستطيع أن ننجح في وضع المصطلحات مادمنا نفتقر إلى منهجية واضحة محددة لهذا الغرض، لأن المعرفة لا يمكن أن تكون تامــة

ودقيقة وشاملة دون منهجية دقيقة متكاملة تعتمد عليها في مواجهاتها لكل متطلبات الحياة العلمية والحضارية وغيرها التي لابد لها من وعي شامل ومسؤولة تامة، وقد بذلت الجهات العلمية العربية المختلفة، من منظمات وهيئات ومجامع لغوية، جهوداً كبيرة في سبيل وضع المصطلحات وفق المعايير والمقاييس الدولية، إلا أنها لم تستطع أن تضع منهجاً واضحاً محدداً ملزماً يلتزم به الجميع، يقول الحمزاوي: "الملاحظ أن المنظمات والهيئات العربية قد بذلت جهوداً كبيرة في هذا الشأن دون أن توفر لنا واحدة منها منهجية شاملة جامعة، تأخذ بعين الاعتبار ما يتطلبه وضع المصطلحات، ترجمةً وتوحيداً، من معايير ومناهج" [19] فلم تأبه كل هيئة، من هذه الهيئات المختلفة بما يفعله غيرها من الهيئات والمنظمات الأخرى في هذا الإطار، بل أغمضت أعينها عن كل ما تم إنجازه من قِبَلِ غيرها من الهيئات والمنظمات مما ترتب عليه كثير من التكرار والازدواجية، أدى كل هذا إلى تخبط غير محمود في وضع المصطلح، إضافة إلى إضاعة الوقت والجهود الكثيرة التي بذلت دون الإفادة منها بشيء، "فظلت كل هيئة تصدر ما تراه صالحاً ومفيداً ولو بإعادة ما سبق لغيرها أن أقرته وجربته ونجحت فيه"[20]. بل أشد من ذلك أن النعرة القطرية الضيقة لا زالت تعيش في عقول كثير من باحثينا الذين يأنفون الاطلاع على ما وضعه غيرهم في الأقطار العربية الأخرى من مصطلحات، وإذا حصل أن اطلعوا عليها فإنهم يغضون من شأنها بل يرفضون قبولها، هذه النعرة الإقليمية البغيضة التي ترى الأمة العربية الواحدة أمماً مختلفة، أدت إلى عدم التواصل العلميّ بين العلماء العرب، مما ترتب عليه شيوع مصطلحات علمية أقل دقة من غيرها.

إن المنهجيات العربية المعاصرة تخلط بين كثير من العناصر التي تُسهِم في وضع المصطلح، فهي لا تفي بالغرض المطلوب وتسبب الكثير من الفوضى وعدم الدقة، إلى جانب الخلط "بين وسائل الوضع وتقنيات الترجمة ومناهج التوحيد والتنميط" [21]. وهذا يعني أننا لا تزال تنقصنا الرؤية الواضحة التي يترتب عليها عدم الثقة في كل ما يقدم في مجال المصطلح، كما لا تزال تنقصنا الإرادة القوية النابعة من الثقة في النفس، الإرادة التي لا تتردد في صياغة كل ما يلزم من مصطلحات تعبر عن كل ما يجدّ في حياتنا بكل جوانبها.

بالرغم من أن العرب قد قطعوا شوطاً طويلاً في مواكبة الحضارة العالمية، وبلغوا شأواً مُهمّاً في العلم والثقافة، إلا أن قضية المصطلح في العربية لا تزال تنتابها كثير من الأزمات، وتصطدم بعدد من المعوقات والمثبطات التي حالت دون تمكن الهيئات والمؤسسات المكلفة بالاصطلاح من القيام بدورها كاملاً رغم الجهود الصادقة والمخلصة التي تبذلها. وقبل المطالبة بوضع المصطلحات لكل ما يستجد من مبتكرات ومخترعات، وما يوضع من نظريات وفلسفات علينا أن نجلو ماهيَّة المصطلح، ونحدد أبعاده، ونأخذ بالأسباب التي تُسهِم في تحقيقه، و تزيل المشكلات والعقبات التي تعترض طريقه.

لابد من الإشارة هنا أن وضع العربية وما يعانيه مع قضية المصطلح وضع عام تعاني منه بقية اللغات في العالم، فلا توجد لغة من اللغات المعاصرة لا تشكو من

أزمة المصطلح، حتى تلك اللغات التي تعد لغات الحضارة والتقنية والعلم، أي أن وضع اللغة العربية ليس محبطاً وقاصراً في هذا المجال، ولا يمكن القول إن اللغة العربية لغة أدبية عاطفية فحسب ولا يمكن أن تكون لغة علمية، هذه أقوال مغرضة ومشبوهة، فاللغة العربية لغة علمية ثبت ذلك في الماضي حين تمكنت من استيعاب علوم السابقين، وهضمتها وتمثلتها ثم زادت عليها، وأصبحت في تلك الحقبة من الزمن لغةَ العلم بكل فروعه وفنونه واعترف لها العالم أجمع، فإذا كانت قد نجحت في تلك التجربة في الماضي فَحَرِيٌّ بها أن تنجح فيها في الحاضر. "وإذا عرفنا أن للغة العلميّة مستوى خاصاً بالتعبير عن وصف الأشياء لتعيين ماهيتها، على اعتبار أن يراد بالأشياء كل ما يدخل في نطاق الحواس الإنسانية من مخلوقات، ويراد بالوصف كل جهد يأخذ شكل التقرير أو التحليل أو التركيب العلمي"[22] فإن اللغة العربية من أشهر لغات العالم التي تدخل في هذا الإطار، وإن قصورها في هذا العصر ليس نابعاً من ذاتها، إنه ناتج عن قصور واضح في أهلها ومتكلميها، فنحن أمة مستهلكة تعتمد في حياتها على غيرها من الأمم المتقدمة، لذا يشعر كل فرد من أبنائها بضعف في تخصصه، وإذا شعر بذلك خشي أن يفكر أو يبتكر، لأنه يرى غيره أقدر منه على الإبداع والابتكار، ويرى نفسه ليس أهلاً لذلك وغير قادر عليه، لأن المعرفة تخلق الثقة بالنفس، وكلما وثق المرء بنفسه اعتزَّ بها، وأقدم على عمل ما يريد دون تردد أو وجل.

ويمكن القول إنه يحق للهيئات والمراكز العلمية العالمية أن تصف اللغة العربية بأنها "لغة أدبية" فقط، والسبب في ذلك أن أبناء العربية وبخاصة أولئك الذين تلقوا دراساتهم في دول أجنبية وبهرهم بريق الحضارة، يكتبون أبحاثهم ويدونون ابتكاراتهم بلغات أجنبية، فتحسب لتلك اللغات وتحرم منها اللغة العربية، التي تبقى الكتابة بها مقصورة على الأدباء والشعراء وبعض المتخصصين في العلوم الإنسانية. فيصدق الحكم للغير أنها لغة أدبية، لم تقدم بحثاً علمياً. فإذا أردنا لهذه اللغة أن تصبح لغة علمية، فعلينا أولاً أن نخلق الثقة في نفوس أبنائها بأنها لغة قادرة ولها من الخصائص والمزايا ما يمكنها أن تواكب اللغات الأخرى، فإذا اقتنع الفرد العربيّ بهذا واعتزَّ بلغته، عاد أبناؤها إلى الكتابة بها، كل في مجاله. كما أن زرع الثقة في نفس العربيّ وإفهامه أنه قادر على الإبداع والاكتشاف والابتكار يخلق لدينا علماء مبتكرين مبدعين، يدونون إبداعاتهم وابتكاراتهم بلغتهم، ومن اكتشف شيئاً، أو ابتكر فكرة لابد له من التعبير عنها أو الاصطلاح على اسم لها، وعدم الابتكار عند العرب في العصر الحديث سبب مُهِمّ من أسباب انهمار المصطلحات في كل مجالات المعرفة والفنون التي يتعب علماؤنا في وضع مناظر لها بالعربية.

إن هذا التردد والإحجام، وهذا الضعف وعدم الثقة، وهذا الإقلاع عن الكتابة بالعربية، يجعلنا نعيش حالة من الصراع المرير في كيفية مواكبة التطور العلميّ والحضارة، ومع هذا يمكن القول إن الأحجام حيناً والإقدام حيناً آخر، والخوف مرة والتردد مرة أخـــرى،

في وضع المصطلح هو علامة صحية تعيشها أمتنا، لأن "الاصطراع المصطلحيّ الذي تشهده اللغة في أي فترة من فترات حياتها، إنما هو علامة صحية، كما نؤثر اليوم أن نقول، لأنه دليل على أن تلك اللغة ومعها أهلها واقعة في خضم احتكاك الحضارات، تواجه بقدم راسخة حوار الثقافات في أعمق مدلولاته "(23).

ومهما يكن من أمر فإن المصطلح عند العرب لا زال يجابه معوقات كثيرة، وإذا حاولنا أن نتلمس مشكلات المصطلح ومعوقاته عندنا، أمكن القول إن هناك أسباباً كثيرة تُسهِم في إعاقة المصطلح وعدم استقراره، ويمكن أن تعزى هذه إلى الأسباب التالية:-

أسباب تتعلق بالمنهج:

إن المنهج الواضح المحدد بدقة وموضوعية شرط أساسيّ في كل عمل يقوم به المرء،خاصة أننا نعيش في عالم يغلب عليه التطور العلميّ والتقنيّ الهائل الذي يداهمه بسرعة مذهلة، وأيّ عمل يفقد المنهجية الدقيقة المستوعبة لجوانبه المختلفة يُكْتَب له الفشل، لأن "المنهجية نصف المعرفة وزيادة في عالمنا الحديث الذي شملت مفاهيمه ومصطلحاته الإيجابية والسلبية كل دان وبعيد " (24).

ومع إيماننا بأهمية المنهج وضرورة الالتزام به، إلا أننا نجد في عالمنا العربيّ اضطرابا وخلطا ورؤية غير واضحة في كثير من المناهج التي يسير عليها علماؤنا، كل ذلك أدى إلى قصور هذه المناهج وعدم وفائها بالغرض المراد، لذا يمكن القول إنّ "المنهجيات العربية الموجودة حالياً لا تُميِّزُ غالباً بين عناصر مختلفة؛ فهي تخلط بين وسائل الوضع، وتقنيات الترجمة ومناهج التوحيد والتنميط"(25).

كما أن قصور المنهجيات العربية عن الوفاء بمتطلبات العصر من المصطلحات قد يكون ناتجاً عن عدم وضوح مفهوم المصطلح لدى كثير من المُصْطَلِحين، كما قد يكون ناتجاً عن الاجتهادات المختلفة التي يضعها أولئك المُصْطَلَحُونَ الأفراد كل حسب رؤيته، دون التزام بمنهجية موحدة تلزم الجميع العمل بها حتى تنتج أعمالاً بنفس المستوى، وعلى قدر من الاتفاق والتحديد. إن الاصطلاح على مفاهيم علمية وفنية وتقنية، دون منهجية محددة، سيؤدي إلى اضطراب وتشويش وقصور في هذا المجال "والسبب راجع، فيما يبدو لي، إلى غياب تمثيل نظريّ للقضية المصطلحية، وإلى عفوية المنهجيات المقترحة لضبط المصطلحات" (26).

إن العفوية وغياب المنهج الواضح في وضع المصطلح الذي يخضع في كثير من حالات وضعه إلى عملية المراس والمزاج الشخصيّ أدى إلى كثير من النتائج السلبية التي تتسم بالاضطراب والفوضى وعدم الدقة والتناسق والوضوح، وهو ما أشار إليه الفاسي الفهري بقوله: "إنّ أهم ما يتسم به وضع المصطلح هو طابعه العفويّ، وهي عفوية لا تقترن بمبادئ منهجية دقيقة ولا باكترات بالأبعاد النظرية للمشكل المصطلحيّ. وقد قادت هذه العفوية إلى كثير من النتائج السلبية، في مقدمتها الاضطراب والفوضى في وضع المصطلح، وعدم تناسق المقابلات المقترحة للمفردات الأجنبية" (27).

إن وضع المصطلح وتحديد معناه ليس أمراً يسيراً يمكن لكل شخص أن يقوم به، يقول لوي هيلمسلاف Louis hjelmslry "المصطلح إنما هو مسألة ذوق ولا يمت إلى حقائق الأمور بصلة"[28] فلا بد لمن أراد القيام بعملية الاصطلاح من أن يكون واسع الثقافة والعلم متخصصاً بأحد فروع المعرفة المختلفة ملمّاً بكل دقائق تخصصه، كما لابد أن يكون صاحب دراية عميقة بكل دقائق لغته، فالمصطلح "وليد مهارة التخيل والإبداع عند واضعه، وليس وليد شروط لغوية معينة تلزم باقتراحه بدل غيره"[29]. فوضع المصطلحات لا يتأتى لكل فرد وإن حاول ذلك جاهداً، إنه مهنة العلماء والباحثين، ولا يقوم به إلا المتخصصون المبدعون من خلال أبحاثهم العلمية، التي توصلهم إلى استنتاجات ومفاهيم جديدة ليس لها من ألفاظ اللغة ما يعبر عنها أو يدل عليها، فإذا اضطر أحدهم إلى التعبير عن مفهوم معين أو معنى خاص يدور في خلده ومخيلته فإنه يلجأ إلى خياله وفكره وحسه اللغويّ ويضع مسمى لتلك الفكرة أو ذلك المفهوم، ولا يجب عليه التماس مناسبة بين الاسم و المسمى "إننا لا نستخدم المصطلح ليصف لنا ما ينضوي تحته من حقيقة علمية، بل نريده مجرد رمز لها يساعد على استحضارها فكرياً"[30]. وهذا يعني أن وضع المصطلح لا يكون إلا للعلماء الباحثين، ولا ينفصل عن الدراسة العميقة والبحث العلميّ الدقيق الذي يعتمد على عقل وحكمة راجحين، وإرادة قوية، ولا ينفصل عن البحث العلميّ" إن صوغ المصطلحات لم يكن عملاً منفصلاً عن البحث العلميّ بل كان جزءاً لا يتجزأ منه. إذ إن المصطلحات تُخلَقُ نتيجة للحاجة إليها في أثناء البحث وليست عملاً مستقلاً"[31].

وقد تطور وضع المصطلح وأصبح يقوم على أسس ومناهج واضحة محددة، مما أظهر علماً جديداً خاصاً به هو "علم المصطلح أو المصطلحية Terminology " والعلم، أيّ علم، لا يقوم على العفوية والمزاجية، بل على أسس واضحة محددة. ومع أن وضع المصطلح قد يتسم بطابعه العفويّ "إلا أن التجربة أثبتت أن الممارسة العفوية لا تكفي، وأن توليد وتوالد المفردات يخضع لمبادئ وقيود نظرية ومنهجية من شأنها أن تكون علماً مستقلاً هو المصطلحية "[32].

إن الاضطراب المنهجيّ في وضع المصطلح الذي يغلب على أعمال علمائنا الاصطلاحيين هو السبب المهم في أن "المصطلح العلميّ العربيّ لا يزال بدوره عاجزاً عن اكتساب حَيِّز دلاليّ دقيق مضبوط ما لم يعتمد على مصطلح أعجميّ مرجع يدعمه"[33]. وهكذا فإن وضع منهجية دقيقة ملزمة لكل المصطلحين، أمر هام لا بد من وجوده حتى يمكن أن تتصف عملية الاصطلاح عندنا بأنها عملية علمية مبنية على أسس ومناهج سليمة، ولا تشكل العفوية فيها شيئاً يذكر، كما أنها بعيدة عن الفهم الخاص والمزاجية الفردية.

أسباب تتعلق بفوضى المصطلح :

قبل الحديث عن فوضى المصطلح، لابد من القول بأن هذه الفوضى ليست خاصة بالمصطلح، بل هي وضع عام لا يسلم منه أيّ علم من العلوم في كل الثقافات، والعلم في نهاية الأمر مصطلحات تم اختيارها

بدقة وموضوعية، ولأن "وضع المصطلح مرتبط إلى حد بعيد بوضع العلم، فلا ننتظر أن يكون المصطلح ناضجاً والحال أن الموضوع الذي يفصح عنه ما زال متردداً مضطرباً، ولا نتوقع أن يكون صارماً في ضبطه والحال أن المادة التي يترجم عنها ما زالت تقتضي الدرس والضبط، لذلك لم يكن بدعاً أن يساير المصطلح البحث العلميّ فينضج كلما نضج، وتنضج أبعاده كلما أضيئت قضايا العلم واتضحت أبعادها"[33].

وإذا كان العلم والمعرفة في تطور ونمو مستمرين، فإن هذا يعني أن المصطلح لن يكون مستقراً كما نريد، بل علينا أن نصطلح ونطور مصطلحاتنا مع تطور العلم حتى نبقى مواكبين لهذا التطور، والمصطلحات كما هو معروف تخلق عند الحاجة إليها وتخلق أثناء الدراسة والبحث، لأن صوغ المصطلحات "عملية إبداعية يقوم بها المتخصص في أثناء قيامه ببحثه عندما تلجئه الضرورة إلى ذلك"[34]. فإذا توقف البحث والإبداع والابتكار عند أمة من الأمم فإن هذا يعني توقف خلق المصطلحات، لأنه "كلما اتسع نطاق التفكير وتشعب في إطار حقل معرفيّ بعينه، مست الحاجة إلى الجديد من المصطلحات "[36]. وإذا أرادت تلك الأمة أن تساير ركب الحضارة فلا بد لها من اقتراض تلك المصطلحات من لغات أخرى، وهذا يعني أن تلك الأمة تسير في آخر الركب العلميّ والحضاريّ، وهذا ما تعيشه الأمة العربية في العصر الحاضر، فنحن "نتعامل مع المعرفة الإنسانية فوق أرض غَربِيَّة، فكان طبيعياً أن لا تكون مصطلحاتنا موحدة، بما أن مراجعنا ليست كذلك، ومراجعنا يشيع فيها الاختلاف الاصطلاحيّ أكثر من الاتفاق"[37].

إذا كنا قد سلمنا بهذه النتيجة فعلينا: أن نعمل على زيادة البحث، وأن تكتب بحوثنا وفي كل المجالات باللغة العربية، حتى تحسب تلك البحوث لنا وللغتنا، لا إلى اللغات الأخرى التي كُتبت بحوثنا بها.

إن البحث العلميّ الجاد والعميق هو الذي يوجد مفاهيم ونظريات تتطلب مصطلحات و أسماء توجب على الباحث البحث عنها واختيار ما يناسب منها، لأن المصطلحات العلمية، شأنها شأن الكلمات العادية في اللغة، بها وليدة لصفة الإبداع في اللغة، والإبداع في اللغة، وليد لوجود أفكار يراد بها التعبير عنها، ووليد معرفة لغوية تعين المتكلم على تلمس طرق التعبير في اللغة"[38]. ولغتنا العربية مرنة مطواع لها من المزايا و الخصائص ما يجعلها قادرة على توليد واشتقاق الصيغ التي تسد عوزنا من المصطلحات، بل إنها " أقدر اللغات على وضع المصطلحات وتوليدها واشتقاقها ونحتها وتطويرها، وذلك للعلاقة القائمة بين الصيغ الصرفية والمفاهيم العامة في الوجود [39].

كما علينا أن نعمل على توحيد مصطلحاتنا التي تعمها الفوضى ويلفها الغموض والاضطراب "لأن الغرض من توحيد المصطلحات هو تهيئة الأرض اللغوية الصالحة لوحدة الأمة الفكرية والاجتماعية والسياسية"[40]. وليس الغرض من توحيد المصطلح تجميد اللغة وتجميد العلوم بترجمة معينة، أو باعتماد لفظة دون غيرها، بل الغرض من التوحيد تجنب المصطلحات المشتركة التي تصبح مترادفات في اللغة العلمية العربية

التي يجب أن تخلو من الترادف قدر الإمكان، هذه المترادفات التي "تعد نعمة ونقمة في آن واحد في مجال المصطلحات العلمية والتقنية، فهي نعمة إذا استعملت للتفريق بين المفاهيم المتقاربة، وهي نقمة إذا وضع عدد منها مقابلاً للمفهوم التقنيّ الواحد، إذ إن ذلك سيؤدي إلى اختلاف الاستعمال وتعدده"(41). حقاً إن المترادفات تكون نعمة إذا أُحسن استخدامها؛ أي أن يكون المُستَخْدِم لها لغرض الاصطلاح عارفاً بكل دقائقها، وملماً بكل الفوارق الدقيقة بين معانيها، إذ ليس من السهولة بمكان لكل مترجم أو مُصْطَلِح أن يلم بكل هذه الفوارق، خاصة وأننا في العالم العربيّ لا نزال نفتقر إلى المعاجم التاريخية والمعاجم التأصيلية "التأثيلية" التي تساعد على تحديد الفروق بين هذه المترادفات، وهي نقمة إذا لم يتمكن المُصْطَلِحُونَ في أقطار الوطن العربيّ من الاتفاق حول المقابل الدقيق والأوحد للمفهوم الواحد.

ويرى بعض الباحثين أن توحيد المصطلح يقود إلى الجمود في اللغة والتحجر في البحث العلميّ، يقول محمد النويري: "إن الدعوة إلى توحيد المصطلح تبدو لي قضية زائفة وعلى غاية من السطحية، لأنها تحجب عنا القضايا الحقيقية التي ينبغي أن نركز فيها اهتمامنا. ثم إن طرح مسألة التوحيد يصبح خطراً لأنه في بُعد من أبعاده حكم على البحث العلميّ بالجمود، والعلم إنما يجد تربته الخصبة في الاختلاف والخلاف"(42)، قد يكون محمد النويري محقاً في حرصه على استمرارية البحث العلميّ ونموه وتطوره، ومحقاً في خوفه من تعثر ذلك البحث وتوقفه، ومحقاً في مقاومة كل شيء قد يؤدي إلى ذلك لأننا في مسيس الحاجة إلى التطور العلميّ والتقنيّ، لكن لا بد من القول إن توحيد المصطلح قضية مهمة وملحة، لأنها تعني خلق لغة علمية عربية واحدة تستخدم في كل أقطار الوطن العربي، كما تعني توحيد طرائق التفكير لدى أبناء الأمة، ويجب أن يبقى حاضراً لدينا جميعاً أن وحدة الأمة الفكرية والثقافية ذات أهمية قصوى لا يعدلها أيّ شيء. "إن توحيد المصطلحات العلمية في العالم العربيّ خطوة قيِّمة نحو توحيد الجبهة الأدبية والاجتماعية والسعي للتفاهم، والاتفاق على أسماء المعلومات الحسية، كالعلوم الطبية مثلاً، مقدم، بطبيعة الحال، على تلك الملاحظات والمعلومات المعنوية الطليقة التي لا ضابط لها بل هو توطئة لها، لأن المعاني تستمد روحها من الموجودات الحسية عادة. وما هذا الشوق إلى توحيد الجبهة العلمية إلا بادرة من بوادر السعي لنكون في العالم العربيّ على صعيد واحد معنى ومبنى" (43).

ويرى بعضهم أن توحيد المصطلح أمر سهل ميسور وليس بحاجة إلى وضع أسس وقوانين من أجل تحقيقه، بل يجب ألا يعيقنا التوحيد عن البحث والاصطلاح، فعلينا أن نصطلح، وستسهم وسائل الإعلام في تحديد المصطلح المناسب لكل مفهوم وسيكون للاستخدام الدور الأهم في هذا المجال، وسيصل الناس إلى اتفاق حول المصطلح الأنسب؛ أي "أن توحيد المصطلح سيبقى في الآخر، في جميع الأحوال رهناً باستعماله وتداوله، ولوسائل الإعلام والصحف والمجلات والكتب وسائر مواطن التداول الأخرى أعمق الأثر في ذلك، فالاستعمال وحده هو الذي ينخل ويغربل، ومن ثم يستبقي المصطلح الموحد بقانون البقاء للأقوى أو الأنسب "(44).

إن توحيد المصطلح العلميّ رهن بما يكتبه أبناء الأمة من الأبحاث بلغتهم العربية وبما يقدمه العلماء من أفكار وآراء في مجالات مختلفة في الصحف والمجلات والمؤتمرات والندوات، كل ذلك يجعل توحيد المصطلح أمراً مفروضاً وقائماً، وكلما زاد نشر الأبحاث والكتب باللغة العربية زاد المصطلح ثباتاً وتوحيداً، وأصبحت عملية الاصطلاح ووضع المصطلح أمراً ميسوراً، وغدت مشكلة المصطلح ليست مشكلة ذات قيمة كبيرة، وأصبحت اللغة العربية- كما عهدناها- لغة علم وثقافة، بما فيها من مزايا وخصائص جعلتها قادرة على التغلب على مشكلة المصطلح، والأقدرَ على وضعه وتوليده.

إن هذه الفوضى والتعددية التي نلمسها في المصطلح أمر طبيعيّ ناتج عن أمور مختلفة، فتعدد المصادر التي يعتمد عليها المترجمون سيقود إلى تعدد في المصطلح. أضف إلى ذلك أن الاجتهادات الفردية من المترجمين والمصطلحين تسهم بدور كبير في هذا التعدد الذي طغى على المصطلح العلميّ في اللغة العربية، كما أن تعدد اللغات التي ينقل عنها أو يترجم منها يؤدي إلى التباين والاختلاف في فهم المصطلح، إضافة إلى أمر مهم يؤدي إلى اختلاف المصطلح، هو عدم إيمان كثير من الباحثين بوحدة الأمة العربية، وحرص بعضهم على النعرة الإقليمية الضيقة التي تؤدي إلى تمزيق الأمة قبل تمزيق المصطلحات وتعددها، وهذا الفهم وضيق الأفق دفع بهم إلى إهمال ما قام به زملاؤهم في الأقطار الأخرى، والتنكر لما قدموه من أبحاث وما اصطلحوا عليه من مفاهيم. وقد أدى هذا الإقلاع وعدم الاطلاع على ما عند الآخرين من أبناء الأمة إلى ما يمكن أن يسمى بالقطيعة العلمية وعدم التواصل بين أفراد الأمة، ويعتبر أحد الباحثين أن أولى المشكلات التي يعاني منها المصطلح "كثرة المصطلحات التي تطلق على الشيء الواحد، ويعود هذا التعدد إلى عدم اطلاع الباحثين العرب على أبحاث زملائهم الآخرين، ولا أعفي نعرة القطرية وأثرها في الغض من شأن المصطلحات التي لا تصاغ في قطر الباحث المعين، وقد سبب عدم التواصل العلميّ عدم شيوع بعض المصطلحات العلمية الدقيقة وشيوع مصطلحات أخرى أقل دقة" (45).

وقد يكون هذا الانقطاع والتباعد بين أبناء الأمة ناتجاً عن غير قصد، أو ربما كان قصوراً في وسائل الإعلام، فكثير من المصطلحات التي توضع في المغرب مثلاً لا يعرفها علماء العراق، وكثير مما يصطلح عليه في العراق يجهله باحثو اليمن، ويعزى هذا إلى عدم التواصل العلميّ والفكريّ والثقافيّ بين أقاليم الوطن العربي، فيقوم كل قطر بإعادة تلك المصطلحات التي وضعت في القطر الآخر، من هنا، فإن غياب التواصل والتنسيق بين المؤسسات العلمية العربية له دور كبير مهم في عملية تعدد المصطلح.

كما أن الجهود الفردية وعدم معرفة هذا المؤلِّف أو ذاك، للعربية الفصحى يترتب عليه عدم مقدرته على وضع المصطلح الفصيح المناسب لهذا المفهوم أو ذاك، وقد يلجأ هذا المؤلِّف إلى لهجته فيأخذ المقابل منها، يقول القاسمي: " المعجميّ أو المؤلف قد لا يعثر على مقابل بالعربية الفصحى لأحد المصطلحات فيضطر إلى استعمال مقابل للمصطلح من لهجته الإقليمية، وقد

يكون هذا المقابل غير مفهوم للناطقين باللهجات الأخرى، لأنّ الكلمات العامية لا تتمتع بالثبات الدلاليّ النسبيّ الذي تتميز به نظيرتها الفصحى، فالكلمات العامية تختلف مدلولاتها من مكان لآخر ومن زمان لآخر بصورة أسرع وأكبر [46]. وإذا اضطر هذا المعجميّ أو المؤلف إلى استعمال مقابل للمصطلح من لهجته الإقليمية، فإن مؤلفاً آخر أو معجمياً آخر يضطر إلى استعمال مقابل لنفس المصطلح من لهجته كذلك،وقد يضطر ثالث ورابع، وينتج عن ذلك "الاضطرار" وجود مترادفات لهجية للمصطلح الواحد، وهذا يعني مزيداً من التجزئة والتشرذم، إضافة إلى ازدياد الاعتماد على اللهجات المحلية التي ربما أصبحت هي اللغات العلمية، وهذا يعني هزيمة نكراء للفصحى.

وقد يرى الباحث أن اللجوء إلى اللهجات المحلية في اختيار مقابلات للمفاهيم المستجدة خطر على اللغة العربية الفصحى، وخطر على اللغة العلمية العربية التي ننشدها. إن "اشتغال كل قطر من ناحيته دون أن تكون بين العاملين رابطة أو رثتنا ألفاظاً متعددة للشيء الواحد، فنجد في كتب مصر المدرسية "البندول" وفي سوريا "النواس"وفي الأردن "الرقاص" وفي لبنان "الخطار" وأمثالها لأشياء أخرى كثيرة مما جعل قراءة كتب مصر في لبنان مربكة، وكذلك كتب لبنان في العراق وهكذا. ولا حاجة للقول بأنّ النتيجة الحتمية لهذا الوضع هي صعوبة التفاهم باللغة العربية بين المثقفين في المؤتمرات العلمية أو حينما يراد القيام بعمل علميّ مشترك بينهم، ولذلك تراهم يستعينون بالألفاظ الأجنبية أحياناً إذا ما أرادوا دقة التعبير فيما اختلفت في تسميته" [47].

كما يرى الباحث أن إحياء الألفاظ العربية الميتة لهذا الغرض خير من اللهجات الإقليمية، وهو ما لجأت إليه اللغات الأوروبية كواحد من المصادر التي أمدتها بما تحتاج إليه من المصطلحات. يقول عبد الصبور شاهين: "وربما كانت الطريقة التي حققت للمصطلح العلميّ الأوروبيّ استقلاله هي لجوء العلماء إلى اللغات الميتة، فأغاروا عليها إغارة عنيفة يشتقون منها، ويفسدون فيها، ويحددون لألفاظها معاني لم يقل بها أحد من أهلها.... وبذلك ثبت أن وجود اللغات الميتة ضروريّ لقيام المصطلحات، وذلك أنهم استطاعوا أن يفسدوا فيها ما يشاءون وأن يحددوا معانيها ويوسعوا فيها ما يشاءون ويزيدون فيها وينقصون، وهو ما لا يمكن عمله في اللغات الحية...... ولولا هذا الكنـــز من اللغات الميتة لما وسعت الإنجليزية ولا غيرها من اللغات الأوروبية حاجات التعبير عن مفاهيم الحضارة ومنجزات العلم وكشوف البحث الحديث" [48].

كما أنه يمكن القول، إن اللغة العربية تحتوي على طاقة كامنة من الألفاظ تنتج عن تقليب الألفاظ على الطريقة التي رآها الخليل بن أحمد وتابعه فيها ابن جنيّ واسماها الاشتقاق الكبير، فيمكن استغلال هذه الطاقة الكامنة في تغطية كثير من المفاهيم التي يعجز العلماء عن إيجاد مقابل لها في العربية المستخدمة، ولعل استخدام هذه الوسيلة من إحياء للألفاظ، وتقليب للصيغ أفضل من انتقاء الألفاظ من اللهجات المحلية التي تقود في النهاية إلى وجود ترادف في المصطلح، كما تقود إلى

تكريس اللهجات المحلية والارتقاء بها تدريجيا لتصبح كل لهجة محلية لغة علمية للإقليم الذي يستخدمها، وهو ما يؤدي إلى تفتيت الأمة العربية إلى أمم بعد تفتيت لغتها الفصيحة إلى لغات يُقرّها العرف الإقليميّ ويراها هي القادرة على مواكبة العلم والحضارة.

ومن أسباب فوضى المصطلح، اختلاف المدارس التي نأخذ منها دون النظر إلى منهجية كل مدرسة من المدارس التي نتعامل معها أو نأخذ منها، فهناك مدارس يغلب عليها الطابع النفسيّ، وأخرى يغلب عليها الطابع الاجتماعيّ، وثالثة تلح على الجانب المعنويّ الوظيفيّ، كل هذا ينعكس سلباً على توحيد المصطلح، لأن دلالة كل مصطلح تختلف باختلاف المدرسة التي ينتسب إليها أو الشخص الذي قدمه، فمن الطبيعيّ "أن تنشأ فوضى في مجال المصطلح لتعدد المصادر التي اعتمد عليها المترجمون من ناحية، والاجتهاد الفرديّ خارج الإطار العلميّ المؤسس من ناحية ثانية" (49).

إضافة إلى ذلك، يُسهِم ما يمكن أن نطلق عليه نقص الإحالة في زيادة الفوضى التي يعيشها المصطلح والغموض الذي يلفه، فنحن الآن في بداية وضع علم المصطلح، ونأخذ المفاهيم العلمية والفنية والتقنية من أكثر من مصدر مما يترتب عليه أكثر من تسمية للشيء الواحد، فجدير بنا، والحالة هذه، أن نشير إلى المدرسة التي أخذنا المصطلح عنها، وجدير بنا، أيضاً، أن نذكر تعريفاً موجزاً له، وما المقصود به، من أجل تحديد مفهوم دقيق واضح له يساعد في معرفته عند الذين يتناولونه من مدارس أو لغات أخرى.

ومن أسباب فوضى المصطلح، أيضاً، أسباب تتعلق باللغات التي نأخذ منها، فنحن أكثر ما نأخذ عن الإنجليزية والفرنسية، ولكل لغة ألفاظها ومفاهيمها التي يفهمها أهلها، هذه الألفاظ تختلف من لغة إلى أخرى، وهذه المفاهيم تختلف من أمة إلى أخرى، وتترتب عليها مفاهيم متباينة عندنا، يترجمها علماؤنا كل حسب فهمه. إضافة إلى ذلك فإن الفوضى والتعددية للمصطلح قد تنتج حتى لو كان الأخذ من لغة واحدة كما هو الحال بالنسبة للإنجليزية، فهناك إنجليزية بريطانيا، وإنجليزية أمريكا، ولكل من هاتين الإنجليزيتين ألفاظ ومفاهيم خاصة بها، تختلف عما عند الأخرى من ألفاظ ومفاهيم، مما يترتب عليه اختلاف في المفاهيم يؤدي إلى اختلاف في المصطلح عند العلماء الذين أخذوا عن الإنجليزية البريطانية والعلماء الذين أخذو عن إنجليزية أمريكا.

أسباب تتعلق بالمصطلح "ثقافة الناقل":

إن عملية الاصطلاح ليست عملية سهلة يمكن أن يقوم بها كل من أراد ذلك، فعملية وضع المصطلح يمكن أن يُعبَّرَ عنها بأنها عملية وضع لغة علمية تتطلب الكثير من الدقة والوضوح، خالية من كل لبس أو خفاء، بعيدة كل البعد عن الاحتمالية، لذا يجب على كل من نَصَّب نفسه للإسهام في بناء اللغة العلمية أن يكون متخصصاً في أحد فروع المعرفة، متمكناً من تخصصه، عالماً بكل دقائقه وخفاياه، كما يجب أن يكون صاحب

خبرات متعددة واطلاع واسع، متقناً للغته الأم إتقاناً تاماً، مُلمّاً بكل أساليبها، عارفاً بكل قواعدها وقوانينها، حتى يتمكن من التصرف في ألفاظها وتراكيبها بسهولة ويسر، وتكون لديه القدرة على اختيار أنسب الألفاظ التي تدل على المفهوم المراد دلالة واضحة دقيقة محددة، وتحدد كل أبعاده واحتمالاته حتى يكون بعيداً عن اللبس المؤدي إلى الاجتهاد والتأويل، إذ لا مجال لمثل هذا في المصطلح الذي يجب أن يكون قوي الدّلالة واضحها، محدد الإبعاد، لا يمكن حمله على غير ما وضع له. لأن المصطلح هو "الحد أو الخط المعين للحدود، فهو يمثل حقلاً يمكن العمل في نطاق حدوده ضماناً لعدم التشتت والضياع" (50). كما يجب على الناقل أن يتقن اللغة التي يأخذ عنها إتقاناً تاماً لا يقل عن إتقانه للغته الأم، حتى يمكنه فهم المراد من هذا اللفظ أو ذاك. أو هذا التركيب أو ذاك، " فلا يكفي المترجم أن يبحث عن مرادف عربيّ لكلمة إنجليزية مثلاً ويستقر على أنها هي المطلوب، فثمة "ظلال المعاني" التي يفسرها القاموس لكن النص والسياق هما العون على النحت والاشتقاق عندما يخرج المعنى عن حدود المعجمية (51). وأن يكون قادراً على مناغاة الفكرة التي أرادها المؤلف الذي يترجم له ويميز بين المعاني المتقاربة والألفاظ المترادفة، قادراً على استحضار المفاهيم والمدلولات المتقاربة، ويدرسها دراسة متأنية فاحصة في وقت واحد؛ أي أن يجمع كل المعاني المتقاربة علمياً ويصطلح عليها معاً، لأن اجتماع هذه المدلولات معاً يسهل عملية اختيار اللفظ الأكثر مطابقة لكل مفهوم منها، ويضمن سلامة الاصطلاح ودقته، فيضع اللفظ المناسب إزاء المفهوم المناسب." إن مبدأ دراسة المدلولات المتقاربة" أو المصطلحات الأجنبية المتقاربة المدلول " جملة، ومن ثَمَّ وضع المصطلحات العربية لها، بدلاً من وضع مصطلح عربيّ لكل مدلول أو مصطلح أجنبيّ بصورة مستقلة ومن غير دراسة المدلولات أو المصطلحات المقاربة له من المبادئ التي كثير ما يفوت واضعي المصطلحات الاهتمام لها والأخذ بها فيسبب تجاهلها الغموض واللبس في الأقل إن لم يؤد إلى الخطأ في التعبير" (52).

إن الالتزام بهذه الأمور من قِبَلِ واضع المصطلح أمر هام يجب عدم التساهل فيه، لأن ذلك يعطي الفرصة لكثير ممن هم غير جديرين بهذا الأمر للاجتهاد الذي يترتب عليه الخطأ أو عدم الدقة أو الاختيارات التي تؤدي إلى ظهور ألفاظ لا نصيب لها من الصحة، والتي تثقل اللغة بلا فائدة، لذا "يلزم لواضعي المصطلحات إتقان لغتين فضلاً عن التخصص العلميّ...... ولقد كان عدم إيفاء هذه الناحية حقها من الاهتمام، أو التساهل فيها، سبباً في تفشي كثير من المصطلحات المغلوطة والاختيارات غير الموفقة أو إدخال ألفاظ كثيرة من الدخيل على لغتنا مما لم يكن داع لإدخاله" (53).

ليس هذا فحسب، بل إن على واضع المصطلح أن يكون مطلعاً إطلاعاً واسعاً على ثقافات أخرى لها صلة بثقافة اللغتين "اللغة الأم واللغة التي سيأخذ عنها" لأن هذا الاطلاع يزيد من خبرته ويصقل مواهبه ويوسع أفقه ودائرة معرفته، كل ذلك يكسبه الثقة في النفس والمقدرة على العمل الجاد الدؤوب، وكذلك التمييز بين المفاهيم المختلفة، مما يساعده على وضع المصطلح

الأصوب. إن سعة الثقافة وكثرة الاطلاع تجعل المرء أكثر مقدرة على استيعاب قضايا العلوم والفنون، وتخلق منه شخصاً قادراً على المقارنات بين الثقافات المختلفة التي تمكنه من فهم دقيق لكل النظريات والآراء، مما يُجهِّزه بقدرة فائقة على التفكير السليم والإبداع العلميّ والاصطلاح على المفاهيم والمدلولات التي تقابله.

كما يجب على الناقل أن يكون صادقاً أميناً فيما يضع من مصطلحات، مُلماً بمادته العلمية قادراً على استكناه كل مفاهيمها والتفريق بين كل جزيئاتها. وأن لا يقوم بوضع المصطلح إلا من كان مختصاً لأن "المصطلح لغة خاصة "Jargon" أو معجم قطاعيّ يُسهِم في تشييد بنائه ورواجه أهل الاختصاص في قطاع معرفيّ معين، ولذلك استغلق فهمه واستعماله على كل من ليس له دراية بالعلم الذي هو أداة لإبلاغه"[54].

إن الانتماء القوميّ أمر مهم في عملية الاصطلاح، لأن هذا الانتماء يعني الحرص على مكتسبات هذه الأمة ومُقَدِّراتها الثقافية والعلمية، ويدفع باتجاه الصدق في النهوض باللغة العربية من أجل أن تصبح لغة علمية قادرة على استيعاب مصطلحات العلوم والثقافة والتقنية والفنون، يفاخر أبناؤها بها بدلاً من التنكر لها والحط من شأنها، ومحاولة التخلص منها واستبدال اللغات الأخرى بها. إن مثل هذا الانتماء يخلق روح التوحد والتوحيد لدى المثقفين العرب ويُفَوِّتُ الفرصة على أولئك الفئويين أو الإقليميين أو دعاة الإقليميات الضيقة الذين لا يفتؤون يعملون على تمزيق أمتنا وتدمير لغتها.

إن الإيمان بالوحدة العربية، يُسهِم إسهاما كبيراً في إنجاح عملية التعريب والاصطلاح، ولعل السبب في عدم إنجاز عملية التعريب- رغم الجهود المخلصة المبذولة في هذا المجال- وفي المشكلات المصطلحية عند العرب، ناتج عن عدم الإيمان أو الاقتناع بالوحدة العربية، وأن أبناء هذا الوطن العربيّ الواحد هم أمة واحدة ذات لغة واحدة وآمال واحدة، إن الإيمان بالمصير الواحد ونبذ كل فرقة أو طائفية يُسهِم في إنجاح هذه المهمة، ويدفع باتجاه نهوض الأمة وتطوير لغتها، ويقطع الطريق على دعاة الإقليمية البغيضة الذين يعملون ما بوسعهم لتكريس هذا الفهم، وربما كان هذا الفهم نابعاً من إعجابهم بالأمم الأخرى إعجاباً ملك عليهم الألباب حتى وصل إلى مركب النقص "عقدة الخواجة" التي تعيش في قلوب كثير من أبناء الأمة، وتعشعش في عقول كثير من علمائها، وإذا أردنا النجاح في هذه المعركة فلا بد من العمل على إعادة الثقة إلى نفوس هؤلاء، وعلى ترسيخ المفاهيم الوحدوية، وعلى نبذ كل ما يدعو إلى التفرقة ؛ أي علينا أن نُعَرِّبَ الثقافة والفكر لكي يكون الإنتاج العلميّ عربياً وباللغة العربية، بهذا نصبح مبدعين مبتكرين نصطلح على ما ننتجه و نخترعه، ونُعَرِّب جوانب حياتنا، كما يقول خير الدين حقي: "نحن أحوج ما نكون إلى تعريب الفكر قبل تعريب اللسان"، أو كما قال أحد الزملاء بصيغة أدق: "بحاجة إلى تعريب الضمير قبل تعريب اللسان" [55].

كما أن من أسباب فوضى المصطلح وعدم استقراره، عدم استخدام المصطلح في الحياة العلمية والثقافية والاجتماعية فرواج المصطلح وتَقبُّله رهن باستخدامه، فإن عزف الناس عن استخدامه كُتب له الفشل، وسبب عدم استخدامه ينتج عن عدم تعريب العلوم والفنون في الجامعات والمعاهد والمؤسسات العربية باستثناء الجامعات في القطر السوريّ.

يوضع المصطلح، بعد جهد ليس بالقليل، ليدل على مفهوم معين لكنه لا يجد من يستخدمه، لأن عدم تعريب التعليم العالي يدفع طلاب الجامعات ومدرسيهم إلى استحسان اللفظ الأجنبيّ واستخدامه ويصبح لا حاجه لكل ما هو عربيّ في التعليم، فلا يجد الطالب ضرورة لاستخدام اللفظ العربيّ كما لا يجد حرجاً من استخدام اللفظ الأجنبيّ، وبالتالي لن يصل إلى استخدام تلك المصطلحات التي تم الاتفاق عليها، وتبقى قابعة في بطون المعاجم والكتب تنشد من يستخدمها ولا مجيب، فلا يفيد منها أحد ولا يتصل بها عامة الناس، فإذا كان المختصون لا يستخدمون هذه المصطلحات فكيف بغيرهم؟ لذا فإن نجاح عملية الاصطلاح رهن بالتعريب الشامل لكل مراحل التعليم في الوطن العربيّ. وقد خلقت حالة عدم التعريب هذه قناعة لدى معظم الفئة النخبوية بأن استخدام اللفظ الأجنبيّ أفضل بكثير من استخدام المصطلح العربيّ، ذلك لأن اللفظ الأجنبيّ- في رأيهم- يدل دلالة واضحة محددة على المفهوم المقصود، وهي دلالة لا يمكن الحصول عليها باستخدام لفظ عربيّ بدل اللفظ الأجنبيّ. ولا بد من القول إن هذه القناعة وذلك الفهم لدى تلك الفئة لا تمت إلى الحقيقة أو الواقع بأية صلة، بل هي قناع يعمي الأبصار ويصم الآذان.

إن استخدام لغة غير اللغة العربية في قاعات الدرس في جامعاتنا ومعاهدنا جريمة كبرى في حق الأمة، لأن ذلك يؤدي إلى قناعة لدى طلابنا بعدم صلاحية اللغة العربية للعلم، وعدم مقدرتها على مواكبة العلوم والفنون والتعبير عنها، وهذا بدوره يضعف ثقة الطلاب بلغتهم العربية، ويقرُّ في عقولهم أنها سر تخلفنا وانحطاطنا الفكريّ والعلميّ، ويوصلهم إلى قناعة تامة بضرورة التخلص منها والاستغناء عنها. وهذا- إذا تحقق- يعني قطع لكل أواصر التواصل بين أفراد الأمة العربية، إنه هدم للأمة كلها لتصبح أُمماً متناحرة، كل أمة منها تسير في ركب أمة أجنبية اتصلت بها برباط اللغة الجديدة التي استبدلها بالعربية.

وبعد، فإنه واضح تماماً أن سر تخلفنا في وضع المصطلحات العلمية المطلوبة نابع من أسباب تتعلق بنا نحن أهل اللغة، لا باللغة نفسها، فاللغة خير أداة للتعبير، وهي قادرة على التعبير عن كل ما يستجد من أمور الحياة، وهذا ما أقرته لجنة اليونسكو "التي اعتمدت تجارب أنجزت في بلدان كثيرة، وقررت أنه لا عائق يعوق لغة معينة لتعبر عن الحضارة الحديثة، فإذا كانت هذه اللغة الأم قادرة على أن تكون أداة للتعليم العالي والتقنيّ، فإنه ينبغي استخدامها لهذا الغرض بعد الاحتياط كله لتنسيق المصطلحات العلمية"(56). فعلينا أن نعيد الثقة إلى نفوس المترددين من علمائنا وكتابنا بمقدرة العربية على توفير المصطلحات العلمية والفنية والتقنية كغيرها من لغات العالم، كما علينا أن ننمي هذه الثقة

في نفوس أجيالنا ونشجعهم على الكتابة باللغة العربية في كل موضوعات المعرفة الإنسانية، وأن نبرز الخصائص والمزايا التي تختص بها اللغة العربية كالاشتقاق والتوليد والتحديث والنَّحت وغيرها، وأن نوضح أهمية كل مزية من هذه المزايا والدور الذي قامت به في العصور السابقة. كما يجب أن نوضح لهم أنه ليس بالضرورة أن يتلمَّس العالم أو الباحث مناسبة بين المصطلح الأجنبيّ وما يقابله بالعربية لأن ذلك سيؤدي إلى التردد والاضطراب، والاختلاف بين العلماء لأن كل شخص يفهم الفكرة كما يراها، فعليهم أن يضعوا مقابلاً لذلك المصطلح كما وضعت الكلمات من أجل أن تكون رموز الأشياء تدل عليها دون مناسبة بين الاسم والمسمى.

وقد تمكن العرب في القديم من وضع مصطلحات تناظر المصطلحات الأعجمية، وتمكنوا من ابتكار الكثير من المصطلحات الأخرى، و لم تنعدم محاولات الاصطلاح في العصر الحديث، فالمصطلح رهن بالتخيل والإبداع والابتكار، فإذا أطلقنا العنان لعقولنا، أمكننا أن نبتكر ما ينقصنا من المصطلحات دون خوف أو تردد، وإذا تصفحنا بعض الصحف والمجلات أمكننا أن نضع أيدينا على كثير من المصطلحات التي وضعها العلماء والموهوبون لكثير من المسميات الأجنبية، كما نجد كثيراً من المصطلحات العفوية الوضع التي أسهم في وضعها جمهور الناس، فقد اصطلح الجمهور على نوع من التبغ "السجاير" الإنجليزية يسمى "Caraven A" فوضعوا لها اسم "أبو بس" لأنها تحمل على غلافها صورة للقط، كما اصطلحوا على نوع آخر من السجاير يسمى Playrs فوضعوا له اسم " أبو دقن" لأنه يحمل على غلافه صورة رجل أجنبيّ يرتدي قبعة، كما أطلقوا على سيارة مرسيدس اسم خنـــزيرة، حيناً، وشبح،حيناً آخر، كما نجد كثيراً من الألفاظ الاصطلاحية تنساب على أقلام الكتاب والصحفيين، فقد أطلقوا على ثورة الشعب الفلسطينيّ اسم "انتفاضة" وربما كان لخيال أحد الكتاب الدور الأساسيّ في هذه التسمية إذ رأى في هبة هذا الشعب من أجل الدفاع عن أرضه ومقدساته تحركاً وارتعاداً شديدين فاهتدى إلى تلك التسمية. كما أطلقوا على عمليات المقاومة الفلسطينية التي يقوم فيها الفرد بتفجير نفسه اسم "العمليات الاستشهادية" لأنّ منفذها قام بها طلباً للشهادة في سبيل الله والوطن. ومن ذلك أيضاً كلمة "تصعيد" التي أصبحت تدل على زيادة المقاومة أو زيادة القمع من العدو. كما يطلق على تلك المنشآت التي بناها العدو على أرض فلسطين اسم "المستوطنات أو المغتصبات" لأن العدو اغتصبها من أهلها الشرعيين. وكذلك "الطرق الالتفافية" لتلك الطرق التي فتحها العدو من أجل أن توصل بين مستوطناته دون المرور بالبلدات والمدن الفلسطينية.

من هنا، ومن كل ما سبق، يمكن القول إن اللغة العربية تملك من المزايا والخصائص ما يمكّنها من السيطرة على جوانب الاصطلاح، شريطة أن يعمل العلماء والمفكرون على حلّ كل المشكلات التي تعترض طريق الاصطلاح، وتذليل كافة العقبات التي تحول دون إنجاح عملية الاصطلاح ، هذه المشكلات والعقبات تتمثل -كما مر- في فوضى المصطلح، وغياب المنهجية الموحدة لوضع المصطلحات والملزمة لكل من أراد أن يمد يده إلى هذا العمل، كذلك اختلاف اللغات التي نترجم

عنها أو ننقل منها والمدارس التي نتبنى أراءها ومنهجياتها، إضافة إلى ثقافة الناقل أو الْمُصطَلِح (الْمُصْطَلَحيّ) التي تنعكس فيما يقدمه من مصطلحات، كل هذه الأمور عقبات كأداء تقف حائلاً دون تقدم المصطلَح وتطوره في العالم العربيّ.

الهوامـــــش

1. المسدي، عبد السلام: المصطلح النقديّ وآليات صياغته، مجلة علامات في النقد الأدبيّ، ج 8 مجلد 2، محرم 1414هـ، ص 56.
2. القاسمي، علي: مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1987م، ص 10-11.
3. الموسوي، مناف مهدي محمد: مباحث لغوية من حياة اللغة العربية، دار البلاغة، بيروت، ص110.
4. الجاحظ، "البيان والتبيين"، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 139/1.
5. الجاحظ"الحيوان"، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الحلبي، القاهرة ،1958 م، 348/1.
6. الخوارزمي "مفتاح العلوم "، تحقيق: فان فلوتن ،1985 م، ص 2-3.
7. ابن فارس، أحمد، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ص 7.
8. المرجع السابق، ص 33-34.
9. التهانوي، محمد علي الفاروقي: كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية ، 1963 م ، ص 1-3.
10. الشدياق، أحمد فارس، الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب، القسطنطينية 1299هـ ، ص 437.
11. مصطفى إبراهيم: المعجم الوسيط، دار إحياء التراث، مادة صلح.
12. حجازي، محمود فهمي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة، ص 8.
13. شاهين، عبد الصبور: اللغة العربية لغة العلوم والتقنية، مطبعة دار الإصلاح، الطبعة الأولى، 1983، ص 119.
14. المرجع السابق، ص 118.
15. حبر يحيى، عبد الرؤوف: الاصطلاح مصادره ومشاكله وطرق توليده، مجلة اللسان العربي، 1413هـ-1992 م، العدد 36، ص 143.
16. الزيدي، توفيق: تأسيس الاصطلاحية النقدية، مجلة علامات في النقد الأدبي،ج 8 مجلد 2، محرم 1414هـ ، 179- 180.
17. حجازي، مرجع سابق، ص 11-12
18. الحمزاوي، محمد رشاد: المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1986 م، ص 12.
19. المرجع السابق ص، 17.
20. المرجع السابق والصفحة.
21. المرجع السابق والصفحة.
22. شاهين، مرجع سابق، ص 78.
23. المسدي، المرجع السابق، ص 57.
24. الحمزاوي، المرجع السابق، ص 9.
25. المرجع السابق ،ص 17.
26. الفهري، عبد القادر الفاسي: اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م، ص 395.
27. المرجع السابق، ص 394.
28. النويري، محمد: "واقع العلم وهواجس المصطلح " مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8، مجلد 2، محرم 1414 هـ، ص 252.
29. المزيني، حمزة قبلان: المشكل وغير المشكل، قضية المصطلح، مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8، مجلد 2 ،محرم 1414 هـ، ص 15.
30. شاهين، مرجع سابق، ص 135.
31. المزيـني، مرجع سابق، ص 14.

32. الفهري، مرجع سابق، ص 395.
33. بن مراد، إبراهيم: دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي،بيروت،الطبعة الأولى،1987م،ص 296-297.
34. النويري، مرجع سابق، ص 250.
35. المزيني، مرجع سابق، ص 15.
36. إسماعيل، عز الدين:جدلية المصطلح الأدبي، مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8 ، مجلد 2، محرم 1414 هـ، ص 113.
37. النويري، مرجع سابق، ص 256.
38. المزيني، مرجع سابق، ص 18.
39. القاسمي، علي: مقدمة في علم المصطلح، ص 37.
40. القاسمي، علي: تخطيط السياسة اللغوية، مجلة اللسان العربي العدد 23، ص 51.
41. القاسمي، علي: مقدمة في علم المصطلح، ص 76-77.
42. النويري، مرجع سابق، ص 256.
43. الشهبندر، عبد الرحمن: توحيد المصطلحات الطبية العربية، مجلة المقتطف مج 76،ج 5، القاهرة ،1930م.
44. الملائكة، جميل: المصطلح العلمي ووحدة التفكير، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج 3 مجلد 34 ، تموز 1983 م، ص 90.
45. المزيني، مرجع سابق، ص 18.
46. القاسمي، علي مقدمة في علم المصطلح، ص 73.
47. حقي، خير الدين: وحدة المصطلح العلمي، مجلة اللسان العربي، العدد 2، 1965 م، ص 30-31.
48. شاهين، مرجع سابق، ص 232.
49. الشنطي، محمد صالح: تقنيات السرد الروائي، فوضى المصطلح، مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8 ،مجلد 2، محرم 1414هـ، ص 263.
50. إسماعيل، مرجع سابق، ص 112.
51. لؤلؤة، عبد الواحد: أزمة المصطلح النقدي، مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8 ، مجلد 2، محرم 1414هـ، ص 168.
52. الملائكة، مرجع سابق، ص 94.
53. المرجع السابق، ص 92.
54. الفهري، مرجع سابق، ص 396.
55. حقي، مرجع سابق، ص 31.
56. الكتاني، إدريس: دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية وتجربة اللغات الأجنبية في البلدان الإفريقية، مجلة اللسان العربي، المجلد 10 ، ج1، 1392 هـ - 1973، ص39.

المصادر والمراجع

1. إسماعيل، عز الدين: جدلية المصطلح الأدبي، مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8 مجلد 2، محرم 1414 هـ 1993م.
2. التهانوي، محمد على الفاروقي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية 1963 م.
3. الجاحظ، عمرو بن بحر:
   * البيان والتبين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت. د. ت.
   * الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ،1985 م.
4. جبر، يحيى عبد الرؤوف: المصطلح، مصادره ومشاكله وطرق توليده، مجلة اللسان العربيّ، العدد 36،1413هـ 1992 م.
5. حجازي، محمود فهمي:الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة. د. ت.
6. حقي، خير الدين: وحدة المصطلح العلمي، مجلة اللسان العربي، العدد 2، 1965 م.
7. الحمزاوي، محمد رشاد: المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1986 م.
8. الخوارزمي، علي بن محمد علي السيد: مفاتيح العلوم، تحقيق: فان فلوتن، 1985م.
9. الزيدي، توفيق: تأسيس النقدية الاصطلاحية، مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8، مجلد 2.
10. شاهين، عبد الصبور: اللغة العربية لغة العلوم والتقنية، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الأولى، 1983 م.
11. الشدياق، أحمد فارس: الجاسوس على القاموس. مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1299 هـ.

12. الشنطي، محمد صالح: تقنيات السرد الروائي، فوضى المصطلح، مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8 مجلد 2.
13. ابن فارس، أحمد بن الحسين: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
14. الفهري، عبد القادر الفاسي: اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م.
15. القاسمي، علي:
* تخطيط السياسة اللغوية، مجلة اللسان العربي، العدد 23.
* مقدمة في علمُ المصطلح، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، الطبعة الثانية، 1987م.
16. الكتاني، إدريس: دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية وتجربة اللغات الأجنبية في البلدان الأفريقية، مجلة اللسان العربي، المجلد العاشر، الجزء الأول.
17. بن مراد، إبراهيم: دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1987م.
18. المزيـــني ، حمزة قبلان: المشكل وغير المشكل: قضية المصطلح العلمي،مجلة علامات في النقد الأدبي، ج8، مجلد 2.
19. المسدي، عبد السلام: المصطلح النقدي وآليات صياغته، مجلة علامات في النقد الأدبي ،ج 8 ،مجلد 2.
20. مصطفى،إبراهيم:المعجم الوسيط،دار إحياء التراث العربي،د.ت.
21. الملائكة، جميل: المصطلح العلمي ووحدة التفكير، مجلة المجمع العلمي العراقي ج 3 ،مجلد 34، تموز 1983م.
22. الموسوي، مناف مهدى محمد: مباحث لغوية من حياة اللغة العربية، دار البلاغة للطباعة والنشر، بيروت 1993 م.
23. النويري، محمد: واقع العلم وهواجس توحيد المصطلح، مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8 ،مجلد 2.

I - أبحاث مصطلحية ودراسات لغوية

1. المصطلح ومشكلات تحقيقه

د. إبراهيم كايد محمود

2. مفهوم المصطلح المعرَّف

د. مصطفى اليعقوبي

3. صـــناعة المصـــطلح عـــند الفـــارابي

د. نعمان بوقرة

4. البحث الدلالي وطرق استثماره في قصة حي بن يقظان الفلسفية لابن طفيل

أ.محمد الطوكي

5. كيف يصنف المنادى وما وظيفته؟

د. محمد خان

6. ألفاظ الحياة العامة: دراسة لغوية ومعجمية (مَثَلٌ من سلطنة عمان)

د. حليمة عمايرة

المصطلح ومشكلات تحقيقه

د. إبراهيم كايد محمود (*)

يشهد العالم تطوراً هائلاً في كل مناحي الحياة، يرافقه ظهور الكثير من المفاهيم والمبتكرات والمستحدثات التي تملأ حياة الإنسان، والتي تحتاج إلى أسماء وعلامات تعرف بها، إذا أراد الفرد أن يتحدث عنها، ومعروف أن الجهة المخولة لاستيعاب كل الأمور المستحدثة والحاجات المتجددة والمفاهيم الجديدة هي اللغة، لأنها "تتحرك طوعاً كلما تلقت منبهاً خارجياً، فما أن يستفزها الحافز حتى تستجيب بواسطة الانتظام الداخليّ الذي يمكنها من استيعاب الحاجة المتجددة والمقتضيات المتولدة "[1].

وهذا التقدم الكبير والتطور السريع في المعرفة البشرية بكل أنواعها يعتمد على نقل المعلومات وتبادلها وتوثيقها، وتخزينها، ويستخدم المصطلحات والمفاهيم الدالة عليها كأساس يُعتمد عليه في تنظيم الآراء والأفكار العلمية، والمعلومات الأخرى كافة. إلاّ أن هذا التطور العلميّ والتقنيّ الهائل والسريع أدى إلى صعوبة وضع مصطلحات كافية لتغطي كل جوانب المعرفة الإنسانية. "إذاً لا يوجد تناسب أو تطابق بين عدد المفاهيم العلمية وعدد المصطلحات التي تُعَبِّر عنها. فعدد الجذور في أية لغة لا يتجاوز الآلاف، في حين يبلغ عدد المفاهيم الموجودة الملايين، وهي في ازدياد ونمو مطردين، ففي حقل الهندسة الكهربائية مثلاً يوجد حالياً أكثر من أربعة ملايين مفهوم، في حين لا يحتوي أكبر معجم، لأية لغة، على أكثر من ستمائة ألف مدخل. ولهذا تلجأ اللغات إلى التعبير عن المفاهيم الجديدة بالبحث والتركيب والاشتراك اللفظيّ وغير ذلك من الوسائل الصرفية والدلالية. وقد يقود ذلك إلى ارتباك واضطراب على المستويين الوطنيّ والدوليّ، وخاصة أن تصنيف المفاهيم وطريقة التعبير عنها يختلفان من لغة إلى أخرى، مما يؤدي إلى صعوبة في تبادل المعلومات ونموها أو تغييرها، وفي وضع المصطلحات المقابلة لها. ومن هنا نشأ علم المصطلحات، وهو علم حديث النشأة شهد ميلاده هذا القرن ومازال في دور النمو والتكامل[2].

ونظراً لتشعب العلوم وكثرة الفنون في العصر الحديث زادت عناية العرب بالمصطلحات التي لابد لهم من وضعها من أجل مواكبة التطور العلميّ الذي يشهده العالم. وأفادوا من مزايا اللغة العربية واعتمدوا الوسائل والطرق التي اعتمدها علماؤنا القدماء في هذا الغرض وأدت إلى استيعاب العربية لكل علوم عصرهم وفنونه، وأعانتهم على مواكبة الحضارة وإحرازهم قصب السبق في هذا المجال.

إن التطور الاجتماعيّ والثقافيّ سبب هام في ظهور مفاهيم جديدة ليس لها ما يقابلها في اللغة، فيعمد المعنيون بهذا المفهوم أو ذاك إلى وضع لفظ يدل عليه،

(*) قسم اللغة العربية- جامعة الملك فيصل- المملكة العربية السعودية

ويُعْرَفُ المفهوم به، وهم عادة يلتمسون ذلك اللفظ من ألفاظ لغتهم التي يستخدمونها ويحرصون على إغنائها بكل ما تحتاج إليه من ألفاظ، حتى تبقى لغة العلم والحضارة، وقادرة على مواكبة كل جديد، من أجل أن يكتب لها البقاء والاستمرار، لأن المصطلح العلميّ هو "أداة البحوث العلمية، وعن طريقه يتم التفاهم بين العلماء في شؤون المواد العلمية، وليس هناك علم بدون قوالب لفظية تعرف به، وهذه القوالب اللفظية هي التي نعني بها المصطلح العلميّ (3).

تعريف المصطلح:

بداية لابد من تحديد معنى "المصطلح "، وهو مصدر ميميّ للفعل اصطلح، وقد يكون اسم مفعول لذات الفعل، على تقدير متعلق محذوف، أي "مصطلح عليه ". وقد كان لعلمائنا القدماء جهود طيبة في مجال فهم المصطلح، وتحديد معناه والوقوف على أهميته، وقد رأوا أنه لابد من اتفاق مجموعة من العلماء عليه، ولابد من استعماله في مجال علميّ مُعَيَّن، أو فن بعينه، حتى يكون واضح المعنى، محدد الدلالة، مؤدياً الغرض المراد.

ومن خلال تتبع هذا اللفظ في كتب التراث، نلمس أنه يغلب على العلماء عدم التفريق بين كلمتي "مصطلح" و "اصطلاح" فقد استخدم المصطلحان وكأنهما مترادفان تماماً، فالجاحظ ,ت (255هـ) يقول: وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف، وقدوة لكل تابع (4). فالعرب، في رأيه، ارتجلوا ألفاظاً معينة ليدل كل لفظ منها على معنى محدد وليؤدي مفهوماً واضحاً، معتمدين على الاشتقاق في وضع الأسماء للمسميات، وما لم يكن له اسم في لغتهم اصطلحوا عليه، وخلقوا له اسماً أو ابتكروا له لفظاً للدلالة عليه. و لم تكن عملية الاصطلاح هذه مقصورة على شخص بعينة، بل كانت اتفاقاً بين اثنين أو أكثر، وكلما جَدَّ لهم معنى، أوْجَدوا له اسماً أو اشتقوه من لفظ معروف لمشابهة معينة، فيقول:"ترك الناس مما كان مستعملاً في الجاهلية أموراً كثيرة، فمن ذلك تسميتهم للخراج: أتاوة، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان: الحلوان، والمكس، كما تركوا: أنعِم صباحاً، أنعِم ظلاماً وصاروا يقولون: كيف أصبحتم وكيف أمسيتم... واستحدثوا أسماء لم تكن وإنما اشتقت لهم من أسماء متقدمة على التشبيه، مثل قولهم لمن أدرك الإسلام "مخضرم" (5).

وكذلك نجد الخوارزميّ (ت 380 هـ) لم يفرق بين "الاصطلاح" و"المصطلح" فهو يقول في وصفه لكتابه " مفاتيح العلوم "أنه جعله" جامعاً لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات، مضمناً ما بين كل طبقة من العلماء من المواضعات والاصطلاحات" (6) ويمكن القول إنه قد أورد في نصه السابق ألفاظاً متقاربة المعنى أو شبه مترادفة هي"مفاتيح، أوائل، مواضعات، اصطلاحات ". كل هذا يقودنا إلى القول بأن الخوارزميّ لا يرى فرقاً ذا قيمة بين هذه الألفاظ.

ولا نعدم أن نجد مَنْ استخدم اللفظين بمعنى واحد، فهذا أبو الحسين أحمد بن فارس ت (395 هـ) يقول: "حتى لا يكون شيء منه مصطلحاً عليه"، ويقول

في موضع آخر "ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحاً لم يكن أولئك في الاحتجاج بأولى منا في الاحتجاج بنا لو اصطلحنا على لغة اليوم ولا فرق[7]. ثم يقول: "إنه لم يبلغنا أن قوماً من العرب في زمان يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح قد كان قبلهم وقد كان في الصحابة وهم البلغاء الفصحاء من النظر في العلوم الشريفة ما لاخفاء به، وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو إحداث لفظة لم تتقدمهم[8]. ومثل هذا نجده عند التهانويّ ت 1158 هـ الذي وسم كتابه باسم "كشاف اصطلاحات الفنون " وقد ذكر سبب وضعه لهذا الكتاب أنه لاحظ " اشتباه الاصطلاحات، فإن لكلّ اصطلاحاً خاصاً به " ونجده في موضع تالٍ يقول "فاقتبست منها المصطلحات، أوان المطالعة"[9] هكذا نجد أن التهانويّ لم يفرق بين الاصطلاح والمصطلح وتحدث عنهما كأنهما شيء واحد.

وفي العصر الحديث يمكن القول إنه قد ظهرت ثلاثة اتجاهات حول استخدام لفظي "مصطلح " و "اصطلاح". الاتجاه الأول اكتفى بلفظ "اصطلاح " للدلالة على معنى اللفظ الذي يوضع للدلالة على معنى من المعاني المستجدة، واستبعد لفظ " مصطلح" نهائياً، و لم يأتِ على ذكر له، كما فعل أحمد فارس الشدياق في كتابه"الجاسوس على القاموس"فقال:" إن الاصطلاح هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص "[10]، ومثل هذا جاء في المعجم الوسيط "اصطلحوا على الأمر تعارفوا عليه، واتفقوا، و الاصطلاح -مصدراً- هواتفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكل علم اصطلاحاته" [11].

وتحدث الاتجاه الثاني عن اللفظين باعتبارهما شيئاً واحداً لا فرق بينهما، كما قال محمود فهمي حجازي "وكلا المصدرين "اصطلاح " و "مصطلح " لم يرد في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف، أو في المعجمات العربية القديمة العامة. ومع تكون العلوم في الحضارة العربية الإسلامية تخصصت دلالة كلمة "اصطلاح " لتعني الكلمات المتفق على استخدامها بين أصحاب التخصص الواحد للتعبير عن المفاهيم العلمية لذلك التخصص. ولهذا المعنى استخدمت -أيضاً- كلمة "مصطلح "، وأصبح الفعل "اصطلح " يحمل-أيضاً- هذه الدلالة الجديدة المحددة" [12] فالمصطلح والاصطلاح شيء واحد لا فرق بينهما، فكلاهما استخدم من قِبَل أهل الاختصاص للدلالة على المفاهيم العلمية لهذا التخصص أو ذاك، فسواء قلنا "اصطلاح" أو"مصطلح " فالأمر واحد.

والاتجاه الثالث: يمثله كل من عبد الصبور شاهين، الذي فرَّق بين هذين اللفظين بقوله: " فنحن نتذوق في استعمالنا لكلمة (اصطلاح) معناها المصدريّ، الذي يعني الاتفاق والمواضعة والتعارف، ونقصد في استعمالنا لكلمة (مصطلح) معناها الاسميّ الذي يترجم كلمة (Term) الإنجليزية، ولذلك لا نجد بأساً في أن

نقول: (إن اصطلاحنا على مصطلح ما ضرورة في البحث)، وهو أولى وأفضل من أن نقول: (إن اصطلاحنا على اصطلاح) بهذا التكرار الرقيق. ويبدو أن هذه التفرقة في الاستعمال لم تكن واضحة قديماً" [13] وقد أشار إلى ما جاء عند (وبستر) في تعريف كلمة (Term) بأنها: لفظ أو تعبير ذو معنى محدد في بعض الاستعمالات، أو معنى خاص بعلم أو فن أو مهنة أو موضوع، وجاء تعريفه لكلمة (Terminology) أنها : "مجموعة الألفاظ الفنية أو الخاصة المستعملة في عمل أو فن أو علم لكلمة موضوعات خاصة"، وبناء على التعريفين السابقين اللذين قالهما وبستر قدم شاهين تعريفه للمصطلح فقال: "هو اللفظ أو الرمز اللغويّ الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علميّ أو عمليّ أو فنيّ أو أيّ موضوع آخر ذي طبيعة خاصة" [14].

أما يحيى جبر فيذهب إلى ضرورة استخدام لفظ "الاصطلاح " دون لفظ "مصطلح "، ويرى أن كلمة "مصطلح " لا تصلح لغة، وسبب ذلك أنها لم ترد في معاجمنا القديمة، و لم يستخدمها أسلافنا فيقول: "إنه لغريب حقاً أن نجد معظم الباحثين يستخدمون كلمة "مصطلح " بدلاً من "اصطلاح " مع العلم أن هذه الكلمة لا تصلح لغة إلا إذا اصطلحنا عليها، وذلك أن أسلافنا لم يستخدموها، و لم ترد في المعجم لهذه الدلالة ولا لغيرها، وإنما استخدم العرب بدلاً منها، اصطلاح، كلمة مفرد، مفتاح، لفظ". [15] واكتفى بهذا القول دون أن يوضح لنا الفرق بين هاتين الكلمتين "اصطلاح " و "مصطلح " ومن أين جاء كل منهما وفي أيّ عصر.

أما توفيق الزيديّ فقد تتبع ظهور "اصطلاحية" عند الغربيين وأشار إلى أن أول استخدامها في أوروبا كان في القرن الثامن عشر، كما أشار إلى أن، الاصطلاحية، والمصطلحية، شيئان مختلفان لكل منهما مجالاته ورجالاته، وأن المصطلحية انبثقت عن الاصطلاحية، يقول: "غدت مسألة المصطلح عند الغــرب موضوع علم مستقل هو الاصطلاحيـــــة " La Terminologie " ، وكعادة الغربيين في التأريخ لألفاظهم ومصطلحاتهم، فقد درسوا تاريخية مصطلح "اصطلاحية" في ثقافتهم في مختلف مدلولاته، بداية من استعماله الأول في القرن الثامن عشر لدى Christian Gottfried Schuly ،فظهوره بفرنسا سنة 1801 لدى Sebastin Mercier، ثم استعماله العلميّ بإنجلترا سنة 1837 لدى (William Whewell) عن الاصطلاحية كان علمها الوليد المصطلحيةLa Terminographie التي تُعنى بالجانب التطبيقيّ، وكان واضع هذه التسمية الفرنسيّ ألان راي Alian Ray . فإن عنيت الاصطلاحية بالجانب النظريّ وبمسألة الاصطلاح عامة، فإن المصطلحية عُنيت بالمصطلحات، جمعاً ودراسةً ونشراً. وإن تكامل العِلْمان فمعالجتهما هي من اختصاص الاصطلاحيين Les Terminographes والمُصطلحيين Les Teminologues، وليس الأمر هنا من قبيل الألقاب، بل إنه الدليل على أن مسألتيْ الاصطلاح والمصطلح قد استقر عِلماهما. وللعِلْمَين أهلٌ عارفون بخفاياهما، ولقد سارت شهرة عديد هؤلاء الاصطلاحيين والمصطلحيين الذين يقفون على رؤوس مدارس بعينها

أمثال أوجان فوستر Eugen Waster ، وهلموت فلبير Helmot Felber ، وألان راي Alain Ray ، وروبار دوبوك Robert Dubuc " (16).

وقد ذكر محمود حجازي تعريفات هذا العلم عند الأوروبيين منذ أقدم تعريف الذي يقول: إن المصطلح كلمة لها في اللغة المتخصصة معنى محدد وصيغة محددة، وعندما يظهر في اللغة العادية يشعر المرء أن هذه الكلمة تنتمي إلى مجال محدد". ثم يذكر تعريفاً من التعريفات الحديثة يقول: "المصطلح كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة (علمية أو تقنية ... إلخ) يوجد موروثاً أو مقترضاً، ويستخدم للتعبير بدقة عن المفاهيم وليدل على أشياء مادية محددة". ثم يشير إلى اتفاق المتخصصين في علم المصطلح على أفضل تعريف وهو "الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها، أو بالأحرى استخدامها، وحُدِّدَ في وضوح، وهو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى، ويرد دائماً في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد، فيتحقق بذلك وضوحه الضروريّ " (17).

إن حرص العلماء في القديم والحديث على تعريف المصطلح وتحديد مفهومه وتوضيح المراد به، نابع من أهميته ودوره في ربط الصلات بين الأمم والتواصل بين الشعوب، كما أنه نابع من أهميته في نقل العلوم والمعرفة وتعميم الثقافة والابتكارات، ونشر كل جوانب الحضارة المعاصرة والنظريات المختلفة التي تخدم جوانب الحياة الإنسانية كافة، فالمصطلح "يلعب دوراً مهماً في ربط الصلة بين الأمم والشعوب، وفي نقل المعرفة والتقانة (التكنولوجيا). ونشر آثار الحضارة الحديثة، فضلاً عن أن من النظريات ما يقرّ التوافق بين المصطلحات و أوضاع الشعوب الاجتماعية" (18).

والحاجة إلى المصطلح لا تنتهي، ودائرته لا تغلق، ومجاله لا يحد، فهو علم دائم التجدد والتطور لأنه مرتبط بنمو المعرفة الإنسانية واتساع دائرتها ونطاقها، فكلما جَدَّ جديد في حياة الإنسان اصطلح على اسم له، فعملية الاصطلاح لا تنتهي عند حَدّ، لأن المعرفة الإنسانية لا تتوقف.

وقد عرف العرب القدماء المصطلح، وخبروا خفاياه وجوانبه المختلفة، كما لمسوا أهميته وفوائده في بناء النهضة العلمية التي سعوا إليها، ووقفوا على طرائق وضعه، مما أفادوه من الترجمات عن اللغات الأخرى، وبلغت العربية قمة التطور والمرونة في التعبير عن كل المستجدات من النظريات العلمية والآراء الفلسفية، حتى أصبحت الواسطة الكافية للتعبير عن كل مناحي الفكر العلمي والتقني في تلك العصور.

وفي العصر الحديث رأى علماؤنا التخلف الحضاريّ والفكريذ الذي تعيشه أمتنا العربية، وتلمسوا السبب في ذلك، فأدركوا مدى قصور لغتنا عن الوفاء بمتطلبات العصر، ومدى قصورها في التعبير عما يَجدُّ من مفاهيم علمية وتقنية حضارية، فهبَّ الغيورون منهم لدعم العربية، وابتكار المصطلحات التي تعبر عن مستجدات الحياة، وبذلوا جهوداً مضنية في سبيل تعزيز

لغتهم ورفدها بما تحتاج إليه، حتى لا تطغى عليها القوالب اللفظية الأجنبية، ويُحْكَم عليها بالعجز والفشل، وأنها ليست لغة علم، وتُحَقَقُ المقولة الباطلة بأنها لغة عاطفة وأدب. فأسست لهذا الغرض المؤسسات العلمية والثقافية، كما أُسست المجامع اللغوية التي جعلت من أولويات مهامها وضع المصطلحات العلمية التي تفتقر إليها اللغة العربية، وقد واجه رجال هذه المجامع والمؤسسات صعوبات جمة في هذا الإطار، ذللوا معظمها، معتمدين على طبيعة اللغة العربية وما لها من مزايا وخصائص تساعد في هذا المجال. كما اصطدموا بعدة عقبات تحول دون تحقيق عملية الاصطلاح بسهولة ويسر، التي من أهمها أننا نأخذ من لغات بعيدة عن اللغة العربية، لا تنتمي إلى نفس العائلة التي تنتمي إليها العربية، فلكل لغة ولكل عائلة لغوية خصائص معينة تختلف فيها عن غيرها من اللغات، وهذا يعني أن الأخذ بين لغتين متباعدتين من حيث الانتماء اللغويّ أصعب بكثير من الأخذ بين لغتين تنتميان إلى عائلة لغوية واحدة، فالعربية المعاصرة، تأخذ كثيراً من مصطلحاتها من اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية اللتين تنتميان إلى العائلة الهندوأوروبية، وهذا يعني أن الاصطلاح على هذه المفاهيم الكثيرة التي تُسْتَحْدَثُ بسرعة فائقة، نظراً لسرعة التطور العلميّ والتقنيّ، سيكون أمراً عسيراً وبحاجة إلى جهد ووقت كافيين حتى يمكن التعبير عنها بدقة وصحة تامتين.

وإذا حاولنا أن نستقصي هذه العقبات، التي تقف عائقاً في وجه تحقيق الاصطلاح، أمكننا في البداية أن نقول: إن قسماً منها يختص باللغة العربية واللغات التي تأخذ منها والهوة العميقة التي تفصل العربية عن غيرها من اللغات الهندوأوروبية. والقسم الثاني يتعلق بمنهجية الاصطلاح. فلابد هنا من الحديث عن وضع آلية تُسهِم في محاولة تقليل البعد بين العربية واللغات التي تأخذ منها. كما لابد من الحديث عن منهجية وضع المصطلح وما يحول دون تحديدها بدقة.

تأخذ اللغة العربية معظم المصطلحات عن اللغات الأوروبية التي تمتاز بصفة الإلصاق فتستطيع أن تُوجِدَ ما تحتاج إليه من المصطلحات بزيادة السوابق Prefixes أو اللواحق Suffixes أو الأحشاءInfexes ، وباستعمال هذه الأدوات تتمكن هذه اللغات من التعبير عن كل المعاني والمفاهيم والأفكار بدقة ووضوح، وهو ما تفتقر إليه اللغات السامية والعربية إحداها، فالعربية كما هو معروف من اللغات الاشتقاقية وإن بدا فيها بعض الجوانب الإلصاقية كما هو الحال في الجمع السالم والمثنى والتأنيث وغيرها. كما تتميز اللغات الأوروبية بقدرة فائقة على صوغ الكلمات المركبة، وهو ما لا نجده عند اللغة العربية، إحدى اللغات السامية، التي من خصائصها خلوها من الكلمات المركبة إلاّ في بعض الأعداد، هذان سببان من الأسباب التي تعيق عملية الاصطلاح وتجعلها صعبة وشاقة.

والقسم الثاني من أسباب صعوبة صوغ المصطلح هو: منهجية وضع المصطلح، فلا نستطيع أن ننجح في وضع المصطلحات مادمنا نفتقر إلى منهجية واضحة محددة لهذا الغرض، لأن المعرفة لا يمكن أن تكون تامـــة

ودقيقة وشاملة دون منهجية دقيقة متكاملة تعتمد عليها في مواجهاتها لكل متطلبات الحياة العلمية والحضارية وغيرها التي لابد لها من وعي شامل ومسؤولة تامة، وقد بذلت الجهات العلمية العربية المختلفة، من منظمات وهيئات ومجامع لغوية، جهوداً كبيرة في سبيل وضع المصطلحات وفق المعايير والمقاييس الدولية، إلا أنها لم تستطع أن تضع منهجاً واضحاً محدداً ملزماً يلتزم به الجميع، يقول الحمزاوي: "الملاحظ أن المنظمات والهيئات العربية قد بذلت جهوداً كبيرة في هذا الشأن دون أن توفر لنا واحدة منها منهجية شاملة جامعة، تأخذ بعين الاعتبار ما يتطلبه وضع المصطلحات، ترجمةً وتوحيداً، من معايير ومناهج" (19) فلم تأبه كل هيئة، من هذه الهيئات المختلفة بما يفعله غيرها من الهيئات والمنظمات الأخرى في هذا الإطار، بل أغمضت أعينها عن كل ما تم إنجازه من قِبَلِ غيرها من الهيئات والمنظمات مما ترتب عليه كثير من التكرار والازدواجية، أدى كل هذا إلى تخبط غير محمود في وضع المصطلح، إضافة إلى إضاعة الوقت والجهود الكثيرة التي بذلت دون الإفادة منها بشيء، "فظلت كل هيئة تصدر ما تراه صالحاً ومفيداً ولو بإعادة ما سبق لغيرها أن أقرته وجربته ونجحت فيه"(20). بل أشد من ذلك أن النعرة القطرية الضيقة لا زالت تعيش في عقول كثير من باحثينا الذين يأنفون الاطلاع على ما وضعه غيرهم في الأقطار العربية الأخرى من مصطلحات، وإذا حصل أن اطلعوا عليها فإنهم يغضون من شأنها بل يرفضون قبولها، هذه النعرة الإقليمية البغيضة التي ترى الأمة العربية الواحدة أمماً مختلفة، أدت إلى عدم التواصل العلميّ بين العلماء العرب، مما ترتب عليه شيوع مصطلحات علمية أقل دقة من غيرها.

إن المنهجيات العربية المعاصرة تخلط بين كثير من العناصر التي تُسهِم في وضع المصطلح، فهي لا تفي بالغرض المطلوب وتسبب الكثير من الفوضى وعدم الدقة، إلى جانب الخلط "بين وسائل الوضع وتقنيات الترجمة ومناهج التوحيد والتنميط" (21). وهذا يعني أننا لا تزال تنقصنا الرؤية الواضحة التي يترتب عليها عدم الثقة في كل ما يقدم في مجال المصطلح، كما لا تزال تنقصنا الإرادة القوية النابعة من الثقة في النفس، الإرادة التي لا تتردد في صياغة كل ما يلزم من مصطلحات تعبر عن كل ما يجدّ في حياتنا بكل جوانبها.

بالرغم من أن العرب قد قطعوا شوطاً طويلاً في مواكبة الحضارة العالمية، وبلغوا شأواً مُهمّاً في العلم والثقافة، إلا أن قضية المصطلح في العربية لا تزال تنتابها كثير من الأزمات، وتصطدم بعدد من المعوقات والمثبطات التي حالت دون تمكن الهيئات والمؤسسات المكلفة بالاصطلاح من القيام بدورها كاملاً رغم الجهود الصادقة والمخلصة التي تبذلها. وقبل المطالبة بوضع المصطلحات لكل ما يستجد من مبتكرات ومخترعات، وما يوضع من نظريات وفلسفات علينا أن نجلو ماهيَّة المصطلح، ونحدد أبعاده، ونأخذ بالأسباب التي تُسهِم في تحقيقه، و تزيل المشكلات والعقبات التي تعترض طريقه.

لابد من الإشارة هنا أن وضع العربية وما يعانيه مع قضية المصطلح وضع عام تعاني منه بقية اللغات في العالم، فلا توجد لغة من اللغات المعاصرة لا تشكو من

أزمة المصطلح، حتى تلك اللغات التي تعد لغات الحضارة والتقنية والعلم، أي أن وضع اللغة العربية ليس محبطاً وقاصراً في هذا المجال، ولا يمكن القول إن اللغة العربية لغة أدبية عاطفية فحسب ولا يمكن أن تكون لغة علمية، هذه أقوال مغرضة ومشبوهة، فاللغة العربية لغة علمية ثبت ذلك في الماضي حين تمكنت من استيعاب علوم السابقين، وهضمتها وتمثلتها ثم زادت عليها، وأصبحت في تلك الحقبة من الزمن لغةَ العلم بكل فروعه وفنونه واعترف لها العالم أجمع، فإذا كانت قد نجحت في تلك التجربة في الماضي فَحَرِيٌّ بها أن تنجح فيها في الحاضر. "وإذا عرفنا أن للغة العلميّة مستوى خاصاً بالتعبير عن وصف الأشياء لتعيين ماهيتها، على اعتبار أن يراد بالأشياء كل ما يدخل في نطاق الحواس الإنسانية من مخلوقات، ويراد بالوصف كل جهد يأخذ شكل التقرير أو التحليل أو التركيب العلمي"(22) فإن اللغة العربية من أشهر لغات العالم التي تدخل في هذا الإطار، وإن قصورها في هذا العصر ليس نابعاً من ذاتها، إنه ناتج عن قصور واضح في أهلها ومتكلميها، فنحن أمة مستهلكة تعتمد في حياتها على غيرها من الأمم المتقدمة، لذا يشعر كل فرد من أبنائها بضعف في تخصصه، وإذا شعر بذلك خشي أن يفكر أو يبتكر، لأنه يرى غيره أقدر منه على الإبداع والابتكار، ويرى نفسه ليس أهلاً لذلك وغير قادر عليه، لأن المعرفة تخلق الثقة بالنفس، وكلما وثق المرء بنفسه اعتزَّ بها، وأقدم على عمل ما يريد دون تردد أو وجل.

ويمكن القول إنه يحق للهيئات والمراكز العلمية العالمية أن تصف اللغة العربية بأنها "لغة أدبية" فقط، والسبب في ذلك أن أبناء العربية وبخاصة أولئك الذين تلقوا دراساتهم في دول أجنبية وبهرهم بريق الحضارة، يكتبون أبحاثهم ويدونون ابتكاراتهم بلغات أجنبية، فتحسب لتلك اللغات وتحرم منها اللغة العربية، التي تبقى الكتابة بها مقصورة على الأدباء والشعراء وبعض المتخصصين في العلوم الإنسانية. فيصدق الحكم للغير أنها لغة أدبية، لم تقدم بحثاً علمياً. فإذا أردنا لهذه اللغة أن تصبح لغة علمية، فعلينا أولاً أن نخلق الثقة في نفوس أبنائها بأنها لغة قادرة ولها من الخصائص والمزايا ما يمكنها أن تواكب اللغات الأخرى، فإذا اقتنع الفرد العربيّ بهذا واعتزَّ بلغته، عاد أبناؤها إلى الكتابة بها، كل في مجاله. كما أن زرع الثقة في نفس العربيّ وإفهامه أنه قادر على الإبداع والاكتشاف والابتكار يخلق لدينا علماء مبتكرين مبدعين، يدونون إبداعاتهم وابتكاراتهم بلغتهم، ومن اكتشف شيئاً، أو ابتكر فكرة لابد له من التعبير عنها أو الاصطلاح على اسم لها، وعدم الابتكار عند العرب في العصر الحديث سبب مُهِمّ من أسباب انهمار المصطلحات في كل مجالات المعرفة والفنون التي يتعب علماؤنا في وضع مناظر لها بالعربية.

إن هذا التردد والإحجام، وهذا الضعف وعدم الثقة، وهذا الإقلاع عن الكتابة بالعربية، يجعلنا نعيش حالة من الصراع المرير في كيفية مواكبة التطور العلميّ والحضارة، ومع هذا يمكن القول إن الأحجام حيناً والإقدام حيناً آخر، والخوف مرة والتردد مرة أخـــرى،

في وضع المصطلح هو علامة صحية تعيشها أمتنا، لأن "الاصطراع المصطلحيّ الذي تشهده اللغة في أي فترة من فترات حياتها، إنما هو علامة صحية، كما نؤثر اليوم أن نقول، لأنه دليل على أن تلك اللغة ومعها أهلها واقعة في خضم احتكاك الحضارات، تواجه بقدم راسخة حوار الثقافات في أعمق مدلولاته "[23].

ومهما يكن من أمر فإن المصطلح عند العرب لا زال يجابه معوقات كثيرة، وإذا حاولنا أن نتلمس مشكلات المصطلح ومعوقاته عندنا، أمكن القول إن هناك أسباباً كثيرة تُسهِم في إعاقة المصطلح وعدم استقراره، ويمكن أن تعزى هذه إلى الأسباب التالية:-

أسباب تتعلق بالمنهج:

إن المنهج الواضح المحدد بدقة وموضوعية شرط أساسيّ في كل عمل يقوم به المرء،خاصة أننا نعيش في عالم يغلب عليه التطور العلميّ والتقنيّ الهائل الذي يداهمه بسرعة مذهلة، وأيّ عمل يفقد المنهجية الدقيقة المستوعبة لجوانبه المختلفة يُكْتَب له الفشل، لأن "المنهجية نصف المعرفة وزيادة في عالمنا الحديث الذي شملت مفاهيمه ومصطلحاته الإيجابية والسلبية كل دان وبعيد " [24].

ومع إيماننا بأهمية المنهج وضرورة الالتزام به، إلا أننا نجد في عالمنا العربيّ اضطرابا وخلطا ورؤية غير واضحة في كثير من المناهج التي يسير عليها علماؤنا، كل ذلك أدى إلى قصور هذه المناهج وعدم وفائها بالغرض المراد، لذا يمكن القول إنّ "المنهجيات العربية الموجودة حالياً لا تُميِّزُ غالباً بين عناصر مختلفة؛ فهي تخلط بين وسائل الوضع، وتقنيات الترجمة ومناهج التوحيد والتنميط"[25].

كما أن قصور المنهجيات العربية عن الوفاء بمتطلبات العصر من المصطلحات قد يكون ناتجاً عن عدم وضوح مفهوم المصطلح لدى كثير من المُصْطَلِحين، كما قد يكون ناتجاً عن الاجتهادات المختلفة التي يضعها أولئك المُصْطَلِحُونَ الأفراد كل حسب رؤيته، دون التزام بمنهجية موحدة تلزم الجميع العمل بها حتى تنتج أعمالاً بنفس المستوى، وعلى قدر من الاتفاق والتحديد. إن الاصطلاح على مفاهيم علمية وفنية وتقنية، دون منهجية محددة، سيؤدي إلى اضطراب وتشويش وقصور في هذا المجال "والسبب راجع، فيما يبدو لي، إلى غياب تمثيل نظريّ للقضية المصطلحية، وإلى عفوية المنهجيات المقترحة لضبط المصبطلحات" [26].

إن العفوية وغياب المنهج الواضح في وضع المصطلح الذي يخضع في كثير من حالات وضعه إلى عملية المراس والمزاج الشخصيّ أدى إلى كثير من النتائج السلبية التي تتسم بالاضطراب والفوضى وعدم الدقة والتناسق والوضوح، وهو ما أشار إليه الفاسي الفهري بقوله: "إنّ أهم ما يتسم به وضع المصطلح هو طابعه العفويّ، وهي عفوية لا تقترن بمبادئ منهجية دقيقة ولا باكترات بالأبعاد النظرية للمشكل المصطلحيّ. وقد قادت هذه العفوية إلى كثير من النتائج السلبية، في مقدمتها الاضطراب والفوضى في وضع المصطلح، وعدم تناسق المقابلات المقترحة للمفردات الأجنبية" [27].

إن وضع المصطلح وتحديد معناه ليس أمراً يسيراً يمكن لكل شخص أن يقوم به، يقول لوي هيلمسلاف Louis hjelmslry "المصطلح إنما هو مسألة ذوق ولا يمت إلى حقائق الأمور بصلة"[28] فلا بد لمن أراد القيام بعملية الاصطلاح من أن يكون واسع الثقافة والعلم متخصصاً بأحد فروع المعرفة المختلفة ملمّاً بكل دقائق تخصصه، كما لابد أن يكون صاحب دراية عميقة بكل دقائق لغته، فالمصطلح "وليد مهارة التخيل والإبداع عند واضعه، وليس وليد شروط لغوية معينة تلزم باقتراحه بدل غيره"[29]. فوضع المصطلحات لا يتأتى لكل فرد وإن حاول ذلك جاهداً، إنه مهنة العلماء والباحثين، ولا يقوم به إلا المتخصصون المبدعون من خلال أبحاثهم العلمية، التي توصلهم إلى استنتاجات ومفاهيم جديدة ليس لها من ألفاظ اللغة ما يعبر عنها أو يدل عليها، فإذا اضطر أحدهم إلى التعبير عن مفهوم معين أو معنى خاص يدور في خلده ومخيلته فإنه يلجأ إلى خياله وفكره وحسه اللغويّ ويضع مسمى لتلك الفكرة أو ذلك المفهوم، ولا يجب عليه التماس مناسبة بين الاسم و المسمى "إننا لا نستخدم المصطلح ليصف لنا ما ينضوي تحته من حقيقة علمية، بل نريده مجرد رمز لها يساعد على استحضارها فكرياً[30]. وهذا يعني أن وضع المصطلح لا يكون إلا للعلماء الباحثين، ولا ينفصل عن الدراسة العميقة والبحث العلميّ الدقيق الذي يعتمد على عقل وحكمة راجحين، وإرادة قوية، ولا ينفصل عن البحث العلميّ" إن صوغ المصطلحات لم يكن عملاً منفصلاً عن البحث العلميّ بل كان جزءاً لا يتجزأ منه. إذ إن المصطلحات تُخلَقُ نتيجة للحاجة إليها في أثناء البحث وليست عملاً مستقلاً"[31].

وقد تطور وضع المصطلح وأصبح يقوم على أسس ومناهج واضحة محددة، مما أظهر علماً جديداً خاصاً به هو "علم المصطلح أو المصطلحية Terminology " والعلم، أيّ علم، لا يقوم على العفوية والمزاجية، بل على أسس واضحة محددة. ومع أن وضع المصطلح قد يتسم بطابعه العفويّ "إلا أن التجربة أثبتت أن الممارسة العفوية لا تكفي، وأن توليد وتوالد المفردات يخضع لمبادئ وقيود نظرية ومنهجية من شأنها أن تكون علماً مستقلاً هو المصطلحية " [32].

إن الاضطراب المنهجيّ في وضع المصطلح الذي يغلب على أعمال علمائنا الاصطلاحيين هو السبب المهم في أن "المصطلح العلميّ العربيّ لا يزال بدوره عاجزاً عن اكتساب حَيِّز دلاليّ دقيق مضبوط ما لم يعتمد على مصطلح أعجميّ مرجع يدعمه" [33]. وهكذا فإن وضع منهجية دقيقة ملزمة لكل المصطلحين، أمر هام لا بد من وجوده حتى يمكن أن تتصف عملية الاصطلاح عندنا بأنها عملية علمية مبنية على أسس ومناهج سليمة، ولا تشكل العفوية فيها شيئاً يذكر، كما أنها بعيدة عن الفهم الخاص والمزاجية الفردية.

أسباب تتعلق بفوضى المصطلح :

قبل الحديث عن فوضى المصطلح، لابد من القول بأن هذه الفوضى ليست خاصة بالمصطلح، بل هي وضع عام لا يسلم منه أيّ علم من العلوم في كل الثقافات، والعلم في نهاية الأمر مصطلحات تم اختيارها

بدقة وموضوعية، ولأن "وضع المصطلح مرتبط إلى حد بعيد بوضع العلم، فلا ننتظر أن يكون المصطلح ناضجاً والحال أن الموضوع الذي يفصح عنه ما زال متردداً مضطرباً، ولا نتوقع أن يكون صارماً في ضبطه والحال أن المادة التي يترجم عنها ما زالت تقتضي الدرس والضبط، لذلك لم يكن بدعاً أن يساير المصطلح البحث العلميّ فينضج كلما نضج، وتنضج أبعاده كلما أضيئت قضايا العلم واتضحت أبعادها"[33].

وإذا كان العلم والمعرفة في تطور ونمو مستمرين، فإن هذا يعني أن المصطلح لن يكون مستقراً كما نريد، بل علينا أن نصطلح ونطور مصطلحاتنا مع تطور العلم حتى نبقى مواكبين لهذا التطور، والمصطلحات كما هو معروف تخلق عند الحاجة إليها وتخلق أثناء الدراسة والبحث، لأن صوغ المصطلحات "عملية إبداعية يقوم بها المتخصص في أثناء قيامه ببحثه عندما تلجئه الضرورة إلى ذلك"[34]. فإذا توقف البحث والإبداع والابتكار عند أمة من الأمم فإن هذا يعني توقف خلق المصطلحات، لأنه "كلما اتسع نطاق التفكير وتشعب في إطار حقل معرفيّ بعينه، مست الحاجة إلى الجديد من المصطلحات "[36]. وإذا أرادت تلك الأمة أن تساير ركب الحضارة فلا بد لها من اقتراض تلك المصطلحات من لغات أخرى، وهذا يعني أن تلك الأمة تسير في آخر الركب العلميّ والحضاريّ، وهذا ما تعيشه الأمة العربية في العصر الحاضر، فنحن "نتعامل مع المعرفة الإنسانية فوق أرض غَرِبيَّة، فكان طبيعياً أن لا تكون مصطلحاتنا موحدة، بما أن مراجعنا ليست كذلك، ومراجعنا يشيع فيها الاختلاف الاصطلاحيّ أكثر من الاتفاق"[37].

إذا كنا قد سلمنا بهذه النتيجة فعلينا: أن نعمل على زيادة البحث، وأن تكتب بحوثنا وفي كل المجالات باللغة العربية، حتى تحسب تلك البحوث لنا وللغتنا، لا إلى اللغات الأخرى التي كُتبت بحوثنا بها.

إن البحث العلميّ الجاد والعميق هو الذي يوجد مفاهيم ونظريات تتطلب مصطلحات و أسماء توجب على الباحث البحث عنها واختيار ما يناسب منها، لأن المصطلحات العلمية، شأنها شأن الكلمات العادية في اللغة، بها وليدة لصفة الإبداع في اللغة، والإبداع في اللغة، وليد لوجود أفكار يراد بها التعبير عنها، ووليد معرفة لغوية تعين المتكلم على تلمس طرق التعبير في اللغة"[38]. ولغتنا العربية مرنة مطواع لها من المزايا و الخصائص ما يجعلها قادرة على توليد واشتقاق الصيغ التي تسد عوزنا من المصطلحات، بل إنها " أقدر اللغات على وضع المصطلحات وتوليدها واشتقاقها ونحتها وتطويرها، وذلك للعلاقة القائمة بين الصيغ الصرفية والمفاهيم العامة في الوجود [39].

كما علينا أن نعمل على توحيد مصطلحاتنا التي تعمها الفوضى ويلفها الغموض والاضطراب "لأن الغرض من توحيد المصطلحات هو تهيئة الأرض اللغوية الصالحة لوحدة الأمة الفكرية والاجتماعية والسياسية"[40]. وليس الغرض من توحيد المصطلح تجميد اللغة وتجميد العلوم بترجمة معينة، أو باعتماد لفظة دون غيرها، بل الغرض من التوحيد تجنب المصطلحات المشتركة التي تصبح مترادفات في اللغة العلمية العربية

التي يجب أن تخلو من الترادف قدر الإمكان، هذه المترادفات التي "تعد نعمة ونقمة في آن واحد في مجال المصطلحات العلمية والتقنية، فهي نعمة إذا استعملت للتفريق بين المفاهيم المتقاربة، وهي نقمة إذا وضع عدد منها مقابلاً للمفهوم التقنيّ الواحد، إذ إن ذلك سيؤدي إلى اختلاف الاستعمال وتعدده"(41). حقاً إن المترادفات تكون نعمة إذا أُحسن استخدامها؛ أي أن يكون المُستَخْدِم لها لغرض الاصطلاح عارفاً بكل دقائقها، وملماً بكل الفوارق الدقيقة بين معانيها، إذ ليس من السهولة بمكان لكل مترجم أو مُصْطَلِح أن يلم بكل هذه الفوارق، خاصة وأننا في العالم العربيّ لا نزال نفتقر إلى المعاجم التاريخية والمعاجم التأصيلية "التأثيلية" التي تساعد على تحديد الفروق بين هذه المترادفات، وهي نقمة إذا لم يتمكن المُصْطَلِحُونَ في أقطار الوطن العربيّ من الاتفاق حول المقابل الدقيق والأوحد للمفهوم الواحد.

ويرى بعض الباحثين أن توحيد المصطلح يقود إلى الجمود في اللغة والتحجر في البحث العلميّ، يقول محمد النويري: "إن الدعوة إلى توحيد المصطلح تبدو لي قضية زائفة وعلى غاية من السطحية، لأنها تحجب عنا القضايا الحقيقية التي ينبغي أن نركز فيها اهتمامنا. ثم إن طرح مسألة التوحيد يصبح خطراً لأنه في بُعد من أبعاده حكم على البحث العلميّ بالجمود، والعلم إنما يجد تربته الخصبة في الاختلاف والخلاف"(42)، قد يكون محمد النويري محقاً في حرصه على استمرارية البحث العلميّ ونموه وتطوره، ومحقاً في خوفه من تعثر ذلك البحث وتوقفه، ومحقاً في مقاومة كل شيء قد يؤدي إلى ذلك لأننا في مسيس الحاجة إلى التطور العلميّ والتقنيّ، لكن لا بد من القول إن توحيد المصطلح قضية مهمة وملحة، لأنها تعني خلق لغة علمية عربية واحدة تستخدم في كل أقطار الوطن العربي، كما تعني توحيد طرائق التفكير لدى أبناء الأمة، ويجب أن يبقى حاضراً لدينا جميعاً أن وحدة الأمة الفكرية والثقافية ذات أهمية قصوى لا يعدلها أيّ شيء. "إن توحيد المصطلحات العلمية في العالم العربيّ خطوة قيِّمة نحو توحيد الجبهة الأدبية والاجتماعية والسعي للتفاهم، والاتفاق على أسماء المعلومات الحسية، كالعلوم الطبية مثلاً، مقدم، بطبيعة الحال، على تلك الملاحظات والمعلومات المعنوية الطليقة التي لا ضابط لها بل هو توطئة لها، لأن المعاني تستمد روحها من الموجودات الحسية عادة. وما هذا الشوق إلى توحيد الجبهة العلمية إلا بادرة من بوادر السعي لنكون في العالم العربيّ على صعيد واحد معنى ومبنى" (43).

ويرى بعضهم أن توحيد المصطلح أمر سهل ميسور وليس بحاجة إلى وضع أسس وقوانين من أجل تحقيقه، بل يجب ألا يعيقنا التوحيد عن البحث والاصطلاح، فعلينا أن نصطلح، وستسهم وسائل الإعلام في تحديد المصطلح المناسب لكل مفهوم وسيكون للاستخدام الدور الأهم في هذا المجال، وسيصل الناس إلى اتفاق حول المصطلح الأنسب؛ أي "أن توحيد المصطلح سيبقى في الآخر، في جميع الأحوال رهناً باستعماله وتداوله، ولوسائل الإعلام والصحف والمجلات والكتب وسائر مواطن التداول الأخرى أعمق الأثر في ذلك، فالاستعمال وحده هو الذي ينخل ويغربل، ومن ثم يستبقي المصطلح الموحد بقانون البقاء للأقوى أو الأنسب "(44).

إن توحيد المصطلح العلميّ رهن بما يكتبه أبناء الأمة من الأبحاث بلغتهم العربية وبما يقدمه العلماء من أفكار وآراء في مجالات مختلفة في الصحف والمجلات والمؤتمرات والندوات، كل ذلك يجعل توحيد المصطلح أمراً مفروضاً وقائماً، وكلما زاد نشر الأبحاث والكتب باللغة العربية زاد المصطلح ثباتاً وتوحيداً، وأصبحت عملية الاصطلاح ووضع المصطلح أمراً ميسوراً، وغدت مشكلة المصطلح ليست مشكلة ذات قيمة كبيرة، وأصبحت اللغة العربية- كما عهدناها- لغة علم وثقافة، بما فيها من مزايا وخصائص جعلتها قادرة على التغلب على مشكلة المصطلح، والأقدرَ على وضعه وتوليده.

إن هذه الفوضى والتعددية التي نلمسها في المصطلح أمر طبيعيّ ناتج عن أمور مختلفة، فتعدد المصادر التي يعتمد عليها المترجمون سيقود إلى تعدد في المصطلح. أضف إلى ذلك أن الاجتهادات الفردية من المترجمين والمصطلحين تسهم بدور كبير في هذا التعدد الذي طغى على المصطلح العلميّ في اللغة العربية، كما أن تعدد اللغات التي ينقل عنها أو يترجم منها يؤدي إلى التباين والاختلاف في فهم المصطلح، إضافة إلى أمر مهم يؤدي إلى اختلاف المصطلح، هو عدم إيمان كثير من الباحثين بوحدة الأمة العربية، وحرص بعضهم على النعرة الإقليمية الضيقة التي تؤدي إلى تمزيق الأمة قبل تمزيق المصطلحات وتعددها، وهذا الفهم وضيق الأفق دفع بهم إلى إهمال ما قام به زملاؤهم في الأقطار الأخرى، والتنكر لما قدموه من أبحاث وما اصطلحوا عليه من مفاهيم. وقد أدى هذا الإقلاع وعدم الاطلاع على ما عند الآخرين من أبناء الأمة إلى ما يمكن أن يسمى بالقطيعة العلمية وعدم التواصل بين أفراد الأمة، ويعتبر أحد الباحثين أن أولى المشكلات التي يعاني منها المصطلح "كثرة المصطلحات التي تطلق على الشيء الواحد، ويعود هذا التعدد إلى عدم اطلاع الباحثين العرب على أبحاث زملائهم الآخرين، ولا أعفي نعرة القطرية وأثرها في الغض من شأن المصطلحات التي لا تصاغ في قطر الباحث المعين، وقد سبب عدم التواصل العلميّ عدم شيوع بعض المصطلحات العلمية الدقيقة وشيوع مصطلحات أخرى أقل دقة" (45).

وقد يكون هذا الانقطاع والتباعد بين أبناء الأمة ناتجاً عن غير قصد، أو ربما كان قصوراً في وسائل الإعلام، فكثير من المصطلحات التي توضع في المغرب مثلاً لا يعرفها علماء العراق، وكثير مما يصطلح عليه في العراق يجهله باحثو اليمن، ويعزى هذا إلى عدم التواصل العلميّ والفكريّ والثقافيّ بين أقاليم الوطن العربي، فيقوم كل قطر بإعادة تلك المصطلحات التي وضعت في القطر الآخر، من هنا، فإن غياب التواصل والتنسيق بين المؤسسات العلمية العربية له دور كبير مهم في عملية تعدد المصطلح.

كما أن الجهود الفردية وعدم معرفة هذا المؤلّف أو ذاك، للعربية الفصحى يترتب عليه عدم مقدرته على وضع المصطلح الفصيح المناسب لهذا المفهوم أو ذاك، وقد يلجأ هذا المؤلّف إلى لجهته فيأخذ المقابل منها، يقول القاسمي: " المعجميّ أو المؤلف قد لا يعثر على مقابل بالعربية الفصحى لأحد المصطلحات فيضطر إلى استعمال مقابل للمصطلح من لجهته الإقليمية، وقد

يكون هذا المقابل غير مفهوم للناطقين باللهجات الأخرى، لأنّ الكلمات العامية لا تتمتع بالثبات الدلاليّ النسبيّ الذي تتميز به نظيرتها الفصحى، فالكلمات العامية تختلف مدلولاتها من مكان لآخر ومن زمان لآخر بصورة أسرع وأكبر (46). وإذا اضطر هذا المعجميّ أو المؤلف إلى استعمال مقابل للمصطلح من لهجته الإقليمية، فإن مؤلفاً آخر أو معجمياً آخر يضطر إلى استعمال مقابل لنفس المصطلح من لهجته كذلك،وقد يضطر ثالث ورابع، وينتج عن ذلك "الاضطرار" وجود مترادفات لهجية للمصطلح الواحد، وهذا يعني مزيداً من التجزئة والتشرذم، إضافة إلى ازدياد الاعتماد على اللهجات المحلية التي ربما أصبحت هي اللغات العلمية، وهذا يعني هزيمة نكراء للفصحى.

وقد يرى الباحث أن اللجوء إلى اللهجات المحلية في اختيار مقابلات للمفاهيم المستجدة خطر على اللغة العربية الفصحى، وخطر على اللغة العلمية العربية التي ننشدها. إن "اشتغال كل قطر من ناحيته دون أن تكون بين العاملين رابطة أو رثتنا ألفاظاً متعددة للشيء الواحد، فنجد في كتب مصر المدرسية "البندول" وفي سوريا "النواس"وفي الأردن "الرقاص" وفي لبنان "الخطار" وأمثالها لأشياء أخرى كثيرة مما جعل قراءة كتب مصر في لبنان مربكة، وكذلك كتب لبنان في العراق وهكذا. ولا حاجة للقول بأنّ النتيجة الحتمية لهذا الوضع هي صعوبة التفاهم باللغة العربية بين المثقفين في المؤتمرات العلمية أو حينما يراد القيام بعمل علميّ مشترك بينهم، ولذلك تراهم يستعينون بالألفاظ الأجنبية أحياناً إذا ما أرادوا دقة التعبير فيما اختلفت في تسميته" (47).

كما يرى الباحث أن إحياء الألفاظ العربية الميتة لهذا الغرض خير من اللهجات الإقليمية، وهو ما لجأت إليه اللغات الأوروبية كواحد من المصادر التي أمدتها بما تحتاج إليه من المصطلحات. يقول عبد الصبور شاهين: "وربما كانت الطريقة التي حققت للمصطلح العلميّ الأوروبيّ استقلاله هي لجوء العلماء إلى اللغات الميتة، فأغاروا عليها إغارة عنيفة يشتقون منها، ويفسدون فيها، ويحددون لألفاظها معاني لم يقل بها أحد من أهلها.... وبذلك ثبت أن وجود اللغات الميتة ضروريّ لقيام المصطلحات، وذلك أنهم استطاعوا أن يفسدوا فيها ما يشاءون وأن يحددوا معانيها ويوسعوا فيها ما يشاءون ويزيدون فيها وينقصون، وهو ما لا يمكن عمله في اللغات الحية...... ولولا هذا الكنــز من اللغات الميتة لما وسعت الإنجليزية ولا غيرها من اللغات الأوروبية حاجات التعبير عن مفاهيم الحضارة ومنجزات العلم وكشوف البحث الحديث"(48).

كما أنه يمكن القول، إن اللغة العربية تحتوي على طاقة كامنة من الألفاظ تنتج عن تقليب الألفاظ على الطريقة التي رآها الخليل بن أحمد وتابعه فيها ابن جنيّ واسماها الاشتقاق الكبير، فيمكن استغلال هذه الطاقة الكامنة في تغطية كثير من المفاهيم التي يعجز العلماء عن إيجاد مقابل لها في العربية المستخدمة، ولعل استخدام هذه الوسيلة من إحياء للألفاظ، وتقليب للصيغ أفضل من انتقاء الألفاظ من اللهجات المحلية التي تقود في النهاية إلى وجود ترادف في المصطلح، كما تقود إلى

تكريس اللهجات المحلية والارتقاء بها تدريجيا لتصبح كل لهجة محلية لغة علمية للإقليم الذي يستخدمها، وهو ما يؤدي إلى تفتيت الأمة العربية إلى أمم بعد تفتيت لغتها الفصيحة إلى لغات يُقرّها العرف الإقليميّ ويراها هي القادرة على مواكبة العلم والحضارة.

ومن أسباب فوضى المصطلح، اختلاف المدارس التي نأخذ منها دون النظر إلى منهجية كل مدرسة من المدارس التي نتعامل معها أو نأخذ منها، فهناك مدارس يغلب عليها الطابع النفسيّ، وأخرى يغلب عليها الطابع الاجتماعيّ، وثالثة تلح على الجانب المعنويّ الوظيفيّ، كل هذا ينعكس سلباً على توحيد المصطلح، لأن دلالة كل مصطلح تختلف باختلاف المدرسة التي ينتسب إليها أو الشخص الذي قدمه، فمن الطبيعيّ "أن تنشأ فوضى في مجال المصطلح لتعدد المصادر التي اعتمد عليها المترجمون من ناحية، والاجتهاد الفرديّ خارج الإطار العلميّ المؤسس من ناحية ثانية" (49).

إضافة إلى ذلك، يُسهم ما يمكن أن نطلق عليه نقص الإحالة في زيادة الفوضى التي يعيشها المصطلح والغموض الذي يلفه، فنحن الآن في بداية وضع علم المصطلح، ونأخذ المفاهيم العلمية والفنية والتقنية من أكثر من مصدر مما يترتب عليه أكثر من تسمية للشيء الواحد، فجدير بنا، والحالة هذه، أن نشير إلى المدرسة التي أخذنا المصطلح عنها، وجدير بنا، أيضاً، أن نذكر تعريفاً موجزاً له، وما المقصود به، من أجل تحديد مفهوم دقيق واضح له يساعد في معرفته عند الذين يتناولونه من مدارس أو لغات أخرى.

ومن أسباب فوضى المصطلح، أيضاً، أسباب تتعلق باللغات التي نأخذ منها، فنحن أكثر ما نأخذ عن الإنجليزية والفرنسية، ولكل لغة ألفاظها ومفاهيمها التي يفهمها أهلها، هذه الألفاظ تختلف من لغة إلى أخرى، وهذه المفاهيم تختلف من أمة إلى أخرى، وتترتب عليها مفاهيم متباينة عندنا، يترجمها علماؤنا كل حسب فهمه. إضافة إلى ذلك فإن الفوضى والتعددية للمصطلح قد تنتج حتى لو كان الأخذ من لغة واحدة كما هو الحال بالنسبة للإنجليزية، فهناك إنجليزية بريطانيا، وإنجليزية أمريكا، ولكل من هاتين الإنجليزيتين ألفاظ ومفاهيم خاصة بها، تختلف عما عند الأخرى من ألفاظ ومفاهيم، مما يترتب عليه اختلاف في المفاهيم يؤدي إلى اختلاف في المصطلح عند العلماء الذين أخذوا عن الإنجليزية البريطانية والعلماء الذين أخذو عن إنجليزية أمريكا.

أسباب تتعلق بالمصطلح "ثقافة الناقل":

إن عملية الاصطلاح ليست عملية سهلة يمكن أن يقوم بها كل من أراد ذلك، فعملية وضع المصطلح يمكن أن يُعبَّرَ عنها بأنها عملية وضع لغة علمية تتطلب الكثير من الدقة والوضوح، خالية من كل لبس أو خفاء، بعيدة كل البعد عن الاحتمالية، لذا يجب على كل من نَصَّب نفسه للإسهام في بناء اللغة العلمية أن يكون متخصصاً في أحد فروع المعرفة، متمكناً من تخصصه، عالماً بكل دقائقه وخفاياه، كما يجب أن يكون صاحب

خبرات متعددة واطلاع واسع، متقناً للغته الأم إتقاناً تاماً، مُلمّاً بكل أساليبها، عارفاً بكل قواعدها وقوانينها، حتى يتمكن من التصرف في ألفاظها وتراكيبها بسهولة ويسر، وتكون لديه القدرة على اختيار أنسب الألفاظ التي تدل على المفهوم المراد دلالة واضحة دقيقة محددة، وتحدد كل أبعاده واحتمالاته حتى يكون بعيداً عن اللبس المؤدي إلى الاجتهاد والتأويل، إذ لا مجال لمثل هذا في المصطلح الذي يجب أن يكون قوي الدّلالة واضحها، محدد الإبعاد، لا يمكن حمله على غير ما وضع له. لأن المصطلح هو "الحد أو الخط المعين للحدود، فهو يمثل حقلاً يمكن العمل في نطاق حدوده ضماناً لعدم التشتت والضياع" (50). كما يجب على الناقل أن يتقن اللغة التي يأخذ عنها إتقاناً تاماً لا يقل عن إتقانه للغته الأم، حتى يمكنه فهم المراد من هذا اللفظ أو ذاك. أو هذا التركيب أو ذاك، " فلا يكفي المترجم أن يبحث عن مرادف عربيّ لكلمة إنجليزية مثلاً ويستقر على أنها هي المطلوب، فثمة "ظلال المعاني" التي يفسرها القاموس لكن النص والسياق هما العون على النحت والاشتقاق عندما يخرج المعنى عن حدود المعجمية (51). وأن يكون قادراً على مناغاة الفكرة التي أرادها المؤلف الذي يترجم له ويميز بين المعاني المتقاربة والألفاظ المترادفة، قادراً على استحضار المفاهيم والمدلولات المتقاربة، ويدرسها دراسة متأنية فاحصة في وقت واحد؛ أي أن يجمع كل المعاني المتقاربة علمياً ويصطلح عليها معاً، لأن اجتماع هذه المدلولات معاً يسهل عملية اختيار اللفظ الأكثر مطابقة لكل مفهوم منها، ويضمن سلامة الاصطلاح ودقته، فيضع اللفظ المناسب إزاء المفهوم المناسب." إن مبدأ دراسة المدلولات المتقاربة" أو المصطلحات الأجنبية المتقاربة المدلول " جملة، ومن ثَمَّ وضع المصطلحات العربية لها، بدلاً من وضع مصطلح عربيّ لكل مدلول أو مصطلح أجنبيّ بصورة مستقلة ومن غير دراسة المدلولات أو المصطلحات المقاربة له من المبادئ التي كثير ما يفوت واضعي المصطلحات الاهتمام لها والأخذ بها فيسبب تجاهلها الغموض واللبس في الأقل إن لم يؤد إلى الخطأ في التعبير" (52).

إن الالتزام بهذه الأمور من قِبَلِ واضع المصطلح أمر هام يجب عدم التساهل فيه، لأن ذلك يعطي الفرصة لكثير ممن هم غير جديرين بهذا الأمر للاجتهاد الذي يترتب عليه الخطأ أو عدم الدقة أو الاختيارات التي تؤدي إلى ظهور ألفاظ لا نصيب لها من الصحة، والتي تثقل اللغة بلا فائدة، لذا "يلزم لواضعي المصطلحات إتقان لغتين فضلاً عن التخصص العلميّ...... ولقد كان عدم إيفاء هذه الناحية حقها من الاهتمام، أو التساهل فيها، سبباً في تفشي كثير من المصطلحات المغلوطة والاختيارات غير الموفقة أو إدخال ألفاظ كثيرة من الدخيل على لغتنا مما لم يكن داع لإدخاله" (53).

ليس هذا فحسب، بل إن على واضع المصطلح أن يكون مطلعاً إطلاعاً واسعاً على ثقافات أخرى لها صلة بثقافة اللغتين "اللغة الأم واللغة التي سيأخذ عنها" لأن هذا الاطلاع يزيد من خبرته ويصقل مواهبه ويوسع أفقه ودائرة معرفته، كل ذلك يكسبه الثقة في النفس والمقدرة على العمل الجاد الدؤوب، وكذلك التمييز بين المفاهيم المختلفة، مما يساعده على وضع المصطلح

الأصوب. إن سعة الثقافة وكثرة الاطلاع تجعل المرء أكثر مقدرة على استيعاب قضايا العلوم والفنون، وتخلق منه شخصاً قادراً على المقارنات بين الثقافات المختلفة التي تمكنه من فهم دقيق لكل النظريات والآراء، مما يُجهِّزه بقدرة فائقة على التفكير السليم والإبداع العلميّ والاصطلاح على المفاهيم والمدلولات التي تقابله.

كما يجب على الناقل أن يكون صادقاً أميناً فيما يضع من مصطلحات، مُلماً بمادته العلمية قادراً على استكناه كل مفاهيمها والتفريق بين كل جزيئاتها. وأن لا يقوم بوضع المصطلح إلا من كان مختصاً لأن "المصطلح لغة خاصة "Jargon" أو معجم قطاعيّ يُسهِم في تشييد بنائه ورواجه أهل الاختصاص في قطاع معرفيّ معين، ولذلك استغلق فهمه واستعماله على كل من ليس له دراية بالعلم الذي هو أداة لإبلاغه"[54].

إن الانتماء القوميّ أمر مهم في عملية الاصطلاح، لأن هذا الانتماء يعني الحرص على مكتسبات هذه الأمة ومُقَدِّراتها الثقافية والعلمية، ويدفع باتجاه الصدق في النهوض باللغة العربية من أجل أن تصبح لغة علمية قادرة على استيعاب مصطلحات العلوم والثقافة والتقنية والفنون، يفاخر أبناؤها بها بدلاً من التنكر لها والحط من شأنها، ومحاولة التخلص منها واستبدال اللغات الأخرى بها. إن مثل هذا الانتماء يخلق روح التوحد والتوحيد لدى المثقفين العرب ويُفَوِّتُ الفرصة على أولئك الفئويين أو الإقليميين أو دعاة الإقليميات الضيقة الذين لا يفتؤون يعملون على تمزيق أمتنا وتدمير لغتها.

إن الإيمان بالوحدة العربية، يُسهِم إسهاما كبيراً في إنجاح عملية التعريب والاصطلاح، ولعل السبب في عدم إنجاز عملية التعريب- رغم الجهود المخلصة المبذولة في هذا المجال- وفي المشكلات المصطلحية عند العرب، ناتج عن عدم الإيمان أو الاقتناع بالوحدة العربية، وأن أبناء هذا الوطن العربيّ الواحد هم أمة واحدة ذات لغة واحدة وآمال واحدة، إن الإيمان بالمصير الواحد ونبذ كل فرقة أو طائفية يُسهِم في إنجاح هذه المهمة، ويدفع باتجاه نهوض الأمة وتطوير لغتها، ويقطع الطريق على دعاة الإقليمية البغيضة الذين يعملون ما بوسعهم لتكريس هذا الفهم، وربما كان هذا الفهم نابعاً من إعجابهم بالأمم الأخرى إعجاباً ملك عليهم الألباب حتى وصل إلى مركب النقص "عقدة الخواجة" التي تعيش في قلوب كثير من أبناء الأمة، وتعشعش في عقول كثير من علمائها، وإذا أردنا النجاح في هذه المعركة فلا بد من العمل على إعادة الثقة إلى نفوس هؤلاء، وعلى ترسيخ المفاهيم الوحدوية، وعلى نبذ كل ما يدعو إلى التفرقة ؛ أي علينا أن نُعَرِّبَ الثقافة والفكر لكي يكون الإنتاج العلميّ عربياً وباللغة العربية، بهذا نصبح مبدعين مبتكرين نصطلح على ما ننتجه و نخترعه، ونُعَرِّب جوانب حياتنا، كما يقول خير الدين حقي: "نحن أحوج ما نكون إلى تعريب الفكر قبل تعريب اللسان"، أو كما قال أحد الزملاء بصيغة أدق: "بحاجة إلى تعريب الضمير قبل تعريب اللسان" [55].

كما أن من أسباب فوضى المصطلح وعدم استقراره، عدم استخدام المصطلح في الحياة العلمية والثقافية والاجتماعية فرواج المصطلح وتَقبُّله رهن باستخدامه، فإن عزف الناس عن استخدامه كُتب له الفشل، وسبب عدم استخدامه ينتج عن عدم تعريب العلوم والفنون في الجامعات والمعاهد والمؤسسات العربية باستثناء الجامعات في القطر السوريّ.

يوضع المصطلح، بعد جهد ليس بالقليل، ليدل على مفهوم معين لكنه لا يجد من يستخدمه، لأن عدم تعريب التعليم العالي يدفع طلاب الجامعات ومدرسيهم إلى استحسان اللفظ الأجنبيّ واستخدامه ويصبح لا حاجه لكل ما هو عربيّ في التعليم، فلا يجد الطالب ضرورة لاستخدام اللفظ العربيّ كما لا يجد حرجاً من استخدام اللفظ الأجنبيّ، وبالتالي لن يصل إلى استخدام تلك المصطلحات التي تم الاتفاق عليها، وتبقى قابعة في بطون المعاجم والكتب تنشد من يستخدمها ولا مجيب، فلا يفيد منها أحد ولا يتصل بها عامة الناس، فإذا كان المختصون لا يستخدمون هذه المصطلحات فكيف بغيرهم؟ لذا فإن نجاح عملية الاصطلاح رهن بالتعريب الشامل لكل مراحل التعليم في الوطن العربيّ. وقد خلقت حالة عدم التعريب هذه قناعة لدى معظم الفئة النخبوية بأن استخدام اللفظ الأجنبيّ أفضل بكثير من استخدام المصطلح العربيّ، ذلك لأن اللفظ الأجنبيّ- في رأيهم- يدل دلالة واضحة محددة على المفهوم المقصود، وهي دلالة لا يمكن الحصول عليها باستخدام لفظ عربيّ بدل اللفظ الأجنبيّ. ولا بد من القول إن هذه القناعة وذلك الفهم لدى تلك الفئة لا تمت إلى الحقيقة أو الواقع بأية صلة، بل هي قناع يعمي الأبصار ويصم الآذان.

إن استخدام لغة غير اللغة العربية في قاعات الدرس في جامعاتنا ومعاهدنا جريمة كبرى في حق الأمة، لأن ذلك يؤدي إلى قناعة لدى طلابنا بعدم صلاحية اللغة العربية للعلم، وعدم مقدرتها على مواكبة العلوم والفنون والتعبير عنها، وهذا بدوره يضعف ثقة الطلاب بلغتهم العربية، ويقرُّ في عقولهم أنها سر تخلفنا وانحطاطنا الفكريّ والعلميّ، ويوصلهم إلى قناعة تامة بضرورة التخلص منها والاستغناء عنها. وهذا- إذا تحقق- يعني قطع لكل أواصر التواصل بين أفراد الأمة العربية، إنه هدم للأمة كلها لتصبح أُمماً متناحرة، كل أمة منها تسير في ركب أمة أجنبية اتصلت بها برباط اللغة الجديدة التي استبدلها بالعربية.

وبعد، فإنه واضح تماماً أن سر تخلفنا في وضع المصطلحات العلمية المطلوبة نابع من أسباب تتعلق بنا نحن أهل اللغة، لا باللغة نفسها، فاللغة خير أداة للتعبير، وهي قادرة على التعبير عن كل ما يستجد من أمور الحياة، وهذا ما أقرته لجنة اليونسكو "التي اعتمدت تجارب أنجزت في بلدان كثيرة، وقررت أنه لا عائق يعوق لغة معينة لتعبر عن الحضارة الحديثة، فإذا كانت هذه اللغة الأم قادرة على أن تكون أداة للتعليم العالي والتقنيّ، فإنه ينبغي استخدامها لهذا الغرض بعد الاحتياط كله لتنسيق المصطلحات العلمية"[56]. فعلينا أن نعيد الثقة إلى نفوس المترددين من علمائنا وكتابنا بمقدرة العربية على توفير المصطلحات العلمية والفنية والتقنية كغيرها من لغات العالم، كما علينا أن ننمي هذه الثقة

في نفوس أجيالنا ونشجعهم على الكتابة باللغة العربية في كل موضوعات المعرفة الإنسانية، وأن نبرز الخصائص والمزايا التي تختص بها اللغة العربية كالاشتقاق والتوليد والتحديث والنَّحت وغيرها، وأن نوضح أهمية كل مزية من هذه المزايا والدور الذي قامت به في العصور السابقة. كما يجب أن نوضح لهم أنه ليس بالضرورة أن يتلمَّس العالم أو الباحث مناسبة بين المصطلح الأجنبيّ وما يقابله بالعربية لأن ذلك سيؤدي إلى التردد والاضطراب، والاختلاف بين العلماء لأن كل شخص يفهم الفكرة كما يراها، فعليهم أن يضعوا مقابلاً لذلك المصطلح كما وضعت الكلمات من أجل أن تكون رموز الأشياء تدل عليها دون مناسبة بين الاسم والمسمى.

وقد تمكن العرب في القديم من وضع مصطلحات تناظر المصطلحات الأعجمية، وتمكنوا من ابتكار الكثير من المصطلحات الأخرى، و لم تنعدم محاولات الاصطلاح في العصر الحديث، فالمصطلح رهن بالتخيل والإبداع والابتكار، فإذا أطلقنا العنان لعقولنا، أمكننا أن نبتكر ما ينقصنا من المصطلحات دون خوف أو تردد، وإذا تصفحنا بعض الصحف والمجلات أمكننا أن نضع أيدينا على كثير من المصطلحات التي وضعها العلماء والموهوبون لكثير من المسميات الأجنبية، كما نجد كثيراً من المصطلحات العفوية الوضع التي أسهم في وضعها جمهور الناس، فقد اصطلح الجمهور على نوع من التبغ "السجاير" الإنجليزية يسمى "Caraven A" فوضعوا لها اسم "أبو بس" لأنها تحمل على غلافها صورة للقط، كما اصطلحوا على نوع آخر من السجاير يسمى Playrs فوضعوا له اسم " أبو دقن" لأنه يحمل على غلافه صورة رجل أجنبيّ يرتدي قبعة، كما أطلقوا على سيارة مرسيدس اسم خنـــزيرة، حيناً، وشبح،حيناً آخر، كما نجد كثيراً من الألفاظ الاصطلاحية تنساب على أقلام الكتاب والصحفيين، فقد أطلقوا على ثورة الشعب الفلسطينيّ اسم "انتفاضة" وربما كان لخيال أحد الكتاب الدور الأساسيّ في هذه التسمية إذ رأى في هبة هذا الشعب من أجل الدفاع عن أرضه ومقدساته تحركاً وارتعاداً شديدين فاهتدى إلى تلك التسمية. كما أطلقوا على عمليات المقاومة الفلسطينية التي يقوم فيها الفرد بتفجير نفسه اسم "العمليات الاستشهادية" لأنّ منفذها قام بها طلباً للشهادة في سبيل الله والوطن. ومن ذلك أيضاً كلمة "تصعيد" التي أصبحت تدل على زيادة المقاومة أو زيادة القمع من العدو. كما يطلق على تلك المنشآت التي بناها العدو على أرض فلسطين اسم "المستوطنات أو المغتصبات" لأن العدو اغتصبها من أهلها الشرعيين. وكذلك "الطرق الالتفافية" لتلك الطرق التي فتحها العدو من أجل أن توصل بين مستوطناته دون المرور بالبلدات والمدن الفلسطينية.

من هنا، ومن كل ما سبق، يمكن القول إن اللغة العربية تملك من المزايا والخصائص ما يمكّنها من السيطرة على جوانب الاصطلاح، شريطة أن يعمل العلماء والمفكرون على حلّ كل المشكلات التي تعترض طريق الاصطلاح، وتذليل كافة العقبات التي تحول دون إنجاح عملية الاصطلاح ، هذه المشكلات والعقبات تتمثل -كما مر- في فوضى المصطلح، وغياب المنهجية الموحدة لوضع المصطلحات والملزمة لكل من أراد أن يمد يده إلى هذا العمل، كذلك اختلاف اللغات التي نترجم

عنها أو ننقل منها والمدارس التي نتبنى أراءها ومنهجياتها، إضافة إلى ثقافة الناقل أو المُصطَلِح (المُصْطَلَحِيِّ) التي تنعكس فيما يقدمه من مصطلحات، كل هذه الأمور عقبات كأداء تقف حائلاً دون تقدم المصطلَح وتطوره في العالم العربيِّ.

الهوامـــــش

1. المسدي، عبد السلام: المصطلح النقديّ وآليات صياغته، مجلة علامات في النقد الأدبيّ، ج 8 مجلد 2، محرم 1414هـــ، ص 56.
2. القاسمي، علي: مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1987م، ص 10-11.
3. الموسوي، مناف مهدي محمد: مباحث لغوية من حياة اللغة العربية، دار البلاغة، بيروت، ص110.
4. الجاحظ، "البيان والتبيين"، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 139/1.
5. الجاحظ"الحيوان"، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الحلبي، القاهرة ،1958 م، 348/1.
6. الخوارزمي "مفتاح العلوم "، تحقيق: فان فلوتن ،1985 م، ص 2-3.
7. ابن فارس، أحمد، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ص 7.
8. المرجع السابق، ص 33-34.
9. التهانوي، محمد علي الفاروقي: كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية ، 1963 م ، ص 1-3.
10. الشدياق، أحمد فارس، الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب، القسطنطينية 1299هـــ ، ص 437.
11. مصطفى إبراهيم: المعجم الوسيط، دار إحياء التراث، مادة صلح.
12. حجازي، محمود فهمي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة، ص 8.
13. شاهين، عبد الصبور: اللغة العربية لغة العلوم والتقنية، مطبعة دار الإصلاح، الطبعة الأولى، 1983، ص 119.
14. المرجع السابق، ص 118.
15. جبر يحيى، عبد الرؤوف: الاصطلاح مصادره ومشاكله وطرق توليده، مجلة اللسان العربي، 1413هـــ-1992 م، العدد 36، ص 143.
16. الزيدي، توفيق: تأسيس الاصطلاحية النقدية، مجلة علامات في النقد الأدبي،ج 8 مجلد 2، محرم 1414هـــ ، 179- 180.
17. حجازي، مرجع سابق، ص 11-12
18. الحمزاوي، محمد رشاد: المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1986 م، ص 12.
19. المرجع السابق ص، 17.
20. المرجع السابق والصفحة.
21. المرجع السابق والصفحة.
22. شاهين، مرجع سابق، ص 78.
23. المسدي، المرجع السابق، ص 57.
24. الحمزاوي، المرجع السابق، ص 9.
25. المرجع السابق ،ص 17.
26. الفهري، عبد القادر الفاسي: اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م، ص 395.
27. المرجع السابق، ص 394.
28. النويري، محمد: "واقع العلم وهواجس المصطلح " مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8، مجلد 2، محرم 1414 هـــ، ص 252.
29. المزيني، حمزة قبلان: المشكل وغير المشكل، قضية المصطلح، مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8، مجلد 2 ،محرم 1414 هـــ، ص 15.
30. شاهين، مرجع سابق، ص 135.
31. المزيـــني، مرجع سابق، ص 14.

32. الفهري، مرجع سابق، ص 395.
33. بن مراد، إبراهيم: دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي،بيروت،الطبعة الأولى،1987م،ص 296-297.
34. النويري، مرجع سابق، ص 250.
35. المزيني، مرجع سابق، ص 15.
36. إسماعيل، عز الدين:جدلية المصطلح الأدبي، مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8 ، مجلد 2، محرم 1414 هـ، ص 113.
37. النويري، مرجع سابق، ص 256.
38. المزيني، مرجع سابق، ص 18.
39. القاسمي، علي: مقدمة في علم المصطلح، ص 37.
40. القاسمي، علي: تخطيط السياسة اللغوية، مجلة اللسان العربي العدد 23، ص 51.
41. القاسمي، علي: مقدمة في علم المصطلح، ص 76-77.
42. النويري، مرجع سابق، ص 256.
43. الشهبندر، عبد الرحمن: توحيد المصطلحات الطبية العربية، مجلة المقتطف مج 76،ج 5، القاهرة ،1930م.
44. الملائكة، جميل: المصطلح العلمي ووحدة التفكير، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج 3 مجلد 34 ، تموز 1983 م، ص 90.
45. المزيني، مرجع سابق، ص 18.
46. القاسمي، علي مقدمة في علم المصطلح، ص 73.
47. حقي، خير الدين: وحدة المصطلح العلمي، مجلة اللسان العربي، العدد 2، 1965 م، ص 30-31.
48. شاهين، مرجع سابق، ص 232.
49. الشنطي، محمد صالح: تقنيات السرد الروائي، فوضى المصطلح، مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8 ،مجلد 2، محرم 1414هـ، ص 263.
50. إسماعيل، مرجع سابق، ص 112.
51. لؤلؤة، عبد الواحد: أزمة المصطلح النقدي، مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8 ، مجلد 2، محرم 1414هـ، ص 168.
52. الملائكة، مرجع سابق، ص 94.
53. المرجع السابق، ص 92.
54. الفهري، مرجع سابق، ص 396.
55. حقي، مرجع سابق، ص 31.
56. الكتاني، إدريس: دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية وتجربة اللغات الأجنبية في البلدان الإفريقية، مجلة اللسان العربي، المجلد 10 ، ج1، 1392 هـ - 1973، ص39.

المصادر والمراجع

1. إسماعيل، عز الدين: جدلية المصطلح الأدبي، مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8 مجلد 2، محرم 1414 هـ 1993م.
2. التهانوي، محمد على الفاروقي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية 1963 م.
3. الجاحظ، عمرو بن بحر:
   * البيان والتبين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت. د. ت.
   * الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ،1985 م.
4. جبر، يحي عبد الرؤوف: المصطلح، مصادره ومشاكله وطرق توليده، مجلة اللسان العربيّ، العدد 36،1413هـ 1992 م.
5. حجازي، محمود فهمي:الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة. د. ت.
6. حقي، خير الدين: وحدة المصطلح العلمي، مجلة اللسان العربي، العدد 2، 1965 م.
7. الحمزاوي، محمد رشاد: المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1986 م.
8. الخوارزمي، علي بن محمد علي السيد: مفاتيح العلوم، تحقيق: فان فلوتن، 1985م.
9. الزيدي، توفيق: تأسيس النقدية الاصطلاحية، مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8، مجلد 2.
10. شاهين، عبد الصبور: اللغة العربية لغة العلوم والتقنية، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الأولى، 1983 م.
11. الشدياق، أحمد فارس: الجاسوس على القاموس. مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1299 هـ.

12. الشنطي، محمد صالح: تقنيات السرد الروائي، فوضى المصطلح، مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8 مجلد 2.
13. ابن فارس، أحمد بن الحسين: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
14. الفهري، عبد القادر الفاسي: اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م.
15. القاسمي، علي:
* تخطيط السياسة اللغوية، مجلة اللسان العربي، العدد 23.
* مقدمة في علمُ المصطلح، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، الطبعة الثانية، 1987م.
16. الكتاني، إدريس: دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية وتجربة اللغات الأجنبية في البلدان الأفريقية، مجلة اللسان العربي، المجلد العاشر، الجزء الأول.
17. بن مراد، إبراهيم: دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1987م.
18. المزيـــني ، حمزة قبلان: المشكل وغير المشكل: قضية المصطلح العلمي،مجلة علامات في النقد الأدبي، ج8، مجلد 2.
19. المسدي، عبد السلام: المصطلح النقدي وآليات صياغته، مجلة علامات في النقد الأدبي ،ج 8 ،مجلد 2.
20. مصطفى،إبراهيم:المعجم الوسيط،دار إحياء التراث العربي،د.ت.
21. الملائكة، جميل: المصطلح العلمي ووحدة التفكير، مجلة المجمع العلمي العراقي ج 3 ،مجلد 34، تموز 1983م.
22. الموسوي، مناف مهدى محمد: مباحث لغوية من حياة اللغة العربية، دار البلاغة للطباعة والنشر، بيروت 1993 م.
23. النويري، محمد: واقع العلم وهواجس توحيد المصطلح، مجلة علامات في النقد الأدبي، ج 8 ،مجلد 2.

مفهوم المصطلح المعرَّف (**)

د. مصطفى اليعقوبي (*)

أولاً: مفهوم التعريف وأنواعه

يحد التعريف بعبارات وطرق مختلفة، وذلك باختلاف المنظور والمجال العلميّ؛ فهناك تعريفات قاموسية(اسمية)، ومنطقية، وأدبية، وجدلية، وهزلية، وبنيوية، ولسانية دلالية.

ويمكن تقسيم التعريفات من زاوية الإجمال، أو التفصيل، أو عدمهما إلى ما يلي:

* **التعريفات الإجمالية:** ويدخل فيها التعريف بالضد والمرادف.

* **التعريفات التفصيلية:** ويدخل فيها معظم أصناف التعريف، كالتعريف المنطقيّ وغيره.

* **التعريف بالمثال.**

ويضاف إلى هذه الأقسام قسم رابع وهو:

* **العناصر المساعدة للتعريف.**

1- التعريفات الإجمالية: يوصف شرح الاسم عادة بأنّه ذو دلالة إجمالية؛ وهكذا يمكن الحديث عن تعريف إجماليّ للمصطلح إذا اقتصر المعرِّف على مجرد ذكر ما يرادفه أو يضاده. وهذا يسمى تعريفاً اسمياً (ن:La sémantique, P : 236). ومن الأمثلة على ذلك في استعمال القدماء من علماء العرب المسلمين: تعريف الفصاحة بالبيان. قال ابن منظور في اللسان: "الفصاحة: البيان"، ومنها تعريف البيان بأنه "الفصاحة واللَّسَن" (اللسان/ بين)، وتعريف البلاغة بأنها الفصاحة (اللسان/ بلغ). فهذه كلها تعريفات بالمرادف. ومن التعريف بالضد قول قدامة بن جعفر (ت 337هـ): "المديح ضد الهجاء" (نقد الشعر، 117)، وقول الكفويّ: "الصلاح: ضد الفساد" (الكليات، 560).

وهذا النوع من التعريف القائم على استبدال اللفظ المعرَّف بمرادف أوضح منه، أو بضده لا يقدم فائدة ذات بال للبحث المصطلحيّ، ولا يفيد فيما نحن بصدده وهو المعجم التاريخيّ للمصطلحات المعرَّفة. فاللفظ الذي عرف به المصطلح يحتاج إلى تعريف؛ فهو ليس من البديهيات التي لا تقبل البرهنة (إقامة البرهان عليها). وهذا يدفع المعرِّف إلى الوقوع في الدور.

2- التعريفات التفصيلية: وهي التي تقدم وصفاً مفصلاً لحقيقة المعرَّف ولمفهومه ومعناه. وهي أقسام نذكر منها ما يلي:

أ- التعريف المنطقيّ: ويقوم على ذكر الخصائص والصفات المميزة لشيء من الأشياء بغرض معرفة الحقيقة. ويكون بالجنس والفصل النوعيّ. وينقسم إلى

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية – وجدة .

(**) عرض ألقي في اليومين الدراسيين اللذين نظمهما معهد الدراسات المصطلحية بفاس في موضوع "مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العربية المعرفة" يومي 15-16 ذو القعدة 1418هـ، الموافق 14-15-مارس 1998م.

حد تام وحد ناقص؛ فالتام يكون بالجنس القريب والفصل النوعيّ(الإنسان: حيوان ناطق)، والناقص يكون بالجنس البعيد والفصل النوعيّ (الإنسان، كائن ناطق). وهذا القسم من التعريف" يعبر عن ماهية الشيء، ويفيد معرفة ذاتية أو ضرورية به "كما يقول المناطقة المتأثرون بأرسطو.

وبناء التعريف على مقولتي الجنس والنوع حاضر بقوة في التراث الإسلاميّ، وخاصة لدى من تأثروا بالمنطق والفلسفة اليونانية الأرسطية. ويمكن تقديم مجموعة من الأمثلة الدالة على ذلك:

* **تعريف الفعل**:عرَّفه الزمخشريّ(ت538 هـ) في «المفصل" بأنه" مادلّ على اقتران حدث بزمان". وعلّق عليه ابن يعيش في شرحه بقوله: "وقول صاحب الكتاب...رديء من وجهين: أحدهما أن الحد ينبغي أن يؤتى فيه بالجنس القريب ثم بالفصل الذاتيّ؛ وقوله: "ما دلّ"، ف"ما" من ألفاظ العموم؛ فهو جنس بعيد. والجيد أن يقال: كلمة أو لفظة أو نحوها، لأنهما أقرب إلى الفعل من "ما"... والآخر قوله "على اقتران حدث بزمان"؛ لأن الفعل لم يوضع دليلاً على الاقتران نفسه، وإنما وضع دليلاً على الحدث المقترن بالزمان، والاقتران وجد تبعاً؛ فلا يؤخذ في الحد على ما تقدم" (شرح المفصل 3/7).

* **تعريفات صاحب "المنزع البديع"** كلها تقريباً مبنية على مفهوم التعريف المنطقيّ الأرسطيّ. وهو يصرح بذلك في مقدمة الكتاب بقوله: "وبعد، فقصْدنا في هذا الكتاب... إحصاءُ قوانين أساليب النظوم... وتجنيسها في التصنيف، وترتيب أجزاء الصناعة في التأليف على جهة الجنس والنوع، وتمهيد الأصل من ذلك للفرع...." (المنزع، 180).

ومن أمثلة تعريفاته المنطقية: تعريف الاختزال ونوعيه **الاصطلام والحذف**؛ **فالاختزال"** هو قول مركّب من أجزاء فيه مشتملة بجملتها على مضمون تنقص عنه بطرح جزء منها شأنه أن يصرح به" (المنزع، 186)؛ والاصطلام " هو قول مركب من أجزاء فيه مشتملة بجملتها على مضمون تنقص عنه بطرح جزء منها هو عمدة أو في حكم العمدة في الاقتران لإفادة ذلك المضمون."(المنـــزع، 187)؛ و"**الحذف**" هو قول مركب من أجزاء فيه مشتملة بجملتها على مضمون تنقص عنه بطرح جزء منها هو فَضْلة أو في حكم الفضلة في الاقتران لإفادة ذلك المضمون"(المنزع، 201).

* **تعريف قدامة للشعر**: يقول: "إن أول ما يحتاج إليه... معرفة حد الشعر الحائز عما ليس بشعر، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز مع تمام الدلالة من أن يقال فيه: إنه قول موزون مقفّى يدل على معنى. فقولنا: "قول" دالّ على أصل الكلام الذي هو بمنـــزلة الجنس للشعر، وقولنا "موزون" يفصله مما ليس بموزون، إذ كان من القول موزون وغير موزون، وقولنا "مقفى" فَصْلٌ بين ما له من الكلام الموزون قواف وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع، وقولنا "يدل على معنى" يَفْصِل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى؛ فإنه لو أراد مريد أن يعمل من ذلك شيئاً على هذه الجهة لأمكنه وما تعذر عليه".(نقد الشعر، 64)ن68، 69، 70.

ويقول أيضاً: "إنه لـمّا كان الشعر على ما قلناه لفظاً موزوناً مقفّى يدل على معنى، وكان هذا الحد مأخوذاً من جنس الشعر العام له وفصوله التي تحوزه عن غيره، كانت معاني هذا الجنس والفصول موجودة فيه ". (نقد الشعر، 68).

والتعريف المنطقيّ يهدف، كما سبقت الإشارة، إلى بيان ماهية المعرَّف. وقد نقده طائفة من العلماء والمتكلمين والفقهاء الإسلاميين وعلى رأسهم ابن تيمية (ت 728هـ)؛ إذ قال في كتابه "الرد على المنطقيين": "إن فائدة الحدود، التمييز لا التصوير. وإذا كان المطلوب التمييز فإنما ذاك بالمميِّز فقط دون المشترك، ولأنه كلما كان أوجز وأجمع وأخص كان أحسن، كالأسماء. فليس الحدّ في الحقيقة إلاّ اسماً من الأسماء، أو اسمين، أو ثلاثة، كقولك "حيوان ناطق". "(الرد على المنطقيين ن 10. 14، 15، 39، 40، 41، 48، 59، 62، 75، 79). ويرى ابن تيمية أنّ "للمتكلمين في الحد طريقاً آخر، إذ لا يحدون إلاّ بالخاصة المميِّزة الفاصلة دون المشتركة، بل يمنعون من التركيب الذي يوجبه المنطقيون، وهو لعمري أقرب إلى المقصود. "(الرد على المنطقيين 10.ن عن طريقة المتكلمين ونظار المسلمين: 14، 15، 21، 23، 75). ويقصد بالتركيب الذي يوجبه المنطقيون ما يتوخونه من تفصيل صفات المحدود المشتركة والمختصة؛ وذلك بذكر الجنس والفصل النوعيّ.

ومن أمثلة التعريفات التي جاءت على طريقة المتكلمين وغيرهم ممن لم ينهجوا نهج المنطقيين المتأثرين بأرسطو: تعريف الباقلاني (ت 403هـ) للعلم: " معرفة المعلوم على ما هو به" (كتاب الرد على المنطقيين، 19). فهذا الحد يحصره على معناه، ولا يدخل فيه ما ليس منه ولا يخرج منه شيء هو فيه؛ فالحد محيط بالمحدود. وهو عند المتكلمين قول جامع مانع لا يشترطون فيه إلاّ التمييز. (ن الرد على المنطقيين، 21).

ب- التعريف اللسانيّ الدلاليّ: ويعرف بأنه تحليل مدلول المصطلح، أو الترجمة الموضحة لكل السمات الدلالية المميزة. وهو قريب من تعريف الإسلاميين المذكور سابقاً. ويطلق عليه أحياناً وصف (التعريف البنيويّ) في مقابل التعريفات الكلاسيكية التي منها: التعريف الاسميّ، أي التعريف بالمرادف والضد، والتعريف المنطقيّ، وغيرهما.

والمراد بالسمة الدلالية: الوحدة الدلالية الصغرى غير القابلة للتحقق بشكل مستقل. ومن أمثلتها (+ إنساني)؛ فهذه السمة الدلالية وحدة دلالية صغرى تخصص كلمات مثل طفل، وبائع، ومهندس معماريّ. فكل مصطلح أو كلمة عبارة عن مجموعة من السِّمات.

وهذا النوع من التعريف التفصيليّ يلتقي مع المنطقيّ؛ ولهذا يدرجه المعجميون اللسانيون معه في خانة واحدة. (ن.Dictionnaire de linguistique ,P :136). كما يلتقي مع التعريف الهادف إلى تمييز المحدود بالاقتصار على الوصف المميِّز دون الوصف المشترك (= القدر المشترك). فهو يحرص على الجمع والمنع، والاطراد والانعكاس، ولكنه لا يطمح إلى بيان الماهية والحقيقة.

3- التعريف بالمثال والنظير: وهذا الصنف من التعريف كثير، وخاصة في المراحل الأولى من حياة العلم. ولهذا، فإن المصادر المتقدمة يقل فيها التعريف المفصل ويكثر فيها التعريف بالمثال. ويقصد بالمثال معنيان:

أ-ما يقابل الشاهد: وقد عرفت الأمثلة بأنها "الجزئيات المذكورة لإيضاح القواعد" في مقابل الشواهد التي هي"الجزئيات المذكورة لإثبات القواعد"(مختصر السعد ضمن شروح التلخيص: 58/1).

ب- ما يكاد يرادف الشاهد؛ ذلك أن وظيفة المثال هنا هي: التقرير، والإثبات، والبيان. وهذا واضح في قول السجلماسي عن (التخييل): " ولأنّ هذا الجنس هو عمود علم البيان وأساليب البديع... أطنبنا في صوره الخاصة، ومثله الجزئية من قِبَلِ أن المثال مثبت للقاعدة الكلية والقانون، وفاعل بوجه ما لتصوره"(المنــزع، 260).

وإذا رجعنا إلى الصور والأمثلة التي أوردها السجلماسي (كان حيا سنة 704هـ)، وجدنا معظمه شعراً، يليه القرآن الكريم، ثم الكلام المأثور، وهو قولان فقط. ولم يرد إلاّ مثال واحد مصنوع؛ وهو قوله بعد أن فرغ من تعريف (الجري على المجرى الطبيعيّ) في التشبيه: "مثل أن نقول: الشمس فلانة" (المنــزع، 228).

ومن المصطلحات التي عرفت بهذه الطريقة:

* **تعريف الاسم عند سيبويه والمبرد:** يقول ابن يعيش (ت 643هـ): " قد أكثر الناس في حد الاسم؛ فأما سيبويه فإنه لم يحده بحد ينفصل به من غيره، بل ذكر منه مثالاً اكتفى به عن الحد فقال: الاسم رجل وفرس؛ وكأنه لما حد الفعل والحرف تميز عنده الاسم؛ ونحا أبو العباس قريباً من ذلك فقال: فأما الأسماء فما كان واقعاً على معان نحو رجل وفرس وزيد" (شرح المفصل 22/1).

* **تعريف الاسم عند الأخفش:**" الاسم ما جاز فيه نفعني وضرني". قال الزَّجّاجي (ت 337هـ) معلقاً عليه: " يعني ما جاز أن يُخبر عنه، وإنما أراد التقريب على المبتدئ... ولم يرد التحقيق. وفساد هذا الحد بيِّن، لأنّ من الأسماء مالا يجوز الإخبار عنه نحو كيف وأين..." (الإيضاح في علل النحو 48).

***تعريف (الإفراط في الصفة) في كتاب (البديع) لابن المعتز.** قال في معرض عد المحاسن: " ومنها الإفراط في الصفة. فممن ملّح في هذا المعنى إبراهيم بن العباس الصولي في قوله:

يا أخاً لم أر في الناس خِلاً
مثلَه أسْرَعَ هجراً ووصلا
كنت لي في صدر يومي صديقاً
فعلى عهدك أمسيتَ أم لا؟ "

(البديع، ص65-66)

ومن العلماء الذين ورد عندهم المثال بهذا المعنى يحي بن حمزة العلويّ (ت 749هـ) الذي يقول: "اعلم أنّ الأمثلة هي تلو الماهيات في تقرير الحقائق وبيانها، فلهذا أوردناها على أثر كلامنا في الماهية ليتضح الأمر فيما نريده من ذلك. وجملة ما نورده من أمثلة الاستعارة أنواع خمسة: النوع الأول: الاستعارات القرآنية... النوع الثاني: الاستعارة في الأخبار النبوية... النوع الثالث في الاستعارة المأخوذة من كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه... النوع الرابع: في الاستعارة الواردة عن البلغاء وأهل الفصاحة... النوع الخامس: الاستعارات الشعرية. "(الطراز 211/1-226.ن. الطراز 13/3).

وذهب ابن الأثير (ت 637هـ) إلى أبعد من ذلك، حيث نص على أنّ المتعلم يستفيد من الأمثلة ما لا

يستفيده بذكر الحد؛ قال: " وحيث انتهى بي الكلام إلى ههنا، وفرغت مما أردت تحقيقه، وبينت ما أردت بيانه، فإني أتبع ذلك بضرب الأمثلة للاستعارة التي يستفيد بها المتعلم ما لا يستفيده بذكر الحد والحقيقة" (المثل السائر 96/2). ثم يورد من الأمثلة ما ورد في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال العرب، ورسائل المؤلف، والشعر. والتنظير عبارة عن تشبيه ومقايسة. ويطلق عليه في بعض المصادر لفظ (المثال) عند الحديث عن صنف من التعريف هو "التعريف بالمثال". يقول أحمد الرهوني: "التعريف بالمثال هو أن يشبَّه المعرَّف بشيء معروف عند السامع لإيضاح المشبه؛ كأن يُشبَّه العلم بإدراك البصر، بمعنى أن العلم هو انطباع صورة المعلوم في البصيرة كما أن إدراك البصر هو انطباع صورة المُبْصَر في القوة الباصرة." (جريان القلم بشرح السلم 29.ن. تفصيل هذه الفكرة في المستصفى للغزالي 26/1).

ومن أمثلة التنظير قول العلويّ عن الإطناب والإيجاز والتطويل بعد الفراغ من التعريف الاصطلاحيّ: "ومثال ما قلناه من ذلك كمن سلك لطلب مقصد من المقاصد ثلاث طرق، فإنها كلها موصلة إلى ما يريده، فأحدها أقرب الطرق، وهو نظير الإيجاز، والطريقان الأخريان متساويان في الإطالة، وهما نظيرا الإطناب والتطويل، خلا أن أحدهما مختص إما بمتنـــزَّه حسن، أو بمياه عذبة، أو زيارة صديق أو غير ذلك من الفوائد، فهو نظير الإطناب كما لخصناه". (الطراز 232/2-233.ن.12/3، 58، 93).

4- **العناصر المساعدة للتعريف**: وتتجلى في ما يلي:

أ- **التنظير والاستشهاد**: وقد سبق الحديث عنه في (التعريف بالمثال والنظير).

ب- **ذكر القيود وتفسيرها**: فقد شاع تعقب الحد بتفسير قيوده قيداً قيداً في الدراسات البلاغية والنحوية المتأخرة خاصة. وذلك يحتمل الوجوه الآتية في معرض التعليل:

* شعور المحدِّد بأن تعريفه في حاجة إلى بيان زائد على المقدار الذي ينبغي، طلباً لاتضاحه الوضوح الذي لا مزيد عليه.

* إقامة البرهان بالامتحان على أن الحد سالم من النقوض، محفوظ من الإفساد والإبطال.

* رعاية حال المتلقي. ومن مقتضياتها الإنباء عن المقصود بأيّ طريق. وإذا كان المراد لا يتحقق إلاّ بالتفسير والشرح، فليس من الحكمة تركهما.

ثانياً: مفهوم المصطلح المعرَّف:

وبعد، فما هو مفهوم المصطلح المعرَّف؟ إن المصطلح المعرف، بناء على ما سبق، هو:

1- ما شرح معناه بلفظ يرادفه أو يضاده.
2- ما شرح مفهومه بذكر جنسه العام له وفصوله النوعية المميزة؛ أو ما اقتصر في شرحه على الصفات المميزة فقط.
3- ما حصرت سمات مفهومه الدلالية التي تميزه عن مفهوم سواه.
4- ما اقتصر في بيان معناه على مجرد إيراد الأمثلة.

والذي يصلح من هذه الأنواع في حصر القاعدة النصية للمعاجم التاريخية الاصطلاحية هو ما سوى الأول والرابع [1].

مصادر البحث ومراجعه

1. الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق مازن المبارك،ط 4- دار النفائس، بيروت، 1402هـ-1982م.
2. جريان القلم بشرح السلم لأحمد بن محمد الرهوني، المطبعة المهدية، تطوان.1354هـ.
3. شرح المفصل لابن يعيش النحوي، عالم الكتب. بيروت.د.ت.
4. شروح التلخيص (مختصر السعد)، دار السرور، بيروت، لبنان.د.ت.
5. كتاب البديع لابن المعتز، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس أغناطيوس كراتشقوفسكي، ط3 منقحة، دار المسيرة، بيروت. 1402هـ 1982م.
6. كتاب الرد على المنطقيين لابن تيمية الحراني، المصدر بمقدمة سليمان الندوي. دار المعرفة، بيروت، د.ت.
7. كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي اليمني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1400هـ-1980م.
8. كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ط 1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1398هـ- 1978م.
9. الكليات لأبي البقاء الكفوي، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه عدنان درويش ومحمد المصري، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت ،1412هـ-1992م.
10. لسان العرب لابن منظور.
11. المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، قدم له وحققه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة. دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.
12. المستصفى من علم الأصول لأبي حامد الغزالي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
13. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، لأبي محمد القاسم السجلماسي. تقديم وتحقيق علال الغازي؛ ط1- مكتبة المعارف بالرباط، 1401هـ-1980م.
14. Dictionnaire de linguistique : par Jean Dubois et ses collaborateurs, librairie Larousse, Paris, 1973.
15. La Sémantique, par Christian Baylon et Paul Fabre . édition Fernand Nathan.1978.

(1) والذي بقي في النفس شيء منه، بعد المناقشة التي أعقبت إلقاء العرض، هو النوع الرابع فقط.

صناعة المصطلح عند الفارابي

د.نعمان بوقرة (*)

توطئة

شغلت قضية المصطلح الفني اهتمام المفكرين المسلمين في التراث العربي بزخمه وامتداده، وكان لهذا الاهتمام أسباب موضوعية وخصوصيات مرجعية، والظاهر أن الجهود العربية، في خدمة المصطلحية العربية التراثية، تشكل في الحقيقة معالم نظرية استغرق بناؤها زمناً طويلاً، وهذا ما يجعلنا نَسِمُها بكونها نظرية في علم المصطلح. وربما كان المتكلمون أول من اعتنى بهذا المجال المعرفي الذي استرعى انتباه الجاحظ (ت 255 هـ)ويبدو أن من أسباب نضج هذه النظرية الاتصال بالثقافات الأجنبية اليونانية، والفارسية، والهندية، والسريانية، وهذا ما دفع بالمفكرين، على اختلاف تخصصاتهم، إلى الاهتمام بمساءلة اللسان، سابرين أغواره، وباذلين أقصى الجهد في ميدان الوضع، والقياس اللغوي، والاشتقاق، والنحت، والتوليد، والتعريب، والمجاز. ولعلنا، من خلال هذه الدراسة التأصيلية، نسهم في التعريف بجهود أحد أبرز العلماء المسلمين الذين طوعوا اللغة لخدمة المعرفة النقلية والعقلية، في إطار جهد معجميّ مثله الفارابيّ بكتاباته المتميزة.

أ- الفارابي، سيرته وجهوده اللسانية

عرف المهتمون بالفكر الإسلاميّ و الثقافة العربية أبا نصر الفارابيّ، من خلال جهوده المتنوعة في الفلسفة الإلهية و المنطق وكتاباته السياسية والأخلاقية، لكنهم لم يفحصوا آراءه القيمة في ميدان اللسانيات، بشكل مستفيض، خصوصاً عنايته بالصنعة المعجمية [1]، فقد بذل فيها الجهد المنظم، من أجل تطويع اللسان لسائر الأغراض المعرفية، وجعل اللغة وسيلة نفعية ونوعية لحصول ملكات العلوم النقلية والخطابية والبرهانية، ولعل عنايته بالألفاظ التقنية، المستعملة بوجه خاص في المنطق والفلسفة والعلوم اللغوية، شاهد صدق على ذلك الفهم المتكامل لقضايا اللسان وأصول مفرداته واشتقاقاته، والوظيفة التداولية للظاهرة المجازية فيه، وكذا إيقَاع تلك الصيغ على مدلولاتها على نحو معقول و بصورة تدفع اللبس على المتعلمين، ذلك أن الغرض الأساس من الصنعة المعجمية هو تيسير تعليم المبتدئين أصول المعارف. وفي ضوء هذا السياق عُني الفارابيّ بتتبع حياة الألفاظ، مستدعياً التطور الذي طرأ عليها في الألسن المجاورة إلى أن استقرت على حالة واحدة مثلتها الصياغة العربية، ذلك أن تكون اللسان

(*) جامعة عنابة- الجزائر

كنظام يسوغ هذه النظرة التاريخية. ربما يكون من اللازم التعريف بشخصية الفارابيّ، ذلك أن أغلب المراجع القديمة لم تحقق في شخصيته، بما فيه الكفاية، إلى درجة تتـــداخل فيها المعلومات حول نسبه وأصله، وتتنـــاقض الروايـــات أحياناً أخرى، إلا أننا نعرف أنه كان نـــاطوراً في أحـــد البساتين ببغداد مما يعكس انكسار حاله وبساطة عيشه[2] والفارابيّ، فيما تذهب إليه كتب التراجم المعتمدة، هو أبو نصر محمد بن أوزلغ بن طرخان، ولد بفاراب أو فارياب حوالي 870 م الموافق ل 252 هـــ، و لم تنقل المراجع شيئاً كثيراً عن نشأته وسنين حياته الأولى، والظاهر أنه تعلـــم بمسقط رأسه [3]، ثم انتقل إلى بغداد، وهناك أخذ المنطـــق عن أبي بشر متّى بن يونس والتقى بالأصوليّ اللغويّ ابـــن السراج [4]، وقد كانت حينها قبلة للعلمـــاء في مختلـــف العلوم وبخاصة العلوم العقلية والمنطقية، إذ سهر الخلفـــاء أنفسهم على ترجمة أعمال إيساغوجي وجالينوس وأرسطو وأفلاطون والرواقيين والسوفسطائية، ولعلهم أدركوا فائدة هذه العلوم في الذود عن حمى العقيدة الإسلامية، ثم ارتحل الفارابيّ إلى دمشق وأقام بحلب، في بلاط سيف الدولـــة الحمدانيّ، إلى أن وافاه الأجل سنة 399 هـــ الموافـــق ل 950 م، وكان حينها في صحبة الأمير الحمدانيّ في دمشق والتي بها دفن وصلى عليه خلق كبير مـــن عليـــة القـــوم وخاصتهم[5].

لقد كان الفارابيّ شخصية زاهدة واسعة المعارف، إذ جمع إلى المعرفة العقلية فنوناً متعددة مثـــل الموســـيقى والحساب والأدب واللغات[6]، وكان ضـــليعاً في علـــم العربية ناظماً جيداً، له أدعية على اصطلاح الحكمـــاء[7] وإلى ذلك درس الطب والفلك والإلهيات والفقه.... إلخ، وربما يكون من نافلة القول التذكير بأنه ترك ذخيرة علمية مهمة تأست عليها كثير من التصورات النظرية العربية في مجالات شتى، ناهيك عن تأثيره في غـــيره، في منهجـــه وآرائه، من عرب وعجم، إلى درجة أن ما كتب عنـــه في الثقافات الأخرى يفوق بكثير ما كتب عنه باللغة العربية، ويمكن في هذا السياق أن يشار إلى أهم هذه الأمهات:

- إحصاء العلوم، نشر أحمد أمين، مصـــر، وترجمـــه بالنثيا إلى الإسبانية.
- معاني العقل، وهي مترجمة إلى أكثر من لغة.
- فصوص الحكم، مترجم إلى الألمانية-مشـــكوك في نسبته له-
- عيون المسائل.
- آراء أهل المدينة الفاضلة.
- السياسة المدنية، لها ترجمة بالعبرية [8].
- كتاب في الخطابة، وقد ذكر بأنـــه يقـــع في 20 جزءاً.
- التعليقات، مطبعة حيدر آباد 1933م.
- الألفاظ المستعملة في المنطـــق، حققـــه محســـن مهدي،1986.
- كتاب العبارة في المنطق.
- كتاب الخطابة في المنطق.[9]

أما الشروح: فقد شـــرح أرســـطو في الســـماع الطبيعيّ والعبارة والخطابة والمقولات والمغالطة والجـــدل والقياس والأخلاق والآثار العلوية، كما شرح، لبطليموس

الماجسطيّ ولأسكندر الأفروديسيّ، مقالة في النفس[10].

ب – المصطلحات الفنية في كتاب إحصاء العلوم

تناول الفارابيّ جملة من المصطلحات العلمية التي ينتج عن تفسيرها فهم كثير من الحدود العلمية وطرائق البحث في العلوم، وهي محاولة جادة لإنارة الطريق أمام المتعلمين الدارسين للعلوم النظرية والتطبيقية، وربما يكون من المفيد أن يشار إلى بعضها:

- علم الألفاظ المفردة.
- علم الألفاظ المركبة.
- علم قوانين الألفاظ المفردة.
- علم قوانين الألفاظ المركبة.
- علم الشعر
- علم التعاليم ويتضمن تحديد ما يلي :

علم العدد	علم الهندسة
علم المناظر	علم النجوم
علم الموسيقى	علم الأثقال
علم الحيل	
العلم الطبيعي	الأستقسات
الجسم المفرد	الجسم المركب
الكون	الفساد
العلم المدنيّ	الفقه
الكلام	التصور
التصديق	الممكن
ا لواجب	الفيض
النفس	الداء السبعيّ
الخشوع	البهيمية
العقل المنفعل	العقل الفعال

الحقيقة أن الفارابيّ، في كتابه هذا، سعى إلى إحصاء الألفاظ الفنية من حيث هي علامات واقعة على العلوم، بل يمكن عد هذا الجهد، على اختصاره، قاعدة بيانات لتأسيس معجم تعريفيّ، كالذي قدمه التهانويّ، والشريف الجرجانيّ والقنوجيّ، والخوارزميّ هذا الأخير الذي تأثر به أيما تأثر، [11] والرازيّ. هذا وقد أشاد بقيمته التعريفية القاضي صاعد بقوله "ثم له كتاب شريف في إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها لم يسبق إليه، ولا ذهب أحد مذهبه فيه، ولا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به وتقديم النظر فيه "[12].

إن مايجب التأكيد عليه أن الفارابيّ، في مساردة للمصطلح، قصد خدمة اللسان، ذلك أنه يخاطب المثقفين و الأدباء فهم أحوج الناس إلى معرفة فنون العلوم والآداب، أما طريق ضبط هذه المصطلحات فهي، كما أشرنا سلفاً، قائمة على:

ج–الاختراع و التعريب [13]: بالرغم من أنه لم يترك مؤلفاً مباشراً في الحدود والرسوم، إلا أن تحديداته وردت متناثرة في مؤلفات مهمة، مثل الألفاظ المستعملة في المنطق، وكتاب الحروف والثمرة المرضية في الرسالات الفارابية، وكذا رسائله، بخاصة الرسالة رقم–11 –[14].

لقد مثل الفارابيّ مرحلة نشوء المصطلح الفنيّ والفلسفيّ، بالإستناد إلى التعريب والترجمة ثم التعريف، مع محاولة نقل الألفاظ من معناها العام إلى المعنى الخاص، وقد كان هذا الجهد تعبيراً عن نضج اللغة الفلسفية في الترجمات اليونانية إلى العربية، وبخاصة كتب أرسطو. ثم تبعه جابر بن حيان، والخوارزميّ، وابن سينا [15]، والغزاليّ، وهذان الأخيران مثّلا مرحلة استقرار المصطلح العلميّ وشيوعه في المحافل المتخصصة .[16]

إن محاولة الاقتراب من النص الفارابيّ، في أبعاده التعريفية و الدلالية و تفكيك بنيته الفلسفية ذات التركيب اللسانيّ، يفرض على الدارس اليوم بذل الكثير من الجهد من أجل استشراف عوالم دلالية جديدة يزخر بها النص القديم، خصوصاً وأن هذا النص تحمل أعباء عرضه نظرية لسانية تصف انفتاح اللسان على مفاهيم ومعان وقواعد مختلفة باختلاف المعارف التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية، والتي تشبع بها كأحد أقطاب الفكر الإسلاميّ فهو، كما وصفه مصطفى عبد الرازق وعاطف العراقيّ، فيلسوف العرب ومفكرهم ومؤسس فلسفتهم العربية، في ضوء إعادة ترتيب لمعجمها الخاص المؤسس على خصائص العربية في التعرف والبناء والاشتقاق والمجاز، إذ من المتعارف عليه، بين كثير من الدارسين، أن أكثر النصوص وأشهرها في مجال المصطلحية تلك التي قدمها الفلاسفة.

إن المنهجية الفارابية في التطبيق المعجميّ، قائمة على توضيح المفاهيم المفردة، بالاعتماد على الألفاظ المفردة، أو كما عبر بكونها أجناس الأشياء البسيطة التي يقع الكلام عليها، وبالتالي الحديث على كل الصنائع المنطقية، بالاعتماد على إبراز الفروق الدلالية بين الأسماء المفردة الدالة على أجناس المعقولات المفردة، مما يمكّن لاحقاً من فحص الفروق بين الدلالة اللسانية العامة و الدلالة التقنية الخاصة. إن جهود الفارابيّ لم تنطلق من فراغ، بل كانت مؤسسة على خلفيات معرفية منها اللسانيّ ومنها الفلسفيّ ومنها المنهجيّ، وبالتالي سنجده يستنير بكل ما أنجزه الآخرون كالكنديّ، من الفلاسفة وعلماء صناعة المعجمات والنحويين، وفي هذا السياق تتزل تفكيره اللسانيّ في أصل الألسن وتكونها وتطورها، وتغير الألفاظ على المستوى الدلاليّ والتداوليّ، بخاصة الألفاظ التقنية التي يمكن عدها لغات خاصة تؤدي وظيفة اللغة الشارحة، وهذا ما مكن من بناء نواة لقاموس متخصص، يستمد منظومته المعرفية من الفلسفة والمنطق وبناءه التنظيميّ من اللسان العربيّ.[17]

لقد قارب الفارابيّ مسألة من أهم المسائل التي أثارها الفكر الإسلاميّ وهي التسمية وطبيعة علاقة الاسم بمسماه، وقد امتد النقاش في هذه القضية إلى حقول معرفية أخرى،[18] وأخذت المسألة بعداً غيبياً، وسيسمح هذا النقاش بفحص كل التصورات المنهجية التي تقف كمعادل موضوعيّ لعلاقة المصطلح بالوظيفة النفعية للسان في حياة الجماعات، وتكشف عن الاجتهاد العربيّ في مجال تقنين المصطلحات العلمية المتخصصة، وكذا الاستنجاد ببعض الأسس المنهجية في وضع المصطلحية وضبطها، وفق سنن التطور اللسانيّ وخصائص العربية، وحاجة المجتمع بعامة والفئات المتخصصة. لقد وضع الفارابيّ، على حد تعبير ماسينيون، القواعد الأساسية للمصطلح الفنيّ، أماقبله فقد أخذوا طرقا أخرى مختلفة [19].

د- تكوين اللسان

ينطلق الفارابيّ من مبدأ مهم، في تفسيره لظاهرة تكوين اللسان، هو مبدأ الخفة بقوله : اللسان يتحرك إلى الأسهل، وهذا المبدأ لا يؤطر لساناً بعينه بل هو ميزة عامة لكل الألسن، وهذا ما يقرب آراءه من التصورات اللسانية الحديثة، في بعدها الشموليّ، ولعل تصوره للنسق اللسانيّ الفنولوجيّ دليل على ذلك، إذ يقول: **"ولأن هذه إذاجعلوها علامات أولاً كانت محددة العدد لم تف بالدلالة على جميع ما يتفق أن يكون في ضمائرهم، فيضطرون إلى تركيب بعضها إلى بعض بموالاة حرف**

حرف، فتحصل في ألفاظ من حرفين أو حروف فيستعملونها علامات أيضاً لأشياء أخرى"[20] ، والمقصود أنه انطلاقاً من عدد محدود من الفونيمات يمكن التأليف بينها لإنتاج عدد كبير من الألفاظ الدالة على معاني الأشياء، والحروف المقصودة-هنا- هي الحروف المعجمة لا الحروف المهملة، وهي التي عناها ابن دريد في كتابه الجمهرة: **فأول ما يحتاج إليه الناظر في هذا الكتاب، ليحيط بعلمه بمبلغ عدد أبنيتهم المستعملة والمهملة، أن يعرف الحروف المعجمة التي هي قطب الكلام بمخارجها و مدارجها وتباعدها وتقاربها، وما يأتلف منها وما لا يأتلف وعلة امتناع ما امتنع من الائتلاف وإمكان ما أمكن ...**[21].

إن عناية الفارابيّ بالحروف المعجمة تتنزل في سياق وصفه لعناصر تكون اللسان، المتمثلة في الوحدات المعجمية الدالة بالوضع والألفاظ الدالة على وجه خاص في المنطق، يقول: **فينشأ من نشأ فيهم على اعتيادهم النطق بحروفهم و ألفاظهم الكائنة منها وأقاويلهم المؤلفة من ألفاظهم من حيث لا يتعدون اعتيادهم ومن غير أن ينطق عن شيء إلا مما تعودوا استعمالها، ويمكن ذلك اعتيادهم لها في أنفسهم و على ألسنتهم حتى لا يعرفوا غيرها، وحتى تحفو ألسنتهم عن كل لفظ سواها وعن كل تشكيل لتلك الألفاظ غيرالتشكيل الذي تمكن فيهم وعن كل ترتيب للأقاويل سوى ما اعتادوها .**[22]

إن تتبعنا لمجمل تصورات الفارابيّ اللسانية يفضي إلى الاعتراف بأن تفكيره ليس وصفاً لأصل مفترض في اللسان ولا رغبة في إعادة تكوين فرضية لبداية تشكله، ولكن سعياً إلى تحليل اللسان بوصفه منظومة عناصر وظيفية مهمته نقل المعرفة وإقامة الاتصال، وربما نزعم قائلين إنها مقاربة للسان من الداخل، ذلك أنها تبحث في طبيعته ووظيفته، وهذا مايجعل من التفكير في المسألة، منذ البدء، موسوماً بسمة ذرعية.

وعلى صعيد الوظيفة التداولية للسان يبين الفارابيّ كيفية شيوع الألفاظ وانتشارها، فيقول :

الناس تتفق على ألفاظ محددة فيما بينهم، معروفة معانيها ودلالاتها لهم، وقد يستعمل الواحد تصويتا أولفظة في الدلالة على شيئ ما عندما يخاطب ذلك فيستعمل السامع ذلك بعينه عندما يخاطب المنشيء، فيحفظ السامع الأول لتلك اللفظة، ويكون السامع الأول قد احتذى بذلك فيقع به فيكونان قد اصطلحا وتواطئا علىتلك اللفظة، فيخاطبان بها غيرهما إلى أن تشيع عند الجماعة، وهكذا تحدث الألفاظ والتصويتات واحدا بعد آخر ممن اتفق من أهل ذلك البلد... ولايزال يدبر أمرهم إلى أن توضع الألفاظ لكل ما يحتاجون إليه في أمورهم فتصبح الألفاظ متداولة بينهم[23].

وربما كان هذا فحصاً لمراحل نشأة المعارف التي تبدأ في النشوء والتكون عندما تقيم جماعة في مسكن واحد وبلد واحد فيفطر أفرادها، بتأثر ظروف المناخ ووسائل العيش، على استخدام التصويت، فتنشأ اللغة،[24] وذلك بأن تستقرالألفاظ على المعاني ثم يعمد المتكلمون إلى النسخ والتجوز والاستعارة في العبارة، فتكثر الألفاظ ويستبدل بعضها ببعض، إلى أن تحدث الصناعات الخطبية ثم الشعرية [25].

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، إذ يعمد أفراد المؤسسة الاجتماعية إلى حفظ هذه الصناعات، المعبر عنها

بألفاظ اللسان بوساطة الكتابة، ثم يظهر علم اللسان تتويجاً لجهود حفظ مفردات اللغة، بعد تحققّ سماعها من أفواه الناطقين بها، ثم تأتي مرحلة التقعيد للمنظومة النحوية المشكلة للمنوال اللسانيّ الذي سيرسخ تدريجياً في أذهان المتعلمين، ويحتاج غالباً، في هذا السياق، إلى تحديد المصطلحات التي تكون مفاتيح العلم في العملية التعليمية.

أما المعارف العقلية الاستدلالية، فتمثل المرحلة الثانية في سلم التطور المعرفيّ بتعدد أبعاده اللسانية والمنطقية والاجتماعية والنفسية فتتحدد -عنده- برغبة النفوس إلى معرفة أسباب الأمور المحسوسة في الأرض وفيما يحيط بحياة الإنسان وعلل هذه الأشياء، سالكين مسالك متعددة، أولها الطرق الخطبية ثم الجدلية ثم الرياضية، إلى أن تتحدد في النهاية معالم العلم المدنيّ أو الفلسفة النظرية، وعلى المستوى التعليميّ لها، يوصى باتباع طرق التخييل وضرب المثال لأن ذلك هو الأقرب لأفهام الجماهير وهي مهمة خاصة بالفلاسفة [26].

ومن صور تكون القاموس اللسانيّ، توليد الصور البلاغية التي تسمح بتطور الذخيرة اللسانية، وإغناء المعارف بالألفاظ المرافقة للمعاني اللامتناهية، ولعل النص التالي يوضح صحة ما ذهب إليه. يقول الفارابيّ: "**صار الناس بعد ذلك إلى النسخ والتجوز في العبارة بالألفاظ فعبر بالمعنى بغير اسمه الذي جعل له أولاً وجعل الاسم الذي كان لمعنى ما راتباً له دالاً على ذاته عبارة عن شيء آخر متى كان له به تعلق، ولو كان يسيراً إما لشبه بعيد، وإما بغير ذلك، من غير أن يجعل ذلك راتباً دالاً على ذاته**"[27].

إن هذا التجوز، سيجد له ميداناً خصباً في مجالات متعددة، كالنحو، والبلاغة، والمنطق، والفلسفة، والأدب، والرياضيات، والفلك، والطب، والهندسة... إلخ. ويزيد الفارابيّ القضية بياناً بفحصه للوظيفة التداولية للسان، في علاقتها بالمستوى المعجميّ، مشيراً إلى دور مجموعة من الحكماء العارفين باللسان في إثراء معجمه، وربما أمكن تشبيه دورهم بالمجامع اللغوية المحدثة لهذا الغرض، وتقف وظيفتهم حسبه عند:

ا- تركيب ألفاظ لم تكن مركبة من قبل، وتفعيلها لسانياً بجعلها مرادفة للألفاظ المشهورة.

ب- إحياء المصطلحات المهجورة في الاستعمال وإشاعتها بين المتعلمين. [28]

ج- إهمال الألفاظ التي لم يعد لوجودها مبرر معرفيّ.

د- تخليص اللسان من الألفاظ العسيرة في النطق، واستبدال بها اليسيرة في النطق والسمع.

هـ- ضبط القواعد التي تسمح باكتساب تراكيب فصيحة، منسجمة مع معاني النفس.

و- تعليم النشء، بالاعتماد على النصوص، قراءةً وتسميعاً وحفظاً، حتى يعتاد عليها[29].

إن هذه المؤسسة، بحكمائها وحفظتها ورواتها، تعد صمام الأمان لحفظ توازن المنظومة اللسانية، وتداولية القاموس اللغويّ ونموه، وفق متطلبات الحياة، وهذا ما عبرت عنه الجملة التالية:... والغابر يحفظ ما أنجزه الماضي... [30]. وبالتالي، سيكون هناك تواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل، في سياق تشكيل اللسان العام واللغات النوعية الخاصة بالعلوم، ولعل هذه الفكرة تشبه في مضمونها ما قرره الأزهريّ (ت970 هـ) وهو معاصر للفارابي، في إشارته لدور المعجميّ في حفظ اللسان،

وصيانة اللسان، بالاعتماد على السماع والمشاهدة (31).

ولا بد في مبدأ السماع، الذي يعول عليه في تحصيل الذخيرة اللسانية، من الاعتماد على ما يمكن تسميتهم بالمتكلمين المستمعين المثاليين، أو العرب الفصحاء الذين لايختلف في سلامة ألسنتهم من العجمة، وهم الذين اكتسبوا، بفعل عاداتهم اللسانية التي يمارسونها دون انقطاع، قدرة وكفاءة تحميهم من اكتساب ألفاظ أخرى غير التي تتألف من حروفهم الخاصة، بل المطلوب أن تطلب هذه الألفاظ ممن يعسر عليهم تخير حروف أخرى، ونطقها غير التي في لسانهم، وهي المثالية المطلوبة (32).

وعليه يمكن أن يرافق تكوين القاموس الاهتمام بالشروط الضرورية التي يجب تحققها في المخبر اللساني والذي يجب أن يكون منتمياً إلى سكان أعماق الصحراء. هذا، وقد حدد الفارابيّ البعد الجغرافيّ الذي يؤطر جملة القبائل المحتج بفصاحتهم وعليها التُّكلان، في الغريب والإعراب والتصريف.

وعلى صعيد ترتيب نشوء المعارف زمنياً، و تنزل العلاقة الرابطة بين الدينيّ والفلسفيّ، و ضمن ارتقاء المعرفة من النمط الخطابيّ إلى النمط الجدليّ، يفحص الفارابيّ أثر الدين والفلسفة في تطوير القاموس اللسانيّ. فبالنسبة للدين، يمكن معاينة:

1 -تدخله في ابتكار ألفاظ جديدة أو نقلها من دلالاتها الوضعية إلى أخرى. (33)

2- أما الفلسفة، فحالها لايختلف عن حال الدين، وهذا ما أفصح عنه في قوله : ..."وإن حدث فيهم الجدل أو السفسطة واحتاج أهلها أن ينطقوا عن معان استنبطوها لم تكن لها عندهم أسماء، إذ لم تكن معلومة عندهم قبل ذلك، فإما اخترعوا لها ألفاظاً من حروفهم، وإما نقلوا إليها أسماء أقرب الأشياء إليها. (34) ويذهب الفارابيّ بعيداً على صعيد البعد المعرفيّ في عملية ترجمتها من حيث تأكيده على ضرورة أن يعرف المترجم اللغتين، يقول : فإنّ على أهلها أن ينظروا إلى الألفاظ التي كانت الأمة الأولى تعبر بها عن معاني الفلسفة، ويعرفوا عن أي معنى من المعاني المشتركة معرفتها عن الأمتين هي منقولة عن الأمة الأولى فإذا عرفوها أخذوا من ألفاظ أمتهم الألفاظ التي كانوا يعبرون بها عن تلك المعاني العامية بأعيانها فيجعلوها أسماء تلك المعاني (35). كما يرشد الفارابيّ، في حال غياب دلالات في لسان ما، أن تخترع ألفاظ من حروف اللغة، فإن تعسَّر ذلك، يمكن الالتجاء إلى التشريك في المعاني، وإما يعمد إلى تغيير طفيف يمس كيفية نطق اللفظة، في حال وضعها الأول، مما يسهل على المتكلم استخدامها في وضعها الثاني (36) وهذا النوع من التكييف يحيل إلى تبني المصطلحات كما هي، تعبيراً ومفهوماً، وربما كانت هذه الفكرة امتداداً للفحص اللسانيّ الذي قام به الخليل بن أحمد في أبنية الكلام العربيّ، فقد نص في كتابه العين على أن ورود الكلمة الرباعية أو الخماسية، معراة من أحرف الذلاقة أو الأحرف الشفوية، دليل على خضوعها للتعريب، أو أنها ليست من أصل عربيّ، فقد تكون فارسية أوسريانية أو رومية (37)، وقد ضرب الفارابيّ نفسه أمثلة على الاستفادة من الاشتقاق في ابتكار الألفاظ ذات الدلالة الخاصة مثل: الإنسانية والرجولة والبنائية، مما يجري مجرى المصادر والمصادر الصناعية، وتذهب بعض الدراسات إلى أنه أول من استعمل المصدر الصناعيّ في توليد الألفاظ مثل : العالمية والإنسانية والرهبانية، حتى توسع في ذلك فصار من مادة

اللسان، ممهداً إلى ظهور جم غفير من المصطلحات الفنية.

هـ- التسمية

إن أصل التسمية، نابع عن اضطرار الإنسان للتعرف على كل ما يحتاجه مما يرتبط بأعماله في الحياة، وعلاقته بالآخرين وكذا ما تقع عليه حواسه، وهذا ما يسوغ تعالق التسمية بالمعرفة الحسية، من حيث هي أساس المعرفة العامة أو العلمية، إن صح هذا الوصف.

وعلى صعيد آخر، يقرر الفارابيّ ترابط الألفاظ بالمعاني على نسق منطقيّ مرتب ينفي سمة الاعتباطية عن التسمية، وربما نفهم ذلك من قوله: وهكذا يطلب النظام في الألفاظ تحرياً لأن تكون العبارة عن المعاني بألفاظ شبيهة بتلك المعاني، وهذا ما يضفي على التسمية السمة المنطقية بهدف تمييز ما هو ثانويّ في اللسان عما هو أساسيّ، ثم إعادة بنائه استدلالياً، تحقيقاً للدقة ورفعاً للبس.

و- اللسان الخاص ومنظومات المعارف

قد يكون من الممكن بعد عرض عناية الفارابيّ بتكون اللسان كأداة منظمة للتبليغ تفحص تحليله في ميدان اللسان الخاص أو ما يصطلح عليه بلغات العلوم انطلاقاً من مسلمة تعبر عن اختصاص كل صناعة بقاموس لفظيّ تقنيّ تلعب الألفاظ فيه دور الدوال المحيلة على مدلولات معينة، يقول في كتابه الألفاظ: .. **وينبغي أن نعلم أن أصناف الألفاظ، التي تشتمل عليها صناعة النحو، قد يوجد منها ما يستعمله الجمهور على معنى، ويستعمل أصحاب العلوم ذلك اللفظ بعينه على معنى آخر. وصناعة النحو تنظر في أصناف الألفاظ بحسب دلالاتها المشهورة عند الجمهور، لا بحسب دلالاتها عند أصحاب العلوم، ولذلك إنما يعرف أصحاب النحو من دلالات هذه الألفاظ دلالاتها بحسب ما عند الجمهور، لا بحسب ما عند أهل العلوم.** قريب منه في الحروف قوله: .. ومما ينبغي أن تعلمه أن لفظاً، على شكل ما وبنية ما، يكون دالاً بنفسه على شيء ما بمعنى أو على معنى بحال ما، ثم يجعل ذلك اللفظ بعينه دالاً على معنى آخر، مجرد عن تلك الحال فتكون بنيته بنية مشتق يدل في شيئ ما على ما تدل عليه سائر المشتقات، ويستعمل بتلك البنية بعينها في الدلالة على معنى آخر، مجرد عن كل ما تدل عليه سائر المشتقات [38]. وهذا يقود حتماً إلى الإقرار بأن الألفاظ المستعملة في العلوم يمكنها أن تكون ذات معان ليست من معاني اللغة اليومية المتداولة، وهذا ما دفع بالعلوم، عبر التاريخ، إلى أن تتخذ لها معاجم خاصة تكون ألفاظها مداخل للمفاهيم.

ويواجهنا الفارابيّ، في عملية إعداد القاموس التقنيّ، بقاعدة جوهرية إذا كان متعلقاً بمعرفة منقولة من فكر لآخر، عن طريق التعريب والترجمة ، وهي ضرورة الانتباه لمعقولية اللفظ في علاقته بالمعنى، ذلك أن الألسن تقطع العالم كحقائق بمضامين مختلفة، وبالتالي قد يحدث اختلاف في المفاهيم وهذا ستكون له تبعات وخيمة في وضع مقابله باللسان الثاني، كما سيقع المتعلم ضحية لهذا اللبس، لقد وجدنا لهذا التصور النظريّ تمثلاً تطبيقياً في كتاب التقريب لفن المنطق، لابن حزم الأندلسيّ، الذي استشعر، على المستوى البيداغوجيّ، إشكالية وضع المصطلح وتعريبه وترجمته ثم تعليمه والاستشهاد له بالأمثلة العامية التي تمثل عنده اللسان العام الذي تحدث عنه الفارابيّ [39].

ز- مشكلات الترجمة

ثمة ملاحظة تجب الإشارة إليها في سياق عناية

العرب بالصناعة المعجمية تتمثل في وقوفهم عند إشكالية الترجمة، إذ إن اللغة قد تأثرت بالمراحل التي مرت بها الترجمة، فالكلمات المنقولة إلى العربية مرت برحلة طويلة، فمن اليونانية إلى السريانية، ثم إلى العربية، وأحياناً من الهندية، وكل ذلك قد أخل بالمعنى الحقيقيّ، إذ من الأكيد أن اللفظ إذا ابتعد عن موطنه وسياقه تطرأ عليه معان جديدة وتغيرات تمس بنيته الشكلية، والأمثلة على ذلك كثيرة، وهذا سيحمل المترجم طاقة كبيرة ليستمكن من مقاربة المعنى الحقيقيّ وتوفير اللفظ المناسب[40] الذي سيسمح للسامع بتحديد المعنى المراد في موطنه الجديد، بعد المعنى الذي كان له في موطنه القديم. لقد أدت هذه القضية إلى طرح الإشكاليات التالية :

– صعوبة فهم معنى اللفظة المستعارة لدى القارئ العربي، أوصعوبة تحديد المصطلح اليونانيّ في حقل من الحقول المعرفية، واقتضى هذا اللجوء إلى التعريب مثل:

الأنالوجيا	القياس	Analogie
ناموس	قانون	Namus
كاتيغورياس	المقولات	Kateegrias

– غياب أدنى القواعد الضابطة لعملية انتقاء الألفاظ الدالة على المعاني الأصلية.

– اللجوء إلى تحريف المعاني الأصلية، طلباً لإحداث التوافق المفهوميّ في الذهنية الإسلامية والعربية [41].

– غلبة النظرة الحسية للقضايا على التصور التجريديّ، مما يطرح مشكلة مقابلة المعاني الميتافيزيقية على بساط النقاش، وهذا ينم عن اختلاف الألسن في تقطيع العالم الخارجيّ، وبالتالي التحكم في نظرة المجتمع للكون [42]. والحق أن لهذه الترجمات المتعددة دوراً فعالاً في صياغة العقل العربيّ وتوجيهه نحو التفكير في المسائل الكونية، وجعله أكثر فعالية وإنتاجية.

وفي هذا السياق، أوصى الفارابيّ بضرورة الاعتماد على قوانين تشترك فيها الأمم، ولا ينظر في شيء مما يخص ألفاظ أمة ما، بل يؤخذ من ذلك عند أهل العلم بذلك اللسان[43].

ح– الممارسة المعجمية عند الفارابيّ

تترجم مؤلفات الفارابيّ في مجملها وعيه ووعي معاصريه، من نحويين وفلاسفة ومتكلمين، بتاريخ تكون اللسان والعوامل التي ساعدت على تكون القاموس اللسانيّ للمعارف النقلية والعقلية بوجه عام، سواء أتعلق الأمر بالثقافة العربية أم بالثقافة الوافدة، مما يعطي بعداً شمولياً للرؤية المنهجية، ويسمح لها بأن تقدم نفسها كأساس لنظرية أصيلة في المعجمية العربية، وربما كان من اللازم أن يعرض إلى كيفية تمثل الفارابيّ نفسه للمقترحات النظرية التي قدمها، ورغم عدم قدرتنا على إجراء جرد كامل للألفاظ الدالة على المفاهيم الفنية المتخصصة، والتي تمثل جانباً من الذخيرة اللسانية الحية في الاستعمال الفلسفيّ والأدبيّ والمنطقيّ، إلا أننا نشير إلى بعض الملاحظات الجزئية ذات الخصوصية اللسانية والتعليمية، ذلك أن تحديد المصطلحات وضبط قوائمها ييسر للدارس سبيل التحصيل العلميّ[44]، ومن أمثلة ذلك الألفاظ التالية: أنالوطيقا، ريطوريقا، سوفسطيقا، طوبيقا، إيساغوجيّ، الذات، الجوهر، المحاكاة، العرض... وللتوسع في هذه المسألة يمكن أن نأخذ، من كتابه الحروف، لفظة العرض لنبين دلالتها.

يذكر الفارابيّ أن لها دلالتين: أولى لسانية، وهي

كل ما كان نافعاً في الدنيا، كما يقال على كل حادث سريع الزوال، أما الثانية فمنطقية، وهي الصفة المتعلقة بأمرما لم يكن محمولاً على الموضوع، ولم يكن المحمول داخلاً في ماهية الموضوع أصلا (45).

الجوهر

ماقيل عن العرض يقال عن الجوهر، فهذا اللفظ يدل على:

- المعدن النفيس.
- الجانب المعنويّ والأخلاقيّ.
- الماهية أو الصورة.

المحاكاة

تدل هذه اللفظة على أحد معنيين هما: التشبيه والظلال المنعكسة في المرآة (46).

الفلسفة

اسم الفلسفة يونانيّ، وهو دخيل في العربية، وهو على مذهب لسانهم فيلسوفاً ومعناه أثار الحكمة، وهو مركب من فيلا، ومن سوفيا، ففيلا الإيثار، وسوفيا: الحكمة والفيلسوف على مذهب لسانهم فيلوسوفوس (47).

إن تحديدات الفارابيّ الاصطلاحية تهدف إلى ترسيخها في اللسان والاستعمال، ولعله كان يرى ضرورة نقل العقل العربيّ من مرحلة التجريد الأولى التي توضع فيها الألفاظ، بهدف إقامة التواصل، إلى مرحلة ثانية أكثر جاهزية في الكشف عن العلاقة بين الألفاظ والأقاويل من الناحية المنطقية(48).

القول:

القول مركب من ألفاظ، والنطق والتكلم هو استعماله تلك الألفاظ والأقاويل وإظهارها باللسان والتصويت، ملتمساً الدلالة على ما في ضميره (49).

الملكة:

والثلث القوة النفسانية المفطورة في الإنسان التي بها يميز التمييز الخاص بالإنسان دون ما سواه من الحيوان، وهي التي يحصل الإنسان بها المعقولات والعلوم والصنائع، وبها تكون الرؤية، وبها يميز بين الجميل والقبيح من الأفعال، وهي توجد لكل إنسان، حتى في الأطفال، لكنها نزرة لم تبلغ بعد أن تفعل فعلها.(50)

الخاتمة

إن البحث الفلسفيّ العربيّ القديم، الذي تشكل بفعل مجموعة من العوامل، كان له الفضل الكبير في إثراء الذخيرة اللغوية للعربية وتقديم بدائل موضوعية تسهم في حل إشكالية المصطلح الفنيّ الذي ظل هاجس الدارسين على اختلاف تخصصاتهم، قديماً وحديثاً، في الشرق أو في الغرب، ولعلنا نكون الأكثر تضرراً، في مجال ضبط المصطلح وتوحيده بل وضبط المنهجية ذاتها والتي تسمح لنا بفحص جميع الأدوات التي تمكن من إغناء اللسان العربيّ وجعله أكثر فعالية في الحراك الثقافيّ والعلميّ والاقتصاديّ، وربما نكاد نجزم بأن أهم سبب في ظهور إشكالية المصطلحات هو عدم تحكمنا في التقدم العلميّ بمختلف مستوياته، والدليل على ذلك أن القدماء لم يعانوا من هذه الإشكالية إلا الشيء القليل، في بداية تشكل دولتهم، لنأتي في النهاية فنقول بأن الأزمة ليست في اللسان كما أنها ليست في كيفية وضع المصطلح بل في الإنسان العربيّ ذاته، وطريقة تفكيره و علاقته بالآخر، في ظل المتغيرات الحضارية الراهنة وما تطرحه من إشكالات على الصعيد المعرفيّ والمفهوميّ والمنهجيّ.

المصادر والمراجع

الفارابيّ ، (أبو نصر ت 339هـ)

1- إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط 03، 1968.

2- الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق محسن مهدي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،1968.

3- الحروف، تحقيق محسن مهدي، بيروت،1970.

4- رسالة في قوانين صناعة الشعر، ضمن كتاب فن الشعر لعبد الرحمن بدوي.

ابن أبي أصيبعة (موفق الدين بن يوسف ت 668 هـ)

5- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، دت.

الأزهري (محمد بن أحمد بن الأزهر)

6- تهذيب اللغة، تحقيق محمد عبد السلام هارون، القاهرة، 1964

جوزيف شريم

7- الفارابيّ، أعلام الفكر العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط1،1960.

جيرار جيهامي

8- الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية، دار الشرق، بيروت،1994.

روزنتال، (فرا نز)

9- مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس، فريحة،1961.

ابن دريد،(محمد بن الحسن)

10- جمهرة الكلام، ط الهند.

الذهبي (عبد الحي بن أحمد الدمشقي ت 1089 هـ)

11- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، دار الرسالة، بيروت، ط 3 ،1413 هـ.

زينب عفيفي

12- فلسفة اللغة عند الفارابيّ، تصدير عاطف العراقي، دار قباء، القاهرة،1997.

حاجي خليفة (أحمد بن مصطفى ت 1067)

13- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر،1982.

ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد ت456 هـ)

14- التقريب لحد المنطق المدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق إحسان عباس، منشورات مكتبة الحياة، بيروت،1959.

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين ت 681 هـ)

15- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دارالثقافة، بيروت، ط 02،1968.

الخليل (ابن أحمد الفراهيدي)

16- العي، تحقيق عبد الله درويش، بغداد،1967.

صاعد الأندلسي

17- طبقات الأمم، نشر لويس شيخو،1912.

عبد الأمير الأعشم

18- المصطلح الفلسفي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 02، 1989.

عبد السلام بن عبد العال

19- الفلسفة السياسية عند الفارابيّ، دار الطليعة، بيروت، ط 2.

علي عبد، الواحد وافي

20- علم اللغة، مكتبة النهضة، القاهرة، ط04،1947.

القنوجي (صديق بن حسن ت 1307 هـ)

21- أبجد العلوم الشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1978.

الكاتبي، نجم الدين

22- الشمسية في القواعد المنطقية، تحقيق مهدي فضل الله، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1998.

لويس ماسينيون

23- محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية، ترجمة زينب الخضري، المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، 1913.

ابن، النديم (محمد بن إسحاق ت 438 هـ)

24- الفهرست، تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1985.

ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله ت 626 هـ)

25- معجم البلدان، مطبعة الخانجي، مصر 1906.

26-TROUBETEZKOY, Principes de phonologie, tra Cantinean, Paris, p 54.

الهوامش

1- زينب عفيفي، فلسفة اللغة عند الفارابيّ، ص 8، وانظر حورار جيهامي، الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية، ص 101،

2- عيون الأنباء،1 603.

3- جوزيف شريم، الفارابيّ، أعلام الفكر العربي ص16 و 17.

4- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء،606/1.

5- ابن خلكان، وفيات الأعيان،154/5 وياقوت الحموي معجم البلدان،145/05. وابن النديم، الفهرست ص 368. وصاعد، طبقات الأمم، ص 53.

6- القنوجي، أبجد العلوم،104/2.

7- الذهبي، سير أعلام النبلاء،416/15.

8- في أهمية الفلسفة السياسية عند الفارابيّ، انظر عبد السلام بن عبد العال، الفلسفة السياسية عند الفارابيّ.

9- الكاتبي، نجم الدين القزويني، الشمسية في القواعد المنطقية، ص 12.

10- حاجي خليفة ، كشف الظنون،1 /682.

11-عبد الأمير الأعسم، أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات، بيروت ط 02، 1983، ص 259.

12- صاعد الأندلسي، طبقات، الأمم، ص 62.

13- عبد الأمير الأعسم، المصطلح الفلسفي، ص 61.

14- طبعت الرسالة الأولى في ديتريصي سنة 1890 بليدن، والثانية بحيدر آباد، سنة 1926.

15- انظر تأثير مدرسة الفارابي في أعمال ابن سينا في شذرات الذهب 349/1.

16- الأعسم، إنجازات الفارابيّ المنطقية، مجلة دراسات الأجيال، عدد 5، سنة 1983، ص 165.

17- جيرار جيهامي، الإشكالية اللغوية، ص 35.

18-أنظر رأي الفارابيّ في التقاء النحو بالمنطق في إحصاء العلوم، ص 54 وكتاب الحروف، ص 137 ويمكن متابعة مقالة بيومي مدكور، منطق أرسطو والنحو العربي، مجمع فؤاد الأول،1948.

19- لويس ماسينيون، نظرات في تاريخ الإصطلاحات الفلسفية العربية، ترجمة زينب الخضري، ص 06.

20- الحروف ،ص 136.

21- ابن دريد، الجمهرة، ص04، عاصر الفارابيّ ابن دريد ولعله اطلع على طريقته في الصناعة المعجمية.

22- الحروف، ص 141.

23- الحروف، ص 137.

24- الحروف، ص 134.

25- المصدر نفسه، ص 141.

26 -الحروف، ص152.

27 -المصدر نفسه، ص 141.

28- كانت هذه الطريقة متبعة عند الكندي الذي حاول توليد الألفاظ، مستعينا بمبدأ القبول في اللسان، مثل كلمات: جوهر، عرض، نوع شخص، صورة، عنصر، الأيس، رسالة الحدود والرسوم، ص 192.

29- الحروف ص 143.

30-الحروف، ص 143، ولعل هذا الحفظ سيكون أكثر جلاء حين تنوب الكتابة، كاختراع مهم في الحضارة الإنسانية، عن الذاكرة والشفاهية، وهذا ما أدركه الفارابيّ، ص 144.

31- الأزهري، تهذيب اللغة، 06/1.

32- الحروف، ص 145، ربما أتاحت لنا هذه الفكرة تفحص بعض الأراء الفنولوجية المعاصرة، كالتي نجدها عند تروبتسكوي، في كتابه مبادئ الصوتيات، الذي يبين فيه اعتماد الإنسان على منظومة لغته الأم، حتى إذا سمع آخر يتكلم بلغة أخرى فإنه، لا إرادياً يعود إلى محكمته الفنولوجية لتمييز الفنونميات، أنظر :

TROUBETZKOY. Principes de phonologie, tra ; jCantinean, p 54.67

33- الحروف، ص157.

34- الحروف، ص 157.

35- الحروف، ص 157.

36- المصدر نفسه، ص 157.

37- الخليل، العين، ص 52. وانظر، في هذا المجال، بعض الأمثلة عند علي عبد الواحد وافي، علم اللغة ص 50 وما بعدها.

38- الحروف، ص71، وهذا ما جعل المحقق يدافع بقوة عن قيمته داعياً إلى ضرورة إفراده بقراءه لسانية، في ضوء العلاقة التي تربط تطور العلوم ونمو الثروة اللسانية، ص 27، وقد ألمع إلى ذلك أيضاً عاطف العراقي، كتاب الحروف للفارابي وأهميته في مجال الفكر الفلسفي العربي، ص 01.

39- الحروف، ص 159، وانظر ابن حزم، التقريب لحد المنطق، المقدمة ومواضع متفرقة من الكتاب.

40-روزنتال، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس فريحة، بيروت، دار الثقافة، 1961، ص 3، وانظر هذا المعنى عند التوحيدي، المقابسات، تحقيق محمد توفيق حسين الإرشاد، بغداد، 1970 ص 114.

41- جيرار جيهامي، الإشكالية اللغوية، ص16.

42- اللغة والتفسير والتواصل، ص 133.

43 الفارابيّ، إحصاء العلوم، ص 62.

44- يبدو أن دراسات نوعية وافية، عن طريق الحاسوب، أجريت لجرد معجم الألفاظ الفنية عند الفارابيّ، قام بها مستشرقون بمعية معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، بإشراف د/لخضر غزال.

45- ا لحروف، ص 95.

46- الفارابيّ، رسالة في قوانين صناعة الشعر، ضمن فن الشعر لعبد الرحمن بدوي. ص 149، والحروف، ص 128.

47- نقله ابن أبي أصيبعة، عن الفارابيّ، في عيون الأنباء، 604/1.

48- كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، ص 44.

49-إحصاء العلوم، ص 45.

50- إحصاء العلوم، ص 73.

البحث الدلاليّ وطرق استثماره في قصة حيّ بن يقظان الفلسفية لابن طفيل

أ. محمد الطوكي (*)

حيّ بن يقظان، لأبي بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي الوادي آشي (494هـ - 578 هـ أو 581هـ)، من أعجب كتب العصور الوسطى،[1] ، فهو عمل إبداعيّ كثيف، جمع بين الأدب والفلسفة والتصوف، إذ عرف أيضاً باسم "أسرار الحكمة المشرقية " [2]. وليست هذه الحكمة، كما يقول كارادوفو "، سوى فلسفة المدرسة الأفلاطونية الجديدة في أشد صورها [3]. وتتمثل أدبية هذا النص في قالبه السرديّ. وإذاً، فموضوعه وفحواه الفكريّ ضارب في قضايا الحكمة وإشكالاتها، فهو عمل مشبع من أوله إلى منتهاه بالحكمة، يحاور نصوصاً سابقة عليه، فيدفع بعضها ويعلن أنه يستفيد من أخرى، وقد تبدت هذه الروح النقدية بدءاً من مقدمات القسم الأول الذي قدم فيه خلاصة مركزة بتاريخ الفلسفة الإسلامية، ساقها بأسلوب تقريريّ مباشر؛ فالمصنفات الفلسفية لأبي نصر الفارابي في نظره " كثيرة الشكوك "[4]، أمّا أعمال الشيخ أبي حامد الغزالي" فهيّ، بحسب مخاطبته للجمهور، تربط في موضع وتحل في آخر، وتكفر بأشياء ثم تنتحلها" [5]. وميز لدى الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا (370هـ - 428هـ) بين شروحه الأرسطية التعليمية، وبين الأعمال التي تحمل آراءه الأصيلة التي انتهى إليها. " وأما كتب أرسطو طاليس، فقد تكفل الشيخ أبو علي بالتعبير عما فيها، وجرى على مذهبه، وسلك طريق فلسفته في كتاب الشفا، وصرح في أول الكتاب بأن الحق عنده غير ذلك، وأنه إنما ألف ذلك الكتاب على مذهب المشائين، وأن من أراد الحق الذي لا جَمْجَمَةَ فيه، فعليه بكتابه في الفلسفة المشرقية" [6]. وقد استهواه ما انتهى إليه الشيخ الرئيس في هذا الكتاب الأخير، واتخذه عمدته فصار "هدف الفلسفة عنده هو الوصول إلى الاتحاد بالله، أعني الوصول إلى حالة من البهجة والمكاشفة، لا يعرف المرء فيها الحقيقة بطريق القياس العقليّ، وإنما يعرفها بالحدس " [7]. وقد اعتقد البعض أن ظل ابن سينا لازم ابن طفيل حتى في استلهام تفاصيل قصته، أخذاً من قوله: "فأنا واصف لك قصة حيّ بن يقظان وآسال وسلامان اللذين سماهما الشيخ أبو علي ، ففي قصصهم عبرة لأولي الألباب، وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد" [8] لقد أثارت مثل هذه الإشارات، من ابن طفيل، تساؤلات حول أصالته الفلسفية، والقصصية الفنية. فذهب Léon Gauthier إلى أن الرجل لم يطمح قط إلى أصالة

(*) كلية الآداب – مراكش.

حقيقية في المجال الفلسفيّ، وأقر بأنه في أصول مذهبه عالة على الغزالي وابن سينا، إضافة إلى فلاسفة متأخرين أقل أهمية.

أما أصالته القصصية [9]، فليست محل شك أو امتراء، في نظره، بالرغم من دعوى احتذائه لأبطال ابن سينا، فدعواه تبقى محط نظر، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار قوله في نهاية القصة: " هذا- أيدنا الله وإياك بروح منه- ما كان من نبأ حيّ بن يقظان وآسال وسلامان، وقد اشتمل على حظ من الكلام لا يوجفي كتاب، ولا يسمع في معتاد خطاب " [10].

إن أبحاث Gauthier المتبعة للأعمال القصصية الحاملة لأسماء هؤلاء الأبطال سواء لدى ابن سينا أو من تقدمه، ومقارنة كل ذلك بعمل ابن طفيل، لم تجد لها من الأشباه والنظائر إلا في الأسماء، وبعض العناصر المتشتتة هنا وهناك. لقد حول ابن طفيل أبطاله بطريقة طريفة وذكية من أجل إدخالهم وتحريكهم في إطار فنيّ جديد كل الجدة، يمثل رؤياه الفلسفية العميقة.

يبقى التساؤل عن الأسباب التي دعت ابن طفيل إلى التصريح بالتقليد بدل تحمل تبعات الإبداع الذي سار فيه؟. لعل ذلك عائد إلى سلطة تقليدية ضاربة في القدم، تحمل المبدع على القول بالاتباع بدل الإبداع، وهو إذ يركب هذه التعلة، فإنه يريد أن يعطي لعمله مزيداً من المصداقية، ويوهم أنّ قصته الخيالية بريئة، وجديرة بامتاع الذوق التقليديّ لمعاصريه [11]. أمّا مقصديته من هذا العمل الذي حاول أن يتنزل به من لطافة التجريد العقليّ، إلى مستوى التخييل والتقريب، فهي كما يقول: "مظاهر في زماننا هذا من آراء مفسدة، نبعت بها متفلسفة العصر، وصرحت بها حتى انتشرت في البلدان، وعم ضررها، وخشينا على الضعفاء الذين اطرحوا تقليد الأنبياء، صلوات الله عليهم، وأرادوا تقليد السفهاء والأغبياء، أن يظنوا تلك الآراء هي المظنون بها على غير أهله، فيزيد بذلك حبهم فيها، وولعهم بها؛ فرأينا أن نلمع إليهم بطرف من سر الأسرار، لنجتذبهم إلى جانب التحقيق، ثم نصدهم عن ذلك الطريق... وأنا أسأل إخواني الواقفين على هذا الكلام أن يقبلوا عذري فيما تساهلت في تبيينه وتسامحت في تثبته... وأردت تقريب الكلام فيها على وجه الترغيب والتشويق في دخول الطريق" [12].

فلرسالة حيّ بن يقظان وظيفة حجاجية، فقد توخى من وراء تصنيفها دحض مجموعة من الآراء، اعتنقها بعض المتفلسفة وروجوا لها، وطفقت عدواها تسري في صفوف العامة أو من أسماهم بضعاف العقول، وقد اعتمد في مدافعته لتلك الآراء على البرهان التخييليّ، على الحكي والسرد، بدل الجدل الفلسفيّ القائم على الإقناع بواسطة الاستدلال والبراهين المنطقية. فهذا الأسلوب التخييليّ في نظره هو الكفيل والمناسب بمخاطبة الجم الغفير، والجمهور الواسع ممن أضلهم، كما يقول، السفهاء والأغبياء، وهو جدير باستعادتهم إلى جادة الصواب والحق، لما فيه من متعة التشويق، ولذاذة الترغيب. وليس معنى ذلك أن حظ القضايا العقلية فيه والفلسفية غائبة، بل على العكس من ذلك فهي حاضرة تحققا أو ضمناً. ومن تلك المباحث الضمنية، نظرية الدلالة التي اشتغل بها كفيلسوف، ووظفها تقنية سردية بصفته أديباً قاصاً. وقبل مقاربة هذه الدلالة فنياً، علينا أن نستحضرها درساً منطقياً، كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

قد يثير إدراج الدلالة المنطقية بصفة خاصة بعض التساؤلات، خاصة إذا علمنا أن موضوع المنطق؛ هو عصمة الذهن من الوقوع في الخطأ في الأحكام، والتدرج من الأمور المعلومة إلى القضايا المجهولة. وحينئذ ما علاقة هذا الموضوع بالبحث الدلاليّ؟. إن سلامة الفكر وبناء الأقيسة، وترتيب البراهين، قائمة على دقة اللغة وانضباطها، وتضطرب هذه المعادلة عندما يكون الفكر سليماً واللغة قلقة مبلبلة. ومن هذه الحيثية وجدت المباحث الدلالية طريقها إلى حظيرة المنطق خاصة، والقضايا الفلسفية بصفة عامة.يقول ابن سينا: " وأما النظر في الألفاظ فهو أمر تدعو إليه الضرورة، وليس للمنطقيّ – من حيث هو منطقيّ- شغل أول بالألفاظ إلاّ من جهة المخاطبة والمحاورة. ولو أمكن أن يتعلم المنطق بفكرة ساذجة، إنما تلحظ فيها المعاني وحدها، لكان ذلك كافياً. ولو أمكن أن يطلع المحاور فيه على ما في نفسه بحيلة أخرى، لكان يغني عن اللفظ البتة. ولكن، لما كانت الضرورة تدعو إلى استعمال الألفاظ، وخصوصاً ومن المتعذر على الرؤية أن ترتب المعاني من غير أن تتخيل معها ألفاظها، بل تكاد تكون الرؤية مناجاة من الإنسان لذهنه بألفاظ متخيلة؛ لزم أن تكون للألفاظ أحوال مختلفة، تختلف لأجلها أحوال ما يطابقها في النفس من المعاني، حتى يصير لها أحكام لولا الألفاظ لم تكن. فاضطرت صناعة المنطق إلى أن يصير بعض أجزائها نظراً في أحوال الألفاظ. ولولا ما قلناه لما احتاجت أيضاً إلى أن يكون لها هذا الجزء، فلا خير في قول من يقول إن المنطق موضوعه النظر في الألفاظ من حيث تدل على المعاني، بل يجب أن يتصور أن الأمر على النحو الذي ذكرناه. وإنما تبلد في هذا من تبلد وتشوش من تشوش؛ بسبب أنهم لم يحصلوا بالحقيقة موضوع المنطق" (13).

فمن خلال هذا النص، نرى أن الخلفية الدلالية للمنطق العربيّ ضاربة الجذور في كل من المدرستين اليونانيتين؛ المشائية الأرسطية، والمدرسة الرواقية، التي توسعت كثيراً في باب الدلالة إلى حد يمكن تسمية المنطق الرواقيّ بعلم الدلالة، بل إن رؤيتهم الفلسفية قائمة على العلامات "فالحقيقة الحسية، بالنسبة إليهم، تقدم إلينا بطريقة مباشرة لتتخذ علامة دالة على شيء آخر؛ على موضوع لا يمكننا إدراكه بطريقة مباشرة" (14) .إن الفلسفة الرواقية تكون كلا عضوياً متماسكاً، لا ينفصل فيها المنطق عن علمَيْ الطبيعة والأخلاق. لا كما هو الشأن عند أرسطو الذي أخرج المنطق من دائرة الفلسفة. (15)

وتجدر الإشارة، بالإضافة إلى ما تقدم، إلى أعمال جالينوس الذي "لم يكن مقروءا من حيث هو طبيب فحسب، بل من حيث هو منطقيّ كذلك. ولا شك أن شهرته الطبية ساهمت إلى حد كبير في نشر تعاليمه المنطقية، إذ إن المنطق كان يستخدم في ذلك العهد في المعاهد الشرقية كمقدمة نظرية لدراسة الطب". (16)

وإذاً فهناك تواشج بين البحث السميائيّ الدلاليّ، والفلسفيّ، ولهذا لا غرابة إذا طالعتنا قضايا ذات طبيعة دلالية في حوايا مقدمات القسم الأول النظريّ التقريريّ من قصة حيّ بن يقظان كقوله: " لقد حرك مني سؤالك خاطراً شريفاً أفضى بي، بحمد الله ، إلى **مشاهدة حال** لم أشهدها من قبل، وانتهى بي مبلغ هو من الغرابة بحيث **لا يصفه لسان، ولا يقوم به بيان؛ لأنه من طور غير طورهما وعالم غير عالمهما**" (17) وقوله "إذ لا نجد في

الألفاظ الجمهورية ولا في اصطلاحات الخاصة، اسما يدل على الشيء الذي يشاهد به ذلك النوع من المشاهدة". [18] وسنحاول تتبع ورود العلامات "Signes" وتراتُبيّتها في بقية أقسام القصة ومشاهدها كاشفين عن مرجعيتها في البحث المنطقيّ.

تبتدئ القصة فنياً من القسم الثاني، حيث يتحدث ابن طفيل عن الفضاء الخياليّ الذي اختلقه الرحالة –الوقواق–، والذي سيكون مكاناً يمارس فيه البطل مختلف مراحل حياته؛ فيحدده من الناحية الجغرافية، ويقدم معلومات عن مناخه، وغطائه النباتيّ الغريب، ووحشه ووحيشه. فإلى هذه الجزيرة التي لا أنيس بها سينتهي تابوت فيه طفل رضيع، أسلمته أمه بمجرد ولادته إلى الأمواج مخافة افتضاح علاقتها بقريب لها يدعى يقظان الذي تزوجها زواجاً سرياً. وهناك يستطرد ابن طفيل، ويضعنا أمام احتمال ثان للنشوء العضويّ من غير تناسل بشريّ، تولد ذاتيّ من طينة تلك الجزيرة نفسها، وستتولى تربية هذا المولود ظبية فقدت طَلاَها. ورمز الظبية يدخل في نطاق العلاقة بين العرب والحيوان إنها من الصور البيانية المألوفة في الأدب الفصيح والشعبيّ، فهي رمز الرقة والنعومة والأناقة، استعار الأدباء من خلقتها وهيئتها ومشيتها أوصافاً لمن تيمهم من العشيقات. يقول عنها الجاحظ: "ليس في البهائم أطيب أفواها من الظباء" [19] كما أنهم يستطيبون ألبانها وزبدها وسَلاها ولبأها" [20] ويلذ أولياء الله عز وجل بمناظرها [21]، وهي "من الأهلي القابل للاستئناس" [22]، اعتبر القزويني رؤيتها في بداية النهار من أحلى البشائر. [23] تعتبر الظبية إذا بهذه الحمولة الدلالية القريب منها والبعيد مفتاحاً من مفاتيح القصة.

في هذه البيئة التربوية الغريبة التي يتعلم فيها الإنسان في البدء من الحيوان، يشرع حيّ في التواصل مع ربيبته الظبية بواسطة الأصوات، وطوال هذا القسم يستثمر ابن طفيل بعض المباحث الدلالية عند المناطقة وخاصة قسمي الدلالة اللفظية. وسنتوقف عند هذا الدرس المنطقيّ قبل أن نتعرف على تجلياته السردية.

الدلالة في اصطلاحهم هي "كون الشيء بحالة، يلزم من العلم به، العلم بشيء آخر" [24]. فهي إذاً تقوم على نسبة بين شيئين: الأول يسمى الدال والثاني اسمه المدلول.

وتنقسم الدلالة إلى قسمين:

أ– **دلالة لفظية**: وهي ما كان الدال فيها لفظاً أو صوتاً وهي ثلاثة أنواع:

1- طبيعية: وهي ما كان الدال فيها عرضاً طبيعياً، كدلالة الأنين على الألم، وكدلالة أح، أح على وجع في الصدر.

2-عقلية: وهي ما كان الدال فيها عقلاً. كدلالة الكلام في الحجرة على وجود إنسان بها. فاللفظ عرض يستحيل أن يقوم بنفسه، ووجود اللفظ دليل عقلاً على وجود لافظ.

3- طبيعية: وهي ما كان الدال فيها وضعاً واصطلاحاً، كدلالة الألفاظ على معانيها الموضوعة لها في اللغة، مثل الأسد الدال على الحيوان المفترس، والإنسان على الحيوان الناطق.

ب– **دلالة غير لفظية**: وهي ما كان الدال فيها غير لفظ أو صوت، وهي ثلاثة أنواع:

1- طبيعية: وهي ما كان الدال فيها عرضاً طبيعياً، كدلالة حمرة الوجه على الخجل، أي الحياء، والصفرة، على الوجل، أي الخوف، وجميع الأعراض التي يستدل بها الأطباء على الأمراض.

2- عقلية: وهي ما كان الدال فيها عقلاً كدلالة تغير نظام الحجرة على أن شخصاً دخلها وأحدث فيها ذلك التغيير، ودلالة تغير العالم على حدوثه.

3- وضعية: وهي التي تعتمد على الوضع. والوضع هو تعيين الشيء ليدل على شيء آخر. كدلالة الشريط الأسود على ذراعي الأوربيّ على الحزن، وتحريك الرأس من الأعلى إلى الأسفل على الموافقة، وتحريكه يساراً أو يميناً على عدم الموافقة، والإشارات الضوئية في الطرقات على المرور أو التوقف...[25] إلخ.

وهكذا سيتخلل قسم الدلالة اللفظية، بمختلف أنواعها، معظم أحداث الجزء الثاني من القسم الثاني للقصة. لقد اهتدت الظبية إلى موضع الوليد عن طريق صوته الدال على الاستغاثة [26]. وبعد الألفة " كان بحيث إذا هي أبطأت عنه اشتد بكاؤه؛ فطارت إليه".[27] وتعلم من تصويته وملامحه، احتياجاته من المأكل والمشرب والدفء والراحة". متى عاد إلى اللبن أروته، ومتى ظمئ إلى الماء أوردته، ومتى ضحا ظللته، ومتى خَصِر أدفأته [28]". وبتعاقب الزمان أصبح حيّ يحاكي، "فمازال الطفل مع الظباء على تلك الحال، يحكي نغمتها بصوته حتى لا يكاد يفرق بينهما، وكذلك كان يحكي جميع ما يسمعه من أصوات الطير، وأنواع سائر الحيوان محاكاة شديدة؛ لقوة انفعاله لما يريده. وأكثر ما كانت محاكاته لأصوات الظباء في الاستصراخ، والاستئلاف والاستدعاء والاستدفاع. إذ للحيوانات في هذه الأحوال المختلفة أصوات مختلفة فألفته الوحوش وألفها، ولم تنكره ولا نكرها، فلما ثبتت في نفسه أمثلة الأشياء بعد مغيبها عن مشاهدته، حدث له نزوع إلى بعضها، وكراهية للبعض" [29].

فهذا النص يشير إلى الظواهر الدلالية التالية:

1- أصوات الحيوانات والطيور حاملة لدلالات متنوعة.

2- محدودية دلالة تلك الأصوات؛ الاستصراخ، الاستئلاف، الاستدعاء، الاستدفاع.

3- وظيفة تلك الأصوات ندائية طلبية.

4- قدرة حيّ على تعلم تلك الأصوات بدافع الانفعال القويّ، وذلك عن طريق المحاكاة.

5- معرفته لمنطق الحيوان والطير أدت إلى الألفة: فألفته الوحوش وألفها، ولم تنكره ولا نكرها. ولو غاب امتلاكه لهذا المنطق لما تأتّى التواصل، ولبعدت بينه وبينهم الشقة، ولأدى ذلك إلى الحيطة والحذر ولربما إلى العداوة.

6- هذه الأصوات الدالة مكنته من استحضار صور الأشياء أي المدلولات في ذهنه بعد غيابها، فمال إلى بعضها وكره الآخر.

فبالإضافة إلى استثماره لمبحث الدلالة اللفظية نجده يستفيد أيضاً من قراءاته في كتب الحيوان، وعلى رأسها طباع الحيوان لأرسطو طاليس. فقد عقد فيه بابا خاصاً لأصوات الحيوان والطير والسمك والهوام. وهذه جمل منه يقول عن أصوات ذوات الأربع التي تلد حيواناً. " وأما الحيوان الذي يلد حيواناً وله أربعة

أرجل، فَلِكُلّ واحد منها صوت مخالف. وليس ينطق شيء منها، لأنّ الكلام خاص للإنسان فقط" [30].

ويقول:"وقد ظهر مرة الطير الذي يسمى باليونانية أيدون يعلم فرخ طير آخر وذلك دليل على أن شكل الصوت ليس بمطبوع ولا المنطق، بل يمكن أن يكون الصوت والمنطق بقدر تعليم المعلمين [31] فأما أصناف السمك فليس يصوت، قبل أنه ليس لها رئة ولا حنجرة ولا العرق الخشن: القصبة الهوائية [32]. ينبغي أن يعلم أن الصوت غير الدويّ، والكلام شيء آخر ثالث غير هذين، فليس يكون الصوت بشيء من الأعضاء ماخلا الحنجرة. ولذلك كل حيوان ليس له رئة لا يصوت، وإنما الكلام تفصيل الصوت، وذلك التفصيل يكون باللسان.[33].

ويقول ابن سينا عن الصور الذهنية: "إن الإنسان قد أوتي قوة حسية ترتسم فيها صور الأمور الخارجية، وتتأدى عنها إلى النفس، فترتسم فيها ارتساما ثابتا وإن غاب عن الحس [34].

وبمجرد ما أربى على السبع سنين، تسقط الظبية جثة هامدة، وهو لا يدري ما دهاها، فيصدر عنه آخر تصويت حيوانيّ لا يجد له استجابة "فكان يناديها بالصوت الذي كانت عادتها أن تجيبه عند سماعه، ويصيح بأشد ما يقدر عليه، فلا يرى لها عند ذلك حركة ولا تغييرا "[35]. ومن ثم سينفتح المجال في مشاهد النص ليغلب عليها ضرب آخر من أنواع الدلالة، إنها الدلالة غير اللفظية بقسميها الطبيعيّ، والعقليّ القائم على العلل واللوازم. بالإضافة إلى مفهوم الحقيقة كما مثلتها الفلسفة الرواقية. فإذا كانت الفلسفة هي محبة الحكمة، فإن الفيلسوف بالنسبة إليهم يسمو إلى الكمال الخلقيّ وإلى معرفة الحقيقة "التي تكون نقطة انطلاقة البحث عنها عبر العلامات. وإن الطريق إليها لن يكون شيئا آخر سوى تأويل العلامات موضوع التساؤل.

ولهذا اعتبر الفيلسوف مؤوّلا ومفسرا. وحينئذ ما هي اللغة موضوع التأويل؟ إنها الإنسان والعالم وليست شيئا آخر غير ذلك[36]، كما أن قسما من تلك المشاهد سيستأثر بجانب كبير من المعرفة الجالينوسية التي اصطلح فيها الطب التشريحيّ والمنطق. فمن تلك المشاهد أنه عندما يئس من العثور على العلل الظاهرة التي يمكن أن تعزى إليها برودة جثة الظبية وخمودها، عمد إلى التشريح، فشق صدرها فوقف على الرئة ومكوناتها، والقلب وأشيائه، ولما لم يسعفه كل ذلك في استعادة الحياة إليها " وتشتت فكره في ذلك كله، وسلا عن ذلك الجسد وطرحه، وعلم أن أمه التي عطفت عليه، وأرضعته، إنما كانت ذلك الشيء المرتحل، وعنه كانت تصدر تلك الأفعال كلها، لا هذا الجسد العاطل، وأنّ هذا الجسد بجملته إنما هو كالآلة لذلك، وبمنزلة العصا التي اتخذها هو لقتال الوحوش، فانتقلت علاقته عن الجسد إلى صاحب الجسد ومحركه، ولم يبق له شوق إليه[37].

وفي الجزأين الثالث والرابع من القسم الثاني سيتجاوز البحث في الحيوان لينصب تأمله ونظره في النبات والسماء والعالم. وفي نهاية المطاف سينتهي إلى الاطمئنان إلى وجود فاعل غير محسوس ولا متصل بجسم، ولا داخل فيه ولا خارج عنه، إذ الاتصال والانفصال والدخول والخروج هي كلها من صفات الأجسام، وهو منزه عنها. [38]. ويأبى أن يقف عند حدود المعرفة التي لا ريب فيها بواجب الوجود، ويطمح

إلى الارتقاء إلى أسمى مراتب تلك المعرفة، وهي الفناء في تلك الذات "وما زال يطلب الفناء عن نفسه والإخلاص في مشاهدة الحق حتى تأتى له ذلك، وغابت عن ذكره وفكره السماوات والأرض وما بينهما، وجميع الصور الروحانية، والقوى الجسمانية، وجميع القوى المفارقة للمواد، والتي هي الذوات العارفة بالموجود، وغابت ذاته في جملة تلك الذوات، وتلاشى الكل واضمحل وصار هباء منثورا، ولم يبق إلا الواحد الحق الموجود الثابت الوجود، وهو يقول بقوله الذي ليس معنى زائد على ذاته "لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار، ففهم كلامه وسمع نداءه، ولم يمنعه عن فهمه كونه لا يعرف الكلام ولا يتكلم(39).

وستصبح إشكالية الكلام والتواصل به من قضايا القسم الثالث من القصة، حيث سيتفق أن يطرأ على الجزيرة إنسان، اسمه آسال، مكتمل الرجولة، ضارب بسهم كبير في العلوم الشرعية ظاهرها وباطنها.

قدم إلى الوقواق من جزيرة قريبة انتقلت إليها ملة من الملل الصحيحة. أخذ أهلها بظاهر تلك الديانة، بينما تجاوز آسال هذا المستوى فتعلق بباطنها. فاطمأن إليه وارتاح وسعد، فدعا قومه إلى مبارحة الظاهر والاستلذاذ ببرودة يقين الباطن، فلم يسعفوه ولا استجابوا له، وأحس بالغربة، فلم يجد بدا من الفرار بخويصة نفسه إلى جزيرة الوقواق. فيها سيقع نظر حيّ على آسال، فيندهش ويستغرب من هيئته ولباسه وسمته، كان عليه مدرعة سوداء منسوجة من الشعر والصوف. ولم يكن آسال أقل استغرابا وتخوفا من حيّ رآه " وهو مكتس بجلود الحيوانات ذوات الأوبار، وشعره قد طال حتى جلل كثيرا منه. ورأى ما عنده من سرعة الخطو وقوة البطش، فرق منه فرقا شديدا. (40) في هذا المشهد الجامع بين الطبيعيّ والثقافيّ تتقاطع أنواع الدلالات، إن لم أقل تتوتر، وتبوء بالفشل جل أساليب التواصل التي يحاولها كل طرف، لغياب الاصطلاح اللغويّ واختلاف السنن، مما زاد في توجس كل واحد منهما وحذره، ولم تنجع في تقريب الشقة بينهما سوى مؤشرات الدلالة غير اللفظية بمختلف أنواعها. "فجعل حيّ بن يقظان يتقرب منه قليلا قليلا، وآسال لا يشعر به حتى دنا منه بحيث يسمع قراءته وتسبيحه، ويشاهد خضوعه وبكاءه، فسمع صوتا حسنا وحروفا منظمة، لم يعهد مثلها من شيء من أصناف الحيوان. ونظر إلى أشكاله وتخطيطه، فرآه على صورته، وتبين له أن المدرعة التي عليه ليست جلدا طبيعيا، وإنما هي لباس متخذ مثل لباسه هو. ولما رأى حسن خشوعه وتضرعه وبكائه، لم يشك في أنه من الذوات العارفة بالحق، فتشوق إليه، وأراد أن يرى ما عنده (41).

أما آسال، فقد " فرق من حيّ فرقا شديدا، وجعل يستعطفه، ويرغب إليه بكلام لا يفهمه حيّ بن يقظان، ولا يدري ما هو، غير أنه كان يميز فيه شمائل الجزع، فكان يؤنسه بأصوات كان قد تعلمها من بعض الحيوانات، ويجر يده على رأسه، ويمسح أعطافه، ويتملق إليه، ويظهر البشر والفرح، حتى سكن جأش آسال، وعلم أنه لا يريد به سوءاً، وكان آسال، قديما لمحبته في علم التأويل، قد تعلم أكثر الألسن، ومهر فيها، فجعل يكلم حيّ بن يقظان، ويسأله عن شأنه بكل لسان يعلمه، ويعالج إفهامه فلا يستطيع، وحيّ بن يقظان في ذلك كله يتعجب مما سمع، ولا يدري ما هو؟، غير أنه

يظهر له البشر والقبول. فاستغرب كل واحد منهما أمر صاحبه [42].

فالنصان المتقدمان صريحان في تعذر التواصل التام بين البطلين عن طريق التصويت الحيواني، أو الكلام الإنساني، فالصورة السمعية لا تثير لدى أيّ منهما ما يناسبها من الصور الذهنية. نعم قد توحي تلك الأصوات بشيء من دلالتها على رأي من يقول بالعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول، إلا أن ابن طفيل لم يذهب فيها بعيدا، فعدل عنها واستثمر أنواع الدلالة غير اللفظية، فحلت العين محل السمع. ومن ثم هيمنت الأفعال الدالة على الرؤية والأفعال الدالة على استنتاج الصورة الذهنية، وهكذا ذكرت الرؤية في النص على قصره أربع مرات، ونص على استنباط المدلولات استنباطا عقليا بأفعال أخرى مثل تبين: لم يشك، أراد أن يرى ما عنده.

وبعد تولي حالة الترقب والحذر وولوج عتبة الاستئناس، تطرح قضية التواصل عن طريق اللغة التي لا يملك حيّ من مقوماتها سوى التصويت. جاء في كتاب العبارة: " ولما كانت الطبيعة محتاجة إلى المحاورة لاضطرارها إلى المشاركة والمجاورة، انبعثت إلى اختراع شيء يتوصل به إلى ذلك، ولم يكن أحق من أن يكون فعلا، ولم يكن أحق من أن يكون بالتصويت وخصوصا والتصويت لا يثبت ولا يستقر ولا يزدحم. فتكون فيه مع خفته فائدة وجود الإعلام به، مع فائدة امّحائه، إذا كان مستغنيا عن الدلالة، بعد زوال الحاجة عنه، أو كان يتصور بدلالته بعده. فمالت الطبيعة إلى استعمال الصوت، ووفقت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معا، ليدل بها على ما في النفس من آثار. [43]

وهكذا يضعنا ابن طفيل في مشهد آخر يجمع بين طرفين حرص كل واحد منهما على ربط العَلاقة بصاحبه، فاحتال آسال على تعليم صاحبه اللغة، التي أبدى حيّ نحوها نزوعا وميولا، ظهر في معجم القيم الجمالية التي وصف بها كلام آسال "صوت حسن، حروف منظمة لم يعهد مثلها في أصوات الحيوان".

وفي هذا المشهد، ننتقل إلى قسم آخر من أنواع الدَّلالة. وهي الدلالة اللفظية الوضعية التي قسمها المناطقة إلى مطابقية وتضمنية والتزامية.

فالمطابقية: وهي دلالة اللفظ على تمام معناه الموضوع له، كدلالة الجواد على الحيوان الصاهل، وكدلالة البيت على مجموع الأعمدة والجدران والأسقف التي يحتويها.

والتضمنية: وهي دلالة اللفظ على جزء معناه الموضوع له، كدلالة البيت على الجدران فقط.

أما الالتزامية : وهي دالالة اللفظ على شيء خارج عن معناه لازم كدلالة سقف على جدار يحمله [44].

هذه اللغة بمختلف دلالالتها هي التي سيحرص آسال على تعليمها لحيّ بن يقظان حتى يتعرف جيدا على صاحبه، ويتعرف هذا الأخير عليه: "ولما رأى آسال أيضا أنه لا يتكلم، أمن من غوائله على دينه، ورجا أن يعلمه الكلام والعلم والدين، فيكون له بذلك أعظم أجر وزلفى عند الله. فشرع آسال في تعليمه الكلام أولا، بأن كان يشير له إلى أعيان الموجودات، وينطق بأسمائها ويكرر ذلك عليه، ويحمله على النطق، فينطق بها مقترنا بالإشارة، حتى علمه الأسماء كلها، ودرجه قليلا قليلا حتى تكلم في أقرب مدة. فجعل

آسال يسأله عن شأنه، ومن أين صار إلى تلك الجزيرة. فأعلمه حيّ بن يقظان أنه لا يدري لنفسه ابتداء، ولا أبا ولا أما أكثر من الظبية التي ربته، ووصف له شأنه كله، وكيف ترقى بالمعرفة حتى انتهى إلى درجة الوصول" (45).

تظهر في هذا النص شخصيتان إحداهما عارفة ومعلمة، وهي شخصية آسال، والثانية متعلمة، حيّ بن يقظان، أما الموضوع المراد تعليمه فهو اللغة، وبعد ذلك يأتي أسلوب التعليم، وفي الأخير، الغاية منه.

فالمعلم آسال متملك للغة امتلاكا جيدا، أما حيّ فلا يعرف شيئا من معجمها وتركيبها. أما الأسلوب الذي اتبعة في تعليمه، فيتمثل في إحضار المدلول أمام المتعلم، والإشارة إليه والنطق باسمه مرارا، ودفع المتعلم إلى معاودة نفس العملية؛ الإشارة إلى الشيء، والنطق باسمه. وهكذا دواليك إلى أن تمكن المتعلم من اكتساب اللغة تدريجيا، وأخذ يتكلم.والمعلم والمتعلم في هذه المرحلة يحاكيان ما وضعه الواضع، وإذا فهما لا يتجاوزان دلالة المطابقة؛ أي دلالة اللفظ على تمام مسماه. والأسلوب الذي سلكه آسال في تلقينه هو نفس الأسلوب الذي تعرضت له كتب اللغة وفقهها من ذي قبل، أثناء معالجتها لقضية المواضعة. فابن جنيّ يذكر أن الواضع يقف أمام الأشياء المعلومات، فيضع بإزاء كل واحد منها سمة ولفظا، فإذا ذكر اللفظ عرف بمسماه وإن كان غائبا. "فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم فأومؤوا إليه، وقالوا إنسان إنسان، فأي وقت سمع هذا اللفظ، علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوقات"(46). ويضيف ابن جنيّ "أن المواضعة لا بد معها من إيماء وإشارة بالجارحة نحو المومأ إليه والمشار نحوه" (47). إن الهدف الذي ابتغاه آسال من وراء هذه العملية التعليمية هو التواصل، وفعلا فبمجرد تملك حيّ للغة ازدادت بينهما الألفة، وتعرف كل واحد على صاحبه معرفة معتبرة، تعدت المحسوس وارتقت إلى أعلى مستويات التجرد. وبعد استضماره لسليقة اللغة الطبيعية ينتقل به إلى مستوى آخر من اللغة وهو اللغة الاصطلاحية، لغة العلم والدين (ص 92 من القصة). فوصف له جميع ما ورد في الشريعة من توحيد، وفقه العبادات، والمعاملات. ففهم ذلك كله، ولم يجد في باب العقيدة خاصة شيئا على خلاف ما شاهده في مقامه الكريم (48).

بعد ذلك قرر حيّ التبشير بتجربته الإشراقية ونقلها إلى الجزيرة التي قدم منها آسال يائساً، لدعوة نخبة من أهلها إلى الارتقاء من المستوى الظاهر للشريعة إلى التلذذ والسعادة بأسرار الحكمة، بيد أن موقفهم منه لم يكن بأحسن حال مما لقيّ منهم آسال. "فشرع حيّ بن يقظان في تعليمهم، وبث أسرار الحكمة إليهم. فما هو إلا أن ترقى عن الظاهر قليلا، وأخذ في وصف ما سبق إلى فهمهم خلافه، فجعلوا ينقبضون منه، وتشمئز نفوسهم مما يأتي به، ويتسخطونه في قلوبهم" (49) "فيئس من إصلاحهم وانقطع رجاؤه من صلاحهم لقلة قبولهم" (50).

لقد استحال على اللغة المتواضع عليها، والألفاظ الجمهورية حمل دلالات تجربة خارجة عن الشرط الإنسانيّ المعتاد، وتعذر عليها نقل حال غريبة ومشاهدة ما "لا يصفه لسان ولا يقوم به بيان، لأنه من طور غير طورها وعالم غير عالمها" (51).ويقول عن نفس التجربة في علاقتها باللغة "إذ لا نجد في الألفاظ

الجمهورية، ولا في الاصطلاحات الخاصة، أسماء تدل على الشيء الذي يشاهد به ذلك النوع من المشاهدة" (52).

وبين سرور الذات الواصلة، وعشق البوح، وتمنع اللغة، ومجتمع يتهم، يصبح الصمت أسلم من النطق والعزلة أولى من الاجتماع.

إن مبحث الدلالة من المباحث المتجذرة في الدراسة الفلسفية وخاصة لدى الرواقيين، وقد تمكن ابن طفيل من توظيفه توظيفا فنيا رائعا، أي بطريقة ضمنية، في قصته الفلسفية حيّ بن يقظان، فلا يكاد يخلو مشهد من مشاهد قصته من استغلال هذا القسم من أقسام الدلالة أو ذاك. فقد واكبت قضايا الدلالة مسيرة الحدث وصيرورته، وتنقلات الأبطال في مختلف الأزمنة والفضاءات، بأشيائها ونباتاتها ووحشها ووحيشها وأناسيها، إنها من الأمتعة الأساسية في تحليل هذا العمل السرديّ. وقد وضعنا ابن طفيل في نهاية قصته أمام إشكالية لغوية عميقة، وهي أن اللغة إذا كانت أداة تواصلية بامتياز، فإن هذه الوظيفة ليست مطلقة، فإذا اطردت، في مواقف ومقامات، فإنها تتخلف في نقل تجارب أخرى، وفي مثل هذا الموقف بدل أن تؤدي اللغة إلى التفاهم والحميمية، فإن البوح بتلك التجارب الموغلة في الغرابة، يفضي إلى سوء التفاهم، وبالتالي إلى تفسيق المتكلم وتبديعه واتهامه. وحينئذ يصبح الصمت، وقمع حاجة البوح أجدر من معالجة العبارة. يقول ابن طفيل "وأما الشيخ أبو حامد الغزالي، رحمة الله عليه، فقال متمثلا عند وصوله إلى هذا الحال بهذا البيت:

فكان ما كان مما لست أذكره

فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر" (53)

الهوامش

1. كارادوفو: ابن طفيل، دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية عبد الحميد يونس وآخرون، مج 1، ص213.
2. Léon Gauthier : Hayy Ben Yaqdhân Alger 1936. P :v
3. كارادوفو: المرجع السابق، ص: 214.
4. أبو بكر بن طفيل: حيّ بن يقظان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط 1، 1963، ص21.
5. أبو بكر بن طفيل: ن.م.، ص22.
6. أبو بكر بن طفيل: ن.م.، ص22.
7. كارادوفو: نفس المرجع، ص: 214.
8. ابن طفيل: حي بن يقظان، ص25. انظر قصة حيّ بن يقظان لابن سينا مع الشرح الذي نشره معها Mehrem وله قصة الأخوين سلامان وآسال نجد هذه القصة مفصلة بعد قصتين تشبهانها، عليها شرح الطوسي في آخر "تسع رسائل في الحكمة والطبيعات لابن سينا، طبعة القسطنطينية 1298 هـ. ولابن سينا أيضاً رسالة الطير، وهي من طراز حيّ بن يقظان، وهي مطبوعة في ليدن ضمن مجموعة رسائل الحكمة الاشراقية التي نشرها Mehrem وقد كتب الغزالي من وجهة نظره أيضاً رسالة سماها رسالة الطير. انظر تعاليق الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة أثناء ترجمة دبيور لابن سينا في كتابه: "تاريخ الفلسفة الإسلامية"ص: 273-274.
9. استرسل بعض الباحثين مع دعوى التأثر والتأثير وعززوها، بالإضافة إلى أعمال ابن سينا، بأعمال أخرى ضاربة في القدم أسطورية ودينية وفلكلورية.. وذهب الدكتور بنشريفة إلى أن مرجعية حيّ بن يقظان كامنة في نص ورد في مصدر لم يسبق لباحث أن استعمله. ذلك أن ابن دحية ذكر في كتابه المطرب، وابن دحية تلميذ مباشر لابن طفيل، له به معرفة حيث اجتمع به مراراً، ذكر في ذلك النص أن ابن طفيل أخذ عن أستاذين أحدهما وهو الذي يعنينا جعفر بن شرف الحفيظ صاحب مؤلفات قصصية، له قصة عارض بها كتاب كليلة ودمنة، وقصة عقيل رمز للعقل، وعقيل رمز العلم، وهما مفقودتان ولو وجدت تلك الأعمال لأفادتنا كثيراً في معالجة إشكالية التأثر والتأثير.

10. ابن طفيل: المصدر نفسه، ص: 97.
11. Léon Gauthier :ibid pp :v-VII
12. ابن طفيل: حيّ بن يقظان، ص: 98.
13. ابن سينا: الشفا- المنطق: تحقيق الأب قنواتي وآخرين، نشر وزارة المعارف العمومية مصر 1405، مج1. ص: 22-23. يقول في الإشارات والتنبيهات: " بين اللفظ والمعنى علاقة ما، وربما أثرت أحوال في اللفظ في أحوال من المعنى، فلذلك يلزم المنطقيّ أيضاً أن يراعي جانب اللفظ المطلق من حيث هو كذلك" مج1: المنطق، نشرة س. دنيا، القاهرة، 1947.
14. G. Verbeque : Philosophie et semiologie chez les stoisiens. In دراسات فلسفية مهداة إلى الدكتور إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية، 1974، ص: 17.
15. G. Verbeque : ibid : p.20.
16. عادل فاخوري: منطق العرب، دار الطليعة ببيروت، ط 1. 1980، ص 21.
17. ابن طفيل: المصدر السابق، ص16.
18. ابن طفيل: المصدر السابق ، ص 17.
19. الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي لبنان 1965، 155/2.
20. الجاحظ: " الحيوان " 187/7.
21. الجاحظ: " الحيوان " 395/3.
22. الجاحظ: " الحيوان " 108/7.
23. Malik Chibek et Albin Michel : Dictionnaire des Symboles Musulmanes p : 180.
24. عادل فاخوري: منطق العرب، دار الطليعة بيروت، ط 1، 1980. ص 39.
25. عادل فاخوري: منطق العرب، ص 38-42.
26. ابن طفيل: المصدر السابق، ص 32.
27. ابن طفيل: المصدر السابق، ص 32.
28. ابن طفيل: المصدر السابق، ص 32.
29. ابن طفيل: المصدر السابق، ص33.
30. أرسطو طاليس: طباع الحيوان، ترجمة يوحنا البطريق، تحقيق عبد الرحمن بدوي، ط 1، 1977، الكويت، ص 193.
31. أرسطو طاليس : نفس المصدر : ص 194
32. أرسطو طاليس : نفس المصدر : ص 191
33. أرسطو طاليس : نفس المصدر : ص 190
34. ابن سينا: الشفا – العبارة، تحقيق محمود الخضري، ضمن المجلد الأول الخاص بالمنطق، ص : 2.
35. ابن طفيل: المصدر نفسه، ص : 35
36. G.Verbeque/ ibid. P : 16 voir la marge n° :4
37. ابن طفيل : المصدر نفسه، ص: 39-40
38. ابن طفيل : المصدر نفسه، ص: 62
39. ابن طفيل : المصدر نفسه، ص: 80
40. ابن طفيل : المصدر نفسه، ص: 91
41. ابن طفيل : المصدر نفسه، ص: 91
42. ابن طفيل : م.ن، ص: 91
43. ابن سينا : الشفا – العبارة. ص 2. ويقول في نفس الموضوع "فما يخرج بالصوت يدل على ما في النفس وهي التي تسمى آثاراً. والتي في النفس تدل على الأمور وهي التي تسمى معاني أو مقاصد النفس"، نفس المصدر ، ص 3.
44. يقول ابن سينا في الشفاء – المنطق: جعلنا الدلالة التي للألفاظ على ثلاثة أوجه: دلالة مطابقة، كما يدل الحيوان على أن جملة الجسم ذي النفس الحساس، ودلالة تضمن، كما تدل لفظة الحيوان على الجسم، ودلالة لزوم، كما تدل لفظة السقف على الأساس" ص 43.
45. ابن طفيل : المصدر نفسه، ص: 92
46. ابن جنّ: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية. طII، 1952. الجزء الأول، ص 44.
47. ابن جنّ : نفس المصدر، ج 1، ص 45
48. ابن طفيل : المصدر نفسه، ص: 93
49. ابن طفيل : المصدر نفسه، ص: 95
50. ابن طفيل : المصدر نفسه، ص: 95
51. ابن طفيل : المصدر نفسه، ص: 16
52. ابن طفيل : المصدر نفسه، ص: 17. يصف بارقة من تلك الحال بقوله : غير أن تلك الحال، لما لها من البهجة والسرور، واللذة والحبور، لا يستطيع من وصل إليها، وانتهى إلى حد من حدودها، أن يكتم أمرها أو يخفي سرها بل يعتريه من الطرب والنشاط والمرح والانبساط ما يحمله على البوح بها مجملة دون تفصيل..." ص16.
53. ابن طفيل : المصدر نفسه ص: 16

كيف يصنّف المنادى؟ وما وظيفته؟

د. محمد خـــــان (*)

كنا قد نشرنا مقالاً، بعنوان "النحو العربيّ بين التعليم والتخصّص" (1) وطرحنا فيه وجهة نظرنا في تعليم النحو العربيّ، داعين فيه إلى اعتبار المنادى منصوباً بأصل الوضع، ما عدا المفرد المعرّف بالعلميّة أو بالقصد، فإنه يرفع بلا تنوين ليخالف المرفوع بالإسناد أو بالتبعية، والمنصوبات كثيرة في العربية، وليس بلازم أن تكون مفعولة.

غير أن نُحاتنا اشتغلوا بحركة المنادى، وبينوا: متى تكون فتحة؟ ومتى تكون ضمة؟ وما العامل في ذلك؟ لأنهم قد رفضوا أن يأتلف الكلام المفيد من حرف واسم (2). وذهبوا يقدرون ويعللون، واهتدوا إلى أنه معمول لفعل محذوف وجوباً، وجعلوه تبيعاً للجملة الفعلية (3). ولو نظروا إليه باعتباره تركيباً قائماً بذاته، كبقية التراكيب، وله وظيفته الإبلاغية، لكان أقرب إلى أذهان المتعلمين، وأفيد في التعليم. وتركوا تلك الآراء الكثيرة إلى الدراسات العليا المتخصصة التي من دَأْبها أن تُعنَى بالتقدير والتأويل والتحليل والتعليل، ولهم بعد ذلك أن يسترشدوا بالمناهج الحديثة، وبخاصة المنهج التوليديّ التحويليّ.

وقد وقف منه المحدثون مواقف متباينة، فمنهم من اعتبره حالة من حالات التنبيه(cas vocatif) (4)، ومنهم من أطلق عليه اسم (جملة غير إسنادية) (5)، ومنهم من سماه (شبه جملة) (6)، هكذا انشغل بعض المحدثين بتحديد المصطلح، وإن دلت مواقفهم فإنها تدل على أنهم بقَوْا أُسارى الفكر القديم، ولم يقدموا للمتعلم البديل، ذلك الذي يجعله يتعامل بالنداء، نطقاً وكتابة، باعتباره تركيباً قائماً بذاته مستقلاً عن غيره، فلا هو فاعل ولا مفعول، بل هو المنادَى.

إن النداء تركيب طلبيّ، يقصد به تنبيه المنادَى، ودعوته بإحدى أدوات النداء ليقبل على المتكلم، وبهذا تبدأ عملية التواصل، إذ هو في منشئة بداية الحديث، "ولأن أولَ الكلام أبدا النداءُ إلا أن تدعه استغناء" (7). وذلك بإبلاغه أمراً ما يريده المتكلم. قال سيبويه:" المنادى مختصّ من بين أمته لأمرك أو نهيك أو خبرك" (8).

وإذا كان النداء في ظاهره تركيباً، يقتضي أداةً ومنادىً ومنادىً به، (أو مضموناً إبلاغياً)، فهو في هذا الحال تركيب مستقل، قائم بذاته، وهذه هي أركانه، وما بقي إلاّ أن نضيف إليها الركن الرابع وهو المنادِي. ومن هنا يكون منطلقاً في الحديث عن النداء.

1- المنادِي: وهو المتكلم الذي يرسل النداء داعياً أو منبها، ليتمكن من إحداث عملية التواصل والإبلاغ، ويقابله المنادَى في هذه العملية. أو (الباثّ والمتلقّي). وقد قدره القدماء ضميراً مستتراً وجوبا، وهو فاعل لفعل محذوف دائماً، تقديره: أنادي أو أدعو أو أريد... وهذا التقدير في التعليم رفضناه لعدم جدواه، فلو كان

(*) عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة محمد خيضر- بسكرة - الجزائر

الفعل المقدر يظهر مرة ويختفي أخرى، لكان تقديره في هذا قياساً على ظهوره في ذلك، ولكان تبرير المقايسة مقنعاً. أما في حالة النداء هذه فهو منعدم دائماً، وهو من باب تقدير المعدوم، وتركه أولى في التعليم.

– فالمنادي في قوله تعالى﴿وإذْ قالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يَاقَوْمِ (ي) إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ باتِّخَاذِ كُمْ العِجْلَ فتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ ﴾ البقرة/54. هو موسى عليه السلام، ظهر باسمه في رأس الآية، وبضميره (الياء) بعد المنادَى (وهو يُؤدي وظيفة المضاف إليه). كما يظهر ضميراً في جواب النداء في مثل قوله تعالى ﴿ وقالُو: يا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الأعراف /77. وهو ضمير الجماعة (نا) الذي (يؤدي وظيفة المفعول به).

إن معرفتنا بالمنادي تساعدنا على تحديد دلالة النداء، وذلك بالتفريق بين المنادي والمنادَى وما يمكن أن يرسله الباثّ إلى المتلقي.

2– **أدوات النداء**: وهي ثمانية (يا، أيا، هيا، أي، أ، آ، آي، وا) ينادى بالأربع الأولى منها البعيد، أو ما نزل مترلته كالنائم والساهي. وينادى القريب بالهمزة. وقد ينادى بغيرها لضرب من التوكيد: " وقد يستعملون هذه التي للمد في موضع الألف(الهمزة)، ولا يستعملون الألف في هذه المواضع التي يمدون فيها. وقد يجوز لك أن تستعمل هذه الخمسة غير [آ،آي،وا] إذا كان صاحبك قريباً منك، مقبلاً عليك، توكيداً" (9).

لقد ذكر الأخفش (آ) في أدوات النداء، وجعلها ابن عصفور للقريب كالهمزة، وحكى الكوفيون عن بعض العرب الموثوق بهم (آ، آي) وهما للبعيد (10). وهذا أرجح؛ لأن المد فيهما يشير إلى البعد. واختصت (وا) بالندبة عند الجمهور (11).

يرى جمهور النحاة أن أدوات النداء حروف، وذهب بعضهم إلى أنها أسماء أفعال. وإذا كانت كذلك فالنداء تركيب، لأنّ اسم الفعل يأتلف مع الاسم، وهما يُكوِّنان معاً تركيباً قائماً بذاته، كقولك هيهات العقيق.

ومن الملاحظ أن أوات النداء التي ينبه بها المدعو البعيد تنتهي بصوت مد يعين المنادي على مد صوته، وإيصال ندائه إلى المنادىَ البعيد حقيقةً أو حكماً.

والياء أكثر هذه الأدوات استخداما، ينادى بها القريب والبعيد، لذلك لم يستعمل القرآن الكريم في النداء غيرها، إذ تكررت فيه (361) مرة، فهي أم الباب، ولا يقدّر غيرها إذا كان التركيب خالياً من الأداة: كقوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أعرِضْ عَنْ هذا ﴾ يوسف /29. فالأصل: يا يوسف (12).

ونصّ النحاة على أن حرف النداء لا يحذف من المندوب والمستغاث والمتعجب منه والبعيد(13). وإذا حذفت الياء من لفظ الجلالة (يا الله) عوضتها الميم كقوله تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوات﴾ الزمر /46، وشذّ قول أمية بن أبي الصلت:

إنّي إذا ما حَدَثٌ أَلـــمَّا..

أقولُ: يا اللّهُمَّ، يا اللّهُمَّا

حيث جمع بين (يا) والميم المشددة المعوّضة (14)

وقد تتمحض لمجرد التنبيه كقوله تعالى ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عظيماً ﴾ النساء /73.

3- المنادَى: وهو المخاطب أو المتلقي يكون منصوباً أو مرفوعاً، بحسب أنواعه، لذلك انشغل النحاة باختلاف علاماته، وبعامل النصب فيه.

لقد ذهب جمهور النحاة إلى أن المنادَى منصوب، وما كان مبنيّاً، فهو في محل نصب. وأن أدوات النداء صارت بدلاً من التلفظ بالفعل المتروك إظهاره لكثرة الاستعمال، "وصار (يا) بدلاً من التلفظ بالفعل، كأنه قال: يا أريد عبدَ اللّه، فحذف (أريدُ)، وصارت (يا) بدلاً منها[...]يدلك [...]قولُ العرب:يا إيَّاك " [15]. ولكن هل يستساغ أن يقال: يا أُريدُ محمدُ؟ أو هو تمثيل، لايتكلم به كما يقول سيبويه؟.

إن المنادَى يوضع موضع الضمير، لأن النداء حال خطاب، والمخاطبُ لا يحدث عن اسمه الظاهر لئلا يتوهم أن الحديث عن غيره، ولأن حضوره يغني عنه اسمه [16].و هو منصوب في تقديرهم بفعل مضمر وجوباً بعد الأداة تقديره: أنادي أو أريد... وقيل الناصب له الأداة بالنيابة عن الفعل، وقيل الأداة نفسها، وهو تركيب مستقل مشبه بالمفعول، وعليه الفارسيّ، وقيل الأداة، وهي اسم فعل، وهنا يكون المركب الندائيّ جملة. وقيل الناصب له معنويّ، وهو القصد [17].

يرى البصريون أن المنادى مفعول به، وهو جزء من جملة فعلية حذف ركنا الإسناد فيها، ويرى الكوفيون أن المنادى المفرد المعرَّف معرب بلا تنوين ليخالف المرفوع في باب الإسناد.

وذهب الفرّاء إلى أن المنادَى ليس بفاعل ولا مفعول ولا مضاف إليه [18]. وذهب الرياشيّ من البصريين مذهب الكوفيين، وهو أن الضمة في المفرد المعين علامة إعراب وليست بناء [19].

وأجاز المبرد نصب المنادَى بحرف النداء لسدّه مسدّ الفعل والفاعل، وليس ببعيد، لأنه يمال إمالة الفعل [20]. وهو رأي وجيه يمكن أن نعتمده كقاعدة ننطلق منها.

فما يضر العربية إن قلنا: إن المنادى منصوب ما عدا المفرد المعرَّف بالعلمية أو بالقصد، فإنه مرفوع بلا تنوين ليخالف المرفوع بالإسناد، وعدم التنوين سبب وضعيّ يلحق الممنوع من الصرف، كما أنه سبب تمييزي يلحق المنادَى. وما اختلاف حركات الإعراب للمناديات إلاّ لاختلاف أنواعه. وتعليل ذلك ما جاء في قول الخليل: "نصبُوا المضافَ نحو يا عبدَ اللّه، ويا أخانا، والنكرة حين قالوا: يا رَجُلاً صَالحاً، حين طال الكلام، كما نصبوا: هو قبلَك، وهو بعدَك، ورفعُوا المفردَ، كما رفعوا: قبلُ وبعدُ، وموضعُهما واحدٌ. وذلك قولك: يا زيدُ، ويا عمرُو، وتركوا التنوين في المفرد كما تركوه في قبلُ"[21]. ويُجمل الرأيَ هذا سيبويه في قوله: "كلُّ اسم مفرد في النداء مرفوع أبداً. [22]. وقال في موضع لاحق " كل اسم في النداء مرفوع معرفة" [23].

فإذا اقتنعنا بصواب هذه النتائج، وصحت المقايسة فيها، وثبتت جدواها في نفوسنا، كان منهج الخليل أسلم المناهج وأقربها إلى بيئة المتعلمين.

مما سبق يبدو أن رأي الخليل أوجه الآراء في تفسير حركة المناديات إذ يرى أنهم نصبوا المنادَى المضاف؛ لأنه طال بالمضاف إليه، والنكرة العامة (غير المقصودة)؛ لأنها طالت بالتنوين، أو بالتنوين والوصف معاً، ولأنها باقية على تنوينها. والنداء بها موجه إلى الجنس بأسره،

ويمتنع تنوينها إذا تعينت، وتحددت بالنداء، فصارت معرفة بقرينة الحضور، وكذلك العلَم بسبب إفراده وتحديده؛ لأن الأعلام قد تشترك في اسم واحد، والنداء يعين واحداً بالحضور.

وإذا وُصل المنادَى بما بعده رُدّ إلى أصله، وبعبارة أوضحَ يجوز في تابع المنادى النصب على الأصل، كقولك: يا زيدُ الطويلَ، والرفع على اللفظ، كقولك: يا زيدُ الطويلُ. قال الخليل "نُصب الطويلَ من قولك: يازيدُ الطويلَ؟ لأنه صفة لمنصوب" (24).

لقد سلف القول: إنّ الضمة في يا زيدُ، ويا رجلُ حركة إعراب، جيء بها لتخالف المضاف، لأنه إن كان مضافاً إلى المتكلم كان مكسوراً، نحو: يا أُمِّ (ي) والكسرة دليل على الياء المحذوفة للتخفيف، وإن كان مضافاً إلى غيره كان منصوباً نحو: يا أُمَّ خالد (25)؛ لذلك رفعوا إن أفردوا وعيّنوا. ومن أمثلة المنادى:

-**العلَم المفرد**، كقوله تعالى: ﴿يا آدمُ أنبئْهُم بأَسْمَائِهِمْ ﴾ البقرة/33. آدم منادىً مرفوع لأنه علم مفرد. وهو لا ينوّن بأصل وضعه بسبب العلَمية والعجمة. وهو يتساوى في النداء بالعلم المنصرف، كقوله تعالى: ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾الأعراف/77.

فلا فرقَ في النداء بين العلم المنصرف وغير المنصرف، فكلاهما يرفع بضمَّة واحدة.

– **النكرة المقصودة**، كقوله تعالى: ﴿ وقِيلَ: يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ، ويَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ﴾ هود /44. فالأرضُ معينة، وهي التي عمّها الطوفان، وقد كان يعيش فيها نوح وقومه.

– **المضاف**، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ ﴾ آل عمران /64.

– **النكرة غير المقصودة**/ كقوله تعالى ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَاتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ يس /30.

– **الشبيه بالمضاف**: لم نجد له مثالا في القرآن الكريم، ونمثّل له بقول الشاعر (طويل):

أيا مُوقدا ناراً لغيرك ضَوؤُها.:
ويا حَاطِبا في غيرِ حبلكَ تَحْطِبُ (26).

فالمنادَى (موقدا نارا) نكرة شبيهة بالمضاف؛ لأنها صفة مشتقة عاملة. كأنه قال: يا مُوقدَ النَّارِ. وهذا من باب إضافة الفاعل إلى مفعوله.

لقد ذهب جمهور النحاة إلى عدم جواز حذف المنادى البتة؛ لأنه هو المقصود بالنداء، وأجاز ابن مالك حذفه قبل الأمر، كقوله تعالى: ﴿ ألاَ يَسْجُدُوا لِلّهِ ﴾ النمل/ 25. وقبل الدعاء، كقول الشاعر (بسيط):

يَا لَعنةُ اللهِ والأقوامِ كلِّهم.:
والصالحينَ على سَمْعانَ من جارِ.

وتقدير المنادَى عنده (ياقوم، يا هؤلاء)؛ ورَدّ أبو حيان هذا التقدير، وقال: لا يجوز حذف المنادى؛ لأنه لا نداء من دونه، ولم يرد بذلك سماع من العرب. و(يا) في الآية والبيت ونحوهما للتنبيه (27).

هكذا استقر لدينا أن المنادى منصوب في أصل وضعه، والنصب لا يستلزم المفعولية، فلو أننا أظهرنا الفعل الذي قدره النحاة لكان إخبارا. والنداء ليس بإخبار، وكذلك إذا ظهر الفعل غير وظيفة النداء من حال الخطاب إلى حال الغياب. ولا هو جملة غير إسنادية، ولا شبه جملة، كما ذهب المحدثون. إنما هو تركيب طلبيّ مستقل بأركانه عن غيره، يقصد به تنبيه المخاطب أو المتلقي عموماً لإبلاغه أمراً ما. وهذا

المضمون الإبلاغيّ المراد توصيله إلى المنادى هو المقصود. نصطلح عليه بجواب النداء. قال سيبويه: "والنداء مختصّ من بين أمته لأمرك أو نهيك أو خبرك" (28).

4- جواب النداء: وهو المضمون الإبلاغيّ المراد توصيله إلى المنادى، وقد تكون هذه الرسالة اللغوية جملة خبرية أو طلبية أو شرطية. ولم يعن به النحاة بسبب أنهم اعتبروه جملة مستأنفة، ومن هذا الموقف كان لا مبرر عندهم للحديث عنه في باب النداء.

وقد ذهب الكوفيون إلى أن النداء لا يكاد ينفك عن الأمر أو ما جرى مجراه من الطلب والنهي، لذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله تعالى نداء ينفك عن أمر أو نهي. وإذا جاء بعده خبر شفعه بالأمر. ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ ﴾ الحج/73. عندما جاء الخبر بعد المنادى شفعه بالأمر في قوله: ﴿ فاستَمِعُوا لَه ﴾ الحج/73.

والرأي ما ذهب إليه البصريون في أن النداء يأتي بعده الأمر، كما يأتي بعده الخبر. وشواهد القرآن حجة لهم (29). وذلك في مثل قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُم بُرْهَانٌ، وأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾ النساء /174.

لقد ورد جواب النداء بعد المنادى كثيراً، كما سبق ذكره، وقد يتقدم التركيب الندائيّ، كقوله تعالى: ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ يس /59. وقد يتوسط المنادَى وأداته جوابَ النداء، فيكون اعتراضاً كقوله تعالى:﴿ أَلَم أعْهَد إِلَيْكُمْ – يَا بَنِي آدَمَ – أن لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ يس/60.

نداء المحلّى (بال)

لا يجوز الجمع بين حرف النداء، و(ال) في غير اسم الله تعالى، فيجوز لك أن تقول: يا ألله بقطع الهمزة ووصلها، كما يجوز حذف حرف النداء، وتعويضه بميم مشددة في آخر المنادى. مثل قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْك.. ﴾ آل عمران/26.

وقد أجاز المبرد والزجاج أن يكون (مالك) صفة. ومنع ذلك سيبويه ؛ لأن الميم في آخر المنادى تمنع من التبعية. وتخريج ذلك عنده بتقدير نداء ثان: أي يَا مَالِكَ الْمُلْك(30) فقال سيبويه: " وإذا ألحقت الميم لم تصف الاسم" (31).

وقد أجاز الكوفيون نداءه مطلقاً، محتجين بالقياس على (يَا الله)، وبالسماع من العرب كقول الشاعر(كامل):

عباسُ يا الملكُ المتوّجُ والذي. :
عَرفت له بيتَ العُلا عدنانُ (32).

وإنما لم يجز في سعة الكلام أن يقترن حرف النداء بما فيه (ال) لسببين :

1. (ال) تفيد التعريف، وحرف النداء كذلك، فأحدهما كاف عن الآخر.
2. (ال) لتعريف العهد، وهو يتضمن معنى الغيبة، لأن العهد يكون بين اثنين في ثالث غائب.

والنداء خطاب لحاضر، فلو جمعت بينهما لتنافى التعريفان (33).

كما يمكن أن نضيف سببا ثالثا نراه وجيها، وهو أنهم لما أرادوا نداء ما فيه (ال) جاءوا بـ (أيها) للتخلص من التقاء الساكنين. قال السيرافي: "الأصل في دخول يا أيها الرجل أنهم أرادوا نداء الرجل، فلم يمكن

نداؤه من أجل الألف واللام، وكرهوا نزعهما، وتغيير اللفظ، فأدخلوا، (أي) وصلة إلى نداء (الرجل) على لفظه، وجعلوه الاسم المنادى، وجعلوا الرجل نعتا له، وألزموها (ها) لتكون دلالة على خروجها عما كانت عليه في الكلام (...) وقال سيبويه جعلوا (ها) فيها بمنزلة (يا) وأكدوا التنبيه" [34].

وذهب الأخفش في أحد قوليه إلى أن (أيًّا) في النداء موصولة والمرفوع بعدها خبر المبتدأ محذوف والجملة صلة لها [35].

يذهب جمهور النحاة إلى أن (ها) دخلت للتنبيه على اسم الإشارة، فإذا قلت : يا أيُّها الرَّجل، فكأنك قلت يا أيهذا الرجل. وحذف (ذا) وأغنت (ها) عنها. إذ لا يجوز عندهم: يا أيُّ الرجلُ، بل لا بد من اسم الإشارة أو حذفه، والاكتفاء بـــ (ها) فتقول: يا أيُّها الرجلُ [36].

لا نعتقد أن المتعلم يجني من هذا التقدير ما يفيده في استعمال اللغة، ولا ما يصلح به لسانه.

ولا نظن أن التعليم العام في حاجة إلى البحث في بنية التأويل.

ولكن أو لم يذهب الخليل إلى أن (أيّ) مبهم يلزمه التفسير، فصار هو والرجل بمنزلة اسم واحد، فقولك يا أيُّها الرجُل، كأنك قلت: يا رجُلُ [37].

هذا المنهج الذي ذهب إليه الخليل أيسر في التعليم والتحصيل، ولا داعي إلى التجزئة والتأويل. وما من شيء يمنعنا من اعتماده والإقرار بأن المحلى (بال) ينادى كبقية الأسماء باستعمال (يا). ولكن يؤتى بـــ (أيها) للتخلص من التقاء الساكنين. وما بعدهما هو المنادى، وليس تابعه كما ذهب القدماء.

ينادى بـــ (يا أيها، أو يا أيتها):

- المفرد، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يحزُنْك الَّذينَ يُسَارِعُون في الْكُفْرِ﴾ (المائدة، الآية 41).
- المثنى، كقوله تعالى : ﴿سَنَفْرَغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلاَنِ﴾ (الرحمن، الآية 31).
- الجمع، كقوله تعالى : قال:﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (الحجر، الآية 57).
- المؤنث، كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ (الفجر، الآية 27، 28).

ولك أن تقول : يا أيتها المؤمنتان، ويا أيتها المؤمنات، بالتثنية والجمع.

وتحصيل القول أن النداء تركيب طلبيّ مستقل، يتكون من أربعة عناصر:

المنادي وأداة النداء والمنادَى وجواب النداء. وهو المضمون الإبلاغيّ الذي يريد المتكلم أن يوصله إلى المخاطب. والمنادَى منصوب في أصله بأداة النداء، ويرفع بلا تنوين إذا كان مفردا معيناً بالعلَمية أو بالقصد، وإذا وُصل بغيره رُدَّ إلى أصله (أي النصب)، وعدم التنوين سبب تمييزيّ للمنادى ليخالف المرفوع منه بالإسناد، أما إذا كان المنادى محلّى (بال) فإنه يؤتى بـــ (أيها) وصلة للتخلص من التقاء الساكنين.

المراجع والهوامش

1. هذا المقال نشرته مجلة اللسان العربيّ، العدد 45، صفر 1419نوفمبر 1998 الرباط. من الصفحة 91 إلى 97.
2. شاع في بيئة النحاة أن الإسناد لا يكون إلا بين اسمين، أو بين اسم وفعل، لذلك كانت الجملة الاسمية والجملة الفعلية. أما الحرف فلا يسند إلى الاسم، ولا إلى الفعل، ولا يسند الفعل إلى الفعل، لأنه خبر، والخبر لا يخبر به عند الخبر... ولكن أداة النداء بانضمامها إلى المنادى تحصل فائدة.
3. ينصب المنادى إذا كان مضافا أو شبيها بالمضاف أو نكرة غير مقصودة مثل : يا رَسُولَ الله. يا محموداً فعلُه. يا رَجُلاً خذ بيدي.

ويبنى على ما يرفع به، إذا كان علما مفردا، كقولك: يا عليُّ. أو نكرة مقصودة في مثل: اقتربْ يا ولدُ

والمنادى منصوب، والمبنيه في محل نصب، وكلاهما مفعول به لفعل واجب الحذف تقديره أنادي أو أدعو...

قال الشريف الجرجاني (816 هـ). المنادى هو المطلوب إقباله بحرف نائب مناب أدعو لفظا أو تقديرا". كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، 1985، ص 297.

4. الدكتور مهدي المخزومي، في النحو العربيّ، نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، طـ 1، 1964، ص 53، 54. وريمون طحان، الألسنية العربية (2)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، طـ 1، 1972، ص 82، 83.
5. ينسب هذا الرأي إلى الدكتور عبد الرحمن أيوب، ينظر في النحو العربيّ، السابق، ص 54.
6. برجشتراسر (جوتلف)، التطور النحويّ للغة العربية تعليق الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، 1972، ص 125.
7. النداء تركيب طلبيّ، وذهب بعض النحاة إلى أنه خبر إذا كان بالصفة في مثل: يا فاسقُ. ينظر أبو حيان الأندلسي (745 هـ) ارتشاف الضرب، تحقيق الدكتور مصطفى أحمد النماس، مطبعة المدني 1989، الجزء 3، ص 117.
8. سيبويه (180 هـ) الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ط 2، 1979، الجزء 2، ص 208.
9. نفسه 231/2، 232
10. نفسه 230/2. وزعم ابن السكيت، وتبعه ابن الخشاب أن الهاء في (هيا) بدلا من الهمزة في (أيا).
11. السيوطي (911 هـ) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ط 1، 1975، 1980، الجزء 3، ص 35.
12. وحكى بعضهم أن (وا) تستعمل في غير الندبة قليلا، كقول عمر بن الخطاب (ض) لعمرو بن العاص "واعجباً لك يا ابن العاص) نفسه 35/3
13. شاع في أساليب العربية حذف أداة النداء (يا) عند نداء القريب حقيقة أو حكما، لذلك التزم القرآن الكريم حذفها في دعاء لفظ (ربِّ، ربَّنا) فحذفت من دعاء (رب) في (90) موضعا. و لم يصرح بحرف النداء إلا في موضعين:

أ- (وَقَالَ الرَّسُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّ قَوْمِيَ اتَّخَذُوا هَذَا القُرْآنَ مَهْجُوراً) (الفرقان، الآية: 30).

ب- (وَقِيلِهِ: يَارَبِّ، إِنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمٌ لاَ يُؤْمِنُونَ) (الزخرف، الآية:88)

والدعاء في الآيتين جرى على لسان خاتم الأنبياء مناجياً به ربّه، متضرعاً إليه، سائلا النصر والتأييد.

14. أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب، 117/3.
15. ابن عقيل (769 هـ) شرح ابن عقيل، تصحيح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط 16 1974، الجزء 265/3.

يستعمل اللهمَّ على ثلاثة أنحاء :

أ- أن يراد به النداء المحض، كقولهم : المّمَّ ارحمنا:

ب- أن يذكره المجيب تمكينا للجواب في نفس السائل: يقول لك السائل:

أزيد قائم ؟ فتجيب : اللهمَّ نعم أو اللهم لا .

جـ- أن يستعمل دليلا على الندرة، وقلة وقوع المذكور، كقوله: أنا لا أزورك اللهمَّ إلا أن تدعوني. ينظر أبو حيان الأندلسي، أرشاف الضرب 127/3.

16. الكتاب 291/1.
17. أبن يعيش (643 هـ)، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، الجزء 8، ص 120
18. أبو حيان الأندلسي، تذكرة النحاة، تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمان، مؤسسة الرسالة، بيروت 1986، ص 727.
19. ابن الأنباري (577 هـ) الأنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تصحيح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، الجزء 1، ص 323.
20. تذكرة النحاة، ص 727.
21. الإستراباذي (686 هـ)، كتاب الكافية في النحو، دار الكتب العلية، بيروت 1995 الجزء 1، ص 131، 132
22. الكتاب 182/2، 183
23. نفسه 183/2
24. نفسه 197/2
25. نفسه 182/2، 183
26. إذا قلت : يا أمُّ، من دون ذكر المضاف يكون الأصل يا أمي، فتقلب الياء إلى ألف فتصير يا (أمَّا)، ثم تحذف الألف، فتصير يا أمُّ، وهو قليل. ينظر شرح ابن عقيل، الجزء 3، ص 274، 275
27. نُوديَ الأنبياء في القرآن الكريم بأسمائهم الصريحة: يا آدمُ، يا نوحُ، يا إبراهيمُ...

ونودي الرسولُ الكريم (ص) بصفاته : يا أيُّها الرسولُ، يا أيها النبيُّ... تأكيدا على أنه رسول وعلى أنه نبي، ولأن الكفار لم يكونوا يعتبرونه كذلك. أما نداؤه بالصفات الطارئة (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ) فإنه لاستنهاض همته، وحثه على القيام بالمهمة العظيمة في تبليغ رسالته. فقد تكرر نداؤه في (17) موضعا، وللزيادة في التوضيح، ينظر البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، الجزء 1، ص 148.

28. همع الهوامع 28/2، 30.
29. البحر المحيط 66/7.

وفي الحقيقة يجب أن نقتنع أن للشعر أساليبه، فقد جاء منه ما يخالف قواعد الكلام العاديّ، فقد ينون العلم بالرفع كقول الأحوص (وافر):

سَلَامُ اللهِ يا مطرٌ عليها: وليسَ عليكَ يا مطرُ السَّلامُ

كما ينون بالنصب كقول المهلهل (خفيف):

ضَرَبَتْ صدْرَهَا إليَّ وقالتْ: يا عَدِيًّا لقد وَقَتْكَ الأواقي.

قال النحاة في (عدياً) منادى منصوب — وهو علم مفرد — مشبه بالنكرة غير المقصودة . ولو قالوا منصوب على أصله، وما جاء على أصله لا يعلّل عن سببه.

30. شرح المفصل 129/1، وارتشاف الضرب 120/3، والهمع 28/2.
31. الكتاب 131/2، 132
32. الأنصاف 103/1
33. العكبري (616 هـ)، التبيان في إعراب القرآن، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، الجزء 1 ص 250.
34. الكتاب 196/2.
35. همع الهوامع 36/2.
36. شرح ابن عقيل 255/3.
37. الكتاب 188/2 الهامش رقم 3
38. ارتشاف الضرب 129/3.
39. نفسه 129/3
40. الكتاب 184/2
41. استخدم القرآن الكريم في النداء (يأيها) 150 مرة، ومن غير ألف (يا أيه) 3 مرات. وضمُّ الهاء لغةُ بني مالك من بني أسد. وقد قرأ بها ابن عامر وهو من السبعة. وهذا دليل على أنها ليست من بقية (هذا). ينظر ارتشاف الضرب 127/3.

نُوديَ بـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)كثيرا. وهذا تشريف للمؤمنين بندائهم بصفة الإيمان لينهيئوا لقبول أوامر الله ونواهيه.

ألفاظ الحياة العامة دراسة لغوية ومعجمية
(مَثَلٌ من سلطنة عُمان)

د. حليمة عمايرة (*)

ملخــــص

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف إلى سمات المصطلح في اللهجة العُمانية. وقد اتبعت الدراسة المنهج الوصفيّ، في جمع الألفاظ المنطوقة، التي يتفاهم بها العُمانيون في حياتهم العامة، كأحاديث البيت والسوق، ولذا جمعنا الألفاظ من الحياة العامة، كألفاظ الزينة، و الحِرَف و السوق، وأدوات الزينة، والطبيات، والصناعة،... إلخ .

ثم تلت هذه المرحلة ملاحظة سلوك العربية في لهجتها العُمانية المعاصرة، لبيان طريقتها في تجديد نفسها، واستيعاب الحياة الجديدة، وبخاصة بعد استكشاف النِّفط، وما ترتب عليه من وجود شركات النفط التي أصبحت تحرص على إعداد العاملين فيها، إعداداً فنياً خاصاً، عن طريق مراكز التدريب المهنيّ، وهي تدرس بالإنجليزية. وقد ترتب، بعد اكتشاف النفط، أن كثر العمال الوافدون، كثرة طاغية، في مجالات التجارة و الصحة.

وقد ساعد هذا المنهج في الوقوف على سمات لغوية منها:

أ- الصوتية.

ب- الاشتقاقية.

جـ- تأثر اللهجة العُمانية باللغات الأخرى.

د- ظاهرة الترادف فيها، وغيرها.

وقد أفادت الدراسة من مراجع دلالة الألفاظ وفقه اللغة، وكذلك من كتب المعاجم في العربية وغيرها، وذلك في محاولة لتأصيل بعض الكلمات الأجنبية، ومعرفة معانيها في لغاتها الأصلية.

آمل أن تُسهم هذه الدراسة في إلقاء الضوء على سمات اللهجة العُمانية، وعلى طرقها في استيعاب الحضارة، بما يشكل لبنة صالحة في بناء معجم لألفاظ الحياة المعاصرة، في الوطن العربيّ، انطلاقاً من أن اللهجات رافد من روافد اللغة العربية الفصحى، التي هي موطن العرب وسمة تفكيرهم ، والسلاح الأمضى لبقائهم.

(*) رئيسة قسم علوم الشريعة والحضارة الإسلامية – كلية إربد الجامعية- المملكة الأردنية الهاشمية.

مقدمة:

شغلني موضوع المصطلح، منذ أن كلفت دراسة معجم الحضارة لـ "محمود تيمور"، في مادة المصطلح، في مرحلة الدكتوراه، وقد وقفت من خلال ذاك المساق على حجم المشكلة، فالمصطلح الذي تقره المجامع ليشيع بين الناس لا ينتشر، إن قدّر له ذلك، إلا بعد فترة متأخرة، وذلك نحو الناسوخ للفاكس، والحاسوب للكمبيوتر. هذا إضافة إلى ازدواجية تعريب المصطلحات في البلاد العربية للمفهوم الواحد، وذلك نحو تعريب مصطلحي [1] "Bilingualism"و "Diglossia" فقد عُرِّبا في المغرب العربيّ بالثنائية للأول، والازدواجية للثاني، بينما عُرِّبا في مصر[2] بالازدواجية للأول، و بالثنائية للثاني.

حاول تيمور تخيّر المصطلح في صورته الأفضل، من حيث انسجامُه مع قواعد العربية، وأصولها، وهي فكرة مفيدة، وقد التفت علماء العربية القدماء إلى ذلك من خلال تقعيدهم للغة باستقراء المادة اللغوية المجموعة عن القبائل الست المعروفة[3]، بما يشير إلى أن العربية الفصحى قائمة على شكل من أشكال الائتلاف اللغويّ، ويشير أيضاً إلى أن صدور القدماء لم تضق عن الإقرار باللهجات وتعايشها بوصفها كياناً لغوياً، وتفسير كثير من ظواهر الفصحى في ضوئها، وفهم النصوص الفصيحة على أساسها [4].

وقد نبهت مجامع اللغة العربية إلى أهمية مثل هذه الدراسات، التي تهدف إلى عمل معجم شامل لألفاظ الحياة المستعملة في الوطن العربيّ، فقد حثّ مجمع اللغة العربية في القاهرة، على البحث عن الفصحى في مجالها الواسع بين اللهجات العربية، وذلك بتنظيم دراسة علمية للهجات العربية في الأقطار المختلفة، وقد عدّ العقاد هذه المادة أنفع أغراض المجمع في خدمة الفصحى[5]، كما دعا مجمع اللغة العربية الأردنيّ إلى تنفيذ هذه الفكرة، وذلك بتكوين معجم شامل لألفاظ الحياة العامة في الأردن، بهدف توحيد المصطلح في الأردن، خطوة أولى لتوحيده في العالم العربيّ، وذلك استناداً إلى جملة من الأسس والمعايير. [6]

ولما كانت دراسة المصطلح الشائع في اللهجات، تحتاج إلى إجراء عمليّ، بدراسته في مواطنه الأولى، فقد فكرت في جمع مفردات اللهجة العُمانية، بعد أن استقر بي المقام في مدينة عبري، مركز منطقة الظاهرة، في معجم أسميه "معجم ألفاظ الحياة في عُمان"، وقد استعنت بطالبات السنة الثالثة آنذاك، وهنّ الفوج الثاني الذي تحمل خريجاته درجة البكالوريوس في اللغة العربية في كلية التربية للمعلمات بعبري، وقد قسمت العمل إلى محاور عامة نحو "محور البيت، محور الزينة، محور السوق، محور الأدوات... إلخ" [7].

ولما لم يطل المقام بنا في كلية عبري، رأيت أن أدرس المصطلحات المجموعة، دراسة لغوية تقوم على المنهج الوصفيّ، اعتماداً على سماعها منطوقة نطقاً مباشراً، من خلال الطالبات ومن خلال المجتمع المحليّ، الذي عايشته متفاعلة معه ثلاث سنوات، بجميع فئاته الاجتماعية، كما أتاحت لي فرصة الإشراف التربويّ على طالبات قسم اللغة العربية، فرصة طيبة لسماع اللهجة منطوقة، وقد تعمدت عدم الاعتماد على المادة المكتوبة، انطلاقاً من أن اللهجة ينبغي أن تدرس مسموعةً في سياقها، ولأن الكتابة العربية لا تصور اللهجات. ثم تلت هذه المرحلة، ملاحظة سلوك العربية

في لهجتها العُمانية المعاصرة، لبيان طريقتها في تجديد نفسها، واستيعاب الحياة الجديدة، كأن تحيي كلمة عربية قديمة، وتستمر في استعمالها، أو أن تنحت أو تركب أو تشتق أو تدخل لفظة أجنبية بجذافيرها، أو تترجمها.. إلخ، وبذلك يتم الوقوف على سمات اللهجة العمانية المعاصرة.

وقد أفادت الدراسة من المراجع السابقة في اللهجات العربية القديمة والحديثة، لمستشرقين وعرب، وذلك نحو"اللهجات العربية"لإبراهيم أنيس.... و "لهجة الكويت" لعبد الله خلف، إضافة إلى مراجع في دلالة الألفاظ وفقه اللغة، وذلك نحو كتاب "دور الكلمة في اللغة لستيفن أولمان، ترجمة د. كمال بشر،وكتاب "دلالة الألفاظ " لإبراهيم أنيس. إضافة إلى كتب المعاجم في العربية وغيرها، وذلك في محاولة لتأصيل بعض الكلمات الأجنبية، ومعرفة معانيها في لغاتها الأصلية.

آمل أن تُسهم هذه الدراسة في إلقاء الضوء على سمات اللهجة العُمانية، وعلى طرقها في استيعاب الحضارة، بما يشكل لبنة صالحة في بناء معجم لألفاظ الحياة الفصحى المعاصرة في الوطن العربيّ، يتوحد فيه المصطلح، انطلاقاً من أن اللهجات ترفد العربية الفصحى، فالعربية موطن العرب، والسلاح الأمضى لبقائهم، وبذلك فإن هذه الدراسةلا تهدف إلى رفع لواء العامية أو المغالاة في إظهار لهجة عُمان على غيرها، بل تهدف إلى رفع لواء اللغة العربية الفصحى، وإظهار ما كان مندثراً منها، وذلك لإرجاعه للأصل، وخدمة الفصحى من خلال دراسة اللهجات.

فاللهجات، هنا وهناك في أرجاء العالم العربيّ، تمثل بؤر تفاعل حقيقيّ للغة، ولذا كان لا بد من الإفادة منها، ووضع الضوابط اللازمة لتخير ما يلزم في خدمة الفصحى.

ويسعدني أن أقدم هذا البحث لطالبات قسم اللغة العربية في كلية التربية للمعلمات بعبري، ثمرة طيبة للتفاعل المثمر، والعمل الجاد في جمع محاور هذا البحث. والشكر موصول لكلية التربية للمعلمات بعبري لما أبدته من تعاون وتشجيع، وذكرى طيبة لتلك السنوات التي أمضيناها معاً في مدينة عبري.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل نافعا للتربية و أبنائها. وأن يرزقنا ثوابه، إنه سميع مجيب."رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوَ أَخْطَأْنَا".

تمهيد

كانت عُمان قديماً سكناً "لعبد قيس وبكر بن وائل، وأناس بن تميم، ومن الأزد"[8] ومع اتساع رقعة السلطنة، غير أن دين القوم كلهم واحد ولغتهم واحدة، دين آبائهم، ولغة أجدادهم، ولا عجب في ذلك، فقد دخلت هذه البلاد في الإسلام دون قتال، ومن أرضها خرج مُنَظِّر العربية الأول، الخليل بن أحمد الفراهيديّ. بلاد مباركة خرّجت العلماء وحفظت التراث، وكانت درعاً للعرب والمسلمين من هجمات البرتغال.

اتصل العُمانيون بغيرهم من الشعوب غير العربية اتصالاً واسعاً، قديماً وحديثاً، فحدودهم متاخمة لبلاد فارس، وهي قريبة من شبه القارة الهندية، وسلطتهم امتدت إلى بلاد شرق أفريقيا، حيث حكموا "زنجبار" إلى ما يزيد على منتصف القرن العشرين.

وقد تبع اكتشاف النفط فيها وعائداتـــه، أن أصبحت شركات [9] النفط تحـــرص علـــى إعـــداد العاملين فيها إعداداً فنياً خاصاً، عن طريـــق مراكـــز التدريب المهنيّ، ولغة التعليم فيه الإنجليزية، أو ابتعاث الناهين منهم إلى انجلترا للارتفاع بمستواهم الفنيّ، مما لا يخفى أثره في لغتهم الوطنية ومســـتوى نقائهـــا، بانتقال كثير من مفرداتها إلى لغتهم الأم، ولا يخفى أثر ذلك في لغة من يتعاملون معهم مـــن أهـــل وأبنـــاء وأصدقاء.

وقد تبع اكتشاف النفط أيضاً، أن أصبحت العمالة الوافدة في السلطنة تكاد تستغرق قطاعي التجارة والصحة. ولا تقتصر هذه العمالة على نوعية واحدة، بل تتعدد فمنها الهندية وهي الغالبة وبخاصة في قطاعي الصحة والتجارة، وربما عاد ذلك إلى أسباب كثيرة منها الجوار، وما ترتب عليه من علاقات تجارية، إضافة إلى عوامل سياسية.

وهناك جاليات أخرى، كالجالية الكندية التي يشغل أفرادها وظائف الإشراف الإداريّ، في الشركات والكليات، وغيرها من المؤسسات، و الجاليات السيرلانكية، والفلبينية، التي يشغل أفرادها أعمال الخدمة في البيوت والشركات و المصانع وغيرها.

وعلى هذا، فإن هذه الدراسة تسعى إلى التعرف إلى الطريقة التي سلكتها اللهجة العُمانية في استيعاب ألفاظ الحياة وذلك بالتعرف إلى السِّمات اللغوية الآتية:

الكشكشة: وهي قلب الكاف شيناً عند المفرد المؤنث، وذلك نحو قولهم: "، اختش، (ihtis‘) (أخوش"، (ahos‘) في (أختكِ، أخوكِ) وهذه سمة لهجية قديمة، قيل إنها تعود إلى بني أسد، وبعض بني تميم، وبكر بن وائل، وذلك نحو قول الشاعر [10].

(فعيناش) عيناها و (جيدش) جيدها

ولكن عظم الساق (منش) دقيق

يقصد (عيناكِ وجيدكِ، منكِ)

وتعني هذه الظاهرة، ميل أصوات الحنك، كالكاف والجيم الخالية من التعطيش، بمخرجها إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك، حين يليها صوت أماميّ كالكسرة، لأن صوت اللين الأماميّ، يؤثر في هذه الأصوات، فتنقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك [11]، وقلب الكاف كافاً مكشكشة ظاهرة صوتية موجودة في لغات أخرى كالهندية والإنجليزية، كما في أول كلمة "Children" الإنجليزية "أي أولاد"، ونلاحظ أنه صوت واحد يتكون من عنصرين: أولهما ينتمي إلى الأصوات الشديدة (الانفجارية) ، وهو ما يشبه صوت (التاء)، وثانيهما إلى الأصوات الرخوة وهو ما يشبه صوت (الشين). والناس في ذلك، في الأسرة اللغوية الواحدة، بين مغير ينطقها بالمكشكشة، كما رأينا في بعض اللهجات العربية، وفي الإنجليزية، وبين مبق عليها كافا، كما في لهجات عربية أخرى (الحجازية) وكما في الألمانية، إذ تقابل Children في الألمانية كلمة"kinder " "أطفال" وتنطق بالكاف.

وقد أشار سيبويه إلى هذه الظاهرة، وذكر قيمتها في التفريق بين المذكر والمؤنث، ومما قاله: "هذا باب الكاف، التي هي علامة المضمر، اعلم أنها في التأنيث

مكسورة، وفي المذكر مفتوحة، وذلك قولك: رأيتكِ للمرأة، ورأيتكَ للرجل،... فأما ناس كثير من تميم، وناس من أسد، فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين، وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف لأنها ساكنة في الوقف، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث،... وجعلوا مكانها (الشين)، أقرب ما يشبهها من الحروف، لأن (الشين مهموسة)، كما أن الكاف مهموسة، وذلك قولك (أنش ذاهبة، ومالش ذاهبة، يريد، أنك ومالك) [12]، ونسب الزمخشريّ (ت 538 هـ)، هذه الظاهرة إلى ربيعة في شرق الجزيرة، وأيده الفراء، وكذلك ابن جنّيّ حين قال [13]: "عنعنة تميم وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن "، وعلينا أن نتذكر هنا أن التاء من الضمير أنتَ وأنتِ أصله كاف، يشهد بذلك بقايا استعمال له في العربية، ونظائر له في بعض اللغات السامية ومنها الأكادية، وعلى هذا، تكون " أنش " معبرة عن هذا التحول من الكاف الأصلية إلى الشين.

وتشيع هذه الظاهرة أيضاً في اليمن [14]، وفي قرى فلسطين [15]، غير أنها في اليمن تميل إلى قلب الكاف كلياً إلى شين، وهي الظاهرة التي عُرفت بالشنشنة، أما في قرى فلسطين فتغلب شدة التاء على رخاوة الشين وتفشيها.

صوت الهمزة:

تميل اللهجة العُمانية إلى حذف همزة القطع في أول الكلمة، وذلك نحو قولهم (ختين) في (أختين)، ويقولون: (خوال، هلي) بدلاً من (أخوال،أهلي) وكذلك تحذف في أول الكنية، كأن يقال: (بوهاشل، بوموزة، بوحمد)، في (أبو هاشل، أبو موزة، أبو حمد). ويعود هذا إلى أن العمانية تجيز البدء بساكن، كما هي الحال في بعض اللغات السامية كالسريانية، إذ تنطق كلمة كتاب فيها هكذا Ktab وهي ظاهرة قديمة، بيد أنها ليست أصيلة في اللغات السامية التي يتأصل فيها تحريك الأول، ولو باستجلاب همزة الوصل، غير أن الفرع أو التطور أصبح متمكنا في بعض اللغات، إذ تحذف همزة الوصل في أول الكلمة، ثم قيس عليها قياساً خاطئاً ما بُدئ بهمزة ولو لم تكن للوصل، كما هي الحال في أخوال، وأهلي، وأما، وثنى قولهم بنتين وثنتين فعلى الأصل: بنو وثني، ويشارك العمانية في البدء بالساكن كثير من اللهجات العربية الحديثة.

وكذلك تميل اللهجة العُمانية إلى حذف الهمزة في آخر الكلمة، وبخاصة إذا جاءت الكلمة مضافة، وذلك نحو قولهم: (ما شا الله) في (ما شاء الله)، و (مسا الخير، في مساء الخير)، وكذلك يقولون في الأسماء (هنا، سنا)، في (هناء وسناء).

وهذه لهجة قديمة تعرف بـ(اللخلخانية)، شاعت عند قبائل (الشحر) في اليمن وعُمان [16]، أما إن كانت الهمزة في بنية الكلمة، فإنهم يقلبونها إلى ياء، مثل قريت في قرأت، (زيبق في زئبق)، أو إلى ألف مثل (راس في رأس).... وهكذا.

ويميل بعضهم إلى إبدال الهمزة هاءً ساكنة، وذلك نحو قولهم (سوده) في سوداء، وكذلك (حمره في حمراء).

ويميلون إلى نطق الألفاظ التي تبدأ بالضم بالهمزة المكسورة. وذلك نحو قولهم في (محمد، مربّع، إمحمد، إمربع) [17]. ولا يقتصر ذلك على العُمانية، إذ هي

ظاهرة سائدة في كثير من اللهجات العربية، فهي موجودة في بلاد الشام ومصر.

صوت الجيم:

صوت الجيم من الأصوات التي أخذت صوراً نطقية عدة في الوطن العربيّ، فهو في الفصحى، صوت شديد (انفجاريّ)، مخرجه "من وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الأعلى"[18].

يشاركه في هذا المخرج، صوتا الشين والياء. وهو في اللهجة العُمانية أكثر شدة (انفجارية)، منه في الفصحى؛ أي أن نطق العُمانيين للجيم، فيه انتقال للمخرج إلى الوراء قليلاً، و انحباس النفس معها انحباساً كاملاً، رغم احتفاظ الصوتين كليهما بصفة الجهر، وذلك في نحو نطقهم لكلمة "جمل" كمل ga/mal،ويستوي نطقها عندهم في الأسماء والأفعال، فينطقون الفعل اجلس (إكلس) (ig/lis) وتنطق بهذه الصورة في بعض أنحاء مصر، وعند أهل اليمن.

وهي ظاهرة صوتية قديمة، نسبت لبعض قبائل طيء [19]، وهم من القبائل البدوية التي عاشت في بعض نواحي نجد، ثم انتقلت إلى المناطق الأخرى، ولعل هذا ما جعل بعض الباحثين المعاصرين[20] يرجحون أنها الأصل في نطق الجيم، ذلك أنها نطقت بالصوت نفسه في العبرية، وكذلك في السريانية "gamla "، و الحبشية "gamal".

صوت الضاد:

وينطق أهل عُمان صوت الضاد ظاءً، فيقولون (بيظة،ويظرب،ويظحك)في(بيضة،ويضرب،ويضحك).

وهي ظاهرة صوتية نسبت إلى قبائل الحجاز، بينما بنو تميم ينطقونها ضاداً، وربما كان السبب في الخلط بينهما يعود إلى قربهما في المخرج واتفاقهما في الجهر والإطباق والاستعلاء و الرخاوة [21]، إضافة إلى صعوبة نطق الضاد كما وصفها القدماء، مما جعل بعض المستشرقين يميلون إلى أن "النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب" [22].

وقد أشار سيبويه إلى هذه الظاهرة، على أنها غير مستحسنة في "لغة من ترضى عربيته، وهي لا تستحسن في قراءة القرآن"[23]، وحذر ابن الجزريّ [24] من الخلط بين الضاد والظاء، لا سيما في القرآن الكريم، وأُلّفت في ذلك كتب كثيرة، نحو كتاب (الفرق بين الضاد والظاء) للصاحب بن عبّاد، وكتاب (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد)، لجمال الدين محمد بن مالك المتوفى سنة 672 هـــ.

الإبدال:

تتأثر الأصوات بعضها ببعض حين تتجاور في الكلام، فيتم، في بعض الأحيان، وضع حرف مكان حرف آخر، ولا يفهم من ذلك أنهم يتعمدون تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان مختلفة [25]، ونجد لهذه الظاهرة أمثلة في اللهجة العمانية وذلك نحو:

1.إبدال الجيم كافاً:

وذلك نحو قولهم في (مجرافة- مكرافة) وهذه ظاهرة لهجية قديمة، إذ قالت العرب "أخذه سَجٌ في بطنه، وسَكٌ، إذا لانَ بطنه، وقيل، ريح سَهْوَجْ وريح سَهْوك، أي شديدة [26].

وتبدل الجيم كذلك بالقاف العُمانية (g) فيصبح للفظ "بحرافة" صورة أخرى هي "مكرافة وإبدال الجيم بالكاف أو بالقاف الفارسية (g)، يعود إلى اتحادهما في المخرج، فهما لهويتان، وكذلك اتحادهما في صفة الشدة (الانفجارية)، وقد نسب الفرَّاء قلب القاف كافاً لبعض بطون بني أسد، وعلى هذا فسرت قراءة بعض الأعراب لقوله تعالى:"فأما اليتيم فلا تكهر [27].

إبدال السين والصاد:

يغلب إبدال السين صاداً في اللهجة العُمانية، وذلك نحو قولهم، "برنوص في برنوس" بمعنى غطاء النائم، "وصحلة في سحلة" بمعنى إناء، وصندقة في سندقة وهو"ركن توضع فيه أدوات البناء لحين إتمامه "

وهذه السمة قديمة أيضاً، بل هي كثيرة، وذلك لاتفاق صوتي السين والصاد في المخرج، إضافة إلى صفات الهمس والصفير والرخاوة (الاحتكاك)[28]، ومن هذا الإبدال عند العرب قولهم: "خطيب مسلاق، ومصلاق، إذا كان فصيحاً بليغاً، ويقال: سقع الديك يسقع وصقع يصقع، إذا صوت ويقال: أجد في بطني مغساً ومغصاً"[29].

وذكر أبو محمد البطليموسيّ شروطاً لهذا الإبدال فــ "كل سين وقعت بعدها عين أو غين أو خاء أو قاف أو طاء، جاز قلبها صاداً مثل يساقون ويصاقون، وسقر وصقر، وشرط القلب أن تكون السين متقدمة على هذه الحروف، وأن تكون هي الأصل" [30].

ونسبت هذه اللهجة إلى قريش [31]، ومنهم من نسبها إلى نفر من بلعنبر (وهم من بني تميم) [32]، ورجّح بعض المحدثين نسبتها إلى تميم، لأن النطق بالسين -فيما يرون- مظهر حضاريّ، بينما إبدالها بالصاد أميل إلى البداوة[33] لما في الصاد من تفخيم يقربها إلى الخشونة.

إبدال السين والزاي

وذلك نحو قولهم مزراب، ومسراب، وزعتر وسعتر، وهي ظاهرة لهجية قديمة، فقد قالت العرب، "مكان شاز وشأس وهو الغليظ، وقالوا الشازب والشاسب بمعنى الضامر، ويقال للمخدة: المزدغة والمسدغة" [34].

ولا يخفى أن السين والزاي أسليتان، التقتا على الصفير والهمس والرخاوة (الاحتكاك)، وذلك مما يسهل الإبدال بينهما.

تبادل السين والشين

تتبادل السين والشين، في بعض الألفاظ على ألسنة العُمانيين، وذلك نحو (سكْرْ وشكّر، وطشت وطست)، ويذكر أن هذه ظاهرة قديمة أيضاً، فقد قيل (غبس الظلام وغبش الظلام)، ونسب إبدال الشين من السين لبعض بني أسد[35]، وهي ظاهرة سامية، إذ يصح تعاقب هذين الصوتين في الساميات[36]، وذلك لاشتراكهما في الهمس والاحتكاك وقرب المخرج.

تبادل الجيم والياء:

تبدل الجيم ياء على ألسنة بعض العُمانيين، نحو قولهم (زنبيل في زنجبيل) و (يح في جح) و (سراي في

سراج) و (حيرة في حجرة)، وهما صوتان شجريان متفقان مخرجاً وكلاهما مجهور وقد أشار اللغويون القدماء إلى هذه الظاهرة فنسبت إلى بني تميم [37]، فهم يقولون الصهاريج والصهاري، وقالوا في شجرة- شيرة"، وعدوها من الإبدال النادر، ولذا عُدّت القراءة "ولا تقربا هذه الشيرة "[38] من القراءات الشاذة.

على أن هذه الظاهرة تبدو شائعة على ألْسنة العُمانيين، وبخاصة في المنطقة الشرقية، وهى تشيع في الخليج أيضاً كما هو في الكويت والبحرين وقطر ودبي وأبو ظبي والشارقة [39] وعسير.

تبادل الهمزة والعين

وذلك نحو قولهم أنجاص، عنجاص)، وزعتر- زأتر (في مسندم) و الهمزة والعين حلقيتان مجهورتان، وهذه ظاهرة قديمة نسبت إلى قبيلتي قيس وتميم، فهم يقولون في "أنك- عنك"[40] ويقولون موت زعاف وزؤاف.

الإمالة:

الإمالة، لغةً،الميل والانحراف [41]، واصطلاحاً، أن تميل الألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة [42] ، وهي سمة نسبت إلى أهل نجد من تميم وأسد وقيس، بينما الفتح لغة أهل الحجاز [43]، ونلحظ نمطاً آخر من الإمالة عند العُمانيين، وبخاصة في منطقة مسندم، حيث يميلون إلى إمالة الألف إلى الواو. وذلك نحو قولهم [الَمو في الماء، وتفوح في تفاح، ورمون في رمان، وهمبو في همبا (مانجا)، وغوز في غاز، وكرفوية في كرفاية(سرير)،وربيون في ربيان (نوع من السمك)]. وقد يكون التأثير هنا من الفارسية التي تميل إلى تفخيم الألف لتصبح صوتاً مفخماً بين الألف والواو، وقد يضيفون صوت الواو إلى الكلمة، حتى وإن كانت لا تشتمل على حرف علة، وذلك على قولهم (جوح أو يوح في يح (البطيخ).

ونلحظ الإمالة المضمومة في مثل قولهم (يوم yom). بدلا من فتح الياء وسكون الواو، وهذا ما يسميه بعض الباحثين المحدثين(المصوت المزدوج) [44]، وكذلك نلحظ الإمالة المكسورة في مثل نطقهم لكلمة (بيت) (bayt)، بدلا من فتح الباء وسكون الياء. وهيل بدلاً من هال (بذور توضع على القهوة).

التلتلة:

تعني تحريك مقطع المضارعة بالكسر، وقيل أنها لهجة قبيلة بهراء، وقيل هي لهجة أسد وهذيل، وعمم الحكم فقيل هي سمة اللهجات البدوية [45]، أما فتح مقطع المضارعة فقد ظل سمة مميزة لحواضر الحجاز. ونلحظ أن التلتلة شائعة في عُمان فهم يقولون (نِكتب نِرسم)، بل فقد شاعت هذه الظاهرة حتى شملت كثيراً من الأسماء فضلا على الأفعال، في مناطق السلطنة بوجه عام، فهم يقولون (كِلية، خِرس- أي وعاء يوضع بداخله التمر)، بينما يميل أهل المنطقة الداخلية إلى ضم أول الأسماء فهم يوقولون (كُلية —خُرس)، وقد كشف المنهج التاريخيّ المقارن [46]، عن قدم الكسر في حرف المضارعة، فهو يمثل ظاهرة قديمة في السريانية والحبشية، وما زالت آثارها في لهجات ريف بلاد الشام أيضاً ولكن الفتح هو الأصل. [47]

الاشتقاق

الاشتقاق، يعني وجود معان وألفاظ جديدة مأخوذة من المادة الأصلية، المكونة غالباً من ثلاثة أحرف، ومدلول هذه الاشتقاقات الجديدة، يكون ألفاظاً جديدة، تعبر عن معان وأشياء مختلفة، فقد تكون المادة المشتقة جديدة، تعبر عن معان وأشياء مختلفة، وقد تكون المادة المشتقة اسم فاعل أو اسم مفعول أو مصدراً عادياً أو مصدراً صناعياً دعت الحاجة إلى اشتقاقه، أو اسم آلة، إلى غير ذلك من المشتقات، وقد أجمع اللغويون قديماً وحديثاً على أنّ الاشتقاق من أهم وسائل تنمية الألفاظ في العربية (48).

ويلاحظ أن العُمانيين يشتقون اسم الفاعل واسم المفعول من الثلاثيّ، كما هي الحال في الفصحى، نحو رامس مبكر، ويصاغ اسم المفعول على وزن مفعول نحو، مخبوز، مقهور وعلى صيغة "فعيل" الدالة على اسم المفعول، كقولهم: هريس وهم يقصدون مهروس.

وكذلك على صيغة مفتعل مثل "مقتهر في مقهور" ومصترع في مصروع ".

ويقولون "ماجود في موجود" بقلب الواو ألفاً، وكذلك "مالود في مولود، وهي ظاهرة قديمة نسبت إلى تميم (49) وفي ذلك تخلّص من الصوت المركب في Mawgud أي ما يسمى بـ diftung.(50)

ويغلب اشتقاقهم لاسم الآلة على وزن فعالة، وذلك نحو غسالة، خلاطة، نشافة، عصارة، طباخة (بمعنى الغاز الذي يطبخ عليه)، ويشتقون على صيغة فعالية مثل، "دوارية" Daw/wa/riy/ya وهي لعبة يركبها الأطفال فتدور بهم، هذا إضافة إلى الصيغ المعروفة لاشتقاق أسم الآلة نحو مفتاح ومسطرة ومروحة ومبرد.

وكذلك نجد المصدر الصناعي شائعاً، وبخاصة في مجال الصحافة، كالحرية والديمقراطية والعُمانية، ويشيع على ألسنة العُمانيين في وسائل الصحافة كلمة "تعمين" وهي مشتقة من اسم عُمان، وكذلك نلاحظ اشتقاقهم من أسماء المعاني نحو دبلجة من "الدوبلاج" في مجال السينما، وكذلك "منتجة من المونتاج.

وكذلك فهم يشتقوق أسماء لبعض ألوان الطعام من طريقة صنعه، وذلك نحو أكلتهم المسماة بـــ "الهريس "، وهي تسمية معبرة عن طريقة صنعه، وقد جاء على وزن فعيل، بمعنى مفعول وكذلك في قولهم "محمر mhamar ومطبق mtubaqq ومكبوس makbus" فاختاروا صيغة اسم المفعول، وهي مشتقة من طريقة الصنع "التحمير، التطبيق، الكبس ". وكذلك في قولهم "مشاكيك"على وزن مفاعيل، للأكلة المشهورة عندهم في اليوم الثالث لعيد الأضحى، حيث يشك اللحم في أعواد مخضرة من سعف النخيل قبل شويها.

وقد أجاز مجمع اللغة العربية في القاهرة استخدام هذه الأنواع من الاشتقاق، استخداماً قياسياً، لشدة الحاجة إليها في مصطلحات العلوم والفنون، معتمداً في ذلك على مذهب بعض النحاة واللغويين، وذلك "كالاشتقاق من أسماء الذهب والفضة والجص والزفت، كلمات، مذهب ومفضض، ومجصص ومزفت" (51).

ويلاحظ أيضاً أن العُمانيين يشتقون من الكلمات ذات الأصل الأجنبيّ، وذلك نحو اشتقاقهم من كلمة

finish الإنجليزية "فنش fannas، يفنش yfanis " ومفنش mfannas " وتفنيش tafnis " للدلالة على الزمن الماضي والمضارع واسم المفعول والمصدر.

وكذلك في اشتقاقهم من كلمة kansel" الإنجليزية " كنسل يكنسل، مكنسل" للدلالة على الزمن الماضي والمضارع واسم الفاعل. ومثله اشتقاقهم من كلمة "بند " الهندية ومعناها أغلق "بند، يبند مبند" للدلالة على الزمن الماضي والمضارع واسم الفاعل.

وكذلك اشتقوا من كلمة "فريزرfreezer" الإنجليزية، وتعني القسم الخاص بحفظ الأطعمة في درجة التجميد، "فرَّز far/raz، يفرِّز مفرَّز، مفرِّز، تفريز" للدلالة على الفعل الماضي والمضارع واسم المفعول واسم الفاعل والمصدر، وتظهر صورة أخرى للاشتقاق بقولهم فرزن far/zan، يفرزن مفرزن، ولا يخفى أن في هذا محاولة للتخلص من تشديد الراء بإضافة صوت النون، والراء صوت لثويّ مكرر مجهور[52]، وصفة التكرار فيه دون تشديد فيها تكرار لضربات اللسان على اللثة تكراراً سريعاً، وقد أشار اللغويون القدماء، إلى صعوبة الوقف عليه، قال ابن جنّيّ "وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان تبعثر بما فيه من التكرير" [53].

ولا شك أن تشديده يزيد في صعوبة نطقه، أما صوت النون فهو لثوي أنفي مجهور [54] far/zan ، له درجة في الوضوح في النطق نظراً لأنه أنفيّ، وقد وقع في نهاية المقطع الثاني وهو أكثر وضوحاً من الصورة الأولى ذات التشديد، وانتهاء المقطع الثاني بصوت الزاي، وصوت الزاي يشترك مع النون في أنه لثويّ مجهور، غير أنه أقل وضوحاً.

وظاهرة الاشتقاق بوجه عام، والاشتقاق من الأسماء الأجنبية بوجه خاص، تشير إلى أمرين مهمين:

1- قوة الاشتقاق في إثراء الثروة اللغوية، فهو الطريقة التنفيذية للقياس، سواء أكان ذلك في الكلمات الموروثة من اللغة العربية، أم في الكلمات الجديدة التي يجري الاشتقاق منها على نمط ما هو مخزون في أذهان أفراد الجماعة اللغوية سليقةً وطبعاً.

2- تعكس هذه الطريقة في الاشتقاق، إحساس المستعمل للغة بضرورة سد الحاجة بالاشتقاق حتى وإن كان ذلك من الأسماء الأجنبية، وهذا يعكس بدوره تراخي الجهود العامة المثلة في مجامع اللغة العربية في تعريب اللفظ قبل شيوعه وقبل الاشتقاق منه.

النحت:

معناه: تركيب كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر، كنوع من الاختصار والتخفيف، وقد جاء على ألْسنة العرب القدماء، بعض الألفاظ المنحوتة، وذلك نحو: حمدل (قال:الحمد لله رب العالمين)، وطلبق: " قال: أطال الله بقاءك ".

ومن الكلمات المنحوتة في اللهجة العُمانية، قولهم "ميورد" في (ماء الورد)، في منطقة الداخلية، "وما ورد" في منطقة الظاهرة والشرقية، و (إلما ورد) في المنطقة الغربية (مسندم).

ويمكن تفسير اصطلاحهم على مرض التهاب الغدة النكافية بلفظ "خازباز" وهي لفظة مأخوذة من الفعلين (خاز وبز)، وخاز كلمة دخيلة من اللغة

الفارسية معناها (إبعد)، "وبز" بمعنى زاد أو خرج على المألوف، وعلى هذا فكأنما هم يتمنون لهذا الورم الذي ظهر فأدى إلى انتفاخ الخد مع الرقبة، وربما أدى إلى انتفاخ الخدين والرقبة، أن يبعد وينتهي، وهذا يشبه، من حيث الدلالة، إطلاق العرب كلمة السليم، على الملدوغ، تمنيا له السلامة وبعضهم يطلق عليه"بوحلوق " نحتاً من " أبو الحلوق "، وذلك لأن الانتقاخ الناتج عنه يصل إلى منطقة الحلق.

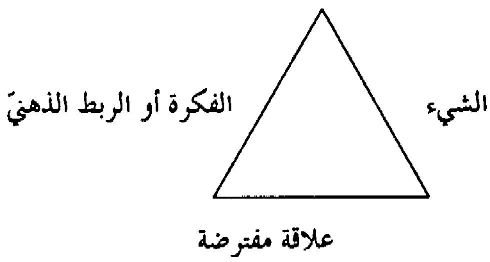
النقل المجازيّ:

للنقل المجازي أثر في إثراء الثروة اللغوية، قديماً وحديثاً، فمنذ بداية قيام الحضارة الإسلامية استعان العرب باستيعاب المفاهيم الإسلامية الجديدة، عن طريق نقل الدلالات القديمة إلى دلالات حديثة، وذلك نحو مفاهيم "الصلاة والصيام والزكاة والحج والطهارة وغيرها.

وكذلك فقد استعانوا في مراحل لاحقة بعلوم الأمم الأخرى، واحتاجوا إلى ألفاظ تعبر عما حدث من المعاني التي اقتضاها التمدن، مثال ذلك كلمة الخارجية والداخلية والمالية وغيرها من المجالات في الإدارة أو السياسة [55].

ونجد لهذه الظاهرة أمثلة كثيرة في اللهجة العُمانية، فكلمة "طور"، كانت تعني فترة، فأصبحت تعني الطبع، ومثل ذلك كلمة سفارة وجريدة ومطبعة وطيارة وغيرها.

وقد يكون للفظ الواحد غير دلالة، تتضح من خلال السياق وذلك نحو كلمة دبابة، وسميت من الدب على الأرض، وهي تعني، في سياق مّا، آلة من آلات الحرب[56]، ثم أخذت تعني في مرحلة لاحقة الحذاء ذا الكعب العالي، في سياقها الخاص، وقد وقف العلماء القدماء على العلاقة بين اللفظ في حالة الإفراد وبينه في داخل التركيب اللغويّ [57]، كما أن هذا المفهوم يعد الأساس في نظرية السياق [58] التي اعتنت عناية خاصة بدراسة الدلالة "Semantics"، ومن أبرز أعلامها أوجدن وريتشارد Ogden and Richards، اللذان حللا المعنى في مثلثهما المتضمن للرمز Symbol، وهو الكلمة المنطوقة، والمحتوى العقليّ للكلمة عند سماعها، وقد يكون صورة بصرية أو عملية من عمليات الربط الذهنيّ وهو ما يسمى بالفكرة thought، والعامل الثالث هو الشيء نفسه المرتبط ذهنياً (refer)، والمثلث يوضح هذه العلاقة [59].



وقد يكون النقل عن طريق التركيب "Composition" ، وهو يعني تكوين كلمة مركبة من كلمتين، للتعبير عن الدلالة الجديدة. ويغلب أن تكون الكلمات المركبة معبرة عن دلالة معاصرة أو ترجمة لمصطلح أجنبيّ، وذلك نحو قولهم "قدر ضغط " أو "قدر بخار"، فكلمة بخار، ذات مدلول أجنبيّ، لأن هذا النوع من القدور الكاتم للبخار السريع في إنضاج الطعام، أداة أجنبية حديثة.

الترادف:

قال سيبويه: "اعلم أن من كلامهم، اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين" (60)

وقد سمّى اللغويون ما أطلق عليه سيبويه (اختلاف اللفظين والمعنى واحد)، الترادف، ومن وجوه الترادف في اللهجة العُمانية ما يأتي:

1. اختلاف اللفظين لمسمى واحد، وكلا اللفظين عربيان قديمان، وذلك قولهم للسلحفاة (حِمْسة)، في المنطقة الباطنة، بينما يطلقون عليها (سلحفاة) في الداخلية والظاهرة، في المنطقة الشرقية.

وكل من هذه الصور عربيّ فصيح، فقد ورد في اللسان أن الحمسة "دابة من دواب البحر وقيل هي السلحفاة"(61) وكذلك في تسميتهم "للنمل" "اليعروف" في الباطنة، والكعروف في الظاهرة، والجعروف في الشرقية، وجاء في اللسان واليعروف: دويبة صغيرة تكون في الرمل"(62) وكذلك في تسميتهم للضفدع، "جرة، قرة" في الباطنة "وقرة" في الداخلية و"ظفدع، وقرة، وشرغة" في الشرقية، وقد جاء في اللسان "والقرة: الضفدعة" (60).

وكذلك في تسميتهم للثعلب "عُوس"، وهو من المعاني الواردة له في اللسان نظراً لأنه كثيراً ما يعوس يطلب شيئاً يأكله (64).

2. اختلاف التسمية، وفقاً للمعنى أو الدلالة التي تشيع عند أهل المنطقة، وذلك نحو تسميتهم لأداة مسح الماء وتجفيفه"شفاطة، مساحة، جَحّافة، سحّاطة". فالتسمية الأولى مشتقة من شَفطَ، والثانية من مسَحَ، والثالثة من جَحفَ، بمعنى شدة الجرف (65) والرابعة من سَحطَ، مشتق من السرعة الكبيرة(66)، للدلالة على الصوت والسرعة التي تحدثهما هذه الأداة عند مسح الماء وتجفيفه، وكذلك نحو تسميتهم للمكنسة اليدوية التي تصنع من سعف النخيل "مكشة، مخمة، مجمعة، مصافة، مكشبة (g)"، ولا يخفى إشارة كل من هذه التسميات إلى دلالة معينة؛ فالمجمعة لأنها تجمع القمامة، و"مصافة"، لأنها تصف القمامة بجمعها أيضاً، وكذلك مقشبة أو مكشبة، للدلالة على أنها تسهم في نظافة المكان فتجعله جميلاً قشيباً، أما (مخمة) فهي مأخوذة من (الهندية)، وسموا مرض الجرب، عَزْلة، لما شاع من ضرورة عزل الأجرب عن الناس، وكذلك في تسميتهم لنبات عباد الشمس المعروف ب "شمسية، و"حب فسّاد". فالتسمية الأولى من الشكل، والتسمية الثانية من الشكل أيضاً، مع الربط بين شكل الحبوب السوداء، والبثور الجلدية على وجوه بعض الشباب في مرحلة معينة، إشارة فيها دلالة على الأثر النفسيّ المترتب على وجود هذه الحبوب على الوجه.

وكذلك يقولون حجرة، صفة، (بكسر الحرف الأول أو ضمه) وكلاهما عربيّ فصيح.

3. الترادف الناتج عن الاستعارة من اللغات الأجنبية، وذلك نحو تسميتهم للمسراب أو المزراب، نل (Nil) وللأنبوبة الغاز- سلندر (Cylinder)، وللمكيف- كندشن Air Conditioner، ولقلم الرصاص- بنسل (Pencil)، ولضوء السراج- ليت (Light)،ولألغي – كنسل (Cancel)، وللمصباح

الذي ينار بالزيت- فنر، ولأقفل- بند، وغير ذلك مما سأوضحه عند الحديث عن "التعريب".

وتجدر الإشارة إلى أن المصطلح العربيّ أقل شيوعاً من المصطلح الأجنبيّ، فالغلبة واضحة للمصطلح الأجنبيّ، إضافة إلى أننا لو سلمنا بتعريب هذه الألفاظ، فإننا نلحظ أن التعريب يفتقر إلى أصول التعريب، إضافة إلى عدم توحيد المصطلح المعرب، فكلمة درزن Darzan، شائعة في عُمان، وسائر دول الخليج للدلالة على كمية محددة بعدد مقداره إثنا عشر، تقابلها كلمة "دستة" في بلاد الشام، وكذلك تشيع في عُمان كلمة "دَرْزي "، وهي تعني الشخص الذي يقوم بعملية خياطة الملابس، تقابلها كلمة "تَرْزي " في مصر، للدلالة على الشخص نفسه، وهي مُعربة في بلاد الشام- مثلا- بالخياط.

وكذلك كلمة الدريشة تشيع في عُمان للدلالة على النافذة، وهي كلمة معرَّبة من الفارسية، وتشيع في بلاد الشام كلمة "الشباك " للدلالة على النافذة.

وكذلك في اصطلاحهم على الهاتف اللاسلكيّ الذي يمكن حامله من إرسال أو استقبال أية مكالمة في أيّ مكان كان فيه، ب "النقّال" تزاحمه مصطلحات أجنبية نحو "G.S.M". و"Mobil ".

وكذلك قد يظهر غبر مسمى وكلها أجنبية، وذلك نحو تسميتهم للغطاء الذي يستعمل للنوم، شرشف وبودري، وكذلك في تسميتهم للبطانية، بـ"برنوص في الباطنة و"كمبل وبرنوص " في الداخلية، وبرنجيت في الشرقية، وكذلك في تسميتهم للجهاز اللاقط للمحطات التلفازية الهوائية الستالايت، "الدش ". وكذلك في شيوع تسمية الذرة بـ "مهند" وهو شائع في الشرقية، وأصله زنجباريّ، و"مرومبو"، وهو لفظ هنديّ. و "مباسا" وهو لفظ زنجباريّ أيضاً.

التعريب:

للعربية نظام خاص، تنساب فيها الألفاظ وفق نسق معلوم في أصواها وصياغتها وبنائها. والتعريب ظاهرة من ظواهر التقاء اللغات، ولا شك أن معظم اللغات قد أخذ بعضها من بعض بدرجات متفاوتة، ولنا في القرآن الكريم المثل الأعلى، الذي عَرَّب بعض الألفاظ غير العربية في أصلها كلفظ "الاستبرق " و"الفردوس " وغيرها، ولكننا نلحظ كيف أن القرآن الكريم- وهذا ينسحب على تلك الفترة من تاريخ العربية- كَيَّف اللفظة تكييفاً خاصاً، وهذبها، فبدت مكوناً عضوياً من مكوناته، وجرى عليها ما يجري على العربية من القواعد [67].

ومن هذا القبيل ما نجده في اللغة التركية من ألفاظ عربية الأصل [68]، وذلك نحو لفظ" اقتصاد، عدل، كاتب، محكمة، خارق، ز و ر ".

ومن هذا أيضاً ما نجده في اللغة الانجليزية من ألفاظ عربية الأصل [69]، وذلك نحو"Lemon"؛ أي ليمون في العربية. وكلفظ (Gazelle) ؛ أي غزال في العربية، وهو الحيوان المعروف، ولفظ "Musk"؛ أي مسْك ولفظ " Jar " أي جرة وغيرها.

فإلى أيّ حد دخلت الألفاظ غير العربية اللهجة العُمانية، من لغات شتى وفي ظروف متعددة؟ وهل عرَّبها المواطن العُمانيّ تعريباً مدروساً، أم جاء تعريبه عشوائياً؟ أم أنها بقيت كما هي في لغاتها الأم، وذلك ضمن

مفردات المحاور ذات الميادين المتنوعة التي سبقت الإشارة إليها ؟

ملحق بالكلمات الدخيلة في اللهجة العمانية مأخوذة من أصل إنجليزي

	حرف الألف	
Aerial	سلك الاستقبال (هوائي) في التلفاز مثل	أريل
Elastic	مطاط – نسيج مطاطي	أستيك
Axal	عمود محوري (تدور حوله عجلة السيارة)	أكسل
X- Large, extra -large	كبير جدا	إكس لارج
Album	دفتر لجمع الصور وحفظها	ألبوم
Hello	مرحبا (للمخاطبة في التلفون)	ألو/ آلو
	حرف البـــاء	
Pattern	نموذج من الورق (يستعمل في الحياكة)	باترون
Peruke	شعر مستعار للرأس	باروكه
Passport	جواز سفر	باسبور/بسبور
Bus	سيارة عمومية كبيرة – حافلة	باص
Packet	رزمة أو علبة أو كرتونة	باكيت
Balloon	بالون	بالون
Bye-bye	وداعا – إلى اللقاء	باي- باي
Petroleum	نفط/ بترول	بترول/ بترول
Battery	بطارية	بتري
Body	هيكل السيارة	بدي
Parachute	مظلة هبوط من الطائرة	برشوت
Burnous	بطانية،رداء مع قلنسوة تغطي الرأس	برنوص
Brooch	مشبك زينة تستخدمه المرأة	بروش
Professor	أستاذ	بروفسور
Brake	كابح السرعة	بريك
Biscuit	البسكوت(كعك جاف)	بسكوت
Bottle	قنينة	بطل
Box	صندوق	بكس
Box/Boxing	لكمة	بكس
Plaster	شريط لصق	بلاستر
Plastic	بلاستيك(لدائن مصنوعة من مستخرج البترول)	بلاستيك
Belt	حزام–سير	بلت
Pendulum	بندول الساعة	بندول

Bolt	مسمار	بلط
Plug	أداة لتوصيل الكهرباء	بلك (بوجيهات)
Balcony	شرفة	بلكونة
Blub-Tell Secret	نداء آلي	بليب
Bangle	سوار	بنجري
Panadol	حبوب دوائية لتسكين الصداع	بندول
Benzine	وقود السيارات	بنسزين
Pencil	قلم رصاص	بنسل
Penicillin	مضاد(نوع من الدواء)	بنسلين
Bank	مصرف	بنك
Pancréas	العضو الذي يفرز الأنسولين	بنكرياس
Boot	حذاء شتوي طويل	بوت
Powder	مسحوق ناعم	بودر/بودرة
Point	أداة توصيل الكهرباء لتشغيل المحرك	بونت
Pipe	ماسورة (أنبوب)	بيب
Baby-Lotion	كريم خاص للأطفال	بيبي لوشن
	حرف التاء	
	وعاء يحافظ على برودة أو حرارة ما بداخله	ترمس
Tetanus	نوع من أمراض الحمي	تتنوس
Transit	التوقف في المطار لفترة قصيرة	ترانزيت
Test	اختبار .(قيادة السيارة مثلا)	تست
Ticket	تذكرة سفر	تكت
Taxi	سيارة أجرة للركاب	تكسي
Telescope	منظار كبير–مرصد	تلسكوب
Television	تلفاز	تلفزيون
Telephone	الهاتف	تلفون
Tanker	سيارة حمل الماء	تنكر
Tuna	نوع من السمك	تونة
Typhoid	نوع من أمراض الحمى	تيفود
	حرف الجيم	
Choclate	شيكولاته	جاكليت
Jacket	سترة	جاكيت
Jam	مربى	جام

Chips	رقائق البطاطا (المقلية)	جبس
Jersey	قماش ذو نسيج ناعم	جرسي
Jeep	سيارة صغيرة	جيب
Cheque	شيك مصرفي	جيك
	حرف الدال	
Double	مضاعف	دبل
Dosen	(12وحدة من شيء ما)	درزن
Disk	قرص	دسك
Dettol	مطهر سائل	ديتول
	حرف الراء	
Radio	مذياع	راديو
Rest	استراحة	رست
Roll	لفظة أسطوانية الشكل	رول
Remote-Contrôl	التحكم عن بعد	ريموت كنترول
	حرف الزاي	
Zigzag	شريط متعرج يستعمل في الخياطة	زكزاك
	حرف السين	
Spary	بخاخ	سبري
Hospital	مستشفى	سبيتار
Spare	احتياطي	سبير
Studio	محل تصوير	ستديو
Sister	ممرضة	سستر
Sponge	الإسفنج المعروف	سفنج
Srap	خردة، مخلفات لا قيمة لها	سكراب
Secretary	أمين سر – سكرتير	سكرتير
Screw/Screw-driver	مفك البراغي(المسامير)	سكروب/در يول
Salad	مجموعة مشكلة من قطع الخضار الطازج	سلطة
Silk	حرير	سلك
Cylinder	أسطوانة غاز	سلندر
Center	مركز	سنتر
Cinema	الخيالة	سينما
Supermarket	متجر كبير للبيع بطريقة الخدمة الذاتية	سوبر ماركت
Switch	مفتاح تشغيل السيارة	سوج
Cigarette	سيجارة–دخينة	سيكارة
Bicycle	دراجة هوائية	سيكل
Sale	بيع بالتخفيض في الثمن	سيل
Shassis	إطار السيارة أو هيكلها الذي تقوم عليه.	شاصي/شاـي

	حرف الشين	
Shadow	ماكياج الظلال (النساء)	شدو
Shift	مناوبة في العمل	شفت
Shampoo	سائل صابوني لغسل الشعر	شمبو
Sheet	غطاء يوضع تحت الطعام	شيت/ شت
	حرف الطاء	
Tomato	طماطم/ بندورة	طماط/ طماط، طماطة
	حرف العين	
Ice-Cream	حليب مجمدمخلوط أو غير مخلوط بعصير الفواكه أو غير ذلك	أسكريم
Ambulance	سيارة إسعاف	عنبلوص
	حرف الفاء	
Flannel	قميص قطني	فانليه
Freezer	حجرة التحميد في الثلاجة	فريز
Flash	قارورة	فلاس
Flash	وميض	فلاش
Fillter	مصفاة	فلتر
Film	فيلم	فلم
	حرف الكاف	
Card	بطاقة	كارت
Carton	علبة من الورق المقوى	كارتون
Cocoa	الكاكاو/ نوع من المشروبات	كاكاو/ كاكو
Cabinet	دولاب/ خزانة	كبت
Catchup	معجون طماطم خاص يوضع مع البطاطا	كجب
Garage	ورشة لإصلاح السيارات	كراج
Cream	مستحضر تجميلي	كريم
Custard	نوع من الحلوى كالمهلبية	كستر
Cassette	شريط	كسيت
Cloche	التنورة الواسعة	كلوش
Clip	مشبك – ماسك للورق	كليب
Camp	مخيم	كمب
Computer	الحاسب الآلي	كمبوتر
Control	ضبط	كنترول
Air Conditioner	مكيف الهواء	كنديش
Cancel	ألغى/ إلغاء	كنسل
Copy	نسخة	كوبي
Cooler	براد ماء، ثلاجة يدوية صغيرة	كولر
Cologne	ماء عطري	كولونيا/كولونية
Counter	العداد	كونتر

كيل	حزمة أسلاك معزول بعضها عن بعض، ومحفوظة في غلاف واحد.	Cable
كيتار	آلة موسيقية	Guitar
كيك	كعك	Cake
كاميره	آلة تصوير	Camera
حرف اللام		
لارج	حجم كبير	Large
لستة	قائمة (ثبت)	List
لمبة	مصباح	Lamp
لِت	ضوء المصباح	Light
ليسن	رخصة قيادة السيارة	Licence
حرف الميم		
مسكره	من أدوات تجميل رموش العين (للسيدات)	Mascara
مغناطيس	المغناطيس (جاذب برادة الحديد)	Magnet
مكروب	جرثومة/مجهرية	Micrope
مكروسوب	مجهر-منظار مكبر	Microscope
مكرفون	مكبر الصوت	Microphone
مكياج	أدوات زينة	Make up
مكنية/ماكينة	آلة حياكة	Machine
منرفز	عصبي المزاج	Nervous
موترسيكل	دراجة نارية	Motorcycle
موديل	نموذج	Model
موسيقا	الموسيقى	Music
ميدالية	وسام تقدير	Medal
ميكب	أدوات الزينة والتجميل	Make up
ميكانيك/ ميكانيكي	عامل في مجال تصليح السيارات(ميكانيكي)	Mechanic
حرف النون		
نجتف	سالب أو معكوس الأضواء والظلال (في طبع الصور الفوتوغرافية)	Negative
نيرس	ممرضة	Nurse
نمرة	رقم (السيارة مثلا)	Number
نيفيا	كريم لليدين	Nivea
نيلون	نوع من القماش الصناعي	Nylon
حرف الواو		
وازلين	كريم طبي	Vasline
واير	سلك	Wire
وانيت	سيارة نقل صغيرة في الأصل مرقمة (108)، فحرف النطق من (ون أو إيت) إلى وانيت	108
ورشة	مكان العمل أو الشغل	Workshop

ونش	رافعة	Winch
ألفاظ مأخوذة من الفارسية		
بارود	متفجرات —بارود	باروت
بخت	حظ	بخت
برده- برده	ستار	پرده
برنامج	برنامج	برنامه
بريج	إبريق	أبريز
بس	يكفي	بس
بفته	نوع من القماش الأبيض	بافته
بقلاوة	نوع من الحلوى	باقلاهوا
بنج	مخدر	بنك
بند	انتهى/مغلق	بند
(g) باذنكان	باذنجان	باذنجان
تاج	تاج	تاج
تنبل	كسلان	تنبل
جاي	شاي	جاي
جزر	جزر (مما يؤكل)	كزر
جلوه	زينة العروس	جلوه
جورب/جوارب	جورب	جوارب
جيك	أنيق	شيك
خاشوكة	ملعقة	كاشق/خاشيق
خرده	فكه(بيسات)	خرده
خوش	حسن،جيد	خوش
خوز	إبعد	خيز
دارسين	نبات القرفة	دراجيني
دربيل	مجهر، مكبر، منظار	دوربين
ترزي	خياط	درزي
دروازه	باب كبير	دروازه
درويش	متصوف أصلها الفقير الذي يقف على الباب للسؤال	درويش
دله	ترمس لحفظ حرارة القهوة	دله
رزنامة	التقويم السنوي	رزمانة
زركش	مطرز، مزين	زركش
زنار	حزام	زنار
ساده	بلا ألوان	ساده
سامان	أثاث البيت	سامان
سفرطاس	وعاء يحمل فيه العامل أكله أثناء العمل	سيرتاب
سنور	القط	سنور
شاكوش	أداة للدق/ مطرقة	چاكوش
شال	قماش صوفي لتدفئة الرأس	شال
شاورما	قطع لحم صغيرة	قاورقة
شرشف	ملاءة سرير أو طاولة	جرشف
شطرنج	شطرنج/ اللعبة المعروفة	شترنك
شلال	نوع من أنواع الخياطة	شلال
شنطة/ جنطة	حقيبة	جنته
شيره	سكر مذاب في ماء مغلي	شيرين

	وليمون(قطر) (سكر معقود)	
طازه/ تازه	طازج	تازه
طرشي	مخلل	ترشي
طرمبه	مضخة ماء	تلمبه
غرشه	قارورة (بيبس مثلا)	غرشه
غوري/ قوري	إبريق شاي	قوري
فتيله	فتيل	فتيله
فرجال	فرجار	بركار
كرفايه	سرير للنوم	جهار بايه
كشتبان	قمع صغير من المعدن تلبسه المرأة في رأس أصبعها عند الخياطة كي يقيها من وخز الإبرة	أتكشتبان
كشمش	زبيب	كشمش
كفشة	مغرفة الطعام	كفجه
كماج	نوع من الخبز الإفرنجي	كماج
كمر	طوق خشبي-حزام	كمربند
كندوره	لباس المرأة الذي يشبه الجلابية	كندورة
كهربه	الكهرباء	كاه ربا
لومي	ليمون حامض	ليمو
ليوان	شرفه-صالة مفتوحة في المنزل	أيوان
مبند	مغلق	بند
منكاش/منكاش	ملقط	منقاش
ميز	طاولة	ميز
ناريل/ناركيل	جوز الهند	ناركيل
وار	باردة(أداة القياس)	أياره من أيار بمعنى الذراع أو المقدار
كلمات مأخوذة من الهندية		
أرباب	صاحب عمل	أرباب
بانكه	مروحة كهربائية	بنكا
برياني	نوع من طبخات الأرز مع اللحم والبهارات	برياني
بيزه/ بيسه	فلس	بيسه
تركيه	قرط(حلق)	ترجي
جباتي	خبز هندي بالزيت أو خبز محلى بالسكر	جباتي
جوتي	حذاء	جوتي
دريشة	نافذة	دريجا
سمبوسه	رقائق من العجين تحشى باللحم أو الخضار	سمبوسه
سيده	مستقيم/رأسا إلى الأمام	سيده
كاروكه	سرير خشبي للأطفال	كاريول
كشجرة	قمامة، مخلفات الأثاث ونحوه	كجره
كشمه	نظارة	كشمة
كمبل /كنبل	بطانية / لحاف/ غطاء سرير	كمبل
كشمة	معلقة	كمجة
مخمة/ مخمة	مكنسة يدوية من الخوص	مخمة
دمغة	السمة أو العلاقة	طمغة
دولاغ	جوارب	Dilyg
طابور	جمع من الناس يقف الواحد تلو الآخر	تابور Tabur
صلصة	معجون طماطم	Salca
فرن	موقد – فرن	فرن Firin
فنر	مصباح ينير بالزيت (فانوس)	

مما سبق يتضح لنا المُلاَحظ الآتية:

1- عدد الألفاظ غير العربية في اللهجة العُمانية غير قليل، ولا يخفى أن هذا العدد من العينة المدروسة، ولو كانت العينة المدروسة أوسع، لكان عدد المفردات أكثر إذ لا يمكن استيعاب مفردات اللهجة جميعها، فهي من السعة بحيث لا تستوعبها إلا الحياة نفسها، ويترتب على زيادة العينة المدروسة زيادة مطردة في الألفاظ الدخيلة، وبخاصة كلما انتقل المجتمع إلى مستويات حضارية أوسع وأشمل مما قد ينذر بذور الاغتراب في اللهجة العُمانية عن اللغة العربية الفصحى.

ولا يفهم من هذا، أن فيه دعوة إلى العزوف عن تعلم اللغات الأجنبية، بل نحن في الوطن العربيّ في أمس الحاجة إلى تعلم مثل هذه اللغات، لأسباب عديدة، أكثرها ظهوراً هو الحاجة إلى إدراك مراقي التقدم العلميّ والتقنيّ، التي سبقت بها الأمم الناهضة لتواكب العصر، ونمسح عنا غبار التخلف. ولا يخفى أن تعلُّم العربيّ للغة أجنبية، يعني أنه يتعلمها كياناً مستقلاً له طبيعته ومفرداته وتراكيبه، لا تداخل بينه وبين لغته الأم، فهو قادر على الاحتفاظ بكلتا اللغتين باستقلال لا يفسد إحداهما ولا يحطم لبنائهما.

2- نلاحظ أن الكلمات الدخيلة لا تخضع لقوانين التعريب المعروفة، ومن ثم فإنها تظل في حكم الألفاظ الأجنبية، ومما يزيد المشكلة تعقيداً، أننا أمام مصطلح أجنبيّ يسود، ثم ينازعه أحياناً مصطلح عربيّ ناشئ بديل، وينقسم الناس في استعمالهم لهذه المصطلحات، فهم بين آخذ بالمصطلح العربيّ وآخذ بالمصطلح الأجنبيّ، وقد يتعدد اللفظ الأجنبيّ بتعدد اجتهادات الأشخاص أو المؤسسات اللغوية التي طرحته.

3- معظم المفردات الدخيلة مأخوذة من اللغة الإنجليزية، مع أن العمالة الهندية تشكل النسبة الأعلى في سلطنة عُمان، وربما عاد ذلك، في مجمله، إلى نظرة دونية خاصة تربط بين أصحاب العمل والعمال في قطاع التجارة. وكذلك بين أصحاب البيت والعاملات في البيوت، أما في قطاع الصحة، فاللغة التي يعتز الهنديّ بالحديث بها فهي اللغة الإنجليزية، إذ هي اللغة التي تمثل الحضارة الأقوى. ويبقى مع ذلك لوجود العمالة الوافدة الهندية أثر على بنية الجملة وتركيبها، فهي قد تضطرب أحياناً على لسان العُمانيّ عندما يتحدث مع الهندي حتى لا نكاد نتبين معالمها العربية، من ذلك كثرة تكرار العُماني (samesame-)، يقابلها طمطمة من قِبَل الهنديّ، لا نتبيّن فيها غير صوت (نامو ناه) وهي تعني في الهندية (أنموذج أو مثال يحتذى).

وبعد، فإنه لا يخفى أن معظم هذه المَلَاحِظ، وبخاصة ما يتعلق بالتعريب، ليست خاصة باللهجة العُمانية، وإنما هي تنسحب على اللهجات العربية كلها، ذلك أن الأمة العربية غير منتجة للتطور الحضاريّ، وبالتالي فإنها تستورد ما أنتجته الأمة المنتجة باسمه الأجنبيّ وبمصطلحه الدالّ عليه في تلك اللغة، ومن هنا فإنه بات على المؤسسات اللغوية كالمجامع والجامعات أن تواجه هذا (التأزم) الناتج عن كثرة المصطلحات الأجنبية[70] وأن تتخذ التدابير اللازمة لمواجهة متطلبات العصر في جميع مجالاته، بالبحث العمليّ الدقيق في تطور دلالات الألفاظ على ألسنة الناس، وما الذي بقي على وضعه القديم؟ وما الجديد من الألفاظ، وما أصله؟ وكيف تستثمر ما يشيع على ألسنة الناس في كافة مناحي حياتهم، وكيف يعمم ذلك على جميع الأقطار الناطقة بالعربية، وذلك باستثمار التقنيات الحديثة في خدمة العربية وتسهيل الرجوع إلى معجمها، و لا شك أن العربية تستوعب ذلك كله، فهي لغة العقيدة والمفاهيم والأفكار والنظم، لغة الثقافة والحضارة والحكم، مما هيأها لأن تتبوأ مكانتها العظيمة. شهد لها بذلك العلماء من غير أبنائها[71] فمعجم العربية اللغويّ لا يجاريه معجم في ثرائه، إنه نهر تقوم على رفده منابع اللهجات التي تنطق بها القبائل العربية، وهي بلا شك قادرة- إن أخلص أبناؤها النية والعمل- أن تتبوأ مكانتها ثانية.

المصادر والمراجع

- إبراهيم أنيس.اللهجات العربية، بيروت، مطبعة الرسالة.
- أبو الطيب اللغوي الحلبي، الإبدال، تحقيق عز الدين التنوخي، 1961م.
- أبو حيان، البحر المحيط، مطبعة السعادة، 1328هـ.
- أحمد حماد، الخصائص الصوتية في لهجة الإمارات العربية، الإسكندرية، 1986م.
- أحمد عبد الستار الجواري، العامية خطر يهدد لغتنا، مشكلة اللغة، محمد التونجي، العربية، العربي، 21، 1976.
- إسماعيل عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة. عمان، دار البشير، 1996م.
- إسماعيل عمايرة، تطبيقات في المناهج اللغوية، عمان، دار وائل، 2000م.
- ابن خالويه، حجة القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، بيروت، 1971م
- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، بيروت، ط 1، مؤسسة الرسالة، 1985.
- ابن السكيت، كتاب الإبدال، تحقيق حسين محمد شرف، القاهرة، 1978.
- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية.
- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي. بيروت، 1963.
- ابن منظور، لسان العرب، طبعة بولاق.
- أحمد حسين شرف الدين، لهجات اليمن قديما وحديثا، القاهرة، 1970م.
- البطليموسي، الفرق بين الأحرف الخمسة، تحقيق عبد الله الناصير، دمشق، دار المأمون، 1984.
- الثعالبي، فقه اللغة، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، ط 2، القاهرة 1954م.
- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1950.
- حسين قوره، المواطن البحريني و مداخلات الألفاظ الأجنبية لهجته البحرينية، 1993.
- داود سلوم، دراسة اللهجات العربية، بيروت، عالم الكتب، 1986.
- دولت تايلور، ترجمة صنعاء الخلوجي، الكلمات العربية في اللغة الإنجليزية، بجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت 1977م.
- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، 1966.
- السيوطي، الاقتراح، تحقيق أحمد قاسم، ط 2، حيدر آباد الدكل، دار المعارف.
- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى وآخرين، دار الفكر.
- عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، عمّان، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني 1987.
- عبدا لله خلف، لهجة الكويت، الإسكندرية، 1988م.
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف.
- كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية صالح القرمادي، تونس، مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية والاجتماعية، 1966.
- كلمات فارسية تستخدم كل يوم، العربي، عدد (248)، 1979 (خاص باللهجة السورية).
- كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات)، دار المعارف، 1969.
- لويس عوض، دراسات في أدبنا الحديث، القاهرة، دار المعرفة 1961.
- ليلى خلف السبعان، تطور اللهجة الكويتية، دراسة وتحليل، الكويت، 1983.
- محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، مطبعة مصطفى الحلبي، 1349هـ.
- مخيمر صالح، الألفاظ العربية في اللغة التركية، منشورات مجمع اللغة العربية في دمشق.
- هنري فليش، العربية الفصحى، تحقيق عبد الصبور شاهين.

- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مطبعة السعادة، 1906م.

- The Meaning of Meaning, Ogden and Richards, 10 th ed, G.B.1972.

ملحق بألفاظ الحياة الشائعة في عُمان، في المحاور المختلفة

هذه عينة منتقاة من مجموع الألفاظ المدروسة، والتي لا يتسع المقام لنشرها في هذا البحث، وتمثل العينة معظم محاور الدراسة، وقد أثبت الألفاظ الواردة فيها كما شاعت في المناطق المختلفة في السلطنة، وذلك بقصد معرفة مدى اتفاق المناطق المختلفة في عُمان في استعمال المصطلح الدال على الشيء الواحد، وجعلت عموداً خاصا لبيان معنى المصطلح كلما لزم الأمر، وجعلت العمود الأول (للكلمة المقترحة) وذلك وفقا للمعايير الآتية:

1. **معيار الفصحى**: راعيت في اللفظ المقترح أن يكون فصيحاً.

2. **معيار الشيوع**:

أ. راعيت في اللفظ المقترح أن يكون شائعا في سلطنة عمان، وفي الوطن العربيّ، وبذلك أسقطت بدائل اللفظ الأخرى التي ينحصر شيوعها في بعض المناطق من عُمان.

2. إن كان اللفظ الشائع في عُمان، غير مستعمل البتة في العالم العربيّ، ولكن له ما يرادفه في العالم العربيّ، وهو مرادف مفهوم عند العُمانيين، اقترحت ما هو شائع في العالم العربيّ وذلك إسهاماً في توحيد المصطلح بين الأقطار العربية.

ج. إن كان اللفظ لمضمون خاص بعُمان دون غيرها من الأقطار، فإني أورده كما هو.

3. **معيار التعريب**:

أ. إذا كان اللفظ المستعمل في عُمان لفظاً أجنبياً، وهو خاص بالبيئة، أو ليس له تعريب مستقر في العالم العربيّ، فقد اقترحت أن يظل اللفظ الأجنبيّ على حاله، وذلك حتى يسهل مقارنة الألفاظ الأجنبية المستعملة في الوطن العربيّ للفظ الواحد، وحاولت حصر هذا النمط في ألفاظ محدودة قدر الإمكان.

وقد استعملت الرموز الآتية:

1. (ش. ع) رمزاً لشيوع اللفظ في العالم العربيّ.
2. (ش. س) رمزاً لشيوع الرمز في السلطنة.
3. (ف) رمزاً لفصاحة اللفظ.

وقد رتبت هذه العينة ترتيباً هجائياً، ولا شك أنّ هذا الترتيب الهجائيّ يتطلب أن يُعرّف باللفظة الواحدة في معانيها الاصطلاحية التي تنتمي إلى حقول موضوعية متعددة في مكان واحد يفرضه هذا الترتيب، ولذا فقد حاولت انتقاء هذه العينة من مفردات تتسم بالوضوح، وتؤدي الغرض في التمثيل. على أني عملت على ترتيب ألفاظ الحياة العامة التي قامت عليها الدراسة وفق الترتيب الموضوعي، إذ يقتصر التعريف في الحقل الدلاليّ الواحد على المصطلح في معناه الدلاليّ الذي يخدم ذلك الحقل.

الكلمة المقترحة	الباطنة	الداخلية	الشرقية	الظاهرة	الجنوبية	البيان
أرز (ش ع)	عيش	عيش	عيش	عيش/ سيلاني	عيش	أرز
أناناس (ش)	عنص	عنص+أناناس	أناناس نيناس	عنص	عنص	نوع من الفواكه
أنبوبة غاز أسطوانة غاز (ف)	سلندر	سلندر	سلندر/ غاز	سلندر	سلندر	أنبوبة غاز
الأنموذج (ف)	موديل	موديل	موديل	موديل	موديل	المثال الذي يمكن عمل مثله
أنيق (ف)	شيك	شبك	شبك	شبك	شيك	وصف يقال للشخص الآخذ بزينته
احتياطي (ش ع)	سبير	سبير	سبير	سبير	سبير احتياطي	احتياطي
استراحة	رست، استراحة، فسحة	رست، استراحة	فرصة	رست، استراحة	استراحة+ رست	فترة زمنية قصيرة تخصص للراحة أثناء الدوام
باذنجان (ف)	باذنجان	بنت نكان		باذنجان	باذنكان	نوع من الخضار أسود اللون لكل حبة كأس أخضر يؤكل مطبوخاً
بخاخ	سبري	سبري	سبري	سبري	بخاخ، سبري	بخاخ
برتقال	برتقال	برتقال+ برتغال	برتغال بردغال	برتغال	برتقال	نوع من الفواكه
برص (ش ع)	بلص	بلص	بلص	بلص	بلص	مرض غالباً يصيب جلد الوجه فيبدو الوجه ببقع حمراء
برياني	برياني	برياني	برياني	برياني	برياني	أرز ملون
البوابة (ش ع)	الباب العود، أو بيزنتو	الباب العود	دروازة، باب العود	الدروازة	البوابة، السدة	باب كبير يغلق على حديقة البيت
بطاقة علاج	شي+ كرت	شي+ كرت	كرت + شي	كرت	كرت	كرت، بطاقة
بطانية (ش ع)	برنوص، بطانية	برنوص، بطانية، كمبل	برنوص، بطانية، كمبل، برنجيت	برنوص، بطانية	برنوص، بطانية	غطاء يستعمل عند النوم
بطيخ (ش ع)	جح + يح	جح	جح+ يح	جح+ يح	حوح	نوع من الفواكه ذو قشرة خضراء سميكة بداخلها مادة حمراء شبه سائلة
بهاق (ش ع)	بهاق	بهاق	بهاق+ بهج	بهج	بهق	طفح جلدي يظهر على الجسم
تدليك	مساج تدليك	مساج تدليك	مساج تدليك	مساج تدليك	تدليك+ مساج	طريقة لعلاج عضلات الجسم
تشقق — حفا	حفا	حفا+ قحوف	حفي، فلوق	حفا	تشقق	تشقق يصيب القدمين

تطريز (ف)	خوار+تطريز	خوار+ تطريز	خوار+ مخور	خوار+تطريز	تطريز	اللباس المطرز من ناحية الصدر
تمر (ش ع)	تمر+ سح	سح	سح	سح+ تمز	تمر	تمر النخيل
تـــنورة (ش ع)	تـــنورة	تـــنورة + جبية	تـــنورة+جبية+ جونلة	تـــتوزة	تتوزة	لباس يغطي الجزء الأسفل من الجسم
التهاب الغدة النكافية / بوحلوق	خازباز + بوحلوق	خازباز + بوحلوق	خازباز+لعونة بوحلوق	خازباز + بوحلوق	غرنفاح	انتفاخ يصيب الرقبة في منطقة الحلق
ثعبان (ش ع)	غول، فعا، حية، حنش	هامشة، غول، دابة فعا، والكبير: ثعبان، والصغير: سكان المكان	داب، فعا، غول، والكبير فعوان	داب، فعا	غول، حية، حنش	نوع من الزواحف الطويلة يعرف بقدرته على اللدغ بسم قاتل
الجدة (ش ع)	حبوتي	حبوتي، جدتي – بيبتي	حبوتي–جدتي– بيتي	حبوتي، بدتي	حبوتي – بدتي	أم الأب أو أم الأم
الجدري ش.ع	جدري	محيقا، محيقا	حميقي	جدري	جديقة، بديقة	مرض يصيب الجلد وقد يظل أثره باقيا عليه
جوارب (ش ع)	زلاغ+ دلاغ	زلاغ+ جوارب	زلاغ	زلاغ	دلاغات	هو ما يلبس في الرجل من قماش
جوافة (ش ع)	زيتون	زيتون	زيتون	زيتون	زيتون	فاكهة صفراء اللون متوسطة الحجم ذات بذور تملأ تجويف الحبة
حسن، جيد (ش ع)	زين، عدل غاوي	غاوي، زين	غاوي، زين	غاوي، زين	زين	كلمة تقال عند استحسان الشيء
حلق (ف)	تراكي	تراكي	تراكي	تراكي	درور، حلق	القرط الكبير، ويسمون حلق الأطفال دردر
خزان (ف)	درام ماي، تانكي	تانكي	درام، تانكي	رام، تانكي	رلم، تانكي	سيارة لها خزان ينقل بواسطته الماء
خزانة ملابس دولاب (ف)	كبت	كبت	كبت	كبت	كبت	دولاب لحفظ الملابس
الخمار (ف)	شال	شال	شال	شال، شيلة	شال	هو ما ترتديه المرأة العُمانية كغطاء للرأس
الخنفساء (ش ع)	حبسانة	خنفسة	خنفسة حنيفسة	خنفسة، خنيفسة	خنفسة خنفسانة	نوع من الزواحف

دشداشة أو ثوب (ش ع)	كندورة	كندورة+ دشداشة	دشداشة	كندورة+ دهداشة	حلبية	هو اللباس الرسمي للرجل العُماني
الدفع نقداً (ف)	كاش	كاش	كاش	كاش	كاش	مكان حساب النقد المطلوب مقابل البضاعة
تنزيلات،تخفيضات (ش. ع)	تخفيضات دسكاوند	تخفيضات دسكاوند	تخفيضات دسكاوند	تخفيضات دسكاوند	تخفيضات دسكاوند	تخفيض في ثمن البضاعة في فترة زمنية محددة.
ذرة (ش ع ف)	ذرة	ذرة، مياسا، مرومبو	مهند، ذرة	ذرة، مهيندو	ذرة، مهيندو	نبات يُؤكل مسلوقاً
رقائق البطاط (ف)	مينو،شيبس، بطاطس	شيبس	شيبس	شيبس	شيبس	رقائق بطاطا مقلية بطريقة خاصة ومحفوظة في مغلفات من ورق الألمنيوم المغلق بإحكام
زاوية	كورنر، زاوية	كورنر، زاوية	كورنر، زاوية	كورنر، زاوية	كورنر، على الركن	منطقة في المنزل محصورة بين جدارين
زعتر (ش ع)	زعتر	سعتر، زعتر	سعتر، زعتر، زعتار، سعتار	زعتر	زعتر	نوع من التوابل ولكنه هنا يستخدم في الشاي
زمبيل (ف)	مخرافة	مخرافة	مخرف	مخرافة	زمبيل	وعاء من سعف النخيل يوضع فيه الرطب
زوادة (ف)	زوادة، سفرطاس	زوادة، سفرطاس	زوادة، سفرطاس	زوادة، سفرطاس	سفرطاس	وعاء يحمل فيه العامل أكله أثناء العمل
زير (ش ع)	حب	حب	حب+ جحلة	حب+ جحلة	حب+ جحلة	آنية مصنوعة من الفخار
ستارة (ف)	ستارة،بردي	ستارة، بردي	ستارة، بردي	بردي	بردية+ ستارة	قماش يغطي النوافذ
سترة (ش ع)	جاكيت	جاكيت	جاكيت	جاكيت	جكيت	معطف قصير
سجادة (ش ع)	زولية	زولية	زولية	زولية	زولية	قطعة منسوجة بطريقة فنية تفرش على أرض المنزل
سرير+ مرتبة	سرير + كرفاية+ شبرية	سرير+ كرفاية	سرير + كرفاية	سرير + كرفاية	كرفاية	أداة من الخشب أو المعدن تستعمل للنوم
سرير أطفال	منز	منز	منز	منز	مهد	سرير خشبي للأطفال
سلحفاة (ش ع)	حمسة	سلحفاة	سلحفاة	سلحفاة	سلحفاة	نوع من الزواحف يعرف ببطانه الصلب وبحركته البطيئة
شباك (ش ع)	دريشة	دريشة/شباك	دريشة	دريشة	دريشة	شباك
شفاطة (ف)	شفاطة	شفاطة+جحافة + رشافة + مساحة	شفاطة + سحاطة	شفاطة + مساحة	شفاطة	أداة لمسح الماء وتجفيفه

شلحة (ف ش ع)	شحلة	شلحة+ شمايزي	شلحة+ شمايزي	شلحة	شلحة	ما ترتديه المرأة تحت الثوب
شلل نصفي (ش ع)	بوبريقع	بوبريقع، برقع	مهتف، بوبريقع	بوبرقع	شلل نصفي	التفاف الوجه من جهة واحدة
شوب عسل (ش س)	جروص+ قروص	شوب وعسل	قروص+ شوابات	جروص + شوب وعسل	شوب عسل	نوع من الحلوى المعجونة بالعسل
صاحب عمل (ف)	أرباب، مدير	أرباب، مدير	أرباب، مدير	أرباب،مدير	مدير، أرباب	الشخص الذي يملك رأس مال المشروع التجاري
صاطور (ش ع)	طبر	طبر	صاطور	كتارة / صاطور	نجارة	آلة لقطع اللحم
صالة، لشيوعها (ش ع)	صالة	صالة- دهريز	دهريز	صالة	صالة	مكان يهيأ لمعيشة الأسرة واستقبال الضيوف
صحلة (ش س)	صحلة	صحلة/ ملة	صحلة/ ملة	صحلة/ ملة	صحلة	وعاء/ إناء
الصفار (ش ع)	بوصفار	صفار	الصفرا + بوصفار	بوصفار	بوصفار	مرض يصيب الكبد ومن أعراضه اصفرار الجلد
صندقة (ش س)	صندقة	صندقة/ صندجة	سندقة	سندقة	سندقة	ركن توضع فيه أدوات البناء لحين إتمامه
ضفدع (ش ع)	جرة، قرة، ضفدع، والجمع قرير	قرة	ظفدع، قرة، شرغة	جرة، ظفدع	ظفدع، جرة	نوع من البرمائيات
الطبيب (ف)	دختور	دختور	دختور، طبيب، دكتور	دختور	دكتور،دختور	شخص مؤهل لمعالجة المرضى
عاملة، خادمة في البيت	بشاكرة، شغالة، خادمة	بشاكرة، عاملة، شغالة، خادمة	بشاكرة، عاملة، شغالة، خادمة	بشاكرة	عامل، شغالة	العاملة التي تساعد الممرضة في المستشفى أو الأم في البيت
عباءة (ف)	بشت	بشت	بشت	بشت	بشت	عباءة يلبسها الرجال
عباد الشمس (ش ع)	عباد الشمس/ فساد	شمسية	حب الشباب / حب فساد	عباد الشمس	عباد الشمس	نبتة على شكل قرص أصفر له بذور سوداء تؤكل محمصة
عرسيه (ش س)	عرسية	عرسية	عرسية	عرسية	عرسية	طعام مكون من اللحم والأرز مهروسين معاً
عصبي المزاج (ف)	شوط، معصب	شوط، معصب	شوط، معصب	شوط، معصب	عصبي	عصبي المزاج
فطائر منوعة (ف)	سمبوسة	سمبوسة	سمبوسة	سمبوسة	سمبوسة	رقائق من العجين محشوة باللحم أو الخضار

القرد (ش ع)	سبال، قرد، جرد	سبال، قرد	قرد، سبال	جرد، سبال	جرد، سبال، قرد	حيوان عرف بذكائه
قرص (ف)	دسك	دسك	دسك	دسك	دسك	قرص مربع الشكل خاص بجهاز الحاسوب
القشطة أو القشدة	جيمر	قشطة	جيمر، قشطة	قشطة	قشطة	من مشتقات الألبان
القطة (ش ع)	سنور، حطو	سنور	سنور، صنور	سنور، حطة، حطو	سنور، حطة، حطو	حيوان أليف يعيش في البيوت وصوته يدعى مواء
قمامة، نفايات (ش ع)	كشرة، قشرة	كشرة، قشرة	كشرة، قشرة	كشرة، قشرة	أوساخ، كشرة	مخلفات الطعام ونحوه
قنديل، فانوس، مصباح (ف ش ع)	قنديل	فنر	قنديل / سراج	صراي	فنر	فانوس ينير بالزيت
قنينة (ش ع)	غرشة+ زجاجة بطل	غرشة، زجاجة بطل	غرشة، زجاجة بطل	غرشة، زجاجة بطل	غرشة، قنينة بطل	زجاجة يوضع بها العصير وغيره
قيء ، إقذاف	زوع	زوع+ هيظة	زوع	زوع	إقذاف	إخراج ما في المعدة نتيجة المرض
كابح السرعة (ف)	بريك	بريك	بريك	بريك	بريك	جزء في المركبة يخفض سرعتها أو يوقفها
كركم	كركم/ جزع	جزع، جزع	جزع، يزع	كركم/ جزع	كركم/ جزع	نوع من البهارات يجعل الأرز أصفر اللون
اللاقط (ف)	أريل، عرشة	أريل	أريل	أريل+ عرشة	أريل	عمود استقبال الأمواج الكهرومغناطيسية
ليمون حامض مجفف (ف)	لومي	لومي	لومي	لومي	ليمون،لومي	نوع من الليمون المجفف يستعمل كنوع من البهارات
ماء الورد (ش ع)	ماي ورد	ميورد	ما ورد	ماي ورد	ماء ورد	سائل يستخلص من الأزهار يضاف إلى بعض الحلويات
مانجو (ش ع)	همبا	أمبا+ لمبا	لمبا (بكسر اللام وفتحها)	أمبا	مانجا، أمبا	نوع من الفواكه يعيش في المناطق الحارة
البازلاء (ش ع)	غرغر	غرغر	غرغر	غرغر	غرغر	خضار تؤكل مطبوخة
مجرافة مشلة	مشلة	مشلة/ مجرافة	مجرافة	مكرافة	مشلة	أداة تستعمل لجمع القمامة من مكان تجمعها
مجمر (ف ش س)	مجمر	مجمر	مجمر	ميسر /مجمر	مدخن	أداة من الفخار أو المعدن يوضع فيها الجمر، ومن ثم يوضع عليه البخور.
المربى (ف)	جام	جام	جام	جام	جام	فاكهة مطبوخة بالسكر

مرق/صالونة (ش س)	مرق+ صالونة	برق+ صالونة	مرق+ صالونة	مرق+ صالونة	مرق	خضار مطبوخة مع الدجاج أو اللحم بمرقة الطماطم.
مزين (ف)	مزين، مزركش	مزين، مزركش	مزين، مزركش	مزين، مزركش	مزين	مطرز بخيوط زاهية
المستشفى (ف ش ع)	مستشفى – سبيتار	مستشفى – دختر – سبيتار	مستشفى- سبيتار – دختر	مستشفى	مستشفى	مركز للعلاج يشتمل على طاقم من الأطباء والأجهزة اللازمة لعلاج المرضى
مسلة (ش ع)	دفرة، مسلة	مسلة	مسلة	مسلة	مسلة	إبرة كبيرة تستخدم في خياطة الأكياس المصنوعة من الألياف أو من سعف النخيل.
مصرف (ف)	بنك	بنك	بنك	بنك	بنك	مؤسسة صرف وإيداع النقود
المضخة / (ش ع)	ديلمة، ديناماه	ديلمة	دينما، ديلمة	دينمة،	دينمة	آلة كهربائية لضخ المياه
مطرقة (ش ع)	شاقوش، مطرقة، مطرحة	مطرقة	مطرقة	مطرقة	مطرقة	أداة تستعمل لطرق الأشياء كالمسامير
معلاق أو علاقة (ف)	معلاق	معلاق	وتد، علاقة	وتد	وتد	أداة من الخشب أو المعدن تستعمل لتعليق الملابس
مغراف	مغراف	مغراف	مغراف	مغراف	مقمشة	معلقة كبيرة
مفتاح تشغيل (ف)	سويك	سويك	سويك	سويك	مفتاح	أداة تشغيل السيارة
مقهى (ف)	كفتيريا- مقهى	كفتيريا	كفتيريا، مقهى	كفتيريا	كفتيريا	مكان عام تقدم فيه المشروبات والفطائر البسيطة
مكنسة يدوية	مخمة، مقشة	مخمة، مقشة	مخمة، مقشة	مخمة، مقشة	مصافة، مخمة	مكنسة يدوية من الخوص
مكيف (ف)	كندشن، مكيف	كندشن، مكيف	كندشن، مكيف	كندشن، مكيف	كنديشن	جهاز كهربائي يستعمل لتبريد الهواء أو تسخينه
ممرضة (ف)	سستر،	سستر، نيرس، ممرضة	سستر،	سستر،	سيستر،	امرأة موهلة تساعد الطبيب في مراحل معالجة المريض المختلفة

ممسحة (ش ع)	أبو الخيوط	مال الخيوط	مشاشة	مساحة	مساحة	أداة تبل بالماء وتستخدم لتنظيف الأرض من الغبار والأوساخ
مناوبة (ش ع)	مناوبة+ شفت زام	Zam زام	شفت،زام	شفت، زام	شفت، مناوبة	مناوبة في العمل
منظار (ف)	دوربيل، دوربين	دوربيل، دوربين	دوربيل، دوربين	دوربيل، منظار	دوربيل، منظار	أداة تستخدم لرؤية الأشياء البعيدة قريبة و واضحة.
المها (ش ع)	بن سولع، مها	بن سولع	بن سولع، المها	بن سولع، مها	بن سولع، مها	نوع من البقر الوحشي
نبات الفطر (ش ع)	مشروم، فطر	مشروم، فطر	فطر	فطر	فطر مشروم	نوع من النبات له رأس يشبه المظلة وبعضه صالح للأكل
نبق (ش ع)	نبج	نبق	شواب+ نبق	نبج+ نبق	دوم	ثمر شجر السدر
النسيب (ش ع)	النسيب	النسيب	الشمج – رجل ختي	الشمج	الشمج	زوج الأخت أو البنت
نظارة	كشمة- نظارة	كشمة نظارة	كشمة	كشمة-نظارة	نظارة	أداة طبية تستعمل لمعالجة أمراض العيون
النمل (ش ع)	يعروف، جعروف	جعروف	جعروف يعروف،	يعروف	يعروف، جعروف	
هوائي (ف)	أريل	هوائي (ف)	هوائي (ف)	هوائي	أريل	سلك الاستقبال (هوائي) يستعمل للتلفاز
هاتف نقال	نقال، بليب G.S.M	نقال، بليب G.S.M	نقال، بليب G.S.M	نقال، بليب G.S.M	نقال، بليب G.S.M	نوع من الهواتف اللاسلكية يخدم مستعمله في أي مكان
وصفة طبية (ش ع)	ورقة علاج	ورقة علاج	رشتة، ورقة العلاج	رشتة	رشتة	ورقة يحررها الطبيب وفيها العلاج المطلوب
وميض (ف)	فلاش	فلاش	فلاش	فلاش	فلاش	الضوء القوي الخاطف

الهوامش

1. انظر:عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، 1984م.
2. انظر: محمد على الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، 1982.
3. السيوطي، الاقتراح، تحقيق أحمد قاسم، دار المعارف، ط 2، ص 20.
4. انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1951م، جـ 2، ص 168.
5. عباس محمود العقاد، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، 107/10.
6. لمزيد من التفصيل، انظر: إسماعيل عمايرة، تطبيقات في المناهج اللغوية.
7. انظر: نماذج لبعض هذه المحاور في نهاية البحث.
8. ياقوت الحموي، معجم البلدان.

وانظر: داود سلوم، دراسة اللهجات العربية، بيروت، عالم الكتب، 1986، ص 11.

9. محمد غانم الرميحي، البترول والتغير الاجتماعي في الخليج العربي، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، الكويت، 1975، ص 41.
10. انظر: ابن فارس الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، بيروت، 1963 م، ص 24.

وانظر: أبو الطيب اللغوي الحلبي، الإبدال، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق، 1961، جـ 231/2.

11. انظر: إبراهيم أنيس، اللهجات العربية، بيروت، مطبعة الرسالة، د.ت، ص89.
12. سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، 1966، جـ 295/2.
13. ابن جني، الخصائص، جـ 11/2.
14. انظر: أحمد حسين شرف الدين، لهجات اليمن قديماً وحديثاً، القاهرة، 1970، ص 48.
15. انظر:أحمد حمّاد، الخصائص الصوتية في لهجة الإمارات العربية، الإسكندرية، دار المعرفة 1986م، ص 34.
16. انظر: السيوطي، المزهر، في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى وآخرين، دار الفكر،جـ 223/1.

وانظر: الثعالبي، فقه اللغة، تحقيق مصطفى السقا وزميله، ط 2، القاهرة، 1954م، ص 109.

17. انظر: عبد الله خلف، لهجة الكويت،الإسكندرية، 1988، ص 16.
18. سيبويه، الكتاب، 405/2، كـ:يرمز للجيم العمانية المشابهة لصوت (g) في الإنجليزية.
19. انظر: "ابن فارس، الصاحبي، ص 25.
20. انظر: كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات)، دار المعارف بمصر، 1969م، ص 127.

وانظر: إسماعيل عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، ص 254.

21. محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، مطبعة مصطفى الحلبي، 1349هـ، ص 60.
22. انظر: كانينو، دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية صالح القرمادي، تونس، مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية، و الاجتماعية، 1966م،ص 10.
23. سيبويه، الكتاب جـ 2/ 404.
24. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، بيروت، دار الكتب العلمية.
25. انظر: السيوطي، المز هر، جـ1/ 460.
26. أبو الطيب، الإبدال،2/ 356.
27. = القاف العمانية أو الفارسية (g).
28. ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، جـ 220/1.
29. أبو الطيب، الإبدال. ج 2/ 172.
30. أبو محمد البطليموسي، الفرق بين الأحرف الخمسة.
31. انظر: أبو حيان، البحر المحيط،25/1، واللسان 185/9.
32. السيوطي، المزهر، جـ 469/1، مطبعة السعادة.
33. انظر: إبراهيم أنيس، اللهجات العربية، ط 2، ص 97.
34. أبو الطيب، الإبدال، جـ 2/ 107.
35. ابن جني، سر صناعة الإعراب،215/1.
36. أحمد الجندي، اللهجات العربية في التراث،جـ2/ 456.
37. السيوطي، المز هر، جـ 1/ 88.

38. ابن خالوية، حجة القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، ص 75.

39. انظر: أحمد حماد، الخصائص الصوتية في لهجة الإمارات العربية، ص 17.

40. ابن السكيت، الإبدال، تحقيق حسين شرف، ص 84.

وانظر: أبو الطيب اللغوي، الإبدال، جـ 2 /555.

41. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ميل).

42. ابن السراج، الأصول، جـ 160/3.

43. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، جـ 30/2.

44. هنري فليش، العربية الفصحى، تحقيق عبد الصبور شاهين، ص36.

45. إسماعيل عمايرة/ بحوث في الاستشراق واللغة، ص 230.

46. ابن فارس، الصاحبي، ص 48.

وانظر الجندي، اللهجات العربية، 390/1.

47. انظر بحوث في الاستشراق واللغة: بحث: مقطع المضارعة بين العربية واللغات السابقة ص 240.

48. انظر: إبراهيم أنيس،طرق تنمية الألفاظ في اللغة، ص 41.

49. ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد بركات، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967م، ص 311.

50. إسماعيل عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، ص 262.

51. عبد الواحد وافي. فقه اللغة. ص 179.

52. كمال بشر، علم اللغة العام. ص 128.

53. ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 72

54. كمال بشر، علم اللغة العام، ص 129.

55. حسن ظاظا، كلام العرب، ص 92

56. عبد الرحمن أيوب. العربية ولهجاتها. ص45.

57. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز

58. المولد حلمي خليل، ص 459.

59. The Meaning of Meaning, Ogden and Richards, 10 th ed, G.B. 1972, B.7.

60. سيبويه، الكتاب، 7/1.

61. اللسان، مادة حمس.

62. اللسان، مادة عرف

63. اللسان مادة "قر".

64. اللسان، مادة عوس.

65. اللسان، مادة حجف.

66. اللسان، مادة سحط

67. انظر: عبد الكريم خليفة. اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ، عمان ، 1987م، ص 23.

68. ممير صالح، الألفاظ العربية في اللغة التركية، منشورات مجمع اللغة العربية في دمشق.

69. دولت تايلور. ترجمة صفاء خلوصي. الكلمات العربية في اللغة الإنجليزية، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت 1977 م، ص 143.

وانظر: حسين سليمان قورة. المواطن البحريني ومداخلات الألفاظ الأجنبية لهجته البحرينية. 1993م ، ص 14.

70. إسماعيل عمايرة، حواش على مشروع معجم ألفاظ الحياة العامة، دار وائل للنشر، عمان، 2001 م، ص4.

71. كارل بروكلمان. تاريخ الأدب العربي. نقلة إلى العربية، عبد الحليم النجار، دار المعارف، ص 50.

II- أعمال ندوة "الألفاظ العلمية الحضارية والتراثية"
المنعقدة في فاس أيام 26-29 أكتوبر 2000

أ- الافتتاح

1. برنامج الندوة.
2. كلمة عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
3. كلمة مدير مكتب تنسيق التعريب

ب- البحوث

1. نحو مصطلحات عربية

د. أحمد مطلوب

2. ألفاظ الحضارة : هل هي كلمات عادية أم مصطلحات تقنية؟

د. علي القاسمي

3. دور التراث العلمي واللغوي في وضع المعجم العربي الحديث المتخصص

د.عبد اللطيف عبيد

4. الألفاظ التراثية و التعريب في عصرنا الحاضر

د. عبد الرحمن الحاج صالح

5. المصطلح العربي الحضاري والتراثي: قضايا ومقاربات

د. محمد رشاد الحمزاوي

6. اللغة المتداولة في الميدان البيداغوجيّ : الكتاب المدرسيّ نموذجاً

د. رتيبة الصفربوي

7. بعض النماذج المصطلحية من لغة التواصل

د. الحاج بن مومن

8. مصطلحات الألوان في اللهجة الدارجة الفاسية: قراءة في المكون والدلالة

د. عبد المالك الشامي

9. المعاجم المصطلحية الحديثة: أي فائدة لها في تعريب العلوم ؟

د. عبد الوهاب التازي سعود

10. اللغة التقنية و التعريب: ميدان السياقة نموذجاً

د. ليلى المسعودي

11. التقرير الختامي
12. قائمة المشاركين

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
مكتب تنسيق التعريب– الرباط

جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ظهر المهراز ـ فاس

ندوة الألفاظ العلمية الحضارية والتراثية

أيام 26-29 أكتوبر 2000

بقاعة الندوات بعمادة جامعة القرويين – فاس

برنامج الندوة

الخميس 26 أكتوبر 2000 م

9.30 – 10.00 الجلسة الافتتاحية.

تلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم.

كلمة السيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس –جامعة محمد بن عبد الله .

كلمة السيد مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط.

كلمة السيد رئيس شعبة اللغة العربية، منسق الندوة .

10.00 – 10.30 حفل شاي

الجلســة الأولــى

المحور الأول : وضع الألفاظ العلمية التراثية

رئيس الجلسة : د. الشاهد البوشيخي

مقرر الجلسة : د. عبد الرحيم الرحموني

10.30- 11.00 : عرض البحث الأول :

المصطلح العربيّ الحضاريّ والتراثيّ (قضايا ومقاربات)

الدكتور محمد رشاد الحمزاوي

11.00- 11.30:عرض البحث الثاني :الألفاظ التراثية والتعريب في عصرنا الحاضر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح.

11.30 — 12.00 : عرض البحث الثالث: بعض النماذج المصطلحية من لغة التواصل، الدكتور الحاج بن مومن.

12.00 – 12.30 : مناقشة

بعد الزوال

الجلسة الثانية : المحور الأول (تابع)
وضع الألفاظ العلمية التراثية
رئيس الجلسة : د. عبد الرحمن الحاج صالح
مقرر الجلسة : د. العياشي السنوني

16.00 — 16.30 : عرض البحث الرابع : " مصطلحات النقد الأدبيّ العربيّ القديم في كتاب "المحاضرة والمذاكرة" لموسى بن عزرا، وانتقالها إلى اللغة العبرية الحديثة مدلولاً واصطلاحاً"، الدكتور أحمد شحلان.

16.30 — 17.00 : عرض البحث الخامس : "نظرات في قضية المصطلح العلميّ التراثيّ"، الدكتور الشاهد البوشيخي.

17.00 — 17.30 : مناقشة.

الجمعة 27 أكتوبر 2000 م

الجلسة الثالثة : المحور الثاني.
الألفاظ الحضارية المستعملة في الحياة اليومية.
رئيس الجلسة : د. نشأت حمارنة.
مقرر الجلسة : د. عبد العلي حجيج.

9.30 — 10.00 : عرض البحث السادس : ماهية ألفاظ الحضارة : هل هي كلمات عادية أم مصطلحات تقنية؟، الدكتور علي القاسمي

10.00 — 10.30 : عرض البحث السابع: المعاجم المصطلحية العربية الحديثة : أي فائدة لها في تعريب العلوم. الدكتور عبد الوهاب التازي سعود.

10.30 — 11.00 : عرض البحث الثامن مصطلحات الألوان في الدارجة الفاسية، قراءة في المكوّن والدلالة، الدكتور عبد المالك الشامي.

11.00 -12.00: مناقشة

بعد الزوال

الجلسة المسائية
الألفاظ الحضارية المستعملة في الحياة اليومية.
رئيس الجلسة : د. محمد رشاد الحمزاوي.
مقرر الجلسة : د. فوزي بوزبع.

15.00 —15.30 : عرض البحث التاسع : الألفاظ المستعملة في ميدان السياقة وقانون السير، الدكتورة ليلى المسعودي.

15.30 — 16.00 : عرض البحث العاشر : دور التراث العلميّ واللغويّ في وضع المعجم العربي الحديث المختص، الدكتور عبد اللطيف عبيد.

16.00 — 16.30 : عرض البحث الحادي عشر : اللغة المتداولة في الميدان البيداغوجي، الدكتورة رتيبة الصفريوي.

16.30 – 17.00 : عرض البحث الثاني عشر : تنمية الألفاظ الحضارية، الدكتور ابراهيم الخطابي.

السبت 28 أكتوبر 2000

الجلسة الصباحية
رئيس الجلسة : د. عبد الرحمن مجيد الربيعي.
مقرر الجلسة : ذ. اسلمو ولد سيدي أحمد.

9.00 – 9.30 : عرض البحث الثالث عشر: نحو مصطلحات عربية، الدكتور أحمد مطلوب.

9.30 – 10.00 : عرض البحث الرابع عشر : مشروع معجم ألفاظ الحضارة : محددات نظرية ومنهجية، الدكتور عز الدين البوشيخي.

10.00 – 10.30: عرض البحث الخامس عشر: الاصطلاح والترجمة، الألبسة العربية نموذجاً، الدكتور عبد الغني أبو العزم.

10.30 – 11.00 : عرض البحث السادس عشر: ألفاظ التراث والحضارة- ألفاظ الطب نموذجاً، الدكتور نشأت الحمارنة

11.00 – 11.30 : مناقشة

الجلسة المسائية
رئيس الجلسة : د. عباس الصوري

قراءة التقرير الختامي والتوصيات.

كلمات الاختتام.

زيـارة المعالم الأثرية لمدينة فاس.

كلمة الافتتـــاح

للدكتور عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

لم أتردد حينما اقترح عليّ السيد مدير مكتب تنسيق التعريب، الزميل الدكتور عباس الصوري، تنظيم ندوة علمية مشتركة حول **"الألفاظ العلمية والحضارية والتراثية"** وأنّى لي ذلك وفاس حاضرة من حواضر العالم الإسلامي، لها إسهامها في العلم والحضارة والتراث، و تتوفر على شعب للغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ والفلسفة، هذا فضلاً عن وجود معهد للدراسات المصطلحية بكليتنا نيّف الآن على عشر سنوات، يتوفر لديه، بفضل الله وحمده وجهود الزملاء القائمين عليه، رصيد يحتفى به من المصطلحات العربية الأصيلة في العديد من فنون المعرفة. أما مكتب تنسيق التعريب فلم يعد شأناً جديداً، أن نتحدث عن جهوده، ومجلته "اللسان العربي"، التي أضحت مرجعاً لا يقل أهمية عن مجلات المجامع العربية الرصينة. هذا فضلاً عن معاجمه التي ذكر بعضاً منها زميلُنا الدكتور عباس الصوري، مما يدعّم التنظير بالإحصاء، ولا يبقى هذا الأخير جردا لا معنى له. على أن ثمة محوراً له في نفسي مكانة خاصة وهو محور: ألفاظ الحياة. ونحن " نبدع" في مصطلحات الحياة الجديدة وتقنيات المعاصرة، ننسى أن ههنا فينا رصيداً لا ينضب، حيا مستعملاً،.......... وهي الألفاظ المعروفة بالعامية، وجلها عربي- وحتى المعرب منها جدير بالدراسة والاقتناص.

يذكرني ذلك بما عانيتُ من ترجمة بعض الألفاظ مثل:

فوجدت : قنديل السمر،سراج الليل	veilleuse
وعندنا في فاس "السامرة"	
متدرب، متمرن، مساعد. وعندنا = مُتْعلم	apprenti
ينبوع، عين، منهل، وعندنا: سقّاية	fontaine

ولا شك أن مثل هذا موجود في الشرق العربي كما هو في غربه.

حضرات السيدات والسادة

أريد أن أختم كلمتي بالترحيب بكم في حاضرة المملكة المغربية، راجياً لكم مقاماً طيباً، وإنتاجا أطيب يصدر عن مداخلات السادة العلماء ومناقشاتهم خلال هذه الأيام الغُر.

كلمة مدير مكتب تنسيق التعريب

د. عباس الصوري

- السيد رئيس الجامعة،
- السيد عميد كلية الآداب،
- حضرات السادة والسيدات

نلتقي اليوم، بحاضرة فاس المجيدة وبرحاب كلية الآداب لجامعة سيدي محمد بنعبد الله، في إطار ما ينوي مكتب تنسيق التعريب إقامته من ندوات خصصها لموضوع هام ودقيق يتصل بحياتنا اللغوية ومدى قدرة اللغة العربية على التفاعل مع متطلبات العصر الضاغطة وتلبية حاجاته في التعبير عن المفاهيم المستحدثة، وإيجاد الألفاظ الضرورية لكل ما يحيط بالإنسان العربي، في محيطه الخاص أو العام، ونعني به موضوع ما يسمى بألفاظ الحضارة والتراث.

والواقع الذي لا مراء فيه أن هذا الموضوع جدير بأن يعقد له أكثر من لقاء وبمختلف الدول العربية، وها نحن نفتتح عقد هذه اللقاءات بحاضرة عاصمة المغرب العلمية، وبرواق من أروقة جامعة القرويين العتيقة، مستنيرين بمنارتها العلمية التي تعد صرحاً ظَلَّ شامخاً للثقافة العربية والإسلامية بهذا الجناح العربي الإسلامي عبر القرون والأجيال.

لقد شغل هذا الموضوع المراكز العلمية في الوطن العربي منذ أن بدأت الأمة العربية تنهض من كبوتها في بداية القرن العشرين، وحاولت أن تستبدل لغتها القومية بلغة المستعمر.

فطُرح السؤال: إلى أي حد لغة العرب قادرة على الإيفاء بالرسالة الثقافية والحضارية للعصر الحديث، وهل هي فعلاً تتوفر على ما يؤهلها لتحل محل لغة المستعمر في جميع الميادين العلمية منها والعملية؟

لقد تشعبت الحياة العصرية وأقحمت في عاداتنا وتقاليدنا ملبوسات ومطعومات وأدوات لا عهد للعربية بها، فالتوى اللسان العربي، وأقحمت به رطانات الدخيل الأعجمي، وشابت الألفاظ العامية فنون القول، من مسرح ومسلسلات ومظان الإبداع في الكتابة النثرية باختلاف أنواعها، وشاع الحديث عن قصور اللسان الفصيح في مجال التقنيات الحديثة، وضرورة اللغو بالدخيل أو العامي أو العدول عن الفصحى جملة وتفصيلاً. وفي نحو هذا المعنى، يقول محمود تيمور، وهو من أبرز الرواد في تعريب الحياة العامة: إن المتحدث (يعيا بوصف مخدع أو مائدة أو نحوهما إلا أن يختار أحد أمرين، أحلاهما مر، فإما أن يحشد على قلمه الكلمات الأجنبية أو العامية، وإما أن يتخذ للتعبير ألفاظاً فصيحة بجفوة لم تأنس بها الأسماع).

ولقد بذلت المجامع جهوداً كبيرة للتغلب على مناحي القصور في التعبير عن الحياة العصرية. وفي هذا

الاتجاه، أنشأ مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة خاصة بألفاظ الحضارة والحياة العامة، وتقدمت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمشروعات للنهوض بلغة المتعلم فوضعت عدة قوائم للألفاظ الشائعة بالبلدان العربية وتوجت ذلك بوضع المعجم الأساسي لتعليم العربية لغير الناطقين بها، وأنتجت، عن طريق مكتب تنسيق التعريب بالرباط، عشرات القوائم المصطلحية في المأكل والملبس والمطعم و الأدوات والخدمات والمهن والصناعات..إلخ ، كما يتجلى ذلك في معاجم المصطلحات الموحدة التي بلغت، الآن، ما ينيف على خمسة وعشرين معجماً تتطرق لمختلف المجالات، و يتجلى كذلك في القوائم الغزيرة التي ينشرها المكتب، عن طريق مجلة اللسان العربي.

ومنذ تأسيس اتحاد المجامع وهو لا يألو جهدا في العمل على إنجاز مشروع معجم عربي موحد لألفاظ الحضارة، يتجاوز ما كان المستشرق دوزي قد أنجزه عندما وضع معجمه الشهير الموسوم بتكملة المعاجم العربية منذ سنة 1881، وقد كانت غايته إيجاد الألفاظ والمفردات التي لا نعثر عليها في المعاجم العربية التقليدية. فعمد إلى جردها من كتب التاريخ والتراجم والرحلات وكتب الطب والسير الشعبية وغيرها. ولقد خطط اتحاد المجامع لمشروعه بحيث يكون لكل مجمع، من المجامع العربية المعروفة، الحرية في جمع ما يروج من ألفاظ الحضارة في قُطره، وجماع ما يتم إنجازه في البلدان العربية هو ما يعتمد لإصدار معجم عربي موحد على المستوى العربي القومي.

لا شك أن هذه الجهود التي تقوم بها الهيئات المتخصصة إذا أضيفت إليها جهود الأفراد، من أمثال ما كان يقوم به الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله وأحمد الأخضر غزال وعبد الرحمن الحاج صالح (الجزائر) وأحمد شفيق الخطيب (لبنان) وآل الخياط (هيثم)..إلخ، لا شك أنها ستدفع بنهضة اللغة العربية والسير بها في الطريق السليم، لكن الطريق ما يزال متشعباً والمصاعب جمة، ومن هذه المصاعب :

- أن المشكل ليس في إيجاد المقابل العربي للفظ الأعجمي والدخيل، وإنما في ما يضمن له الحياة والرواج والاستمرار.
- التضخم أحياناً في الكم يكون على حساب النوع، بحيث نجد مجالات غنية إلى حد الإفراط وأخرى مجدبة إلى حد التفريط.
- البلبلة والفوضى بسبب تعدد الألفاظ للمسمى الواحد، والتمسك الجهوي، على حساب التوحيد القومي، وما يترتب عليه من نشوء لغات عربية متباينة في متنها المعجمي.
- انصراف الجمهور عن اجتهادات المجامع، وما تقترحه من مسميات فصيحة، مما جعل رئيس مجمع اللغة العربية الأردني يقول (استقبل الجمهور كلمات المجمع، في شؤون الحياة العامة، بما يستقبل به الداخل فيما لا يعنيه).

هذه بعض المصاعب وغيرها كثير، ونحن لا نقول إننا سنتغلب عليها جميعاً في هذا اللقاء، وإنما نريد، من خلال الأبحاث القيمة والآراء التي سنستمع إليها، أن نجد سبيلاً للعمل وفق منهج علمي جاد، وأن نضع نصب أعيننا اللغة العربية التي يستعملها كل العرب المنضوية دولهم في جامعة الدول العربية وليس الدول التي

توجد بها بجامع، وهي محدودة، فلغة القرآن ليست حكراً على قوم دون آخرين، ولنا في ما قام به السلف عبر مؤلفاتهم في التاريخ والرحلات والطب وما ورد من سير وأقاصيص متنوعة خير مثال ولقد كان أبو عثمان، مثلا، أكثر انفتاحاً في تعامله مع ألفاظ المعجم، فقد كان لا يتورع عن تضمين كتبه أحاديث البخلاء والقيان وأصحاب الحرف والمرضى وما يدور على ألسنتهم من ألفاظ، وعليها اعتمد دوزي في محاولة تكملة المعجم العربي الموحد.

لقد دعونا إلى هذا الجمع المبارك ثلة من خيرة العلماء المتخصصين في الميدان، فاستجابوا ملبين دعوتنا بدون قيد، مزودين بتجربتهم النادرة وبعلمهم الغزير، ومتكبدين مشاق السفر (بالنسبة للوافدين من خارج المغرب)، ومضحين بمشاغلهم الخاصة، وهي كثيرة، فلهم منا خالص الشكر والامتنان. ولقد رحبت جامعة سيدي محمد بنعبد الله باحتضان هذه التظاهرة العلمية وهيأت لها، مشكورةً، كل أسباب التحقق والوجود، فإليها، ممثلة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، يعود الفضل في قيام هذه الندوة وإخراجها إلى حيز الوجود بعد أن كانت مجرد فكرة بين عدة عواصم عربية.

وقبل ختام هذه الكلمة، أود أن أهتبل الفرصة لأتوجه بخالص الشكر والعرفان إلى السيد قيدوم كلية الآداب، د.محمد الشاد، على ما قام به لتوفير كل أسباب التوفيق والنجاح لهذه الندوة، وإلى السيد رئيس الجامعة على حفاوة الاستقبال وصدق حرصه على أن تمر أعمالها في جو أكاديمي كفيل أن يضمن لها التوفيق والنجاح.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، والسلام عليكم ورحمة الله.

نحو مصطلحات عربية

د. أحمد مطلوب[*]

(1)

اهتم العرب بالمصطلحات العلمية والفنية منذ عهد مبكر، وازدادت أهمية المصطلحات حينما نشطت الحركة العلمية والفكرية وبدأ عهد الترجمة.

واحتاج المؤلفون والمترجمون إلى ألفاظ تدل بدقة على العلوم والفنون وأصبح المصطلح مهماً في تحصيل العلوم، لأنه يحدد قصد المؤلف أو المترجم، وأخذ المهتمون بالعلوم يعنون به كثيراً لأن أكثر ما يحتاج به إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح إذ لكل علم اصطلاح إذا لم يعلم بذلك لا يتيسر الاهتداء إليه.

ونشط اللغويون والعلماء في رَفْد اللغة العربية بالمصطلحات، ويتضح مما ذكره الجاحظ، وقدامة بن جعفر، وابن وهب الكاتب، وأبو حاتم الرازي، وحازم القرطاجني وغيرهم أن من أهم وسائل وضع المصطلح عند القدماء:

1. اختراع أسماء لما لم يكن معروفاً، كما فعل المتكلمون، والنحويون، والعروضيون، وأصحاب الحساب.
2. إطلاق الألفاظ القديمة للدلالة على المعاني الجديدة، على سبيل التشبيه والمجاز، كما في الأسماء الشرعية، والأسماء الدينية، وغيرها مما استجد من آداب وعلوم وفنون.
3. التعريب: وهو نقل الألفاظ الأجنبية إلى العربية بإحدى الوسائل المعروفة عند النحاة واللغويين.

ولعل أبا عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي من أشهر الذين عُنُوا بالمصطلح العلمي قديماً، إذ فَرَّق في كتابه " **مفاتيح العلوم** " بين العلوم العربية والعلوم الأجنبية، وكان لكل قسم مصطلحاته الدقيقة، وقد سار على منهج واضح، وإن لم يحدده أو يتحدث عنه، ، ولكن يبدو، من النظر في مصطلحاته، أنه اتخذ أسساً واضحة، ومن ذلك:

1- ذكر المصطلحات المشهورة، وإهمال ما تُرِكَ استعماله.

2- نقل اللفظة من صيغة إلى أخرى للدلالة على معنى مُحَدَّد.

3- العناية بالاشتقاق.

4- عدم الاشتقاق من الأعجمي.

5- استبدال الحروف العربية بالحروف الأجنبية، كجعل التاء طاء.

وعُني العرب في العصر الحديث بالمصطلحات العلمية، وكان للمجامع اللغوية والعلمية العربية ومكتب

---

[*] عضو المجمع العلمي العراقي وأمينه العام، بغداد

تنسيق التعريب دور كبير في ذلك، وقد صدرت في القرن العشرين مئات المعاجم المتخصصة. وأسهم المجمع العلمي في العراق في وضع المصطلحات العلمية منذ تأسيسه سنة 1947م، ووضعت لجنة المصطلحات الطبية بعض القواعد والأسس التي سارت عليها وهي:

1- اللفظ المستعمل في كتب الأقدمين أولى بأن يُستعمل، فلا يُعدل عنه إلى غيره.

2- إن أغلب مصطلحات الأمراض تنتهي على القياس بلواحق تدل على نوع المرض فوضعت اللجنة (فَعِل) مقيسا على جنس المرض، و (فُعال) للدلالة على المرض الشديد.

3- بعض الأسماء تنتهي بلواحق يُراد بها معنى الشبه، وأضافت اللجنة الألف والنون على الاسم لهذا الغرض كاللحْمَانِيّ لشبه اللحم والشَّحمانيّ لشبه الشحم.

4- أبقت اللجنة الياء والنون كما في (الكَظْرين).

5- اتخذت (فَعول) قياساً لأسماء الأدوية كالسَّعوط.

6- استعملت بعض السوابق على وزن (فَعْل) كالفَرْط، والهَبْط، والسَّبْق، و اللَّحْق، و البعْد، و النـــزْر.

وُروعي في وضع مصطلحات الولادة ومصطلحات علوم المياه بعض القواعد الواضحة وهي:

1) إيثار استعمال اللفظ العربي على اللفظ الأجنبي.

2) إحياء المصطلح العربي القديم إذا كان مُؤدياً للمعنى العلمي الصحيح.

3) تفضيل اللفظ العربي الأصيل على المولَّد، والمولَّد على الحديث إلا إذا اشتهر الأخير.

4- استعمال اللفظ العربي الأصيل إذا كان المصطلح الأجنبي مأخوذاً عنه.

5- تجنب النَّحْت ما أمكن ذلك.

6- تجنب تعريب المصطلح الأجنبي إلا في الأحوال الآتية:

أ- إذا أصبح مدلوله شائعاً بدرجة كبيرة يصعب معها تغييره.

ب- إذا كان مشتقاً من أسماء العلم.

ج- في حالة الأسماء العلمية لبعض العناصر والمركبات الكيميائية.

د- إذا كان من أسماء المقاييس والوحدات الأجنبية.

هـ- إذا كان مستعملاً في كتب التراث.

7- روعيت قواعد معينة في التعريب منها:

أ- البدء بالهمزة إذا دعت إلى ذلك ضرورة تجنب البدء بحرف ساكن، مراعاة لطبيعة اللغة العربية.

ب- استعمال حرف الغين الذي يقابل حرف الجيم غير المعطشة.

ج- كتابة الألفاظ المعربة كما يُنطق بها في لغتها مع إيثار الصيغة التي نطق بها العرب.

د- تفضيل الصيغة الأوروبية الأقرب إلى طبيعة العربية .

8- النطق بأسماء الأعلام الأعجمية وكتابتها كما ينطق بها في مواطنها ما أمكن ذلك.

9- اختيار صيغة (مُستَفْعَل) في مقابل المصطلحات الدالة على صفة قبول العقل.

10- التوسع في صيغة المصدر الصناعي مقابل المصطلحات الدالة على ما يفيد الاتصاف بصفة معينة.

11- تثبيت صيغتي اللزوم والتعدية في الألفاظ التي تحتملهما.

12- الإبقاء على المصطلح العربي الشائع وإن كانت علاقته بالمعنى الأصلي مجازية فحسب.

13- اللجوء إلى استعمال الألفاظ القصيرة من مصادر ثلاثية بسيطة وأسماء وحروف فيما يقابل صدور بعض الكلمات الإفرنجية الدالة على معانٍ معينة مثل: " رَجْع الوَفْق" و"نَزْع الماء" و " نِصف كُرَوي " و"لاعُضْوي".

14- استعمال إحدى الصيغ الآتية للدلالة على الاحتراف:

أ- صيغة اسم الفاعل مثل: " فاحِص " و" مُحَكِّم " و"مُرَفِّق "

ب- صيغة " فَعّال " مثل: " لَفّاف " و " غَزّال" و " نَسّاج ".

ج- صيغة "مِفْعال " إذا كانت فَعّال " مستعملة مثل: " مِلْفاف"

د- النسبةْ إلى جمع التكسير مثل:" مُقَوِّياتي"و"نَضائدي".

15- قياسية "مِفْعَل - بكسر الميم- و مِفْعَلة و"مِفْعال " وصيغة اسم الفاعل مذكراً ومؤنثاً و"فَعّالة" و"فِعال" للدلالة على الآلة التي يُعالج بها الشيء مضافاً إلى المسموعات غير القياسية من أسماء الآلات مثل مَشْعَل" و"ميزنة مكحلية " ونابِض " و "كاشِطة".

ووضعت لجنة اللغة العربية، في المجمع العلمي العراقي، قواعد عامة لوضع المصطلحات وهي:

1- مراعاة المماثلة أو المشاركة بين مدلولي اللفظ لغةً واصطلاحاً ولو لأدنى ملابسة.

2- الاقتصار على مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد.

3- تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد.

4- التزام ما استعمل أو ما استقر قديما من مصطلحات علمية وعربية وهو صالح للاستعمال الجديد.

5- تجنب المصطلحات الأجنبية.

6- إيثار اللفظة المأنوسة على اللفظة النافرة الوحشية أو الصعبة النطق.

7- لا يُشتق من المصطلح إلا بقرار هيئة علمية مختصة بوضع المصطلحات.

8- إيثار اللفظة المفردة على المصطلح المركب أو العبارة لتسهيل النسبة والإضافة ونحو ذلك.

9- تجنب الألفاظ العامية.

15- تفضيل مصطلحات التراث العربي على المولّدات والمحْدَثات.

11- يُلجأ إلى ترجمة المصطلح الأجنبي عند ثبوت دلالته على معناه الاصطلاحي.

12- تجنب تعريب المصطلحات الأجنبية إلا إذا تعذر العثور على لفظ عربي موائم.

13- ترى اللجنة أن يُراعى عند استعمال الألفاظ الأعجمية ما يأتي:

أ-يُرَجَّح أسْهَل نطق في رسم الألفاظ المُعرَّبة عند اختلاف نطقها باللغات الأعجمية.

ب- إحداث بعض التغيير في نطق المصطلح المُعَرَّب ورسمه ليتسق مع النطق العربي.

14- تجنب استعمال السوابق واللواحق الأجنبية لأن اللغة العربية لغة اشتقاقية وليست إلصاقية ووجوب اعتماد الأساليب العربية في وضع المصطلحات.

15- يستعمل كل لفظ من الألفاظ المترادفة في معناه الخاص في المصطلحات العلمية، لأن الترادف كثيراً ما يكون أوصافاً لأشياء لا يُراد بها المطابقة التامة، إذ يُلحظ أن لكل لفظ معنى خاصاً به يختلف عن سواه ولو شيئا قليلاً فيمكن أخذه واستعماله ولو بطريقة المجاز، وكذلك تُمكّن الاستفادة من المترادفات التي لا تُلحظ فيها الوصفية يخص بها كل منها بمصطلح علمي خاص.

ووضعت لجنة اللغة العربية نفسها قرار النَّحْت وهو " عدم جواز النَّحْت إلا عند عدم العثور على لفظ عربي قديم واستنفاد وسائل اللغة من اشتقاق، ومجاز، واستعارة لغوية، وترجمة، على أن تُلْجئ إليه ضرورة قصوى وأن يُراعى في اللفظ المنحوت الذوق العربي وعدم اللَّبْس".

وهذه القواعد واضحة كل الوضوح وقد سارت عليها لجان وضع المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية وأنتجت آلاف المصطلحات في العلوم المختلفة، وقد صدر منها حتى عام 2000م اثنا عشر مجلداً فضلا عن كراسات متخصصة في علوم مختلفة.

ولا تختلف هذه الأسس عما سارت عليه المجامع العربية ، وبذلك أصبح الطريق لاَ حباً أمام العاملين في حقل المصطلحات ولا سيما الحريصين على سلامة اللغة العربية والدقة العلمية.

(2)

أخذ القدماء والمعاصرون بوسائل نمو اللغة العربية في وضع المصطلحات وهي: الارتجال، والاشتقاق، والمجاز، والتوليد، والاقتراض، فضلاً عن الترجمة التي تصح إذا كانت العلاقة واضحة بين دلالتي المصطلح اللغوية والاصطلاحية وإن تكن الدلالة الاصطلاحية أوسع من المعنى اللغوي.

إن ترجمة المصطلح من الوسائل المهمة في وضع المصطلح العربي، وهي خير من التعريب أو الاقتراض أو النَّحْت، ولا بأس إذا كانت الترجمة أكثر من كلمة، لأنه لا يُشترط كلّ الاشتراط أن يكون المصطلح كلمة واحدة، ولعل ما في اللغات الأجنبية أوضح دليل على ذلك ولاسيما المصطلحات المنحوتة من عدة كلمات بموجب قواعد النحت في اللغات الإلصاقية.

وقد حلّت ترجمة المصطلحات كثيراً من المصاعب، ولا يخص ذلك العلوم الصرفة أو التطبيقية وحدها، وإنما يشمل العلوم الإنسانية ولاسيما الجديدة التي عُني بها العرب في القرن العشرين مثل: علم النفس، والتربية، وعلم الاجتماع، وغيرها من العلوم التي زاد الاهتمام بها في السنوات الأخيرة.

والتوليد أحد وسائل نمو اللغة ويراد به توليد أسماء ومصطلحات من كلمات عربية تدل على معان أصبحت بعيدة عن هذا العصر.

وفي اللغة العربية اليوم كثير من الألفاظ المولّدة التي نتجت عن:

أولاً: تحويل المعنى أو نقل الدلالة، مثل: الجدول، والجريدة، و السيارة، والقطار، والهاتف.

ثانياً: الاشتقاق، مثل: الإذاعة، و الدعاية، والبرقية، والمختبر، و الصاروخ.

ثالثاً : النَّحْت والتركيب، مثل: بَرْمائي، ولا مائي.

رابعاً: التوليد المجازي، مثل:القوة الضاربة، والسوق السود اء، والرقم القياسي.

فالمولّد المقصود هو ما يتصل بتغير الدلالة وتطورها لا ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم، وقد يَسَّر التوليد طواعية اللغة العربية في نقل الدلالة والاشتقاق والمجاز، والأَخْذ به في وضع المصطلحات العلمية ضروري كما أُخِذَ به في الألفاظ الحضارية، ولغة السياسة، والإعلام، والاقتصاد، والاجتماع، والفنون وغيرها، مما استجد في هذا العصر وأصبحت الحاجة إلى ألفاظ جديدة ماسة يقتضيها التقدم العلمي الحديث.

(3)

وأما الاقتراض فهو أخْذ كلمة أو أسلوب من لغة واستعمالها في لغة أخرى، وقد استعمل اللغويون المُحْدَثون هذا المصطلح، واستعمل القدماء مصطلحاً آخر وسَمَّوا المنقول من لغة أخرى (المُعَرّب) وهو استعمال العرب للألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها على وفْق أبنية اللغة العربية، وهو بخلاف الدخيل الذي يظل محتفظاً بسماته الأعجمية.

وقد لجأ العرب، في أول عهدهم بنقل العلوم، إلى التعريب ليسدوا حاجة عرضت لهم فقالوا : الأرثماطيقي، والفيزيقي، وقاطيغورياس، واسطقس، للحساب، والطبيعة، والمقولات، والعنصر، وقالوا: أنا لوطيقا، وطوبيقا، وسوفسطيقا، وريطوريقا، و أبو طيقا، لتحليل القياس، والجدل، والمغالطة، والخطابة (البلاغة) والشعر.

ويرجع ذلك إلى ضعف المترجمين الذين كان أكثرهم لا يتقن العربية، ولكن الحالة تغيرت بعد أن ازدهرت حركة الترجمة واتسعت أفاقها، وظهر مَنْ له معرفة جيدة باللغة العربية وبغيرها من اللغات، وأصبحت الكتب العربية تحفِلُ بالمصطلحات العربية الأصيلة.

وأجازت المجامع العربية الاقتراض على سبيل التعريب عند الضرورة لئلا يطغى المُعَرَّب أو الدخيل وتصبح اللغة العربية غير عربية، كما حدث للأعرابي الذي وقف على مجلس الأخفش فسمع كلام أهله في النحو ومايدخل معه فحار، وعجب، وأطرق، ووسوس، فقال الأخفش : **ما تسمع يا أخا العرب ؟ " قال : أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا"** وقال أعرابي :

ما زال أخْذُهُمُ في النَحْوِ يُعْجِبُني

حَتىَ سَمِعْتُ كَلامَ الزَّنْجِ والرُّومِ

ومثل هذا ما قاله أبو علي الفارسي في نحو الرُّمَّاني: إن كان النحو ما يقوله الرُّمَّاني فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء " وذلك لأن الرماني كان يمزج النحو بالمنطق.

والتعريب أو الاقتراض من أسهل وسائل وضع المصطلح العلمي ولكنه من أكثرها خطورة، وكان العرب قد عَرَّبوا، واستعملوا الدخيل عند الضرورة، ولكنهم استطاعوا بعد ذلك أن يضعوا المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية العربية، والرجوع إلى التراث العلمي العربي يشهد أن في اللغة العربية قدرة فائقة على استيعاب المستجدات، ومثل ذلك ما حدث في العصر الحديث إذ وُضِعَتْ مئات الآلاف من المصطلحات والألفاظ العربية التي لم تستعمل في القديم أو يلجأ العرب القدامى إلى وضعها، لأنهم لم يحتاجوا إليها، واللغة- كما هو معروف- تنمو وتزدهر في ظل ازدهار الحضارة والتقدم العلمي. وكان القرن العشرون حافلا، بالجديد، وقد استطاع اللغويون والمجامع العلمية ومكتب تنسيق التعريب والباحثون أن يعبروا عن كثير منه بألفاظ عربية وأسلوب مبين، وذلك بالرجوع إلى التراث. ومن ينظر في " معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية " و " معجم النبات والزراعة " للشيخ محمد حسن آل ياسين يجد التراث العربي ماثلا بوضوح، ومن يطلع على " المعجم الطبي الموحد " يجد التراث شاخصا أمامه، لما في التراث من مصطلحات وألفاظ في الزراعة والطب. ومثل هذا كثير فيما صدر من معاجم علمية وحضارية في القرن العشرين، وكان معظمها ينحو منْحىً عربيا، وقد وفقت المجامع العربية أيما توفيق في الرجوع إلى التراث واستخلاص ما فيه الدلالة على ما استجد إما بطريق الاشتقاق، أو المجاز، أو التوليد، وكذلك نجح كثير ممن وضع معاجمَ علمية وحضارية.

ولم يتم ذلك بالاسترخاء وإنما بالجد والمثابرة والمتابعة، وكان من السهل عليهم أن يستعملوا المصطلحات الأجنبية ترجمةً أو تعريباً أو اقتراضاً، ولكنهم كانوا مؤمنين، بأمتهم ولغتها الخالدة، لغة القرآن الكريم، وواثقين بأنفسهم، وصادقين في عملهم. إنهم أرادوا لأمتهم الاستقلال اللغوي كما يفعل غيرهم، اعتزازاً بلغتهم وتكريماً لها.

والعرب وهم يدخلون القرن الحادي والعشرين ينبغي أن تكون الكلمة لهم فيه، ليبنوا حضارة تقف إلى جانب الحضارات الأخرى بسماتها المميزة وخصائصها الأصيلة، وإنجازاتها العظيمة التي تراها الأمم الأخرى، فتُبهر غير قائلة:"هذه بضاعتنا ردت إلينا".

ومن أول تلك السِّمات والخصائص التعبير باللغة العربية واستعمال المصطلح العربي، وفي لغة القرآن الكريم من الوسائل ما يجعلها تنمو وتعبر عن المستجدات، كالاشتقاق،

و المجاز، و التوليد، فضلاً عن الترجمة، أما التعريب، أو الاقتراض، أو النحت فلا يلجأ إليها إلا عند الضرورة القصوى ريثما توضع ألفاظ عربية، وما حدث في القديم، وقد تجاوزه العرب، واندثر كثير مما كان في كتب التراث، أو كتب المُعرَّب، والدخيل، بفضل الجهود التي بذلوها بعزم وتصميم. وهذا ما حدث في القرن العشرين، إذ اختفى كثير من المصطلحات والألفاظ الأجنبية وحلّت محلها الألفاظ العربية الأصيلة في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، والكتب، والمحاضرات واللهجات المحكية، وأصبح الفرق ضئيلاً بين مشرق الوطن العربي ومغربه. حدث هذا بفضل الوعي القومي، والتوسع في التعليم العام والجامعي وانتشار الثقافة، وإنشاء المجامع اللغوية والعلمية، والتواصل بين أبناء الأمة العربية.

والمجامع العربية واتحادها، ومكتب تنسيق التعريب، والمؤسسات العلمية، مدعوة اليوم إلى العمل في هذه السبيل، وأن تنسق بينها لتصدُرَ عن منهج موحد في وضع المصطلحات، وأن تُعنى باللغة العربية وتُلْزِم باستعمالها في التعليم العام والتعليم الجامعي، وفي كل ما يخص شؤون الحياة الفكرية والعلمية، لأن اللغة من دعائم الاستقلال الوطني، وبها تحقق الأمة ذاتها،،،،،

ألفـــاظ الحـــضارة

(هل هي كلمات عادية أم مصطلحات تقنية؟)

د. علي القاسمي (*)

- الكلمة والمصطلح

يحلو لنا ـــ نحن المصطلحيين ـــ أن نزعم أن المصطلح ليس كلمة من الكلمات، فالكلمة لها معنى، أما المصطلح فله مفهوم. وندعي أن اللغويين يتعاملون مع الكلمات ومعانيها وحقولها الدلالية، أما نحن فنتداول المصطلحات ومفاهيمها ومجالاتها المفهومية بل وأنظمتها المفهومية. ولهذا كله فإن علم المصطلح ليس من علوم اللغة وإنما هو علم مستقل عنها يستخدم علوم اللغة فيما يستخدم، ولكنه يستوعب كذلك علم المنطق وعلم الوجود وعلم التصنيف وغيرها من العلوم الراقية المتصلة بالعقل. وبذلك نميز أنفسنا عن اللغويين المساكين الذين لا يعرفون سوى علم اللسان، ونضع أنفسنا في طبقة أعلى وأرقى من طبقتهم.

وإذا قيل لنا: أليس المصطلح كلمة تعملون على تحديد دلالتها؟ زعمنا أن تعريف المصطلح يختلف عن تعريف الكلمة؛ فالكلمة يتحدد معناها من سياقها في الجملة، أما المصطلح فينضبط مفهومه من تحديد موقع ذلك المفهوم في الحقل المفهومي أو المنظومة المفهومية ومن تحديد علاقاته مع المفاهيم المجاورة له في ذلك الحقل أو في تلك المنظومة. وادعينا أن اللغوي يبدأ عمله من الكلمة فالجملة وصولاً إلى المعنى، أما نحن فننطلق من دراسة المفهوم وخصائصه الجوهرية لنصل إلى المصطلح الدقيق الذي يعبِّر عنه.

ويطيب لنا ـــ نحن المصطلحيين ـــ أن نتبجح بأن اللغوي يغض الطرف عن الترادف والاشتراك اللفظي، ويقتصر عمله على وصف اللغة كما هي، بل إن هنالك من اللغويين من يعتبر أن ترادف المفردات الكثيرة ـــ مثل المئات من أسماء الجمل أو الكلب أو السيف ـــ هي من علامات فحولة اللغة وثرائها وخصبها، ويشبهونها بالمرأة الودود الولود، كما يعدّون الاشتراك اللفظي وسيلة من الوسائل البلاغية البديعية البيانية. أما نحن المصطلحيين فلا نسمح بالترادف ولا بالاشتراك اللفظي، لأن وظيفتنا وصفية معيارية في آن واحد، ونتمسك بقاعدتنا الذهبية القائلة بأن علم المصطلح يسعى إلى أن يعبِّر المصطلح الواحد عن مفهوم واحد في الحقل العلمي الواحد، وأن لا يُعَبَّر عن المفهوم الواحد إلا بمصطلح واحد في الحقل العلمي الواحد، من أجل أن تكون هنالك لغة علمية مضبوطة يفهمها المشتغلون في ذلك العلم بسهولة وسرعة وبدون التباس أو غموض يعرقل عملية التواصل المنشودة. ولهذا فإننا نمتشق سيوفنا لنبتر بها كل ترادف أو اشتراك لفظي. وهكذا نتسربل بزي العلماء ونغمز قناة اللغويين فنخلع عنهم جبة العلم.

(*) خبير في المعجمية والمصطلحية

وإذا قيل لنا إن المصطلحات هي، كالكلمات، ألفاظ كذلك، وهي من اللغة كذلك، وإن الفرق بينها وبين الكلمات يكمن في مَن يستعملها؛ ففي حين يستعمل الناس عامة الكلمات، يقتصر استعمال المصطلحات العلمية والتقنية على أهل الاختصاص لتيسير التفاهم بينهم، قبلنا هذا التقسيم للفظ على عام وخاص. فاللغويون يتعاملون مع اللفظ العام ونحن نتعامل مع اللفظ الخاص، لنجعل من أنفسنا خاصة الناس ونجعل من اللغويين عامتهم. وهكذا نوافق، على مضض، أن ألفاظاً مثل: " ذهب، وأكل، وشرب، ونام، وماء ، وهواء، وكتاب، وجميل" هي ألفاظ عامة يستعملها عامة الناس، أما الألفاظ: " ثاني أوكسيد الكاربون، وشرنقة، وعصعصي، وكروماتوغرافيا امتزازية، وتفاعل ثنائي الجزيء " فهي ألفاظ خاصة يستخدمها الخاصة من الناس في بحوثهم العلمية ودراستهم التقنية.

ـــ ألفاظ الحضارة

ولكن حينما يطرح علينا بعضهم مسألة ألفاظ الحضارة أو ألفاظ الحياة اليومية يلتبس الأمر علينا، فلا ندري إذا كانت هذه ألفاظ عامة فنتركها للغويين ونستريح طبقاً للقاعدة الذهبية (كم حاجة قضيناها بتركها)، أم هي ألفاظ خاصة يتوجب علينا التعامل معها ومعرفة مفاهيمها وتحديد مواقع هذه المفاهيم في منظوماتها المفهومية، وهذا يتطلب معرفة مفهوم الحضارة نفسها، وهو أمر يسبب صداعاً أليماً حتى للمختصين بالفلسفة وعلم الاجتماع.

وفي غمرة الحيرة التي تلف المصطلحيين، يقع بين أيديهم معجم وضعه مجمع اللغة العربية بعنوان (معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون)، فيسرون به كثيراً لأن مكونات هذا المعجم ستحدد لهم مكونات الحضارة، فلا يحتاجون إلى تعريفها، وسيعرفون الكل عن طريق الاطلاع على مسميات أجزائه. وهكذا يستعرضون هذا المعجم فيجدون أنه يتألف من قسمين: القسم الأول، ويشتمل على أسماء:

1ـ الثياب وما يتعلق بها.

2ـ المأكولات.

3ـ المنـــزل والأدوات المنـــزلية.

4ـ الأماكن وما يتعلق بها.

5ـ المكتب وأدواته.

6ـ المركبات وما يتعلق بها.

7ـ الحرف والصناعات والمواد المستخدمة فيها.

8ـ التربية الرياضية.

9ـ ألفاظ متنوعة تشتمل على مصطلحات عسكرية ومصطلحات صحفية.

أما القسم الثاني من المعجم فيتألف مما يأتي:

1ـ ألفاظ الفنون التشكيلية ومصطلحاتها:

أـ فن التصوير.

ب ـ مذاهب الفن الحديث.

ج ـ فن النحت.

د ـ فن المرسومات.

هـ ـ الخزف.

2ـ الرقص والموسيقى.

3ـ السينما [1].

ومما يُطمئن المصطلحيين إلى أن المكونات المذكورة هي المقصود من الحضارة، أن مجمعاً لغوياً عربياً آخر يسعى إلى وضع معجم لألفاظ الحضارة أكد تلك المكونات، إذ قال رئيسه:

" ونحن عندما نتحدث عن "ألفاظ الحضارة" في مشروعنا المعجمي في الوقت الحاضر فإنما نعني جميع الألفاظ كالتي يستعملها الإنسان العربي في "حياته العامة" من مأكل ومشرب وملبوسات وما يتعلق بها، ومن منـــزل وأدوات منـــزلية وأثاث وما يتعلق بشؤون البيت وكذلك أسماء الأماكن العامة والخاصة وما يتعلق بها، والمكاتب وأدواتها وأجهزتها، والمركبات وما يتعلق بها، والحرف وأنواع المهن والصناعات وأدواتها والمواد المستعملة فيها، وكذلك ما يتعلق بالتربية الرياضية وأنشطتها، وجوانب الحياة الفنية، ومجالات الترويح والزينة، ويتعدى هذا المدلول، التعبير عن الأدوات والأشياء المادية، إلى التعبير عن الحياة الثقافية العامة التي تنم عن الحس الحضاري والاجتماعي والذوق الجمالي في التعامل بين الأفراد والجماعات في حياتهم اليومية، وفي لغة مختلف وسائل الاتصالات الجماهيرية." [2]

ـــ أهداف توحيد ألفاظ الحضارة

ويتساءل المصطلحي عن الهدف من وضع مقابل صحيح لألفاظ الحضارة؛ فيجد الجواب في كتابات المرحوم محمود تيمور الذي كان له الفضل في طرح الموضوع على مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إذ يقول: " إن السعي إلى وضع مقابل صحيح لألفاظ الحضارة أو الحياة العامة ليس مقصوداً به فرض ذلك على أفواه العامة في البيوت والأسواق، ولكن نقصد به إسعاف الأقلام الكاتبة بما يسد حاجة التعبير من ألفاظ فصاح لمسميات حضارة شاملة..."

ولكن لو اقتصر هدفنا على ذلك لكرسنا الازدواجية اللغوية القائمة بين الفصحى والعامية ووسعنا الهوة بينهما، ولهذا فإن المرحوم تيمور يضيف قائلاً:

" ... وإشاعتها (أي ألفاظ الحضارة الفصيحة) في الصحف السيارة والكتب المتداولة، وإذاعتها في مجالات الإذاعة الفصيحة على اختلاف منابرها ومنصاتها في حياتنا التعليمية والاجتماعية في أرحب نطاق."[3]

وذلك طبعاً "لوضع معجم عربي موحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث"، كما يقول الدكتور خليفة [4]، تمهيدا لتوفير مقومات الوحدة العربية.

فاللغة الواحدة تربط الناس بوشيجة قوية وتجعلهم يشعرون أنهم يتواصلون بلسان واحد، ولهم تراث مشترك واحد، بل إنهم يفكرون بطريقة واحدة. وهكذا تكون اللغة من أهم مكونات الأمة الواحدة، إن لم تكن أهمها. ولهذا فإن سعينا إلى توحيد ألفاظ الحضارة يرمي إلى تزويد الأمة العربية بلغة موحدة تيسّر تواصلها وتدعم تضامنها.

ـــ هل المصطلحات الإدارية والاقتصادية من ألفاظ الحضارة؟

وإذا كانت الغاية من توحيد ألفاظ الحضارة تمكين وحدة اللغة العربية وبالتالي تيسير التواصل بين أبناء الأمة العربية وإرساء الأسس اللغوية لوحدتها، فإن من أكثر ألفاظ الحضارة شيوعاً بين الناس أسماء النقود والمؤسسات الإدارية والتربوية.

ففي العراق يتعامل الناس بالدينار والفلس، وفي السعودية بالريال والهللة، وفي مصر بالجنيه والمليم، وفي المغرب بالدرهم والسنتيم. وفي الأردن نجد في المؤسسات

الإدارية المتصرف والقائمقام، وفي مصر المحافظ والعمدة، وفي المغرب الوالي والعامل. وفي العراق يذهب الأطفال إلى المدرسة فيدخلون الصف، أما في مصر فيدخلون الفصل، وأما في المغرب فيدخلون القسم، وهكذا دواليك.

ويلتمس المصطلحي هذه الألفاظ أو مقابلاتها في معجم ألفاظ الحضارة فلا يجدها. ويبحث عن أسماء المؤسسات الإدارية والتربوية في باب الأماكن وما يتعلق بها في ذلك المعجم فلا يجدها، وإنما يعثر على ألفاظ مفيدة قريبة منها مثل البرلمان والأكاديمية والحانة والاصطبل والجراج (التي لم يعرف كيف يلفظها) وغيرها من الألفاظ المفيدة ولكنه لم يعثر على العمالة أو المحافظة أو المتصرفية. ويتساءل ما إذا كان ذلك يعني أن تلك الألفاظ ليست من الحضارة في شيء أم أن المعجم ليس كاملا.

ـــ الثقافة والحضارة

ولكي يتأكد المصطلحي من أن تلك الألفاظ النقدية والإدارية والتربوية هي من ألفاظ الحضارة حقاً، يتوجب عليه أن يفهم معنى الحضارة أو يحدد مفهومها. ولكن (الحضارة) مفردة عسيرة الفهم يصعب الوصول إلى دلالتها، لأن تعريفها قبل كل شيء ليس من اختصاص اللغويين ولا المصطلحيين، وإنما هي من شأن علماء الاجتماع وعلماء الأنثروبولوجيا. ولكن لأنها تتعلق بالإنسان، مثلها مثل الطب، فإن كل الناس يدلون بدلوهم في الخوض في أمرها ووضع تعريف لها. ومما يزيدها صعوبة باللغة العربية استعمالها في كثير من الأحيان مرادفاً لكلمة الثقافة، وكذلك اشتقاقها من (الحضر) مقابل (البدو)، فهل البدو بدون حضارة أم يمكن أن توجد (حضارة بدوية)؟ ويلتمس المصطلحي تعريفها لدى أهل الاختصاص فيواجه ما ينيف على مائتي تعريف، فلا يدري أي هذه التعاريف يعتمد.

ينظر المصطلحي إلى العالم فيجد ازدواجية الحياة والمادة، وينظر إلى الإنسان فيلقى ازدواجية الروح والجسم، وينظر إلى الكون فتقع عينه على ازدواجية السماء والأرض، ويتفكر في المعتقدات فتبدو له ازدواجية الدين والدنيا، ويتمعن في الفكر الإنساني فتبرز له ازدواجية العلم والعمل، فيتبادر إلى ذهنه أن الثقافة والحضارة تمثلان وجهاً آخر من وجوه هذه الازدواجية السائدة.

تمثل الثقافة له طريق الأمة الموروث للحياة كأنماط التفكير والمعتقدات والعادات والقيم والمثل التي تعبّر عنها بلغتها. أما حضارتها فهي ما تنتجه تلك الثقافة من آداب وعلوم وقوانين وملابس وأطعمة وعمارة ومصانع ومؤسسات اجتماعية واقتصادية.

فالثقافة هي الفكر، والحضارة ما ينتجه ذلك الفكر. تمثل الثقافة نظرة الأمة إلى الإنسان والعالم والكون فهي البعد الروحي للإنسان،من دين وفلسفة وأخلاق وأدب وفن، أما الحضارة فتمثل البعد المادي للإنسان فهي ما يصنعه الإنسان ويبتكره. تجسد الثقافة تأثير الفكر على الإنسان ذاته، أما الحضارة فتجسد تأثير الإنسان على الطبيعة وتشكيلها في حدود ما يتيحه له فكره. فالثقافة هي استمرارية شعور الإنسان باختياراته والتعبير عنها، أما الحضارة فهي استمرار التقدم التقني. وكلما نمت الثقافة ازداد الإنسان غوصاً في ذاته، وكلما نمت الحضارة ازداد الإنسان اعتماداً على المادة والآلة وتحكماً في الطبيعة. [5]

ولما كانت اللغة هي الرموز اللفظية والكتابية التي تعبر بها الأمة عن **مكونات ثقافتها ومنتجات** حضارتها، فإننا

نستطيع القول إن لغة كل أمة هي عنوان حضارتها ومقياس رقيها، "فإذا أردت أن تعرف مبلغ كل أمة من العلم، والصناعة، والتجارة، والسياسة، وغير ذلك من أحوالها الاجتماعية فانظر في لغتها، فإنك تعرف بها مبلغها من ذلك كله." (6)

ومن ذلك كله يتأكد للمصطلحي أن الألفاظ التي كان يتساءل عنها هي جزء من الألفاظ الحضارية ولا بدّ من توحيدها باللغة العربية.

ـــ كيف نوحد المصطلحات الإدارية والنقدية؟

ولكن هل بالإمكان توحيد المصطلحات النقدية والإدارية إذا بقيت البلاد العربية مجزأة إلى دول مختلفة؟

كنت قد أثرت هذا الموضوع في الندوة التي أقامها مجمع اللغة العربية الأردني، بالتعاون مع مكتب تنسيق التعريب، حول(منهجية توحيد المصطلحات) عام 1993، وأعربت عن قناعتي بأن هذه الألفاظ لا يمكن توحيدها إلا بتوحيد الأقطار العربية بحيث يكون لها نظام نقدي واحد وبنك مركزي واحد وعملة واحدة، كما حصل في أوربا بعد أن اندمجت اقتصاديات أقطارها في اقتصاد واحد فظهر اليورو عملة موحدة وحلّ محل الفرنك الفرنسي والمارك الألماني والليرة الإيطالية والبسيطة الإسبانية.(7)

بيد أنني غيرت رأيي بعد ذلك عندما تذكرت أن أسماء الرتب العسكرية في البلاد العربية كانت مختلفة، ولضرورات عملية استطاعت الجيوش العربية أن توحد تلك الأسماء، فلم نعد نسمع بالبكباشي واليوزباشي في مصر، ولا بالرئيس والزعيم في العراق، ولا بالكومندان والكولونيل في تونس. وظهر لي أنه بالإمكان توحيد المصطلحات الإدارية حتى وإن لم تتوحد البلاد العربية، وأنه يمكن توحيد أسماء العملات النقدية حتى وإن لم تكن صادرة من بنك مركزي واحد. وأقترح أن يقوم مكتب تنسيق التعريب، بالتنسيق مع المجامع اللغوية في البلاد العربية وبالتعاون مع المنظمات المتخصصة مثل المنظمة العربية للعلوم الإدارية ومجلس وزراء الداخلية العرب، بتوحيد هذه الألفاظ وتعميمها.

ـــ ألفاظ الحضارة بين عمومية اللفظ وخصوصيته:

وإذا اتفقنا على أن جميع المصطلحات العلمية والتقنية هي من إفرازات الحضارة، فلماذا اختص قسم منها بهذا الاسم (ألفاظ الحضارة)؟ وهل ألفاظ الحضارة من الألفاظ العامة أو الخاصة؟

لو أخذنا مجموعة من ألفاظ الحضارة وفحصناها لمعرفة طبيعتها: أهي كلمات عامة يُعنَى بها اللغويون في معاجمهم العامة، أم هي مصطلحات تقنية تختص بعلم من العلوم فيهتم المصطلحيون بها في معاجمهم المختصة؟ فالمصطلحات (فلم موجب، فلم سالب، فلم بالأسود والأبيض، فلم بالألوان) تشكل في حقيقة الأمر جزءاً من منظومة التصوير المفهومية، وكل مصطلح منها يحتل موقعاً محدداً في الحقل المفهومي لهذا العلم يساعدنا على تعريفه. إذن هذه المصطلحات مصطلحات علمية، فما الذي جعل مجمع اللغة العربية يدخلها في معجم ألفاظ الحضارة، وليس في معاجمه المختصة؟

صحيح أنها ألفاظ خاصة يستعملها التقنيون المختصون في حقل التصوير الفوتوغرافي والتصوير السينمائي، ولكن الكامرة أصبحت آلة يقتنيها عامة الناس لالتقاط الصور في المناسبات الاجتماعية المختلفة، ويشتري لها نوع الفلم الذي يريد من محلات بيع السجائر، ويعود بالفلم لتحميضه في محلات التصوير المنتشرة في كل شارع. وهكذا أصبحت هذه المصطلحات التقنية تستعمل في الحياة العامة وتشكل مكوناً من مكونات حضارتنا. وهكذا نخلص

إلى أنها مصطلحات علمية وألفاظ حضارية في الوقت ذاته. ونستنتج من ذلك أن اللفظ الحضاري، في حقيقة الأمر، هو لفظ خاص. ونستطيع الآن أن نضع تقسيماً جديداً للألفاظ على الوجه التالي: لفظ عام، ولفظ خاص، ولفظ خاص عام. ولعل هذه الخصوصية في الماهية هي التي دعت الأستاذ إبراهيم مدكور إلى القول إن " ألفاظ الحضارة ضرب آخر من المصطلحات اللغوية، وقد تكون معالجتها أعسر من معالجة المصطلح العلمي، والإجماع عليها ليس بالأمر الهين. " [8]

ويعود العسر في معالجة هذه الألفاظ التي تحدث عنها الدكتور مدكور إلى كونها مستعملة فعلاً في الحياة العامة ولا يقتصر استعمالها على العلماء والتقنيين المختصين. ولهذا تشعبت آراء المجمعيين بشأنها: هل نأخذ بهذه الألفاظ كما هي مستعملة في السوق طبقاً لمبدأ الاستعمال والشيوع، أو نأخذ من ألفاظ السوق ما اتفق وقياس العربية ونستبعِد ما خالفه؟

إن وصفنا للفظ الحضاري بأنه لفظ خاص عام يؤيده جميع الذين درسوا ظاهرة الألفاظ الحضارية. فالمرحوم محمود تيمور يعرّف اللفظ الحضاري بأنه " اللفظ الذي يشيع على أوسع نطاق في محيط الجمهور العام لتسمية أسباب الحياة في البيت والسوق، فهو قاسم مشترك أعظم في كل فروع المعرفة والثقافة و الصناعة والتجارة والعلوم البحتة والعلوم الاجتماعية والإنسانية والفنون والآداب، ذلك أنّ قيام الجمهور في التعبير، عن حياته وبيئته وعلاقاته بما حوله وبمن حوله، يستمد عناصره من كل علم وفن ومعرفة." [9]

ــ رواد ألفاظ الحضارة:

تشير الدراسات القليلة التي تناولت ألفاظ الحضارة أن رواد هذا الموضوع في القرن العشرين هم المجمع العلمي العربي بدمشق، الذي تأسس في عام 1919، والمرحوم أحمد تيمور الذي ظهرت أولى مقالاته في الموضوع في مجلة المجمع العلمي العربي عام 1922 [10]، والمرحوم أحمد لطفي السيد الذي وجه بإنشاء لجنة ألفاظ الحضارة في مجمع فؤاد الأول [11]، ونجل المرحوم أحمد تيمور، المرحوم محمود تيمور "الذي اقترن اسمه بألفاظ الحضارة منذ استقبله مجمع الخالدين في عام 1950 [12]. ولم تُشر هذه الدراسات إلى الشاعر معروف الرصافي الذي نشر معجماً كاملاً لألفاظ الحضارة باللغة العربية، عام 1919، قبل إنشاء المجمع العلمي العربي بدمشق. وعنوان هذا المعجم هو (الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات).[13] وعنوانه يكفي للدلالة على محتواه. وتكفي نظرة واحدة إلى مداخله لإقناعنا بذلك. فمن مداخل حرف الألف: الإبرة ، الإبريق، الإبزيم، .. الأداة،... الأرغن، الأريكة، الإزار... الأصيص، الأسطوانة، الإطار...إلخ.

وإضافة إلى هؤلاء الرواد نجد عدداً من كبار اللغويين الذين اهتموا بموضوع ألفاظ الحضارة، منهم المغربي الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، صاحب معجم (المهن والحرف)، والعالم التونسي، الدكتور أحمد ذياب، صاحب (أدوات الحضارة)، والمجمعي الأردني، عبد الكريم خليفة، واللغوي التونسي، محمد رشاد الحمزاوي، وغيرهم.

ــ منهجية التوحيد:

لقد اتخذ اتحاد المجامع اللغوية العربية قراراً حكيماً في اجتماع عقد بالقاهرة في آذار/مارس سنة 1997، أوصى فيه بأن يتولى كل مجمع وضع مشروع ألفاظ الحضارة في قطره ثم تُرسل المشاريع إلى الاتحاد لتنسيقها والانتهاء إلى إصدار معجم عربي موحد لألفاظ الحضارة. ولا بد أن يتولى مكتب تنسيق التعريب عرض هذا المعجم على أحد مؤتمرات التعريب لإقراره وتعميمه.

الهوامش

1. مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون (القاهرة: مجمع اللغة العربية ، 1980) الفهرس.

2. عبد الكريم خليفة، "المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة، دراسة مرقونة وزعها مجمع اللغة العربية الأردني، ص 2.

3. محمود تيمور، معجم الحضارة (القاهرة، 1961) المقدمة.

4. خليفة، مرجع سابق، ص 2.

5. علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة محمد يوسف عدس (القاهرة: دار الشروق، 1994) ص 93-133.

6. معروف الرصافي، الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والمنات (بغداد: دار الرشيد للنشر، 1980) ص 5.

7. علي القاسمي، " عوائق توحيد المصطلح العربي ومتطلبات إشاعته وتعميم استعماله" اللسان العربي، العدد .39 (1995) ص 217-222.

8. إبراهيم مدكور، تصدير محاضر الدورة 12 لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1945-1946.

9. محمود تيمور، "ألفاظ الحضارة لعام 1971" اللسان العربي، المجلد 9 الجزء 1 (1972) 406.

10. أحمد تيمور، " تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة" مجلة المجمع العلمي العربي (1922) 10: 289-296، ذكره خليفة و لم نطلع عليه.

11. مجمع اللغة العربية، مرجع سابق.

12. المرجع السابق.

13. معروف الرصافي، المرجع السابق.

دور التراث العلمي واللغوي في
وضع المعجم العربي الحديث المتخصص

د.عبد اللطيف عبيد (*)

المصطلح قوام المعجم المتخصص، وأداة رئيسيّة لا غنى عنها في نقل العلم والتّقانة وتبادلهما ونشرهما وتوطينهما بالترجمة والتأليف والتدريس والإعلام.

والمصطلح علاقة بين مفهوم وتسمية، أو هو، بتعبير أدقّ، تسمية تختصّ بالدّلالة على مفهوم علميّ أو تقانيّ أو حضاريّ في مجال محدّد.

ويُطرح موضوع التسمية من زاوية ما يسمّى في علم المصطلح بالموارد المعجميّة أو المصطلحيّة. ومن المعلوم أنّ المفهوم سابق للتسمية، وأن التعامل مع المفاهيم وبها يقتضي تسميتها. وتتمّ عمليّة التسمية إمّا باستخدام التسمية القديمة الموجودة في اللغة، أي إعادة استعمالها أو إحيائه، وهذا بالنسبة إلى المفاهيم المعروفة المتداولة، أو المفاهيم الجديدة التي لها علاقة مشابهة بالمفاهيم القديمة أو بتوليد التسمية من اللغة توليداً لفظياً بالاشتقاق أو التركيب أو النّحْت أو الارتجال، أو توليداً دلاليّاً بالمجاز أو الترجمة الحرفيّة، وإما باقتراض التسمية من لغة أجنبيّة أو من مستوى آخر من مستويات اللغة المعنيّة. وعلى صعيد أهمية استخدام هذه الوسائل يأتي استخدام التسميات الموجودة، ولا سيّما التسميات التراثية منها، في المقدّمة وذلك لسببين رئيسيين: لغويّ وحضاريّ، ويتمثل السبب اللغويّ في أن استخدام المصطلح التراثي ضرورة تحتمها حقيقة اللغة، وهي أنها مؤسسة اجتماعية وملك للجماعة، لذلك فإنه من واجب الفرد أن يستخدمها كما وصلت إليه، وألاّ يغير فيها أو يخرج عنها إلاّ لأسباب وجيهة، إضافة إلى ضرورة توافر معايير المقبولية في البديل الذي يقدّمه. أما السبب الحضاريّ الذي يجعل من الرجوع إلى التراث أمراً ذا أولويّة ووضع التسميات المصطلحية العربية فهو ما نعلمه من حرص العرب على استمرارية لغتهم ووحدتها عبر الزمان، وتجنّب قطيعتها عن ماضيها، إضافة إلى حرصهم على وحدتها عبرالمكان.

وما فتئت المجامع والهيئات العلمية واللغوية والندوات المصطلحية تشدد على أهمّيّة التراث وضرورة إيلائه الأولويّة في ما يستخدم من وسائل لوضع المصطلحات الجديدة، من ذلك أنّ " ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلميّ العربيّ " التي عقدها بالرباط، مكتب تنسيق التعريب من 18 إلى 1981/2/20 قد نصّ المبدأ السادس من " المبادئ الأساسية في اختيار المصطلحات العلميّة ووضعها " التي أقرتها على " استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلميّة الجديدة بالأفضليّة طبقاً للترتيب التالي: التراث فالتوليد بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت ".

(*) المعهد العالي للغات -جامعة تونس

وقد كان للتراث اللغويّ والعلميّ أثر واضح في ما وُضع من تسميات مصطلحية في بداية النهضة الحديثة في البلدان العربيّة عامّة ومصر خاصّة، من ذلك أنّ كثرة الكتب الطبيّة التي ترجمت في عهد محمّد علي قد تطلّبت عمل قاموس طبيّ بالوضع أو الترجمة "فأحضر كلوت بك من فرنسا " قاموس القواميس الطبية " « Dictionnaire des dictionnaires de médecine » تأليف فابر (Faber) وهو في 8 أجزاء ويشتمل على جميع الاصطلاحات العلمية والفنيّة في الطبّ والنبات والحيوان والعلوم الأخرى المختلفة المتصلة بالعلوم الطبيّة" [1]ويذكر الشيخ محمد بن عمر التونسيّ أنّ مدرسة الطبّ قد تعاونت بكلّ هيئاتها على ترجمة هذا القاموس إلى اللغة العربية " ففرقه ناظر المدرسة إذ ذاك " وهو الدكتور برّون " على مهرة معلّميها (...) فترجم كلّ منهم الجزء الذي أعطيه، واجتهد في توقيع لفظه على المعنى حتى شكرت مساعيه "[2]. على أنّ الدكتور برّون قد أحبّ إثراء هذه الترجمة بالألفاظ والمصطلحات الطبيّة القديمة، فوزّع القاموس المحيط للفيروز أبادي على فريق المترجمين، وأشرك معهم مصححي المدرسة- ومنهم الشيخ محمّد بن عمر التونسي وأمر كلاً منهم أن يراجع الجزء الذي بيده، وينتقي منه " كلّ لفظ دلّ على مرض أو عرض، وكلّ اسم نبات أو معدن أو حيوان"[3] . ويذكر التونسيّ أن الدكتور برّون خصّه" باستخراج ما في القانون من التعاريف، وما في تذكرة داود من كلّ معنى لطيف، وزدت على ذلك ما في فقه اللغة، ومختصر الصحاح، وما في الهرويّ من التعاريف الصحاح... "[4]. وكانت نتيجة هذا العمل المصطلحيّ الجماعيّ المهمّ معجم "الشذور الذهبيّة في الألفاظ الطبيّة "[5].

وعلى الرّغم من أنّ أثر هذا المعجم في الأعمال المصطلحيّة اللاحقة قد كان ضعيفاً بسبب عدم نشره وتداوله، فإنّ منهجيّة إعداده دالّة على وعي بضرورة ربط حاضر اللغة العربية العلمية في النصف الأوّل من القرن التاسع عشر بماضيها الزاهر، وبأهمية الإفادة من التراث العلميّ واللغويّ سواء بإحياء المصطلحات التي لاتزال صالحة للاستخدام أوبتضمين الألفاظ اللغويّة معاني جديدة تنتقل بها من معانيها الأولى إلى معان اصطلاحيّة علميّة وتقنيّة. ويرى مصطفى الشهابيّ في سياق حديثه عن النهضة العلميّة في مصر في القرن التاسع عشر " أنّ النقلة والمؤلفين والمصحّحين فيها كانوا روّاد نقل العلوم الحديثة إلى لساننا، وأنهم كانوا يرجعون في تحرّي المصطلحات العربية إلى كتبنا القديمة، ويستخرجون منها ما يرون استعماله من ألفاظ صحيحة. وقد استطاعوا الانتفاع بجملة صالحة منها في مختلف العلوم التي عالجوها بالترجمة أو بالتأليف (...) ومع هذا ممّا لا مشاحة فيه أنّ مصطلحاتهم المقتبسة والموضوعة كانت نواة جيّدة لجميع من ألّفوا بعدهم كتباً علميّة بلغتنا الضاديّة ".[6]

وفي النصف الأوّل من القرن العشرين طُرح موضوع إحياء التراث العلميّ واللغويّ بهدف الإفادة من مصطلحاته وألفاظه في وضع المعجم العربي الحديث المختص وذلك في إطار المجامع ولدى المصطلحيّين الأعلام، ونعني بهم خاصّة محمد شرف مؤلّف "معجم العلوم الطبية والطبيعية" وأحمد عيسى مؤلف " معجم أسماء النبات"، وأمين المعلوف مؤلف "معجم الحيوان"، ومصطفى الشهابيّ مؤلف "معجم الألفاظ الزراعية" [7]، ومرشد خاطر وأحمد حمدي الخيّاط ومحمّد صلاح الدين الكواكبيّ مترجمي "معجم المصطلحات الطبيّة" للدكتور أ.

ل كليرفيل [8]. وقد دعا مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى ضرورة العودة إلى التراث العلميّ لدراسته واستقراء مصطلحاته وجردها بهدف تكوين المدوّنات المصطلحيّة التراثية الوصفيّة لينطلق منها في العمل على التسميات التي ينبغي للمعجم العربي الحديث أن يتضمّنها بالاختيار أو الوضع. وقد تجسمت هذه الدعوة خاصّة في قرارات- أي توصيات- أصدرها المجمع، ونشير منها إلى قرارين صدر أولهما في الدورة الثانية عشرة (1945) وثانيهما في الدورة الحادية والعشرين 1954). وينصّ القرار الأوّل على أن "ينظر المجمع في اختيار مختصّين بشؤون العلوم العربيّة لإخراج المصطلحات العلميّة القديمة من الكتب العربيّة، وعرض كلّ فرع على اللجنة المختصّة، وإذا لم تكن لجنة مختصّة تشكّل لجنة جديدة[9] . أما القرار الثاني فينصّ على أن " تدرس كتب العرب القديمة المتصلة بالمصطلحات العلميّة، ويعمل لكلّ كتاب منها معجم بالمصطلحات التي وردت فيه، بحيث تكون هذه المعاجم في متناول الأيدي عند التعريب "[10] . على أننا لا نعرف لمجمع اللغة العربيّة بالقاهرة ولسائر المجامع اللغوية العربيّة أعمالاً تطبيقيّة

شاملة في مجال إحياء المصطلح العلميّ العربيّ القديم، على الرغم من تواصل الدعوة إلى هذا الإحياء سواء في مؤتمرات هذه المجامع أو على صفحات مجلاتها[11].

أما المصطلحيون الأعلام، الذين سبق أن أشرنا إلى أبرزهم في النصف الأوّل من القرن العشرين، فقد جمعوا بين التخصص العلميّ والخبرة اللغوية ومعرفة التراث والقدرة على التعامل معه. وقد سمح لهم ذلك بالعودة إلى أمّهات كتب اللغة ومؤلّفات العلماء القدامى، فأفادوا منها إفادة واعية، وإن كانت، غالباً، محدودة وجزئية بسبب ضخامة التراث اللغويّ والعلميّ وقصور الجهد الفرديّ عن استيعابه. وتتضح إفادة هؤلاء المصطلحيّين الأعلام من التراثين اللغويّ والعلميّ، سواء من خلال مقدّمات معاجمهم، أو ممّا اقترحوه من مقابلات عربيّة تراثية للمصطلحات الأجنبية الإنجليزية أو الفرنسيّة. فمصطفى الشهابيّ في مقدّمة معجمه الشهير- "معجم الألفاظ الزراعيّة"[12]- يعدّد أنواع المؤلفات المعجميّة والمصطلحيّة التي رجع إليها فيذكر، بالنسبة إلى كتب اللغة، أنه عمد "في تحرّي أصلح الألفاظ العربيّة إلى الأمهات من كتب اللغة، ولاسيّما المخصّص لابن سيده والقاموس المحيط للفيروز أباديّ "[13]، فأخرج منهما عدداً كبيراً من التسميات التي تتصل بالعلوم الزراعيّة؛ ويذكر، بالنسبة إلى المصنّفات الزراعية والطبيعيّة والطبّيّة، أنه استقرأ ما وجد من " مصطلحات في مخطوطة كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشيّة، وفي كتاب الفلاحة الأندلسيّة لابن العوّام الإشبيليّ (...)، ومخطوطة فضل الخيل لشرف الدين عبد المؤمن الدمياطيّ، والفلاحة اليونانيّة لقسطا بن لوقا، وعلم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ، وحسن الصناعة في علم الزراعة لأحمد ندى، وحسن البراعة في علم الزراعة لفيجريّ، والمادة الطبّيّة لأحمد الرشيديّ، والقانون لابن سينا، ومخطوطة الجزء الخامس من كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوريّ، ومخطوطة الجامع لصفات أشتات النبات للإدريسيّ... إلخ "[14]، وذلك بالإضافة إلى مفردات ابن البيطار، وحياة الحيوان للدميريّ، وكشف الرموز لعبد الرزاق الجزائريّ، ورسائل الأصمعيّ في الخيل والنبات والشجر، "وغير ذلك من الكتب القديمة والكتب التي ألفت في النهضة الحديثة في مصر والشام "[15]. وذكر الشهابيّ أيضاً أنه اقتبس ألفاظاً وضعها أو حقّقها مؤلفون معاصرون مثل أمين المعلوف صاحب معجم الحيوان والمعجم الفلكي، وأحمد عيسى

صاحب معجم أسماء النبات، ومحمد شرف صاحب معجم العلوم الطبية والطبيعية وماكس ما يرهوف الذي تـرجم وصحّح ونشر كتاب شرح أسماء العقار لموسى بن ميمون الإسرائيليّ القرطبيّ، وغيره مـن المستشـرقين والعلمـاء الأوربيين الذين درسوا نبيت البلاد العربية ووحيشها[16].

ويعدّ رجوع الشهابيّ إلى التراثين اللغويّ والعلمـيّ وإفادته منهما أساسي منهجيته المصطلحيّة القائمة علـى تفضيل التسمية القديمة- سواء أكانت صحيحة عربية أم معرّبة أم مولّدة سائغة- على غيرها من التسميات. فهـو يقول: " كلّما وجدت في المعجمات العربية القديمـة، أو في كتب الزراعة والنبات والحيوان القديمة الموثوق بهـا، كلمة صحيحة عربية أو معرّبة، أو كلمة مولّدة سائغة، لها معنى موافق أو مقارب لمعنى الكلمة الفرنسية أو العلميّـة، رجحت تلك الكلمة الصحيحة أو المولّدة الشائعة علـى غيرها من الكلم، وإذا وجدت في المراجع المذكورة لمدلول الفرنسيّة أو العلميّة كلمتين، واحدة صحيحة، والثانية مولّدة، رجحـت الأولى علـى رفيقتـها، أو ذكرتهمـا جميعا"[17]. ومن أمثلة المصطلحات التراثية في " معجـم الألفاظ الزراعيّة" مصطلح الـ " قطل " الـذي جعلـه الشـهابيّ مقـابلا للمصـطلح الحراجـيّ الفرنسـيّ Abatage،(ويقابله في الإنجليزيـة المصـطلح Felling) ومرادفاً للـ " قطع " وفضّله عليه- إذ ذكره قبل الثاني- لما في الأوّل من خصوص وفي الثاني من عموم، وعرّفه بأنه "فصل الأشجار عن أرومالها وطرحها علـى الأرض"، ثم ذكر أنه "في المخصّص (لابن سيده) القطل قطع الشـجر وفيه قطلت الشجرة أقطلها فتقطّلت إذا ضـربتها مـن أصلها"[18].

وفي النصف الثاني من القرن العشـرين توسّـع استخدام اللغة العربية على الرغم من تعثر جهود التعريب، واتضحت فوضى المصطلحات العربية لأسباب عديـدة يهمّنا منها، هنا ، قلّة الجهود المنهجيّة والتطبيقيّة المبذولـة في مجال إحياء المصطلح التراثيّ العلميّ واللغويّ ودراسته، بهدف الإفادة منه في وضع المعجم الحديث المختصّ [19]، وذلك لكون التسمية المصطلحيّة الملائمة عندما توجد في التراث تكون مستقرّة موحدة في الغالب، وبالتالي فـإنّ استعمالها يساعد على تفادي الدلالة على المفهوم العلميّ الواحد بأكثر من تسـمية [20]، إضـافة إلى أنّ تلـك التسميات التراثيّة غالباً ما تكون أيضاً " أكثر دقّة وأشـدّ طلاوة من كلمات مرادفـة لهـا في كتاباتنـا العلميّـة المعاصرة" [21].

وإنّ التسميات المصطلحيّة التراثيّة الدقيقة الصـالحة للاستعمال الحديث في العديد من المجالات والتي غفل عنها المصطلحيّون ومؤلّفو المعاجم الحديثة المختصّة واستعاضوا عنها بمولدات أقل منها دقة وطلاوة، إضافة إلى ما تتصف به من تعدّد وفوضى، تسميات أكثر من أن تحصى. ونحن نكتفي هنا بتقديم مثالين أولهما من مجـال الجيولوجيـا، وثانيهما من مجال الزراعة:

نجد في العديد من المعاجم الأجنبيّة العربيّة المختصّة في الجيولوجيا والجغرافيا والطاقة والمياه وغيرها مقـابلات كثيرة للمصطلح الجيولوجيّ الإنجليزيّ Aquifer (وهو في الفرنسية Aquifère) الذي عرّف بأنه " مكوَّنة تشـتمل على ماء (سرير أو طبقة)، وتتشكّل من صخور نفّاذة أو رمل أو حصى، وقادرة على توفير كميات ماء مهمّـة". وهذه المقابلات العربية مولّدات اقترحتها المعاجم الصادر أغلبها في السنوات الثلاثين الأخيرة، ومنها: ذو ماء، محتوٍ على ماء، طبقة صخرية مائيّة، مستودع ماء أرضيّ، طبقة

حاوية للماء، تكوّن مائيّ، طبقة مائية، طبقة خازنة للماء،... إلخ. وقد غفلت كلّ المعاجم التي اطلعنا عليها- وعددها يزيد على العشرة- عن التسمية العربية الأصيلة التي تتضمّنها المعاجم اللغويّة، بدءا من الرسائل اللغوية في القرنين الثاني والثالث للهجرة، وهي "الحِسْيُ". فقد جاء في لسان العرب لابن منظور: " الحسي: الرمل المتراكم أسفله جبل صلد، فإذا مُطِرَ الرمل نَشِفَ ماءُ المطر، فإذا انتهى إلى الجبل الذي أسفله أمسك الماء ومنع الرمل حرّ الشمس أن يُنَشّف الماء، فإذا اشتدّ الحرّ نُبِثَ وجه الرمل عن ذلك الماء فنبع بارداً عذباً؛ قال الأزهريّ: وقد رأيت بالبادية أحساء كثيرة على هذه الصفة (...). الجوهريّ: الحِسْي، بالكسر، ما تنشّفه الأرض من الرمل، فإذا صار إلى صلابة أمسكته فتحفر عنه الرمل فتستخرجه، وهو الاحتساء... "[22]. ويتضح مما ورد في اللسان أنّ لفظ " الحسي" يؤدّي المفهوم العلميّ الذي تدلّ عليه التسمية المصطلحية الإنجليزية Aquifer أداء دقيقا لما بين ذلك المفهوم الجيولوجيّ والمعنىّ اللغويّ للفظ العربيّ من تطابق تامّ مما يغني عن وضع تسمية جديدة، إضافة إلى أنّ التسمية العربية الأصيلة تتوافر فيها معايير أخرى من معايير المقبولية، أهمّها أنها تسمية مفردة، مختصرة، أحادية الدلالة، متواصلة الاستخدام إلى يومنا هذا في العديد من الأقطار العربية خاصّة في مجال تسمية أعلام الأماكن.

ونجد في العديد من المعاجم الأجنبية — العربية المختصة في الزراعة وما يتصل بها مقابلات كثيرة للمصطلح الزراعيّ الإنجليزيّ Greenhouse (أو Glasshouse أو Hothouse) (وهو في الفرنسيّة: Serre) الذي عرّف بأنه " بناء من زجاج تستنبت فيه البكائر أو نباتات البلاد الحارة التي لاتتحمّل شتاء بلادنا في الهواء الطلق "[23]، ثمّ حُدّث التعريف بسبب الاستعاضة عن الزجاج، خاصّة في بلادنا، بالأغشية اللدائنيّة (البلاستيكيّة) فأضيف إليه ما يلي: " تجهيزات معدّة لزراعة بعض الخضر والأزهار في غير أوانها (موسمها) لإكثار النباتات "[24]. والمقابلات العربية مولّدات أيضاً اقترحتها المعاجم أو استنبطتها وسائل الإعلام، وأهمها: دفيئة (وقد وضعه مجمع القاهرة)، مِصْرًى (وقد وضعه اللغويّ العلاّمة الأب ماري أنستاس الكرمليّ)، وَأْمٌ، صوبة، بيت مكيّف، بيت استنبات، بيت أخضر، بيت زجاجيّ،... إلخ. وقد غفل مقترحو هذه المولّدات ومرتجموها عن تسمية عربيّة مولّدة قديماً حفلت بها بعض كتب الفلاحة الأندلسية وهي "البيت المكنّ ". فقد ورد هذا المصطلح في "كتاب الفلاحة" لابن بصّال- وهو من علماء القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد- عند حديثه عن زراعة خيار شنبر الذي قال عنه إنّه "يوافقه من الأرض والهواء مثل ما يوافق المخيطا إلاّ أنّ غراسته تكون في شهر يناير ويحين نباته في أبريل، فإذا نبت وقرب فصل الشتاء حجب عنه وأدخل في البيوت المكنة بالليل لئلا ينزل عليه الجليد لأنّ الحريق يسرع إليه ويخاف عليه ذلك في البلاد الباردة"[25]. ويتّضح من عبارة ابن بصّال أن " البيت المكن " أو، إن شئنا اختصاراً، "المكنّ " تسمية تؤدّي المفهوم التقنيّ الزراعيّ الذي تدلّ عليه التسمية الإنجليزية Greenhouse أداء دقيقاً خاصّة أنّ هذه التقنية الزراعيّة (الكنّ) قد عرفها الأندلسيّون منذ القرن الخامس للهجرة أو حتى قبله، وسمّوا وسيلتها التي لاتختلف عن الوسيلة العصرية إلاّ في مادّتها. والتسمية العربية التراثية- سواء في صيغتها المركّبة أو المعدّلة المفردة- موحّدة، موحية بالمفهوم، قابلة لأن تتوالد منها تسميات أخرى ضرورية للدلالة على سائر عناصر المنظومة المفهومية أهمّها "الزراعة

المكنونة" التي نقترحها مقابـــل " culture sous abri " وبدلا من التسميات العربية الأخرى مثل "زراعة تحـــت وقاء".

والحق أنّ وعي ضرورة استثمار التـــراث العلمـــيّ واللغويّ في وضع المصطلح العلميّ والتقنيّ العربيّ الحديث، والذي تواصل في النصف الثاني من القرن العشرين قـــد عرف التطبيقات العمليّة الجديدة الـــتي أملاهـــا تطـــوّر المعلوماتيّة وقواعد المعلومات، من جهة، وازدهـــار علـــم المصطلح وإنشاء بنوك المصطلحات في بعـــض البلـــدان الصناعية، من جهة أخرى. ففي جامعة محمـــد الخـــامس بالرّباط تاسّس، في بداية السبعينيات، " معهد الدراسات والأبحاث للتعريب " الذي أنشأ قاعدة بيانات مصطلحيّة وصفيّة، بهدف تدارك نقـــص رئيســـيّ يعانيـــه ضـــبط المصطلحات العربية، وهو انعدام المدونات اللغويّة التي قد تسمح باستغلال منتسق للأعمـــال المعجميّـــة القديمـــة والحديثة من أجل تنظيم المعجم الحالي وملء الفراغـــات الموجودة بالنهل من كنوز العربية الفصيحة"[26]، إذ " من الضروريّ أن ندرس ونستغل طاقة العربيـــة منـــهجيّاً لا فوضويّاً. فبدون رصيد من المعلومات والوثـــائق اللســـنيّة يكون من الوهم القيام بإصـــلاح جـــدّيّ... "[27]. وفي بدايـــة الثمانينيـــات تأســـس البنـــك الآليّ الســـعوديّ للمصطلحات: " باسم " [28]لتحقيـــق مجموعـــة مـــن الأهداف في مقدّمتها بناء معجم موسوعيّ آليّ، عن طريق توثيق المصطلحات المنشـــورة، أي استخلاصـــها مـــن مصادرها ومعالجتها وتوثيق بياناتها. على أنّ المؤسســـتين المذكورتين قد قصرتا جهودهما التوثيقية علـــى المعـــاجم الحديثة المختصة وبعض المعاجم اللغوية الحديثة والقديمـــة، فلم يساعد على الإفادة مـــن تطـــوّر تقنيـــات التوثيـــق المصطلحيّ المحوسب في استثمار الرصيد التراثيّ المصطلحيّ والمعجميّ الاستثمار الأمثل.

وقد ترتب على غياب مقاربـــة منهجيّـــة دقيقـــة لموضوع المصطلح التراثيّ ونـــدرة الأعمـــال التطبيقيّـــة المتكاملة المستمرة لهذا المصطلح في وضع المعجم الحديث المختص استمرار القطيعة شبه التامّة بين ماضي المصـــطلح العربيّ وحاضره، والتعسّف في استعمال المصطلح التراثيّ، لا سيما في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية [29]، وهو ما يحتم تأسيس وتطوير علم تاريخ المصطلح التراثيّ مـــن أجل ضبط القيمة التاريخية والعلمية واللغوية للمؤلفـــات الاصطلاحية[30] .

وقد اهتمت بعض الدراسات [31] باقتراح معالجـــة للرصيد المصطلحيّ العربيّ، بما فيه الرصيد التراثيّ، تقـــوم على أربع خطوات، هي جمـــع التســـميات المصـــطلحيّة وحصرهـــا وتحرير تصوّراتها (أي مفاهيمها)، وغربلتـــها لاستبعاد ما لايصلح منـــها للدلالـــة علـــى المفـــاهيم، وتخصيصها أي إقامة علاقـــة أحاديـــة بـــين التســـمية والمفهوم،بما يساعد على إحياء التسميات التراثية وتحديثها وإعمالها وتثبيتها في مجالاتها، ويزيل الفوضى المصـــطلحيّة نهائيًا.

ويتضح مما سبق أنّ دور التراث العلميّ واللغويّ في وضع المعجم العربيّ الحديث المختص قد كان دوراً محدوداً في الغالب، وذلك على الرغم من الانتباه إلى أهميته بـــل ضرورته منذ بدايات العمل المصطلحيّ العربيّ الحديث في عصر النهضة إبّان ترجمة الشيخ محمّد بن عمر التونســـيّ وزملائه " قاموس القواميس الطبية " من تأليف الفرنسيّ "فابر".

ولا تكاد الدعوات المتكررة إلى إنشاء مدونات مصطلحات التراث تضيف جديداً إلى ما رأيناه من بعض توصيات مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الأربعينات والخمسينات. وقد برهنت المعاجم التي وضعها بعض أعلام المصطلحيّين منذ عشرينيات هذا القرن والبحوث والدراسات التي أنجزها المختصون في العلوم عامّة والعلوم العربية خاصّة أنّ التراث العلميّ واللغويّ يمثل مورداً ثـرّاً لاغنى عنه للمعجم العربيّ الحديث المختصّ، وأنه " لايعدّ عدم الإلمام باللغة العربية دليلاً على قصور هذه اللغة في التعبير وبالأخص في المجالات العلمية المختلفة"(32) . على أن قضية التراث المصطلحيّ قد لاتكون، في نهاية المطاف، إلاّ جانباً من جوانب قضية أعمّ هي قضية واقع العلم والتعبير العلميّ باللغة العربية في الوطن العربيّ وقضية العجز عن تجنيد الطاقات الذاتيّة لتحقيق التنمية المنشودة الأصيلة والشاملة.

الهوامش:

(1) جمال الدين الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، دار الفكر العربي، القاهرة 1951، (228+79 ص) ص 192.

(2) نقلاً عن المرجع نفسه، ص 192.

(3) نقلاً عن المرجع نفسه، ص 192- 193

(4) نقلاً عن المرجع نفسه، ص 193.

(5) انظر حول التونسي ومعجم " الشذور الذهبية... "إبراهيم بن مراد: أسس المعجم العلمي المختص في الشذور الذهبيّة في الألفاظ الطبية "للتونسي"، في المعجم العربي المختص (وقائع الندوة العلمية الدولية الثالثة التي نظمتها جمعية المعجمية بتونس أيام 17 و18 و19 أبريل 1993)، جمعية المعجمية العربية بتونس ودار الغرب الإسلامي، بيروت 1996 (496 ص)، ص 19-49.

(6) مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، ط 2، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1965، (219 ص) ،ص 45.

(7) انظر حول هذه المعاجم الأربعة المرجع التالي مثلا: محمود حافظ: "اللغة العربية في خدمة علوم الأحياء" "مجلة مجمع اللغة العربية" 33 (مايو 1979)، ص 79- 89.

(8) انظر حوله: إبراهيم بن مراد: المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1985((353 ص)، ص 271-308.

(9) مجمع اللغة العربية: مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً 1934- 1984، أخرجها وراجعها محمد شوقي أمين وإبراهيم الترزي، القاهرة 1984، (326 ص)، ص 232.

(10) المرجع نفسه، ص 233.

(11) انظر مثلا: عبد الكريم خليفة: "دور التراث العلمي في تعريب العلوم والتقنيات " في: اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، مجمع اللغة العربية الأردني، عمّان 1987، (291 ص)، ص243- 262 حيث يقول (ص 259): "ونحن نعتقد أنه من الواجب أن تنبري إحدى الجهات العربية، من خلال مؤسساتها العلمية، لكي تقوم بتكليف المتخصّصين باستقصاء المصطلحات والتراكيب اللغوية التي استعملها العلماء في كتب التراث العلمي العربي و مختلف فروع المعرفة، وترتيبها ترتيبا معجميا وفق موضوعات العلوم وجزئياتها لكي تيسر عملية اختيار المصطلح الحديث وتحديده، وتدفع بعملية استيعاب اللغة العربية للعلوم والتقنيات الحديثة على طريق السير السريع والأصالة".

(12) صدرت طبعته الأولى بدمشق سنة 1943 والثانية بالقاهرة سنة 1957. ومن الطبعة الثانية صدرت نشرة عن دار مكتبة لبنان ببيروت سنة 1982 (98+ XI+694 ص). وكانت الدار نفسها قد أصدرت هذا المعجم، سنة 1978، بالإنجليزية (بدل الفرنسية) والعربية وبعنوان جديد هو: "معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية: انكليزي- عربي". انظر حول الشهابي ومعجمه: عبد اللطيف عبيد: " المصطلح الفلاحي العربي: تاريخه وقضاياه ، مجلة المعجمية، العدد 8، تونس 1992 (ص 69-122) ص 116-119.

(13) مصطفى الشهابي: معجم الألفاظ الزراعية فرنسي- عربي، ط 3، مكتبة لبنان، بيروت 1982، ص (ج) من المقدمة العربية.

(14) المرجع نفسه، ص (ج) و (د) من المقدمة العربية.

(15) المرجع نفسه، ص (د) من المقدمة العربية.

(16) المرجع نفسه، ص (د) من المقدمة العربية.

(17) المرجع نفسه، ص (هـ) من المقدمة العربية.

(18) المرجع نفسه، ص 1.

(19) نذكر من البحوث والدراسات المهمة التي تناولت موضوع المصطلح التراثي:

- عبد الأمير الأعسم: المصطلح الفلسفي عند العرب، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989، 531 ص.
- محمد السويسي: لغة الرياضيات في العربية، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، تونس 1989، 602 ص.

أما الأعمال التطبيقية- أي المعاجم المختصة التي أفادت من التراث إفادة منهجية نقديّة واضحة- فقليلة وتكاد تقتصر، في رأينا، على هذين المعجمين الشهيرين:

- الجمهورية العربية المتحدة- القوّات المسلّحة: المعجم العسكري، 2 مج: فرنسي- عربي (641 ص) وإنكليزي- عربي (816 ص)، دمشق 1961.
- مجلس وزراء الصحة العرب واتحاد الأطباء العرب ومنظمة الصحة العالمية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعجم الطبي الموحد: إنكليزي- عربي- فرنسي، ط 4، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 1984، و99+760 ص.

(20) يرى علي العسكري و محمد زايد في "المصطحات العربية في علوم الأرض " (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 40 (نوفمبر1977)، ص 146- 156)، " الرجوع إلى المراجع الخاصة بفقه اللغة والمعاجم اللفظية الكبيرة ضروري لتوحيد التعبير في ترجمة المصطحات العلمية وكم هي وفيرة في عددها ومعانيها ودرجاتها المختلفة " (ص 146).

ويرى علي القاسمي في " لماذا أهمل المصطلح التراثي " (المناظرة- مجلة مغربية فصلية تعنى بالمفاهيم والمناهج، س 4، ع 6 (ديسمبر 1993)، ص 33-40) أنه " إذا كانت اللغة تتوفر على مصطلحات في تراثها، وعمدنا إلى إغفال تلك المصطلحات وإهمالها، وعملنا على وضع مصطلحات جديدة تعبر عن ذات المفاهيم التي تعبّر عنها تلك المصطلحات التراثية، فإن ذلك سيؤدي إلى إحدى نتيجتين لا مفر منهما أو كلتيهما: إمّا انقطاع تواصل اللغة وانفصام استمراريتها، وإمّا ازدواجيّة مصطلحية لاتخدم غرضنا في التعبير الدقيق والتفاهم السريع " (ص 35).

ويرى أحمد المتوكل في " استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة: اللسانيات الوظيفيّة نموذجا" (المرجع نفسه، ص 49- 56)، أنّ " لاستعمال المصطلحات التراثية في مجال تعريب المفاهيم الغربية مزايا عمليّة كذلك. فهو يسهم في توحيد المصطلح اللساني العربي المعاصر ويخفّف، بذلك، من البلبلة التي تسود في هذا الميدان " (ص 52).

(21) جلال شوقي: "مصطلحات علم الحركة لدى علماء العرب"، مجلة مجمع اللغة العربية، 36 (نوفمبر 1975) (ص 171-195)، ص 193.

(22) ابن منظور: لسان العرب المحيط، مادة (حسا).

(23) مصطفى الشهابي: معجم الألفاظ الزراعية، ط 3، مكتبة لبنان، بيروت 1982، ص 601 (المدخل:serre).

(24) المجلس الدولي للغة الفرنسية ووكالة التعاون الثقافي والتقني: القاموس الزراعي: فرنسي- عربي، باريس 1985، (61-525 +XIX ص) ص 396 (المدخل: serre).

(25) ابن بصّال: كتاب الفلاحة، نشره وترجمه وعلق عليه خوسي مارية مياس بيكروسا ومحمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان. 1955، (182+ 231)، ص 85.

(26) أحمد الأخضر غزال: المنهجية العامة للتعريب المواكب، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط 1977 (82 ص)، ص 39.

(27) المرجع نفسه، ص 47. وانظر أيضا للمؤلف نفسه: المنهجية الجديدة لوضع المصطلحات العربية- القسم الأول: البحث عن الألفاظ الموجودة في بطون اللغة، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط (د. ت)، ص 40 ص.

(28) انظر مثلا: عبد اللة سليمان القفاري: " نحو استراتيجية مدعمة بالحاسب لمعالجة ونشر المصطلح الطبي العربي" اللسان العربي، 43 (1997) ص 157-190.

(29) يرى محمد عابد الجابري في " حفريات في المصطلح- مقاربات أولية " (المناظرة- مجلة مغربية فصلية تعنى بالمفاهيم والمناهج،س 4، ع 6، ديسمبر 1993، ص 9-23) متحدثا عن تجربة رواد النهضة العربية الحديثة " أن استعمال المحيط التراثي، أو إعماله، للتعبير عن معطيات الحضارة الحديثة عملية محفوفة بالمخاطر (...). فالمصطلح التراثي في هذه الحالة، المشدود إلى مرجعية خاصة تختلف عن مرجعية المعطيات الحضارية الحديثة، قد يفقد هذه المعطيات حداثتها ويفرغها من مضامينها الجديدة ليشدها إلى مضامين مغايرة تماما ..." (ص 22).

ويرى أحمد المتوكل في " استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة: اللسانيات الوظيفيّة نموذجا" (المرجع نفسه، ص 49-56) أنه " يتوقف استقرار المصطلح المستعار في النسق المنقول إليه، بوجه عام، على مدى نجاح عملية إفراغه من المفهوم الذي كان يدلّ عليه في نسقه الأصلي. وعملية الإفراغ هذه تعني، في الواقع، أن المستعمل للمصطلح أصبح قادرا على أن يفصل فصلا تاما بين الحمولة المفهومية القديمة لهذا المصطلح وبين ما أصبح يرمز إليه في الاستعمال الجديد. ويبدو لي أنه من العسير جدا أن يحدث هذا في العالم العربي لما للفكر اللغوي العربي القديم من حضور (...). وينتج عن ذلك، في ذهن المتلقي، تضارب بين المفاهيم تكون الغلبة فيه، غالبا للمفهوم القديم. من شأن هذا طبعا، أن يشكل أحد العوائق الأساسية التي تحول دون استيعاب النظريات اللسانية الحديثة... " (ص 55).

(30) من توصيات ندوة " المصطلح التراثي بين الإعمال والإهمال" التي نظمتها مجلة " المناظرة" المغربية يومي 29 و 1991/05/30 بالرباط. انظر مجلة المناظرة، العدد المذكور سابقا، ص 7.

(31) انظر: سعد مصلوح " رصيد مصطلحي بغير استثمار – مثال من حقل اللسانيات"، وقائع ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علميا وتطبيقا (تونس 1986/10/7)، المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية، تونس 1989(523+ 141 ص) ص 256-276. ويقدم علي السكري في "علم الأرض وفقه اللغة العربية " (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 38 (1976) ص 136- 139) مقترحاً عملياً طريفاً لاستثمار الرصيد المصطلحي العربي يقول: حبذا لو اتبعنا أسلوبا جديدا في ترجمة المصطلحات العلمية، فبدلا من أن نترجم المصطلح الأجنبي إلى العربية نبدأ بالمصطلحات العربية الأصل ونحاول إيجاد المقابل لها في الأجنبية سواء كانت الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية" (ص 138).

(32) علي السكري وزايد محمد زايد: المصطلحات العربية في علوم الأرض، المرجع المذكور سابقا، ص146.

الألفاظ التراثية و التعريب في عصرنا الحاضر

د. عبد الرحمن الحاج صالح (*)

لقد نادى كثير من العلماء، منذ زمان غير بعيد، إلى الرجوع إلى التراث العربي واعتماده بكيفية منتظمة كلما احتيج إلى مصطلح علمي أو لفظ حضاري يدل على ما يقارب المسمى المحدث في زماننا هذا. و قد حصل ذلك بالفعل في القرن الماضي عندما أمر السياسيون، آنذاك، بأن تنقل الكتب العلمية الغربية إلى العربية، وخاصة في الطب والرياضيات، ونخص بالذكر تلك الحركة العظيمة التي أحيت في مصر العدد الكبير من المصطلحات العلمية التراثية عند ترجمتها للكتب الأوربية. إلا أن هذا العمل ينبغي أن ينسجم، في وقتنا هذا، مع ما طرأ من تقنيات جديدة في التوثيق و المعلومات عامة.و لا يُعقل أن يواصل اللغويون أعمالهم بالكيفية الحِرَفية الفردية التي عُرفوا بها إلى الآن.وما يقال عن المصطلحات العلمية و التقنية يقال أيضاً عن ألفاظ الحضارة، فالكثير من تلك الألفاظ تدل على ما يقارب تماماً المسميات الحديثة، و قد أحيا بعض الكتّاب شيئاً منها.

– مزاعم اللسانيين التاريخيين و البنويين المحدثين

قد يعرف الكثير من المثقفين ما كان يدّعيه بعض اللغويين الغربيين، في القرن الماضي إلى النصف الأول من هذا القرن، من الحتمية المطلقة لظاهرة التحوّل التي تصاب به اللغات عبر الزمان وأن خطأ اليوم قد يصبح صواب الغد. أما اقتباس الناطقين لكلمات أجنبية فهو أمر مطرد لا يمكن أن يعارض أبداً. و كل اللغات في الدنيا تفعل ذلك. إن هذا كله صحيح في مجمله فلا يمكن أن يعارض التحوّل عبر الزمان للغات البشر، فالتحول[1] حاصل مهما أردنا أو فعلنا. وكذلك هي ظاهرة الدخيل: لا مفر منه.إلا أن كل هذا وإن كان صحيحاً في جوهره إلا أنه ليس أمراً مطلقاً يحصل في جميع الأحوال لأن هناك ظواهر أخرى (لا تقلّ طبيعتها عن الأولى) لا تعارض تماما نزعة التغيّر الزماني ولكن قد توقفه إلى حدّ بعيد، وكذلك فيما يخص الاقتباس. ثم إن هناك شروطاً لتحقق التغير، فإن اللغة المنطوقة أو لغة التخاطب اليومي هي التي تسرع إلى الاستحالة أكثر بكثير من لغة التحرير، ثم هناك ظروف اجتماعية تاريخية خاصة تسهّل هذا التغيّر وهي اتصال الشعوب عن كثب كالغزوات و الحروب و التجارة. فقد تغيّرت الفرنسية القديمة حتى صارت الفرنسية الحديثة، و هي مختلفة عنها تماماً، في ظرف مائة سنة في أثناء الحرب التي تحمل هذا الاسم.

هذا وليس بصحيح أن لا يكون للنحاة و اللغويين و الكُتّاب أي تأثير في اللغة وفي استعمال الناس للغة. فقد حاول ذلك النحاة الفرنسيون في القرنين السادس عشر والسابع عشر فنجحوا أيما نجاح. وكذلك فعل النحاة الهنود، ثم العلماء العرب، وهكذا حافظ المسلمون على اللغة العربية، لغة القرآن، فصارت لغة

(*) مدير مركز البحوث في اللغة العربية ورئيس المجمع الجزائري للغة العربية

مشتركة، ولولا هذا التدخل البشري لما بقي للعربية أثر اليوم وقد صارت فوق اللهجات التي أصبحت متباينة اليوم، لأنها تحوَّلت مع الزمان منعزلة بعضها عن بعض. و هو السبب الأعظم في اختلافها الشديد.أما السبب الثاني في الاختلاف الكبير بين الفصحى واللهجات فهو في اختلاط العربي بالأعجمي، كما هو معروف، ولكن هو أيضا في بقاء الكثير من العرب على أُمّيتهم و تحوّل لغة التخاطب الفصيحة القديمة إلى ما سموه بالعامية، نسبة إلى غير المثقفين ثم انتشار هذه الأمية إلى أبعد حدّ بعد جمود الفكر العربي وتسلط الاستعمار عليهم . أما وجود الفرق الملموس بين لغة الثقافة ولغة التخاطب فهذا شيء مشترك بين جميع اللغات إلا أن انتشار الأمية قد يجعل هذا الفرق كبيرًا جداً.

أما الاقتباس اللغوي، فالذي ندعو إليه هو موقف وسط لا تفريط فيه و لا إفراط، فنحن نرى أنه لا فائدة في معارضة اللفظة الدخيلة، إذا كانت لها هالة من الهيبة والنفوذ فوقها، وذلك مثل كلمة "إلكترون" وقد اقترحوا كلمة "كهروب"في مكان "إلكترون" (وهو أيضاً معرب) فكيف يمكن أن تنافسها وقد يحس الناطق بما التصق بهذه الكلمة من المفاهيم العجيبة. وقس على ذلك الكثير من الكلمات مثل "التكنولوجيا" (في مقابل التقانة). إلا أن ذلك لا ينطبق على جميع الألفاظ الحديثة المعربة لاختلاف درجة نفوذها وإشعاعها.ومن المعروف أن لغة التخاطب في جميع اللغات البشرية هي أكثر إقبالاً على الاقتباس فلا ينبغي أن يقاس عليها مع الاعتقاد كما يقوله الغلاة من اللغويين الوصفيين، أن "الأصل في كل شيء هو المنطوق". نعم يجب الرجوع إلى المنطوق والمكتوب، للتحقق من انتشار الكلمة أو العبارة وشيوعها ولتقويم الألسنة من الخطأ، كما يرجع إلى المنطوق في البحوث العلمية. وكان المنطوق هو الأصل في العربية يوم كانت السليقة في الفصحى قائمة.

و على هذا فما يمنعنا أن نبحث عن كلمة عربية في التراث قريبة المعنى من المفهوم المحدث، أو نلجأ إلى الاشتقاق وغيره من وسائل الوضع اللغوي مادامت الكلمة الأجنبية لم تحظ بعد في جميع البلدان العربية و في أوسع نطاق بتلك الهالة من النفوذ وقوة الإيحاء للمفهوم.

- استعمال اللغة الحقيقي و قوانينه

إن للاستعمال اللغوي أسراراً وقوانين خاصة به غير قوانين اللغة في ذاتها وقد لا يهتم بها اللغويون في وقتنا الحاضر، بل قد يتجاهلونها، وأكبر مثال على ذلك هو عمل المجامع قبل اليوم فقد كان بعض المجمعيين يضعون الألفاظ -أو يحاولون إحياء بعضها-دون أي اهتمام بما سيكون مدى قبول المجتمع لها. و من المعروف أن الكلمة المتنافرة الحروف لا تنتشر بين الناطقين وتبقى غريبة وحشية وقد لاحَظ ذلك علماؤنا القدامى.

وقد يعتقد بعضهم أن وجود اللفظة في القواميس القديمة دليل على وجودها على الكثير من الألسنة قديماً. فقد حاولوا إحياء كلمة مثل"المطّثة"(مضرب للكرة) وكلمة "إرزيز" فكيف يُقبِل الناس على ما لم يكن له إقبال عليه قديماً (عدم وجودها بكثرة في النصوص القديمة دليل على عدم رواجها). ثم قد تكون الكلمة مثيرة للضحك (أو مثيرة لبعض الأفكار السيئة أو المشؤوم منها) وذلك مثل كلمة "مشطور" التي اقترحت للسندويتش وأما "الشطيرة" فلم يردّها أحد لأنها جاءت على وزن يوحي إلى المفهوم الحقيقي.فالرجوع إلى

التراث هو شيء طبيعي تفعله جميع الشعوب وخاصة شعوب أوروبا[2]. فللعربية تراث حضاري ربما لا تُضَاهيها في ذلك أية لغة في الدنيا. ومعاجم العربية وحدها تزخر بالآلاف من الألفاظ الحضارية يمكن استرجاعها و إدخالها في الاستعمال من جديد، وقد حصل ذلك بالفعل حتى دخلت بعض الكلمات التراثية في لغة التخاطب، مثل الندوة والمؤتمر وانعقاد الاجتماع ورفع الجلسة والبريد. ومن ذلك أحيوا كلمات كثيرة جداً وخصصوها لمسمى جديد كالباخرة و السيارة و الهاتف (وقد نجدها عند الكثير من المثقفين)والطيارة والربان والقطار (وقامت مقام "الوابور" في مصر مع شيء من التكييف).

و توجد في المعاجم العربية الكبرى، مثل لسان العرب، والتاج، وتهذيب اللغة، والمخصص لابن سيده، ثروة لغوية لا يوجد مثلها في أية لغة اللهم إلا في زماننا هذا في الإنكليزية العلمية والتقنية.ففيه ما يغطي الكثير من المفاهيم الحضارية،والغريب أن هذه الألفاظ لا نجدها غالباً في القواميس الحديثة المزدوجة اللغة. وها هي ذي عينة صغيرة مما يمكن أن يقابل المفهوم باللغات الأجنبية: ففي ميدان جسم الإنسان وأوصافه وعلله، يوجد ما يفوق عدد الألفاظ الأجنبية، فليس من مكان –أياً كان–في جسم الآدميين (أينما وضعت إصبعك في الظاهر أو الباطن) إلا وله اسم في العربية، وأي فعل أو حركة جســـمية فلها اسم، وأي لون في الدنيا مهما كان فله اسم . أما الرياضة البدنية فكذلك هناك ألفاظ متنوعة لضربات الملاكم، و أسماء أخرى لمضرب الكرة، وأخرى لأنواع اللعب بها، و أنواع السباحة، و الملاحة وأدواتها، وكان الملاحون العرب يعرفون السلوقية (Cabin de pilotage)، والشرَّعة(pont)، والطارقة أوالرفرف (couchette)، والخُنّ(cale)والمَمْرَق والقَمْرية(hublot) وغير ذلك، والكلاّء :مرفأ السفن (mole)، وكذلك أنواع الطيران مثل: الرفرفة(تحريك الجناحين في الطيران)، و الاستشاطة و الإسفاف (rase motte) والدفيف(إذا حرَّك جناحيه بالأرض)، و الصفيف (إذا بسط جناحيه و سكنهما)، و الزفيف (piqué)، و الكسر(إذا ضم جَناحيه وأراد الوقوعَ)، وغير ذلك كثير.

وهناك من الأسماء لأنواع الزحافات و القردة وغير ذلك كثير، فالقرد الضخم مثل الغوريلا يسمى القدوح، والحرذون العظيم القديم يسمى الضفطار وهومثل iguane ، والعُدْمُل : كل قديم ضخم من الضباب ويمكن أن يطلق على dinosaure أو نوع منه.

و في تزيين السيدة، فهناك التسريح و التجمير (chignon sur la tête) والتغمير والتحمير (maquillage) والدرّامة (lime à ongle) و التطريف (manucure) وغيرذلك. وكذلك ما يخص المسكن وأجزاءه فهناك الروشن (veranda)، و العريش (pergola)،والمستشرَف(terrasse)،والسمّان (lambris) والحِلْس (moquette)، والهَدُوج (cocotte minute)، و غير ذلك.

وقد يمكن أن يقول قائل بأن هذه الألفاظ، وإن كانت قد استعملت قديماً بمعنى قريب، فانها قد خرجت من الاستعمال و تُركت. وهذا صحيح ولكن ما المانع أن نحاول إدخالها في التعليم – الابتدائي خاصة – بإدراجها في الكتب المدرسية، بل بوضع قاموس مدرسي مصور تسدّ فيه كل الثغرات المعجمية وتدرج فيه كل ما

تمّ إقراره من قبل العلماء في داخل المجامع. و ما المانع أن نحاول إدراجها في كل ما يلقى من حديث ومحاضرة وأنباء وتمثيليات عربية وأجنبية معربة تذاع في الإذاعة والتلفزة. وكل يعرف ما لوسائل الإعلام والمدرسة من تأثير عميق وواسع في لغة المستمعين كتشهير الأخطاء اللغوية أو الكلمات الجديدة و غير ذلك .و أكبر دليل على ذلك ما قامت به بلدان المغرب العربي من تجربة لغوية في ضبطها لما كان يسمى بالرصيد اللغوي المغربي فأدخلت الجزائر عدداً كبيراً من هذا الرصيد وصار الأطفال في الجزائر اليوم يعرفون ويستعملون في مخاطباتهم كلمة اللُّمْجة (لما يتعلّل به الأطفال وهم في المدرسة= goûter)وكلمة المَعامة (المايو) وتوت الأرض (الفريز) وغير ذلك وتعلّم منهم أولياؤهم هذه الكلمات.

هذا ما يوجد في المعاجم ولا بد من مسحها مسحاً كاملاً منتظماً للعثور على مثل هذه الألفاظ. إلا أن القواميس ليست هي كل التراث مهما عظم ما تحتوي عليه. ثم إننا لا يمكن أن نعرف إن كانت الكلمة قد استعملت في نطاق واسع أو كانت قليلة الورود غير معروفة عند الأكثر بل عند القليل من العرب.و لم يحاول إلى الآن أي واحد من الباحثين في اللغة أن يقوم بمسح شامل لعدد من الكتب الحضارية القديمة مثل كتب الجاحظ أو كتاب الأغاني وغيرهما لضخامة العمل فهو فوق جهد الفرد الواحد بل المؤسسة الواحدة.

وهذا ما حملنا على اقتراح مشروع كبير ذي الخطورة العظيمة و هو مشروع الذخيرة اللغوية العربية أو الإنترنيت اللغوي العربي، وكنا قد اقترحناه على المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (في ديسمبر1987). فتبناه المجلس التنفيذي، آنذاك، وطلب أن تحدد تكاليف تغطيته من جهة الإشراف فلم يتم ذلك إلى الآن. كما رحّب اتحاد المجامع به في 1998 وكرر ذلك في 1999 ثم لا شيء.

فما هو المقصود من الإنترنيت اللغوية العربية أو الذخيرة اللغوية. لقد سبق أن قلنا في مقدمة المشروع:

إن هذا المشروع نشأ من فكرة الاستعانة بالحاسوب (الكومبيوتر) واستغلال سرعته الهائلة في علاج المعطيات وقدرته العجيبة على تخزين آلاف الملايين من هذه المعطيات في ذاكرته، لإنشاء بنك آلي من المعطيات يحتوي على أهم ما حرّر بالعربية مما له قيمة علمية وأدبية وتاريخية وغيرها، وأعزّما أنتجه الفكر العربي قديماً وحديثاً وما سينتجه على مرّ السنين.

وسيكون هذا البنك الآلي تحت تصرف أي باحث في أي مكان في العالم، فيمكنه أن يسأل الحاسوب متى ما كان عما يشأ من المعلومات فيجيبه بسرعة الضوء.

ونحن نعرف أن الباحث- واللغوي خاصة – قد يقضي الشهور، بل و السنين الطوال، في قراءة الأسفار الكثيرة من الكتب حتى يعثر على بغيته.

وقد شرعت بعض المؤسسات العربية في تخزين بعض النصوص وذلك مثل القرآن الكريم وكتب الحديث و الشعر الجاهلي. فالذي نرجوه هو أن يعمم ذلك على نطاق واسع في الوطن العربي.

فالذخيرة اللغوية العربية هي إذن **بنك آلي من النصوص** القديمة و الحديثة (من الجاهلية إلى وقتنا الحاضر).و أهم صفة تتصف بها سهولة حصول الباحث على ما يريد وسرعته ثم شمولية المعلومات التي يمكن أن

يتحصل عليها، وأهم من هذا أيضا هو اشتمالها **على الاستعمال الحقيقي** للغة العربية عبر العصور وعبر البلدان العربية المختلفة.

ماهي الفوائد الملموسة التي يمكن أن نستفيدها من الذخيرة الآلية ؟

بالنسبة لمجامع اللغة و المؤسسات العلمية العربية، وما تضعه من المصطلحات العلمية على مرّ الأيام، ففوائد هذه الذخيرة كثيرة نذكر منها:

1- الاعتماد في وضع المصطلحات والبحث عنها على كل المعطيات اللغوية في ميدان معين من واقع الاستعمال للّغة العربية قديماً كان أو حديثاً.

فالمختص الذي قد يحتاج إلى أن يضع مصطلحاً معيناً لا يجده فيما لديه من المراجع لمفهوم معيّن، فتجعل الذخيرة أمامه في بضع ثوان كل الألفاظ التي **استعملت** عبر العصور أو تستعمل الآن **بالفعل** عبر البلدان من تلك التي ينتمي إليها ذلك المفهوم، فهولا يرجع بذلك إلى القواميس وقوائم المصطلحات التي اقترحت فقط (وربما لم تدخل بعد في الاستعمال) بل إلى **الاستعمال الحقيقي** في شتى البلدان العربية.

2- الاعتماد في اختيار اللفظ على مقياس الشيوع والدقة في دلالة المعنى المراد.

ويستطيع المتخصص، أيضاً، أن يعرف مع ذلك درجة شيوع هذه الألفاظ، قديماً و حديثاً، ثم يعرف مدلولها الحقيقي لا من التحديدات فقط بل من جميع السياقات التي وردت فيها في الاستعمال وهي أمثل الطرق لتحديد معاني الألفاظ وأكثرها موضوعية. و فوق كل هذا فإنه يحصل على كل هذا في بضع دقائق !

3 - الاعتماد على هذا البنك النصي الآلي في البحث عن التطور الدلالي للألفاظ العربية و من ثم إمكانية وضع معجم تاريخي دقيق للغة العربية.

4- إمكانية فهرسة، بكيفية آلية، لكل النصوص العربية ذات القيمة العلمية والأدبية مما طبع وما سيطبع وينشر على مستوى الوطن العربي (المصطلحات ، الألفاظ الحضارية، بيان تردّد كل لفظة في النص الواحد، الأعلام، و غير ذلك).

5- إمكانية وضع معجم شامل للغة العربية المستعملة بالفعل، تخصص لكل مدخل دراسة لغوية دقيقة و غير ذلك من الفوائد.

أما مقاييس وضع المصطلح و إقراره، فأول ما يجب على واضع المصطلح أن يفعله هو أن يطرح على نفسه و على زملائه هذا السؤال الوجيه: هل عرف العلماء قديماً هذا المفهوم أو ما يقرب منه و ما هو المصطلح الذي استعملوه بالفعل للدلالة عليه؟فإن كان الجواب بنعم فينبغي أن ينظر في جميع سياقات هذا اللفظ القديم في مصدر معروف أو أكثر من مصدر ويستنتج من ذلك المعنى المقصود من استعمالهم له فإن طابق المفهوم الحديث فبها ونعمت، و هذا ما فعله علماء القرن التاسع عشر، الذين أشرنا إليهم في أول هذا المقال، فأحيوا كل المصطلحات الخاصة بالرياضيات والفيزياء و الطب وغيرها من العلوم، و الأمثلة كثيرة جداً بالنسبة لهذه الحالة، أي عند اتفاق المفهومين، ولنأخذ مثال الصوتيات فهناك مفاهيم علمية كثيرة لا يمكن أن يختلف التصوّر الموضوعي فيها اختلافاً كلياً بين أمـــة وأخرى وذلك مثل أسماء الأعضاء الصائتة .إنمـــا

المطلوب من الواضع هو أن يعتمد على بحوث دقيقة تبين هذا الاختلاف في التصور (مصدر الصوت الحنجري ومفهوم الصدى ومعنى أقصى الحلق وغير ذلك)[1].ومفهوم الصوت بالنسبة للحرف ومعنى التقابل بين الجانب اللفظي و الجانب الأدائي و غير ذلك.وقد يكون هناك،كاتفاق تام في التصور مثل مفهوم الصفات المميزة ومفهوم الfeatures و المخرج ومفهوم lieu d'articulation وغير ذلك. فلماذا يترجم المصطلح الإنكليزي بالملامح !؟ والحرف الذي يخرج بين الأسنان هو اللثوي لا محالة وإن كانت التسمية تدل على غير ذلك في الأصل، إلا أن المقصود عند الصوتيين العرب هو الـ Interdentale و يفسرون التسمية بالجوار(انظر المحاذي لابن عبد السلام الفاسي). وليس ههنا أي مشكل إنما المشكل هو في حداثة المفاهيم ومن ثَـمّ في استحالة مطابقة المفهوم الحديث للمعنى الذي قصده العلماء في القديم في استعمالهم لمصطلح معين.فلا بد، حينئذ، من وضع لفظ جديد (لمفهوم جديد).أما الواضعون المشار إليهم و المجامع العربية الحديثة، في أول نشأتها، فكانوا بعد تحققهم من عدم وجود المفهوم عند القدماء (وربما يحق لهم الشك في ذلك)، يبحثون عن الألفاظ - أو الجذور- التي تدل على معنى عام يمكن أن يحتوي على جانب من المفهوم الخاص، ويبحثون في الوقت نفسه عن صيغة تدل من جهة أخرى على جانب آخر من المفهوم؛ وذلك لأن للغة العربية مَوَادَّ وصيغاً، كما هو معروف، أما اللواحق و السوابق فهي جزء من الصيغة في الأكثر خلافاً للغات الأوروبية في الغالب.

والذي نحتاج إليه هو مواصلة ما بدأ فيه علماؤنا قديماً وهو الحصر التام لمعاني الصيغ وذلك بالاعتماد على استقراء كل معاني المشتقات التي هي من أصل واحد.

هذا وقد اقترحنا، قديماً و اقترح الكثير من الإخوان، بعض القواعد لاختيار اللفظ المناسب فهذا اللفظ يجب أن تكون له الصفات اللازمة لإقبال الناس[6] عليه. وقد سبق أن قلنا إن اللفظ الموضوع إذا دلّ على معنى محظور؛ أي ما يشمئز منه الناطق أو تتنافر حروفه حتى يكون مكلّفاً جهوداً غير طبيعية، فإنه لا يدخل في الاستعمال أو يبقى غريباً لا تعرفه عامة المثقفين، و قد أشار إليه القدامى في تصحيحهم للألفاظ. أما الغرابة في أول الوضع فهو شيء غير وارد لأن كل ما يوضع من لفظ فهو طارئ على الاستعمال غريب عند الناس وهذا لا يمنع من أن يشيع إذا كانت قد تبنته المدرسة ووسائل الإعلام. فإن نحن انتظرنا أن يدخل اللفظ في الاستعمال هكذا بدون تدخل منا فسيبقى حبراً على ورق، والكثير مما وضعه الأفراد أو المجامع بقي بعيداً عن الاستعمال حتى عند أهل الاختصاص لانزوائه في مقالة أو بحث أو في قائمة من المصطلحات ولا تسنده المدرسة والجامعة ولا وسائل الإعلام. والذي نتمناه هو أن يتخذ المسؤولون الكبار على مستوى جامعة الدول العربية قراراً خطيراً وهو إدخال كل ما تقره المجامع العربية بعد الاتفاق عليه في هاتين البؤرتين العظيمتين من الإشعاع والنفوذ ألا وهما المؤسسات التعليمية من جهة و الإذاعة والتلفزة و الصحافة من جهة أخرى.

الهوامـــش

1. وكان يسميه اللغويون تطوراً، تأثراً بنظرية دورين، حيـــث طبقوا على اللغة ما كان يراد صالحاً للأحياء ولذلك قالوا: " اللغة كائن حي" وهو تشبيه ليس غير.
2. فاللغات الأوروبية تأخذ جـــذور مصـــطلحاتها و ســـوابقها ولواحقها من اللاتينية و اليونانية، غالباً، و قد وضعوا قاموساً لهذه اللواحق والسوابق يتصرف فيها العلماء و المختصـــون لوضع مصطلحاتهم ولها قواعد في كيفية استعمالها و قد وقع في ذلك اتفاق عجيب بينهم.

المصطلح العربي الحضاري والتراثي:
قضايا ومقاربات

أ.د. محمد رشاد الحمزاوي (*)

1-1 إن موضوع ندوتنا في شكله المعروض علينا يوحي بقراءات وتخريجات كثيرة. فهل المراد منه دراسة مقارنة بين الصنفين من المصطلحين، لتحديد منـزلة كل واحد منهما كمّاً وكيْفاً من رصيدنا المصطلحي العربي المعاصر؟ أو البحث عن صلات تفاعلهما تنافراً أو تكاملاً؟ أو ضبط كمّية المصطلح الحضاري المستمدّة من المصطلح التراثي، لا سيما وأن "التراثي" جاء في مرتبة ثانية بعد "الحضاري"، وكنت في هذه الحالة أنتظر أن يسبق التراثي الحضاري لأسباب واضحة. لا علينا ! ما دام باب القراءات مفتوحاً على "مَصَارِعه" المختلفة.

1-2- والملاحظ أننا أمام قضية، كثيراً ما تطرح في شكل معركة تفاضلية بين المفهومين، يخشى منها أن تؤول إلى انفصامية ترفض في شكلها الإطلاقي كل مصالحة مبررة، أساسها التواصل بين حقب متتابعة مترابطة، توفق بين هواجس الثقافة ومتطلبات الحضارة أي بين ما تبقى في الذاكرة من الثوابت المتنوعة إلى حد التنافر، وما يهاجم الفكر والفعل من المتحولات التي تزعزع كياننا المعيش، مما يوحي أحياناً بالمطالبة بضرورة القطع الفاصل بين قدسية التراث ولائكية الحضارة، حتى نخرج من هذه المعركة القديمة الحديثة، على غرار أوربا، التي نَزَّلت المهندس منـزلة القسِّ، وأقامت العلوم العقلية مكان العلوم النقلية، حتى تصبح قضية المصطلحات، وبالأحرى الرؤى والمفاهيم، موضوعية تجريبية مطبقة.

3.1 ولا شك في أن الصواب عندنا يستوجب منا أن نقارب هذه القضية التي مازالت قائمة من بداية النهضة إلى اليوم، مقاربة وصفية نقدية لعلنا نفوز باقتراحات مبررة ومقنعة قابلة للتطبيق حسب منهجية متفق عليها ولو نسبياً.

فما عسانا نقول في هذا الشأن؟ لا بد أن نُقرّ أساساً أن التراثية ومنـزلتها من العلوم والمعارف ليست من خصائص ذهنيتنا العربية الإسلامية حتى نحاسب عليها حساباً عسيراً، لأن الذهنية الغربية، أوروبية أو أمريكية، على سبيل المثال، وما لفَّ لفّها، قد عادت إلى التراث اليوناني واللاتيني لبناء مصطلحاتها، من رؤى ومفاهيم وصدور وأحشاء ولواحق يونانية لاتينية ثرية كمّاً وكيْفاً [1] ،لأداء شتى المصطلحات العلمية والفنية والتكنولوجية إلى يوم الدين هذا. فأقرت "اختراعاً" لسانياً فكرياً ممنهجاً مَبْنيّاً على ثنائية متلازمة في عنصريها: الْمَغْنَى تراثي والمعْنَى حضاري حداثي. فكانت القفزة عقلية عملية، علمياً ولغوياً، وما زالت متواصلة، يعززها زاد من المفاهيم المستحدثة والمناهج المتجددة باعتبار أنّ كل لغة ما انفكت تضيف إلى ذلك

(*) باحث في المصطلحية والمعجمية- الجامعة التونسية

التراث من الصدور والأحشاء واللواحق ما يدل على حركيتها. [2]

1-4- ولقد بلغ الإعجاب بذلك التراث حتى نادى الشاعر André chenier بـــ: Sur des pensers nouveaux, faisons des vers antiques[3] فضلاً عما أخذه أهل حضارته من مصطلحات يونانية مثل: Democratie (حكم الشعب) و Téléphone (نداء عن بعد – الهاتف) و Prophylaxie (الوقاية) من Prophylaktikos (حرس المدينة) و Avion من Avis اللاتينية أي الطائر و Moteur أي محرك ...إلخ. وهي آلاف مؤلفة من الكلمات العامة أو المطورة مجازياً سلطت عليها منهجيات مشتركة مُقَيِّسَة فرزتها وصنّفتها ثم خصّصتها وأدرجتها في نَظْمَنَة آلية [4] لها مفاهيم ثابتة أحادية المعنى فأكثر، لا تحيد عنها. من ذلك أنّ الصدر أو السابقة "A" الذي يسبق كل جذر، يفيد النفي المعبر عنه بالعربية بـــ: / لا، وغير، وعدم/ وعديم/، كما يفيد معنى الحيّاد. فكلمةApodal تعني لا قدمي و Aposporié تعني لا جرثومي، أما Amoral فهي تعني "حيادي أخلاقياً "خلافا لـــ immoral بمعنى "لاأخلاقي". وهلم جرا.

5.1- فكيف لا تكون العربية في نفس الوضعية أو أحسن، إن اعتبرنا قول حافظ إبراهيم عندما نَزَّل لغة القرآن مصدراً للتراث.

وسِعْت كتاب الله لفظاً وغاية

وما ضِقْت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة

وتنسيق أسماء لمخترعات ؟

مما يعني أن معجزة حضارتنا كانت وما زالت كلامية اصطلاحية، وقد خلق الله الإنسان علمه البيان وأقدره على كل الأسماء، على حد تخريج ابن جني في خصائصه للآية "وَعلَّمَ آدامَ الأسماء كُلَّها". [5]

ولقد بادرت الحركة السلفية النيرة المعتدلة، برفع راية العودة إلى التراث ورصيده الاصطلاحي وتنـــزيله منـــزلة المرجع والقدوة مبدئياً، لمواجهة غزو العلوم الحديثة والتفاعل معها، دون الوقوف في وجه كل وسائل الوضع والتجديد الممكنة والمحتملة. فلقد كان الشيخ محمد عبده ممن بادروا بتحقيق ونشر مخصص ابن سيده الأندلسي، كما نصت على ذلك الورقة المعلنة عنه والصادرة عن جمعية إحياء العلوم العربية بالقاهرة سنة 1904. وقد فتح هذا الباب كثير من أهل النهضة، نذكر منهم الشيخ محمد بن عمر التونسي (1274هـ/1867م) في معجمه الكبير "الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية" انطلاقاً من التراث للتعبير عن مستلزمات العصور الحديثة.

1.2 وأيدت المجامع العربية الحديثة، بدمشق (1919)،والقاهرة (1934)، وبغداد (1948)، وغيرها من المؤسسات العلمية واللغوية العربية [6] ، هذا الاتجاه، في سعيها إلى ضبط وسائل وضع المصطلح العربي المعاصر ، فرتبتها ترتيباً نَزَّلت فيه توظيف المصطلحات التراثية منـــزلة التفضيل قبل الاشتقاق والمجاز والتعريب. فلقد جاء في لائحة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1934 ما يلي: " أن تستبدل بالكلمات العامية والأعجمية التي لم تعرب غيرها من الألفاظ العربية وذلك بأن يبحث أولاً عن ألفاظ عربية لها في مظانها. فإن لم يجد بعد البحث أسماء عربية لها، وضع أسماء

جديدة بطرق الوضع المعروف، من اشتقاق أو مجاز أو غير ذلك. فإذا لم يوفق التجأ إلى التعريب، مع المحافظة على حروف اللغة وأوزانها بقدر الطاقة." (7)

2.2 ويلاحظ غياب النحت وغبنه من وسائل الوضع، وإن كان ابن فارس في معجم "المقاييس التراثي المغبون أيضاً،قد بيّن أنه أساس الاشتقاق الصغير (8)، ومن ذات العربية، أكثر من المعرَّب والدخيل، فضلاً عن أن المجاز المذكور في اللائحة السابقة هو من التراث، إذ يقتصر في جله على اعتماد كلمات ومفاهيم قديمة وتطوير معانيها، للتعبير عن المستحدثات المعاصرة، كما هو الشأن في الإنكليزية والفرنسية، إن كان بين المصطلحين تشابه مع قرينة مانعة. فالسيّارة تفيد في القرآن الكريم القافلة من الإبل، وتفيد اليوم المركبة الحديدية البترولية. فهما وسيلتا نقل وتنقل وسرعة مع اعتبار أنّ الأولى حيوانية والأخرى ميكانيكية.

3.2 وأكدت كل المؤتمرات اللغوية هذه الاختيارات العامة، ومنها ندوة الرباط لتوحيد منهجية وضع المصطلحات الجديدة بتاريخ 18-1981/2/20، بإشراف مكتب تنسيق التعريب، حيث جاء في توصياتها في شأن المبادئ الأساسية في اختيار المصطلحات العلمية ووضعها:

1-استقراء وإحياء التراث العربي وخاصة ما استعمل منه أو ما استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث وما ورد منه من ألفاظ معربة(المبدأ الأول).

2-استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية، طبقاً للترتيب التالي: التراث فالتوليد (بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت (المبدأ السادس).

وتُبرز هذه المبادئ مدى تعلق المؤسسات المتخصصة(9) بالتراث والتراثية، مع اعتراف متحذّر بالتراث المعرب والنحت، حرصاً على رفض كل ما من شأنه أن يوحي بتلوث اللغة، حتى ولو أدّى إلى الترادف أو الغموض، على حساب المفهوم، طبيعةً ووظيفةً. فلقد آثر بعضهم أن يترجم Linguistique Générale بمصطلحي "فقه اللغة" و"علم فقه اللغة" التراثيين، على ما لهما من تخالف مع اللسانيات الجديدة التي تُرجمت بما يقرب من عشرين (10) مصطلحاً مختلفاً.

4.2 والأمثلة من هذا القبيل كثيرة تفيد، في أغلب مظاهرها، أنها تنبع من غنائية تعويضية انعزالية تخشى الحديث — ومنه الحضاري- و"بدعه" وبالتالي مفاهيمه و متطلباته التي تزعزع التقاليد والذات الراضية المطمئنة؛ وإن كان التراثي نفسه، في أيام عزته وريادته، لم "يخش الخلاف في المفهوم الواحد. فلقد قال القدماء بالاستصحاب والاستصلاح، وبالتقية والاتقاء والموضوع والمحمول،وما وراء ذلك من مذاهب وخلاف فيه رحمة.

والأطروحة التراثية، في شكلها المبَسَّط،تبدو غير متحكمة في وسائلها لتبرير رؤياها. فهي لم تزودنا، إلى يومنا هذا، بمدونات مصطلحية جامعة شاملة لجميع علوم التراث حتى يستمد منه ما يمكن أن يوظف حضارياً. فالحكم على الشيء أوله فرع عن تصوره، استقراءً واستيعاباً. فكيف يمكن أن نبت في مفهوم الفصاحة وصلتها بالأسلوبية والمدلول عند ما نعلم أنّ المؤلفات التراثية المخصّصة للفصاحة في التراث قد بلغت

116 كتاباً منها 41 مخطوطاً أو مطبوعاً والباقي مفقود مغبون؟[11]

5.2 وقس على ذلك في شتى العلوم التراثية الأخرى التي لم تحظ إلاّ بدراسات قليلة جادت بها أعمال غوانشون وسهيل أفنان، ومحمد السويسي، وإبراهيم بن مراد، وأعمالنا في ميدان المعجمية العربية.[12] ولقد سبق لنا أن ضربنا أمثلة مطبقة ، لهذه الغنائية، من خلال أمثلة مستمدة من مخصص ابن سيده، [13] ومستعملة في مؤلفات بعض المشاهير من المعاصرين الذين أكدوا بالقول ضرورة تفضيل التراث على المستحدث الفصيح والمعرب والدخيل والمنحوت، من دون أن يكون لذلك تطبيق يشفي الغليل في مؤلفاتهم. فلقد اعتمد مصطفى الشهابي في معجم "الألفاظ الزراعية" 19 مصطلحاً من ابن سيده،من مجموع 9996 مدخلاً تقريباً، وأخذ منه أحمد عيسى في"معجم النبات" 9 مصطلحاته ، من مجموع 5825 مَدْخَلاً. أما أمين المعلوف، فلقد استعمل في "معجم الحيوان "35 مصطلحاً من مجموع 1428 مدخلاً.

1.6- فإن جمعنا المصطلح التراثي، المأخوذ من ابن سيده في المعاجم الثلاثة السابقة، لوجدناه لا يتجاوز 63 مصطلحاً مدخلاً، من مجموع 17.249 مدخلاً، ويمثل 3ر000 تقريباً من المائة، وهي نسبة ضئيلة للغاية، مما يعني – حسب هذه الظاهرة- أننا أمام غنائية تعويضية تستعمل منظومة التراث، في شكلها المعروض هنا، ما عُونَ صنعة كما يقال في تونس، وللتراثي، حتى وإن تعلقنا به، قضايا كثيرة عويصة لا بد أن نقدرها حق قدرها، منها: [14].

أ- مطابقة التراثي للحضاري المعاصر من حيث طبيعته ووظيفته، فضلاً عن تداخله وانقسامه على ذاته من ذلك أنّ النبتة (la grande mauve) هي "الدهماء" عند أحمد عيسى، رواية عن ابن سيده، وهي عند الشهابي "الخبازة البرية أو الحرجية". أما الطائر (gypaete) فهو لم يسلم من آفة الترادف عند أحمد عيسى الذي يُعيِّنه بالمصطلحات التالية: "الستل" المأخوذ من ابن سيده ويضيف إليه: البُلاَجُ، والبُلاَتُ، والمكَلَّفه والفَيّنَةُ؛ ويسميه الشهابي "كاسر العظام والمكَلَّفَه".

2.6 فما عسانا نختار، لا سيما وأنّ ندوة الرباط، السابقة الذكر، قد أقرت مبادئ تفضيل التراثي وتجنب النافر والمحظور من الألفاظ، وتحبيذ الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به؛ وفي حالة الترادف أو القريبة من الترادف، تفضل اللفظة التي يوحي جذرها بالمفهوم الأصلي بصفة أوضح... وهلم جرا. مما يستدعي في نهاية الأمر وضع مبادئ وهوامش لتفسير تلك المبادئ الأولى والمصالحة بين متناقضاتها.

ويعود السبب في هذا الاضطراب المنهجي والمفهومي إلى أننا لم نوفر الأرضية الأساسية للتراث حتى ينـــزل حق منـــزلته سواء أكانت إيجابية أم سلبية. وهي تتلخص في النقاط التالية:

أ- التخلص من الغنائية التراثية التحليلية المفرطة ومتاهاتها، بدون الاحتكام إلى التاريخ الأدبي والعلمي ونصوصه المطبوعة والمخطوطة وحتى المغبُونة والمفقودة.

ب- استقراء التراث في رؤاه العامة وفي جزئيا ته المتخصصة، في نطاق مشروع قومي عربي إسلامي يقدم لنا رصيده في مدونة جامعة شاملة تجعلنا نقيس الحاجة إليه على قدر ما يوفره من زاد حقيقي لا يرتكز على

التخمينات والغيبيات. والجامعات والمؤسسات العلمية مدعوة، كل في نطاقها، إلى الإسهام في المشروع المعني بما يلي:

1- ضبط ميادينه وعلومه ومؤلفاته، مطبوعة أو مخطوطة أو مفقودة.

2- تخصيص دراسات جامعية له، في شكل رسائل مفردة أو بحوث معمقة أو رسائل جامعية عالية، حسب العصور ومناطق العالم العربي الإسلامي.

3- الاهتمام بمفاهيمه ومصطلحاته، دون إقصائية لغوية مذهبية أو اجتماعية نخبوية، سواء أكانت تلك المصطلحات فصيحة أم معربة أم دخيلة أم منحوتة أم شعبية.

3.6 فلقد ظل مفهوم النحت مغبوناً مدحوراً في العربية لمدة 14 قرناً حتى حقّق عبد السلام هارون في الخمسينات "مقاييس اللغة" لابن فارس، لنكتشف نظرية عربية في النحت قد سبقت، بقرون، التأسيس النظري للنحت في اللسانيات الأوروبية والأمريكية والروسية. وذلك شأن كتاب العين للخليل[15] ومكانته من اللسانيات الحديثة لا سيما النظرية التحويلية التوليدية.

3- توظيف التراث توظيفاً منهجياً علمياً حتى يصبح زاداً فعالا في ربط التواصل بين الثقافة والحضارة، كما هو الشأن في كل الحضارات الرائدة، وذلك بتركيزه على نظمته، تجنباً لمتاهات الترادف والتداخل، كما أشرنا إلى ذلك أعلاه.

4.6- وهنا نصل إلى المصطلح الحضاري. إن الدراسات التي قدمت للندوة منها ما نزله منـــزلة المصطلح المعاصر، إن لم نقل الغربي الأمريكي، فضلاً عن كونه المصطلح العلمي الذي يخرج من محيطه الضيق المتخصص إلى محيط عام يكاد يكون دارجاً، دون أن نعرف إن كان فصيحاً أو معرباً أو شعبياً، وذلك من شأنه أن يدعو إلى تساؤلات كثيرة تتطلب التوفيق بينها، ومنها:

أ) المفروض أن المصطلح التراثي العلمي المنتظر القابل للتعبير عن المفاهيم الحضارية، يدخل في الرؤية ويعامل كما يعامل المصطلح الحضاري الغربي المعرب، والمترجم والموضوع، ما دام معبراً عن شؤون الحضارة المعاصرة.

ب) المصطلح الحضاري كثيراً ما يخرج من صيغته العلمية إلى الحضارية إلى الشعبية. وعلى هذا الأساس تعلقت اللسانيات والمعجميات الغربية، خلافاً للصنف "الحضاري ←── التراثي" بالصنف العلمي ←── الشعبي" أو العكس بالعكس.

5.6 ولقد سبق للعشابين العرب والمسلمين مثل ابن البيطار في مفرداته، أن اعتنوا بهذا التفاعل وتعاكسه؛ وعلى أثرهم سار المتخصصون العرب، مثل مصطفى الشهابي وأحمد عيسى،فلقد ترجم هذا الأخير (Cadaba Farinosa) العلمية اللاتينية بالمفردة الفصيحة العربية " السرح" رواية عن ابن سيده؛ إلاّ أنه أطلق عليها أسماء حضارية وشعبية مثل: قرة والطريح والعسل. أمّا الشهابي فهو يفيدنا أن أهل الشام ومصر أطلقوا على شجرة بوغنفلية (Brigainvillea) الاسترالية، اسما يلفت النظر وهو "الجَهَنَّمية". وكلنا يعلم أن الطماطم في المغرب العربي، والبندورة، في المشرق، مأخوذتان من لغة قبيلة الأزتاك بأمريكا ومن الإسبانية والفرنسية (Pomme d'or) أي التفاحة الذهبية. أما (Patates) بالفرنسية،و (Potatoes) بالإنجليزية، والبطاطة بالعربية

فهي مأخوذة من لغة قبيلة الأرواك بأمريكا، ويعبر عنها شعبيا كذلك بـــ (Pomme de terre) بالفرنسية؛ أي "تفاح الأرض" ، فضلاً عن اسمها العلمي اللاتيني Solanum Tuberculum.

والملاحظ، في نهاية المطاف،أن هذه القضية كانت وما زالت مستبدة بذهنيتنا معرقلة لها ما لم تحسم حسما منهجيا موضوعياً، قد أشرنا إليه مراراً في مؤلفاتنا وفي صلب هذه المقاربة راجين أن يدرس، في نطاق تواصل حقب حضارية ماضية وحاضرة ومستقبلة، للخروج من هذه الانفصامية (الاشتراك عند القدماء) الفكرية والمصطلحية، والولوج إلى صميم الفعل والإنتاج.

الحواشـــي

1- تبلغ الزوائد (affixes): من صدور (préfixes) وأحشاء (infixes) ولواحق (suffixes) في اليونانية واللاتينية ما قدره (700) زائدة.

أما الزوائد التي اهتم بها مجمع اللغة العربية بالقاهرة فهي لا تتجاوز المائة حسبما أحصينا في مؤلفنا " أعمال مجمع القاهرة" بيروت 1988-دار الغرب الإسلامي- ولقد بلغت ما يقرب من 650 زائدة، مترجمة أو معربة، من وضع المجامع والاختصاصين مما يؤهل العربية اليوم لتجاوز مشكلة الزوائد اللاتينية واليونانية، كما جاء ذلك في "مؤلفنا المنهجية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها" – دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986.

2- لقد أضافت الفرنسيّة والإنجليزية على الزوائد اليونانية زوائد من صلبها الحديث أعدادها وفيرة، منها ما يزول أو يتجدد ومنها ما يبقى ويتجذر. ويا ليت العربية وظفت زوائد مشتركة مثل "يت" في عفريت و"اجي" في قهواجي وأخذت من العربية الاجتماعية الشعبية ما يمكن تنظيمه واستعماله لحاجات علمية متفق عليها.

3- وترجمتها: "لننظم من رؤى جديدة أبياتاً عتيقة".

4- ونعني بالنظمنة (systématisation) أن نخصص أكثر فأكثر صيغاً لأداء معانٍ ومفاهيمَ ثابتة، مثلما هو الشأن في اليونانية واللاتينية. وذلك ما سعى القدماء العرب إلى إقراره من خلال معاني مزيدات الفعل مثلا. ولقد نحا مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذا المنحى في العديد من قراراته.

5- القرآن الكريم: سورة البقرة 31/2. وفي مزهر السيوطي جدل كبير في تخريج هذه الآية بين أهل التوقيف وأهل الاصطلاح. وابن جني ينتسب إلى الحزب الثاني منهما طبعاً.

6- ونذكر منها مجمع اللغة العربية الأردني، وبيت الحكمة بتونس، وأكاديمية المملكة المغربية، ومعهد اللغة العربية بالسودان وبليبيا، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.... إلخ.

7- من لائحة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الصادرة في المجلد الأول من مجلة "المجمع سنة 1934.

8- محمد رشاد الحمزاوي: نظرية النحت العربية- دار المعارف سوسة- الجمهورية التونسية- 1998، حيث برّزنا الرأي وبيّنا هذه النظرية، انطلاقاً من معجم المقاييس الذي ظل مخطوطاً مغْبُوناً مدة 14 قرناً حتى حققه عبد السلام هارون في العقد الثاني من القرن العشرين.

9- شاركت في الندوة المذكورة ما يقرب من 16 مؤسسة من مجامع ووزارات ودوائر ولجان، بناء على اقتراح من وزير التربية الوطنية وتكوين الأطر في المملكة المغربية. وأتذكر أن أعمالها قد قطعت فجأة في يومها الأول من دون أن نعلم أسبابها العميقة.

10- أطلق عليها "الألسنية" كما بينت في إحدى مقالاتي، وقد سبق أن خصصت لترجمة "Dialectologie" ثم تحولت وجهتها وتهاطلت عليها منافسات أخرى مثل الألسُنيات، واللّسْنيّات وعلم اللسان واللسانيات...إلخ.

11- أحمد الشرقاوي إقبال: معجم المعاجم، دار الغرب الإسلامي بيروت 1987 ص66-89، حيث يزودنا بالمعلومات المذكورة أعلاه.

12- وتمثل هذه الأعمال مصادر ومراجع تستوجب الاعتماد على مناهجها ونتائجها في سبيل عمل توثيقي وتدويني مطلوب.

13- محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي—إشكالات ومقاربات، بيت الحكمة تونس 1991 ص 113-136(مساهمة التراث العلمي العربي في تطوير العربية: مكانة مخصص ابن سيده من المعجمية العربية المعاصرة).

14- سبق لنا أن فصّلنا في هذه القضايا في مؤلفاتنا المختلفة ولا سيما في ما خصص منها للمصطلح والمصطلحية.

15- محمد رشاد الحمزاوي: النّظريات المعجمية العربية وسبلها إلى استيعاب الخطاب العربي — دار ابن عبد الله، تونس 1999، حيث نعرض لنظرية الخليل المعجمية وغيرها.

اللغة المتداولة في الميدان البيداغوجيّ

الكتاب المدرسيّ نموذجاً

د. رتيبة الصفريوي (*)

تقديم

إن هذه الدراسة لا تكتسي صبغة إحصائية عددية للألفاظ المستعملة في مجال التعليم، ولكن، تطرقت للغة ككلّ، كمجموعة أصوات وألفاظ يستعملها المتعلّم في فترة تعليمه، وتتطور بتطور مراحل التعليم، إذن، لغة لها مصادرها ومكوّناتها وأهدافها ومقاربتها.

ولقد كان بودي أن أتدارس "التعبيرين الشفويّ والكتابيّ" كمادة (substance)، وهي المجال الحقيقيّ لتقييم الحصيلة اللغويّة للمتعلّم، بما فيها استعمال المعجم والتراكيب، لكن هذه العملية تتطلب منهجية أخرى، نظراً لطبيعة المادة، وتتطلب كذلك رخصاً لولوج مؤسسات التعليم الأساسيّ وهذا لم يسمح به الوقت.

تعريف

" اللغة وسيلة تواصل – مستودع قيم ومعارف، وعامل تربية وتكوين".

(أهداف وتوجيهات تربوية للسلك الأول من التعليم الأساسيّ، ص 48، 1933).

تمكّن اللغة من التواصل واكتساب المعارف، وإغناء الرصيد الثقافيّ واللغويّ للمتعلم، ويؤدي تحصيلها إلى تحقيق مهارات الفهم، والتعبير، والقراءة والكتابة.

تتكون اللغة من مجموعة من الألفاظ والكلمات تتجلى من خلال أصوات مسموعة وحروف مكتوبة، تتكوّن من أجزاء ومقاطع (syllabes)، تُدْلي بفكرة ومعنى.

ولقد لوحظ تعدّد معاني اللفظ، حسب التركيب والسياق. وهكذا، يمكن استعمال المعنى العام أو الخاص، المتداول أو المتخصص، الحقيقيّ والوضعيّ، المجازيّ والاستعاريّ ، إلى غير ذلك.

وقد كان اللفظ يعتبر من ركائز تعلّم لغة ما، إلى جانب الصرف والنحو، لأنه السبيل إلى تحقيق مهارة الفهم عند المتعلّم، لكن تطوّر المناهج والنظريات قد قلّص من قيمة اللفظ وتعلّم ما كان يُسمى بـــ "المفردات" التي تكوّن المعاجم، حالياً.

ونظراً للإشكال الذي تطرحه الألفاظ وما تَجْنَحُ إليه من تعدّد التعابير والمعاني، فإن استعمالها اليوميّ في مختلف المجالات العامة أو المتخصصة، أو الخاصة بمجال التلقين، قد يفرز تصوّرات تختلف باختلاف الميدان الذي تستعمل فيه، وكذا، باختلاف المناهج المتبعة.

(*) أستاذة باحثة بكلية علوم التربية – جامعة محمد الخامس

فإذا كانت جلّ التدخلات، قد خصّصت لإبـــــراز الوضع العام للألفاظ العلمية والتراثية والألفاظ الحضارية المستعملة في الحياة اليومية، وما إلى ذلك، فإننا وباتفاق مع منظم الندوة (نخص بالذكر مدير مكتب تنسيق التعريب)، ارتأينا أن نغوص في ميدان التلقين الذي عرف تطورات عديدة في مجال استعمال الألفاظ، من خلال الدروس والمناهج ومراحل التعليم.

وهكذا، نرى أن الاستعمال اليوميّ للغة، في الميدان البيداغوجيّ، يتعلق بعاملين اثنين:

أولهما، التحصيل أو الاكتساب الفرديّ من طرف المعلم لمحرّكات (أو ميكانيزمات) اللغة الأم، من خلال الألفاظ والتراكيب والدلالات، عبر منهج بيولوجيّ طبيعيّ.

وثانيهما: تعلّم اللغة الأم "المقنّنة" المدرّسة، واللغة (أو اللغات)، الأجنبية. وقد يخضع هذا التعلّم لنموذج جديد موجّه ومراقب، يدعم التحصيل الأوليّ.

الإشكالية ومصادرها :

عندما نقترح موضوع استعمال اللغة في الميدان التعلّميّ، فإننا نأخذ بعين الاعتبار كل التطوّرات التي عرفها هذا الميدان، من خلال المناهج التربوية والنظريات، وحسب التأثيرات الخارجية التي تعتمد، من جهة، الأهداف العامة في تكوين مهارات الفهم والتكلم والقراءة والكتابة عند المتعلم أو المستعمل للغة ما، ومن جهة أخرى، تهدف إلى التواصل والقدرة على التبليغ في المجالات المتخصصة، وإلى تنمية الرصيد اللغويّ والثقافيّ عنده.

لذا، سننطلق من الرصيدين اللغويّين، العربيّ والفرنسيّ، للوقوف عند معنى اللغة الوظيفية والتواصلية في المنظور الفرنسيّ، خصوصاً. ونقترح بعد ذلك طرح إشكالية استعمال اللغة المتداولة، من خلال نموذجين اثنين، يتمثلان في الكتاب المدرسيّ للسنة السادسة من التعليم الأساسيّ، معتمدين البحث في نماذج النصوص وطبيعة اللغة المستعملة. وسنحاول، من جهة، استخلاص ما إذا كانت المنهجية المتبعة، في كل من المؤلّفين، مطابقة لما أسلفناه وكافية لتحصيل اللغة الأساسية، المؤهلة للتعبير والتبليغ والتواصل، ومن جهة أخرى، مقارنة المنهجية المعمول بها في العربية والفرنسية. ونثير الانتباه إلى أننا لن نتطرق إلى نوعية المعاجم المقترحة وما يميز اللفظ عن المصطلح، بل نتناول خصائص اللغة من الجانب العام.

وتعود إلى :

1- قوائم الألفاظ: تاريخها ومحتواها.

وقد اعتمدنا التعريف بالرصيدين اللغويّين، العربيّ والفرنسيّ: .

- لإعادتهما للذاكرة، لأنهما مجهولان من طرف عدد كبير من المربين والباحثين.

لأنهما يسلطان الضوء على المفهوم "الوظيفيّ" في مجال تعلّم اللغة.

- لأنهما المنطلق الرئيسيّ للمقاربة الوظيفية لمحتوى الكتاب المدرسيّ للسنة السادسة من التعليم الأساسيّ.

– لأن المدرسة بؤرة استعمال وتدريس الرصيد اللغويّ، كما قال الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في تدخله.

1-1- الرصيد اللغويّ العربيّ

أنجز "الرصيد اللغويّ الوظيفيّ للمرحلة الأولى من التعليم الابتدائيّ" سنة 1975، من طرف د. أحمد الأخضر غزال من المغرب، د. عبد الرحمن الحاج صالح من الجزائر، ود. أحمد العايد من تونس.

1-1-1- تعريفه

هو "مجموعة مفردات عربية تؤدي مفاهيم الطفل المغربي، من سنّ معيّنة، تلك المفاهيم التي وردت على لسانه وتلك التي أضيفت، اعتباراً لحاجته. وهذه المجموعة تمثل ما قد يحسن للتلميذ أن يلمّ به، أثناء السنوات الثلاث الأولى" (مقدمة الكتاب).

1-1-2- دواعي نشأته [1]

واجهت أقطار المغرب العربيّ (المغرب، وتونس والجزائر) مشكلة ضبط سياسة لغوية أصيلة، تساعدها على تحقيق تطوّر شامل وتوطيد كيانها، ففكرت في اتخاذ سياسة لغوية مشتركة، تحدّد أهدافها ووسائلها، من أجل تعميم اللغة العربية في مختلِف ميادين الحياة الاجتماعية، وجميع مستوياتها.

وهكذا، وقع الإجماع على :

– النظر في مستويات وأنواع التخاطب التلقائيّ بين الأفراد وكيفية استعمال اللغة العربية وتأديتها الصوتية، والمعجمية، والصرفية والتركيبية، في شتى الظروف.

– المشاركة في تعريب بعض المفردات، اعتباراً للمستويات والحاجات.

– دراسة المناهج المتبعة في تعليم اللغة العربية، وكذلك في ضبط رصيد لغويّ، أساسيّ، لمستوى التعليم الابتدائيّ، كأول مرحلة في تحقيق سياسة لغوية مشتركة تربوية، وتوحيدية، وعلمية، وذلك وفق قرار ندوة وزراء التربية والتعليم بالمغرب العربيّ، المنعقدة بتونس من 14 إلى 20 فبراير 1967.

1-2-3- إنجازه

جُردت، بادئ ذي بدء، الكتب المستعملة في المغرب وتونس والجزائر، في المرحلة الأولى من التعليم الابتدائيّ، وأُحصيَت مفرداتها بمعانيها وحُدّدَت سياقاتها. ثم أُجريت تحرّيات لغوية في مناطق مختلفة من الأقطار الثلاثة، و سُجّلت محاورات تلقائية لأطفال من سن الخامسة إلى السابعة، وكذا استجوابات وأسئلة وأجوبة معينة تتعلق بكيفية الاستنطاق وبقائمة المفاهيم.

وبعد هذه العملية، تم نسخ كل الكلام المسجل بكتابة رمزية خاصة، تلائم الآلات الإلكترونية، تلاه تحليل إحصائيّ، للمفردات ثم ترتيب الكلمات في جدول واحد، ثم ألفبائياً في جدول آخر، حتى تسهل المقارنة والعثور على الكلمة لتحديد تواترها ودرجة شيوعها (انظر تفاصيل المقاييس في مقدمة "الرصيد").

وبما أن الرصيد جماعيّ الإنجاز، فقد اتُّفق على ستّة مقاييس: التواتر، التوزّع، لكل مدلول دالّ، الكُمُون، التدخُّل، الاستمرار في المكان والزمان.

ولقد نُعتَ هذا الرصيد بـ"الوظيفيّ" لأنه يحتوي على ألفاظ أساسية، ولأنه متفتح على العالم العربيّ بأسره، استغلّ قسطاً مشتركاً بين الفصحى ولغة التخاطب ويبقى قابلاً للتطور، لأن اللغة حيّة ومتطوّرة.

1-2-النموذج الفرنسيّ:"الرصيد اللغويّ الأساسيّ"
le Français Fondamental

1-2-1- تعريفه.

هو معجم أساسيّ، يُطلع المتعلّم على مبادئ تعلّم اللغة الفرنسية، منبثق عن مجموعة من التسجيلات ومكوّن من جزئين، الأول يُعنى بالمجال الشفويّ، والثاني بالكتابيّ، وظهر في وقت تجاوزت فيه المنهجية التقليدية حدود نشر سريع وفعّال للغة، لأنها كانت ترتكز أساساً على النحو والترجمة، المنفذان المفضلان لتحصيل لغة ما، وكذا حفظ وتخزين لوائح المفردات التي تتوفر عليها النصوص الأدبية بالخصوص.

1-2-2- نشأته وأهدافه

بادرت المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة (UNESCO) سنة 1947 إلى نشر اللغات "الحضارية"، وذلك للإسهام في محاربة الأمية، منبع التخلف البشريّ. وفي هذا الإطار، قامت فرنسا، لكونها تستجيب لمكوّنات التطوّر والنمو، بالعمل على التوفيق بين اللغة ومتطلبات العصر الحديث، وذلك بنشر لغتها الفرنسية بسرعة في جملة من الأقطار الأجنبية، وبتعليمها للمهاجرين بغية تسهيل إدماجهم في المجتمع الفرنسي.

وهكذا، فقد تمّ التركيز على مفهوم "اللغة الأساسية" (langue de base)، المنحصرة في تحصيل المفردات والنحو كمادتين أوليتين أساسيتين وضروريتين للتواصل اليوميّ، مجرّدة من كل المصطلحات العلمية والتقنية التي أغنت اللغة الفرنسية في القرن العشرين. وانطلاقاً من هذا المفهوم الأوليّ، (langue de base)، وقع الإجماع سنة 1954على استبدال "الرصيد الأوليّ" ثم "الأساسيّ" به[2].

إن الهدف الأول من إنجاز هذا الرصيد هو تهييء لغة فرنسية أولية تشبه النموذج الأمريكيّ الإنجليزيّ (Basic English) [3]، سهلة الاستيعاب من طرف الشعوب الأقل اندماجاً مع الحضارة الفرنسية، لكن، رُفض تقليد هذا النموذج لأن مكوّناته لا تنطبق على مجال اللغة الفرنسية والتي تهدف إلى مساعدة كل متعلّم لها على الاندماج في الحياة اليومية.

1-2-3- محتوى الرصيد

اقترح كُوجنهايم تأليف جزأين اثنين للرصيد، يعنى الأول بتعليم اللغة التي يتكلمها الفرنسيون مع حثّ المتعلّمين على العمل على مطابقتها مع المواصفات الخاصة بكل جهة يدرس بها. أمّا الثاني، فإنه يخص مهارات الفهم والتعبير الكتابيّ، وهي خطوة معمقة للأولى (انظر الجدول).

الرصيد الأساسي

1954– الجزء الأول	1959– الجزء الثاني
* قاعدة قارة، إلزامية،	التطرق للكتابة إلى جانب المجال
ضرورية.	الشفاهيّ
*تسجيل محاورات شفوية	للتمكن من اللغة
* حصر الألفاظ حسب:	الأسس:
- ترددها/تكاثرها	* أعمال VAN DER BEKE
(Fréquence)	
- توزيعها/ استعمالها	"قاموس الألفاظ الفرنسية"
	1935
(répartition et usage)	من خلال (نصوص أدبية
	ومطبوعات)
مضمون القائمة:	*قائمة الجزء الأول
* الألفاظ النحوية	الهدف: - تنمية مهارة القراءة
Déterminants	بكل طلاقة وسهولة.
pronoms-	
conjugaison-	- المساعدة على التفكير
prépositions	والفهم.
* الأفعال المساعدة	- الاحتفاظ بالجزء الأول
auxilliaires	كقاعدة
* الأفعال، الصفات، الأسماء	

المواضيع (16)	المواضيع:
- المصلحة العامة	- الفنون أو الآداب
- المنفعة	-الحياة الاجتماعية والسياسية
- الملابس	- النقل
- البيت	الحياة المهنية والجامعية
- المأكولات	- الرياضة
- المطبخ، أثاثه	- النصوص الإدارية
- المدرسة	الإشهار
- المدينة	
- وسائل النقل	
- الحيوانات	
- الألعاب	
- المهن...	

ومن الملاحظ أن هذا الرصيد قد تطوّر استعماله فيما بعد من خلال المناهج التعليمية(4)، وقد ميّزه استجابته للحاجات الأولية كلغة وظيفية، بالاستعمال المباشر للألفاظ، وكذا طابعه الدلاليّ (dénotatif).

3-2-1 تأثير الرصيد اللغويّ الفرنسيّ في المنهاج التربوي المغربي.

لقد كان المناخ العام للتعليم في أوائل استقلال البلاد(1956)، المبرّر الأساسيّ لتبنّي هذا المعجم، حيث كانت المؤسسات المغربية للتعليم العموميّ المزودج صورة طبق الأصل للنموذج الأوربيّ، ورغم المبادئ الأربعة الأساسية التي انبثقت عن اجتماع اللجنة الملكية لإصلاح التعليم في 27 أغسطس 1957[5]، لم يتحدّد الوضع القانونيّ (Statut) للغة الفرنسية وبقيت تدرّس كلغة ثانية إجبارية[6]، ومميزة بالنسبة للغات الأجنبية الأخرى، لكونها أداة تبليغ المواد العلمية والعلوم الاجتماعية [7]، إلى غضون سنة 1973 حيث بدأت تدريجياً عملية تعريب هذه المواد، ثم إلى متمّ سنة 1989 بالنسبة للعلوم بالسلك الثانويّ. والغاية من كل هذا هو توضيح أهداف تدريس اللغة الفرنسية، ومن بينها تمكين المتعلم من استعمال سهل ومضبوط للغة المتداولة (usuelle)، بصفتها أداة للتواصل تهيّؤه لولوج الطور الثاني من التعليم الثانويّ، وكذا أداة للانفتاح على الحضارة الفرنسية.

ولقد جاء في تصريحات بعض المهتمين بمجال التربية (Tranchard1969) أن قدرة التكلم والتعبير لاتنبني على تحصيل مجموعة من الاصطلاحات، لأن حفظ محتوى القواميس عن ظهر قلب لن يمكّن المتكلم أبداً من التعبير العفويّ.

ومن ناحية أخرى، بيّنت التعليمات الرسمية الصادرة عن وزارة التربية الوطنية لسنة 1967 أن تعلّم الألفاظ (les mots) أقل صعوبة من تعلّم التراكيب (les structures)، ويمكن تلقي أكبر عدد منها في وقت وجيز، خلافاً للتراكيب، وهكذا، أصبح تعلّم "المفردات" أو "الألفاظ" وحدة قارة في دروس المحادثة، والإملاء، والصوتيات والتمارين البنيوية (Exercices Structuraux)، اللغويّة أو النحوية.

وهكذا، أصبحت كلّ الكلمات المستعْملة في هذه المواد مستوحاة من "الرصيد اللغويّ الفرنسيّ" الذي أنجز لمواجهة صعوبات الحياة اليومية، لترسيخ القدرة عل التعبير ولوظيفته في مجال تعلّم اللغة. ما هي إذن اللغة الوظيفية المستعملة في كل من الرصيدين وفي المناهج التعلمية ؟.

2- اللغة الوظيفية المستعملة في النصوص التعليمية

إن المقاربة الوصفية التي سنعتمدها أولاً في قراءتنا للنموذجين العربيّ والفرنسيّ، ستمكننا من دراسة نوعية النصوص المقترحة ونوعية اللغة المستعملة، وكذلك من محاولة الفصل بين ما هو وظيفيّ وما هو اختصاصيّ في كلتا اللغتين، على أن المقاربة بين العربية والفرنسية ستعطي نظرة أدق على المنهاج المتّبع في كل كتاب، وعلى مدى ضبطه من طرف المؤلفين حتى يؤدي الكتاب المدرسيّ وظيفته الحقيقية التي تتجلى في مساعدة المتعلم على تحصيل رصيد لغويّ وظيفيّ قار، يطعمه رصيد آخر، متخصص باختصاص النصوص، ذو دلالات متعددة، يمكن استعمالها بدون أيّ خلط أو صعوبة.

لهذا، نود أن نلقي بعض الضوء على ما يسمى "باللغة الوظيفية"، و "المقاربة التواصلية"، حتى تسهل علينا مهمة تحديد نوعية اللغة المستعملة، في المؤلّفين

المرشَّحين للدراسة، وكذا، المقارنة بين اللغتين، على أساس التعريف الذي سنقدمه للغة الوظيفية المحبّذ استعمالها من أجل تحقيق التواصل وإغناء الرصيد اللغويّ لكل متعلّم.

2-1- النموذج الفرنسيّ

إن منابع اللغة الفرنسية الوظيفية في مجال منهجية اللغات كثيرة [8]، أقدمها، اللغة التقنية وتكمن مهمتها في تكوين المترجمين، ثم كل ما يتعلق بتدريس لغات التخصص واللغة العلمية، وفي نفس النسق، أخذت اللغة اتجاهاً آلياً (Instrumentaliste) خصوصاً في أمريكا الجنوبية، عندما لُقنت اللغة الفرنسية للجامعيين للتعرف على محتوى المراجع الأجنبية، واستعملت كذلك في التكوين المهنيّ، في مجال التجارة والسياحة والمجال الفندقيّ، وبعدها، انتقل تدريسها للعمال المهاجرين ثم انصبّ اهتمام المقاولات على تكوين الموظفين.

فكل هذه المشارب، اتسمت بالوظيفية، رغم الاختلافات والخصوصيات. وهكذا، صارت تسمية "الفرنسية الوظيفية" غير لائقة، نظراً لاختلاف ميادين استعمالها: مثل "التدريس الوظيفيّ للفرنسية" (enseignement fonctionnel du français)، "مقاربة وظيفية" (approche fonctionnelle)، إجراءات وظيفية" (pratiques fonctionnelles)، " الفرنسية طبق أهداف متخصصة " (le français sur objectifs spécifiques).

ولقد انتشر المنهاج الوظيفيّ عبر مؤسسات علمية تعليمية وسياسية (CICT) بلندن، (CREDIF)، (BELC) بباريس، (RAPEL) ، بنانسي (Nancy) ومجلس أوربا (Conseil de l'Europe)، وأحرز قيمة وطنية ودولية.

2-2- النموذج الإنجليزيّ

يقوم على تدريس مضمون اللغة، لا من حيث الشكل الذي اعتمد له الاتجاه البنيويّ، ولكن من حيث الوظائف التي تحملها العناصر اللغويّة في كل "فعل قوليّ" (acte de parole).

كان مضمون المقررات لا يندرج في السياق الوظيفيّ إلا إذا بني على أساس الوظائف اللغويّة.

ومن خلال هذين النموذجين يمكن أن نستخلص ما يلي:

1. يجب أن لا ننسى أن العلاقة في الفعل القوليّ والإنجازات اللغويّة تكون في بعض الأحيان محل نقاش ونزاع؛ لذا يجب إعطاء المتعلم وسائل الاختيار في مختلف الإنجازات اللغويّة، كي يبين قدراته على اختيار الفعل القوليّ الملائم.
2. "الوظيفيّ" يأخذ بعين الاعتبار كثرة الوضعيات والأهداف.
3. يذهب مفهوم "الوظيفي تدريجياً إلى "التواصلي".

نلاحظ أن اللغة الوظيفية أصبحت هي الوسيلة الناجعة للتعبير المباشر عن الأشياء -- وقد فاقت النطاق الذي وُضعت من أجله، ألا وهو تقريب الأجانب من المفاهيم، وسيطرت على المجال التعليميّ، ونُشر، من خلال المقاربة التواصلية (التي تميز الفعل القوليّ) التي تعتمدها المناهج التلقنية للغات الأجنبية، عدد كبير من

المناهج. نذكر، على سبيل المثال لا الحصر، ما يعمل به منذ 1996 – 1997: Tempo, Panorama , Bravo, Café crème

وكلها تحث على تزويد المتعلم بإمكانات لغوية تطبيقية وواقعية، تمكنه من إغناء مهاراته التواصلية في مجال الفهم والتعبير، شفوياً وكتابياً.

فيما يخص المعجم، يجب تزويد المتعلم بمعجم سهل فاعل (actif) ووظيفيّ، لإغناء رصيده تدريجياً وتمكينه من جمع الأفكار والتعبير عنها بصفة ملائمة ومسترسلة. لذا يجب اختيار، بصفة صارمة، المضامين وتلقين المفاهيم المفيدة والبناءة، والاستغناء عن اللوائح اللفظية التي تخص مادة ما.

وقبل التطرق إلى اللغة المستعملة في الكتاب المدرسيّ، رأينا أنه من الواجب، الاطلاع على مفهوم اللغة في التوجيهات الرسمية المغربية، الصادرة عن وزارة التربية الوطنية، في اللغتين العربية والفرنسية، والوصول من خلال قراءتنا لها، للمطابقة (أو عدمها) بين ما هو مصطلح وما هو مطبق في الميدان.

3- لمحة عن الدرس اللغويّ في التعليمات الرسمية

قامت وزارة التربية الوطنية في السنوات الأخيرة بإعادة النظر في محتوى ما كان يسمى بـــ " التعليمات الرسمية" (Instructions officielles) والتي استبدل بها العنوان التالي:" "أهداف وتوجيهات تربوية للسلك الأول من التعليم الأساسيّ" لمختلف المواد المدرسة بهذا السلك.

سنكتفي بالتطرق لمكانة اللغة في الميدان التلقيني، وربما تأثيرها على تلقين المواد في السنة السادسة من التعليم الأساسيّ.

3-1 اللغة العربية

تتلخص الأهداف العامة لتدريس اللغة فيما يلي:

- التواصل، عن طريق اللغة، قراءة وكتابة وتعبيراً.
- اكتساب المعارف الضرورية.
- إغناء الرصيد اللغويّ والتفاعليّ.
- الاستفادة من الدراسات اللغويّة واللسانية الحديثة في اختيار الوسائل البيداغوجية.
- ترويج الرصيد الوظيفيّ عبر بعض النصوص.

ويخضع "الدرس اللغويّ" في هذه المرحلة إلى مجمل المواصفات النظرية والمنهجية للأنشطة الشفوية باللغة الفرنسية (انظر 3-2)، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: التراكيب، والصرف والتحويل، والإملاء.

ويعتبر هذا الدرس المكون الأساسيّ في وحدة تدريس اللغة العربية التي تتضمن أيضاً القراءة بمختلف أنواعها والإنشاء، ويسعى لإكساب المتعلم المهارات اللغويّة المنشودة والتمرس بالقواعد وتطبيقها في مختلف الأنشطة.

ونلاحظ في جدول توزيع مكونات الوحدة التفصيل الكامل لمحتوى القراءة والتي تضم:

- النصوص الوظيفية (لأول مرة يظهر المصطلح في الجدول) وتمثل العدد الأكبر بالنسبة للنصوص

الأخرى، وهي مرتبطة بتسعة مجالات تغني الرصيد اللغويّ للمتعلم من حيث المفهوم والتعبير.

- النصوص الأدبية – شعرية ونثرية، لها علاقة بالأدب العربيّ.
- النصوص السماعية مستنبطة من الصحف والمجلات، يسمعها المتعلم ويناقشها.
- النصوص المسترسلة، تكون وحدة لغوية تامة في جزء من فنون التعبير، تهدف إلى تدريب المتعلم على القراءة المسترسلة لكتاب أو قصة.
- ويتجلى في هذا الوصف ما يلي:
- عدم التمييز بين الرصيد اللغويّ والرصيد الوظيفيّ.
- تفصيل وشرح محتوى الأول في التوجيهات، دون الثاني، مع العلم أن هذه الأخيرة تحث على وجود "نصوص وظيفية" في الجدول فقط.
- عدم الإشارة إلى "الرصيد الوظيفيّ" المنجز.
- عدم الربط بين طبيعة اللغة الملقنة ونوعية النص.
- عدم ضبط المنهجية أو المقاربة في تدريس النصوص الوظيفية وفي اكتساب الرصيد اللغويّ، لأن لكل صنف منهجيته ومحتواه.

وهنا نطرح التساؤل الآتي:

هل للمعلم، في هذا المستوى من التدريس، كل الوسائل التي تمكنه من ضبط مختلف المنهجيات (في وقت وجيز من العمل)، وكذا التكوين الكافي الذي يجعله قادراً على تلقين مختلف النماذج" الأدبية، الوظيفية، الثقافية، التواصلية؟ ونحن نعلم أن تكوينه التراتبيّ أو الأكاديميّ لا يسمح بذلك لثلة من المكونين.

ويمكن القول، في هذه المرحلة من القراءة للتوجيهات الرسمية، إن المنهجية لم تضبط نظريا- أولا- للفصل بين مختلف الأصناف، وللربط بين طبيعة اللغة الملقنة ونوعية النص الذي تطبق عليه. وسنحاول، في دراستنا للنصوص، الإجابة عن هذه الملاحظات.

3-2- اللغة الفرنسية

وقع اختيارنا على الأنشطة الشفوية، نظرا لتقارب المواصفات (كما ذكر أعلاه) مع الدرس اللغويّ في العربية.

وتشتمل بالخصوص على:

- الأهداف الوظيفية.
- التعبير والتواصل .
- الأفعال القولية والمفاهيم.

وكلها تعتمد، من خلال وحدات التدريس، على مواد مشتقة من الاهتمامات العامة للمتكلم التي ارتكز عليها الرصيد اللغويّ الفرنسيّ.

أما المنهج المتبع لاستثمار المواضيع، فهو مستوحى من الأهداف العامة للمقاربة التواصلية التي ترتكز على فعل المتعلم وتحركه ومبادرته... وكل البنود التي تكون مضامين الأنشطة المشار إليها أعلاه تحتوي على:

▪ المعجم الضمنيّ، المتعدد الدلالات، الأسماء الجنسية، " عائلات الألفاظ" (Familles de mots).

▪ النحو : تقليص أو امتداد الجملة..

▪ الصرف: التعرف على الأزمنة واستعمالها.

▪ الإملاء: التمكن من كتابة الكلمات، الأصوات...

▪ الكتابة: التمرن على نماذج مختلفة...

ونلاحظ أن مضمون اللغة في هذا المجال يطابق ما قدمناه سالفاً، عند وصفنا للغة الوظيفية، فكل هذه البنود ترتكز على نماذج معينة في استيعاب اللغة وخصوصيتها وما تهدف إليه كلغة دلالية مباشرة تعود المتعلم على استعمال سهل وجاد لها، محافظاً بذلك على قواعد اللغة (النحوية والإملائية) و "أساليب الكتابة الأساسية"، دون أن تصل به إلى المستوى الأدبيّ، الذي يقتضي منهجية أخرى ومضمونا مختلفاً لاكتساب هذا النمط الذي يصبح إبداعياً وثقافياً أكثر من كونه وظيفيا.

فيما يخص المعجم، فهو سهل وظيفيّ — قابل للتطور والإغناء، ومطابق لاحتياجات المتعلم، لا يقوم على التخزين التقليديّ للوائح الألفاظ.

أما النصوص القرائية - بكل فروعها- فإنها تهدف إلى "تحسين القراءة" لتحسين الكتابة. والنصوص المختارة في هذه المرحلة هي نصوص عادية، ووظيفية، وصفية، وثائقية، وكذا شعرية.

هذا ما جاء في جداول البرنامج للسنة السادسة، وسنحاول مقارنته مع المضامين الحقيقية لكتاب القراءة لهذه المرحلة.

بعد هذا التقديم المطول، والذي كان ضروريا لإرساء مفهوم اللغة الوظيفية، نتطرق إلى قراءة سريعة للغة المستعملة في الكتاب المدرسيّ.

4- دراسة النصوص

اخترنا لتطبيق ما قدمناه، الكتابين المدرسيين المقررين في السنة السادسة من التعليم الأساسيّ في اللغتين العربية والفرنسية. لماذا هذا المستوى؟

▪ **بالنسبة للعربية** — وبعد مرور خمس سنوات من التحصيل يعدّ: "مرحلة تعزيز وتثبيت مكتسبات المتعلم، تنميتها من الجانب المفهوميّ والمهاريّ"، تجعل المتعلم محور العملية التعليمية، ويكون فيها المعلم مساعداً على تخفيف الممارسات الفردية لكل متعلم.

▪ أما فيما يتعلق باللغة الفرنسية، بعد ثلاث سنوات من التحصيل، فهي كذلك مرحلة تثبيت وإغناء مكتسبات المتعلم" والتنسيق مع ما تم تحصيله في المرحلة الأولية ومراعاة الاستمرارية والتداخل في المضامين.

فرغم الفرق الزمنيّ (سنين)، نلاحظ أن الأهداف واحدة، تهمّ بالأساس المتعلم وتعمل على إكسابه رصيداً لغوياً كافياً لتحقيق ممارساته الفردية، والوظيفية مما ينمي قدرته على التعبير والتواصل ويؤهله لولوج السلك الثاني من التعليم الأساسيّ.

4-1- النموذج العربيّ

"القراءة": كتاب التلميذ للسنة السادسة من التعليم الأساسيّ، لا يحتوي على تقديم، و لم تحدد كيفية استعماله، بل يتم الدخول مباشرة في المواد المقررة والمجالات.

من الملاحظات التي استخلصناها عند قراءتنا لهذا الكتاب ما يلي:

- تصنيف غير لائق للمواد.
- خلط بين النصوص القرآنية والمضامين.
- ثلث النصوص المنتقاة أدبية.
- نصوص طويلة، في مجملها (ثلث العدد)، وتتراوح ما بين صفحة واحدة وست صفحات.
- عدد النصوص الوظيفية ضئيل.
- منظور تقليديّ فيما يسمى بـــ "الفهم" للنصوص.

ويضم المعجم، التحليل والتذوق (وهذا عامل جديد في مادة الفهم).

فيما يخص المقاربة، فإنها غير محددة ونتساءل، هل هو تحصيل عموديّ، يتم فيه تلقين اللغة تدريجياً خلال ست سنوات؟

أم هو تحصيل أفقيّ يقوم على استثمار شموليّ وسطحيّ في كل سنة دراسية؟

أما المضامين فهي تخص اهتمام المتعلم، لا مستواه، لا تمكنه من اكتساب لغة وظيفية، وهذا راجع إلى طبيعة النصوص المقررة والتي تفوق إمكانات وكفاءات المتعلم.

المعجم (غير مشكول) يكتفي بشرح تقليديّ للمفردات، وذلك بتقديم المرادف أو شرح المفهوم في سياقه العام.

التذوق، تعرفه التوجيهات الرسمية كما يلي:

- "التذوق الجماليّ، للنص ولأساليبه الأدبية والوقوف عند بعض الصناعات اللغويّة المناسبة لمستوى المتعلمين ومداركهم والنسج على غرارها".

يهدف النص إلى تحليل آخر، لا يتطابق مع تعريف التوجيهات.

اللغة تساير النص ونوعيته، لا "وظيفيتها" بالنسبة للمتعلم.

4-2- النموذج الفرنسيّ

« Le manuel de français

6ème année de l'enseignement fondamental.
livre de l'èlève »

عُني المؤلفون بالتذكير بأهداف التعاليم وبالحث على:

- المرونة في تطبيق المنهاج تدريجياً.
- إيصال المتعلم تدريجياً إلى استقلالية ذاتية، دون إغفال مساعدة المعلم.
- التنبيه على استغلال الحصص كأنشطة، لا كدروس.

- نوعية المواضيع: مثيرة، شمولية، وأحياناً ذات صبغة علمية، كلها تهدف إلى تنمية كفاءات ومهارات المتعلم في مجال التواصل الشفوي والمكتوب، وحثه على التعامل مع اللغة بصفة شمولية، لا كمجموعة مفاهيم مستقلة.

وفي آخر الكتاب نجد جدولا تذكيرياً مفصلاً للأهداف الوظيفية لمختلف وحدات التدريس (ومجموعها: 15)، المضامين والأهداف.

- طبيعة النصوص: كل وحدة تشتمل على:
- نص وظيفيّ، قصير، شعريّ أو نثريّ.
- نص طويل نسبياً، لأديب ما (من نصف صفحة إلى صفحة واحدة).

وتستعمل هذه النصوص لغة مبسطة ومادتها مستوحاة من الواقع المعيش من لدن المتعلم.

أما المنهجية فهي متعددة الأوصاف.

- **دلالية في كل البنود:** المعجم، الفهم، النحو، الفعل القوليّ، الصرف.
- **مسترسلة:** تتبع تطور النص: تسهل الفهم العام للنص ولمختلف الأسئلة
- **تطبيقية من خلال الفعل القوليّ:** ويتم ذلك باقتباس الفكرة واستعمال المعجم في إطار شخصيّ، يعبر عن نفس الحدث، وتمكن هذه العملية من البحث عن مرادفات لتخزين المعجم المطروح وترسيخه عند المتعلم.
- **توثيقية عبر أنماط مصورة** لتقريب النشاط المطلوب القيام به: وهو الوصف، مع ضرورة استعمال المعجم الملائم للمادة.
- **تدريجية** من حيث الصعوبة اللغويّة، النحوية والتركيبية.

وحتى في اختيار النصوص، بدءا من السهل إلى الصعب.

وهكذا، يمكن القول، إن النصوص المقررة مطابقة لمستوى التدريس (السنة الرابعة لتلقين اللغة الفرنسية) وممنهجة بصفة مضبوطة، لا تصيب المتعلم بأيّ اضطراب في الفهم أو في التركيز على المادة الملقنة، أياً كانت، معجمية، أو نحوية، أو إنشائية، وتستعمل هذه النصوص لغة وظيفية، يسهل استيعابها واستعمالها.

وفي خلاصة قراءتنا للكتاب المدرسيّ، نلمس أن هناك فرقاً شاسعاً في تلقين اللغتين، العربية والفرنسية، وذلك بتجاهل المنهاج العربيّ للرصيد اللغويّ وللمفهوم الوظيفيّ للغة في السلك الأول من التعليم الأساسيّ. كما نلاحظ أن المنهاج المتبع في العربية لا يسمح للمتعلم بالتمكن من اللغة الأساسية ولا بإبراز مؤهلاته للتعبير والتواصل، رغم أهمية المضامين وعمقها.

ولهذا لمسنا عموما انعدام الاهتمام بدراسة المعاجم في حد ذاتها، وضعاً وتركيباً واستعمالاً، وإن كان عنصراً مهماً في تعلّم اللغة (وجود جداول للغة الوظيفية الفرنسية، أما العربية، فإنها تحث على النصوص) إلى جانب هذا، تعد الدراسة لمفهوم اللغة، في الميدان البيداغوجيّ، شمولية.

وختاماً، نستخلص من تقديمنا (أو دراستنا الموجزة) للغة المتداولة في الميدان البيداغوجيّ، والذي انبثق من دراسة لمستوى المتعلمين في السنة السادسة من التعليم الأساسيّ، ومن تجربتنا في هذا الميدان، على مختلف المستويات (الإعداديّ، الثانويّ والعالي) ما يلي:

1. مشكل شرح وفهم وتلقي المعاجم والمفاهيم من لدن المعلم والمتعلّم.

2. مشكل الترجمة التي يستعملها المعلم لمساعدة المتعلم على الفهم السريع للمعجم أو اللفظ (سواء من الفرنسية إلى العربية المدرَّسة، أو من هذه الأخيرة إلى الدارجة)، وهذه الترجمة تشكل خطورة بالنسبة للمتعلم، لأنه لا يستطيع الرجوع إلى القاعدة اللغويّة لإعطاء المرادف أو المعنى.

3. مشكل التحصيل والتبليغ من لدن المتعلم الذي يجد صعوبة في استيعاب معنى اللفظ المستعمل في سياق عام أو خاص.

4. مشكل المصطلح العلميّ وانتماؤه للغة العلمية، التي لم تحظ بتلقين خاص.

5. مشكل بناء المصطلح، وهذه عملية لا يوحى بها، ولكن تخضع لقواعد خاصة يجب تعلمها، رغم تدريس السوابق واللواحق، تغني ما يسمى ب « Famille de mots »

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- النموذج الذي قدمه الحاج بن مومن في تدخله، ونموذج المصطلح الطبيّ الذي تطرقنا إليه في بحث جامعيّ 1990-1999ومن خلال مداخلة قدمناها في فرنسا حول المصطلح الطبيّ (1999).

فهذان النموجان يطرحان، مع غيرهما، مشكل التطبيق في المجال البيداغوجيّ وكيفية التعامل مع المصطلح، والاستئناس به حتى اكتسابه.

6. مشكل التعامل مع القواميس، لسببين:

- فمن جهة البحث عن مدخل، خصوصاً وأن العربية تعتمد الجذر الثلاثيّ، والفرنسية، الحروف الأبجدية والأصل الإغريقيّ واللاتينيّ.
- ومن جهة أخرى، الوظيفية المخوّلة للقاموس، مرجعية أو تعليمية.وهذا سيستوجب تعليماً دقيقاً.

كل هذه المشاكل تخص المتعلم في النظام التعليميّ المزدوج وتنم، من جهة، عن عدم قدرة المتعلم على استعمال اللغة العامة(usuelle)، لشرح المصطلحات العامة والخاصة.ومن جهة أخرى، عن عدم معرفة وسائل التعامل مع خصوصيات اللغتين العربية والفرنسية، وهذا ما يؤدي إلى عدم التمكن منهما .ما، ولكل هذا انعكاس على تعامل المتعلمين مع الألفاظ الحضارية المستعملة في الحياة اليومية، خصوصاً في المجال التلقينيّ، لأن الهدف الأول المعتمد حاليا في تعليمنا، هو التواصل بين الناطقين بلغة تسهل الفهم وتمكن من التعبير، دون الأخذ بعين الاعتبار، في المراحل الأولى، من التلقين، الحقول المفهومية التي تمكن من التمييز بين الكلمة والمصطلح وتنمية الرصيد اللغويّ لدى المتعلم، رصيد مصطلحيّ حضاريّ له خصوصياته الصرفية والتركيبية والدلالية، وله روابط مع المحيط الخارجيّ، والاجتماعيّ والعلميّ.

الهوامش

1- أخذنا هذه المعلومات من مقدمة "الرصيد"، واستنتجنا بعضها من لقاء شخصي، مع د. أحمد الأخضر غزال.

2- في سنة 1951، كلّف الوزير الفرنسيّ للتربية الوطنية لجنة برئاسة مفتش للتربية، القيام بإنجاز الرصيد اللغويّ الأساسيّ، وتمركزت الأشغال بمعهد الدراسة والنشر بالمدرسة العليا بـst cloud (سان كلو) تحت إشراف كوجنهايم (Gougenheim) بمساعدة ريفانك (Rivenc)، ميكيا (Michea) وسوفاجو (Sauvageot).

3- لغة لاتنبني على التكرار والتردد في الاستعمال، لغة مختلفة ومنحصرة في المجالات التي خلقت من أجلها، وهي لتسهيل استعمالها في المجالات الدولية، العلمية والتجارية، ولا تخص الحياة العامة.

4- المناهج المباشرة Méthodes Directes

5- الوسائل السمعية البصرية Méthodes Audio visuelles.

- المقاربة التواصلية. Approche communicative.

- المنهجيون. Les Méthodologues.

- تأثير المنهج البنيوي عند اللسانيين Le structuralisme

6- التعميم، التوحيد، التعريب ومعربة الأطر.

7- خُصّت اللغة الفرنسية، منذ 1960 بصفات متعددة: لغة أجنبية، لغة ثانية للتدريس، لغة أجنبية أولى، لغة حيّة..

8- التاريخ، الجغرافيا، الفلسفة.

9- التربية الإسلامية، اللغة العربية، الاجتماعيات، النشاط العلمي، الرياضيات، التربية الفنية، التربية البدنية، اللغة الفرنسية.

10- توجد هذه الأنشطة في جداول تجمع بين مختلف الأنشطة التي تقوم عليها وحدات التلقين ص 111 – 115.

بعض النماذج المصطلحية من لغة التواصل

د. الحاج بن مومن (*)

سنحاول، من خلال هذه المداخلة، تناول بعض الجوانب من اللغة المستعملة داخل ميدان التواصل، باعتبارها لغة من لغات التخصص، وبحكم انتماء معجمها إلى دائرة الألفاظ الحضارية المستعملة في الحياة اليومية.

لا بأس أن نذكر، في مستهل عرضنا، بأهم المفاهيم النظرية المرتبطة بلغات التخصص كما تناولها LERAT(1995)، GALISSON (1998)، ALLWOOD (1999)، قبل أن نتفحص بعض الجوانب اللسانية من مجال التواصل لنعاين، تفاعل المصطلحية العربية مع المفاهيم الأجنبية الحديثة عبر أمثلة منتقاة من لغة الإشهار وأخرى من لغة الإنترنيت أو ما أقترح تسميته بالعنكبيت، وهو لفظ منحوت من عنكبوت وبيت استناداً إلى مقابلاتها في الإنجليزية : Web of spider والفرنسية La toile d'araignée .

متغيرات وتجانس في اللغة

إذا ما استثنينا الوظيفة التواصلية للغة، هناك وظائف أخرى أساسية تسمح بالتعريف بمكونات محيط الإنسان وإعطائها معنى وبالتالي ضمان استمراريتها. وبعبارة أخرى، **إن اللغة تمكّن من ترسيخ وتخزين المعطيات في الذاكرة**، الشيء الذي يترتّب عليه تنمية الرصيد المعرفي و يساعد على توظيف تلك المعطيات عند الحاجة. إن تسمية الأشياء والمفاهيم تتماشى حتماً مع اختراعاتها. يبدو هذا القول من المسلّمات لولا المعطيات الأساسية التي تتستّر وراءه. منها، مثلاً، أن عملية التمثّل خاصّية فكرية يتم تجسيدها عن طريق التسمية.

تساهم عدة عوامل في توفير المناخ الملائم والشروط الضرورية التي تساعد على التجانس وعلى محو الفوارق الجهوية والاجتماعية للغة ما؛ ونذكر من بين تلك العوامل:

- إكراهات عملية التواصل؛
- تأثير وسائل الإعلام (السمعية-البصرية والمكتوبة)؛
- ضرورة التمدرس؛
- العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ومع ذلك لا يوجد على وجه البسيطة تجمع لساني في أتم التجانس لأن أسباباً عدة تحول دون ذلك، ونذكر منها: السن، الجنس، المهنة، الجغرافية، الوضعية الاجتماعية، الحرفة،... إلخ. ويتم تأثير هذه العناصر في عملية التواصل، عن طريق إدخال متغيرات في التداول اللغوي.

و تعتبر الأنشطة الاجتماعية و الاقتصادية من بين العوامل الأساسية التي تساهم في تلك المتغيرات اللسانية.

(*) المنتدى المغربي للمصطلحات والترجمة بالرباط.

والكلّ يعلم أن المستجدات العلمية والتقنية للسنوات الأخيرة ساهمت بقسط وافر في تطور اللغة، بل وعجلت بالتغيير المسجل حالياً، إن على الصعيد المعجمي أو على مستوى التراكيب. هكذا نلاحظ نوعاً من التجانس اللساني من جهة، ومن جهة أخرى، نسجل حركية تحديث لساني تتمثل في اقتحام ألفاظ جديدة المعجم المألوف، إثر تحديد المفاهيم العلمية والتقنية المستحدثة وضبط تسمياتها.

لغات التخصص واللغة العامة

يستعمل العلماء والتقنيون، أثناء ممارسة أنشطتهم وعند التواصل فيما بينَهم، لغة مغايرة للمنطوق المألوف. فيبدو من الممكن استنباط بعض السِّمات المميزة بين ما يسمى بلغات التخصص أو اللغات المتخصصة وما ينعت باللغة العامة أو المشتركة.

إن الابتذال (la banalisation) العلمي والتقني يفرغ في الرصيد اللغوي المتداول يومياً كمّاً هائلاً من المصطلحات التي فقدت نسبة من حمولتها العلمية والتقنية. هكذا أصبحت عدة مصطلحات مثل: التكنولوجيا، الحاسوب، البرمجيات، الوسائط المتعددة، الفضائيات، العولمة،... إلخ، أصبحت هذه مألوفة لدينا. و أصبح من الصعب التمييز بين المصطلح العلمي أو التقني، من جهة، وبين اللفظ المألوف، من جهة أخرى.

يعتبر اللفظ العلمي أو التقني مصطلحاً إذا استعمل في مداخلة علمية أو تقنية. وتعود كينونة لغات التخصص إلى ضرورة تسمية المفاهيم أو المحسوسات التي لا وجود لها في اللغة العامة. يمكن القول، إذا، إن لغات التخصص تسعى إلى لعب دور الوسيط في عملية التواصل داخل مجال متخصص ومن طرف أخصائيي هذا المجال. لكن يجب التعامل بحذر مع هذه المعطيات النظرية خصوصاً إذا استحضرنا إشكالية ابتذال الألفاظ العلمية و التقنية، ونوعية الروابط بين اللغة العامة ولغات التخصص. ومن المعلوم أن هذه الأخيرة توظف نفس الوسائل المعجمية، والصرفية، والتركيبية التي تستعملها اللغة العامة و تربطها بهذه الأخيرة علاقات وثيقة، حيث يتم تبادل مستمر بينهما. وتوجد هناك لغات تخصص مختلفة حسب تنوع مجالات الاختصاص، و حسب مستويات التواصل ودرجات التخصص وكذلك بالنظر للمنطقة الواصلة بينها وبين اللغة العامة.

وإذا اعتمدنا تصنيف Daniel Coste و Robert Galisson يمكن التمييز بين:

- اللغات العلمية المستعملة لدراسة مجالات تجريبية تعنى بموضوع أو بمنهجية معينة، وبمعارف تعتمد على علاقات موضوعية وقابلة للتحقّق؛

- اللغات التقنية التي تعنى بالمجالات التطبيقية بغية وصف المنتجات، وطريقة الصنع، ووسائل وعناصر الإنتاج، والمنتجين،... إلخ؛

- اللغات المهنية والحرفية التي تصف مجالات التجارب التي يمارسها الأشخاص يدوياً أو آلياً.

و فضلاً عن هذه التصنيفات، يجب الإشارة إلى المجالات التجريبية غير المهنية و تلك المتعلقة بالترفيه.

وحتى نحترم المنطق، يجب التذكير بأن هذا التصنيف لا يعني استقلالية مجالات الأنشطة بعضها عن بعض نظرا لتداخل الميادين المعرفية وتراكُبها. فأين تنتهي حدود تخصص ما وأين تبتدئ حدود التخصص الآخر؟ أما تستعير علوم الكيمياء بعض المفاهيم من الفيزياء وحتى من البيولوجيا ؟وكيف يمكن التعريف بالكيمياء الحيوية (البيوكيمياء) هل هي مغايرة تماماً للكيمياء أو للبيولوجيا أم تعتبر خليطاً من المجالين وبأية نسبة منهما ؟ وماذا عن الطب، وعلم التشريح، والفيزيولوجيا، و علم الأحياء، و الكيمياء ؟ و كذلك الشأن بالنسبة للتمييز بين اللغة العلمية واللغة التقنية، فالحدود بينهما غير واضحة حيث نلاحظ نوعاً من مكوكية المفاهيم والمصطلحات بين المجالين، وكما عبّر عنه . J.L Descamps و A. Phal :

إذا كان المصطلح coefficient= (معامل)، لفظاً من المعجم العلمي، فـ:

= coefficient d'absorption totale linéaire

معامل امتصاص كلي خطي

ينتمي كذلك إلى معجم الألفاظ التقنية.

بعض مميزات لغات التخصص واللغة العامة

رغم الصعوبات التي أشرنا إليها، لتحديد مفهومي لغات التخصص واللغة العامة، سنحاول استنباط بعض المعايير الوظيفية أو بعض المميزات حتى نقف على حقيقة الأمر.

يمكن القول إن لغة التخصص هي قبل كل شيء وسيلة لتبليغ حقائق ووقائع، بمعنى أنها تدلُّ على أشياء وعمليات، حيث يعطى الامتياز للعلاقة بين الرمز اللغوي و المرجع. وتسعى لغة التخصص إلى رفع اللبس و تعميم وتدويل الرمز اللغوي. ويبدو أن لمختلف لغات التخصص حدا أدنى من السِّمات المشتركة، حيث تسعى كلها لضمان أقصى حد من التفاهم بين أخصائيي مجال معرفي معين، ويتأتى ذلك عن طريق الحث على الوضوح والدقة والتركيز على الجانب الوظيفي للمصطلحية. وفيما يلي بعض المميزات العامة للغات التخصص التي تطمح إلى توفير:

- تواصل ناجع؛
- أعلى درجة من الدقة؛
- تفادي اللبس؛
- الحياد؛
- تفرُّد المعنى: (monosémie)

وتتداخل كل هذه المميزات لضمان تواصل ناجع، وهي سمة ناتجة عن كل السِّمات الأخرى.

ويبرهن العدد الهائل لمصطلحات لغات التخصص عن التعبير على الدقة المتناهية للمتغيرات الخاصة بمفهوم إجمالي داخل اللغة العامة. و يمكن التعريف بكل تلك المصطلحات بدقة، أي عن طريق سمات وصفية عديمة اللبس، تراتبية،ومنتمية إلى صُنافة مغلقة(Catalogue). وهكذا يتسنى تحديد دلالة تلك المصطلحات فيما بينَها عبر مفاهيمها بطريقة واضحة وموضوعية. وكل تأويل آخر يعتبر لاغياً. كما تتفادى لغات التخصص كل تعبيرية أو عاطفية.

تلجأ اللغة العامة إلى نماذج شكلية أو قوالبَ معجمية مختلفة لتسمية الأشياء والمفاهيم. وتسلك

المصطلحية نفس النهج، بل وتبتكر، عند الحاجة، نماذج متميزة لبلوغ نفس الأهداف. وتجدر الإشارة، هنا، إلى أن هذه الأدوات المصطلحية تتوفر على طاقات توليدية متفاوتة الإنتاجية.

ومن بين السِّمات اللسانية المميزة للغات التخصص نذكر، في الدرجة الأولى، **أهمية الأسماء**، حيث تبرهن الدراسات على هيمنة هذه الأخيرة داخل النصوص العلمية والتقنية؛ وتتجسد هذه الأسماء داخل لغات التخصص في شكل تراكيب نسقية مثل :

1) أنساق أُحادية الاسم

أ) اسم + صفة

بريد إلكتروني (أو كُهروبي). تحويل مالي. وثيقة مطلبية. قيمة مضافة

ب) اسم + صفة+ صفة

إعلانات تجارية احترافية

خدمات إشهارية متكاملة

عنصر تتابعي منطقي

2) أنساق ثنائية الاسم

أ) اسم + اسم

جيل إنترنيت. نظام تشغيل. قسيمة اشتراك

ب) اسم + محدد+ اسم

طريقة التخزين. أسعار الاشتراك. طريق الثراء. قسم التسويق.

3) أنساق ثلاثية الاسم

أ) اسم+ محدد +اسم+ محدد + صفة

تكنولوجيا الشبكات السريعة

أسواق الأجهزة الإلكترونية (أو الكُهروبية).

قواعد البيانات الموزعة

ب) اسم+ اسم + محدد +اسم+محدد+ صفة

محرك أقراص الفيديو (أو المرياء) الرقمي

مجموعة شركات التسويق الإشهاري

مبيعات أجهزة الحاسوب الشخصية

4) أنساق رباعية الاسم

أ) اسم+ اسم+ محدد + اسم+رابط+ محدد+ اسم

عرض حلول الأعمال والتواصل

ضبط انتشار التقنيات و الخدمات

تطورات قطاع الصنع و التصدير

ب)اسم+اسم+اسم+محدد +اسم+محدد+صفة

تعزيز قدرات مجال الترويج الإلكتروني

برنامج توسيع قاعدة المعطيات التجارية

تطوير قطاع تكنولوجيا المبيعات الإلكترونية

5) أنساق خماسية الاسم

اسم+اسم+ محدد + اسم+رابط+اسم+محدد +اسم+محدد + صفة

برنامج تدريب الشركاء على تقنيات التوقيع الإلكتروني

إدارة أنظمة الحوسبة و قوانين المتاجرة الحديثة

صيانة أجهزة الاتصالات و وسائط الإعلام المتعددة

6) أنساق سداسية الاسم

اسم+اسم+اسم+اسم+ محدد+ اسم+ رابط+ محدد+ اسم

معالجة عمليات ضبط وثائق المبيعات والشحن

بناء قاعدة معطيات زبائن الشركة و المستخدمين

دراسة صيغ إعلانات عروض التسويق و التصدير

والجدير بالإشارة هو أن هذه الأنساق متطابقة تماماً مع النّماذج النظرية الوصفية للمصطلحية العربية و التي اقترحتها في دراسات سابقة. ولا بأس أن أذكر بالمناسبة بعض مقاصد تلك النّماذج النظرية التي تروم:

- فهم تركيبة المولّدات العلميّة و التقنيّة؛
- إخضاع المصطلحية للضوابط اللّغويّة؛
- المساهمة في ضبط برمجيات معلوماتية تساعد على التعرف على الوحدات المصطلحية وانتقائها، عن طريق المسح الإلكتروني لبنوك المعطيات النصية؛
- إعداد صُنافات من التعابير الجاهزة وإدراجها ضمن برمجيات الترجمة الآلية للرفع من فعالية هذه الأخيرة؛... إلخ.

وأُحيل المتلقي الكريم على قائمة المراجع إذا ارتأى أن يخوض في هذا الموضوع.

ومن السِّمات الأخرى البارزة للغات التخصص، التواتر المرتفع للصفات التي تدخل في تشكيلة المركبات المصطلحية حيث تقوم تلك الصفات بوظيفة إسنادية أو وصفية كما ورد في الأمثلة السابقة.

وغالباً ما نصادف أمثال هذه الأنساق الاسمية أو ما ينعت بــالمركبات الثقيلة: (Les composés lourds) داخل النصوص العلمية والتقنية، وهي مرتبطة أساساً باللغة المكتوبة، وعند انتقالها إلى المنطوق تفقد الكثير من عناصرها بحكم ما يسمى بمبدأ الاقتصاد اللساني الناتج عن التداول والتكرار من جهة، و بفعل تجانس اختصاصات المتخاطبين.

هكذا تقلصت كلمة Modulateur-démodulateur إلى Modem ، و courrier électronique لتصبح courriel في كانادا و lemel في فرنسا، و Handy camera إلى Handycam. أو عن طريق الاختزال مثل قولهم N.T.I.C عوض Nouvelles Technologies de l'Information et de la Communication، إلخ. أما داخل اللغة العربية فهناك مؤشرات من هذا القبيل حيث بدأنا نسمع استعمال لفظ المحمول عوض الهاتف المحمول أو الثابت عوض الهاتف الثابت، و الفضائيات عوض القنوات الفضائية، أو عن طريق الاختزال كذلك مثل: اليونسكو على غرار الإنجليزية، أو كما يقال عندنا في المغرب: كدش، عوض الكنفدرالية الديمقراطية للشغل، إلخ.

وأفرزت تحليلات النصوص العلمية والتقنية المتعلقة بلغة التواصل قلة تواتر الأفعال، ما عدا تلك التي لها حمولة دلالية محايدة و يقتصر استعمالها على الربط المنطقي بين العناصر المكونة للمعنى. ويبدو أن هذه المميزات مشتركة بين جميع لغات التخصص، اللهم فيما يتعلق بالرصيد المعجمي الذي يختلف من لغة إلى أخرى،

هكذا، مثلا، تنفرد لغة الطب بكثرة استعمال ألفاظ من المعجم اليوناني اللاتيني.

أما داخل لغة التواصل، فنلاحظ كذلك بعض الحالات الشاذة المتعلقة أساساً بنوع من الخطاب الخاص بمجال الإشهار والذي يعتمد على التعبيرية وجلب الانتباه، بغية التأثير الفوري على المتلقي عن طريق أنساق لسانية قصيرة وهادفة. ونذكر من بين هذه الترسانة التعبيرية استعمال:

صيغة الأمر (أو الحثّ)

تعلّم المحادثة ... بأحدث تقنيات التعرف على الكلام الآلي!

احترف ... : شاهد، استمع، تعلّم خطوة بخطوة حتى الاحتراف!

انضم إلى عضوية ... واحصل يومياً في بريدك الإلكتروني على...

صيغة الاستفهام

هل يعود الودّ بين ميكروسوفت و أبل؟

كيف تحب أن تتسوق؟ هل تريد... ؟ الحل هو...

بناء أم شراء أم إيجار؟

صيغة التعجب

كيف تبيع وتبيع و تبيع!

تمتع اليوم بتقنية الغد!

برمجية كذا... تراود إنترنيت!

صيغة التفضيل

أفضل طابعة بأرخص الأسعار!

أقرب طريق لأسرع حل!

أول مستعرض عربي للوسائط المتعددة!

وصيغ أخرى مثل: يمكن، يمكنك، بإمكانك، الممكن، تمكّن من...،

ومع ذلك تقتسم لغة الإشهار مميزات كثيرة مع لغة التواصل عامة، من بينها كثرة الأرقام والصيغ و الرسوم البيانية، و الاستعانة بعدة حروف معانٍ و روابط نسق، كما في الأمثلة التالية المستنبطة من لغة الإشهار:

حروف معانٍ

الإبداع بجميع ألوان الطيف!

رحلة طويلة في عالم الإبداع والجودة!

الحدث بكل نزاهة وموضوعية!

روابط نسق

الجيل الثاني من الإنترنيت أو طريق الثراء السريع!

صفيح، شمس، وثبات في الألوان !

أحدث أجهزة الاتصالات و الوسائط المتعددة!

هذا باختصار شديد تذكير ببعض المعطيات المتعلقة بمميزات لغات التخصص واللغة العامة.

اللغة العربية و التقنيات الحديثة للإعلام والتواصل

تعتبر التقنيات الحديثة للإعلام والتواصل من المجالات التي يتحدد بموجبها مستقبل الهويات الوطنية و مصير أهم لغات للتواصل. هكذا نلاحظ احتكار اللغة الإنجليزية لجل الفضاء السمعي البصري عبر العالم (خاصة منه الإنترنيت)، وتشمل هذه الظاهرة البلدان

العربية في الشرق الأوسط. أما فيما يخص دول المغرب العربي فهناك منافسة شرسة بين اللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية للهيمنة على المشهد السمعي البصري لشمال أفريقيا. وحتى تستطيع اللغة العربية مجابهة هذا السيل الجارف من الأصوات والصور النصوص، يتوجّب على الدول العربية الآن، الآن وليس غداً ، التعجيل بـ:

- خلق فضاء سمعي بصري متنوع، عن طريق تطوير الإنتاج الإذاعي و التلفزي والسينمائي كمّاً وكيفاً سواء بتشجيع الإنتاج المشترك للبرامج، أو بإحداث وسائط عربية مشتركة من إذاعات و قنوات فضائية (على غرار TV5) ، للمزيد من التعارف والتعامل بين شعوبنا؛

- إحداث موقع مشترك عبر الإنترنيت يفتح الباب أمام الفعاليات العربية للحث على الاقتراحات و الابتكارات الهادفة إلى توحيد الرؤيا حول قضايا قومية وتكريس الطاقات الخلاّقة لتحقيق ما تصبو إليه أجيال المستقبل؛

- نظراً للوقع الشديد على نفسيات الشباب الناتج عن مشاهدة أشرطة الرسوم المتحركة، وعن معاينة البرمجيات على الأقراص المدمجة، يتعين علينا تطوير هذا القطاع بتشجيع الإنتاج المشترك ودعم عملية التوزيع (نسخ، دبلجة، عنونة سفلية، تسويق، ...إلخ.)

وفضلاً عن هذه المجموعة من التدابير الهادفة، هناك خطوة أخرى لا تقل أهمية من سابقاتها والتي تهدف إلى الدفع بعجلة البحث العلمي في البلاد العربية، ويتعلق الأمر بإرساء محطات لليقظة اللسانية على صعيد مختلف تلك الوسائط، وخاصة منها الإنترنيت، لترقّب مستجدات ألفاظ الحضارة وترجمتها أو تعريبها في حينها من طرف خبراء المصطلحية والترجمة و تخزينها داخل موقع خاص على الإنترنيت في شكل نصوص علمية وتقنية، أو صُنافات أو معاجم افتراضية سهلة الولوج والاستغلال من طرف المُبْحِر العربي.

هذا هو الثمن المطلوب تسديده لإيقاظ الوعي القومي ولإقحام اللغة العربية في حظيرة لغات العلوم والتكنولوجيا. ولن يتسن ذلك إلاّ بتفعيل دور جامعة الدول العربية وإشراك جميع المؤسسات المعنية بهذا المشروع عبر الأقطار العربية.

المراجع

- بنمومن الحاج (2000): *أداة نظرية في بناء المصطلح*، ندوة دولية حول *قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 9 ، 10 و 11 مارس 2000.
- ALLWOOD, Jens and Peter Gardenfors (Eds) (1999): Cognitive semantics, Meaning and cognition, Amsterdam/ Philadelphia, John Benjamins, X + 201p.
- GALISSON, Robert et J.C.ANDRE (1998) : Dictionnaire des noms de marques courants, Essai de lexiculture ordinaire, Paris, Didier Erudition, 342p.
- GUESPIN, Louis (1995): La circulation terminologique et les rapports entre science technique et production, in: Meta, numéro spécial, vol.40, n°2, pp.206-215.
- LERAT, Pierre (1995): Les langues spécialisées, Paris, P.U.F, coll. "Linguistique nouvelle".

مصطلحات الألوان في اللهجة الدارجة الفاسية
قراءة في المكون والدلالة

د. عبد المالك الشامي (*)

مدخل حول منطلقات العمل:

لا يقصد بهذا العمل أن يقدم معجماً كاملاً للألوان في اللهجة الدارجة الفاسية، لأن هذا العمل قد قام به الغير في صور مختلفة ولأهداف مختلفة أيضاً (1). وإنما القصد وضع عملية الصياغة المصطلحية عند العامة من خلال ما توافر لي من مواد هذا المعجم خلال الظرف القصير الذي طُلبت مني المشاركةُ فيه. وقد كان معتمدي في جمع مواد هذا المعجم على الرواية الشفهية أساساً، لرغبة خاصة تتعلق بالتعرف على فكرة مصطلح اللون كما يفهمها العامي أو كما يمكن أن يكون قد تصورها عند اقتراحه لصيغة أو مفردة تعبر عن مفهوم. ولاشك أن هناك مجهودات أخرى قد بذلت، في جهات مختلفة من الوطن العربي، لجمع مثل هذا المعجم واستغلاله في إطار الهدف الذي جمع من أجله- سواء كان على الصورة التي قمنا بها أو بصورة مختلفة-.

وقبل أن نقوم برصد مادة هذا المعجم، عمدنا إلى تجميع جملة غير قليلة من المصطلحات التي استعملت في الدارجة الفاسية، انتهاء بتاريخ منتصف القرن العشرين، بما يعنيه هذا التاريخ من الناحيــــة الحضارية من اندماج بين المغاربة والحضارة الأوروبية الغازية من جهة، وبما يعنيه أيضاً من الناحية التاريخية من تمسك جماعي بخصوصيات المحيط ورفض شبه إجماعي لكثير من المعطيات التي حملها المستعمر معه، وهكذا لم يتضمن هذا المعجم إلا ما جرى منه على الألسنة حتى ذلك التاريخ.

إن تقديم مكونات ما تيسر من هذا المعجم اليوم يفسح المجال -ولاشك- لفهم العناصر التي اعتمدتها العامة عند وضع مصطلح ما، ومصطلح اللون كنموذج. وهي عناصر يمكن أن توجد لها نظائر عند الشعوب الأخرى ولا شك، ولكن هناك بعض التميزات التي يفترض أن ينهض الظرف المحلي بتقديم عنصر الخصوصية فيها، وهو ما يقصد عند عرض هذه التجربة. إذ الألفاظ الحضارية التي تستعملها العامة تشكل لبنة أساسية ينبغي اعتمادها عند التفكير في وضع المصطلح. لأن المصطلح لا يكتب له الذيوع والانتشار إلا إذا كان له جانب نفعي يستغله الناس ويتداولونه، ومن ثم، ولأجل اختصار المسافة بين وضع المصطلح وانتشاره، يفترض الاستئناس بالمصطلح العامي، في صوره المختلفة، بشرط إخضاعه النسبي لمتطلبات اللغة العربية وشــروط سلامة التركيب فيها.

(*) كلية الآداب - ظهر المهراز - فاس

إن اختيار تجربة اللهجة الفاسية ينطلق من الخصوصيات الاجتماعية التي تمثلها هذه المدينة باعتبارها الوارث الوافر النصيب للحضارة العربية في الأندلس، بل في الغرب الإسلامي في الغالب.

وينطلق أيضاً، من الخصوصية السياسية التي مثلتها المدينة باعتبارها كانت عاصمة سياسية لكثير من الدول المغربية منذ فجر التاريخ الإسلامي ولمدة طويلة تتجاوز تسعة قرون، فاستقطب لذلك فئات اجتماعية عريضة مختلفة الأعراق والمشارب.

ثم ينطلق، أيضاً، من اعتبارها من أكبر عواصم العلم في المغرب، وما كانت تمثله هذه الخصيصة من إشعاع العلماء على طبقات العامة في لغاتهم وسلوكهم الحياتي.

كل هذه المعطيات يمكن أن تكوّن عنصراً مؤثراً في نمو اللغة المستعملة عامة والاصطلاحية منها بصورة أخص.

إن تكوّن معجم مختص بظاهرة بعينها لا يفترض أن يكون قد قام بين يوم وليلة، ولذلك فإن دراسة تطور اللغة الاصطلاحية لا بد أن ينطلق من تلمس النصوص التي تضمنت هذه اللغة، والأمر يمكن أن يكون هيناً حين يتعلق باللغة الفصحى المكتوبة، في أية صورة من الصور، إبداعيةً كانت أو وصفيةً. لكن حين يتصل بلغة عامية تتَغير مفرداتها بتغير الظروف المؤثرة في الحياة الاجتماعية، فإن الأمر يبدو صعب المنال. ولهذا فإن البحث في الدلالة الوحيدة المجسدة لمصطلح مغربي عامي ما، قد يكون فيه من المغامرة ما فيه، لذلك من المفيد عند توخي دراسة مهتمة بهذا الهدف أن يعتمد- في جملة ما يعتمد- البحث في التطورات التاريخية للاستعمال المدروس ما أمكن، وربما الاستعانة أيضا بالدراسة المقارنة بين اللغات المجاورة أو اللهجات العربية أو الأمازيغية التي يمكن أن تكون قد أثرت، بكيفية من الكيفيات، على معنى المصطلح أو على تركيبه.

ونقدم بين يدي هذه القراءة في الدلالة والمكون ما انتهينا إلى جمعه من المصطلحات- في ظل الظروف التي أشرنا إليها آنفا- مرتباً بحسب الدرجات التي يتكون منها اللون بين الفاتح والغامق والراقش والمختلط. لأن العامي الفاسي كان يحس بانتساب الألوان إلى أصول محددة. وتوجد ترجمات تقريبية لكل مصطلح لون باللغة الفرنسية في المظان التي ألمعنا إليها.

معجم الألوان:(2)

الأبيض: لبويوض- ثلجة- اللبني- لبيض المغفوص- لبيض العياط- لبيض فجرة- لبيض صقصاق- لبيض لمبربش- لبيض لمنمش- السمني- المسكي- السكري- لشقر-لزعر-الشمعي-كفاولي- الكاكي-قلب حموصة- قلب بنانة. (20)

الأصفر: الصفيفر- الخبوري- الزيواني- قلب الز هرة- الكناري- لصفر الفاني- القيقلان - الحلبي- الذهبي- المذهب- النحاسي- الليموني- الكرعي- الحمصي- الزرعي- الخوخي- الرنجي- اللتشيني- الزنبوري- خراقطوط - شعر الجمال. (22)

الأحمر: لحميمر- لحمر بوعمرو-بلعمان- العكري - دم العود- العسلي- الوردي-روس الورد- نوار العطرشة- الزبطي- الفنيدي- الديدي- الفجلي- ياسمين الشرق- المشماشي- حب الرمان- الرماني- الحمزي- لشهب- الحجلي- الخروبي- الشكرناط- الشكلاطي- القرنفلي- نوار القرنفل- الزفزوفي- القهوي. (28)

الأخضر: لخضيضر- لمخضر- القصبوري- الزاجي- المرارة- الخرشوفي- لخضر الشريح- الموبري-الحزي -الربيعي-الزيتي-الزيتوني- الكموني- الشيبـــي- السحتري-طاب ما طاب-. (18)

الأزرق: الزريرق-النيلية- المنيل- النيلي- السماوي - ضو الصباح- عنق حمام- حجري- راس وقيدة- العلجة- الفاختي- البرقوقي- شرقرق- بيض البرك- المدادي- القوقي-. (17)

الأكحل: الكحيحل- الفحمي- المحرقص- الجبجة- الغلدماني- المدمدم- الصمغي-الكحلي- الرمادي- الفاري- المفضض- الفضي- الرصاصي- السحابي- الغيسي-الخمري- الزرزوري- النميشي- المبرقش-البركّي-الحمراني-الأسمر-الدم المعزول. (24)

إن أول قراءة لهذا العدد من المصطلحات تبيح لنا أن نستنتج استنتاجاً أولياً مؤداه أن هناك وفرة كثيرة من المصطلحات التي اعتمدها المجتمع الفاسي المغربي للتعبير عن مختلف الألوان التي "يبصرها أمامه. وهذه المصطلحات موزعة على الألوان الرئيسية الستة: (الأبيض، والأصفر، والأخضر، والأحمر، والأزرق، و الأكحل).

ورغم أن الألوان الأصلية- ألوان الطيف-تبلغ السبعة في عرف علماء الفيزياء، فإن المجتمع الفاسي ربما يكون قد أقر بخصوصية هذه الألوان الستة كألوان أصلية يذكرها في أمثاله العامية، وقد يستعملها في بعض التعبيرات الحِكَمية أو الطبية أو حتى الشعرية.

ومن اللافت للنظر أن هذه الألوان عند تجزيئها لم تكن متوازنة، من حيث العدد، لاعتبارات مختلفة منها ما يتصل بدرجة الألوان الملحقة باللون الأصلي، ومنها ما يرتبط بالأوصاف الملحقة باللون من حيث كونه فاتحاً أو صارخاً أو مرقشاً، بالإضافة إلى عملية التأنيث التي تلحق جل الألوان التي تقع تحت صيغة فصيحة مدرجة (خاصة في الصفة والنسب). وهكذا تبلغ الألوان التي تتصل بالأبيض نحوا من(20) لوناً، وبالأصفر (22) لوناً، و بالأحمر (28) لوناً- و هو أكثرها فروعاً-وبالأزرق (18) لوناً، وبالأخضر (17) لوناً، وبالأكحل (24) لوناً.

ويبدو اللون الأحمر، بمشتقاته وملحقاته، أكثر الألوان حضوراً في الاستعمال، ويمكن أن نجد لذلك من التبريرات ما يتعدى الحصر. ثم يليه الأكحل، فالأصفر، فالأبيض، فالأزرق، فالأخضر. و لم أمل في هذا إلـــى البحث عن تبرير غلبة ألوان بعينها لأن الأمر قد تتدخل فيه عناصر تتعدد وتتنوع بتنوع الظروف الذاتية وكذا الاجتماعية والنفسية والدينية التي أثرت في ذهن العامي، فجعلته يفضل هذا اللون على ذاك.

والترتيب الذي اقترحناه يمكن أن يكون متصلا بتدرج اللون في العين الملاحظة بين الفاتح والغامق، إذ المظنون أن العامي الفاسي كان يحرص على أن تكون تعبيراته متصلة اتصالاً مطابقاً ودقيقاً لكل ما يشاهده، على عكس ما هو معروف في المجتمعات البدائية أو ناقصة التحضر.

مصادر مشتقات الألوان:

يمكن التنبه إلى أن المجتمع الفاسي اعتمد في استنباط فروع الألوان الأصلية على الطبيعة بنباتها، وجمادها، وطيورها، وحيوانها، وإنسانها، فنسب كل لون إلى ما يقابله في هذه الأصول.

فأخذ مثلاً من النبات: جل ألوان الزهور والورود سواء مس اللون مظهرها العام الظاهر للعين (نوار العطرشة، نوار القرنفل، روس الورد، الديدي، بلعمان، ياسمين الشرق، والقيقلان)، أو مس جزءاً منها (روس الورد، قلب الزهرة). كما استعمل جل ألوان الفواكه المتميزة بتفرد لونها (كالزيتون والليمون واللتشين (البرتقال) والرمان في صورتيه- الرماني- وحب الرمان- و النارنج و الخوخ و الزفزوف و المشمش و البرقوق، وحتى بعض الفواكه غير المعروفة في البيئة الطبيعية المغربية، آنذاك،كالكاكي والموز - البنان-).

واستعمل، أيضاً، جل الخضار والزروع المتميزة سواء في صورتها الظاهرة كالكرعي (القرع الناضج) والزرعي (الزرع اليابس) والحمصي (اليابس) أو فيما اختفى على العين منها (قلب حموصة، قلب بنانة)، بالإضافة إلى استعمال ألوان بعض النباتات المنتفع بها (السحتر و الكمون و الخرشف و الشيبة و القزبر و الحلبة).

واستعمل من الجماد: ألوان المعادن النفيسة (الذهب والفضة والنحاس والرصاص)، ولون التراب المحول كالزجاج - الأخضر- أوالمبلل بالمطر (الغيسي)، أو النبات المحول كالفحم، أو الصدفيات المحروقة (الحرقوص)-المحرقص-،وكذلك لون الحجر- الرمادي- ولون الماء من خلال ما قد يختلط به أو يمسه بنوع من المساس (فالعكري) الذي يعود إلى العكرة التي تصيب الماء، لاختلاطه بالتراب الأحمر، والأزرق النيلي أو المنيل أو النيلة- من خلال عكسه للون السماء، ممثلاً خاصة في ماء النيل، والأزرق الفاتح، ممثلاً في لون السماء، عند صفائها (السماوي)، ولون بعض المصنوعات كالسكر والشمع والمسك والصمغ والمداد، ونسبها إلى ما يظهر من لونها: السكري والشمعي والمسكي والصمغي والمدادي.

وأخذ من بعض الحيوانات لونها المميز، سواء كانت ماشية أو طائرة، فالفأر والحصان والجمل والقط، من الحيوانات التي استرعى لونها نظر العامي (رمادية الفأر، ووبر (شعر) الجمل- الأشهب- ودم الحصان - شديد الحمرة-، واختلاط لون بعض القطط (السحتري) أو حتى صفرة غائطها).

وأخذ من الطيور ألوان بعضها، سواء كانت وحيدة اللون أو كانت مشكلته، وسواء مس اللون كل

الطير (الحمامي أوالحجلي أو الفاختي...) أو مس بعضه (عنق الحمام) . فالفاختي المنسوب إلى الفاختة -الحمامة- والقصد لون عنقها الأزرق، كان من أهم ما حير العامي فعبر عنه تارة تعبيراً مجازياً بإطلاق الكل وإرادة الجزء (الحمامة ولون عنقها)، وعبر عنه تارة أخرى تعبيراً مباشراً (عنق احمام)، والكناري لون طائر الكناري الأصفر الفاتح، والحجل الذي يغلب عليه في عين العامي اللون الأشهب الغامق، ولون زرقة بيض البط الباهتة. كلها ألوان كان القصد من تمييزها عن غيرها هو الدقة.

ومن بعض الحشرات لاحظ العامي لون الزنبور (الدبور) الذي يتردد فيه الأصفر والأسود حتى يكاد يصبح لوناً خاصاً، فكلما تردد أمامه وجود اللونين معاً استعمل مصطلح (الزنبوري) للدلالة عليه وقد جرى بين ألسنة العامة مثل شعبي يقول (الزين الزنبوري، الأكحل والخابوري).

ولم ينس علاقة اللون بالإنسان فوصفه بما يغلب على لونه من الأبيض والكحلي (شديد بياض البشرة شديد سواد الشعر) والأزعر والأشقر والبركي والأسمر والدم المعزول أو الحمراني والأكحل (شديد السواد) ووصف أيضاً لون بشرة المرأة البيضاء البضة المائلة إلى الأحمر بـــ (الزبطي) وما يطرأ على البشرة من عوارض المنمش و المحرقص.

وكما اعتمد على المعروف في بيئته، امتد بصره أيضاً إلى ما كان يطرأ عليه من خارج هذه البيئة من الألوان الطارئة عليه من شعوب أخرى، فأدخلها في قاموسه، ودرجها لتصبح لوناً مستعملاً في تعابيره.

وهكذا أخذ عن التعبير الأندلسي مثلا مصطلح (الشكرناط) الذي هو في أصله محرف عن الدارجة الأندلسية (الأشقرلاط) وهي كلمة مركبة من الأشقر الموازي للأصفر واللاط الذي هو لون قلب شجرة الأرز المحمر عند الأندلسيين [3].

واستعمل مصطلح (الشكلاطي) الملحقة بالكلمة الفرنسية شوكولا. (ولون الكفاولي) المنقول عن اللغة الفرنسية أيضاً (حليب بالقهوة).

واستعمل الكاكي المنسوب إلى شجرة الكاكي التي لا وجود لها في البيئة المحلية أو في البيئات المجاورة لها.

واستعمل بعض التعابير الخاصة ببعض الموصوفات التي لم تعد متداولة الآن نحو:

لون الخابوري الذي يمكن أن تكون له صلة بلون السنبلة المصفرة حسب اللهجة الدارجة الأندلسية التي كانوا يسمونها الخابور أيضاً وكانوا أيضاً يسمون بها قطعة الخبز الكبير[4].

ولون الزيواني: الذي قد تكون له صلة بلون التبن المبلل بالمطر [5]. وقد أخبرت من قبل بعض الزملاء أن سكان الصحراء الشرقية يطلقون كلمة الزيوان على العريش المصفر الذي يحمل البلح. فيكون معنى الزيواني على هذا هو اللون الذي يشبه لون (عرجون) التمر. وهو توجيه دقيق بالنظر إلى أن تجار التمور الصحراويين

كانوا كثيري الوفود على فاس، بل كان لهم فندق يسمى باسم تجارهم (فندق التمر).

ولون الحمزي: الذي يمكن أن تكون له صلة بالمذاق الحاذق، إذ هو وصف لكل لون أصفر قوي الصفرة، أو بلون كان يلبسه شخص اسمه حمزة اشتهر به.

ولون العلجة: له صلة بأصل كلمة علج التي تعني عند المسلمين في الغرب الإسلامي طوائف النصارى، وكذلك تعني أيضا الطوائف التي دخلت في الإسلام من النصارىٰ، والمقصود تغيير المذهب أو الدين. فاستعير من فكرة التغيير تغيير اللون عن أصله فالأزرق المتغير عن لونه علجة. [6]

ولون شرقرق: الذي قد تكون له صلة بالطائر الذي يسميه المغاربة بهذا الاسم والذي يجتمع فيه السواد بالصفرة.

إن البحث في المكون والدلالة لمصطلحات الألوان لن يبلغ المدى المطلوب إلا إذا ربط بمن كان يستعمل هذه الألوان من الطبقات الشعبية، لأن وجود مترادفات في هذه الألوان وارد ولاشك، ولعل في وروده ما يفيد أن الفئات المستعملة لمصطلح لون دون الآخر كانت تتأثر بمحيطها الضيق قبل كل شيء، ثم توسعت بعد ذلك، معرفتها بالآخر لتستعمل من مصطلحاته ما يوافق مصلحتها كيفما كانت هذه المصلحة.

وهكذا، فأقرب العامة استعمالاً لمصطلحات الألوان هم الحِرَفيون، وأقرب الحرفيين إلى موضوع اللون هم مهنيو الصباغة ومن ينتفع بحرفتهم من المهنيين الآخرين، فهم الذين يستنبطون الألوان من أصولها النباتية أو المعدنية. لذلك، ربما كانت المصطلحات التي لها صلة بالنبات أو الجماد من المعادن والأتربة المختلفة هي الأقرب إلى طوائف الصباغين ومن يتصل بألوانهم من أصحاب المهن الأخرى. ويلي هذه الطبقة طبقة الفلاحين الذين لهم صلة بالمزروعات وما يتصل بها. ولعل المهنيين من تجار الثياب والخياطين والحاكة ومن في حكمهم، يستفيدون من هؤلاء وأولئك في تجميع محصول واسع من هذه المصطلحات لتشغيله في تقديم سلعهم للزبناء وتزيينها في عيونهم حتى ولو أدى الأمر إلى ابتكار مصطلحات غريبة عن بيئاتهم. وأكثر الفئات الاجتماعية إلحاحاً على التمييز بين الألوان هم النساء بحكم قوة الملاحظة التي يملكنها من جهة، وبحكم بحثهن عن التمييز والتميز في كل شيء.

أما الصيغ المعتمدة في تشكيل مصطلح الألوان في المفردات والمركبات، فالمفردات قد تهم الصيغ العربية الفصيحة، الصفة المشبهة (أفعل فعلاء)، وإن كان النطق الدارج يسعى إلى اعتماد التسهيل في المذكر والمؤنث (لبيض، لبيضا...). وقد تهم صيغة التصغير على الطريقة الدارجة في التعابير العامية القريبة من العربية كنحو صيغة فعيعل (صفيفر..) في الصفة المشبهة و (فعيعلي) في النسبة. والتصغير يكون في الغالب للتمليح. وقد تهم صيغة النسبة، وهذه تخص في الغالب الألوان المنسوبة إلى

النبات- خضراً كان أو فواكه- (الكرعي الزفزوفي الزرعي الذهبي..) وبعض الجماد (الذهبي، الفضي...) وبعض مشتقات الحيوان (اللبني، السمني، الحلبي..) وتضاف تاء التأنيث في حال المؤنث.

والمركبات: مكونة من مفردتين. والتركيب فيها إما إضافي: نحو (حب الرمان، نوار العطرشة...)، وإما وصفي نحو (لبيض الفجرة، لبيض العياط، الدم المعزول..)، وإما فعلي:(طاب ما طاب). وهذه الصيغ المركبة لا يقصد بها، ولا شك، إلا تثبيت الوصف عامة أو تثبيت خصوصية محددة فيه.

والخلاصة الأولية أن مصطلحات الألوان في التعبير الدارجي العامي الفاسي يمكن أن تقدم تصوراً تقريبياً عن فلسفة العامي في تشكيل المصطلح، حيث يتوخى الوضوح أولاً، والقرب من البيئة التي يعيش فيها عند مقاربته لمفهوم ما بواسطة التشبيه ثانياً، ويعتمد صيغ النسبة في العموم، والتركيب الإضافي والتركيب الوصفي بعد ذلك، في اعتماد بنية المصطلح ثالثاً. وقد يتخلى عن هذا حين يتعلق الأمر باعتماد صيغة دخيلة كما هو الحال، مثلاً، في مصطلحي (العلجة وشرقرق).

الهوامش

1) الإشارة هنا إلى جهود بعض علماء المعاجم الذين اهتموا برصد التعابير الدارجة وعلى رأسهم المستشرقان (دوزي وكولان..)، وكذا إلى الجهود الأكاديمية التي انطلقت في الجامعة المغربية، وخاصة في الشعب الأجنبية التي كان لها اهتمام بالمنقول الشفهي، وفي كلية الآداب ظهر المهراز بحث هام تقدمت به صاحبته (الأستاذة العالية التاقي) للحصول على شهادة الدراسات العليا في موضوع الألوان في اللغة العربية واللهجة الدارجة الفاسية. وكذلك الجهود التي يقوم بها معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ومكتب تنسيق التعريب، حيث علمت أن هذا الأخير انتهى من وضع جذاذات المواد المتعلقة بهذا الموضوع والتي تهم المدن العريقة كفاس ومراكش وتطوان وسلا... وهي جهود تسهر عليها يد أمينة عالمة.

2) لم أضمن هذا النموذج المقدم اللون، في حال التأنيث، لاعتقادي بإدراك الجميع لوجود مذكر ومؤنث في كل شيء في الغالب.

3) تكملة المعاجم العربية (النسخة الفرنسية) ر. دوزي 516/1 طبعة بيروت لبنان 1968 المنقولة عن طبعة بريل 1881.

4) نفسه: 348/1 و 690.

5) نفسه: 615/1.

6) نفسه:158/2.

المعاجم المصطلحية الحديثة:
أي فائدة لها في تعريب العلوم

د. عبد الوهاب التازي سعود(*)

تظهر أهمّية اللغة في آدابها وعلومها وإنجازاتها في مختلف ميادين حقول المعرفة؛ ويبدو هذا جليا في معاجمها وموسوعاتها التي تقدّم الصورة الواضحة لنموّها وشموليتها في وصف الواقع المعقّد والمتطوّر، مما يعكس اتصالها الوثيق وتعاملها مع كلّ أنواع المعارف والعلوم الإنسانية والعلوم الدقيقة، ويقدّم مرآة صادقة لمدى استيعابها للقديم والجديد، ومقدار مواجهتها للتحديات العلمية والثقافية في كلّ الميادين: فاللغة تعبّر عن العالم وتحتويه وتحيط به، بل تمتلكه وتوضّحه وتقرّبه إلى الناس بمعاجمها وموسوعاتها التي تحتوي على أكبر عدد من الألفاظ والمصطلحات، تلقي بها الأضواء على كل العلوم والفنون، ما هو منها تراثي وما هو جديد، وهذه شمولية تؤمّن لها مسحاً دقيقاً للمعارف والثقافات، لغةً وفكراً وأدباً وفلسفةً وعلماً وفناً.

والمصطلح العلمي يُوضع – كما لا يخفى – للتعبير عما جدّ من المفاهيم في مختلف العلوم، وما حققه العلماء من اكتشافات واختراعات وفتوح علمية في شتى الميادين؛ وذلك لإمداد مستعملي اللغة والدارسين الباحثين منهم على الخصوص بالوسائل والآليات الحديثة ليستطيعوا متابعة التقدّم العلمي والمشاركة فيه والعمل على توطينه ببلادهم ولغتهم وثقافتهم.

وقد برهنت اللغة العربية خلال تاريخها الطويل على قدرتها الفائقة لإيجاد المصطلحات المطلوبة وتوليدها بشتى الوسائل والطرق المتوافرة لديها من اشتقاق، ومجاز، وترجمة، وتعريب، ونحت، واقتراض، وغيرها. فقد كانت لعلماء العرب جهود جبارة في هذا المجال تتابعت وقويت خلال القرون، فكانت المعاجم اللغوية العامة بقسميها: معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، ومعها المعاجم التواردية الموضوعية التجانسية، وكذلك المعاجم الموسوعية التي لا تكتفي بالمعنى اللغوي للألفاظ بل يوجد فيها، أيضاً، كلّ ما يرتبط باللفظ من معلومات ومصادر ودراسات علمية خاصة، حتى صارت السجل الملخّص المركّز الشاهد على ما للأمة من آثار في العلم والحضارة عبر التاريخ.

وكانت، أيضاً، المعاجم التقنية الخاصة بالمصطلحات الدائرة بين أرباب التخصصات والمهن: في القرآن الكريم والحديث والتصوف... والطب والحيوان وغيرها كثير. ولم يتخلّف علماء العربية في العصر الحديث – على الجملة– عن سابقيهم في هذا الميدان... فقد بذلوا جهوداً جبارة تجعل اللغة العربية تساير العصر

(*) متخصص في الترجمة واللسانيات، عميد سابق بكلية الآداب بفاس.

وتطوّر العلوم لتستوعب المفاهيم الجديدة بسهولة فائقة، فبحثوا وألفوا المعاجم التي تقدّم المصطلحات اللازمة في مختلف المجالات العلمية.

ويجب الاعتراف بأن الجهود المبذولة — وإن كانت مشكورة —لم تؤت النتائج المرجوة منها، فقد تعددت المصطلحات للمفهوم الواحد؛ وكان بعضها نابياً ثقيلاً على السمع صار يُتفكّه به، بل يتّخذ مطيّة ووسيلة للاستدلال على أن اللغة العربية لا تصلح لتلقين العلوم الحديثة نتيجة لعدم قدرتها على التكيّف لتبليغ الحقائق العلمية الحديثة وتحقيق تواصل متقدّم محكم مُستوف ومستوعب للتطور العلمي والحضاري الحديث وللدخول في معمعة العولمة الكاسحة وثقافتها التكنولوجية ذات الخصائص التي لا تتوافق — كما زعموا- مع طبيعة لغتنا.

وعلى كل، فهناك عدد مهم من المعاجم والمصطلحات الحديثة التي وضعت خلال القرن العشرين واستعمل بعضها واستمر وذاع، كما في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية مثلاً؛ إلاّ أنّ تدريس العلوم الدقيقة، في الجامعات العربية، استمر باللغات الأجنبية كالفرنسية والإنجليزية بحجة مسايرة الركب ومواكبة تقدم العلوم. وفي هذا إخلال بالهوية الوطنية وخيانة للغة القومية، وأنانية وتكاسل وجهل بحقائق العلم وأصول المعرفة الإنسانية من لدن الذين اتخذوا هذا القرار الذي من نتائجه الخطيرة:

- إيجاد نخبة قليلة متعلمة متطورة، مهاجرةً علمياً وثقافياً ومستلَبةً فكرياً.
- إبقاء سواد الأمة بعيداً عن الفكر العلمي والمعرفة الرفيعة، لأنّ علماءنا لا يستعملون اللغة القومية بل يهجرونها إلى اللغة الأجنبية، بدعوى مستواها العلمي الرفيع، بينما كان يمكن —لو توافرت النيات الحسنة والهمم الدراكة والحرص على تطوير اللغة العربية وتأهيلها — أن يستعملوا لغتين: لغة أجنبية للاستعانة بها، واكتشاف العالم بواسطتها، واللغة القومية التي ستتابع حينذاك — كغيرها من اللغات— مسيرتها واتساعها وشموليتها وتطورها بواسطتهم وتحت نظرهم وبفعلهم الرصين وبحوثهم المتواصلة، علماً أنّ الإبداع في اللغة الأجنبية جدّ صعب، لأنّ الأجنبي الناطق بها لا يتمثلها ولا يندمج فيها إلاّ نادراً بعدما ينسلخ من ذاتيته ليعايش الآخرين ويتقمص كل مظاهر حياتهم ويستعير كل تصوراتهم، بل محتوى مخيلتهم العميقة؛ لذلك نرى أنه يلزم على المسؤولين في العالم العربي أن يعيدوا النظر في هذا القرار الخطير لِمَا له من نتائج وخيمة على الثقافة الوطنية التي ضعفت وهزلت ولم تعد مسايرة لتطور العصر، وأن يعملوا على إيجاد حد لما نتج عنه من إهمال للغة العربية التي همشت وأقصيت من مراكز البحث العلمي؛ ويكون هذا بالحرص على استعمالها في نفس الوقت مع اللغة الأجنبية التي يستعان بها، وإلزام المعنيين بأن ينشروا بها نتائج بحوثهم إلى جانب اللغة الأجنبية، وعدم الإنفاق على أي مشروع لا يتقيد بهذا الشرط مهما كانت أهميته؛ عند ذاك سنقول إن لنا علماء يشاركون في الحركة العلمية العامة، ويقومون في نفس الوقت بدورهم في تثقيف شعوبهم وتعليمها ورفع مستواها المعرفي والثقافي والفني، فهم مسؤولون عن ضعفه وتدنيه بهجر اللغة التي يعرفها الجميع، فلا يبقى

العلم محصوراً في طبقة صغيرة من الناس تستغله لمصالحها، وتحرم منه الآخرين الذين انتدبوهم وأنفقوا عليهم ليكونوا رواداً مخلصين لمجتمعهم ولغتهم. وبذلك ستعود للمعاجم المصطلحية الموجودة أهميتها، وستعرف التطور والحياة بعد جمود، والاستعمال والتداول اللذين لا تحيا بدونهما لغة.

وحتى لا نقع من جديد في مثل المؤاخذات والانتقادات السابقة، يجب أن يشارك في وضع المصطلح العلمي:

- العالم المبدع، المكتشف، المخترع.
- العالم اللغوي الذي يعرف اللغة وتراثها لإخضاع المصطلح الموضوع أو المعرّب لقواعد اللغة ومقاييسها، مع اعتبار آراء المستعملين حتى لا يقع منه النفور والاستهجان. وكذلك مع اعتبار الشروط العادية التي تُراعى في هذا المجال، ويتم ذلك بما يلي :
- وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد.
- تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد.
- المحافظة على المصطلحات العلمية العربية القديمة إن كانت موجودة، ومسايرة المنهج العلمي في وضعها.
- إعطاء الأسبقية للكلمة السهلة النطق والتي تسمح بالاشتقاق والتوليد.
- تفضيل الألفاظ الواضحة على الغامضة.
- تفضيل الكلمات العربية الفصيحة على الأعجمية المعربة.

المعاجم والموسوعات إذن، هي خير معيار للمستوى المعرفي الذي تبلغه الأمة الناطقة بلغتها، وما أحوج لغتنا إليها لتتابع مسيرتها التاريخية الظافرة، وما أحوجنا إلى علماء باحثين يعرفون اللغات الأجنبية الحديثة ويستعملونها في بحوثهم وأعمالهم العلمية، دون أن يهجروا لغتهم التي لن يكُون لهم ذكر إلاّ بها؛ فهي التي ستُخلّد أعمالهم لِتَعْرفهم الأجيال القادمة وتحمد لهم جهودَهُم في العلم والمعرفة.

اللغية التقنية و التعريب
– ميدان السياقة نموذجا–

د. ليلى المسعودي (*)

نسعى من خلال هذا البحث إلى معالجة موضوع الألفاظ الحضارية المستعملة في الحياة اليومية ودراسة مختلف الوسائل و الآليات اللغوية التي يستخدمها المتكلمون للتعبير عن أغراضهم في هذا المضمار. و نظراً إلى شساعة مفهوم «الحضارة " و"الحداثة" و ما يتطلب من ضبط و تركيز، فإننا سنحصر هذا البحث في ميدان السياقة وقانون السير و هو مجال يتعامل معه المتكلمون يومياً، ويستعملون وسائله باستمرار.

يتضمن هذا الحقل عدداً من الألفاظ العلمية والفنية، ولقد حرصنا على التقاطها وتجميعها من مصادر مختلفة. وكانت حصيلة هذا التدوين تكوين متن (corpus) نعتمده في هذه الدراسة و نقدم عينات منه، مشيرين إلى الوثائق المنشورة و إلى التسجيلات التي أنجزناها مع بعض المخبرين في مدينة الرباط، بالمغرب.

يعد المتن النواة الأساس لأنه المادة الخام التي يستمد البحث منها دلائله و تحليلاته. يستند المنهج المتبع إلى إجراءات تصنيفية، ميزتها الأولى أنها تنطلق من المعطيات اللغوية الواردة في المتن الذي تم اختياره، وفقاً لمقاييس علمية و موضوعية، و ميزتها الثانية أنها تسعى إلى تسطير وتفصيل الآليات الموظفة و الطرائق اللغوية المتبعة من ترجمة واقتراض و توليد. و سنجري مقارنات بين الفصيح الوارد في الوثائق والاستعمال اليومي لدى المخبرين.

و تكمن أهمية الدراسة في أننا نلمس عن قرب دور التنوع اللغوي، الكامن في الازدواجية الحاصلة مع اللهجات المحلية و الثنائية الناتجة عن التفاعل مع اللغات الأجنبية، وتأثيراته على السبل اللغوية المسخرة في امتلاك الحضارة المعاصرة، و التي اتخذنا نموذجا لها ميدان السياقة، كما سندرك المكانة الحقيقية للتعريب في هذا المجال، بالمغرب.

المتن أو المدونة:

يشتمل المتن على شق مؤلف من معطيات مكتوبة و شق آخر من معطيات مأخوذة من المنطوق.

1. المتن المكتوب:

يتضمن المتن المكتوب ثلاثة أنواع من المصادر وهي المؤلفات القانونية و المؤلفات المعجمية والمؤلفات التعليمية.

المؤلفات القانونية:

– إدريس الضحاك، قانون السير، الدار البيضاء، دار النجاح الجديدة، 1975. (إ.ض.).

(*) جامعة ابن طفيل– القنيطرة (المملكة المغربية)

- إدريس الضحاك، الوجيز في حوادث السير، الدار البيضاء، دار النجاح الجديدة، 1989(إ.ض.).

-إدريس طارق السباعي، قانون السير، الرباط، مطبعة الصومعة، 1998. (ط.س).

و ميزة هذه المؤلفات أنها تتضمن النصوص القانونية المنظمة للمرور بالمملكة المغربية.

المؤلفات المعجماتية:

قمنا بتحريات قصد الحصول على الأعمال المعجمية التي أنجزت في ميدان السياقة و قانون السير، غير أننا لم نعثر إلا على منشورين اثنين ارتأينا إيرادهما لصلتهما بالميدان الذي يهمنا و إن كانت هذه العلاقة غير مباشرة. و هذان المؤلّفان هما:

- **القاموس التقني الطرقي (عربي، فرنسي، إنجليزي)**، مديرية الطرق، وزارة التجهيز، الرباط، و معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب،1982.(ق.ط.).

و ترجم إلى العربية عن القاموس التقني الطرقي الذي أصدرته الجمعية الدولية الدائمة لمؤتمرات الطرق.

Technical Dictionary of Road Terms, by the Permanent Association of Road Congresses, (PIARC),5th edition, 1982.

و ميزة هذا المؤلّف أن المداخل المعجمية مصحوبة بالتعاريف، مما يعلل تسميته بالقاموس و ليس بالمعجم. نذكّر بالاقتراح الذي قدمناه في أعمال سابقة عن ضرورة التمييز بين القاموس و المعجم في الأعمال المعجمية.

- **المعجم العام للدرك الملكي(فرنسي- عربي)**، الرباط، معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب، 1990. (م.د.).

و هذا المعجم من إعداد لجنة مكونة من ضباط الدرك الملكي، بأمر من اللواء (الجنرال) حسني بنسليمان، و من باحثين لغويين، برئاسة الأستاذ أحمد الأخضر غزال .

المؤلفات التعليمية:

-**دليلي للحصول على رخصة السياقة**، الرباط، اللجنة الوطنية للوقاية من حوادث السير،1994.(د.س.)

و لن يفوتنا هنا أن نشير إلى الخدمات الجليلة التي تقوم بها هذه اللجنة، من حملات تحسيسية، عبر وسائل الإعلام ومن دورات تدريبية لفائدة الأطفال.

-**السياقة تربية و تهذيب**، الدار البيضاء، دار النجاح الجديدة، 1999، 128 ص. (س ت).

حظي هذا المؤلّف بموافقة وزارة النقل و يشتمل على مجموعة من المحاور، خصص واحد منها إلى رخص السياقة و أصنافها، و ثانٍ إلى "أسئلة السيارة و الأجوبة عنها"، و ثالث إلى "أسئلة الشاحنة و الإجابة عنها"، و رابع إلى "أسئلة الحافلة و الإجابة عنها"، و خامس إلى أسئلة صنف المقطورة أو نصف المقطورة ""الرموك"، وسادس إلى علامات الحذر "الانتباه" والمنع و الإلزام و الإرشاد. كما خصص جزء من هذا المؤلّف إلى لوحات تطبيقية تشير إلى حق الأسبقية و كيفية التصرف في بعض الحالات و إلى الإسعافات الأولية في الحوادث، و أخيراً إلى الأجزاء التقنية للسيارة مصحوبة بالصور.

- **الجديد في السياقة**، الدار البيضاء، دار إحياء العلوم، 1999، 136 ص. (ج س).

أما هذا المؤلّف، فإنه يشمل أيضاً مجموعة من المحاور المرتبطة برخص السياقة و أصنافها، و علامات

الحذر "الانتباه" والمنع و الإلـزام و الإرشـاد ...إلخ. ولقد أضيف ملحق يتضـمن أسـئلة باللغـة العربيـة الفصحى، و آخر بالعربية الدارجة المغربية.

و تجدر الإشارة إلى أن الملحق بالدارجـة غـير موجود في المؤلف الأول، كما أن الصياغة العربية هـي نفسها في المؤلفين المذكورين.

2. المتن المنطوق أو المقول:

يتكون هذا المتن من معطيات عملنا على جمعها من خلال لقاءات أجريناها مع مترشحين هم في مرحلة التحضير لاجتياز امتحان السياقة، وعددهم عشـرون، ذكوراً و إناثاً، تتراوح أعمارهم بين 22 و 30 سـنة، ويجيدون الكتابة و القراءة. و لقد طرحنا عليهم أسـئلة عن أجزاء السيارة و التجهيزات الضرورية بها، و ذلك بمعاينتها داخل السيارة. و الملاحظ أن الأجوبة جميعهـا أنجزت بالدارجة المغربية، عند جميع المخبرين.

و سنقدمها في الجدول الموالي، و نضع لها المقابل العربي الفصيح، الموجود بالمتن المكتوب، و المقابل باللغة الفرنسية.

المقابل باللغة الفرنسية	المقابل العربي الفصيح	الأجوبة بالدارجة المغربية
Permis	رخصة السياقة	برمي
Carte grise	بطاقة رمادية	كارط كريز
Assurance	شهادة التأمين	لاسورانس
Visite technique	شهادة الفحص التقني	لافيزيت
Batterie	البطارية	باطري
Essuie glace	ماسحة الزجاج	سويكلاص
Avertisseur (Klaxon)	منبه صوتي	كلاكسون
Frein	حَصَّار	فران
Frein à main	حَصَّار يدوي	فران أمان
Accélérateur	مُسرِّع	كسيرانور
Embrayeur	واصل	لامبرياج
Feu de croisement (code)	مصباح التقابل	كود
Feu de route (phare)	مصباح الطريق	فار
Feu de position (veilleuse)	مصباح الوضعية	فيوز
Pare brise	الزجاج الأمامي	باربريز
Pneumatique	طوق مطاطي	بنو
Roue	عَجَلَة	رويدة
Cric	مِرْفَاع	كريك
Clignotant (signal)	مُؤشِّر تغيير الاتجاه	سينيال
Compteur	عَدَّاد	كونتور
Rétroviseur	مرآة عاكسة	مرايا

و بعد هذا، نقدم عينات من المـتن، في شـقيه المكتوب و المنطوق، و سنعمل على تصنيفه إلى نوعين:

- النوع الأول، يحتوي على المصطلحات؛ أي الألفاظ التي أخضعت لعملية الضبط المصطلحي، و هي واردة في النصوص القانونية و الأعمال المعجمية المتخصصة؛

- النوع الثاني، يتضمن الألفاظ المستعملة في اللغيات التقنية و هي في غالب الأحيان ذات تداول شفهي.

3- عينات من المتن

2.1. النوع الأول:

سنختار عينات من كل المؤلفات المكونة للمتن المكتوب و نشير إليها بالرموز الواردة أعلاه بعد عناوين المؤلفات. كما سندرج المصطلح الأجنبي باللغة الفرنسية و نحيل عليها برمز Fr داخل الخانة الأخيرة في الجدول. ونقصد بعلامة (-) أن اللفظ غير وارد في أحد المؤلفات.

العينة الأولى: أنواع المركبات

Fr	س ج 1999	س ت 1999	د س 1994	م د 1990	ق ط 1982	ط س 1998	إ ض 1998
Véhicule	سيارة	عربة	عربة	مركبة	مركبة	مركبة	عربة
Charrette	عربة	عربة	عربة مجرورة بالحيوان	عربانة	(-)	مركبة	عربة مجرورة بالحيوان
Automobile	سيارة	سيارة	سيارة	سيارة	سيارة	سيارة	سيارة
Voiture	سيارة	سيارة	سيارة	عربة	سيارة	سيارة	سيارة
Autocar	حافلة	حافلة	حافلة	حافلة	(-)	حافلة	عربة نقل الأشخاص
Camion	شاحنة	شاحنة	عربة نقل البضائع	شاحنة	(-)	ناقلة	عربة نقل البضائع
Remorque	مقطورة	مقطورة	مقطورة	مقطورة	مقطورة	مقطورة	مجرورة

العينة الثانية – بعض التجهيزات الإجبارية في السيارة

Fr	س ج 1999	س ت 1999	د س 1994	م د 1990	ق ط 1982	ط س 1998	إ ض 1975
Klaxon	منبه الصوت	منبه الصوت	منبه صوتي			منبه صوتي	منبه صوتي
Essuie glace			ماسحة الزجاج			جهاز أوتوماتيكي للمسح	ممسح أوتوماتيكي
Frein	حَصَّار	حَصَّار	فرامل حَصَّار	حَصَّار	(-)	جهاز الحصر	فرامل حَصَّار
Rétroviseur	(-)	(-)	مرآة ارتدادية	عاكسة الرؤية	(-)	مرآة عاكسة	مرآة عاكسة
Clignotant			مؤشر لتغيير الاتجاه			جهاز الإعلان عن تغيير الاتجاه	منبه تغيير الاتجاه
Feux de croisement	أضواء التقابل	أضواء التقابل	أضواء التقابل	(-)	(-)	أضواء التقابل	أضواء التقابل
Feux de route	أضواء الطريق	أضواء الطريق	أضواء الطريق	فنار	(-)	أضواء الطريق	أضواء الطريق

النوع الثاني:

العينة الأولى – أنواع المركبات في المتن المنطوق

Véhicule	(-)
Charrette	كروصة
Automobile	طموبيل
Voiture	سيارة
Autocar	كار
Camion	كاميو
Remorque	رموك

العينة الثانية – بعض التجهيزات الإجبارية في السيارة (أمثلة من المتن المنطوق)

Klaxon	كلاكسون
Essuie glace	سويكلاس
Frein	فران
Rétroviseur	ريطروفيزور
Clignotant (signal)	سينيال
Feux de croisement (codes)	كود
Extincteur	طفاية د العافية
Compteur	مشير السرعة
Pneumatique	بنو
Radiateur	راديانور
Feux de route (phares)	فار

العينة الثالثة – السؤال ر قم 13 لاجتياز امتحان السياقة

يتضمن الامتحان أسئلة عامة،بالنسبة لجميع أصناف السيارات و الشاحنات، و عددها 37 سؤالاً،وتطرح على المرشحين الراغبين في اجتياز الامتحان. و نختار مثالاً منها و ندرجه في اللغة الفصيحة و الدارجة.

العربية الفصحى	العربية الدارجة
السؤال: ماذا يجب القيام به في حالة انزلاق سيارتك؟	**السؤال**: إلى زلقت السيارة، أش ندير؟
الجواب: – أتفادى استعمال الفرامل و دواسة السرعة والواصل. – أوجه السرعة نحو الجهة التي انزلقت إليها مؤخرتها إذا كانت الطريق فارغة لتصحيح مسارها.	الجواب: انقص من السرعة، انشد البواة مزيان، ما نكسيري ما انفراني ما ندبريي، هربت بي ليمن نردها الليسر، هربت بي الليسر نردها الليمن و انساعف مع السيارة حتى يشدوا الروايض فالصح و نزيد.

العينة الرابعة – بعض ألفاظ السياقة

Fr	س ج 1999	س ت 1999	د س 1994	م د 1990	ق ط 1982	ط س 1998	إ ض 1998
Permis de conduire	رخصة السياقة	رخصة السياقة	رخصة السياقة	رخصة السياقة	(-)	شهادة السياقة	شهادة السياقة

Dépassement	تجاوز	تجاوز	تجاوز	تجاوز	تجاوُز	سبق	اجتياز

العينة الخامسة –أسئلة عن وثائق السيارة

تتطرق هذه الأسئلة إلى الوثائق التي يتعين على سائقي السيارات التزود بها، و ندرج الأجوبة عنها في الجدول أسفله، نخصص العمود الأول للمعطيات الواردة في المتن المكتوب، والعمود الثاني للمعطيات الواردة في المتن المنطوق.

المنطوق	المكتوب
برمي	رخصة السياقة / شهادة السياقة
لكرط كريز	الورقة الرمادية
لاسورانس	شهادة التأمين
فزيتة	رخصة الفحص التقني
لا فنيت	الضريبة الخصوصية على السيارات

3- الإواليات المستخدمة:

بعد تفحص دقيق للمعطيات الواردة في المتن، يتبين أن الاواليات المستخدمة في النوع الثاني، أي في اللغيات التقنية، مخالفة تماماً لتلك الواردة في النوع الأول.

وسنبدأ بمعاينة النوع الأول، قصد استنباط الإواليات المستعملة فيه، و بعد ذلك ننتقل للنوع الثاني المشتمل على المصطلحات.

-الإواليات المستخدمة في اللغية التقنية.

الملاحظ أن المعطيات المنطوقة كلها ألفاظ ناتجة

عن الاقتراض المعجمي من اللغة الفرنسية،و لقد حاول المتكلمون تطويع الألفاظ المقترضة للنطق اللهجي باستبدال الأصوات مثال البيشفوية المهموسة p تصبح مجهورة ب و V تنطق ف...إلخ .

-الإواليات المستخدمة في المؤلفات المكتوبة بالفصحى.

يتبين أن المؤلفات المكتوبة بالفصحى قد توفقت، على العموم، في اختيار اللفظ الفصيح، غير أنها لا تحترم دائماً المبادئ العامة التي يتبعها واضعو المصطلحات، و على وجه الخصوص منها مبدأ التقيد بقاعدة اللفظ الواحد للمفهوم الواحد.

و فعلا لم يحترم هذا المبدأ بصرامة حيث تستعمل ألفاظ مختلفة للدلالة على المفهوم الواحد. ونسوق مثالا لذلك، الملاحظة التي أثارها إدريس الضحاك، عن المقابل العربي في النص القانوني للفظة الأجنبية véhicule حيث يقول:

"في الفصل الخامس(...)ترجمت كلمة véhicule في النص العربي بكلمة ناقلة، في حين ترجمت بسيارة، في نصوص أخرى، كالفصل الثالث عشر" (1975 ، ص 47).

ثم يضيف:

"و كلمة ناقلة لا تؤدي المعنى بالتدقيق، نظرا لمفهومها الواسع، و الأخذ به يؤدي إلى مطالبة جميع من يسوق ناقلة، مهما كان نوعها، أي حتى و لو لم تكن سيارة، بشهادة السياقة (...) و لذلك نرجح الاقتراح المذكور سابقاً و ذلك بالاقتصار على ترجمة véhicule بعربة و ترجمة automobile بسيارة و حذف استعمال كلمة ناقلة، التي استعملت في النص العربي، لتدل مرة على مفهوم و مرة على آخر، مما يؤدي إلى مشاكل قانونية متشعبة(1975، ص 55).

و يشير مرة أخرى إلى المسألة نفسها قائلاً:

"راجع النصين في الجريدة الرسمية عدد 3151 بتاريخ 21 مارس 1973، الصفحة 827 و ما يليها بالعربي في حين كان يجب استعمال كلمة عربة".

و ما يستخلص من الملاحظة، التي أبداها إدريس الضحاك، أن في النص القانوني نفسه لم تستعمل تسمية واحدة للمسمى الواحد. و تغيير اللفظ ينتج آثاراً قانونية تنعكس حتماً على الإجراءات التي يجب اتخاذها في نازلة ما.

و بعد زهاء ربع قرن على إبداء إ. الضحاك لتلك الملاحظة المصطلحية، فإننا ما زلنا نجد خلطاً في الاستعمال، مع أن هذه اللفظة تنتمي إلى شبكة مفهومية و إلى حقل معجمي يسهل ضبطه، في ضوء اقتراحات وردت في بعض المعاجم، يصبح معها الحقل متجانس المكونات متسق الأطراف و يكون على الشكل الموالي:

Véhicule	عربة/مركبة
Charrette	عربانة
Automobile/Voiture	سيارة
Voiture	
Autocar	ناقلة
Camion	حافلة
Remorque	مقطورة

وإذا قمنا بمقارنة، بين الحقل المضبوط في هذا الجدول، و المعطيات المدرجة في العينة الأولى الخاصة بأنواع

المركبات،فسنلاحظ أنها غير ثابتة و غير متجانسة و إن كانت بعض وحدات هذا الحقل تحظى بدرجة عالية من التواتر في الاستعمال المكتوب، و أيضاً المنطوق لـــدى المثقفين، و هي: سيارة و عربة وحافلة و شاحنة. أمـــا ناقلة و مركبة و مقطورة، فما زالت في مرحلة تذبذب، و قد تستقر بعد مرور فترة من الزمن.

المبدأ الثاني: تفضيل اللفظ المفرد أي المعجميـــة البسيطة على اللفظة المركبة.

المتن المكتوب	المتن المنطوق
جهاز التبريد	رادياتور
منبه صوتي	كلاكسون
منبه تغيير الاتجاه	سينيال
ماسحة الزجاج	سويكلاص
مرآة عاكسة	ريتروفيزور
مشير السرعة	كونطور
طوق مطاطي	بنو

اللفظ المفرد في المكتوب و المنطوق:

المتن المكتوب	المتن المنطوق
محرك	موطور
حَصَّار	فران
مقود	بولا
أنبوب	شاكما
حافلة	طوبيس
ناقلة	كار
سيارة	طموبيل / سيارة
شاحنة	كاميو

و ما نود الإشارة، إليه هو، أن المتن، وخاصـــة المنطوق منه، لم يخضع للمعالجة المصطلحية بل إنه ناتج عن توليد عفوي للمتكلمين، و ذلك استجابة لضـــغط عملية التواصل و تلبية لمطالبه. لذا نقترح ضرورة التمييز بين علم المصطلح Terminology و اللُّغَيَّـــة التقنيـــة Technolect.

التمييز بين علم المصطلح و اللُّغية التقنية:

يستند علم المصطلح إلى مبادئ صارمة و ضوابط ثابتة يجب التقيد بها. ولقد ذكرت المبادئ العامة لوضع المصطلح العربي، سنة 1981 حيث ألح الباحثون علـــى احترام المنهجية المسطرة و عدم الخروج عنها.

و يقتضي علـــم المصـــطلح التـــدخل المباشـــر والمقصود في اللغة بعد إرساء شجرة الميـــدان وحصـــر المفردات التي تتضمن سمات تحيل على مفاهيم داخـــل الشبكة المفهومية و الحقول الدلالية المرتبطة بها و ميادين الاستعمال الفرعية.

لا تخضع اللغية التقنية Technolect إلى عملية الضبط المصطلحي، و تسخر الوسائل اللغوية المتاحـــة، بدون تفضيل أو انتقاء، كما تســـعى إلى الاســـتجابة بسرعة لمتطلبات التواصل في السياق الفني، و تتكون في غالب الأحيان، من مجموع المعطيات و التسميات الـــتي يستعملها المتخصصون الفنيون في مجالهم.

و تتألف اللغة التقنية مـــن مجمـــوع المفـــردات البسيطة و المركبة المستعملة في مجال من المجالات المعرفية الإنسانية.

وخلاصة القول، فإن هذه الدراسة، عن الألفاظ المستعملة في ميدان السياقة و قانون السير، توضـــح أن

اللغية التقنية، في شقها الشفهي، ناتجة عن التوليد العفوي لدى المتكلمين الذين يسعون إلى تواصل وظيفي و يسخرون الوسائل اللغوية التي تتيحها اللغات عامة وخصوصاً منها الاقتراض المعجمي. أما الشق المكتوب، فإنه يخضع لقواعد الضبط المصطلحي، غير أنه قليل الاستعمال في المبادلات الشفهية، و يرتبط هذا الأمر بالحيز الكبير الذي تشغله اللغة الأجنبية في التعبير عن الوسائل التقنية و بالوضع اللغوي القائم في المجتمع العربي و الذي يتسم بتباين كبير بين العربية المكتوبة، وهي الفصحى، و العربية المتداولة في الشؤون اليومية، وهي العامية.

التقرير الختامي

في سياق الجهود الموصولة لخدمة اللغة العربية والتمكين لها، عقد مكتب تنسيق التعريب بالرباط التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بالتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية – ظهر المهراز التابعة لجامعة سيدي محمد بن عبد الله، بقاعة الندوات بعمادة جامعة القرويين بفاس في الفترة ما بين 26 و29 من أكتوبر 2000، ندوة دولية في موضوع:الألفاظ العلمية الحضارية والتراثية.

وقد افتتحت أعمال هذه الندوة بتلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم، وتلتها كلمة السيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدكتور محمد الشاد، ثم كلمة السيد مدير مكتب تنسيق التعريب الدكتور عباس الصوري، ثم كلمة السيد رئيس شعبة اللغة العربية، منسق الندوة الدكتور عبد المالك الشامي.

وقد أجمعت هذه الكلمات على تأكيد أهمية موضوع الألفاظ العلمية الحضارية والتراثية وعلى ضرورة مواصلة الجهود لتحقيق هذا المشروع العظيم، وعلى شكر المشاركين في هذه الندوة والقائمين عليها جميعاً.

وقد حضر الندوة نخبة من العلماء المميزين بخبرتهم الواسعة وعلمهم الغزير من المغرب ومن عدد من الأقطار العربية الشقيقة: من سورية ومن العراق ومن مصر ومن تونس ومن الجزائر.

عُقدت الجلسة الأولى برئاسة الدكتور الشاهد البوشيخي، وفيها قُدِّم بحثان البحث الأول للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بعنوان "الألفاظ التراثية والتعريب في عصرنا الحاضر"، وقد استهل فيه الحديث على أن الرجوع إلى التراث في القرن الماضي للبحث عن مقابل عربي لمفهوم حديث كان أمراً مطرداً. ودعا إلى عدم الالتفات إلى ما يزعمه اللسانيون التاريخيون و البِنْيَويُون من أن التدخل في اللغة غير مفيد، فقد تبين أنه لولا النحاة العرب لما كان للغة العربية أي أثر اليوم. أما الدخيل فيجب ألا يكون فيه تفريط ولا إفراط ، فإن الكلمة إذا كان لها هالة من النفوذ فلا سبيل إلى معارضتها. أما البحث عن المقابل العربي للمفهوم الحديث فينبغي أن يبتدئ الواضع بالبحث عنه في التراث ويتحقق من وجود مفهوم قريب من المفهوم المحدث، وإلا فالاشتقاق وغيره من وسائل الوضع. ويجب أن يكون على علم بقوانين الاستعمال لأنها مغايرة لقوانين اللغة في ذاتها، أما البحث عن المقابل في التراث فلا بد أن يلجأ فيه إلى الوسائل التكنولوجية في أحدث صورها ولا يتصور أن يبقى على ما هو عليه فردياً حرفياً اعتباطياً في عصر الحواسيب والأقمار الصناعية. وهذا ما دعاه إلى اقتراح المشروع المسمى بالذخيرة اللغوية العربية، والمقصود منه هو إنشاء بنك آلي من المعطيات النصية يحتوي على أهم ما حُرِّر باللغة العربية أو نطق بها، مما له قيمة، وما سينتجه الفكر العربي على مرّ

السنين. ويمكن أن يحصل أي باحث، في أي مكان في العالم وفي أي وقت وبسرعة عجيبة، على ما يبحث عنه من المصطلحات والكلمات الحضارية القديمة والحديثة مع كل السياقات التي وردت فيها، إن أراد ذلك، وذكر المرجع. وقد تبنّى هذا المشروع اتحاد المجامع العربية والأليكسو دون أن يتم إنجازه.

وأما البحث الثاني فقدمه الدكتور الحاج بن مومن، بعنوان: " بعض النماذج المصطلحية من لغة التواصل".

وتناول فيه بعض الجوانب اللغوية المستعملة داخل ميدان التواصل، باعتبارها لغة من لغات التخصص و بحكم انتماء معجمها إلى دائرة الألفاظ الحضارية المستعملة في الحياة اليومية. وبعد التذكير بأهم المفاهيم النظرية المرتبطة بلغات التخصص، تم تفحّص بعض الجوانب اللسانية في مجال التواصل ، ومعاينة تفاعل المصطلحية العربية مع المفاهيم الأجنبية الحديثة عبر أمثلة منتقاة من لغة الإشهار وأخرى من لغة " الإنترنيت". وركز البحث على اقتراح بعض النماذج المصطلحية التي يمكن اعتمادها تذليلاً لبعض الصعوبات الترجمية التي تعوق تمرير الخطاب التواصلي وهذه النماذج تروم:

- فهم تركيبة المولدات العلمية والتقنية.
- إخضاع المصطلحية للضوابط اللغوية.
- المساهمة في ضبط برمجيات معلوماتية تساعد على التعرّف على الوحدات المصطلحية وانتقائها عن طريق المسح الإلكتروني لبنوك المعطيات النصية.
- إعداد صُنافات من التعابير الجاهزة وإدراجها ضمن برمجيات الترجمة الآلية للرّفع من فعالية هذه الأخيرة... إلخ.

وقد تفضل الدكتور محمد توفيق الرخاوي بالتعقيب على البحثين السابقين، حيث أكد أهمية المدرسة ووسائل الإعلام في إشاعة اللفظ العربي المناسب، وألح على ضرورة إعادة تقويم التراث المصطلحي العربي في ضوء ما استجد من معطيات علمية حديثة ضارباً بعض الأمثلة على ذلك، كما بيّن الجدوى من اتباع سياسة التدرج في تطبيق التعريب، موضحاً بالأمثلة ما تتميّز به اللغة العربية من غنى وقدرتها الواسعة على الاستجابة لكل الحاجات العلمية خاتما بالثناء على جهود الباحثَيْن وحماسهما الصادق.

وعُقدت الجلسة الثانية برئاسة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، وفيها قُدم بحثان: أولهما للدكتور أحمد شحلان بعنوان:

" مصطلحات النقد الأدبي العربي القديم في كتاب "المحاضرة والمذاكرة" لموسى بن عزرا، وانتقالها إلى اللغة العبرية الحديثة مدلولاً واصطلاحاً"

وقد بدأ الباحث بتقديم كتاب المحاضرة والمذاكرة لموسى بن عزرا (ق 11) وعَدَّه خلاصة تلاقح حضاري جمع بين المعارف الإغريقية وهي في أوجها ونضجها، والفكر العبري بعد أن أخذ عدَّته وزاده من جماع المعارف المشار إليها.

كما سعى في أن يجد في هذا المجهود معالم طريق يمكن أن نسير على هديها لعلنا نكتشف أسرار تطور المصطلح وأسباب شيوعه أو خُبُوِّه، خاصة في علوم

المنطق والبلاغة والإبداع الأدبي، شعراً ونثراً، بدءاً من استعمال الدخيل كما هو إلى أن يصير لفظاً عربياً فصيحاً تزول غربته وتختفي عجمته.

وخَلُص إلى أن نص كتاب المحاضرة والمذاكرة، يمثل في بحثه الأساس والهدف باعتباره نصاً عربياً عبرياً غير معروف بالقدر الذي يجب، ويمثل الوسيلة والوسيط باعتباره يقع تاريخاً، في منتصف طريق مسار الحضارة في الغرب الإسلامي، وهو أخيراً يمثل وسيلة من خلالها نتتبع النهج الذي نهجه المترجم العبري اليوم، وهو يتعامل مع عمل تراثي قديم، ووراءه بحر زاخر هو اللغة العربية وكل علومها الأصيلة والعلوم التي تبنتها، بلغة هي في أصلها فقيرة لفظاً، وبعيدة عن مفهوم العلوم الذي ينظر فيه، ثقافة ومشاعرَ.

وقدم البحث الثاني الدكتور الشاهد البوشيخي بعنوان: "نظرات في قضية المصطلح العلمي التراثي" وقد استهله ببيان أن المصطلح العلمي التراثي لا يزال قضيةً، لارتباطه بقضية التراث عامة، وعلاقته بظروف الأمة. ثم فرع نظراته إلى: نظرة في مفهوم المصطلح العلمي التراثي انتهت إلى تحديده، ونظرة في موجبات الاهتمام به، وهي ثلاثة: موجب لغوي، وموجب علمي، وموجب حضاري.

ونظرة في تحديات المصطلح العلمي التراثي، وتختصر في معضلة النص التراثي: إعداداً وتكشيفاً وتعريفاً ودراسةً.

ونظرة في شروط الاستفادة منه، بالعلم به أولاً، وفهمه ثانياً، وإعماله ثالثاً.

ونظرة في واقع الاهتمام به، مؤسسات وأفراداً.

وقد ختم الباحث بالوقوف عند مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية التراثية، معرفاً به وبمراحل إنجازه، وبآفاق العمل فيه.

وعُقدت الجلسة الثالثة، برئاسة الدكتور نشأت الحمارنة، وفيها قدمت أربعة أبحاث، كان أولها للدكتور محمد رشاد الحمزاوي، وعنوانه: " المصطلح العربي الحضاري والتراثي، قضايا ومقاربات"

حيث اعتبر الموضوع موضوعاً حديثاً، يمكن أن يكون مدعاة للمقارنة ومنها للمفاضلة أو المصالحة أو التواصل، مما يفترض أن تسلط على الميدانين نظرة وصفية تاريخية نقدية من خلال عينات ميدانية.

وأوصى، في هذه الدراسة، بأن يُعنى في الحالتين بوضع مدونتين (corpus)مكتملتين شاملتين علميتين، من خلال دراسات ميدانية، بغية تحليلها والاستفادة منها سواء بتوظيف المصطلح التراثي، توظيفاً حديثاً، أو بتطبيق منهجية التقييس لاستخراج المصطلح الحضاري الموحد المقيّس.

أما البحث الثاني فقدمه الدكتور علي القاسمي بعنوان :

"ماهية ألفاظ الحضارة: هل هي كلمات عادية أم مصطلحات تقنية؟ "

وقد عرض فيه الباحث خصائص المصطلح التي تميزه عن الكلمة، ودقق في الفروق بينهما ولاحظ أنه على الرغم من هذه الفروق بين الكلمة والمصطلح، فإن

اللغويين والمصطلحيين يتقبلون أن الكلمة والمصطلح هما من ألفاظ اللغة، وأنه يمكن تقسيم اللفظ إلى عام و خاص، الأول يستخدمه عامة الناس والثاني يتداوله العلماء والتقنيون والمختصون.

وانطلاقاً من هذا التقسيم يخلص الباحث إلى أن اللفظ الحضاري هو لفظ خاص عام؛ خاص لأنه يشغل موقعاً محدداً في حقل مفهومي واحد، وعام لأن استعماله شاع بين الناس لاتصاله بمفهوم من مفاهيم حضارتهم المشتركة.

ولهذا فإن تسميات المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والإدارية، وتسميات الملابس والمأكولات ووسائط النقل والوسائل السمعية البصرية، وتسميات النقود، وكل مصطلح علمي يتصل بالحياة العامة للناس يدخل ضمن ألفاظ الحضارة.

أما البحث الثالث فقدمه الدكتور عبد الوهاب التازي سعود بعنوان: "المعاجم المصطلحية العربية الحديثة، أي فائدة لها في تعريب العلوم؟".

وقد تعرض فيه لواقع المصطلح العلمي العربي وما يشهده من ارتباك، داعياً إلى ضرورة إشراك اللغوي إلى جانب العالم المختص في ميدان معين أثناء وضع مصطلح عربي لمفهوم علمي دون غض الطرف عن رأي المستعملين. كما بين أن التراث العربي لا يمكن الاستفادة منه إلى أقصى الحدود إذا تم النظر فيه من خلال النظريات الحديثة، مُلحاً على أهمية استعمال المصطلحات العلمية العربية في الجامعات، داعياً العلماء إلى القيام بدورهم في تعليم الشعوب العربية وتثقيفها.

ثم تحدث عن وجوب إعادة النظر في التعريب، حيث أوضح أن التعليم بالعربية لا يعارض تعلم لغة التفتح، خاتماً بالدعوة إلى مد الجسور بين المعاجم الاصطلاحية وبين النصوص التي وردت فيها المصطلحات.

أما البحث الرابع فقدمه الدكتور عبد المالك الشامي بعنوان "مصطلحات الألوان في الدارجة الفاسية، قراءة في المكوّن والدلالة".

وقد اهتم هذا الموضوع بمحاولة التنبيه إلى وجود معجم عامي هام يمكن أن يستشار في موضوع أسلوب العامة في تكوين المصطلح. ورغم أن جهوداً مهمة للغويين والمعجميين قد بذلت في هذا الباب إلا أن العودة إلى الموضوع إنما تفرضه الظرفية التي تحتم العودة إلى المصطلح المستعمل في العاميات للاستئناس به في ترتيب الاختيارات الأساسية عند وضع المصطلح.

وعقدت الجلسة الرابعة برئاسة الدكتور محمد رشاد الحمزاوي، وفيها قُدمت أربعة أبحاث، أولها بحث الدكتورة رتيبة الصفريوي بعنوان " اللغة المتداولة في الميدان البيداغوجي"

وفيه تناولت الباحثة استعمال اللغة المتداولة في الميدان البيداغوجي، من خلال التعريف بالرصيد اللغوي، الفرنسي والعربي، والوقوف عند معنى اللغة الوظيفية في المنظور الفرنسي خصوصاً، معتمدة نماذج من التعليم الأساسي، وطبيعة اللغة المستعملة.

وقد حاولت الباحثة استخلاص ما إذا كانت المنهجية المتبعة في كل من المؤلَفَيْن مطابقة لطبيعة اللغة

المستعملة، وكافية لتحصيل اللغة الأساسية، المؤهلة للتعبير والتبليغ والتواصل، ومن جهة أخرى، مقارنة المنهجية المعمول بها في كل من اللغتين العربية والفرنسية.

كما تطرقت الباحثة إلى عدة مشاكل، ومنها:

- مشكل تلقى المعاجم والمفاهيم.
- مشكل الترجمة .
- مشكل التحصيل والتبليغ.
- مشكل المصطلح العلمي وانتمائه للغة العلمية.
- مشكل بناء المصطلح وكذا مشكل التطبيق الميداني.
- مشكل استعمال القواميس –مدخلاً ووظيفةً–

وانتهت إلى أن هذه المشاكل تخص المتعلم في النظام التعليمي المزدوج وتنم عن:

- عدم قدرته على استعمال اللغة العامة لشرح المصطلحات العامة والخاصة.
- عدم معرفة وسائل التعامل مع خصوصيات اللغتين: العربية والفرنسية، وهذا ما يؤدي إلى عدم التمكّن منهما معا.

وقدم البحث الثاني الدكتور عبد اللطيف عبيد بعنوان: "دور التراث العلمي واللغوي في وضع المعجم العربي الحديث المختص".

وقد سعى هذا البحث إلى تعرف مفهوم ألفاظ الحضارة في اللغة العربية الحديثة والمعاصرة انطلاقا من الأعمال النظرية والتطبيقية التي أنجزتها جهات عربية عديدة جماعية وفردية (مجامع اللغة العربية، أعلام في الأدب واللغة: الرصافي، محمود تيمور...)، وإلى اقتراح مفهوم دقيق وموّحد لهذه الألفاظ يميزها عن المصطلحات العلمية والتقنية ويخصصها لشؤون الحياة المنــزلية والاجتماعية والمدنية، كما سعى إلى تتبع نشأة هذه الألفاظ وتطورها منذ مطلع القرن التاسع عشر، وإلى دراستها في واقعها الراهن بالتركيز على ما فيها من فوضى ودخيل ومشترك دلالي وقُطرية/إقليمية وترادف، وإلى استشراف مستقبلها واقتراح بعض الحلول الكفيلة بتطويرها لتكون قسماً مندمجاً في العربية الفصيحة المشتركة الموّحدة، وفي مقدمتها تأسيس مرصد يحصرها ويقيسها ويُثْرِيها بانتظام.

وقدمت البحث الثالث الدكتورة ليلى المسعودي بعنوان: "الألفاظ المستعملة في ميدان السياقة وقانون السير بالمغرب"

وقد عالجت فيه موضوع الألفاظ الحضارية المستعملة في الحياة اليومية وقامت بدراسة مختلِف الوسائل والآليات اللغوية التي يستخدمها المتكلمون للتعبير عن أغراضهم في مجال معين، يتعامل معه المتكلمون يومياً، ويستعملون وسائله وهو ميدان السياقة وقانون السير. يتضمن هذا الحقل عدداً من الألفاظ العلمية والفنية، حرصت الباحثة علىالتقاطها وتجميعها من الوثائق المكتوبة المتداولة في الوكالات المخصصة

لتعليم السياقة، كما استقت معطيات أخرى من خلال تسجيل المقول – أو المنطوق اليومي.

يستند المنهج المتبع إلى إجراءات تصنيفية، ميزتها الأولى أنها تنطلق من المعطيات اللغوية الواردة في المتن الذي تم اختياره، وميزتها الثانية أنها تسعى إلى تسطير وتفصيل الأوليات الموظفة والطرائق اللغوية المتبعة من ترجمة واقتراض وتوليد، مع عقد مقارنات بين الفصيح الوارد في الوثائق والاستعمال اليومي لدى المخبرين.

وبينت الباحثة دور التنوع اللغوي –الكامن في الازدواجية الحاصلة مع اللهجات المحلية والثنائية الناتجة عن التفاعل مع اللغات الأجنبية – وكذا المكانة الحقيقية للتعريب في الاستعمال اليومي في هذا المجال بالمغرب.

أما البحث الرابع فقدّمه الدكتور ابراهيم الخطابي بعنوان "تنمية الألفاظ الحضارية"

وقد عالج الباحث فيه إشكالية الألفاظ الحضارية والتراثية في إطار منهج جدلي يأخذ في الاعتبار الطرح الداخلي الذي يتناول اللفظ كبنية أساسية بخصائصها الصرفية والتركيبية والصوتية والدلالية من جهة، ومن جهة أخرى، الطرح الخارجي الذي يربط اللفظ التراثي بمحيطه الخارجي الذي يساهم في تحقيق إثراء اللغة ومعجمها بانفتاحه على كل المتغيرات الاجتماعية والعلمية.

وكل ذلك يدفع إلى زيادة الاهتمام باللغات المحلية التي تمثل، رغم تقلص دورها في الماضي، جزءاً من إرث ثقافي تجدر العناية به لإغناء المعجم العربي المعاصر وتقليص الفارق بين اللغة المعيارية والعاميات العربية.

وعقدت الجلسة الخامسة برئاسة الأستاذ عبد الرحمن مجيد الربيعي، وفيها قدمت أربعة أبحاث، أولها للدكتور أحمد مطلوب بعنوان: " نحو مصطلحات عربية"

وقد استعرض الباحث فيه بعض وسائل تنمية اللغة العربية مثل : الترجمة، والتوليد، والاقتراض، والنحت... وحدد مفهوم كُلّ من هذه الوسائل، قديماً وحديثاً. مبيناً أن الترجمة هي إحدى وسائل وضع المصطلح العربي. وأشار إلى بعض تجارب المجامع اللغوية والعلمية العربية في هذا المجال، منبهاً إلى أن الإتيان بجملة أفضل من الإبقاء على الكلمة الأجنبية [ومثال على ذلك إقرار المصطلح:شبكة المعلومات العالمية، بدلاً من : الإنترنت] وبالنسبة إلى التوليد، أشار إلى أنه لا يقصد به المعنى الأدبي القديم، وإنما نَقْلُ دلالة كلمة من معنى قديم إلى معنى جديد. ثم تحدث عن الاقتراض وقال إنه من أسهل وسائل وضع المصطلح، لكن يجب الانتباه إلى خطورته على اللغة.

ولذلك، فإنه لا يدعو إليه لأنه يفسد اللغة ويجعلها غريبة مقطوعة الصلة عن جذورها. وتحدث في الأخير عن النحت، وقال إنه أبشع من كل الوسائل المشار إليها، والتعبير بسطر خير من اللجوء إلى النحت، فاللغة العربية لا تقبل الإلصاق والنحت لأنها لغة اشتقاقية وليست إلصاقية.

والبحث الثاني قدّمه الدكتور عز الدين البوشيخي بعنوان " مشروع معجم ألفاظ الحضارة، مُحدِّدات نظرية ومنهجية "

وقد سعى هذا الباحث إلى الكشف عن العلاقة القائمة بين ما يستعمله المتكلم من ألفاظ الحضارة والطريقة التي يستعملها، وبين كيفية إدراكه للعالم وتنظيم تجربته فيه، متصوراً أن مشروعاً من هذا القبيل سيكتسي أهمية خاصة إذا قام على أساس وعي تلك العلاقة وما يترتب عليها.

وعمل على بيان أن خطر فشل مشروع معجم ألفاظ الحضارة قائم في حصول أي ارتباك في تصور موضوعه أو منهجه أو الأهداف المتوخاة منه.

واقترح قبل الشروع في إنجازه بصورة مُثلى، الانضباط بضوابط نظرية ومنهجية محددة وواضحة.

والبحث الثالث قدّمه الدكتور عبد الغني أبو العزم بعنوان:" الاصطلاح والترجمة، الألبسة العربية نموذجا"

وقد تناول الباحث فيه إشكالية ترجمة الأسماء الحضارية الخاصة بالألبسة العربية إلى اللغات الأجنبية، لكونها تكتسي طبيعة حضارية، مبيناً أن منها ما يظل ثابتاً، ومنها ما يندثر ويختفي أو يتم إحياؤه، ومنها ما يخضع للتطور، ومنها ما يتداخل مع حضارات أخرى، وهي في جميع الحالات تطرح إشكالاً لغوياً يرتبط بأشكالها وأنواعها في سياق تطورها وتنوع صناعتها أو ما يتم اقتباسه أو تبنّيه من ملابس لحضارات أخرى.

وذكر الباحث أن ما يميز الألبسة العربية في مراحلها الأولى هو التنوع في أشكال اللباس الواحد، وهذا ما جعله يقدم تصنيفاً معجمياً لأشكالها وأنواعها، عرضه في ثلاث دوائر كبرى :

1) الرأس. 2)القامة من الكتفين إلى الكعبين. 3) القدمان ودوائر صغرى.

وسعى الباحث، في هذا الصدد،إلى الوقوف على دقة الاصطلاح أو عدمها فيما يخص ترجمة العديد من المصطلحات الخاصة باللباس إلى أي لغة أجنبية وما ينتج عن ذلك من إشكال مصطلحي.

وقدّم البحث الرابع الدكتور نشأت الحمارنة بعنوان: "ألفاظ التراث والحضارة، ألفاظ الطب نموذجا"، وقد دار، في معظمه، على مناقشة النظرية السائدة عند مؤرخي الطب، وهي تزعم أن الطب العربي هو مجرد نسخة للطب اليوناني، نقل العرب ما فيه عن طريق الترجمة التي بدأت في عصر المأمون.

وقدّم عدداً من الدلائل التي تبطل هذا الزعم، استناداً إلى ترجمات وأعمال علمية موثقة، وبيّن أن قسماً كبيراً من المصطلحات كان قد ظهر قبل عصر بيت الحكمة، مستشهداً بعدد من المخطوطات الطبية. ثم انتقل إلى استعراض نماذج من المصطلحات الطبية، ومنها أسماء الأشغال الصيدلانية للأدوية ومن جملتها أدوية العين، وأسماء الأمراض، والأعراض، والدلائل، والأدوات الجراحية... إلخ.

وقد تميزت أعمال هذه الندوة بنقاش غني وعميق مثمر مَكّن من إثارة أهم القضايا ومعالجتها من زوايا مختلفة.

وقد كان للروح العلمية الرفيعة التي سادت بين المشاركين، في فضاء متميز، كبيرُ الأثر في النجاح الذي

لقيته، >وفي الصدى الطيب الذي خلفته في نفوس الحاضرين.

وقد أسفرت أعمال هذه الندوة عن عدد من التوصيات، نجملها كالآتي:

1- دعوة مكتب تنسيق التعريب إلى تكثيف الجهود، بالتعاون مع المجامع اللغوية والعلمية العربية ومؤسسات البحث المصطلحي في الوطن العربي، بغية تكشيف المصطلح العلمي التراثي وفهرسته ودراسته وتمحيصه، ووضع منهجية محكمة لاستثماره في وضع المعاجم المتخصصة، حتى لا تحدث قطيعة بين ماضي المصطلح العربي وحاضره.

2- دعوة مكتب تنسيق التعريب والمجامع اللغوية والعلمية العربية والهيئات والمنظمات التعليمية والعلمية والثقافية في الأقطار العربية إلى القيام بالمزيد من الأبحاث والدراسات الخاصة بالمصطلح العربي، عموماً، والألفاظ العلمية الحضارية والتراثية، خصوصاً، لما لهذه الألفاظ من أهمية في حياتنا اليومية.

3- دعوة الجهات المختصة في الوطن العربي إلى دعم مشروع الذخيرة اللغوية الذي أعده الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، والاستجابة لدعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لإيجاد الدعم المادي لتحقيق هذا المشروع الضخم.

4- إنشاء مرصد عربي لألفاظ الحضارة في اللغة العربية الحديثة يستقرئ هذه الألفاظ ويصنفها ويستكملها وينسقها بهدف وضع معجم موحد في ألفاظ الحضارة العربية الحديثة، ويكون مكتب تنسيق التعريب – بحكم المهام الموكلة إليه – الجهة الساهرة على هذا المرصد، بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العربية، والمراكز اللغوية والبحثية، وسائر المعنيين بالموضوع.

5- إنشاء لجنة فنية دائمة لـــ "معجم ألفاظ الحضارة العربية الحديثة" في نطاق "المرصد العربي لألفاظ الحضارة في اللغة العربية الحديثة" المقترح.

6- دعوة الجهات المعنية وفي مقدمتها أجهزة الإعلام الجماهيرية ووزارات التربية إلى استخدام المصطلحات الموحدة الصادرة عن مؤتمرات التعريب، والألفاظ الحضارية التي أقرتها بعض المجامع العربية، تجنباً للفوضى والتشتت وحمايةً للغة العربية من التجزئة.

7- دعوة الجهات العربية المختصة إلى تخصيص الأموال اللازمة للبحث العلمي والاستفادة من التقنيات الحديثة، لوضع برمجيات حاسوبية، تساعد على مسح التراث العربي واستخراج المصطلحات بمعانيها المقصودة لا بمعانيها الموضوعة. والعمل على إنشاء محطة لليقظة المصطلحية على شبكة الاتصالات العالمية «الإنترنيت" لترقب مستجدات ألفاظ الحضارة وترجمتها في حينها وتخزينها داخل موقع خاص على «الإنترنيت" في شكل نصوص علمية وتقنية أو صُنافات أو معاجم افتراضية يسهل الوصول إليها واستغلالها من قِبَل المبحِر العربي.

8- تثمن الندوة جهود معهد الدراسات المصطلحية بفاس (المغرب) المتمثلة في الشروع في إعداد المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية التراثية، وتدعو الجهات العربية المختصة – على المستويين القُطري والقومي – إلى دعم هذا المشروع الهام مادياً ومعنوياً.

9- دعوة الجهات المختصة العربية إلى وضع معجم الأصول العُروبية للغة الضاد لأهميته العظيمة وفائدته الجليلة في دراسة اللغة العربية وتأصيل ألفاظها الحضارية ومصطلحاتها العلميّة، ومباركة الجهود التي يبذلها الباحثون والجامعيون العرب في هذا المجال.

10-إدراكاً من الندوة لأهمية توحيد الألفاظ الخاصة بقانون السير، وفي ضوء البحث الذي ألقي بهذا الخصوص، تدعو الندوة الوزارات المختصة في الوطن العربي، بالتعاون مع مكتب تنسيق التعريب، إلى العمل على توحيد هذه المصطلحات لما لذلك من انعكاسات إيجابية على سلامة المواطنين وصيانة حقوقهم.

11- الدعوة إلى تشجيع إنجاز الأبحاث والدراسات الميدانية التطبيقية في مجالات الحِرَف والصناعات التقليدية ومكونات البيئة، في الوطن العربي، ووضع أطَالِسها اللغوية، واستثمارها في الدراسات التاريخية والحضارية، وفي وضع المعجم الحضاري والعلمي والتقني.

12- الدعوة إلى الانصراف عن وصف " اللغة العربية المنطوقة " بأوصاف توحي بالتحقير أو الدونية، كوصفها بالعامية، وإنْ أردنا تمييزها عن غيرها، فلنقل: العربية الدارجة.

13- دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى التدخل لدى الجهات العربية المختصة من أجل سن تشريعات واستصدار قوانين للمحافظة على سلامة اللغة العربية، وربط ماضيها بحاضرها، و رسم سياسة لغوية تضمن لها مواكبة العصر.

14- تحيي الندوة النقلة الكبيرة التي عرفتها أعمال مكتب تنسيق التعريب هذه السنة، المتمثلة في طبع ونشر العديد من المعاجم الموحدة الصادرة عن مؤتمرات التعريب، وتأسيس بنك مصطلحات مما سيساعد على تخزين المصطلحات ومعالجتها واسترجاعها والاستفادة منها، وتدعو بهذه المناسبة إلى تقوية دعم المكتب مادياً ومعنوياً ليتمكن من الاستمرار في تأدية رسالته القومية على أكمل وجه.

15- يغتنم المشاركون في الندوة هذه المناسبة للتعبير عن شكرهم وتقديرهم لمكتب تنسيق التعريب بالرباط، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بظهر المهراز بفاس، التابعة لجامعة سيدي محمد بن عبد الله، على تنظيم هذه الندوة الهامة وما أحيط به المشاركون فيها من حفاوة وتكريم، آملين أن يتكرر هذا النوع من اللقاءات، لما فيه من فائدة للغتنا العربية ونهضتنا العلمية والحضارية المنشودة.

قائمة

المشاركين في ندوة:

" الألفاظ العلمية الحضارية والتراثية"

فاس : 26-28 أكتوبر 2000

الرقم الترتيبي	الاسم الكامل	الوظيفة	العنوان	أرقام التواصل
1	د. عبد اللطيف عبيد	أستاذ جامعي	المعهد العالي للغات (تونس)	هـ: (مكتب) 00216-1-799660 هـ: (منزل) 00216-1-755087 فاكس:00216-1-770134
2	د. محمد رشاد الحمزاوي	أستاذ جامعي	نهج عزوز الرباعي، زنقة 5، المنار الثاني تونس	هـ: (مكتب) 00216-1-882093
3	د. عبد الرحمن الحاج صالح	أستاذ جامعي ومدير مركز البحوث العلمية في اللغة العربية	دالي إبراهيم – العمرانية فيلا 57- الجزائر	هـ: (مكتب) 2132-941238 هـ: (منزل)2132-919255 فاكس: 941238
4	د. نشأت الحمارنة	أستاذ جامعي	ص.ب: 60006- دمشق	هـ: (مكتب)3334169 هـ: (منزل)3111228(96311)
5	د. أحمد مطلوب أحمد الناصري	أمين المجمع العلمي العراقي	ص.ب: 4023- الأعظمية – بغداد-	هـ: (مكتب) 4228590 هـ: (منزل) 555583
6	أ. عبد الرحمن مجيد الربيعي	إطار متقاعد في وزارة الثقافة التونسية	ص.ب: 139 باردو 2000 تونس	هـ: (مكتب) 894795 هـ: (منزل) 223372 فاكس: 223372
7	د. علي القاسمي	خبير في المعجمية والمصطلحية	372 زنقة الدار البيضاء، شاطئ الهرهورة – تمارة	هـ:(مكتب) 772422(037) هـ: (منزل) 610058 (037) فاكس:610058 (037)
8	د. محمد توفيق الرخاوي	أستاذ جامعي	3 اسكندر الأكبر – مصر الجديدة – القاهرة	هـ:(مكتب) 2433545 هـ: (منزل) 2903070 فاكس: 2458595
9	أ. إبراهيم الخطابي	أستاذ باحث	20 زنقة القلصادي- أكدال- الرباط	هـ: (مكتب)037777309 هـ: (منزل) 037686275

10	د. أحمد شحلان	أستاذ جامعي	11، زنقة أكاسيا – حي الرياض الرباط	هـ : (منزل) 771625 (037)
11	د. الحاج بن مومن	أستاذ جامعي	ص.ب: 4768- الرباط- العكاري	هـ: (منزل) 037690733
12	د. رتيبة الصفريوي	أستاذة جامعية	حي ابن سينا – عمارة 6- شقة 18- الرباط	هـ: (مكتب) 78-42-77-037 هـ: (منزل)84-32-77-037 فاكس: 42-13-77-037 (212)
13	د. الشاهد البوشيخي	أستاذ جامعي	ص.ب: 50- فاس	هـ: (مكتب) 055640843 فاكس: 055640844
14	د. عبد الرحيم الرحموني	أستاذ جامعي	ص.ب: 1604- الأطلس - فاس	هـ: (منزل) 055600217
15	د. عبد العلي حجيج	أستاذ جامعي	61 شارع عثمان بن عفان / شقة 2- الدكارات – فاس	هـ: (مكتب) 055640843 هـ: (منزل) 055652948 فاكس: 055640844
16	د. عبد الغني أبو العزم	أستاذ جامعي	49 مكرر- شارع شالة – الرباط	هـ:(مكتب) 037703790 هـ: (منزل) 037733335 فاكس: 037736709
17	د. عبد المالك الشامي	أستاذ جامعي	15 شارع أبي بكر الصديق – فاس	هـ (مكتب) 055640843 هـ:(منزل) 055623095 فاكس:055640844
18	د. عبد الوهاب التازي سعود	أستاذ جامعي	558- شارع الأدارسة - فاس	
19	د. عز الدين البوشيخي	أستاذ جامعي	إقامة ابن سينا 1، عمارة دال 1 رقم 7 م ج – مكناس	هـ: (مكتب) 055536869 هـ: (منزل) 055524056
20	د. العياشي السنوني	أستاذ جامعي	كلية الآداب – ظهر المهراز – فاس	هـ: (مكتب) 055640843 فاكس: 055640844
21	د. فوزي بوزوبع	أستاذ جامعي	39 عرصة الأندلسي – باب الجديد - فاس	هـ: منزل) 055636497
22	د. ليلى المسعودي	أستاذة جامعية	ص.ب: 5060 – الرباط	هـ (مكتب) 372204
23	د. محمد الدحماني	أستاذ جامعي	شارع الوحدة، زنقة الكرز 2 رقم 12 – نرجس (ب) فاس	هـ: (055656161)
24	أ. إسلمو ولد سيدي أحمد	خبير في مكتب تنسيق التعريب	ص.ب: 290- الرباط	هـ: (مكتب) 772422(037) فاكس: 772426(037)

اللجنة التنظيمية

الاسم الكامل	العنوان	أرقام التواصل
محمد سالم الحبش	ص.ب: 290- الرباط	هـ: (مكتب) 037772422
محمد أفسحي	ص.ب: 290- الرباط	هـ: (مكتب) 037772422
السيدة أمينة الرياحي	ص.ب: 290- الرباط	هـ: (مكتب) 037772422
حسن العلوي	ص.ب: 290- الرباط	هـ: (مكتب) 037772422
عبد العزيز بنعياد	ص.ب: 50- فاس	هـ: (الكلية) 055640843
محمد مكرح	ص.ب: 50 - فاس	هـ: (الكلية) 055640843
وفاء بوقايدي اغزاوي	ص.ب: 50 - فاس	هـ: (الكلية) 055640843

III - خـــــاص

بأعمال مؤتمر التعريب العاشر

المنعقد بدمشق : 20-2002/07/25

المحتويات:

1- افتتاح المؤتمر

2- أبحاث المؤتمر

3- قضايا التعريب والمصطلح

4- أوضاع تعريب التعليم العالي

5- تقارير اللجان

6- اختتام المؤتمر

جـــــدول أعـــمال المـؤتمر العـاشر للتعـريب

(دمـــشق 20-2002/7/25)

السبت: 20 يوليوز 2002

10,00-11,00: حفل افتتاح المؤتمر.

- تلاوة آي من الذكر الحكيم.
- كلمة السيد نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- كلمة السيد وزير التربية السوريّ، ممثل راعي المؤتمر.
- كلمة في تكريم الدكتور شاكر الفحام (رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق) وتكريم جامعة دمشق (ممثلة بشخص رئيسها الأستاذ الدكتور هاني مرتضى) (يلقيها مدير مكتب تنسيق التعريب، بالرباط، الدكتور عباس الصوري).

11,00-11,30: حفل شاي.

11,30-12,00: هيكلة المؤتمر.

- اقتراح رئيس المؤتمر، ونائبه والمقرر العام.
- إجازة جدول أعمال المؤتمر.
- تأليف اللجان المتخصصة لدراسة المعاجم.
- تأليف لجنة صياغة التقرير العام.

الجلسة الأولى:

أ- عرض البحوث

12,00-12,20: عرض البحث الأول للدكتور أحمد دويدار عبده البسيوني بعنوان : (تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ: ضرورته، معوقاته، شروط ومتطلبات نجاحه).

12,20-12,40: عرض البحث الثاني، للدكتور هاني مرتضى، بعنوان: (دور الأستاذ الجامعيّ في تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ).

12,40-13,00: مناقشة.

13,00- 15,00: ب- اجتماع اللجان المتخصصة لدراسة المعاجم.

الأحد: 21 يوليوز 2002

الجلسة الثانية :

أ- عرض البحوث

9,00-9,20: عرض البحث الثالثّ، للدكتور موفق دعبول والدكتور خضر الأحمد، بعنوان : (إعداد الكتاب العلميّ الجامعيّ باللغة العربية، تأليفاً وترجمةً).

9,40-9,20: عرض البحث الرابع، للدكتور محمد مراياتي والدكتور عماد الصابوني والدكتور مروان البواب، بعنوان : (دور الحاسوب في توليد المصطلح وتوحيده ونشره).

10,10-9,40: مناقشة.

11,30-11,10:

ب- متابعة أعمال اللجان.

12.00-11,30: استراحة.

15.00-12.00: متابعة أعمال اللجان

الاثنين: 22 يوليوز 2002

الجلسة الثالثة :

أ- عرض البحوث (تتمة)

9,20-9,00: عرض البحث الخامس، للدكتور نبيل علي محمد عبد العزيز، بعنوان :

(الترجمة الآلية من منظور المعجم العربيّ)

9,40-9,20: عرض البحث السادس، للدكتور علي القاسمي، بعنوان :

(دور المصطلح العلميّ العربيّ الموحد في تعريب التعليم العالي).

10,00-9,40: مناقشة.

11,30-10,10:

ب- متابعة أعمال اللجان.

12.00-11,30: استراحة.

15.00-12.00 : متابعة أعمال اللجان

الثلاثاء: 23 يوليوز 2002

الجلسة الرابعة :

أ- مداخلات حول قضايا التعريب والمصطلح

9,20-9,00: أ. عبد الكريم خليفة (وحدة المصطلح وسياسة التعريب).

9,40-9,20: أ. د. شحادة الخوري (تعريب التعليم الطبيّ والصيدليّ في الوطن العربيّ).

10,00-9,40: د. أحمد بن عبد القادر المهندس (رؤى حول تعريب التعليم الجامعيّ).

10,20-10,00: د. محمد يونس عبد السميع الحملاوي (خطوات على طريق التعريب).

10,40-10,20: د. محمد رشاد الحمزاوي (في لغة الصحافة وتعريب العلوم).

11.00-10.40 : د. هنري عويس، أ. لينا فغالي، أ. جينا أبو فاضل (تعليم الترجمة والترجمية : المفاهيم والمصطلحات.)

11.20-11.00 : أ. مي حبيقة الحداد، أ. رنا الحكيم بكداش (النص المتخصص: مدخل إلى تحسين تعليم العربية).

11.40 -11.20: مناقشة

15.00 -11.40:

ب- متابعة أعمال اللجان

- إعداد التقرير

الأربعاء: 24 يوليوز 2002

الجلسة الخامسة:

أ- مداخلات حول أوضاع تعريب التعليم العالي

9,00-9,20: (اللغة العربية وتعريب التعليم العالي) للدكتور عز الدين البوشيخي.

9.20-9.40 :(قضية التعريب في مصر) للدكتور محمود حافظ إبراهيم.

9,40-10,00:(اللغة العربية في التعليم العالي بالجزائر –واقع وبديل) للدكتور صالح بلعيد.

10.00- 10.20 : (تجربة التعريب في التعليم العالي في تونس) للدكتور الحبيب دلالة.

10.20 -10.40 : (تجربة تطور المصطلح العلميّ العربيّ في مجمع اللغة العربية بدمشق) للدكتور عبد الله واثق شهيد.

10,40-11,00: (تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال) للدكتور عاطف عمار.

11,00- 11,20: (طريقة إنجاز مشروع الذخيرة اللغوية العربية) للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح.

11.20- 11.40: (تعريب التعليم العالي في ليبيا) للدكتور مصطفى محمد أبو شعالة.

11.40 - 12.00 : مناقشة

12.00 - 12.20 : استراحة

12.20-14,00: كلمات وفود الدول العربية

14,00- 15,20: اجتماع مقرري اللجان ولجنة الصياغة.

الخميس 25 يوليوز 2002

الجلسة الختامية

- كلمات الوفود العربية المشاركة في المؤتمر العاشر للتعريب.
- تلاوة بيان دمشق حول تعريب التعليم العالي.
- تلاوة تقارير اللجان.
- عرض التقرير الختامي و التوصيات الصادرة عن المؤتمر.
- تلاوة البرقية المرفوعة إلى السيد رئيس الجمهورية العربية السورية الدكتور بشار الأسد.
- كلمة ممثل المشاركين (الأستاذ الدكتور أحمد شفيق الخطيب).
- كلمة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- كلمة السيد وزير التربية السوري، ممثل راعي المؤتمر.
- كلمة شكر للسيد رئيس المؤتمر (أهدى له السيد مدير المكتب خلالها محتويات بنك المصطلحات في مكتب تنسيق التعريب، في قرص مدمج).

كلمة السيد وزير التربية السوريّ
في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر

الزملاء الوزراء.

العلماء الأفاضل رؤساء مجامع اللغة العربية و أعضاء هذه المجامع و السادة الخبراء و الأساتذة في الجامعات العربية و مراكز البحوث.

أيها الحفل الكريم:

أحييكم أطيب تحية، و أرحب بكم أجمل ترحيب، و أنقل إليكم تحيات رئيس مجلس الوزراء، الدكتور محمد مصطفى ميرو، الذي كلفني أن أنوب عن سيادته في افتتاح أعمال مؤتمركم الذي يعقد برعاية كريمة منه، وهو يقدر كل التقدير جهودكم المعتبرة في ميدان التعريب، و أهدافكم النبيلة فيما أنتم عازمون على مناقشته في المؤتمر العاشر للتعريب.

أرحب بكم في سورية العروبة، وهي تحمل شعلة المشروع النهضويّ الحضاريّ لأمتنا بقيادة رائد التطوير و التحديث في حياتنا المعاصرة السيد الرئيس بشار الأسد،استمراراً لنهج القائد الخالد حافظ الأسد، باني سورية الحديثة، والمحافظ على ثوابتها القومية، وإنها لمناسبة سعيدة جداً أن يتزامن عقد المؤتمر مع الذكرى الثانية لتسلم السيد الرئيس بشار الأسد قيادة المسيرة المظفرة لحركة التطوير والتحديث في بلادنا.

أيتها السيدات، أيها السادة:

إذا ذكر التعريب ذكرت معه سورية و تجربتها الرائدة، ذكرت معه على أنها قلعة من قلاع الحفـــاظ على اللغة العربية، سورية المعتزة بلغتها العربية الفصيحة، و الحريصة على سلامتها و صفائها، و المتميزة بسيرورتها و انتشارها في جميع مجالات الحياة و في مختلف مراحل التعليم، انطلاقاً من إيمانها العميق بعراقة لغتها العربية و أصالتها، و بأنها رمز لكيانها القوميّ، و عنوان لشخصيتنا العربية، و الرابطة التي تربط بين أبناء الأمة توحيداً لأفكارهم، و صهراً لمشاعرهم في بوتقة اللقاء و المحبة و التفاهم. و يجيء حرص سورية على هذا المنحى انطلاقاً من قيم الوفاء لديها، فما كانت في يوم من الأيام إلا وفية لقيم أمتها، و محافظة دائماً و أبداً، على مبادئها و حقوقها، بكل إباء و شموخ و كبرياء.

و إذا كان شعار مؤتمرنا العاشر**"قضايا تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ "** فإننا لنعترف أن هذا الموضوع كانت قد عقدت له ندوات و مؤتمرات من قبل، وأن ثمة توصيات و مقترحات كانت قد توصلت إليها تلك المؤتمرات و الندوات، و لكن المشكلة تتجلى في أن تلك التوصيات لم تأخذ طريقها إلى التنفيذ في جامعات الوطن العربيّ، على الرغم من أن التعريب قضية قومية و تربوية و مجتمعية وهو قضية أمن ثقافيّ، إضافة إلى أنه قضية إبداع و ابتكار.

و إنه لأمر مؤسف و مخز في الوقت نفسه أن يظل هذا الموضوع مطروحاً في أمتنا خلال قرن كامل، في الوقت الذي حسمته أمم أخرى ليس لديها عراقة

لغتنا في مسيرة الحضارة البشرية، فها هي ذي كوريا و فيتنام و رومانيا و بلغاريا و فنلندا و اليونان، تدرس بلغاتها الوطنية، و تبقى العربية ذات البعد الحضاريّ و لغة القرآن الكريم معزولة عن الاستخدام في أغلب جامعات وطننا العربيّ و مؤسساته العلمية.

و هذا ما يدعونا إلى التساؤل:لِمَ هذا التردد و الإهمال و التسويف في تنفيذ خطط التعريب في جامعات الوطن العربيّ؟ أما آن لهذا الموضوع أن يحسم؟ و أين تكمن المشكلة؟

والواقع أن للمشكلة أبعاداً متعددة، يرجع بعضها إلى التلكّؤ في إصدار القرار السياسيّ الملزم لاعتماد التعريب منهجاً في الحياة، إذ إن التسويف لا يحسمه إلا قرار سياسيّ، و لنتخذ من التجربة السورية في التعريب مثالاً، فسورية الموقف و المبدأ و القرار ربطت بين الإيمان باللغة و قدرتها على مواكبة روح العصر و استيعاب معطياته و تقاناته، و تنفيذ هذا الإيمان ممارسة و سلوكاً و أداءً في الكليات الجامعية و في جميع مواقف الحياة، و هاهي ذي التجربة السورية في التعريب تنطق بكل حجة ساطعة على قدرة لغتنا العربية على مواكبة تقانة العصر و استيعاب مصطلحاته و تمثل معطياته على النحو الذي كانت عليه أمتنا إبان ألق حضارتنا العربية الإسلامية، إذ استطاعت أن تنقل إليها مختلف ميادين المعرفة من الثقافات الأخرى، وأن تسبغ عليها طابعها العربيّ، و من ثم أبدعت وابتكرت و أعطت خلاصة تجربتها إلى العالم. وهاهو ذا جاك شيراك، رئيس الجمهورية الفرنسية، يقول في خطابه أمام المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو المنعقد العام الماضي في مقرها باريس" ما الهندسة المعمارية، و ما الرياضيات و ما الشعر لـــولا الثقافة العربية التي استوعبت وتمثلت الثقافات الأخرى، و تجاوزت حدودها في الوقت الذي كانت فيه أوروبا منغلقة على نفسها".

و هذا ما يذكرنا بقول شاعر إيطاليا الكبير "بيترارك" في القرن الرابع عشر الميلاديّ، يندد ببني قومه مستنهضاً هممهم قائلاً " لقد استطاع شيشرون أن يكون خطيباً بعد ديموستن، و استطاع فيرجيل أن يكون شاعراً بعد هوميروس، و بعد العرب لا يسمح لأحد بالكتابة، لقد جارينا اليونان غالباً، و تجاوزناهم أحياناً، و بذلك جارينا و تجاوزنا غالبية الأمم، و تقولون: إننا لا نستطيع الوصول إلى شأو العرب، يا للجنون، و يا للخبال، بل يا لعبقرية إيطاليا الغافية أو المنطفئة !".

لقد حددت مؤتمرات التعريب وندواته قبل ربع قرن، أن تكون سنة 2000 م سنة التعليم باللغة العربية في جميع الجامعات والمعاهد، وها نحن أولاء في سنة 2002م ما نزال نرى أن معظم الكليات العلمية في الجامعات العربية تدرّس،ويا للأسف،باللغات الأجنبية في منأى عن استخدام العربية.

ولكم كان جميلاً أن يوظفوا إتقانهم للغات الأجنبية في دعم مسيرة التعريب، إذ إن التعريب يستلزم إتقان اللغتين معاً، العربية والأجنبية، إلى جانب إتقان مادة التخصص.

ولو غدا التعريب قضية سياسة اعتمدها أصحاب القرار السياسيّ انسجاماً مع طلبات الجماهير

الشعبية لما بقي التعريب متعثراً، على أن يتحول اتخاذ القرار إلى واقع ملموس لا دعوة نظرية وحماسة في الخطب السياسية.

أيتها الأخوات، أيها الإخوة:

إنها لمفارقة عجيبة أن تبدأ سورية حركة التعريب منذ مطلع القرن الماضي، وأن تشق مسيرة التعريب طريقها عبر قرن كامل في سورية بكل نجاح واقتدار، في الوقت الذي نسمع فيه حالياً، وبعد مرور قرن، أصواتاً، في بعض جامعات وطننا العربيّ تشكك في قدرة لغتنا على استيعاب علوم العصر وتقنياته، وتدعو إلى استخدام اللغات الأجنبية مكان العربية في ميدان الهندسة والطب والعلوم البحتة والتطبيقية، متجاهلة أن الأمم، كبيرها وصغيرها، لا تتخلى عن هويتها وعنوان شخصيتها ورمز كيانها، متمثلاً في لغتها القومية، اللغة الأم، التي أثبتت الدراسات والأبحاث أن استيعاب الدارسين بها يفوق استيعابهم حال تعلمهم باللغات الأخرى.

ولنتخذ من تجارب الآخرين أيضاً معلماً نستهدي به في مسيرتنا، فها هي ذي جامعة الفيتناميين كانت تستخدم اللغة الفرنسية في تدريس العلوم كافة، وعندما أصدر "هوشي مينه" أمره بالفتنمة الشاملة، على الرغم من أن الفرنسية في فيتنام دامت أكثر من ثمانين عاماً، طلب أساتذة كلية الطب مقابلته ليخبروه بأن فتنمة الدراسات الطبية عملية مستحيلة بسبب جهل أساتذة كلية الطب وطلبتها باللغة الفيتنامية، وطلبوا إليه العدول عن قراره، أو إهمال تطبيق الفتنمة على كلية الطب. واستمع القائد الفيتناميّ لهم ساعات، ثم حسم الموقف في نهاية المقابلة قائلاً لهم: "يسمح لكم بالتدريس باللغة الفرنسية، بصورة استثنائية، هذه السنة فقط، مع ضرورة تعلمكم وطلبتكم اللغة الفيتنامية الوطنية خلال أشهر الدراسة التسعة، على أن تُجرى الامتحانات، وفي سائر المستويات، في نهاية السنة باللغة الفيتنامية، ثم تستأنف الدراسة في السنة المقبلة باللغة الفيتنامية".

والبعد الثاني لمشكلة التعريب في الجامعات، يتمثل في فتور الانتماء، وإنني لأرى أن الإحساس العالي بالانتماء القوميّ في ظلال العولمة، يجيء في مقدمة القيم، ومتى تحلل الإنسان من قيمه، تخلى عن كثير من دعائم إنسانيته، إلى جانب تخليه عن قوميته، والتحلل من الانتماء سلسلة متى بدأت، تلاحقت تأثيراتها ومضاعفاتها، والنتيجة واحدة، هي أن يخسر الإنسان نفسه، وتخسر الأمة هويتها.

ولكم يحز في النفس ألماً، أن يهجر نفر من أبناء الأمة لغتهم العربية ويتحدثوا باللغة الأجنبية في المؤتمرات الدولية، على الرغم من أن لغتهم العربية معتمدة في هذه المؤتمرات. أليس في عملهم هذا استهانة بلغتهم وبأمتهم؟ وكيف نطلب من الآخرين أن يحترمونا ما دمنا لا نحترم أنفسنا؟.

إن عمق الانتماء إلى الأمة يذلل الصعاب، ذلك أن التريث في حسم موضوع كيانيّ لأمتنا، يتعلق بهويتها وانتمائها وحضارتها، أمر يستلزم الإيمان والإحساس العالي بالمسؤولية والإقدام، ورحم الله محمد عبد الكريم الخطابي الذي قال له بعض رفاقه عندما أعلن ثورته " فلننتظر حتى تكون لنا أسلحة" فأجابهم" تحولوا إلى مجاهدين تأتكم الأسلحة، السلاح الأول هو أن تؤمنوا بضرورة القيام بالواجب".

والبعد الثالث للمشكلة، يتمثل في التأخر في وضع المصطلحات، إذ إن تدفقاً كبيراً للمصطلحات

في عالم التقانة والمعلوماتية، وتفجراً معرفياً فيه، لم تتمكن منظماتنا واتحاداتنا المتخصصة من مواكبته، الأمر الذي يــؤدي إلى شيوع المصطلح الأجنبيّ، حتى إذا ما وضع البديل العربيّ عنه، كان ثمة عزوف عنه واستمرار في استخدام المصطلح الأجنبيّ. وهذا يلقي بالمسؤولية على عاتق الوزارات المعنية في الدول العربية، وعلى الشركات والجهات المستوردة، التي تسمح بدخول السلع والأجهزة والبرمجيات ونحوها، قبل عرض الموضوع على مجامع اللغة، على نحو، ما تقوم به بعض الدول التي تحترم لغاتها وتحافظُ على نقائها كالفرنسية والإيطالية.

وثمة حقيقة لا بد من الإشارة إليها، وهي أن العبرة ليست في وضع المصطلح وتوليده ووضعه في معاجم متخصصة، وإنما العبرة في الاستخدام في مناحي الحياة ومراحل التعليم ومراكز البحوث والجامعات، أي أن يستخدمه الناس جميعاً ويغدو مألوفاً بينهم.

أما البعد الرابع لمشكلتنا، فيتمثل في تشتت الجهود وعدم التنسيق بين العاملين في هذا المجال. ومن يلق نظرة على واقع خريطة التعريب في وطنا العربيّ، يجد أن ثمة جهوداً بذلت، بعضها فرديّ، وبعضها جماعيّ، بعضها قامت به مؤسسات خاصة، وبعضها الآخر قامت به مؤسسات قومية، منها ما قامت به مجامع لغوية، ومنها ما قامت به الجامعات، ومن هذه الجهود ما تم في الوطن العربيّ، ومنها جهود قامت بها هيئات أجنبية.

وإن تنوع هذه الجهود يرسم أمام المرء خريطةً زاخرةَ الخطوط، ولكنها خطوط متداخلة ومتشابكة، تمثل تكامل الجهود وتقاطعها وتواصلها وانقطاعها، إقليميتها وقوميتها، مشكلاتها الجزئية ومشكلاتها الكلية، اتساعها وضيقها، حذرها وتلكؤها واندفاعها، حتى إنه ليتعذر أن تهتدي إلى الوحدة بينها.

تلك هي صورة لخريطة التعريب كما رسمها أستاذنا المرحوم الدكتور شكري فيصل في الثمانينيات من القرن الماضي، وهي الصورة نفسها ونحن نواجه القرن الحالي والألفية الثالثة، لا بل زادت الصورة قتامة: جهود مشتتة، وغياب في التنسيق. ولقد قاد هذا التشتت إلى نوع من الجهالة حتى غدا طبيعياً أن يجهل بلد ما كان يجري في البلد الآخر، وألا تعرف جامعة ما يكون قد نفّذ أو ترجم في جامعة أخرى.

والبعد الخامس للمشكلة، يكمن في عدم الجدية في متابعة تنفيذ ما توصلت إليه المؤتمرات والندوات من توصيات، وعدم الوقوف في ضوء نظرة تقويمية على ما تم تنفيذه من قبل، وما الأمور التي لم يتم تنفيذها؟ وما الأسباب التي حالت دون التنفيذ؟ وكنت أتمنى في مؤتمرنا هذا، أن يشتمل جدول أعماله على بند يتعلق بوقفة تقويمية لتوصيات المؤتمر التاسع للتعريب، وأن يكون هناك كشف حساب وتحديد للمسؤوليات، بدلاً من أن تتكرر التوصيات في المؤتمرات، وليس ثمة من يتابع التنفيذ على أرض الواقع.

أيتها الأخوات، أيها الإخوة:

لئن كانت قضايا تعريب التعليم العالي متعددة، خططاً ومناهج، وأطراً تدريسية ومستلزمات مادية، ومواكبة لثورات التقانة والمعلوماتية ولعصر التفجر المعرفيّ، وتنسيقاً للجهود، ومتابعة وتنفيذاً وتقويماً، فإن هذه القضايا يمكن معالجتها إذا توافرت الإرادة وتوافر الإيمان وتوافرت الحماسة، وتوافر، أولاً وأخيراً، الانتماء إلى هذه الأمة، ماضياً مجيداً، وحاضراً تكتنفه تحديات تروم خلخلة الانتماء وطمس الثقافة وإمحـــاء

الهوية، ولا بد من تضافر الجهود لمواجهة هذه التحديات لصنع مستقبل تسهم فيه أمتنا العربية في مسيرة الحضارة البشرية على النحو الذي أسهمت به من قبل.

ولئن كان للتعريب مستلزمات، تتمثل في القرار السياسيّ والإحساس العميق بالانتماء، فإنه يستلزم في الوقت نفسه، إعداد المدرسين الأكْفاء وتقوية الدارسين باللغتين العربية والأجنبية معاً، إذ إن إتقان اللغة الأجنبية إلى جانب العربية يخدم مسيرة التعريب، كما يستلزم توفير الكتب والمراجع والمجلات العلمية المتخصصة، وتعزيز التنسيق بين العاملين في توحيد المصطلحات على جميع الصُعُد، محلياً وقومياً، كما يستلزم استخدام التقانة الحديثة والحواسيب في توليد المصطلحات وتوحيدها ونشرها، وتعزيز الترجمة الآلية ودعم المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، الذي يضطلع بدوره في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ، وترجمة أمهات الكتب في مجالات العلوم المختلفة من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية.

إننا ونحن نعقد المؤتمر العاشر للتعريب، تواجه أمتنا تحديات خطرةً، يأتي في مقدمتها الاحتلال الإسرائيليّ الإجراميّ الاستيطانيّ العنصريّ، الذي يرتكب أبشع الجرائم والمجازر التي ما عرفت البشرية لها مثيلاً، من قتل وتدمير للبشر والشجر والحجر، والذي يروم إمحاء الهوية العربية وطمسها، وتزوير التاريخ، وتدنيس المقدسات، ونشر الذعر والرعب والهيمنة، غير آبه بالشرعية الدولية الداعية إلى انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة في فلسطين والجولان السوريّ المحتل والجزء المتبقي من جنوب لبنان، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، وعودة اللاجئين إلى ديارهم. وإن الجمهورية العربية السورية متمسكة بمواقفها المبدئية الثابتة، مواقف العزة القومية التي لا تساوم على ذرة تراب واحدة من الأراضي المحتلة، مواقف الإباء والشموخ التي لا تخضع للتهديد ولا للمساومات، مواقف المساندة لانتفاضة أهلنا في فلسطين المحتلة المناضلين لاسترداد حقوقهم والحفاظ على ذاتيتهم الثقافية، مواقف الدعم لإقامة سلام شامل وعادل يصون الكرامة ويعيد الحقوق إلى أصحابها الشرعيين.

كلمة السيد نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر

د. عبد العزيز بن عبد الله السنبل

السيد رئيس مجلس الوزراء / الدكتور محمد مصطفى ميرو،

السيد وزير التربية / الدكتور محمود السيد،

السادة رؤساء المجامع اللغوية والعلمية العربية،

السادة رؤساء وفود الدول العربية،

أيها السادة والسيدات،

يشرفني، باسم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وباسم مديرها العام، الدكتور المنجي بوسنية، أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الجمهورية العربية السورية، رئيساً وحكومةً وشعباً، على استضافتها الكريمة للمؤتمر العاشر للتعريب.

كما أخص بالشكر السيد محمد مصطفى ميرو ، رئيس مجلس الوزراء ، الذي تفضل برعاية المؤتمر، كما أشكر السادة ممثلي المجامع اللغوية والعلمية العربية ووفود الدول العربية المشاركة ، وممثلي المؤسسات الجامعية والهيئات المتخصصة ، والخبراء ، على استجابتهم الكريمة للدعوة الموجهة إليهم لحضور المؤتمر متجشمين مشقة السفر ومضحينَ بوقتهم الثمين.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أنوه بالجهود المحمودة التي بذلتها وزارة التربية، واللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب تنسيق التعريب، المتمثلة في الإعداد الجيد للمؤتمر والتنظيم المحكم لشؤونه والسهر على راحة المشاركين فيه.

أيها السادة والسيدات:

إنه لمن حسن الطالع أن نعقد مؤتمرنا هذا، تحت شعار:(قضايا تعريب التعليم العالي في الوطن العربي) في ربوع الجمهورية العربية السورية الرائدة في مجال التعريب، والتي تستعمل اللغة العربية في التعليم منذ سنة 1919م. ولاشك أن المشاركين في المؤتمر سيستفيدون من هذه التجربة الغنية، خاصة فيما يتعلق بإعداد الأستاذ الجامعيّ للتدريس باللغة العربية، وتأليف الكتب المنهجية، وتوفير المراجع الضرورية باللغة العربية.

ويحضرني هنا ما جاء في وثيقة مؤتمر التعريب الثاني، الذي عُقد في الجزائر سنة 1973 والذي أكد على أن تدريس العلوم باللغة العربية، في المرحلة الثانوية وحدها، نوع من العمل الناقص لا يضمن تحقيق الغاية المرجوة، وقد أوصت جميع مؤتمرات التعريب الأخرى بأن تكون اللغة العربية لغة التعليم لجميع المواد، في جميع المراحل والأنواع، وفي كل قُطر عربيّ، دون أن يعني ذلك منع تدريس اللغات الأجنبية.

أيها السادة أيتها السيدات:

لا يتسع الوقت لاستعراض أنشطة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وإداراتها وأجهزتها الداخلية والخارجية المتخصصة، ومع ذلك فلا بد من التذكير ببعض جهود مكتب تنسيق التعريب، التابع للمنظمة، في مجال الدراسات المعجمية والمصطلحية وإعداد المصطلحات العربية وتوحيدها على مستوى الوطن العربيّ.

لقد أشرف المكتب – حتى الآن – على عقد تسعة مؤتمرات للتعريب، صادقت على أكثر من مائة وخمسين ألف مصطلح (150000) صدرت في معاجم بثلاث لغات (الإنجليزية، والفرنسية، والعربية). وقد غطّت هذه الحصيلة المصطلحية أهم مجالات المعرفة من علوم وآداب وفنون... وسيتعزز هذا الرصيد بإقراركم للمشاريع المعجمية الخمسة المعروضة اليوم على المؤتمر، في موضوعات: الصيدلة، والطب البيطريّ، وتقانات الأغذية، وعلم الوراثة، والحرب الإلكترونية، وذلك فضلاً عن المحور البحثيّ للمؤتمر الذي يشتمل على أبحاث ودراسات،أعدها خبراء عرب متخصصون .

وقد تناولت هذه الأبحاث موضوعات ذات صلة وثيقة بتعريب التعليم العالي.

ولاشك أن العلماء الأجلاء والأساتذة والخبراء العرب المتخصصين، المشاركين في هذه التظاهرة الثقافية المهمة، سيتوصلون إلى نتائج، في مستوى الطموح، مما يجعل هذا المؤتمر يخرج بقرارات وتوصيات عملية تعطي دفعاً قوياً لعملية تعريب التعليم العالي، وتعمل على إثراء لغتنا العربية وتطويرها ومدها بالوسائل العصرية حتى تتمكن من مواكبة العصر وتقنياته الجديدة.

وفي الختام، أرجو أن تتكلّل أعمال مؤتمرنا هذا بالنجاح، والسلام عليكم.

كلمة السيد مدير مكتب تنسيق التعريب
في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر

د.عباس الصوري

تتوالى المؤتمرات، منذ انعقاد أول مؤتمر للتعريب سنة 1961 إلى اليوم، حيث يلتئم المؤتمر في حلته العاشرة بعد أن استقر له هيكله التنظيميّ الجديد في إطار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وهو نظام ينهل أسسه وتوجهاته من المنعطف التحديثيّ الذي انخرطت فيه المنظمة، مواكبة في ذلك مطالب العصر التي تلح على المراهنة على الانعطاف التكنولوجيّ وسرعة التبليغ وفعالية الاتصال، ومن ثم عمل المكتب على أن يكون على موعد مع هذه الحركة التحديثية للانتظام في مسارها وفق المقتضيات التي تفرضها طبيعة المهام المسندة إليه؛ فعن طريق بنك المصطلحات الذي أقامه على أسس القواعد البيانية الخاصة بعلم المصطلحيات، والدراسات المعجمية، أصبح في الإمكان الاستمداد من الرصيد الهائل من المصطلحات العلمية الموحدة التي صدرت عن كل المؤتمرات السابقة، وعمّا قريب ستخرج جاهزة وميسرة في شكل أقراص مدمجة لدعم حركة التعريب في الوطن العربيّ، مما يساعد على تنمية اللغة العربية وجعلها في المستوى اللائق بها ضمن اللغات الحية، غنيةً بماضيها الحضاريّ المجيد، وقادرةً على مواجهة مطالب العصر الحديث.

وإذا كان المكتب قد استطاع مواجهة الإكراهات المادية وأن ينقل إلى حيز الوجود والفعل جل المشروعات المعجمية، عن طريق ما يعقده من ندوات ومناظرات علمية بمختلف الدول العربية، فإن الفضل في ذلك يرجع إلى هذه النخبة النيرة من علمائنا الأجلاء الذين يعملون في جلد وصمت في مجامع اللغة العربية وبمختلف الهيئات العلمية المنتشرة في ربوع العالم العربيّ، و الذين لم يتأخروا – حتى في أحلك الظروف وفي ظل محنة مواجهة الغطرسة الاستعمارية والأطماع الصهيونيّة، وما يصحبها من تشكيك في قيمة العطاء الثقافيّ العربيّ وبعث البلبلة في حركة التعريب بما تسعى إليه من استرجاع للهوية الثقافية التي تعمل الدول العربية على إرسائها- عن دعم مكتب تنسيق التعريب لأداء واجبه القوميّ العربيّ، ليعمل الجميع يداً واحدة وفي نفس الخندق لجعل الحياة المعاصرة تنطق بلسان عربيّ مبين، وحتى يعود للثقافة العربية أَلَقُهَا وطراوتها وللغة القرآن دورها في حياتنا المعاصرة.

إلى هؤلاء العلماء الأفذاذ وّإلى الهيئات التي ينتمون إليها تتجه المنظمة، من خلال برامجها وأنشطتها العلمية المختلفة، للاحتفاء بإنجازاتهم القيمة وبعطاءاتهم السخية في شتى الميادين، وهكذا وقع تكريم أسماء لامعة في سماء العلوم والآداب والفنون، دون أن تنسى تحفيز الشباب على مزيد من البذل والعطاء. وقد آن الأوان أن يكون لعلماء اللغة والتربية والتعليم نصيب من هذا

الاحتفاء، وعلى هذا الأساس تقرر، وبتوجيه من السيد المدير العام للمنظمة، الأستاذ الدكتور المنجي بوسنينه، اغتنام مناسبة انعقاد مؤتمر التعريب العاشر، لتقدير الرجال المخلصين الأوفياء الذين وضعوا مداميك النهضة اللغوية في بلادنا العربية وقدموا للغة العربية الخدمات الجليلة، للنهوض من كبوتها وفتح السبل أمامها لكي تكون لغة الأمة العربية في حاضرها ومستقبلها، تعبر عن طموحاتها وتطلعاتها في عالم لا يخلو من أنواع من التحدي والاستفزاز.

وهكذا، وبمناسبة انعقاد المؤتمر العاشر بهذه الأرض الطيبة، أرض النضال الصلب، أردنا في مكتب تنسيق التعريب أن يكون السبق لعلماء سورية، لما قدموه في مجال التعريب من ريادات، لا أحد يماري فيها، فالأولى أن تكون ريادة الاحتفال بهم، اعترافاً بفضلهم وإعلاناً لمقامهم المعتبر في خدمة اللغة العربية.

لم يكن اختيار جامعة دمشق الفيحاء ولا مجمع اللغة العربية اعتباطاً، فالذي يحتم هذا التكريم هو ما لعلماء الشام من مقام في قلوب العرب، لما لهم من سوابغ الفضل في جميع ميادين التعريب، منذ الشيخ محمد كرد عليّ والمنير مصطفى الشهابيّ والعلاّمة حسنيّ سبح، وغيرهم كثير إلى اليوم، فكل سلسلة ذهبية لامعة تصل الماضي بالحاضر وتمهد للمستقبل، ومكتب تنسيق التعريب، في واقع الأمر، يستدرك ما فاته وهو يعقد هذا الحفل البهيج لتسليمهم درع المنظمة.

وأول المحتفى بهما، الأستاذ الدكتور شاكر الفحام الأستاذ الجليل، أستاذ الجيل، غني عن التعريف، تقلب في عدة مناصب وزارية، وهو اليوم رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، ألّف ودرّس وحاضَر وتخرّج على يديه جيل من طلاب العلم ، وهو، متعه الله بالصحة وأطال في عمره، ما يزال في موقعه منبعاً فياضاً للبذل والعطاء ، فتكريم المنظمة يشرف ويزداد قيمة بتكريمه، فله منا كل التبجيل والتوقير وواجب الاحترام الذي يليق به .

أما جامعة دمشق، فهي بحق — كما يطلق عليها— أم الجامعات العربية. تأسست حوالي سنة 1918، بعدد محدود من المعاهد، وها هي الآن ترفل في مجدها العلميّ بأكثر من عشر كليات وأكثر من ثمانين قسماً وقد راهنت، منذ إنشائها، على التدريس باللغة العربية فكان التوفيق حليفها، وأصبحت مثالاً تحتذيه الدول العربية في الإقدام على تذليل كل الصعاب الوهمية في تطبيق مبدأ التعريب في جميع مراحل التعليم، بل وفي الحياة العامة.

ويعد الأستاذ الدكتور هاني مرتضى من خيرة رؤساء هذه الجامعة العتيدة، تقلب في عدة مسؤوليات علمية بالجامعة، قبل أن يتسلّم مقاليد تسييرها بالحكمة المعهودة فيه، فهو الأستاذ الطبيب، وهو العالم الذي أنار الطريق لمختلف الأجيال الصاعدة في الدراسات الطبية، محاضراً ومشرفاً ومخططاً لحاضر ثريّ ومستقبل واعد بإذن الله، لذا كان أجدر من يمثل هذه الجامعة وهي تتلقى تكريماً من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جزاه الله خيراً على ما قدم لوطنه وللأمة العربية جمعاء.

والسلام عليكم ورحمة الله.

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام
رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

سيادة وزير التربية، الأستاذ الدكتور محمود، السيد ممثل راعي الحفل،

سيادة رئيس مجلس الوزراء الدكتور محمد مصطفى ميرو ،

السادة الوزراء،

سيادة نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبل،

سيادة مدير مكتب تنسيق التعريب الدكتور عباس الصوري،

السادة رؤساء المجامع ووفود الدول العربية الرسمية،

السادة السفراء،

السادة العلماء،

أيها الحفل الكريم،

يسعدني شهود حفل افتتاح مؤتمر التعريب العاشر الذي تعقده المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - مكتب تنسيق التعريب، بالتعاون مع وزارة التربية، تحت شعار: قضايا تعريب التعليم العالي، ذاك الشعار الذي بذلت في سبيل تحقيقه جانباً من هذا العمر، مؤمناً بضرورته، وصواب غايته.

وإنني أحيي من مكاني هذا الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبل، نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والأستاذ الدكتور عباس الصوري، مدير مكتب تنسيق التعريب، على كل الجهد الذي يقدمانه في سبيل خدمة لغتنا العربية.

وأحيي الأستاذ الدكتور محمود السيد، وزير التربية، الذي يعمل جاهداً مناضلاً في سبيل الارتقاء بالتربية في سورية ومسيرتها العطرة، والحفاظ على اللغة العربية ناضرةً سليمة على ألسنة طلابنا.

إن اللغة مقوم أساسيّ من مقومات الأمة، تزدهر بازدهارها وتضعف بضعفها، وإن اللغة الحية هي التي تستجيب لمتطلبات الأمة، وتلبي ما يراد منها.

ولغتنا العربية تميزت بطواعيتها ومرونتها على مر العصور، نقرأ بها تراثنا العربيّ منذ ما يزيد على ستة عشر قرناً، ونفيد من صفاتها في الاشتقاق والتعريب وأمثالهما لنغنيها بالمفردات والمصطلحات التي تتطلبها لتظل اللغة العربية اللغة المتجددة أبداً، لا يستعصي عليها معنى، ولا يعجزها تعبير.

ومن أجل ذلك قامت مجامع اللغة العربية والمؤسسات اللغوية في البلاد العربية لتؤدي هذه الرسالة الغالية المحببة، وكان مجمع دمشق أول المجامع إنشاءً، (تأسس في 1919/6/8م) ومن أقوال الأستاذ الدكتور طه حسين فيه:"فضل هذا المجمع ليس عظيماً على العالم العربيّ وحده، ولكنه عظيم على كل الذين يعنون باللغة العربية في بلاد العرب وخارج بلاد العرب في أوربا وأمريكا".

ومن جملة مهام مجامع اللغة العربية تعريب الألفاظ الأجنبية، وإغناء اللغة بالمصطلحات العلمية والفنية. ومن أجل التنسيق بين هذه المعربات التي قد تختلف فيما بينها باختلاف الواضعين، قام اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في القاهرة بعقد مؤتمر سنويّ لمناقشتها والتنسيق بينها للاتفاق على مصطلح واحد.

ومن المؤسسات اللغوية البارزة في هذا الميدان مكتب تنسيق التعريب، ومن مهامه الأساسية السعي لتوحيد المصطلحات العلمية والحضارية، ودعم حركة التعريب في الوطن العربيّ، وهو يوالي عمله بهمة ونشاط، ويعقد مؤتمرات التعريب، ويصدر مجلته" اللسان العربيّ"، إلى جانب مناشط علمية أخرى. وها نحن أولاً نشارك في مؤتمره العاشر (20ـ2002/7/25م)، ونشكر لمديره، الأستاذ الدكتور عباس الصوري، جهوده الطيبة التي بذلها ليقوم المؤتمر بأداء مهماته على الوجه المرضيّ.

ولا يفوتني أن أشير هنا إلى أن مؤسسات التعليم العالي والجامعات في سورية معربة كلها. تمّ ذلك في عام (1919) بعد أن استقلت سورية عن الدولة العثمانية فقامت بتعريب دواوين الدولة كلها، ومؤسسات، التعليم في جميع مراحلها وفي الجامعة .وتابعت سورية نهجها الذي اختارته بتعريب التعليم العالي. وأثبتت التجربة أنها اختارت الطريق الأمثل.

أيها الحفل الكريم

وردتني رسالة كريمة من الأستاذ الدكتور المنجي بوسنينة، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، يعلمني فيها: أن برنامج مؤتمر التعريب العاشر الذي سيعقده مكتب تنسيق التعريب بدمشق سيكون حافلاً بالأعمال العلمية المهمة والأنشطة الموازية، ومن ضمنها رغبة المنظمة في تكريمي لما قدمت من خدمات جلى للغة الضاد.

وإني أشكر للأستاذ الكريم الدكتور المنجي بوسنينة، المدير العام، ما أضفى عليّ بكلمته الطيبة التي أملاها حسنُ ظنه وجميل رأيه، كما أشكر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب تنسيق التعريب التابع لها، وجميع من كان له الفضل في هذا التكريم. وأرجو أن أكون قد حققت في حياتي ما يجعلني أهلاً له.

ثم إني أقدم الشكر وأجمله للأستاذ عباس الصوري الذي أسبغ عليّ من كريم الصفات ما أملاه عليه طيب نفسه وحميد شمائله، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وإني لأشكر لكم جميعاً تفضلكم بالمشاركة في هذا الاحتفال، إنه الشكر الواجب، يمليه عليّ ما يرمز إليه حضوركم من تقدير كبير للقيمة العليا للعمل المخلص الدؤوب، وإشادة به، وحض على اتباعه.

لقد حرصت الدول التي خطت في سلم الحضارة على أن تشجع العلماء والمفكرين والأدباء والمبدعين، وتلبي مطالبهم، وتحوطهم بالتكريم والرعاية تقديراً لمكانتهم، وما قدموا لمجتمعهم في سبيل نهوضه ورفعته.

وقد مضت الدول التي تنشد التقدم والارتقاء على الطريق نفسه، ليتاح لعلمائها ومفكريها وأدبائها ومبدعيها أن يقدموا خير ما عندهم من أعمال.

إن تكريم النابغين من أبناء الأمة، والعناية بهم أحد العوامل الأساسية المساعدة التي تقود الأمة في مدارج الرقيّ، لتعيش حياة كريمة، وتساير ركب الحضارة العالميّ.

وإنما تقاس الأمم بعلمائها ومفكريها ومبدعيها الذين يرفعون القواعد لنهضتها وتقدمها.

إن هذا التقليد الجميل في تكريم العلماء والمفكرين والأدباء والمبدعين يجب أن يظل نصب أعيننا جميعاً، لما له من أثر بعيد في تشجيع الجيل الجديد على الدأب والعمل، وأن يجعل من علماء الأمة السابقين قدوةً له يتأسّى بهم وينهج نهجهم.

ويحسن بي هنا أن أقدم طرفاً من الحديث عن سيرتي.

إنني أنتمي إلى الجيل الذي نشأ في أعقاب وقعة ميسلون، واغتيال القوات الفرنسية استقلال سورية، وتصدي شعبنا المناضل للغاصب المحتل.

كان الجو الذي يحيط بنا في المدرسة يدعونا إلى القراءة والدرس، ويحثنا على الجدّ ومواصلة العمل، ويغرس في نفوسنا التطلع إلى الأحسن. وكان المعلمون والمدرسون يوالون العناية بنا، ويذللون لنا الصعاب، ويشجّعوننا لنمضي صعداً، لا نتوقف.

وكان مما يزيد في حماستنا واندفاعنا ارتباط هذا الاتجاه العلميّ بالواجب الوطنيّ الذي نمّاه في نفوسنا منذ صغرنا البيت والمدرسة والمجتمع. فقد كانت الأحداث الوطنية خير حافز لنا لتأجيج الحماسة، وإثارة الحمية، والمطالبة باستقلال الوطن طوال مراحل الدراسة، ونشأنا نشأة عربية قومية. كنا نشارك في معارك النضال من أجل تحرير الوطن الغالي واستقلاله، كما كنا نشارك في تعزيز الحركات الوطنية العربية في أرجاء الوطن العربيّ. فالعرب في شتى أقطارهم أمة واحدة.

هذا الارتباط الوثيق بين الهدفين العلميّ والوطنيّ قوى في نفوسنا الحمية والإحساس بالعزة والكرامة، فاندفعنا للدرس، وتكوين النفس إلى أقصى الحدود، لانتوقف ولا نتريث. وكنا نرى في مجد أمتنا وعراقتها دافعاً ومحركاً للدأب والعمل، أهاب بنا أن نعنى بدراسة تاريخ أمتنا، وان نقلب صفحات حضارتها الزاهرة، التي امتدت من الشرق الأقصى إلى ما وراء جبال البرانس عدة قرون. وكان ذلك يدعونا إلى التفكير في الأسباب التي أدت بأمتنا إلى التأخر، ويقوي من عزيمتنا استعداداً للقيام بالمهام التي تنتظرنا في مستقبل الأيام، وكان للغة العربية جانب كبير من اهتمامنا وعنايتنا، وأذكر أن الحماسة بلغت بقسمٍ منا أن ذهب إلى الشيوخ في الجوامع يستزيد من دراسة العربية، والتعرف إلى أسرارها، فقد أرعبتنا الصورة التي خلفها الاستعمار في محاربة العربية في البلاد التي اجتاحها ولا سيما الجزائر. وقام قسم منا بتأليف الجمعيات للتكلم بالفصحى، إلى ألوان أخرى من العمل مختلفة، تشير كلها إلى إحساس جيلنا بمسؤوليته العلمية والقومية لتحرير الوطن الغالي والنهوض به ليستعيد مجده.

وشاءت المصادفات أن يكون إيفادنا للدراسة الجامعية الأولى إلى القاهرة، بعد أن حالت الحرب العالمية الثانية دون السفر إلى فرنسا، فتوثقت صلاتنا بإخواننا الطلاب المصريين، والطلاب العرب، وأنشأنا جمعية الطلاب العرب لتكون منطلقاً لنشاطنا. وكان الشعور الوطنيّ في مصر في أوج نشاطه طلباً للحرية وجلاء المستعمر، فشاركنا جميعاً في هذا النشاط، وتوحدت المشاعر الوطنية.

تلك أيام خلت كانت عامرة بالنضال، والإيمان بتضامن العرب ووحدتهم.

إلى جانب ذلك كانت متعتي الكبرى في القاهرة هي الانصراف إلى الدراسة والتعمق في البحث، وكنت

أقضي جلَّ أوقاتي في مكتبة كلية الآداب الزاخرة بنفائس الكتب، أنقب فيها لأزداد معرفة بتراثنا ولغتنا.

وقدر لي أن أحصل بعد ذلك بسنوات من جامعة القاهرة أيضاً على درجتي الماجستير والدكتوراه في علوم اللغة العربية وآدابها.

وكانت سنوات القاهرة تلك غنية بالدرس والبحث، أتيحت لي فيها فرصة لقاء نخبة من كبار علماء العربية فيها ومصادقتهم والإفادة منهم.

ولقد التزمت في حياتي العملية الأهداف العلمية والقومية التي كنت آمنت بها، ودعوت إليها، وناضلت من أجل تحقيقها.

كنت أعنى بطلابي في المدارس الثانوية العناية البالغة، وأحاول أن أغرس في نفوسهم أمرين أساسين: حبّ العلم وحبّ الوطن، وما يرافق ذلك من قيم ومُثل عليا. إنهما الوسيلة الصحيحة للارتقاء بأمتنا، وتهيئتنا للمشاركة في مسيرة الركب الحضاريّ العالميّ.

وكذلك كان شأني في التدريس الجامعيّ الذي استغرق من حياتي زهاء ثلاثين سنة أو يزيد.

وكنت أبذُل، في الوظائف والمناصب التي توليتها، كل جهودي، لأحقق مع إخواني ما دعوتُ إليه وآمنت به من أهداف. كان ذلك حين كنت سفيراً، ورئيساً لجامعة دمشق. ووزيرا للتربية، ووزيرا للتعليم العالي، وعضواً في مجلس الشعب، ومديراً عاماً للموسوعة العربية، ورئيساً لمجمع اللغة العربية. وفي الندوات والمؤتمرات والمجالس والمنظمات المختلفة التي شاركت فيها، كنت أحس إحساسا عميقاً أن المرحلة الصعبة التي تمر بها أمتنا العربية تتطلب منا جميعاً أن نضاعف الجهد ونوالي العمل، ولا ندع لليأس والضعف سبيلاً إلى نفوسنا وأن نتكاتف لبناء جيل قد نال حظاً طيباً من العلم يقوى به على أن يتابع الحركة العلمية العالمية، وأن يكون له نصيب أن يشارك فيها.

وإذا كان للتربية والعلم هذا الشأن الكبير في تقدم الأمة ورقيها، فقد ناقشت في مؤتمرات عدة مع كبار الأساتذة والخبراء أوضاع التعليم والارتقاء به ليلائم متطلبات المرحلة، ودواعي التطوير.

وإنني أومن أن توطين البحث العلميّ الأرضَ العربيةَ هو أحد الأهداف الأساسية التي يجب أن نسعى إليها السعي الحثيث لنمضي في طريق النهضة الحقيقية.

لقد وقفت عمري كله أعمل وفق قناعتي وإيماني بأمتي ووطني. لم تكن لي غاية إلا أن أرضي ضميري، وأقدم لوطني ما يجب علي أن أقدمه. وأرجو أن أكون قد وفقت في أكثر ما قمت به. وما كنت أنتظر شيئاً وراء ذلك.

ولكنني أحس اليوم- وأنا ألقى التكريم من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي تمثل الأمة العربية — بالرضا يملأ النفس، ويشيع فيها السعادة.

أن يلقى المرءُ العرفانَ والتكريم بعد نضال عمر طويل شيء جميل غال لا شيء يوازيه.

فالشكر كل الشكر لإخواني في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وفي مكتب تنسيق التعريب، ولكل من شارك في هذا الاحتفال.

كـــلمة الأستاذ الدكتور هاني مرتضى

رئيس جامعة دمشق

الأستاذ الدكتور محمود السيد وزير التربية، ممثل الأستاذ الدكتور مصطفى ميرو، رئيس مجلس الوزراء، راعي المؤتمر،

الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبل، نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،

السادة رؤساء المجامع العلمية واللغوية العربية،

أصحاب السعادة السفراء،

السادة الأفاضل،

إذا كانت أيّ لغة من لغات العالم وسيلةً للتعبير والتفاهم، فإن لغتنا العربية لها مزية أخرى، كونها الرابط الأهم من روابط الوحدة بين أبناء الأمة العربية، الذين فرقت الحدود السياسية فيما بينهم، يضاف إلى ذلك أنها لغة القرآن الكريم، آخر الكتب السماوية، ولغة الحضارة الإنسانية فيما سلف.

وكما أن أمتنا تتعرض إلى هجمات كبيرة وإلى كيد الأعداء والمبغضين، فإن لغتنا تتعرض إلى مثل ذلك وأشد، لأنها هويتنا وعنوان وجودنا، ولذلك فإن الدفاع عنها هو جزء من الدفاع عن وجودنا، والحفاظ عليها هو الحفاظ على كياننا.

وإذا كنا جميعاً نستشعر هذا الأمر، وندرك خطره، فإنه لا يجوز لنا بعد ذلك التساهل فيه، أو التباطؤ في حماية لغتنا والتمسك بها. فكما هب الغير من علمائنا وأساتذتنا، منذ عصر النهضة، لحماية اللغة العربية، والإبقاء عليها لغةً للعلم والتعليم، فإنه يتوجب علينا أن نهتدي بهم، وأن نطور الوسائل في سبيل ذلك، لتبقى هذه اللغة الموحدة جامعة بيننا كما صدح بذلك شاعر دمشق الشام فخري البارودي في نشيده الذي يتغنى به العرب جميعاً حيث يقول:

لسان الضاد يجمعنا

بغسان وعدنان

أيها السادة الأفاضل :

لقد جعلنا تعريب التعليم قضيةً كبرى، وعقدنا لها الندوات والمؤتمرات، وتعالت الأصوات بين مؤيد ومناهض، والحق الذي لا ريب فيه، أن مثل هذا الأمر يجب أن يكون من مسلمات الأمة، لأن اللغة التي كانت لغة الحضارة والعلم لقرون كثيرة، قادرة على مواكبة التطور الحضاريّ والعلميّ، إذا قام على ذلك المخلصون المؤهلون من أبنائها. وهذه جامعة دمشق تقدم المثال الذي تعرفونه جميعاً، فمنذ تأسيسها جعلت اللغة العربية لغة التدريس في جميع الكليات، ففي عام 1919 أسس المعهد الطبيّ العربيّ بدمشق، ومدرسة الحقوق، وقد تحولا إلى كليتين فيما بعد، ودرست فيهما جميع المقررات بالعربية، ثم افتتحت معاهد وكليات أخرى على سنّة ما قبلها من تعريب للتعليم.

وما زالت العلوم كلها معربة في جميع كليات جامعة دمشق، تدريساً وتأليفاً، وعممت هذه التجربة على الجامعات السورية في حلب واللاذقية وحمص.

وقد أثبت القائمون على التدريس في جامعة دمشق، منذ نشأتها وحتى يوم الناس هذا، كفاءة عالية، وقدموا مثالاً يحتذى به للحفاظ على اللغة العربية للتعريب وتعريب التعليم، وبينوا مقدرة هذه اللغة على الوفاء بالتعبير عن جميع فنون المعرفة الإنسانية، ومستجدات الحضارة.

وقد استطاعت جامعة دمشق، بجهود أجيال من أساتذتها الرواد، ومن جاء بعدهم، أن تذلل جميع الصعاب، وأن تستمر في الحفاظ على تعريب التعليم.

ولم نجد حرجاً في ذلك، ولم يؤثر التعليم بالعربية في المستوى العلميّ لطلابنا وخريجينا، الذين أظهروا تفوقاً وتميزاً داخل الوطن وخارجه، ولم يكن تحصيلهم العلميّ بلغتهم العربية إلا دافعاً لهم نحو الأفضل، مع الحفاظ على هويتهم اللغوية وثقافتهم القومية.

وكما كانت جامعة دمشق وفيةً للغتها القومية، كانت أكثر وفاءً للأشقاء العرب في كلّ الأقطار العربية، فمنذ تأسيسها فتحت أبوابها لجميع الأشقاء، واستقبلت أعداداً كبيرةً منهم في جميع الكليات، وتخرج فيها كثير من الطلاب الذين حملوا الراية في أوطانهم، وكان لهم شأن مذكور وأثر طيب في الحركة العلمية والتعليمية.

ولم نفرق يوماً في جامعة دمشق بين طلابنا وبين أشقائهم العرب، لأننا نرى ذلك واجباً، علينا أن نؤديه بأمانة وإخلاص. وكذلك فإن جامعة دمشق لم تبخل بالمشورة، وتقديم العون، ومد جسور التواصل بينها وبين الجامعات العربية، من خلال الخبرات والكتب، وإعارة خيرة مدرسيها إلى الجامعات العربية الشقيقة.

وإذا كان تفردنا في تعريب التعليم العالي يميزنا، ويجعلنا في مقدمة الرواد، وهذا مدعاة فخر واعتزاز لنا في جامعة دمشق العريقة، فإن غيرتنا على أمتنا ولغتنا العربية العظيمة، تحملنا على تجديد الدعوة إلى الأشقاء في الجامعات العربية كي ينضموا إلينا في تعريب التعليم، فنفيدهم من تجربتنا، ونشد أزرنا بهم في زمن كادت اللغة العربية فيه أن تصبح غريبة بين أهلها.

أيها السادة الأفاضل :

تعددت مؤتمرات التعريب وندواته على مدى العقود المنصرمة، وكثرت التوصيات والقرارات، وما زالت جامعة دمشق وجامعات سورية وحيدة في ميدان تعريب التعليم العالي، وكأن باقي الجامعات العربية غير معنية بهذا الأمر، واكتفت بالمشاركة في المؤتمرات، وفي ما يصدر من معجمات أو كتب في باب التعريب، وأرى أنه من الواجب علينا اليوم أكثر مما مضى، أن نكون على مستوى المسؤولية المنوطة بنا، وأن نسعى جاهدين لجعل اللغة العربية لغة التعليم في كل مراحله، وأن ننتقل إلى مرحلة التنفيذ الواقعيّ الصحيح، لأنها الأمانة التي حملناها، وعلينا أن نؤديها بإخلاص ووفاء. فقد تعاظمت الأخطار المحدقة بنا، وحزبتنا الأمور، وأصبحنا مستهدفين في أرضنا وكرامتنا ووجودنا، وأمامنا تحديات كبيرة ليس أعظمها العولمة، فإن لم نتمسك بلغتنا، عنوان ثقافتنا وحضارتنا، وإن لم نعدّ لذلك العدة المناسبة، تفرقت كلمتنا، وتلاشت حضارتنا، وذبنا في بوتقة الآخرين، ونحن أصحاب الرسالة الخالدة.

إن الأمل معقود على هذا المؤتمر، كي يتخذ التوصيات المناسبة، وأن تلقى هذه التوصيات سبيلها إلى الواقع، حتى نكون ممن يقولون ويفعلون، وهذه مزية العلماء المخلصين.

نتمنى لكم جميعاً طيب الإقامة في رحاب عاصمة العربية دمشق، ولأبحاثكم أن تكلل بالسداد والنجاح.

والسلام عليكم

أبحـــــــاث المؤتمـــــــــر

تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ

ضرورته معوقاته، شروط ومتطلبات نجاحه

أ.د. أحمد دويدار البسيوني (*)

أجمع كل اللغويين في جميع أنحاء المعمورة وعلى اختلاف أجناسهم ولغاتهم، أن التعليم باللغة القومية يمثل تصوراً أفضل للذات وسهولة أكثر في التعبير والتعلم وسعة أكبر فيهما، فضلاً عن استيفاء المعلومات في الأذهان مما يعطي قدرة أكبر على الإبداع، وهو الهدف الرئيسيّ للتعليم والتعلم والبحث العلميّ. كما أضافوا أن في اللغة القومية تكمن أفكار الأمة وتقاليدها وتاريخها ودينها وأسس حياتها وقلوب أبنائها وأرواحهم، ولذا أشار اللغويون إلى أن اللغة تتكون من عاطفة وفكر. وبالتالي فهي الأداة المثلى للتواصل بين أفراد المجتمع بجميع مستوياته، وهي الوسيلة الفضلى لانتقال الأفكار والإبداع من المبدعين إلى العامة ومن المختصين إلى أصحاب الحاجة لهذا التخصص، وبذلك تتطور المجتمعات وتتقدم. وإذا تحدثت طبقة الصفوة بلغة غير اللغة القومية، انقطع التواصل بينها وبين عامة الناس وجمد المجتمع وتخلف. واللغة ليست مجرد حروف تكتب أو صوت ينطق، إنما هي كائن حي ينمو ويتطور برعاية أبنائها لها، وتموت وتندثر بإهمال أبنائها لها. واللغة هي أداة الحضارة، وتطور ونمو أيّ حضارة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحفاظ أهل هذه الحضارة على لغتهم وتنميتها، وخير مثال على ذلك انقطاع الصلة بين المصريين وحضارتهم الفرعونية، نظراً لاندثار لغة تلك الحضارة وهي الهيروغليفية، وأيضاً انقطاع الصلة بين اليونانيين والحضارة اليونانية القديمة، ولكن هذه الحضارات نمت في مجتمعات أخرى بلغات تلك المجتمعات، التي تمسكت بلغتها وقامت بتنميتها، من خلال النقل من لغة لأخرى أو من خلال الترجمة، وكان للعرب باع كبير في ذلك في بداية عصر النهضة العربية في القرن السابع الميلاديّ، وكانت أداتهم في ذلك هي لغة القرآن- اللغة العربية- التي بنوا بها حضارتهم الإسلامية العربية. وتجدر الإشارة هنا، إلى أننا نعيش في عالم متعدد الشعوب، وبالتالي متنوع الحضارات واللغات، وهذا التنوع في اللغات يعتبر علامة صحية وإيجابية ويتفق وناموس الحياة، فالتنوع بشكل عام دليل صحيّ لأيّ مجتمع أو أيّ بيئة. وما التنوع البيولوجيّ إلا خير دليل على ذلك، فكلما زاد تنوع الأنواع في بيئة كان ذلك دليلاً على أن هذه البيئة صحية غير ملوثة ومنتجة، أما إذا قلّ التنوع البيولوجيّ لهذه البيئة فهو دليل على التلوث ونذير سوء لهذه البيئة، والتنوع بالنسبة للغات يكون مفيداً وإيجابياً عندما تتفاعل هذه اللغات بعضها مع بعض، من خلال الترجمة، فتثرى مفرداتها ومصطلحاتها وتنمو وتزدهر و لا تموت كما ماتت واندثرت لغات جمد أهلها فجمدت وانتهت.

(*) الأمين العام المساعد لاتحاد الجامعات العربية

وقبل أن نتعرض بشكل تفصيليّ، لإشكالية تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ، فإننا يجب أن نلقي الضوء على هذه المصطلحات- الترجمة- التعريب- التعليم العالي، لما لهذه المصطلحات من مفاهيم خاصة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالهدف الرئيسيّ لهذه الدراسة وهو كيف نجعل السيادة للغة العربية في التعليم العالي ووسائل إنجاحه ومدى أهميته للإنسان العربيّ:

أولاً : الترجمة :

يقال في اللغة العربية: ترجم الكلام: فسره بلسان آخر. فهو تُرجمان وتَرجمان. والجمع: تراجمة وتراجم [1].

ويقول آخر: الترجمة كلمة معربة اشتق منها اسم الفاعل فقيل ترجمان، وهو لقب أطلق في صدر الإسلام على عبد الله بن عباس (ر) فقيل ترجمان القرآن، أيْ المفسر له، وكان يظن قديماً أن لفظ ترجمان مشتق من اللغة الفارسية (تراجومانا) ولكن الدراسات الحديثة أظهرت أنها مشتقة من فعل "ترجم " الأراميّ والذي يعني شرح أو وعظ أو ألقى خطاباً [2].

والترجمة في مفهومها الأكاديميّ هي حركة ثقافية ونشاط علميّ وعمل لغويّ. ومن أهم مهام الترجمة كحركة فكرية هو النهوض بمسؤولية نقل العلوم والثقافة والفنون والآداب إلى اللغة العربية، إسهاماً في توطينها وتمثلها بما يساعد على تحقيق أهداف التنمية الشاملة. ومن جهة أخرى نقل الإبداع والفكر والتراث العربيّ إلى اللغات الأجنبية بما يساعد على التعريف بثقافتنا وهويتنا الحضارية ومواقفنا وقضايانا القومية وإسهامنا الإبداعيّ والفكريّ، ماضياً وحاضراً، في الحضارة الإنسانية.

فالترجمة للعربية غاية، وهذه الغاية عُضوية في عصرنا وفي كل العصور السالفة في تاريخنا، وغاية الترجمة إلى العربية اسمها التعريب، والذي يعتبر هدفاً للترجمة في عصرنا، فما هو التعريب ؟.

ثانياً : التعريب :

مما لاشك فيه أن التعريب من الأهداف القومية التي انعقد عليها الإجماع العربيّ، ولم يحظ موضوع أكاديميّ بما حظي به موضوع التعريب، من عقد مؤتمرات وندوات واتخاذ قرارات تباينت أهميتها وخطورتها تباين الفرق بين تعريب الدولة بدواوينها وتعريب التعليم الذي يعتبر حجر الزاوية في صلاح أيّ مجتمع. ونظراً لتعدد المقاصد من عملية التعريب، فقد اكتسب هذا المصطلح دلالات كثيرة وتنوعت أهدافه ومراميه، واجتهد أهل اللغة في وضع تفسيرات لهذا المصطلح، منها ما هو لغويّ بحت ومنها ما هو شامل يشمل المفهوم القوميّ التطبيقيّ لمصطلح التعريب.

فيقول د. العوا [1] إن التعريب في تعريفه الضيق هو نقل العلوم والمعارف من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية عن طريق الترجمة، لتستخدم اللغة العربية في التعليم بجميع مراحله، وفي البحث العلميّ بمختلف فروعه وتخصصاته، وأيضاً كلغة عمل في مؤسسات المجتمع العربيّ. ثم يضيف أن التعريب بمعناه الأكثر شمولاً يعطي للوحدة العربية مضمونها الحضاريّ المعاصر، ويعينها على كسر طوق التخلف والتحرر من أنواع التبعيات الاقتصادية والتقانية والثقافية، فالتعريب، في نهاية الأمر، يتوخى خلق شخصية إبداعية عربية تملك القدرة الذاتية على إنتاج العلم وصناعة التقانة مع القدرة على التفاعل والمشاركة في الحضارة العالمية والمعاصرة وتجاوز عقبات التخلف والإسهام في صياغة قيم

المستقبل الإنسانيّ والعمل على إنجاز أفضل الممكنات. ويطلق البعض على هذا التفسير لمصطلح التعريب، التعريف التطبيقيّ.

ومن اللغويين من يوسع دائرة التعريب ويرى أن للتعريب "مفهوماً"، جوانبَ فنية وقومية واجتماعية وسياسية وحضارية، وقد يتداخل مع مفهوم الترجمة فتعرض قضايا فنية حول طبيعة اللغة وطاقاتها الدلالية والاستيعابية وآلياتها الذاتية وحول إعداد المترجمين وتدريبهم... إلخ، وفي هذا الإطار تكون قضية التعريب قضية علاقات فكرية وثقافية مع اللغات الأخرى، أيْ قضية عربية أجنبية [3].

من هذا العرض السريع لمفهوم مصطلح التعريب يرى اللغويون أن للتعريب هدفين:

الهدف الأول : خلق شخصية إبداعية عربية تمتلك القدرة الذاتية على إنتاج العلم وصناعة التقانة "التكنولوجيا"، وهذه القدرة ليس مناطها المعرفة العلمية وحدها، ولكن المناخ العلميّ الذي يستدعي عدداً من الظروف المواتية لتملك القدرة الذاتية، وهي ظروف متعددة الجوانب، منها ما هو سياسيّ، ومنها ما هو تشريعيّ، وما هو تنظيميّ، وما هو اجتماعيّ، وما هو ماليّ، وما هو في الأساس علميّ [3].

الهدف الثاني: هو القدرة على المشاركة والتفاعل من منطلق متميز، ذلك أنه يمكن للأمة العربية أن تسهم في الحضارة العالمية المعاصرة، متجاوزةً عقبات التخلف، بضم قدراتها البشرية والعلمية والمادية واستنباط علمها عربياً، وتوحيد استراتيجيتها تنموياً، وأن تضع تقانة " تكنولوجيا " عربية، والسبيل إلى ذلك هو الإنسان الذي يتلقى علوم العصر بلغته، يتعلّم ويُعلّم ويَبْحَث بها، حتى يكون ذلك إغناء للتقانة العربية بين المتخصصين والمتعلمين وجماهير الشعب مما يوسع من قاعدة المشاركة وصنع الوعي بالتقدم ودعم الشعور بالحاجة إليه والإسهام في تطويره [4].

من هذا العرض للمفهوم الشامل والتطبيقيّ للتعريب يتضح ما للتعريب بشكل عام، وفي مجال التعليم العالي والبحث العلميّ بشكل خاص، من أهمية قصوى استشعرها المثقفون الأكاديميون العرب الغيورون على أوطانهم وعلى حضارتهم العربية الإسلامية التليدة، واعتبروا تعريب التعليم العالي والبحث العلميّ من الأهداف القومية التي انعقد عليها الإجماع العربيّ. ولطالما التأمت مؤتمرات وعقدت ندوات ونظمت اجتماعات لدفع هذه العملية إلى الأمام، كما نخلص أيضاً إلى أن الدعوة لتعريب التعليم العالي لا يقصد بها تجميد الماضي والتعصب العرقيّ أو الانغلاق على الذات، بل هو تأكيد للهوية وتطلع إلى المستقبل في انطلاقة إبداعية تتفاعل مع الواقع وتفعل فيه وتواكب التطور الفكريّ والعلميّ والعالميّ من خلال منظومة تعليم عالٍ فعال مرتبط بمجتمعه ويتحدث لغته.

ثالثاً : التعليم العالي :

التعليم العالي هو العنصر الحاسم لمستقبل التنمية في أيّ مجتمع، كما أنه أداة رئيسية للحراك الاجتماعيّ من خلال خريجيه الذين يقودون حركة المجتمع، ولعلنا نعترف أن طبيعة مخرجات سياسات التعليم العالي ومدى علاقته بالتنمية تمثل أحد أهم مكامن الربط بين التعليم والمجتمع وخطط التنمية، فلا مراء في الدور الحاسم الذي يلعبه انتشار التعليم العالي وترقية نوعيته في نهضة المجتمعات، خاصة في سياق عصر المعلوماتية والعولمة، فلا صلاح لأمة دون تعليم

عالٍ فعّال وحيويّ ودائب التطور مع ضمان جودة عالية، فنوعية التعليم هي المشكلة الأخطر.

ولقد وافق المؤتمر العام لليونسكو في دورته السابعة والعشرين (نوفمبر 1993)، على تعريف التعليم العالي بأنه يشمل " كافة أنواع الدراسات أو التأهيل أو التدريب على البحوث التي تقدمها، على المستوى بعد الثانويّ، جامعات أو مؤسسات تعليمية أخرى تعترف السلطات المختصة في الدولة بأنها مؤسسات للتعليم العالي. وبدون مؤسسات ملائمة للتعليم العالي والبحوث قادرة على تخريج النواة اللازمة من ذوي المهارات والمثقفين، فإنه لا يمكن لأيّ بلد أن يضمن تنمية ذاتية مستديمة حقاً، كما لا يمكن، على وجه الخصوص، للبلدان النامية الفقيرة أن تضيق من سعة الفجوة الفاصلة بينها وبين البلدان الصناعية المتقدمة الغنية، فكلنا يعلم أن الفجوة بين الفقر والغنى هي فجوة معرفة. من أجل هذا توسعت الدول والمجتمعات في إنشاء مؤسسات التعليم العالي، خاصة الجامعات، وزاد إقبال الطلاب على الالتحاق بها، وشهد النصف الأخير من القرن الماضي إقبالاً من المجتمع العربيّ على التعليم العالي إقبالاً لم يشهد له مثيل، حيث ارتفع عدد الطلاب من 200,000 طالب عام 1960، إلى حوالي مليون ونصف عام 1980، وإلى حوالي 3 ملايين طالب في منتصف التسعينات، كما زاد عدد الجامعات في الوطن العربيّ من حوالي عشر جامعات فقط في منتصف القرن الماضي إلى حوالي 176 جامعة في نهاية القرن المنصرم.

وتجدر الإشارة إلى هنا أن للأمة العربية الحق في أن تفاخر بأنها أول من أرسى فكرة الجامعة، فلسفةً وتطبيقاً.

فالجامعة تعتبر من أقدم المنظمات الاجتماعية، وقد بدأت كمجتمع منفرد يضم الطلاب والأساتذة، متميزة بروح خاصة، تقوم على مبدأ أساسيّ، وهو حيوية المعرفة. وقد تميز المجتمع الجامعيّ قديماً، وإلى عهد حديث، بتفرغه الكامل للإنتاج العلميّ الذي وصل إلى حد الرهبنة أحياناً، وكان يطلق على أساتذة الجامعات أنهم يعيشون في " برج عاجيّ " نظراً لانفصالهم عن المجتمع، خاصة في المجتمعات التي استقلت حديثاً من العالم النامي التي نشأت فيها الجامعات لمجرد استكمال الشكل العام للدولة، وبذلك حادت الجامعة في هذه المجتمعات عن الهدف الرئيسيّ لها وهو تطوير مجتمعها، حيث يؤكد البعض أن التعليم الجامعيّ يستهدف النهوض بالمستوى الفكريّ للمجتمع، وإلى الارتقاء بالفكر العام، وإلى تنقية الذوق القوميّ، وإلى تزويد الحماسة الشعبية بمبادىء حقيقية وتزويد الأماني الشعبية بأهداف ثابتة، وإلى منح أفكار العصر فخامة ورصانة، وإلى تسهيل ممارسة الحقوق السياسية والعمل على صفاء مجرى الحياة الخاصة. كما أن الجامعة ليست خارج الكيان الاجتماعيّ لأيّ عصر، بل داخلة فيه، إنها ليست شيئا منعزلاً، شيئاً تاريخياً، لا يكاد يتأثر بالقوى والمؤثرات الجديدة، إنها عكس ذلك تعبر عن العصر، كما أنها عامل له أثره في الحاضر والمستقبل سواء بسواء.

فالجامعة تفقد موضوعيتها إن هي ابتعدت عن الارتباط بالمجتمع، فلا بد أن تكون من صميمه، فلا يكفي أن تقوم بالبحوث التطبيقية، بل عليها أن تصل إلى التطبيق نفسه بما يستتبع ذلك من وضع قواعد وأسس للتعامل بين الأكاديميين والتقنيين والتنفيذيين من سياسيين وتكنوقراط، وذلك لأن اختلاف الفكر بين هذه الفئات المختلفة قد يكون من أكبر المعوقات لخروج الفكر الأكاديميّ أو البحث التطبيقيّ إلى حيز التنفيذ ليستفيد منه المجتمع.

من خلال هذا العرض السريع لمفهوم وفلسفة التعليم العالي والجامعيّ، يتضح مدى الارتباط الوثيق والعضويّ بين الجامعة والمجتمع، وبدون هذا الارتباط تفقد الجامعة دورها القياديّ، والرياديّ للمجتمع، بل تصبح وبالاً عليه بما يمكن أن تبثه في هذا المجتمع من أفكار هدامة مستورده تحت الشعار المسمى بالعولمة، وأبسط سلاح يمكن استخدامه في هذا المجال العولميّ الهدام هو استعمال اللغات الأجنبية في التدريس في الجامعات ومعاهد التعليم العالي بديلاً عن اللغة القومية أو تشويها لها وبالتالي لهويتنا العربية، من أجل هذا كان تعريب التعليم العالي ضرورة قومية.

ضرورة تعريب التعليم العالي:

كان لاستعراضنا السابق لمفاهيم مصطلحات الترجمة والتعريب والتعليم العالي، توكيد لأهمية وضرورة تعريب التعليم العالي، أيْ تدريس العلوم الأساسية والطبية والصيدلانية باللغة العربية، وهي العلوم التي ما زالت تُدَّرس بلغات أجنبية في معظم جامعات الوطن العربيّ.

وتجدر الإشارة هنا إلى دراسة مهمة أجريت في إحدى الجامعات العربية، التي كان يتم التدريس فيها باللغة الأجنبية وتم تطبيق التعريب بها، وكان أهم الاستنتاجات التي توصلت لها هذه الدراسة هي (5):

1. التدريس باللغة الأجنبية يعزل الطالب عن جذوره اللغوية ويضع أمامه صعوبة اللغة مع صعوبة المادة فيكون التغلب على إحداها واستيعابها على حساب الأخرى.
2. الزمن اللازم للطالب حتى يستوعب منهاجاً معيناً يتلقاه باللغة الإنجليزية يبلغ أضعاف الزمن اللازم عندما يتلقاه باللغة العربية.
3. التدريس باللغة الأجنبية يفسد اللغة العربية للطالب والمدرس.
4. نظراً لضعف الطلاب في اللغة الأجنبية، فإنهم يلجأون للحفظ عن ظهر قلب، ويلتزمون بالنص الحرفيّ مما يضعف عندهم ملكة التفكير والإبداع التي هي الهدف الرئيسيّ للتعليم الجامعيّ.

والحضارة هي نتاج فكر وإبداع العلماء والمبدعين في المجتمع، وعندما يفكر العلماء ويبحثون وينشرون ويؤلفون بلغة أجنبية فإنهم يضيفون إلى حضارة أهل هذه اللغة، أما عندما يؤلفون ويبحثون وينشرون باللغة العربية فإنهم يضيفون إلى الحضارة العربية التي حرمت من إبداع فكر أبنائها طوال القرن الماضي لهجرهم للغة حضارتهم "العربية" واستخدامهم للغات الأجنبية كأداة للتعبير عن فكرهم وإبداعهم ". واللغة- كما أشرنا سابقاً- هي أداة الحضارة ولا سبيل إلى إحياء حضارتنا العربية إلا بإحياء أداتها، وهي اللغة العربية، وجعلها لغة التعليم والتعلم والبحث العلميّ في مؤسسات التعليم العالي، خاصة الجامعات.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ربط إيجاد تقانة (تكنولوجيا) عربية بتعلم الإنسان العربيّ علوم عصره بلغته، يتعلم ويعلم ويبحث بها، أيّ ربط تعريب التعليم العالي والبحث العلميّ بالتقدم التقانيّ (التكنولوجيّ) في الوطن العربيّ من خلال إيجاد تقانة عربية، تعتبر من أهم وأخطر

القضايا، لأنها تسلط الضوء على أهم القضايا التي تعترض تطور البحث العلميّ في الوطن العربيّ، ويجب أن يتنبه لها الذين يدرسون مشاكل البحث العلميّ في الوطن العربيّ، فهم عادة يركزون على نقص التمويل والفردية في إجراء البحوث وعدم وجود استراتيجية للبحث العلميّ في الوطن العربيّ، فعلى الرغم من أهمية كل هذه الأسباب وغيرها، يبقى سبب رئيسيّ مهم من الممكن أن يحرك كل هذه الأسباب ويحد من تأثيراتها السلبية، ألا وهو " الثقافة البحثية والعلمية" لدى جماهير المجتمع العربيّ، ولا أقصد هنا رجل الشارع، وإن كان له دور مهم، ولكن المعني أكثر بذلك هم كل المسؤولين والمحركين لمؤسسات المجتمع، التجارية والصناعية والاجتماعية، سواء كان قطاعاً خاصاً أو قطاعاً عاماً أو حكومياً، على هؤلاء جميعاً وعلى جميع مستوياتهم أن يكون لديهم قدر من " الثقافة البحثية " ودراية بأسلوب العمل في هذا المجال وبما يتم في المعامل وما ينشر فيها من بحوث، ولن يتم هذا ومجتمع النخبة (الباحثون) يتحدثون فيما بينهم ويبحثون بلغة مغايرة تماماً للغة القومية " العربية " التي يتحدث بها جماهير المجتمع العربيّ. ويجب أن نعترف أن تقدم أيّ مجتمع وتطوره مرهون بتقدم وتطور منظومة البحث العلميّ به، كما أن التقدم هو إرادة مجتمع يريد أن ينمو ويتطور، كما أن أفراد المجتمع ومؤسساته، بمشاكلها وطموحاتها وأحلامها، هم العامل الحافز للباحث كي يبحث ويتطور ويطور مجتمعه. كما أن " الثقافة البحثية " عند أفراد المجتمع تزيدهم شعوراً بالحاجة إلى البحث العلميّ كقيمة وكوسيلة وحيدة لتقدمه وتطوره. فيقبل عليه ويسهم في تمويله وتطويره. ولن يتم ذلك والباحثون يتحدثون ويبحثون وينشرون بلغة مغايرة تماماً للغة القومية "العربية" التي تتحدث بها جماهير أمتهم. وبسد هذه الفجوة، بتعريب التعليم العالي والبحث العلميّ، نستطيع أن نربط بين الجامعات والمجتمع، وهي أيضاً قضية مهمة جداً تشغل بال جميع المسؤولين عن التعليم العالي والجامعات في الوطن العربيّ، حيث بدأوا في وضع التشريعات والقوانين لتحقيق ذلك وإيصال ما انقطع لفترة طويلة. وكان من أسباب عزلة الجامعة عن مجتمعها، أن مجتمع الجامعة يتحدث لغة غير لغة المجتمع ككل. وبسد هذه الفجوة، بين الجامعات ومراكز البحوث من ناحية والمجتمع من ناحية أخرى وذلك بتعريب التعليم العالي والبحث العلميّ، نستطيع القول إنه عندئذ يكون من المستطاع إيجاد تقانة عربية وبالتالي "صناعة" عربية لا "تصنيع" كما هو منتشر الآن في معظم الوطن العربيّ.

من هذا العرض السريع لضرورة التعريب، يتضح أن الثقافة والحضارة العربية وكذا الهوية العربية مرتبطة صعوداً وهبوطاً بعملية التعريب، فمع ازدهار عملية التعريب تزدهر الحضارة العربية ومع إهمال اللغة العربية، وبالتالي عملية التعريب، تضمحل الحضارة العربية ويتضاءل دور العرب ثقافياً وحضارياً. من هنا يصبح تعريب التعليم العالي أكثر من ضرورة بل حياة للأمة العربية، ويمكن استعارة مقولة عميد الأدب العربيّ طه حسين فنقول إن تعريب التعليم العالي بالنسبة للعرب ضرورة من ضروريات الحياة كالماء والهواء.

معوقات تعريب التعليم العالي وشروط نجاحه:

قبل أن نعرض لمعوقات تعريب التعليم العالي ومتطلبات وشروط نجاحه، نرى أن نناقش أولاً أسباب وعوامل ظهور هذه القضية حديثاً، فبعد صحوة التعريب الحديثة في الوطن العربيّ والتي بدأها محمد علي باشا في مصر في بداية القرن التاسع عشر، حيث ظلت العلوم الطبية تدرس باللغة العربية حوالي سبعين عاماً، صدر خلالها العديد من

المؤلفات والمترجمات الطبية باللغة العربية والتي أُجهضت بالاستعمار الإنجليزيّ لمصر عام 1882، [6] والذي استتبع بإنهاء الدولة العثمانية ووقوع البلاد العربية كلها ليس فقط تحت السيطرة العسكرية الأوروبية، بل سيطرت الثقافة الأوروبية على معظم وسائل الحياة العربية وأولها التعليم عامة، والتعليم العالي خاصة، وما استتبع ذلك من ظهور مجموعة من المثقفين العرب في أوائل القرن العشرين والذين ما زلنا نعتبر بعضهم من رواد التنوير، زعموا أن العربية لا تصلح لهذا العصر وعلومه وأنها السبب في تأخر العرب وتخلفهم عن ركب الابتكار والإبداع، فمنهم من دعا إلى هجر العربية الفصيحة والأخذ بالعامية، ومنهم من دعا إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية، ومنهم من دعا إلى ترك العربية واعتماد لغة أخرى [7]. ولكن هجمة التغريب هذه تصدى للرد عليها المثقفون العرب الذين لم يصبهم فيروس التغريب وبقوا مخلصين لقوميتهم محافظين على ثقافتهم وهويتهم العربية، ولكن هذه الهجمة تركت آثارها السلبية على التعليم العالي وعمل الزمن على ترسيخ استخدام اللغة الأجنبية بدلاً من العربية في التدريس العلميّ في أكثر البلاد العربية وبذلك ظهرت الحاجة الملحة إلى تحويله إلى العربية؛ أيْ إلى تعريبه وفي دراسة تحليلية وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أشارت فيها إلى أن العلوم الأساسية في مرحلة التعليم العالي تدرس بلغة أجنبية كلياً في سبع دول عربية وجزئياً في ثلاث دول، والعلوم الهندسية تدرس بلغة أجنبية كلياً في عشر دول عربية وجزئياً في ثلاث دول، والعلوم الاجتماعية والإنسانية تدرس بلغة أجنبية جزئياً في سبع دول [7]. ومما لا شك فيه أن الأكاديميين العرب يبذلون كل الجهد لتعريب التعليم العالي، وقد نجح الأخوة السوريون في ذلك إلى حد كبير، ولكن لا تزال هناك معوقات تعترض عملية التعريب بعضها مفتعل ناتج عن عملية التغريب التي أشرنا إليها، وبعضها حقيقيّ نتيجة التطور الهائل في العلوم والتقانة الحديثة وما استتبع ذلك من ظهور علوم جديدة وبمصطلحات جديدة.

تقع إشكالية التعريب في إهمال اللغة العربية واعتماد لغات أجنبية مكانها في التدريس والبحث العلميّ بالجامعة، وأيضاً كأداة للتواصل بين أبناء الأمة، ولعلنا نعترف أن إحلال لغة أجنبية محل اللغة القومية يعتبر ظاهرة اجتماعية نشأت عن القهر والاحتلال الأجنبيّ الذي اجتاح العالم العربيّ في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، بحيث أصبح التحدث باللسان الأجنبيّ عنوان الرقيّ والتقدم والثقافة والانتماء للطبقة الراقية. ويقول كمال يوسف الحاج في كتابه " فلسفة اللغة " [8]: ابتلينا بإهمالنا للعربية بغرورنا أن سواها أعمق وأبهى وأفتق وأقرب إلى مقومات الحضارة الحديثة، فابتلينا بعقدة التكابر حيال لساننا وبعقدة التصغار حيال لسانهم، والنتيجة صغرنا في أنفسنا دون أن نكبر في أنفس الحاكمين. كما يدعي أنصار المعارضين للتعريب أن اللغة العربية لغة بداوة تفتقر إلى التجريد ولا تستطيع حمل المصطلحات الحضارية، وأن العربية لا عهد لها بالمخترعات والمكتشفات الحديثة، وأن ثمة عدم دقة في مصطلحاتها الموضوعة على المصطلح الأجنبيّ. فهل حقاً اللغة العربية قاصرة عن مواكبة التقدم العلميّ والتقنيّ بوضع اللازمة المصطلحات لذلك وتوليدها؟، خير رد على هذا التساؤل هو النظر إلى شجرة الحضارة، وهل كان للغة العربية دور فيها؟ فسوف نجد أن الدور اللغويّ الرئيسيّ في استمرارية شجرة الحضارة واستدامتها كان للعربية، فحركة التعريب الأولى أحيت كل التراث الحضاريّ الإنسانيّ بمختلف لغاته وقدمته إلى العالم باللغة العربية وبمصطلحات عربية ما زال بعضها يستعمل حتى الآن، وخير دليل على ذلك هو تدريس

الطب باللغة العربية في جامعة باريس لمئات السنين، وبعد موجة الظلام التي سادت الوطن العربيّ والتي تواكبت مع عصر النهضة الأوروبية، ثم بدء حركة التعريب الثانية التي بدأها محمد علي باشا في مصر في بداية القرن التاسع عشر، كانت العربية هي الأداة الناجعة في تدريس الطب والهندسة والصيدلة في المدارس العليا التي أنشأها محمد علي والتي استمرت حوالي سبعين عاماً، إلى أن أجهضها الاستعمار البريطانيّ في نهاية القرن التاسع عشر، ولم يدعي أحد أن العربية قاصرة عن مواكبة العلوم الحديثة التي نشأت في القرن التاسع عشر [9]، قرن النظريات الحديثة والمخترعات العلمية التي نعيش عليها حتى الآن. فاللغة العربية، لأسباب لغوية وحضارية، لديها القدرة على استيعاب المفاهيم والمصطلحات المستحدثة أياً كانت، والتعبير عنها أفضل من العديد من اللغات الحية الحديثة؛ فالعربية تنفرد عن جميع لغات العالم باكتشاف الأرقام فخر اللغة العربية، حيث تقول المستشرقة الألمانية زيجرد هونكه:... "كل الأمم المتحضرة تستخدم الأرقام التي تعلمها الجميع عن العرب، ولولا تلك الأرقام لما وجد اليوم دليل تليفونات، أو قائمة أسعار البورصة، ولما وجد هذا الصرح الشامخ من علوم الرياضيات والطبيعة والفلك، بل ولما وجدت الطائرات الأسرع من الصوت أو صواريخ الفضاء، لقد كرَّمْنا هذا الشعب الذي مَنَّ علينا بهذا الفضل الذي لا يقدر حين أطلقنا على أرقام الأعداد عندنا اسم الأرقام العربية؟؟ " [10].

قبل هذا وبعده، تبقى العربية " لغة القرآن " التي اختارها ربُّ العزة لتكون أداة توصيل رسالته إلى الناس كافة، لما لها من سعة في استيعاب المعاني التي يمكن فهمها في كل عصر ومع اختلاف الحضارات فهماً صحيحاً وهو ما لا يتأتى في اللغات الأخرى، فهل تعجز هذه اللغة المعجزة عن استيعاب المفاهيم والمصطلحات المستحدثة للعلوم الحديثة؟ مما لا شك فيه أن اللغة العربية قادرة على ذلك ولكن ذلك يستدعي إزالة بعض المعوقات وتوفر بعض الشروط حتى تصبح العربية لغة التعليم والتعلم والبحث العلميّ في الجامعات العربية، وأداة تواصل مع الثقافات والحضارات المعاصرة بل تصبح جزءاً منها، **ولكي تنجح عملية تعريب العالي يجب أن نضع في الاعتبار ما يلي :**

1- المصطلح العلميّ:

عند تعريبنا للعلوم المختلفة نعني أول ما نعني نقل المصطلحات الجديدة والخاصة بكل من هذه العلوم إلى اللغة العربية، والبعض يجعل من كثرة المصطلحات، تبعاً للتطور الهائل في العلوم والتقانة، عقبة ومعوقاً لعملية التعريب في الجامعات العربية، علماً بأن قضية المصطلح العلميّ ليست فقط قضية اللغة العربية ولكنها قضية لغات أخرى كالفرنسية والألمانية والروسية واليابانية وغيرها من اللغات التي يستعملها أهلها للتعليم في معاهدهم وجامعاتهم، ويرى البعض أن هذه المصطلحات لا تتعدى 15 % من النّص المترجم في قلة من العلوم، وهي في أغلب الأحيان أقل من 5-10 % كحد وسط عند بعض خبراء الترجمة مثل بيتر نيومان (1988) [11]، ولذا يجب ألا تشكل المصطلحات العلمية صعوبة أو عقبة في تدريس العلوم الحديثة بالجامعات باللغة العربية، بل تسير عملية الترجمة والتأليف بالعربية جنباً إلى جنب مع نقل المصطلحات الجديدة والتي سوف تستمر باستمرار التطور العلميّ والتقنيّ المتسارع في العالم العربيّ، وذلك لإيماننا أن لغتنا العربية من الاتساع والقدرة بحيث تستطيع التعبير عن معطيات الحياة والعلم الواردة من الخارج بلغة سليمة، وفي هذا المجال يرى الأستاذ الدكتور محمود السيد [3] أن استخدام اللغة العربية في التعليم أمر واستعمال

المصطلحات أمر آخر، ويضيف أنه يجب أن نكتب عن العلم بالعربية وندرس بالعربية وتبقى المصطلحات بأسمائها الأجنبية إلى أن تحل مشكلتها. ومن الرواد الأوائل الذين حملوا لواء تعريب المصطلحات العلمية وترجمة العلوم الحديثة، رفاعة رافع الطهطاويّ الذي أسس مدرسة الألسن (كلية الألسن- جامعة عين شمس)، وأحمد فارس الشدياق الذي دعا في مجلته إلى العمل الجماعيّ لتعريب مصطلحات العلوم والفنون والدكتور إبراهيم اليازجيّ الذي كتب في مجلة " الضياء " مطالباً بتعريب المصطلحات العلمية، وكان هؤلاء الرواد يمثلون الإرهاصات الأولى للمجامع اللغوية والعلمية العربية التي أخذت على عاتقها خدمة اللغة العربية ووضع المصطلحات بالعربية مقابل المصطلحات الأجنبية، ومن أهم هذه المجامع اللغوية:

1. مجمع اللغة العربية بدمشق.
2. مجمع اللغة العربية في القاهرة.
3. المجمع العلميّ العراقيّ.
4. مجمع اللغة العربية الأردنيّ.
5. مجمع اللغة العربية بالسودان.

وقد قامت هذه المجامع بوضع مبادىء اعتمدتها في وضع المصطلحات وتوليدها. وقد ساعد ذلك على ظهور العديد من الدراسات والندوات والمؤتمرات تتناول تعريف المصطلح، وصفات المصطلح ووسائل وضع المصطلح العربيّ من اشتقاق وتعريب ونحت. وكان نتيجة هذه الدراسات والمؤتمرات إثراء المكتبة العربية بالمعاجم المتخصصة ومجموعات المصطلحات التي وضعتها المجامع اللغوية العربية. وتجدر الاشارة هنا إلى مشكلة مهمة جداً تعتبر من معوقات التعريب في الجامعات العربية، وهي تشتت المصطلح العربيّ وعدم توحيده، نظراً لتعدد الجهات العاملة في هذا المجال على اتساع الوطن العربيّ، وبذلك أصبحت مشكلة توحيد المصطلح العربيّ وسبل نشره من أهم القضايا التي اهتم بها المشتغلون في مجال المصطلحات أو التعريب أو المعجم، وعقدوا لذلك العديد من الندوات والمؤتمرات التي أوصت بتعريب المصطلح وتوحيده واقترحت وسائل لتوحيده ونشره، ولم تنجح تلك التوجهات كما ينبغي مما دعا المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى إنشاء مكتب تنسيق التعريب والذي قام هو أيضاً بوضع خطة لوضع المصطلحات وتنسيقها، مستأنساً بقرارات المجامع اللغوية. وكانت هذه المبادرة من جانب المنظمة أولى المحاولات الجادة في سبيل توحيد المصطلحات العربية والتي ما زالت تؤرق المختصين العاملين في هذا المجال، مما دعا البعض إلى الدعوة إلى تكوين لجان وطنية محلية متخصصة للعمل المصطلحيّ في جميع الدول العربية، تنبثق عنها مجموعات عمل على غرار لجنة نورمان للمصطلح NAT في ألمانيا [11]. ويدعم هذا هيئة عربية واحدة قومية مشتركة من جميع الدول العربية تحظى بدعم كامل من الحكومات العربية كلها حتى نستطيع أن ننجز عملية تعريب التعليم العالي بفكر عربيّ موحد يؤكد هويتنا العربية ويحمينا من هيمنة العولمة.

2- اجادة اللغة الأجنبية:

المعترضون على تعريب التعليم العالي يرون أن لغة العلم في عصرنا الحاضر هي اللغة الإنجليزية (98 % من المراجع والمصادر العلمية إنجليزية)، ويدّعون أننا إن لم نعلم الطلاب العرب اللغة الإنجليزية فإننا نمنعهم من الاطلاع على هذه المصادر ونغلق عليهم نافذة العلم، فضلاً عن أن استعمال اللغة الإنجليزية في تدريس العلوم يعد أسرع وسيلة

للسيطرة على هذه اللغة. هذا الرأي يشمل حقيقة واقعية وهي أن الإنجليزية تعتبر لغة دولية للعلوم، ولذا فإجادتها للعاملين في هذا المجال ضرورية. أما مقولة أن التدريس بها في الجامعات يعتبر وسيلة لإجادتها فهذا موضوع جدليّ قابل للنقاش، فهذا الرأي يفترض أن الطلاب الملتحقين بالجامعة من التعليم الثانويّ لا يجيدون الإنجليزية، وهذا حقيقيّ. والحقيقة الثانية أن تدريس المواد العلمية بالإنجليزية لا يقوي لغتهم الإنجليزية بالقدر الذي يضعف من العملية التعليمية بالجامعة، حيث يقوم الأساتذة، تسهيلاً على الطلاب، بتحويل المقررات إلى مختصرات في صورة مذكرات يحفظها الطلاب عن ظهر قلب، لضعف القدرة التعبيرية عندهم بالإنجليزية، وبذلك تقوى عند الطلاب ملكة الحفظ والاسترجاع، وتضعف عندهم ملكة الفكر والإبداع وبالتالي يفقدون الآلية الوحيدة التي يمكن بها أن يسهموا في الإبداع العالميّ ويصبحوا جزءاً منه. وقد أثبتت الدراسات أيضاً عدم تردد الطلاب على المكتبات لعدم قدرتهم على الاطلاع على المراجع الأجنبية وبذلك يفقد التعليم الجامعيّ أهم مقوماته، وقد أثبتت الدراسات أيضاً أن الطلاب كثيراً ما يلجأون إلى لغتهم العربية، يشرحون بها ما يعجزون عن التعبير عنه بالإنجليزية في الامتحانات على الرغم من دراستهم للمادة باللغة الإنجليزية، وقد لوحظ أن هؤلاء الطلاب أصبحوا لا يجيدون اللغة العربية ولا اللغة الإنجليزية، وبذلك يفقدون وسيلة التعبير الرئيسية للتواصل الحضاريّ.. وهي اللغة. وعلاج ذلك يتجلّى في تقوية اللغة الإنجليزية عند طلاب المدارس بدءاً من التعليم الابتدائيّ بحيث يلتحق الطالب بالجامعة وهو يجيد اللغة الإنجليزية، وذلك في حالة الطلاب الراغبين في الالتحاق بكليات الطب والعلوم والهندسة والصيدلة، إجادة تمكنه من التعلم بها والرجوع إلى المراجع الأجنبية إذا أراد، ويدعم ذلك استمرار تدريس اللغة الأجنبية للطلاب في الجامعة بشكل تخصصيّ تبعاً للأسلوب الذي يقره مجلس الكلية المختص. ومما لا شك فيه أن نجاح عملية تعريب التعليم العالي وإتيانها ثمارها المرجوة يعتمد اعتماداً رئيسياً على قدرة المؤسسة التعليمية على تقوية اللغة الإنجليزية عند طلابها وجعلهم يملكون ناصيتها، كما يجب العناية باللغة العربية في مراحل التعليم العام قبل الجامعيّ وفي التعليم الجامعيّ إذا لزم الأمر.

3- الأستاذ الجامعيّ:

الأستاذ أو المدرس الجامعيّ هو العمود الفقريّ للجامعة وبصلاحه تصلح الجامعة وعلى مدى اجتهاده وتطويره لفكره وعلمه تتطور الجامعة وتنمو. فالجامعة كما نعلم هي في تعريفها الأكاديميّ مجموعة من المدارس العلمية والفكرية ينشؤها الأساتذة البارزون، ولذا كان الاهتمام بأسلوب اختيار أساتذة الجامعة وإتاحة الفرصة والإمكانات لهم لكي يطوروا أنفسهم وبالتالي يطوروا الجامعة والمجتمع. وعلى عاتق الأستاذ الجامعيّ تقع مسؤولية إنجاح عملية تعريب التعليم العالي، فيجب أولاً أن يكون هناك قناعة تامة لدى أساتذة الجامعة بأهمية التعريب واستعدادهم لبذل الجهد في هذا الاتجاه، خاصة من يتقن اللغة العربية منهم، وعلى الجامعات أن تعد برامج تساعد المدرس الجامعيّ على إتقان اللغة العربية بجانب إتقانه اللغة الأجنبية، فإيجاد المصطلح العلميّ هو أولاً وأخيراً، مسؤولية العلميين والمتخصصين كل في تخصصه. كما يجب على لجان الترقية في القطاعات الجامعية المختلفة أن تأخذ في الاعتبار إنتاج المتقدم للترقية من الكتب والبحوث والمقالات المترجمة ولا تهملها كما يحدث الآن في بعض اللجان، حتى نشجع الباحثين الشباب والعلماء على بذل الجهد في هذا الاتجاه، وحتى نثري المكتبة الجامعية والمكتبات العامة بالكتب العلمية المترجمة، مما يكون

له عظيم الأثر بالنسبة لطلاب الجامعة عند التدريس لهم باللغة العربية أو بالنسبة لرواد المكتبات العامة الراغبين في التزود بالثقافة العلمية والبحثية.

4- الكتاب الجامعيّ:

من أخطر سلبيات التدريس باللغة الأجنبية لطلاب الجامعة هو هجرهم للمكتبة الجامعية التي يعتبرها الجامعيون عقل الجامعة، ولكي يستقيم التعليم الجامعيّ مع تعريبه يجب أن تثرى المكتبة الجامعية بالمزيد من المراجع والكتب العلمية المترجمة والتي يجب أن يرجع إليها الطلاب في أثناء تلقيهم العلم بالجامعة، ولعل مشكلة عدم توفر المرجع الجامعيّ العربيّ أو المعرب أو المترجم تعتبر من أعقد المشاكل والمعوقات التي تواجه تعريب التعليم العالي، ولذا يجب توفر الاعتمادات المالية لتأمين المراجع والمعاجم غير المتوافرة باللغة العربية، كما يجب عدم الاقتصار في عملية التعريب على الكتب الجامعية المقررة في الجامعات على أنها أمهات الكتب، بل يجب أن تشمل أيضاً أمهات المجلات العلمية ليكون الطالب سواء في مرحلة البكالوريوس أو مرحلة الدراسات العليا على اتصال دائم وبلغته، بتقدم العلوم وتطورها على النحو الذي يفعله الإنجليز والفرنسيون والألمان والروس... إلخ". كما يجب أن تحتوي المكتبة الجامعية على نسخ من التراث العلميّ العربيّ والمخطوطات العلمية العربية الموجودة، سواء في داخل الوطن العربيّ أو خارجه، كالمتحف البريطانيّ بلندن والمكتبة الأهلية بباريس والأسيكوريال في إسبانيا.

5- القرار السياسيّ:

المتابع للمتاهات التي تسير فيها عملية تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ والتردي الذي تتردى فيه هذه العملية المهمة للأمة العربية، سوف يخلص في النهاية إلى أن السبب في ذلك يرجع إلى عدم وجود قرار سياسيّ حاسم يحسم هذه القضية المهمة. والدليل على ذلك أن عملية التعريب الأولى بدأت بقرارات وتشجيع من الخلفاء الأمويين والعباسيين، وقد تبنوا عمليات الترجمة والتأليف ورصدوا لها الأموال الطائلة، وأغدقوا العطايا على العلماء والباحثين، وأنشأوا المؤسسات العلمية التي تؤكد هذا التوجه المهم". وعملية إنشاء تعليم عالٍ في مصر تدرس فيه العلوم الطبية والهندسية وخلافه باللغة العربية في بداية القرن التاسع عشر، بدأت بقرار حاسم من حاكم مصر محمد علي باشا وبتشجيع ومتابعة شخصية منه. وها نحن الآن قد دلفنا إلى القرن الحادي والعشرين وقد تحول العالم إلى ما يشبه القرية الكونية بعد التطور الهائل في وسائل الاتصال والمواصلات وثورة المعلومات، وأصبحت تلاطمنا من حين لآخر موجات عاتية تكاد تغرقنا بدعوى العولمة مرة، وعالمية اللغة الواحدة مرة أخرى، وغيرها من الدعوات الاستعمارية التي تستهدف ثقافتنا وهويتنا بل ولغتنا العربية، كل هذا يحدث ونحن ما زلنا نعيش في جو المؤتمرات والندوات والتوصيات لتعريب التعليم العالي ولم نتقدم خطوة واحدة في الاتجاه الصحيح الذي قدمه أسلافنا لنا. وواجبنا نحن الآن كأكاديميين عرب أن نجعل من قضية تعريب التعليم العالي قضية سياسية لها الأولوية الأولى عند القيادات السياسية في الوطن العربيّ حتى يصدروا القرارات الحاسمة لبدئها وتقديم الدعم الماديّ اللازم - وهو ليس بالقليل- لإنجاحها.

دور اتحاد الجامعات العربية:

كما أعطينا للقرار السياسيّ أهميته، وهو فعلاً كذلك، فهناك أيضاً الجمعيات والاتحادات العلمية والأكاديمية غير الحكومية والتي لها دور مهم في هذه القضية

المهمة ويجب أن تقوم به، وعلى رأس هذه القائمة يأتي اتحاد الجامعات العربية واتحاد مجالس البحث العلميّ العربية وغيرهم من جمعيات تعريب العلوم المنتشرة في الوطن العربيّ. وذلك إيماناً من اتحاد الجامعات العربية بعمق مسؤوليته نحو عملية تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ، حيث يمثل الاتحاد المجتمع الأكاديميّ العربيّ، ممثلاً في جامعات العالم العربيّ المنوط بها وضع أسس حضارة عربية تدفع بالمجتمع العربيّ إلى مصاف المجتمعات المتقدمة كما أنها مسؤولة مسؤولية مباشرة عن جعل اللغة العربية أداة لهذه الحضارة المرجوة من خلال استخدامها في التدريس والنشر العلميّ بجميع المؤسسات الأكاديمية بالوطن العربيّ. من هذا المنطلق، فقد ساهم الاتحاد في إقامة المؤتمرات والندوات الداعية لضرورة البدء فوراً في تعريب التعليم العالي ومناشدة رؤساء الجامعات أعضاء الاتحاد وحثهم على تنفيذ ذلك، كما اشتملت قرارات مجالس الاتحاد على أن تكون السيادة للغة العربية في مختلف وجوه النشر العلميّ بالجامعات العربية وعلى قبول البحوث المنشورة باللغة العربية بين الإنتاج العلميّ الأصيل لأعضاء هيئات التدريس المتقدمين للترقية، من أجل هذا أقر مجلس الاتحاد، في دوراته السابقة، مبلغ ثمانين ألف دولار أمريكيّ، وبواقع عشرة آلاف دولار كل عام، لدعم مجلات اتحاد الجامعات العربية التي تقبل نشر البحوث الأصيلة باللغة العربية، والتي تستضيفها بعض الجامعات العربية الأعضاء في الاتحاد، كما أصدر مجلس الاتحاد. في دورته 31 المنعقدة في رحاب جامعة قناة السويس، قراراً بتشجيع الترجمة والتأليف باللغة العربية، وأقر مبلغ اثني عشر ألف دولار أمريكيّ كبداية للمشروع، لدعم ترجمة وطباعة أحد المراجع العلمية التي يحتاجها طلاب كليات الصيدلة، وقامت الأمانة العامة للاتحاد بتكليف جمعية كليات الصيدلة العربية المنبثقة من الاتحاد بتنفيذ هذا المشروع، والتي قامت بدورها بتوقيع اتفاق مع المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وكان ثمرة هذا التعاون ترجمة مرجع صيدلانيّ بعنوان "الأشكال الصيدلانية ونظم إيتاء الدواء"، ويعد هذا الكتاب مرجعاً علمياً لطلاب كليات الصيدلة في الوطن العربيّ، والذين أقروا ترجمته هم عمداء كليات الصيدلة في الوطن العربيّ، وقد تمت ترجمته إلى العربية باعتماد المصطلحات العلمية الواردة في المعجم الطبيّ الموحد والمعجم الصيدلانيّ الموحد. هذا نموذج للتعاون بين الجهات المعنية بتعريب التعليم العالي والذي نرجو له الاستمرار، من خلال الدعم الماديّ المستمر من قبل الاتحاد والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إلى جانب الدعم السياسيّ والماديّ الذي يجب أن تقوم به المؤسسات المعنية في حكومات الدول العربية.

وختاماً:

فإننا ندعو كل الأكاديميين العرب، خاصة من يشغل منهم منصباً تنفيذياً في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي، أن يجعلوا من قضية تعريب التعليم العالي قضية قومية سياسية لها أولوية أولى عند القيادات السياسية في الوطن العربيّ، حتى يصدروا القرار السياسيّ الحاسم لبدئها ورصد الاعتمادات المالية اللازمة لها في موازنات الوزارات المعنية حتى يمكن التغلب على معوقاتها ودعم أسباب إنجاحها، كإصدار المعاجم المختلفة ذات المصطلح العربيّ الموحد الذي يسهل حركة الترجمة والتأليف باللغة العربية، وإثراء المكتبة العربية، بالمراجع وأمهات الكتب والمجلات العلمية، ووضع برامج لإجادة اللغات الأجنبية والعربية عند الطالب والأستاذ الجامعيّ، كل هذا يتطلب قرارات سياسية مدعومة بدعم ماديّ صريح في موازنات المؤسسات المعنية بذلك، خاصة

المؤسسات التعليمية باختلاف مستوياتها. هذا إلى جانب جهود المجتمع المدنيّ من جمعيات واتحادات معنية بعملية التعريب والترجمة التي يجب عليها أن تساهم في تحمل تكاليف هذه العملية، من خلال خطة تركز على ترجمة المراجع وأمهات الكتب العلمية التي تكون مصدراً رئيسياً للمقررات التي تدرس في الكليات المعنية بالتعريب، مثلما تقع على عاتق الأكاديميين العرب أيضاً مسؤولية إبراز مدى أهمية تعريب التعليم العالي وإحياء دور اللغة العربية في المجالات العلمية، ففي ذلك إحياء للحضارة العربية وبناء سياج من العلم والفكر يحمي الهوية العربية من مخاطر ظاهرة العولمة التي تجتاح العالم الآن.

المراجع

1- عادل العوا " **الترجمة مفتاح التنوير العربيّ- المجال الفلسفيّ** "، مجلة التعريب- العدد الخامس عشر- حزيران/ يونيو 1998.

2- محمد زهير البابا " **التعريب بين الماضي والحاضر** "، مجلة التعريب- العدد العاشر- كانون أول/ ديسمبر 1995.

3- محمود أحمد السيد " **إشكالية تعريب التعليم العالي** "، مجلة التعريب- العدد الثاني عشر- كانون أول/ ديسمبر1996.

4- محيي الدين صابر " **قضايا الثقافة العربية المعاصرة** "، الدار العربية للكتاب- تونس 1982.

5- نوفل الأحمد " **من تجارب التعريب في بعض الجامعات العربية**"، مجلة التعريب- العدد السادس- كانون أول/ ديسمبر1993 .

6- ملك أبيض " **تعريب التعليم العالي: تنمية لغوية وثقافية** "، مجلة التعريب- العدد الخامس- حزيران/ يونيو 1993.

7- شحادة الخوري " **واقع اللغة العربية- عربياً ودولياً** "، مجلة التعريب- العدد الحادي والعشرون- حزيران/ يونيو 2001

8- كمال يوسف الحاج، " **في فلسفة اللغة** "، د ار النهار- بيروت، 1967.

9- أنطوان مقدسي "**واقع الترجمة في الجمهورية العربية السورية** "، دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربيّ "- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1985.

10- هونكه " **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوربا** "، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة مارون عيسى، بيروت 1993.

11- حسن سعد غزاله " **واقع التعريب من ألفه إلى يائه** "، مجلة التعريب- العدد الحادي والعشرون-حزيران/ يونيو 2001.

12- علي توفيق الحمد "**في المصطلح العربيّ (قراءة في شروطه وتوحيده**، مجلة التعريب- العدد العشرون-كانون ا لأول/ ديسمبر2000 م.

دور الأستاذ الجامعيّ في تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ

د. هاني مرتضى(*)

تمهيد:

إن لغة أيّ أمة هي عنوان هويتها، ووعاء ثقافتها وحضارتها، ولذلك فإن الأمم تستمر وتتطور ما دامت محافظة على لغتها متمسكة بها، حريصة على تطورها ومواكبتها لما يجري في العالم من تطور حضاريّ متسارع. ولذلك أيضاً نجد أن لغات بعض الأمم تُستهدَف، لإضعافها وإماتتها، حتى يسهل على الآخرين السيطرة على مقدرات تلك الأمم بعد أن تفقد هويتها، ولا سيما في هذا الزمن الذي انحسر فيه الاستعمار العسكريّ المباشر ليحل محله استعمار بوجوه جديدة.

ومما هو معروف لدى أهل الاختصاص أن لكل لغة خصائص وقوانين تميزها من غيرها، وتكسبها شخصيتها، وكلما كانت خصائص هذه اللغة مرنة أكسبتها القدرة على البقاء والدوام، والتعبير عن مستجدات الحضارة الإنسانية، والتأثير في باقي اللغات والتأثر بها.

وتأتي اللغة العربية في مقدمة اللغات الحضارية العالمية، لما يتميز به نظامها الصوتيّ،والنحويّ، والصرفيّ، والدلاليّ، من خصائص تجلعها على رأس اللغات الحية، ويضاف إلى ذلك كله أن خصَّها الله بمزية أخرى؛ إذ جعلها لغة القرآن الكريم الذي أنزله ﴿بلسان عربيّ مبين﴾ للناس كافة، فهي لغة آخر كتاب سماويّ يدعو الناس إلى الإيمان بالله، كما تعهد الله بحفظ هذا الكتاب بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وهذا يؤدي بالضرورة إلى حفظ اللغة العربية، لغة كتابه العزيز.

ويشهد تاريخ اللغة العربية أنها كانت الأقدرَ على الحياة والاستمرار، والتأثير في اللغات الأخرى، ومسايرة التطور الحضاريّ.

فقد كانت اللغة العربية لغة قبائل متنقلة في الجزيرة العربية، تعبّر عن حياتهم البسيطة، ومجتمعهم البسيط، ولمـّا جاء الإسلام بدعوته العالمية كانت هذه اللغة أداته للدعوة، وبرزت للوجود دولة عربية موحدة تحمل دعوة جديدة وحضارة جديدة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً من أمم مختلفة وألسنة متعددة، وانصهرت حضارات كثيرة في بوتقة الحضارة العربية الإسلامية الجديدة، وكانت اللغة العربية وسيلة التعبير الوحيدة عن كل ذلك، وانتشرت الحضارة العربية الإسلامية، وامتدت رقعة هذه الدولة الجديدة من أواسط الصين شرقاً إلى جنوب فرنسا غرباً، ومن بخارى وطشقند وسمرقند شمالاً إلى أواسط إفريقيا جنوباً،

(*) رئيس جامعة دمشق

وصارت الحضارة العربية الإسلامية الحضارة الأولى في العالم، وكانت اللغة العربية هي وسيلة التعبير الوحيدة عن هذه الحضارة وما رافقها من تطور،واقتدرت هذه اللغة على التعبير عن كل جديد دون أن يظهر فيها ضعف أو وهن. فكانت اللغة العربية لغة الحضارة العالمية لقرون كثيرة.

ولم تستطع النكبات التي أصابت الأمة أن تنال من هذه اللغة أو تضعفها، فعلى الرغم من السيطرة السياسية للحكام من غير العرب على مقدرات الأمة قروناً طويلة متعاقبة، ظلت اللغة العربية متماسكة مؤثرة قوية، ولما تفككت الخلافة العربية الإسلامية إلى قوميات، استقل الوطن العربيّ بلغته، واحتفظت بعض القوميات بالحرف العربيّ للكتابة والتعبير؛ كالذي نراه اليوم في اللغة الفارسية، والأوردية.

ورافق انحدار الحضارة العربية الإسلامية في القرون الأخيرة، وتفتتها إلى دويلات ضعيفة مستضعفة، تقدُّمٌ حضاريّ جديد عند أمم أخرى، بدأت تأخذ مكانتها المرموقة في الحضارة الإنسانية، وتحاول فرض حضارتها ولغتها وقيمها على الأمم الأخرى. وشرعت الدول المستضعفة تبحث عن هوية لها، ومكان جديد ضمن المتغيرات الجديدة، ولذلك نشأت مجموعة من القضايا المشكلة، وعلى رأس هذه القضايا مشكلة اللغة وقدرتها على مسايرة التطور الحضاريّ الجديد.

و "إن كبرى المشكلات المثارة في العالم العربيّ، والتي تعود إليها سائر المشكلات في ميدان اللغة هي مشكلة نهوض اللغة العربية وقدرتها على الوفاء بحاجات أهلها في هذه الحياة الجديدة سواء في ميدان العلوم أو الفن أو الأدب، بأغراضه وآفاقه الحديثة، أو في ميدان الحياة العملية، بما فيها من مستحدثات لا ينقطع سبيلها" [1].

ولذلك كثرت الآراء والدراسات التي تناولت هذه المشكلة في جوانبها المختلفة، ومنها مشكلة تعريب التعليم في الوطن العربيّ، إذ كثرت التساؤلات حول مقدرة اللغة العربية على أن تكون لغة التعليم، والتعليم العالي خاصة، وقدرتها على أن تكون لغة المؤلفات العلمية، وأن تكون قادرة على مواكبة التطور العلميّ المعاصر المتسارع بصورة مذهلة.

وسيحاول هذا البحث تناول جزئية من هذه المشكلة، وهي (دور الأستاذ الجامعيّ في تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ، ودراستها بما يخدم اللغة من خلال الواقع اللغويّ، والعمليّ والواقعيّ).

مشكلة التعريب:

إن ظاهرة التعريب والنقل إلى العربية لم تكن مشكلة قبل القرنين الأخيرين، وربما قبل القرن العشرين فقط !

ويمكننا أن نُرجع أسباب هذه المشكلة إلى مجموعة من الأمور، أبرزُها:

1- التراجع العلميّ لأقطار الوطن العربيّ بشكل عام. وهنا لا بد لنا من التمييز بين استخدام مستجدات العلوم والتقانة، وبين إبداعها وإنتاجها.

2- يقابله تطورٌ سريع مذهل للعلوم عند بعض الأمم الأخرى، عجزت الدول العربية عن مواكبته، بل عن الاقتراب منه.

3- استهداف اللغة العربية من قبل أعدائنا إمعاناً في إضعافها، لإضعاف الأمة وتفتيتها، وعند ذلك

تسهل السيطرة على الوطن العربيّ؛ لجعله تابعاً وسوقاً استثمارية جيدة في الوقت الراهن.

وقد تنبه على هذه المسألة كثير من المخلصين، يقول أحدهم في معرض حديثه عن محاولات إلغاء العربية من التدريس في الجامعات العربية: " بل وكادت يد التفرنج تمتد بالسوء إلى إحدى قلاع التعريب الجامعيّ، أعني جامعة حلب، من خلال تقرير الخبراء الأجانب الذي أوصى، بإجماع الآراء، بضرورة تعليم الطب في جامعة حلب باللغة الإنجليزية، ويرى بوضوح أن وراء هذه التوصية نية مبيتة لغزو عاصمة بني حمدان، والغريب أن مقوماتنا الأولى من لغة وتربية وما إلى ذلك هي التي نجعلها محل استشارة، واستشارة أجنبية بالخصوص، في حين أن الشعوب التي تريد أن تبني كيانها على أساس من ماضيها وحضارتها تخطط لنفسها وتستعين بالأجانب على التنفيذ [2].

4- ضعف الغيرة على اللغة العربية عند بعض المثقفين العرب، ولا سيما عند بعض من تعلقوا بالثقافات الأخرى بسبب أو بآخر، مما زهّدهم في لغتهم وحضارتهم، وجعل قلوبهم تتعلق بتقليد الدول المتقدمة، وعيونهم تبهر ببهارجها، وهذا ما حمل ضمناً شيئاً من الازدراء بلغتنا وثقافتنا وحضارتنا.

5- ضعف المعرفة باللغة العربية —وربما انعدامها أحياناً– عند بعض المتعلمين، ولا سيما عند غير المختصين، مما جعل فجوة بين معرفتهم باللغات الأخرى، ومقدرتهم على التعبير عنها بلغتهم العربية، وهذا ما حملهم على التوهم أن اللغة العربية قاصرة عن التعبير ومسايرة التقدم العلميّ الجديد.

6- عجز أهل الاختصاص والمعرفة الصحيحة والغيرة — أو تعجيزُهم بوسائل شتى — عن اتخاذ الإجراءات التنفيذية اللازمة لحل المشكلة، وبيان الحقيقة، والارتقاء باللغة العربية لتكون لغة الحديث والتعليم.

7- إهمال الأنظمة السياسية لهذه المشكلة، والتكاسل عن اتخاذ القرارات الحاسمة والضرورية التي تحمي اللغة العربية، أو الأخذ بالتوصيات التي تصدر عن مجامع اللغة العربية، أو الندوات العلمية المختصة، أو الجهات العلمية المعنية بذلك، وتنفيذها.

هذه أبرز الأسباب التي جعلت من تعريب التعليم والعلوم مشكلة كبيرة، تكاد تصبح مزمنة، وربما تسير في طريق غير صحيح إذا نحن أهملنا معالجتها، وبقينا على ما نحن عليه من تواكل وتباطؤ في اتخاذ الحلول العلمية الصحيحة وتنفيذها.

مفهوم التعريب:

إن ظاهرة التأثير والتأثر والتبادل بين اللغات معروفة لدى الدارسين والباحثين، وهي قديمة قدم التقاء المجتمعات واختلاط أهل اللغات المختلفة. "فالاقتراض اللغويّ ظاهرة عامة بين اللغات، وارتحال الكلم فيما بينها واحدة من المسلمات، وهو من آثار التقاء الحضارات والثقافات. وإذا كان النقاء العرقيّ اليوم متعذراً، فإن النقاء اللغويّ أكثر تعذراً" [3].

وقد كان لمصطلح (التعريب) في تاريخ الثقافة العربية ثلاث دلالات مختلفة باختلاف الأزمان، وهي:

1- عند القدماء حتى عصر النهضة: كان مصطلح (التعريب) يعني بيان الكلمات المستعملة في

اللغة العربية ذات الأصول الأعجمية، أو نقل بعض الكلمات الأعجمية إلى اللغة العربية وفق الشروط المحددة لذلك، وقد أُلّف في ذلك عدد من المؤلفات أشهرها كتاب (المعرَّب من الكلام الأعجميّ) للجواليقي، ويلاحظ في هذه الفترة أنهم ربما قرنوا بين (المعرَّب) و (الدخيل) على أنهما مصطلح واحد. (4).

2- في عصر النهضة (الجيل الماضي): كان مصطلح (التعريب) يعني (الترجمة)؛ أي أن يقوم الباحث بترجمة كتاب ما إلى لغته، ولذلك نجد على بعض الكتب المترجمة عبارة: (تعريب فلان) أو (عرّبه فلان).

3- في الزمن الحاضر: التعريب يعني استعمال اللغة العربية تدريساً وتأليفاً، في جميع مراحل التدريس، ومنها التعليم العالي، وفي جميع الاختصاصات، ومنها الاختصاصات العلمية.

ولما كانت مشكلة التعريب من المشكلات المعاصرة فإن البحث يتناولها بمفهومها الثالث، وهو تعريب التعليم تدريساً وتأليفاً.

لمحة تاريخية عن تعريب التعليم في الوطن العربيّ:

يحسن بنا أن نشير إلى لمحة تاريخية عن تعريب التعليم في الوطن العربيّ، لِما لذلك من دلالة حول إمكانية تطبيق هذا الأمر ونجاحه.

ولعل أول محاولات التعريب كانت في المدرسة الطبية التي أنشأها محمد علي باشا عام 1827م في أبي زعبل، واستقدم إليها أطباء من فرنسا وإيطاليا؛ يلقون محاضراتهم؛ وتُترجم هذه المحاضرات فوراً. (5). (انظر مبارك 64 وما بعدها) "ولم تمض عشرون سنة حتى كان الطب في مصر عربياً بلغته، وبلغ مجموع الكتب الطبية المؤلفة بالعربية 73 كتاباً" (5)، واستمرت حركة الترجمة لتشمل معظم العلوم الأخرى.

واستمر التدريس بالعربية في مصر، وكذلك في لبنان (في الكلية الإنجيلية- الجامعة الأمريكية فيما بعد) حتى دخول المستعمر الأجنبيّ، فتحول التدريس فيهما إلى الإنجليزية).

أما في بلاد الشام فتعود محاولات التعريب إلى أوائل القرن التاسع عشر، على الرغم من أن لغة التعليم بشكل عام كانت اللغة التركية حتى عام 1909م، مع وجود بعض المدارس الخاصة التي تدرس بالعربية.

ولما أنشئ المعهد الطبيّ العربيّ في دمشق عام 1919م (كلية الطب فيما بعد) كان التدريس فيه باللغة العربية، وما زال كذلك إلى يوم الناس هذا. وقام على التدريس والتأليف والترجمة مجموعة من الأساتذة الرواد المخلصين للغتهم وأمتهم، واستمرت الأجيال تتوارث هذا الأمر ببساطة إلى يوم الناس هذا. (6)

ويمكن أن نشير هنا إلى أهم المؤتمرات والندوات التي قامت حول التعريب:

- ففي عام 1938 م أصدر مؤتمر اتحاد الأطباء العرب قرارات بتوحيد مصطلحات الطب.

- وفي عام 1946م وقع وزراء التربية العرب في الكويت اتفاقية تنص على ضرورة التدريس بالعربية.

- وفي عام 1952م أوصى مؤتمر منظمة الأغذية والزراعة(الفاو) الذي عقد في عمّان بترجمة المصطلحات الجراحية.

-وفي عام 1961م عقد المؤتمر الأول للتعريب في الرباط.

– وعقد مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية في الجزائر عام 1964م.

– وفي عام 1966م تشكلت لجنة المصطلحات الطبية العربية، وصدر عنها الجزء الأول من المعجم الطبيّ الموحد عام 1973م.

– وصدرت توصية عن المؤتمر الثقافيّ العربيّ الثامن الذي عقد في القاهرة عام 1969م باستعمال اللغة العربية في التعليم والتأليف.

– وفي عام 1973م عقد المؤتمر الثاني للتعريب في الجزائر، وكان فيه إصرار على البدء في التعريب تدريساً وتأليفاً مباشرة.

– وأكدت مؤتمرات التعريب، ضرورة استعمال اللغة العربية وتعريب التعليم.

– وفي عام 1997م، أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثالثة والستين توصية بتعريب التعليم "حتى لا تبقى جامعات الأمة العربية الجامعات الوحيدة في العالم التي تدرس العلوم بلغة أجنبية" (7).

دور الأستاذ الجامعيّ في تعريب التعليم العالي:

مما لاشك فيه أن للأستاذ الجامعيّ أهمية كبرى في مسألة تعريب التعليم، لأنه ركنها الأساسيّ الفاعل والمنفذ لها، فبقدر ما يكون مؤهلاً لها تتم العملية بنجاح، ويكون تطبيقها الصحيح.

ومن البديهي أن العملية التعليمية تقوم على ثلاثة عناصر أساسية:

الأستاذ – والطالب – والكتاب:

أ– **الطالب:** هو الجهة المنفعلة في العملية التعليمية، وهو المتلقي لما يُلقى عليه، أو يُملى، وهو قارئ الكتاب المقرَّر.

وحتى يكون التعليم نافعاً ومجدياً، ويكون الطالب أكثر استيعاباً ومقدرة على الفهم، فإن اللغة المستعملة في التعليم يجب أن تكون لغته التي يعرفها ويألفها، ويفكر بها.

والتعليم بغير اللغة القومية مخالف تماماً لأصول التربية والتعليم، لأننا بذلك نقيم حاجزاً بين الطالب وبين تفكيره بلغته أولاً، ونحرم الطالب الذي لا يتقن لغة أخرى من التعلم، كما أننا بذلك نكون قد أضفنا الرابط الأساسيّ الذي يربط هذا الطالب بوطنه وأمته ولغته القومية، إذ لا بد من أن يساوره شيء من الشك في ضعف هذه اللغة والتقليل من شأنها، ولو لم يكن الأمر كذلك، لما استعاضت الدولة عنها بلغة أجنبية عنه في وطنه.

وليس أدل على هذه القضية مما يقوم به عدونا الصهيونيّ في كيانه، إذ فرض التعليم بالعبرية في جميع المراحل، حرصاً على توحيد مجتمعه المتفكك أصلاً، وربطه بلغة توحّده، على الرغم من أن العبرية تكاد تكون من اللغات الميتة قبل قيام كيانه المصطنع. ولم يجد أحد صعوبة في ذلك، مع إتقانهم لغات عالمية أخرى في الغالب.

والذي لا ريب فيه أن الطالب أكثر استيعاباً لما يُلقى عليه بلغته القومية، وأكثر إبداعاً بها إذا سارت

العملية التعليمية بشكلها الصحيح، وقام بها أساتذة مؤهلون تأهيلاً علمياً ولغوياً مناسباً.

ب-الكتاب: هو الوسيلة التي يستعين بها الطالب لتنمية معارفه، وتثقيف نفسه، وتثبيت ما يلقى عليه في قاعات الدرس، وكلما كان الكتاب أقرب إلى فهم الطالب وأيسر له في القراءة، أدى ذلك إلى نتائج أفضل، وساعد على كمال التعليم والوصول إلى الغاية المرجوة منه، ومما لاشك فيه، أن الكتاب إذا كان باللغة القومية للطالب كان أكثر تأثيراً في تنمية معارفه وثقافته، وزاد من ارتباطه بوطنه وأمته.

جـ- الأستاذ: هو الأساس في التعليم، وهو الموجه الأول للطالب، والمصدر الأهم في تلقين المعارف والعلوم، لأنه الممارسة التطبيقية للعملية التعليمية، فإذا كان الأستاذ مؤهلاً علمياً ولغوياً، مقتدراً على إيصال المعرفة، استقامت العملية التعليمية، وأدت الغاية المرجوة منها، بغض النظر عن اللغة التي يتحدث بها، أو يؤلف كتبه، ولا علاقة لصعوبة اللغة، أو كونها غير عالمية في هذا الأمر.

فلما كان المدرسون مؤهلين علمياً، مقتدرين على التعبير عن المعارف بلغتهم، لم تكن هناك مشكلة في التدريس باللغة العربية.

ولما قام على تعريب التعليم- تدريساً وتأليفاً - مدرسون من أهل الخبرة العلمية الجيدة، والثقافة اللغوية، والمقدرة على استعمال اللغة بيسر، استطاعوا أن يؤدوا كل العلوم بلغتهم القومية دون الإشارة إلى أيّ صعوبة تعترضهم، فقدماء المعرِّبين في الوطن العربيّ أدوا واجبهم على أتـــم وجه. وكذلك ما قام به أعداؤنا في الكيان الصهيونيّ، على الرغم من قصور لغتهم. ومثل هذا يقال أيضاً في معظم جامعات العالم كالصين، واليابان، وروسيا، وألمانيا وغيرها.

ولعل بعض العرب يثيرون الشبهات حول قصور اللغة العربية في التعبير عن العلوم الحديثة، وأنها لغة ليست عالمية اليوم، وعلينا أن نواكب العلم والحضارة باللغة العالمية المشهورة — وهم في معظمهم- يقصدون اللغة الإنجليزية.

ولا بد من الرد على ذلك وبيان أمور ربما تغيب عن بعض هؤلاء، أو يُغيّبوها عمداً:

1- لا بد من التفريق بين التعليم باللغة العربية، وبين تعريب المصطلحات العلمية، وهذا أمر جد خطير، فإن الدعوة إلى تعريب التعليم لا تعني بالضرورة تعريب كل المصطلحات، فمن الجائز- وهو من قوانين اللغة العربية- الإبقاء على المصطلحات العلمية العالمية، مع الإشارة إلى المرادف العربيّ لها إن وجد، وهذا يعني أن المدرس يلقي محاضرته، أو يؤلف كتابه باللغة العربية، فيكون أقدر على التعبير والإيصال، ويكون الطالب أقدر على التلقي والفهم، مع الاحتفاظ بالمصطلحات العلمية على صورها المعهودة، ووضع البدائل إلى جانبها إن أمكن.

2- إن اللغات الحضارية العالمية ليست دائمة في كل زمان ومكان، فقد كانت الفارسية واليونانية لغة الحضارة القديمة، ثم سادت اللغة العربية قروناً طويلة، ثم الفرنسية، واليوم تشهد الإنجليزية انتشاراً وشيوعاً في العالم، وما من أحد يستطيع أن يتكهن إلى أيّ زمن تدوم، وما اللغة القادمة بعدها.

ويترتب على هذا الأمر، إذا تابعنا اللغات العالمية، أن نستمر في اللهاث وراء اللغات المتبدلة حضارياً وعلمياً، وأن نبدِّل طرقنا في التدريس والتأليف، وأن نراوح بين لغات مختلفة، وهذا يؤدي إلى تقطع أوصال الأمة أولاً، وإلى انقطاع التواصل بين الأجيال على مر العصور، لأن ما ألف بالعربية سيأتي عليه حين من الدهر يكون غريباً عن أبنائه الذين جروا وراء الإنجليزية مثلا، وربما يأتي زمن آخر تسود فيه اليابانية، وتصبح لغة التعليم والثقافة، فينقطع الناس عما ألفوه بالإنجليزية، وهكذا يصبح تراث الأمة بحاجة إلى الترجمة وملاحقة الأمم الأخرى، وهذا يؤدي إلى فقدان الهوية، وضياع الشخصية، والقبول بالتبعية، وانعدام الطموح نحو العالمية والتأثير بدل التأثر.

3- ليست هناك حتى اليوم لغة حضارية علمية واحدة في العالم: فحضارة الحاسوب والإلكترونيات تقودها اليابان، والتصنيع وما إلى ذلك أمريكا، وطب العيون إسبانيا وروسيا، ولألمانيا وفرنسا تفوق في بعض الجوانب العلمية، فأيّ لغة تعتمد لتكون مجالاً للتعبير عن المعرفة، ووسيلة للتعليم والتأليف؟ !

وهنا لابد من التفريق أيضاً بين لغة التداول العالمية، واللغة العلمية المختصة الدقيقة.

4- إذا افترضنا جدلاً – وكما هو حاصل اليوم في معظم الجامعات العربية- أن اللغة التي يجب أن تستعمل في التعليم هي اللغة الإنجليزية، فإننا سنواجه مشكلة أكبر ليس من اليسير تجاوزها، فنحن سنفرض على جميع المدرسين أن يستخدموا هذه اللغة، ونحن نعلم يقيناً أنهم لا يمتلكون هذه اللغة جميعاً، فكثير من المدرسين تَخَرَّجوا في جامعات لا تعلم بالإنجليزية، كالذين تخرجوا في فرنسا، أو ألمانيا، أو إيطاليا، أو إسبانيا، أو روسيا، أو رومانيا، أو بلغاريا... وهؤلاء جميعاً لا يتقنون الإنجليزية، فعليهم إذاً أن يتوقفوا عن التدريس، أو أن يعيدوا بناءهم العلميّ من جديد باللغة الإنجليزية، وبذلك يكون هناك إضرار مزدوج بالعلم ومستواه، وعزل كامل للغة القومية عن مسايرة التطور الحضاريّ والعلميّ، وفي هذه الحالة تكون العودة إلى العربية أسهل بكثير من هذا الأمر.

5- عندما نفرض لغة غير اللغة العربية على طلابنا في جامعاتنا فإننا نقيم حاجزاً بينهم وبين لغتهم وثقافتهم، لأن هؤلاء الطلاب لا يمتلكون المقدرة الكافية على الفهم والتعبير باللغة الأجنبية، فتأسيسهم – في الغالب- لا يؤهل إلى هذا المستوى، وبذلك إما أن نرهقهم بما نفرضه عليهم، وإما أن نعوقهم عن الاستمرار في التحصيل العلميّ العالي، وفي الحالتين نكون قد خرجنا عن الجادة الصحيحة في تعميم التعليم العالي ورقي المجتمع، وحُلنا، بشكل أو بآخر، بين الطلاب وبين الإبداع والتفوق، لأن المقدرة على الإبداع والتفوق تكون نسبتها أعلى عندما يكتب الإنسان باللغة التي يفكر بها ويرتبط بها قومياً، لأن استعداده النفسيّ لذلك أقوى وأعظم.

6- لابد من الإشارة إلى أن كثيراً من المدرسين الذين تخرَّجوا في بلدان أجنبية لا يتقنون لغتهم الأم، و لم يكن تأسيسهم اللغويّ كافياً، ولذلك يجدون صعوبة في التعليم باللغة العربية، ويلجؤون إلى اللغة الأجنبية التي أتقنوها وأخلصوا لها.

7- ثمة أمر مهم يجب التنبيه عليه، ذلك أن تعريب التعليم لا يعني أبداً إضعاف اللغات الأجنبية أو

التقليل من شأنها، فتعريب التعليم شيء، وتنمية معارف الطلاب وتوجيههم نحو إتقان لغة أجنبية شيء آخر فهما يقترنان، ولا يتضادان، إلا في حالة فرض اللغة الأجنبية في التعليم.

من ظواهر التعليم العالي: (المعرّب وغير المعرب):

يحسن بنا أن نشير إلى بعض الظواهر ذات الدلالة في تجربة التعليم العالي، ونبدأ بالحديث عن تجربة التعليم المعرَّب.

وتعد جامعات الجمهورية العربية السورية الرائدة في هذا المجال، والمحافظة عليه تدريساً وتأليفاً في جميع الكليات.

فقد بدأ التعليم العالي في الجامعات والمعاهد السورية معرباً، وما زال إلى يوم الناس هذا، ولم تمر هذه التجربة دون معارضين أو منتقدين، فقد كان تعليم النحو العربيّ في العهد العثمانيّ باللغة التركية، وفي العهد الفيصليّ - بعد الحرب العالمية الأولى- وقف المتخرجون من إسطنبول ضد تعريب التعليم في البداية، كحال كثير من خريجي الدول الأجنبية اليوم، ولكن لم يمض عام حتى استوعبوا الأمر، وأدركوا خطره، وانقلبوا إلى دعاة تعريب، مؤمنين بأهميته والمسؤولية المترتبة عليه. وكانوا أصحاب همة عالية، وغيرة شديدة، فانبروا يؤلفون الكتب ويشكلون اللجان لتعريب العلوم، فشكلت لجنة لتعريب المصطلحات العسكرية من العلماء: ياسين باشا الهاشمي، وعبد القادر المبارك، ورشيد بقدونس، ومراد الاختيار، وصدر أول معجم عربيّ للمصطلحات العسكرية.

وكان للشيخ طاهر الجزائريّ أثر في جعل التدريس في المراحل الابتدائية باللغة العربية بعد أن أقنع الوالي مدحت باشا بذلك، وألف الكتب المناسبة لذلك.

ثم توالى العلماء وأصحاب الخبرة بالتأليف والتدريس في الجامعات السورية باللغة العربية، مما أعان على استمرار تجربة التعليم في جميع الكليات، فعلى سبيل المثال هناك:

الدكتور أسعد عربيّ درقاوي، والدكتور بديع الكسم، والدكتور عادل العوا في قسم الفلسفة، والدكتور صلاح يحياوي والدكتور جمال الفرا في الكيمياء، والدكتور مصطفى حداد والدكتور سعيد الحفار في علم النبات، والدكتور مدني الخيمي، والدكتور حسني سبح في الطب، وكان رئيساً لمجمع اللغة العربية في دمشق، والدكتور عبد الله عبد الدايم في التربية، والدكتور ميشيل خوري صاحب معجم مصطلحات طب الأسنان، ومصطفى الشهابي صاحب معجم المصطلحات الزراعية، وغيرهم كثر.

إن هؤلاء وأمثالهم أسسوا لتعريب التعليم العالي في سورية، وأعانوا على استمراره، على الرغم من أن معظمهم كانوا قد درسوا في جامعات أجنبية.

وليس ثمة مشكلة في التدريس أو التأليف بالعربية في الجامعات السورية، كما أن خريجي هذه الجامعات الذين أتموا تحصيلهم العالي في جامعات أجنبية لم يجدوا أيّ عقبة في ذلك، بل إنهم كانوا من المبرزين والمتفوقين، ولم يكن لدراستهم الجامعية بالعربية أثر سلبيّ أبداً، كما لم تكن هناك مشكلة في التدريس لدى عودتهم إلى

جامعاتهم، يشهد بذلك كتبهم التي ألفوها في اختصاصاتهم بالعربية، وهي تُدَّرس في كليات الجامعات السورية، ومحاضراتهم المتميزة، ومقدرتهم العالية.

بينما نجد آراء أخرى في التدريس باللغات الأجنبية في الجامعات العربية، ويرى كثير من الدارسين أن اللغة الأجنبية المستعملة لا تقوم بالواجب المرجو منها، فمثلاً يقول الدكتور. محمود مختار:

"إنها لغة مولدة عقيمة، تمتزج فيها لغة محلية عامية بلغة أجنبية ركيكة ضعيفة، وقد انتشرت هذه اللغة –إن جاز أن نسميها لغة– في جميع الكليات العلمية الجامعية في معظم أرجاء الوطن العربيّ" (8).

ويقول آخر: "وقد دأبت في الآونة الأخيرة أن أتابع محاضرات الآخرين – ولا أزعم أنني خير منهم – فأيقنت مدى تدني إتقان المتخصصين منهم باللغة الأجنبية... لأن غالبيتنا في تدريسنا الجامعيّ لا نستعمل اللغة الأجنبية، ولكننا نستعمل هجيناً لغوياً، لا هو بالعربيّ ولا هو بالأجنبيّ، وحتى الذين يتقنون اللغة الأجنبية إتقاناً جيداً يلجؤون إلى تفسير ما يعتقدونه صعباً باللغة العربية" (9).

ومثل هذا يراه الدكتور محمود حافظ إذ يقول: " ويا ليت اللغة التي يتعلم بها الطلاب لغة سليمة، بل هي آخذة في التردي، وزاد الطين بلة تكدّس الطلاب... وعجزهم عن استيعاب المادة العلمية وفهمها وهضمها تماماً بهذه اللغة الأجنبية، ويكفي أن نطلع على أوراق إجاباتهم بكليات العلوم والطب التي أعرفها حق المعرفة، لنرى انحدار المستوى اللغويّ والعلميّ في هذه الأيام، والذي بلغ درجة من الضعف عند الكثير من الطلاب لم يسبق لها مثيل، ومع ذلك نرى عزوفاً عن التدريس باللغة العربية.(10)

يتضح لنا من هذه الآراء وأمثالها المشكلة التي تعاني منها الكليات غير المعرَّبة، والواقع غير المستقيم، ولعل مرد ذلك إلى ضعف اللغة الأجنبية بشكل عام لدى الطلاب العرب في بلدانهم، وإلى ضعف بعض الأساتذة في القدرة على الإيصال بشكل صحيح، أو إدراكهم للمستوى المتدني للطلاب مما يحملهم على التبسيط الذي يصبح فيه التدريس بلغة هجينة بين العامية والفصحى والأجنبية، وعند ذلك ليس لنا أن نقول إن هذه الجامعات تدرّس بلغة أجنبية. فالمدرس في الغالب ليس وفياً للغة الأجنبية التي يدرّس بها، وليس عنده المقدرة على التعبير الدقيق بلغته العربية، فتكون لغته من الضعف بمكان.

الخلاصة والتوصيات

تبين لنا أن تعريب التعليم العالي ليس مشكلة مستعصية على الحل، وأن التعليم بلغة أجنبية ليس الحل الأمثل، ولم يطبق بشكل صحيح، وحمل معه مجموعة من المشكلات التي تستوجب تغييره والعودة إلى اللغة القومية الموحدة، اللغة العربية، لأن المهم أساساً بقاء الأمة. والمحافظة على الأمة أهم من المحافظة على العلم إذا اقتضت الضرورة. وسلفت الإشارة إلى أن عدونا الصهيونيّ الذي هو مجتمع خليط من أشتات العالم فرض لغته الميتة سابقاً وجعلها لغة لكل العلوم والفنون، واستطاع أن ينجح في ذلك، لإيمانه بخطر القضية وضرورتها، لأن اللغة من أهم العناصر الموحدة للأمة والمجتمع.

وليس هناك أمة واعية تدرّس بغير لغتها القومية، ومعروف لدى الجميع أن الاتحاد السوفيتيّ السابق الذي ضم عدداً من الجمهوريات والقوميات، قد ترك لكل جمهورية من جمهورياته أن تدرّس بلغتها — وكان قادراً على فرض اللغة الروسية- لأنه ليس من المعقول إهمال ذلك، كما أنه معروف بالضرورة أن التفوق والإبداع تزداد احتمالاته لدى الأفراد الذين يكتبون ويعبرون باللغة التي يفكرون بها؛ أي لغتهم الأم.

وثابت لدى الجميع أيضاً أن الأستاذ الجامعيّ هو أساس عملية التعريب، وهو العنصر الفاعل فيها، ولذلك فإنه يتحمل المسؤولية كاملة، كما يتحمل الأعباء المترتبة على ذلك، ويجب أن تتضافر الجهود وتتوحد حتى تؤتي أكلها، وإلا فستبقى جهوداً فردية تكاد لا ترى ولا تجدي، ولا تؤثر في حل المشكلة.

ولا بد من الإشارة إلى أن جزءاً لا بأس به من المشكلة عند الأستاذ الجامعيّ مرده إلى عنصر الخوف والرهبة وقلة الثقة بالنفس، ولكن سرعان ما يتبدى للمخلص أن ذلك وهم زائل، وأن الصعوبة مؤقتة يسهل على العزيمة والإرادة تجاوزها، وقد أثبتت التجربة عند السابقين في التعريب صدق هذا القول.

وحتى يستطيع الأستاذ الجامعيّ القيام بواجبه في تعريب التعليم العالي على أتم وجه، فإننا نرى أنه لا بد من تحقيق الأمور التالية:

1- أن يكون مقتنعا بأن التعريب ضرورة وواجب، وأن لا مشكلة في التدريس والتأليف باللغة العربية.

2- أن يخلص في عمله وفي مساعيه نحو تحقيق الغاية المرجوة.

3- أن يدرك أن تعريب التعليم شيء وتعريب المصطلحات شيء آخر، لا تضاد بينهما، ولا يعني التعريب إضعاف اللغة الأجنبية.

4- عليه تنمية معرفته باللغة العربية،من حيث معرفةُ قواعدها ومفرداتها وأساليبها في التعبير، لأن ذلك يعينه على التعبير الدقيق والعبارة السليمة، والترجمة الحقيقية.

5- إقامة دورات تثقيفية إلزامية لأعضاء الهيئة التدريسية، توضع لها برامج محددة تسهم في إغناء معرفتهم وإكسابهم مفردات جديدة ومقدرة على استعمال اللغة العربية، ولذلك يجب أن يقوم على وضع برامج هذه الدورات خبراء مجربون من أهل الدراية العالية. ويجب أن لا نرى في مثل هذه الدورات حيفاً أو انتقاصاً من أقدارهم، لأننا في كثير من الأحيان نلزمهم بأمور، وبالخضوع إلى دورات هي دون هذا الأمر أهمية (كإلزامهم بدورات اللغات، والحاسوب، و...). وعلى عضو هيئة التدريس أن يكون متفرغاً تفرغاً تاماً لهذه الدورات التي لن تستوجب كثيراً من الوقت إذا أحسنا التخطيط لها.

6- توحيد الجهود، على مستوى الجامعات العربية كافة، وتيسير وصول المصطلحات المعربة إلى جميع المختصين، وبسرعة، ويمكن الإفادة في هذا

الجانب من التقدم الحضاريّ والعلميّ ووسائله التي أصبحت متيسرة.

وعلينا، في النتيجة، أن نتبنى التعريب تدريساً وتأليفاً، ولا بد لذلك من قرار حاسم وتصميم أكيد، فإن لم يصدر هذا القرار من أساتذة الجامعة، فلا بد من صدوره من السياسيين، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وتجربة الجزائر في تعريب مؤسسات الدولة في زمن هواري بومدين خير شاهد على إمكانية تطبيق التعريب بقرار سياسيّ.

الحواشي

1- فقه اللغة: 227

2- منهجية التعريب لدى المحدثين: 148-149، وانظر مجلة مجمع القاهرة ج/56/ص 189، لغة العلوم في التدريس الجامعيّ- لعبد الله كنون)

3- منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث: 5.

4- ينظر كتاب أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج: 34

5- اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلميّ: 67

6- مجلة مجمع اللغة العربية/ دمشق : 229/2/2

7- اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلميّ: 102

8- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: 163/56

9- منهجية التعريب لدى المحدثين: 150

10- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: 163/56

المراجع

- أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج: مسعود بوبو – وزارة الثقافة – دمشق
- التعريب مؤسساته ووسائله: ممدوح خسارة – مؤسسة الرسالة – بيروت – 1420-1999.
- التعريب والتنمية اللغوية: ممدوح خسارة – الأهالي – دمشق-1994.
- فقه اللغة وخصائص العربية: محمد المبارك -دار الفكر- بيروت – 1395-1975.
- اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلميّ: مازن المبارك – دار النفائس – بيروت – 1418-1998- ط- سادسة.
- منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث: ممدوح خسارة- مؤسسة الرسالة -بيروت - 1420-1999.
- منهجية التعريب لدى المحدثين: ممدوح خسارة-رسالة جامعية – جامعة دمشق.

المجـــــلات

- مجلة مجمع اللغة العربية : دمشق
- مجلة مجمع اللغة العربية : القاهرة

إعداد الكتاب العلميّ الجامعيّ
باللغة العربية تأليفاً وترجمةً

أ.د. موفق دعبول – أ.د. خضر الأحمد (*)

1- مقدمة

شهد الوطن العربيّ في القرن التاسع عشر بواكير نهضة علمية في وقت تشعبت فيه الفروع العلمية، وتوسعت آفاقها، وتنوعت مناحيها. وقد واكب هذه النهضة إيفادُ بعض البلاد العربية، وبخاصة مصر ولبنان، مبغوثين إلى الغرب للتخصص في مؤسساته العلمية العالية، وافتتاحُ كليات في تلك البلاد لتدريس العلوم، وخاصة الطب والهندسة. وفي هذه الكليات، اعتُمدت العربية لغةً للكتاب والتدريس، ورافق ذلك بزوغ نشاط في التأليف، والترجمة، ووضع مصطلحات عربية تقابل المصطلحات العلمية الأجنبية.

وقد استمر هذا الوضع في مصر إلى حين احتلال البريطانيين للقطر المصريّ الشقيق عام 1882، الذي أحدث ردة عن العربية في التأليف والتدريس إلى الإنجليزية. وفي لبنان أيضاً، غيرت الجامعة الأمريكية، التي كان اسمها "الكلية الإنجيلية السورية" للغة العربية، والتي كانت اللغة العربية معتمدة فيها للتدريس والتأليف قرابة ربع قرن، واستَبدلت بها اللغة الإنجليزية.

بيد أنه في مطلع القرن العشرين، الذي شهد اليقظةَ السياسيةَ في معظم أنحاء العالم العربيّ، وبروزَ تيارات الفكر القوميّ التحرريّ في الكثير من بقاعه، انطلقت دعوات نفر من المفكرين مستنكرة الحملة الظالمة على العربية، ومطالبةً بها لغةً للتدريس والتأليف في معاهدها العلمية العالية. وقد اتخذت هذه الدعوات في البداية طابعاً سياسياً قومياً تَمَثَّلَ بالحفاظ على هويتنا القومية، واستقلالنا الثقافيّ، وربط حاضرنا بماضينا المجيد، وتأكيد وحدة الشعوب العربية في كلّ أنحاء الوطن العربيّ. وقد عزّزت المطالبةَ بالعودة إلى العربية دراساتٌ موضوعيةٌ تناولت إمكانات اللغةِ العربيةِ في استيعاب العلوم الحديثة، وقدرتَها على توليد المصطلحات العلمية العربية، وتفنيدَ الحجج التي ساقها المعارضون لاستعمال العربية من أجانب وعرب ذوي نزعات فرعونية أو فينيقية، والتي تُشكّكُ في صلاحية العربية للعلم.

وعلى الرغم من تلك الدعوات المخلصة المستند إلى حقائق موضوعيه، من المؤسف أن نرى الآن بعد دخول القرن الحادي والعشرين، أن العلوم الأساسية والطبية والهندسية، محاضرات وكتباً، مازالت في كثير من الجامعات

(*) جامعة دمشق – سورية

العربية تؤدَّى، كلياً أو جزئياً، بلغات أجنبية، لا سيما الإنجليزية.

وإننا، بوصفنا عربيين سوريين، نفخر بأن تكون سورية أول دولة عربية اعتمدت العربية لغةً للتعليم العالي في ذروة دعوات الردة عنها، وذلك عام 1919م في المعهد الطبيّ العربيّ ومعهد الحقوق، ثم حذت حذوهما جميع الكليات في كل التخصصات التي أنشئت بعدهما. وقد شهد بنجاح التجربة السورية جميع الأكاديميين العرب، الذين اطّلعوا عن كثب عليها. وعلى الرغم من بعض الأصوات، التي تنطلق من وقت إلى آخر هنا وهناك، والتي تزعم أن العربية تصلح لغةً للأدب والشعر والفقه، لا للعلم، وأنها السبب في تخلف العرب عن مسيرة التقدم العلميّ العالميّ، فإن التعليم الجامعيّ مازال يؤدى بالعربية، في كل الجامعات السورية، وفي كل المواضيع بلا استثناء، مثبتاً بذلك أن ما تنادي به هذه الأصوات ادعاء باطل فُنِّدَ نظرياً، وعلى أرض الواقع.

إن الدعوة إلى إحلال اللغة العربية محل اللغات الأجنبية في الكتابة العلمية والتدريس يجب ألاّ تفهم بأنها دعوة لمحاربة تعلم اللغات الأجنبية. العكس هو الصحيح، إذ من الضروريّ تعزيز تعلُّم تلك اللغات في جميع مراحل التعليم المختلفة. وقد رأينا من دراستنا في الجامعات الغربية أن علماءهم، ومعظم طلابهم، يتقنون لغة أجنبية واحدة على الأقل وذلك، في المقام الأول، ليتمكنوا من الإحاطة بما يقرؤونه من كتب وبحوث، أو يسمعونه من محاضرات بغير لغتهم. بيد أن إتقان علمائنا للغات أخرى أشد إلحاحاً مما هو الحال في البلاد الأجنبية، ذلك أنه يقع على عاتقهم مهمة، قد لا يضطر إليها كل علماء الغرب، ألا وهي نقل العلوم من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية. ومن الواضح أن هذا الإتقان شرط لازم- لكنه غير كاف - لإنجاز عملية ترجمة جيدة.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الدراسة بالعربية، لم تكن يوماً من الأيام عائقاً يعرقل متابعة التخصص العلميّ في البلاد الأجنبية. ونحن، الذين درسنا في الخارج، عشنا هذه التجربة التي تجاوزناها بنجاح. وإننا نتوجه إلى أولئك الذين يهاجمون نقل المصطلحات العلمية إلى العربية فنقول: إن الأطباء السوريين، الذين أتموا دراستهم الجامعية الأولى في سورية، ثم تابعوا دراستهم العالية في الطب في الغرب، وبخاصة في الولايات المتحدة، هم، بشهادة الوسط الطبيّ هناك، من أنجح الأطباء الأجانب. ومن المعروف أن الطب، الذي يحوي أكبر قدر من المصطلحات المتنوعة، يؤدّى في سورية، كغيره من العلوم، بالعربية حصراً.

2- إعداد الكتاب العلميّ الجامعيّ بالعربية حاجة ملحة، والعربية قادرة على استيعاب العلوم

بينت البحوث التربوية والنفسية والإحصائية، التي أُجْرِيَ معظمها في جامعات عربية، أنه إذا كان التعليم، محاضرات وكتباً، يؤدّى بالعربية، فإن تمثل الطلاب لما يتعلّمون يكون أسهل وأفضل. وقد وعت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) أهمية هذه الحقيقة في كل اللغات، فأوصت باستعمال اللغة الوطنية في الكتب والتدريس إلى أعلى مرحلة ممكنة تسمح بها اللغة، وذلك بعد ما لاحظ خبراؤها وجود خلل في استيعاب الطلاب لما يقرؤون ويسمعون بلغة غير لغتهم الأم. وقد بينت دراسات كثيرة أن أصلح لغة يؤدّى بها التعليم هي اللغة التي يفكر بها الطالب. فإذا تلقى الطالب علماً بلغته التي يفكر بها، نَفَذَ هذا العلم بسهولة إلى أعماق فكره. أما إذا تلقاه بلغة أخرى، فإن عليه أن يفهم النص الأجنبيّ، ثم

يترجمه ذهنياً إلى اللغة الأم، ثم يبدأ بتمثله في ذهنه. وهذه العملية تحتاج إلى وقت طويل، وقد يضيع خلالها جوهر ما سمعه أو قرأه باللغة الأجنبية.

ولِنَتَبَيَّن قدرة اللغة العربية على التعبير عن جميع العلوم في الماضي والحاضر، نذكّر بأن نجاح المدرسة العربية الإسلامية في نقل العلوم المتقدمة عن بعض الأمم إلى اللغة العربية، هو دلالة قاطعة على أن لغتنا كانت قادرة على التعبير عن جميع العلوم، التي بلغت آنذاك ذروتها لدى اليونانيين والفرس والمصريين والسريانيين والهنود. ونحن لا ندّعي أن عملية الترجمة، التي كانت جديدة على العرب، لم تواجه صعوبات في بادئ الأمر، وبخاصة في إيجاد المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية، لكننا نجزم بأن عبقرية اللغة العربية، وخصائصها الفريدة التي تتميز بها، ومن ضمنها الاشتقاق والنحت والمجاز والتعريب، جعلتها قادرة على تخطي تلك الصعاب. ومن أراد التعمق في التقنيّات التي ابتدعها المترجمون العرب في إيجاد المصطلحات العلمية العربية منذ عهد المأمون، الذي نشطت فيه الترجمة العلمية، فليعد، مثلاً، إلى كتاب الأمير مصطفى الشهابي "المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث،" الذي نشر أول مرة عام 1965.

ولو لم تكن العربية متّسمة بإمكانات متميزة في التعبير عن جميع نواحي العلم والمعرفة، لما تمكن هؤلاء المترجمون، بعد استيعابهم لمضمون الكتب باللغات الأجنبية، من نقل هذه العلوم والمعارف بلغة عربية سَلِسَة العبارة، جعلت العرب يألفون ويتمثلون ما يقرؤون، ثم ينطلقون في بحوثهم من حيث انتهت إليه هذه العلوم والمعارف، دون أن يكرّروا جهود سابقيهم. وكانت النتيجة ما قدمه علماؤنا العرب والمسلمون من إضافات مشهودة إلى المعارف الإنسانية، التي قام الغرب بدوره بالانطلاق منها والإضافة إليها ليبلغ، بذلك، ما نراه اليوم من تطورات علمية هائلة.

وتثبت العربية اليوم مجدداً ما أثبتته بالأمس؛ فالتجارب الحديثة في اعتماد اللغة العربية لغة للتدريس والكتابة العلمية، التي جرت في سورية وبلدان عربية أخرى، تبين أن العربية مازالت قادرة على القيام بدورها في استيعاب العلوم والمعارف الأخرى، وفي إيجاد المقابلات العربية للسيل العارم الذي لا يتوقف من المصطلحات العلمية نتيجة للتطورات الهائلة التي طرأت أخيراً على العلوم، وبخاصة منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين.

وفي بعض الجامعات العربية، التي يؤدّى فيها التعليم بلغة أجنبية، أجريت دراسات لتعرّف مدى استيعاب محتوى ما يقرؤه الطلاب في كتبهم المقررة، فوُجد أنهم يواجهون عموماً صعوبات حقيقية في تمثّل ما يقرؤون. وحتى الطلاب المتمكنون من لغة كتبهم، فقد تبين أنهم يشعرون بوجود حاجز نفسيّ، يرتفع بينهم وبين كتبهم غير العربية. ولا شك في أن المشكلة تصبح أسوأ عندما يكون الطالب غير متمكن من لغة الكتاب، ونحن نعلم أن أغلبية الطلاب في البلاد العربية يعانون ضعفاً شديداً في اللغات الأجنبية. وما يزيد الأمر سوءاً هو أن بعض المدرسين في الجامعات العربية يضطرون أحياناً إلى إلقاء محاضراتهم بالإنكليزية، في حين أنهم لا يتقنون هذه اللغة، لأن دراستهم العالية كانت في بلاد غير أنجلوسكسونية.

وخلال إعارتنا، من جامعة دمشق إلى جامعات عربية أخرى، رأينا التفاعل السيىء بين المدرس وطلابه في الكليات التي يدرَّس فيها موضوعٌ علميّ باللغة الإنجليزية. وقد صرّح لنا مدرسون عرب في الجامعات التي أُعرنا إليها، وخصوصاً الأشقاء السودانيين، أنهم كانوا يشعرون بمسافة

تفصلهم عن طلابهم خلال إلقائهم لمحاضراتهم في الرياضيات في بلدانهم باللغة الإنجليزية، مع أن هؤلاء المدرسين تعلموا الرياضيات في السودان، منذ المرحلة ما قبل الجامعية، باللغة الإنجليزية حصراً، وأن طلابهم كانوا على معرفة جيدة نسبياً بهذه اللغة. وقد أقروا جميعهم، دون استثناء، أنهم عندما اضطروا، في الجامعات التي أعيروا إليها، إلى تغيير لغة محاضراتهم إلى العربية- على الرغم من انعدام خبرتهم في التدريس بها- واعتمد طلابهم على الكتب المقررة المؤلفة بالعربية، شعر هؤلاء المدرسون بزوال هذه المسافة، وبتفاعلٍ مع طلبتهم الجدد لم يألفوه سابقاً. ثم بينت نتائج التحصيل العلميّ لطلابهم الجدد أن استيعاب هؤلاء الطلاب لمادتهم كان أفضل إلى حد بعيد.

وهكذا، نرى أن توفر الكتاب العلميّ الجامعيّ بالعربية، واعتماد العربية لغة للتدريس الجامعيّ، هما، إضافةً إلى كونهما ضرورة قومية، ضرورة علمية أيضاً، لأن استيعاب الطالب لما يقرأ ويسمع بلغته الأم يكون أفضل وأعمق مما يمكنه استيعابه بلغة أجنبية مهما بلغ إتقانه لتلك اللغة. وهذا ينسجم مع ما أجمع عليه علماء النفس والتربية الذين توصلوا إلى أن عبقرية أمة من الأمم تظل حبيسةً في صدور أبنائها إذا لم يتح لأمتهم أن تُعلّمهم بلغتها.

3- التجربة السورية

عندما صدرت التعليمات باستعمال اللغة العربية لغة للتعليم العالي في المعاهد العليا السورية عام 1919، انكب الأساتذة على التأليف باللغة العربية، وعلى وضع المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية... فنتج عن ذلك مجموعة من الكتب الرائعة. هذه الكتب لا تقدم المادة العلمية فقط، بل يمكن عدها إنتاجاً أدبياً زاخراً.

وكان الطلاب، في حال عدم توفر الكتاب العلميّ باللغة العربية، يلجؤون إلى كتابة أملية ينقلونها عن أستاذهم في قاعة الصف. وكان بعض هؤلاء الطلاب يعودون إلى الكتب العلمية الأجنبية، وبخاصة من كان منهم متميزاً باللغتين العربية والأجنبية معاً.

وبقي الحال كذلك إلى أن صدرت التعليمات بإلزام كل عضو هيئة تدريسية أن يقدم كتاباً باللغة العربية للمقرر الذي يُدَرِّسه. ونتج عن هذا القرار صدور كتب كثيرة متدنية في مستواها، سواء من حيث الشكل أو المضمون، إذ انبرى للتأليف أو الترجمة من لا يستوفي الشروط اللازمة لذلك. ولاحظت الإدارة العلمية النتائج السلبية لذلك، فصدر المرسوم الجمهوريّ الأخير عام 2001، الذي جعل مسؤولية التأليف تقع على الأقسام العلمية، وليس على الأفراد، وَوَضَعَ شروطاً يجب أن يحققها كل من يتصدى للتأليف أو الترجمة.

وللإنصاف، نود الإشارة إلى أنه إلى جانب الكثير من الكتب الجامعية المتدنية في مستواها، هناك العديد من الكتب الجامعية الرفيعة المستوى التي تضاهي مثيلاتها من الكتب الأجنبية، نذكر منها مجموعة الكتب في المعلوماتية التي قام بتأليفها فئة من المتخصصين، وخضعت لمراجعات علمية ولغوية دقيقة.

وإلى جانب الجامعات، نذكر تلك الكتب القيمة التي أصدرها المجلس الأعلى للعلوم بعد تأسيسه مباشرة، ثم انقطع عن ذلك لأسباب مادية على الأغلب. ونذكر أيضاً الكتب التي تصدرها الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية، وهي كتب مترجمة عن كتب مميزة باللغة الإنجليزية.

ولا بد لنا في هذا السياق أن نتطرق إلى تجربة المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، وهي تجربة يمكن أن نستخلص منها الكثير من العبر. فقد أصدر المركز خلال السنوات العشر الأخيرة، منذ تأسيسه حتى الآن، ما يقارب الثمانين كتاباً بالعربية في مختلف مجالات العلوم الأساسية والتربوية والطبية والهندسية والبيئية، معظمها مترجم من اللغات الأجنبية الواسعة الانتشار، وبعضها مؤلف. وقد تميزت تجربة المركز في الآونة الأخيرة بالانفتاح على اللغات العالمية الأخرى غير الإنجليزية كالألمانية والفرنسية، وهذا يزيد من دوائر المعارف المنقولة إلى العربية، ويوسع مجال الإفادة من خبرات الأساتذة والباحثين والمعنيين بالترجمة والتعريب.

لقد نهج المركز في اختياره للكتب والمراجع التي يقوم بترجمتها سياسة حكيمة مبنية على المقترحات والطلبات التي ترده من الجامعات العربية في مختلف أرجاء الوطن العربيّ، بعد أن تدرسها، بدقة وعناية، اللجان العلمية المتخصصة المنبثقة من المجلس العلميّ للمركز، حيث تقوم هذه اللجان بدراسة المقترحات والطلبات الواردة من الجامعات العربية ووضعها في جداول أولويات يجري العمل بموجبها، إذ إن عدد الكتب والمراجع المقترحة التي تطلبها تلك الجامعات، يفوق كثيراً العدد المحدد الذي تتحمله ميزانية المركز.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أهمية هذه الكتب والمراجع من حيث مضمونها الغنيّ، وفائدتها الكبيرة للطلاب والأساتذة المعرِّبين. فقد كان اختيارها موفقاً إلى حد بعيد، إذ إن قسماً كبيراً منها معتمد حالياً في كثير من الكليات المتخصصة في جامعات الوطن العربيّ، ومنها ما يُعد بحق من المراجع الضرورية- باللغة العربية- للطالب في دراسته الجامعية الأولى، أو بعد تخرجه وممارسته العلم في مجال تخصصه، وهذا أسهم كثيراً، وبوجه فعال، في دعم مسيرة تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ.

ومن الجدير ذكره أيضاً أن المركز لا يقر كتاباً أو مرجعاً للترجمة، إلا بعد أن يحصل على الإذن بالترجمة من دار النشر صاحبة الحقوق، وبموجب اتفاقيات رسمية توقع من قبل الطرفين (المركز ودار النشر)، وبعد دفع أثمان حقوق الترجمة التي تطلبها تلك الدور، علماً بأن هناك دور نشر، ومعظمها ألمانية، لا تطلب ثمناً لحقوق الترجمة، وتمنح حقوق الترجمة مقابل نشر إصداراتها باللغة العربية وإهدائها عدداً معيناً من النسخ المعرَّبة. هذا، وقد طلب المركز من جميع دور النشر الأجنبية، التي يتعامل معها، عرض الكتب المعربة التي قام المركز بترجمتها من إصداراتها، في المعارض التي تقيمها، أو تشارك فيها إلى جانب كتبها الأصل، وكذلك إدراج هذه الكتب المعربة في جميع نشراتها الإعلامية والدعائية.

ومن النواحي الإيجابية، التي يجدر ذكرها في معرض تجربة المركز العربيّ للتعريب بدمشق، أنه يسعى ليكون على اتصال مستمر بالجاليات والرابطات العربية خارج الوطن العربيّ، بغية الاستفادة من خبرات المغتربين العرب وإنجازاتهم في مجال الترجمة والتعريب، مستغلين في هذا المجال إمكانات وسائل الاتصال الحديثة التي زُود بها المركز مؤخراً (بريد إلكترونيّ، إنترنت، وغيرها). فقد كلف المركز أحد الاختصاصيين العرب المقيمين في السويد بتأليف كتاب في نظم المعلومات الجغرافية GIS، وأحد الاختصاصيين المقيمين في ألمانيا بترجمة كتاب في النظم البيئية للتخلص من النفايات، والكتابان حالياً في طور الترجمة والإعداد. كما كلف المركز إحدى طبيبات الأسنان المقيمات في أمريكا،

بترجمة كتاب في التطبيقات العملية في معالجة اللثة، وقد أُنجزت ترجمةُ هذا الكتاب وصدر عام 2000 م.

ثم إن هناك تجارب عربية متعددة، نذكر منها تجربة بعض الجامعات في المملكة العربية السعودية، التي تدفع بسخاء إلى المؤلف أو المترجم. وقد صدر عن هذه الجامعات مجموعة مميزة من الكتب العلمية العربية.

ولا بد لنا أخيراً أن نذكر، بكثير من التقدير، ما تقوم به بعض المؤسسات الخاصة من إصدار كتب علمية (وعلى وجه الخصوص، الكتب الطبية) باللغة العربية. وقد صدر في دمشق بعض الكتب الرائعة التي لا تقل في مستواها أبداً عن مستوى الكتب التي تصدرها دور النشر الأجنبية. وكان بعض هذه الكتب ترجمة، وبعضها الآخر تأليفاً.

4- مواصفات الكتاب العلميّ الجامعيّ باللغة العربية

من المؤسف أن نرى معظم الكتب العلمية العربية، المؤلفة أو المترجمة، تعاني عيوباً جوهرية في الشكل والمضمون.

أما الشكل، فإنه، في كثير من الحالات، يفتقر إلى رونق الإخراج الفنيّ، ويتخلف كثيراً عن مستوى إخراج الكتب العلمية التي تصدرها دور النشر الأكاديمية في العالم المتقدم. وثمة كتب جامعية مقررة تذكّر بالعصر السابق لاختراع الطباعة، لأن مؤلفيها سلّموا المطبعة كتبهم مكتوبة بخط أيديهم، مما كان يصعب أحياناً على الطالب فكّ بعض رموزه. ثمة قواعد ومناهج للكتابة العلمية، لا يلتزمها الكثير من مؤلفي أو مترجمي كتبنا العلمية، وهي تتعلق بالاقتباس، ووضع الجداول، والرسوم الإيضاحية، والحواشي، والملحقات، والمراجع العربية والأجنبية. وما يلفت النظر، بوجه خاص، جهل معظم المؤلفين باستعمال علامات الترقيم، ففهم النص يتوقف على حسن استعمالها، لأنها تساعد كلاً من الكاتب والقارىء على حد سواء: فهي تساعد الأول على تقسيم كلامه وترتيبه وتوضيح مقصوده، وتساعد الثاني على فهم ما يقرأ، وتعيّن له مواقع الفصل والوصل والوقف والابتداء.

ومن الملاحظ أيضاً أن جميع كتبنا، تقريباً، لا تورد مسارد للمواضيع والمصطلحات والأعلام الواردة في الكتاب مرتبة ألفبائياً، بحيث يقابل كلَّ موضوع أو مصطلح أو اسم عَلَمٍ رقمُ الصفحة التي ورد فيها. وكلنا يعلم أن عدم وجود مثل هذه الفهارس المرقمة تجبر القارىء أحياناً على إضاعة وقت طويل في البحث عن موقع الموضوع، أو اسم العلم، أو المصطلح الذي يود الرجوع إليه.

هذا، ويلاحظ أن بعض الكتب المؤلفة أو المترجمة تخلو من ثبت للمصطلحات العربية الواردة فيها، مع مقابلاتها باللغة الإنجليزية على الأقل. فما دمنا لم نجمع على مصطلحات موحدة في عالمنا العربيّ، بل ضمن القطر الواحد، فإن احتواء الكتاب العلميّ على مثل هذه القوائم ضرورة ملحة. ولا بد أن يكون حدث لبعضنا الاطلاع على كتاب مؤلف أو مترجم في موضوع تخصصه، دون أن يعرف بالضبط ما يعنيه مؤلف الكتاب ببعض المصطلحات. وحتى لو حصل إجماع على بعض المصطلحات، فإن سردها مترجمةً إجراءٌ ضروريّ للطلاب، لمساعدتهم عند عودتهم إلى مراجع أجنبية في موضوع الكتاب العربيّ الذي بين أيديهم.

وفي سياق حديثنا عن الشكل، نورد أخيراً ملاحظتنا على المقدمات التي تتصدر كتبنا. المقدمة ضرورية لشرح محتويات الكتاب، وعرض النهج الذي سلكه المؤلف في سرد هذه المحتويات، وتوضيح أهداف الكتاب والغرض منه، وتحديد المعلومات التي يجب أن يعرفها القارىء ليتمكن

من متابعة محتوى الكتاب. لكننا نلاحظ في بعض كتبنا العلمية بالعربية، مقدمة شكلية من بضعة أسطر لا تُطْلِعُ القارىء على أيٍّ من العناصر التي ذكرناها آنفاً.

ونادراً ما نرى في المقدمات إزجاء المؤلف الشكر لآخرين على أخطاء صوّبوها، أو اقتراحات قدموها تتعلق بمضمون الكتاب. ويعني هذا إما أن هؤلاء المؤلفين لا يستعينون بأحدٍ للإطلاع على ما كتبوه لتصحيح بعض الهفوات العلمية، أو اللغوية، أو المنهجية التي لا يعْصَم منها أحد، مهما طال باعهُ في تخصصه، وإما أن يكون المؤلف استعان بأحدٍ وجحد بفضله. وإننا نرجح الاحتمال الأول.

وإذا انتقلنا إلى المضمون، فإننا نرى أحياناً أن الكتاب المؤلَف ليس سوى ترجمة لفصول من كتب أجنبية مختلفة، ثم يوضع اسم عربيّ على غلافه. ولطمس معالم هذه الممارسة، يقوم بعض المؤلفين بإجراء تغييرات على ما يترجمون، فتكون النتيجة تشويهاً للنصوص الأصلية التي أخذوا منها، وهذا يوقع القارىء في متاهات ما كان له أن يقع فيها لو كانت الترجمة أمينة. ليس المطلوب من المؤلف أن يخترع علماً جديداً، بل أن يحقق الانسجام، والتآلف، والتوافق بين الأفكار المقتبسة من المؤلفات الأخرى التي يطّلع عليها قبل التأليف وفي أثناءه، وأن يعرض هذه الأفكار والحقائق العلمية عرضاً أصيلاً (غير منقول !) تتجلى فيه بصمات المؤلف وأسلوبه المميز في الكتابة.

هذا، ولا يجوز أن يتصدى لتأليف الكتب العلمية كلُّ من مارس أو يمارس التعليم. وإذا تصدى كثيرون وألفوا، فلا يجوز أن تصل إلى المطابع كل هذه المؤلفات، بل لا بد من خضوعها لمراجعة علمية دقيقة، تقوم بها لجنة من الخبراء عالية المستوى لتختار ما يصلح منها.

ويجب أن يشمل الكتاب المؤلف المنهاج المقرر (الذي يجب أن يعدّ بعناية شديدة بعيداً عن الارتجال!)، وأن تتعرض معالجة الموضوعات فيه للمستجدات العلمية فيها. ولا بأس في عرض موضوعات خاصة خارجة عن المنهاج (بحدود نحو 20 % من حجم الكتاب الأصليّ)، إذا كانت هذه الموضوعات وثيقة الصلة بمحتوى المنهاج، وتوسّع آفاق الدارس الذي يطّلع عليها، وتُعوّده عدم التقيد الحرفيّ بالمنهاج... ويتعين أن ينال كلُّ موضوع ما يستحقه من عناية، بحيث لا يطغى على موضوع آخر، لتحقيق التوازن في تناول الموضوعات.

ومن المستحسن أن يحاول المؤلف تقديم خدمة للمواد العلمية الأخرى إذا أمكن ذلك، عن طريق إيراد أمثلة تُطَبَّقُ فيها مادة الكتاب في فروع علمية تتصل بموضوع الكتاب.

5- ترجمة الكتب العلمية الجامعية إلى اللغة العربية: تاريخها، وضرورتها، ومنهجيتها

لقد وعى العرب منذ اتصالهم بأمم أخرى بعد الفتوحات الإسلامية، ضرورة إغناء ثقافتهم بالمعارف التي سبقتهم إليها تلك الأمم. فقاموا بعملية واسعة للترجمة لم يشهد لها التاريخ نظيراً، فنقلوا إلى العربية أهم الكتب العلمية التي ألفها علماء ذلك العصر والعصور التي سبقته، وزادوا على ما نقلوه إلى أن أصبحوا، كما يقول مؤرخ العلوم الشهير جورج سارطون "أعظم معلمين في التاريخ ".

وقد خطت حركة الترجمة أولى خطواتها في العصر الأمويّ. ومع أن الشاغل الأول لذلك العهد كان القيام بالفتوحات وتنظيم شؤون الدولة، فإن القيادات السياسية كانت تدرك تماماً أهمية العلم في بناء الدولة الحديثة، وتوفير

المنعة والقوة لها، وسد الحاجات الحياتية لرعاياها. فقام الخلفاء الأمويون برعاية المدارس الموجودة في سورية، التي كان معلموها من السريان، وعملوا على ترجمة الكتب اليونانية إلى السريانية أولاً، ثم إلى العربية. وكان معظم الكتب التي نقلت إلى العربية في تلك المرحلة في الكيمياء، والطب، والفلك.

لكن حركة النقل الواسعة جرت في العصر العباسيّ، وبخاصة في أيام أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد، وبلغت ذروتها في عهد الخليفة المأمون، الذي أنشأ "بيت الحكمة" دارَ كتبٍ وترجمة . ونتيجةً لذلك، بلغ مجموع ما نقل إلى العربية خلال مئتي عام، زهاء أربعمائة كتاب علميّ في الطب، والهندسة، والكيمياء، والفلك، والرياضيات. و لم تكن عملية الترجمة مهمة سهلة، إذ كان على المترجمين أن يتقنوا اللغة المنقول منها، وأن يَجْهَدوا لاستيعاب المضمون العلميّ لما يترجمون، وأن يستنبطوا مقابلات عربية للمصطلحات العلمية الواردة في سياق ترجمتهم، وأن يقدموا ترجمة سلسة يمكن للقارىء استيعابها. وقد تطلبت منهم ترجمة بعض الكتب إحاطة بحضارة أهل اللغة التي نقلوا منها الكتاب، ذلك أن لغة أمة نِتاجٌ لشخصيتها وحضارتها، وترجمان لتراثها.

لكن الحملات التي تعرض لها العرب من الشرق والغرب، عصفت بإسهامهم في المسايرة الثقافية العالمية. ودار التاريخ دورته، فإذا نحن نرى أنفسنا، مجدداً، بحاجة ماسة إلى أن ننهل من علوم ومعارف أمم سبقتنا بأشواط واسعة، بعد أن كنا في غفلة عما يحدث في الغرب من تطورات علمية. وقد أدرك العرب، مثلما أدركوا في فجر نهضتهم العلمية، أن استئناف نشاطهم العلميّ، الذي هجروه طوال قرون كثيرة، يبدأ بالعودة، مرة أخرى، إلى الانخراط في عملية واسعة للترجمة، تكون نقطة البداية في إرساء نهضة علمية جديدة، تمثل امتداداً لتراثنا العلميّ، الذي كان منارة اهتدت بها الإنسانية ردحاً طويلاً من الزمان. وسنقتصر فيما يلي على إيراد موجز لحركة النقل في ثلاثٍ فقط من الدول العربية، التي كانت رائدة في هذا النشاط، وهي مصر، ولبنان، وسورية.

بدأت حركة النقل الجديدة في القرن التاسع عشر في عصر محمد علي (1805-1849)، الذي أسس عام 1841م "غرفة الترجمة". وكانت هذه المؤسسة تقوم بترجمة الكتب العلمية التي تختارها لجنة الخبراء، ثم يراجع الترجمة مراجعة علمية متخصصون في مواضيع الكتب المترجمة. وحرصاً على سلامة لغة هذه الكتب، كُلفت نخبة من رجال الأزهر الشريف، ذوي الدربة والتمكن من العربية، بتدقيق الكتب تدقيقاً لغوياً صارماً. ولم يكتف هؤلاء بالتدقيق اللغويّ، بل كانوا أحياناً يعيدون صوغ بعض الجمل كي يسهل على القارىء فهمها واستيعابها. ولكنهم لم يكونوا يجرون أي إعادة للصياغة إلا بعد اجتماعهم بالمترجمين، لمناقشتهم من تعديلات في تلك الصياغة.

وقد بلغ الحماس للترجمة في عهد محمد علي درجة عالية، إذ أرسل تعليماته إلى المبعوثين بعد تمكنهم من ناصية لغة البلد الذي يدرسون فيه، ليقوموا بترجمة بعض الكتب التي يدرسونها، وإرسالها إلى مصر لمراجعتها. بل إنه كان يكلف العائدين من بعثائهم أن يقوموا، خلال المدة التي كان عليهم قضاؤها في المحجر الصحي في الإسكندرية، بالانهماك في أعمال الترجمة.

وفي لبنان، حدثت حركة ترجمة للكتب العلمية إلى العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أسهم فيها، فضلاً عن اللبنانيين، بعض أساتذة العلوم من غير العرب.

ولعل أبرز هؤلاء هوكورنيليوس فانديك، الذي كان أستاذاً في الكلية السورية الإنجيلية (التي سميت، عام 1920، الجامعة الأمريكية)، ونقل إلى العربية 20 كتاباً في العلوم والطب والكيمياء والهندسة.

وفي سورية، حصل في ذلك الوقت اهتمام بالترجمة إلى العربية، إذ تُرجم عدد لابأس به من الكتب العلمية، إنما بجهود فردية. لكن حركة الترجمة انتعشت كثيراً منذ الأيام الأولى لقيام الحكومة العربية في دمشق، إذ أنشئت في ذلك الحين، "الشعبة الأولى للترجمة والتأليف"، التي " سرعان ما تحول اسمها إلى "ديوان المعارف"، ثم إلى "المجمع العلميّ العربيّ" عام 1919. وقد كان في مقدمة الأهداف التي أعلنها المجمع "تعريب ما ينقص العربية من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية".

وفي السنوات الأخيرة التي نشهد فيها تسارعاً منقطع النظير في تقدم شتى مجالات العلم والمعرفة، وبخاصة في مجال المعلوماتية، والعلوم الحيوية، وعلوم المواد، ازدادت حاجة البلدان العربية إلى نقل ما يمكنها نقله من هذه العلوم إلى العربية، وفي مقدمتها الكتب العلمية الجامعية، إذ إن مؤسسات التعليم العالي في الدول العربية في تزايد مستمر.

وفعلاً فقد شهدت السنوات الأخيرة اندفاعاً قوياً باتجاه ترجمة الكتب العلمية من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية. لكن تصفّح بعض ما يترجم من هذه الكتب يبين أن الترجمة لم تكن على المستوى المطلوب. ولما كانت الترجمة الجيدة بحاجة إلى أن يتحلّى من يقومون بها بكفاءة ذات أبعاد لغوية وذهنية وثقافية، قَلَّ أن تجتمع في شخص واحد، كان لا بد من وضع خطط لإعداد مترجمين قادرين على القيام بهذه المهمة الصعبة. وقد وعت بعض الدول العربية هذا الأمر فأنشأت معاهد عالية لإعداد المترجمين: في الجزائر (1964)، والقاهرة (1968، 1974)، وتونس (1968)، والعراق (1975)، وافتُتحت دبلومات للترجمة في سورية(1980)، ولبنان(1980)، والأردن(1982)، والمغرب (1983). وقامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بإحداث وحدة للترجمة (1981)، وأنشأت المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر (1990). وعلى الرغم من كل هذه الجهود المشكورة، لم يَرْقَ الكتاب العلميّ الجامعيّ بعد إلى المستوى المنشود. ونحن نضم صوتنا إلى صوت بعض المفكرين العرب، المنادين بمزيد من الاهتمام بعملية الترجمة، لا سيما ترجمة الكتب العلمية الجامعية، كي يتمكن الدارس من استيعابها وفهم محتواها بدقة.

ومن مظاهر هذا الاهتمام ما اقترحه بعض المفكرين العرب، وهو التخطيط لإنشاء معهد عربيّ عالٍ للترجمة يكون قادراً على إعداد مترجمين على مستوى رفيع من القدرة اللغوية والعلمية والثقافية، يتخرج كل منهم من قسمٍ متخصص في فرع من الفروع العلمية والأدبية وغيرها. ونحن نرى أن هذه الفروع ضرورية جداً، لأن الترجمة الجيدة لا تقوم على إتقان اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها فحسب، وإنما تقوم أيضاً على المعرفة العميقة بموضوع النص المراد ترجمته. الترجمة فنّ يرقى إلى التأليف ويتسم بالإبداع. والإحجام عن التصدي لترجمة كتابٍ أفضلُ من الإقدام على إنجاز ترجمة تشوه مضمونه، وتسيء إلى المؤلف، والمترجم، والقارىء.

الكتاب العلميّ الجامعيّ المقرر غير كافٍ البتة، ولا بد من وجود تنسيق بين المعاهد العلمية العالية في العالم العربيّ لترجمة ما يختارونه من كتب لتكون مرجعاً للطلاب يعمق معرفتهم بمواضيعهم. وإلى أن تنفذ فكرة المعهد العالي للترجمة الذي ذكرناه آنفاً، لا بد من تكوين لجان تضع

الشروط التي يجب توفرها في كل من يكلّف نقل كتاب علميّ إلى العربية.

وقد ورد في الخطة القومية للترجمة، التي أصدرتها إدارة الثقافة التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1985، الشروط التي يجب أن يحققها المترجمون- والمراجعون- للكتب العلمية. وثمة دراسات مفصلة أخرى في هذا الموضوع قام بها بعض الأساتذة الذين مارسوا الترجمة وبرعوا فيها زمناً طويلاً. ونحن نرى أن تقوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بدعوة هؤلاء الأساتذة للتوصل إلى شروط يتفقون عليها. ومن المهم جداً بعد ذلك، إيجاد آلية تقترحها الجهات المختصة لضمان تنفيذ هذه الشروط.

6- المصطلحات العلمية العربية: وضعها، وتنسيقها، وتوحيدها

من أبرز المهام الملقاة على عاتق الأوساط العلمية العربية، وهي تنهض بتعريب التعليم العالي، وضع المقابلات العلمية العربية التي تتضمن المعنى الدقيق لهذه المصطلحات. وكلما تقاعسنا في إنجاز هذه المهمة، ازداد حجم المشكلة نتيجة السيل العارم من المصطلحات الذي يفرضه تفجر الثورة العلمية والتقانية المعاصرة الحافلة بالكشوف والإنجازات. وقد أجرى معهد الأبحاث والدراسات للتعريب في المغرب دراسة بينت أن العرب يخلفون كل سنة نحو 5000 مصطلح دون وضع مقابلات عربية لها.

ومن المعلوم أن العرب ليسوا وحدهم الذين يحملون همّ نقل المصطلحات إلى لغتهم، لأن مشكلة المصطلح موجودة في كل اللغات، حتى في لغات الأمم المتقدمة. لكن الأمم الحية تتعامل مع هذا الموضوع بجدّ وحزم. فما إن يبرز مصطلح أجنبـــيّ في بلد، حتى نرى اللجان المختصة في كل من البلاد الأخرى قد عكفت على دراسته والتعبير عنه بلغاتها القومية. وسرعان ما نرى جميع المختصين في تلك البلاد، وقد انصاعوا لقرار لجانهم، والتزموا استعمالَ المصطلح العلميّ الذي اعتُمد دون غيره.

لكن الأمر مختلف في العالم العربيّ. فالمشكلة فيه لا تكمن، في المقام الأول، في صعوبة صوغ مقابلات للمصطلحات الأجنبية باللغة العربية، إذ إن لغتنا بما تملكه من إمكانات النموّ والتطور، التي تنسجم مع طبيعتها (الاشتقاق، والمجاز، والنحت، والتعريب، وأمثالها) تسهل عليها إيجاد المصطلحات العلمية المناسبة. لكن الصعوبة الحقيقية تتجلى في الاعتراف بهذه المصطلحات على صعيد الوطن العربيّ كله، والموافقة على اعتمادها دون غيرها. ومازلنا نجد في كتبنا العلمية بعض المصطلحات التي وضع لها، أحياناً، عشرة من المقابلات العربية.

وما دام المصطلح العلميّ لم يوحّد، فإن المعاجم العلمية العربية لم توحد محتوياتها بعد. وبسبب بطء مجامعنا في وضع المقابلات العربية، فقد لجأ بعض العاملين في تخصص معين، فرادى أو مجتمعين، إلى وضع معاجم في تخصصاتهم، مقدّمين باجتهادات فردية مصطلحات لم تُعْتَمَدْ بعد من قبل المهمتين بأمور المصطلحات من مجامع ومؤسسات ومنظمات مختصة. وقد كان الحلم بوضع "معجم عربي موحد للمصطلحات العلمية" يراود الكثير من المخلصين في أرجاء الوطن العربيّ. ولكن هذا لن يحدث قبل الإسراع بعملية وضع المصطلحات العلمية وتوحيدها.

وعلى الرغم من الجهود الرامية إلى تنسيق المصطلح العلميّ وتوحيده، التي يقوم بها مكتب تنسيق التعريب بالرباط، والمركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق (وهما مرفقان تابعان للمنظمة العربية للتربية والثقافة

والعلوم) ومراكز عربية أخرى، وعلى الرغم من قرارات توحيد المصطلحات العلمية التي اتخذت في ندوات ومؤتمرات كثيرة لهذا الغرض، فما زالت مشكلة توحيد المصطلح دون حل. "فالمسألة الشائكة الوحيدة في موضوع المصطلح، " كما يقول الأمير مصطفى الشهابي في كتابه المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث" هي توحيده، هي التزامه... وهما يحتاجان حقاً إلى قرار ملزم تتولاه سلطة".

لكن ندوة "إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلميّ العربيّ وسبل توحيده وإشاعته "، التي أقامها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالتعاون مع مجمع اللغة العربية بدمشق عام 1999، قدمتّ مجموعة توصيات منها:

- تقوم مجامع اللغة العربية في كل قطر عربي بتعرف المؤسسات والهيئات التي تضع مصطلحات علمية عربية، أو تعتمد مصطلحات علمية عربية، وتطلب المجامع إلى هذه المؤسسات والهيئات أن تزودها بما لديها من مصطلحات علمية عربية وضعتها أو اعتمدتها.
- تعمل مجامع اللغة العربية بالتعاون مع الوزارات، والمؤسسات، والهيئات ذات العلاقة، على توحيد مصطلحات القطر، مجالاً مجالاً، وفق خطة توضع لذلك.
- ترفع المصطلحات القطرية الموحدة إلى مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية مجالاً مجالاً.
- يدرس مجلس الاتحاد ما يجتمع لديه من المصطلحات القطرية الموحدة، ويتخذ قراراً بشأنها، ثم يتولى طبعها ونشرها.
- تضع مجامع اللغة العربية، أو ما يماثلها، في موازناتها السنوية بنوداً لتعويضات (أو مكافآت) أعضاء اللجان التي تكلّف توحيد المصطلحات العلمية العربية.
- يجب الإفادة من تقانة المعلومات لوضع المصطلحات بمساعدة الحاسوب.
- يجب العمل على وضع معاجم المصطلحات الموحَّدة والمعاجم الحاسوبية في العلوم المختلفة على الإنترنت.

وقد ناشدت الندوة الحكومات العربية أن تصدر القرار الملزم بتعريب العلوم والتعليم العالي والجامعيّ في جميع الاختصاصات، وأن تتخذ هذه الحكومات الإجراءات القانونية والإدارية، ليكون لمقررات مجامع اللغة العربية واتحاد المجامع قوة تنفيذية إلزامية في وزارات الدول العربية ومؤسساتها العامة، وأن تنشىء الحكومات بنك مصطلحات مركزيّ، ترتبط به بنوك المصطلحات العربية، يكون مقره اتحاد المجامع اللغوية العربية. والأمل معقود على أن يتعاون جميع الأفراد والمراكز والوزارات والمؤسسات والهيئات التي لها علاقة بهذه التوصيات على تنفيذها. فتنفيذها يحل مشكلة وضع المصطلح العربيّ السليم وتوحيده في جميع أرجاء الوطن العربيّ. ولما كان وضع المصطلح العلميّ عملاً لغوياً، فضلاً عن كونه علمياً، فإنه يتعين على العلميين إشراك خبراء بارعين في اللغة العربية لضبط إخراج المصطلح العلميّ.

7- الدور الاقتصاديّ للأداء العلميّ باللغة العربية

بيّنا فيما سبق ضرورة اعتماد العربية لغة للكتاب والتدريس في المعاهد العلمية العالية للحفاظ على هويتنا القومية، واستعادة دورنا الثقافيّ، وإحاطتنا إحاطة سليمة بما نقرأ من كتب ونسمع من محاضرات. بيد أن ثمة بحوثاً حديثة أجراها نفر من كبار علماء الاقتصاد في الغرب، أثبتت أهمية

بالغة لاستعمال بلدٍ للغته الأم، وبخاصة في العلم والتقانة، للنهوض بالاقتصاد القوميّ لذلك البلد. وما يلفت النظر هو أن هذه الدراسات مقصورة على مراكز البحوث في الدول المتقدمة، وبخاصة الولايات المتحدة، التي تستعمل لغتها الأم دون غيرها، والتي تنعم باقتصاد قوميّ متطور. وإذا كان ثمة أسباب مفهومة لعدم قيام الدول النامية بمثل هذه البحوث التي تعنيها أكثر مما تعني الدول المتقدمة، فلا مسوّغ لعدم استفادة الدول النامية، ومن ضمنها الدول العربية، من نتائج هذه الدراسات. فنحن نأخذ معارفنا العلمية من الدول المتقدمة عن طريق الترجمة، التي تُغني لغتنا القومية، وإمكانات قوانا العاملة، ومن ثَم تطور اقتصادنا القوميّ. وقد تبين أن اقتصاد بلد لا يتطور إلاّ برفع مستوى معرفة أفراده، لا بتقديم المساعدات الإنسانية إليه. فالمعرفة، وبخاصة المعرفة العلمية، هي رأس المال الحقيقيّ لأي أمة تخطط لتنمية اقتصادها، أما رأس المال الماديّ فيُستهلك وينفَد.

وتجدر الإشارة، في هذا السياق، إلى معلومة غير صحيحة سائدة في العالم وصدقناها نحن، وهي أن الدول العربية تنعم بمستوى اقتصاديّ جيد، بل إنها مجتمعة من أغنى دول العالم. والحقيقة ليست كذلك، ذلك أن الناتج المحليّ الإجماليّ GDP للدول العربية مجتمعة يعادل الناتج المحليّ الإجماليّ لبلد أوربيّ صغير هو هولندا.

أما أسباب الدور الفعال لاستعمال اللغة الوطنية لبلد في تطويره الاقتصاديّ، فقد حددها الباحثون الاقتصاديون بالنقاط التالية:

1. تؤدي اللغة الوطنية وظيفة تبادل المعارف والخبرات بين أفراد المجتمع وبين مؤسساته العلمية، تماماً مثلما يؤدي المال وظيفته في تبادل السلع في الحياة الاقتصادية.

2. إن الإحاطة الجيدة باللغة الوطنية شرط ضروريّ لحسن عرض العلوم والمعارف المنقولة من اللغات الأجنبية إلى اللغة الوطنية، وهذا من شأنه تحسين الأداء الاقتصاديّ للقوى العاملة الوطنية نتيجة استيعابها الجيد للعلوم المكتوبة بلغتها.

3. استعمال اللغة الأم ضروريّ كي يكون العمل المشترك على نطاق الأمة فعالاً ومجدياً اقتصادياً.

4. اعتماد اللغة الوطنية ضروري، لا لاستيعاب العلوم والمعارف فحسب، وإنما أيضاً لتحويل هذه العلوم والمعارف إلى منتجات وخدمات. ولن تفلح اللغة الأجنبية في ذلك.

5. لا يمكن للتقانات، وبخاصة المعلومات والاتصالات، أن تُستخدَم بفعالية من قبل القوى العاملة الوطنية، ومن قبل المجتمع ككلّ، للوصول إلى ما يسمى مجتمع المعلومات، إلا إذا كان انتشار هذه التقانات في المجتمع بلغته الأم، وليس بلغة أجنبية.

ويرى الاقتصاديون أن اللغة تؤدي دوراً اقتصادياً بارزاً في بعض التكتلات السياسية التي يتحدث رعايا دولها المختلفة لغةً واحدة، مثل رابطة الشعوب البريطانية (الكمنولث)، ومجموعة الدول الناطقة بالفرنسية (الفرانكوفونية)، وجامعة الدول العربية. ثم إن اعتماد بعض الدول، التي يتكلم رعاياها بلغات مختلفة، لغةً رسميةً واحدةً، لا يعود إلى أسباب ثقافية وسياسية فحسب، وإنما أيضاً إلى دواعٍ اقتصادية قد تكون هي الأهم. ومن هذه الدول ماليزيا، وسنغافورة، وهونغ كونغ، وبعض الدول الإفريقية.

هذا، وإن اعتماد اللغة الأم في التأليف والترجمة والتدريس والبحوث والتواصل العلميّ بين الأفراد

والمؤسسات في الوطن العربيّ، هو إجراء ضروريّ للوقوف في تيار العولمة، الذي يرى بعض المنظرين الاقتصاديين في الشرق والغرب أنه يسير بعكس اتجاه المصالح الاقتصادية لدول العالم الثالث، وفي مقدمتها الدول العربية.

8- الاعتراضات على اعتماد الكتب العلمية الجامعية بالعربية، والرد عليها

يعترض الكثير من أعضاء الهيئة التدريسية والإدارات الجامعية في بعض الدول العربية على التزام الكتب العلمية الجامعية العربية، وسنورد الآن أهم هذه الاعتراضات والردود عليها.

الاعتراض الأول:

إن اللغة العربية لا يمكنها أن تعطي مقابلات عربية للمصطلحات العلمية التي تتزايد كثيراً مع تطور العلوم ونشوء علوم جديدة. وتبدو المصطلحات العلمية باللغة العربية غير مستساغة، بل وتكون أحياناً مستهجنة.

الرد:

ذكرنا آنفاً أن العرب ليسوا وحدهم الذين يواجهون مسألة المصطلح. فهذه المشكلة موجودة في كل اللغات. لكن الأمم الحية تتعامل مع هذا الموضوع بجد وحزم. ومشكلتنا في العالم العربيّ، لا تكمن في صعوبة صوغ هذه المقابلات بالعربية، إذ إن لغتنا، بما تملكه من إمكانات تنسجم مع طبيعتها (الاشتقاق، والمجاز، والنحت، والتعريب..)، تُسَهِّلُ عليها إيجاد المصطلحات العلمية المناسبة. ثم من قال إن المصطلحات العلمية باللغة العربية غير مستساغة؟ هذا كلام لا أساس له، و لم يحدث أن قامت دولة من الدول التي حلت مشكلة المصطلحات الأجنبية باستهجان بعض المصطلحات التي نقلتها إلى لغتها، مع أن معرفتنا ببعض اللغات الأجنبية تجعلنا نرى غرابة في بعض المصطلحات الأجنبية التي أدخلت بطريقة ما إلى تلك اللغات. (روّس الروس المصطلح الإنكليزي Characterization- الذي نترجمه إلى العربية بكلمة "تمييز"- بكلمة " خاراكتاريزا فا نيي ")

الاعتراض الثاني:

الكتب والمراجع في العلوم غير متوفرة باللغة العربية. وإذا ما اعتمدنا اللغة العربية لغة للتأليف والتدريس في الجامعات، فإننا نكون أضعفنا قدرة طلاب وخريجي الكليات العلمية على التواصل مع الكتب الأجنبية.

الرد:

الكتب والمراجع موجودة بقدر لا بأس به، ويمكن إعداد ما ينقصنا منها. وكما ذكرنا آنفاً، فإن الدعوة إلى إحلال العربية محل اللغات الأجنبية لا تعني البتة محاربة تعلّم اللغات الأجنبية. بل إننا نلح على إتقان طلابنا وهيئاتنا التدريسية للغات أجنبية أخرى، خاصة وأنه يقع على عاتق مدرسينا مهمة جليلة، وهي نقل العلوم من اللغات الأجنبية إلى العربية.

الاعتراض الثالث:

كيف يمكن لطلابنا الذين يسافرون إلى خارج أوطانهم لمتابعة تحصيلهم القيام بذلك إذا لم يكونوا قد اعتادوا الدراسة باللغة الأجنبية؟

الرد:

ذكرنا آنفاً أن الدراسة بالعربية لم تكن يوماً من الأيام عائقاً يعرقل متابعة التخصص العلميّ في البلاد

الأجنبية. وقد أوردنا مثالاً في البند 1 عن النجاح الباهر للأطباء السوريين، الذين أتموا دراستهم الجامعية الأولى في سورية، بالعربية كلياً، ثم تابعوا دراستهم في الخارج، وكانوا، بشهادة الوسط الطبيّ الذي درسوا في بلاده، من أنجح الأطباء الأجانب.

الاعتراض الرابع:

إن تجربة بعض الدول في التعليم باللغة العربية لم تكن ناجحة. فالكتاب العلميّ جاء هزيلاً في شكله ومضمونه، وقراءة الكتاب الأجنبيّ في الموضوع ذاته أيسر وأسهل. بل إننا نجد أن الزملاء في القسم الواحد لا يعودون إلى الكتب التي ألفها زملاؤهم، ويفضلون العودة إلى المراجع الأجنبية.

الرد:

* القول بأن تجربة بعض الدول في التعليم العالي بالعربية لم تكن ناجحة هو كلام بعيد عن الحقيقة والموضوعية. اسألوا الذين مروا بهذه التجربة في تلك الدول، تجدوا أن ما يقال عن فشل هذه التجارب زعم باطل.

أما القول بأن قراءة الكتاب الأجنبيّ أسهل وأسرع، فهذا مناقض للدراسات الكثيرة التي ذكرناها في البند 2، والتي بينت أن أصلح لغة لاستيعاب الإنسان لما يقرأ هي لغته الأم.

الاعتراض الخامس:

في نشر البحوث العلمية، نجد أن البحوث المنشورة باللغة العربية متدنية المستوى. ويفضل الباحثون المميزون النشر باللغة الأجنبية، كما يفضلون أيضاً النشر في مجلات أجنبية.

الرد:

السبب الأساسيّ في تدني مستوى البحوث المنشورة باللغة العربية هو تدني مستوى مجلات البحوث العربية، التي تقبل بحوثاً من مستوى متدنٍ بعد أن يُرفض نشر هذه البحوث في مجلات أجنبية عريقة. لذا يجب رفع مستوى التحكيم في هذه المجلات، وتسليم رئاسة تحريرها إلى أشخاص مشهود لهم بعلمهم ومستواهم الأخلاقيّ الرفيع، كي لا يتصرفوا بالمقالات التي يتسلمونها على هَوَاهُمْ، وتكون النتيجة قبول البحوث السيئة للنشر من منطلق الصداقات الخاصة، وليس من منطلق صلاحية البحث للنشر.

الاعتراض السادس:

العدد الأكبر من أعضاء الهيئة التدريسية في الكليات العلمية والعملية من خريجي الدول الأجنبية، ويصعب على هؤلاء استعمال اللغة العربية في التأليف والترجمة والتدريس.. فلماذا نكلفهم عناء الانتقال من اللغة الأجنبية التي درسوا بها إلى اللغة العربية يدرّسون بها؟

الرد:

هذا الكلام غير دقيق، لأن معظم أعضاء الهيئة التدريسية في الأقسام العلمية بالجامعات العربية قد أتموا دراستهم الجامعية الأولى بالعربية. فاللغة العربية هي الأساس في دراستهم وكتبهم في تلك المرحلة، واللغة الأجنبية هي الدخيلة. ومن ثم فإن تدريسهم وتأليفهم بالعربية ربما كان أسهل عليهم. وكنا ذكرنا أن بعض العرب الذين أتموا دراستهم في بلادهم باللغة الإنجليزية، ثم تابعوا دراستهم العالية بالإنكليزية أيضاً، لم يجدوا عند إعارتهم إلى جامعات

عربية تدرّس بالعربية أيّ عناء في تأدية عمليتهم التدريسية، محاضرات ومؤلفات، بالعربية.

الاعتراض السابع:

اللغة العربية صعبة جداً، وتجعل المدرس والكاتب عرضة للنقد اللاذع. أليس الأفضل الهروب من ذلك؟

الرد:

اللغة العربية صعبة لغير العرب، مثلما تكون الإنجليزية صعبة لغير الإنجليز. هذا ولا يَظُنَّنَّ كل من درس في بلد أجنبيّ أنه أتقن لغة هذا البلد. والنقد اللاذع الوارد في الاعتراض موجه، وفي تجربتنا، إلى أولئك العرب الذين يدرّسون بغير لغتهم، إذ إن أغلبيتهم الساحقة لم يجيدوا اللغة الأجنبية التي درسوا بها، لا كتابةً ولا كلاماً. ويشهد على ذلك الكتب الأجنبية التي ترجموها، أو المقالات التي تكلفهم بترجمتها بعض المؤسسات العربية التي تصدر مجلات علمية مترجمة. فمقابلة النصوص المترجمة بالنص الأصليّ الأجنبيّ تكشف مدى ضعفهم وعدم تمثلهم للنص الأجنبيّ.

الاعتراض الثامن:

على الرغم من الدعوة إلى استعمال اللغة العربية، فإن المصطلحات الأجنبية تفرض نفسها. والناس يقولون تلفزيون بدلاً من تلفاز، وكمبيوتر بدلاً من حاسوب، ودركسيون أو ستيرينك بدلاً من عجلة قيادة، وتاير بدلاً من إطار أو دولاب.. ولا يمكن الوقوف أمام ذلك.

الرد:

الألفاظ الأجنبية لا تفرض نفسها، وإنما يفرضها بعض الذين يشعرون بمركبات نقص أمام الأجنبيّ. فالغرض من استعمال اللفظ الأجنبيّ من قبل بعض الناس هو، برأيهم، دلالة على انتماء هؤلاء الناس إلى شريحة من المجتمع تتميز بثقافة عالية ووضع ماديّ واجتماعيّ جيد. والغريب أن بعض مؤسساتنا الرسمية، وبخاصة المؤسسات الإعلامية، وبعض التجار، يشيعون استعمال هذه الألفاظ. ومع أن بعض الغيورين على لغتنا نبّهوا أصحاب العلاقة على خطورة هذا الأمر، فلم يتغير شيء، ويا لَلأسف، حتى الآن.

الاعتراض التاسع:

في تجربة بعض الدول العربية التي استعملت اللغة العربية في التأليف والترجمة، نجد خليطاً من الحروف العربية والأجنبية. ثم إن العلاقات والمعادلات الرياضية والفيزيائية والكيميائية تكتب برموز من اليسار إلى اليمين. أليس هذا استعمالاً مشوهاً للغة العربية؟

الرد:

لا يضير الكتاب العلميّ العربيّ، احتواؤه رموزاً لاتينية أو يونانية. هذه الرموز تستعملها الكتب العلمية في جميع اللغات. ومع ذلك، هناك مشكلة كتابة الدساتير والمعادلات في الرياضيات والفيزياء والكيمياء من اليسار إلى اليمن، في حين أن اللغة العربية تُكتب من اليمين إلى اليسار. ولا بد من الاطلاع على طريقة حل هذه المشكلة لدى الشعوب التي تكتب مثلنا. لكل مشكلة حل إذا وجدت العزيمة والتصميم على حلها.

الاعتراض العاشر:

بعض الدول العربية حديثة العهد باستعمال اللغة العربية في التعليم والبحث العلميّ، ولكنها عدلت فيما بعد عن ذلك. ثم إنه يقال إن سورية، وهي الدولة التي تفخر باستعمال العربية في التعليم العالي، يمكن أن تسمح لجامعات تكون فيها اللغة الإنجليزية، أو أيّ لغة أخرى، لغة التدريس.

فإذا صح ذلك، أفلا يعد هذا السماح تراجعاً في موقف سورية من الأداء العلميّ الجامعيّ باللغة العربية؟

الرد:

عدول بعض الدول عن العربية في التعليم والبحث العلميّ إلى لغة أجنبية، هو برأينا تراخٍ عن تحقيق ضرورة قومية وحضارية. والأمر يتطلب إرادة سياسية لتغيير ذلك. ثم إن فَرْضَ التعليم والتأليف بالعربية لا يمنع وجود جامعة، قد يكون أصحابها عرباً أو أجانب، تعتمد لغة أخرى في تأديتها للعلوم. مثل هذه الجامعات تستقطب طلاباً بعضهم أجانب يريدون الدراسة بتلك اللغة. ثم إن هذه الجامعات غالباً ما تستقدم هيئات تدريسية من الخارج من مستوى جيد للعمل فيها. وهذا يحفز الهيئات التدريسية في الجامعات العربية على رفع مستواها التعليميّ والبحثيّ.

الاعتراض الحادي عشر:

إن استعمال اللغة الأجنبية لغةً للتعليم العالي (دون سواه) لا يمكن أن يمس بقوميتنا أو وطنيتنا أو إخلاصنا لوطننا.

الرد:

لا شك في أنّ هجرنا للعربية، واستعمال لغة أجنبية للتدريس والتأليف بدلاً منها، هو مَسٌّ بكرامتنا القومية، واستقلالنا الثقافيّ، ووحدة شعوبنا. لقد بذلت بعض الأمم جهوداً جبارة لإحياء لغاتها الميتة، التي أضحت لغة علومها وآدابها وفنونها. فهل يليق بنا أن نميت لغة القرآن التي يقر كل من عرفها بأنها من أعظم اللغات الحية؟

وأخيراً نقول: وَفَتِ الكتب العلمية باللغة العربية في تاريخنا المجيد بمتطلبات الحضارة العربية الإسلامية، وظلت هذه الكتب مرجعاً لجامعات الشرق والغرب حتى بداية عصر النهضة. وبعد عصور من الظلام طغت على أمتنا، عادت الكتابة العلمية العربية لتثبت مجدداً جدارتها باستيعاب العلوم العصرية، وقدرتها الفائقة على التعبير عنها، واستجابتها للمتطلبات العلمية المستجدة. إن تمسكنا بلغتنا في الكتابة والتدريس، هو تمسك بوجودنا في وقت نتعرض فيه لهجمة شرسة من الذين لم ينسوا بعد حقدهم التاريخيّ على العرب والمسلمين، والذين يدركون تماماً أن الخطوة الأولى في محو قوميتنا وتجريدنا من هويتنا العربية الإسلامية هو تقويض ركن أساسيّ من أركان هذه الهوية، ألا وهو لغتنا. فلنحافظ على لغتنا حفاظاً على وجودنا. ولن يكون ذلك بمجرد إصدار القرارات والتوجيهات، التي يجد أكثرها طريقه إلى الحفظ في المصنفات، وإنما بتوفر الإرادة السياسية الجماعية لتنفيذها على وجه السرعة، قبل فوات الأوان.

9- توصيات

1- لابد من توفير الكتاب العلميّ العربيّ، وذلك لا يقع على عاتق دولة عربية واحدة، بل هو واجب قوميّ عربيّ، ويجب أن تتضافر الجهود العربية مجتمعة لإنجاح هذا المشروع.

2- ضرورة السير بخطين معاً: أولهما إعداد المعاجم العلمية المتخصصة، وهذا مشروع يهتم به مكتب تنسيق التعريب في الرباط، لكنه يحتاج إلى مضاعفة الجهود، وإلى السعي لجعل القرارات التي يتفق عليها العاملون المختصون ملزمة للدول العربية. وثانيهما إعداد الكتب العلمية ترجمة وتأليفاً (ونحن نميل إلى الترجمة أولاً). ولا نرى التريث في السير في الخط الثاني إلى أن نفرغ من الخط الأول.. فالتقنيات الحديثة، وخاصة ما يتعلق منها بالكتاب الإلكترونيّ وسهولة تنقيحه، يسرت ذلك.

3- السعي لإدخال المعاجم في الإنترنت لتكون تحت تصرف الجميع. ثم إننا نوصي بإنشاء فرق عمل تعمل على تطويرها وإكمال النقص فيها باستمرار. ونذكر هنا باعتزاز الجهود القيمة التي بذلت في إخراج المعجم الطبيّ الموحد.

4- دعم المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر معنوياً ومادياً ليتمكن من متابعة جهوده الخيرة في إصدارات الكتب المرجعية، والتوسع في عمله ليشمل الكتب المنهجية وأمهات الكتب، وجميع ما يُحتاج إليه في التعليم العالي من الكتب والمنشورات العلمية، والتصدي بنجاح للعلوم الحديثة الكونية والطبية والهندسية والبيئية... إلخ.

5- دعوة الجامعات العربية إلى الاستفادة القصوى من المراجع الجامعية وأمهات الكتب المعربة التي يصدرها المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، وحثها على اقتناء إصدارات المركز من الكتب والمراجع المعربة في مختلف الفروع والتخصصات.

6- تشجيع أعضاء الهيئات التدريسية والأقسام في الجامعات، على اعتماد هذه الكتب، سواء من حيث دراستها وإبداء الملاحظات الموضوعية عليها، أو من حيث اعتمادها كتباً تدريسية أو مراجع علمية.

المراجع

1. الحسني الجزائري، مكي. **التعليم العالي العلميّ بالعربية : الواقع والآمال**. ندوة بإشراف المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق. دمشق، 1995.

2. الحسني الجزائري، مكي. **عن الترجمة وعثرات المترجمين**. مجلة الثقافة المعلوماتية. العدد العاشر، آذار "مارس " 2001.

3. "**الخطة القومية للترجمة**". إدارة الثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس، 1985.

4. الخوري، شحادة. **العربية لغة العلم**. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. دمشق، نيسان "أبريل " 2001.

5. دعبول، موفق. **العربية ولغة العلم: الماضي والحاضر والمستقبل**. ندوة اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس، 1996.

6. سارة، قاسم. **التعريب: جهود وآفاق**. دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق-بيروت، 1989.

7. الشهابي، الأمير مصطفى. **المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث**. مطبوعات المجمع العلميّ العربيّ بدمشق. دمشق، 1965.

8. مراياتي، محمد: **أثر اللغة العلمية والتكنولوجية في النمو الاقتصاديّ العربيّ**. معهد الدراسات والأبحاث للتعريب. ندوة أسئلة اللغة. الرباط، 2001.

9. "ندوة إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلميّ العربيّ وسبل توحيده وإشاعته ". اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، بالتعاون مع مجمع اللغة العربية بدمشق. دمشق، 1999.

دور التقانة (التكنولوجيا) الحديثة في توليد المصطلح وتوحيده ونشره

د. محمد مراياتي* د. عماد الصابوني د. مروان البواب

مقدمة:

يَشهد العالَمُ منذ عدة عقود تطوراً كبيراً، بل مذهلاً، في المجالات العلمية والتقنية، نشأ عنه عدد هائل من المصطلحات المستَجدّة. وكان على العرب أن يسارعوا إلى وضع مقابلات عربية لهذه المصطلحات، وهو أمرٌ ليس بالهيّن، فَسَيْلُ المصطلحات المتدفق يزداد يوماً بعد يوم، والآراء غير متفقة على منهجية لوضع المصطلحات، أضفْ إلى ذلك غيابَ التشريعاتِ التي تُلزِم الجهاتِ العلميةَ المختلفة باعتماد مقابلاتٍ معينة للمصطلحات.

إن اتّساعَ الهوّة بيننا بين ركْب المصطلحات، ووجودَ نقصٍ كميّ ونوعيّ في المطبوعات العلمية العربية، لا يعني بحالٍ من الأحوال أن اللغة العربية تنقصها مقومات اللغة العلمية وخصائصها، بل إن مردَّ ذلك هو تقصيرُنا نحن، وقد أفاض الباحثون في البرهان على ذلك، ولا حاجةَ إلى تكراره.

ومعلوم أن المصطلحاتِ العلميةَ جزءٌ أساسيّ من اللغة، فاللغة وعاءٌ والمصطلحات مادتُها. ومعلوم أيضاً أن الاقتصادَ العالميَّ يُبنَى اليومَ على المعرفة، بل لقد وُسِمَ بها، فأصبح يسمّى "اقتصادَ المعرفة". ومن هنا يبرز دور اللغة والمصطلح في هذا الاقتصاد، باعتبارهما الوسيلةَ الأساسيةَ للتواصل بين الناس، إذ كيف نتصور أن العنصرَ البشريَّ- وهو أهمُّ عاملٍ في النموّ الاقتصاديّ- لا يتكلم لغةَ المعرفة ولا يعرف مصطلحاتها!!

إن توجّهَ الاقتصاد العالميّ نحو اقتصادٍ يتعاظم فيه دور المعرفة، له أدلةٌ ومؤشرات عديدة تدل على أثر المعرفة في التنمية، وهناك العديدُ من الأمثلة التي تشهد على ذلك، فلقد أصبحنا الآن في عصر تترجّح فيه كفّةُ المعرفة على كفّةِ التجهيزات والأبنية، ولطالما سمعنا عن شركاتٍ ومؤسساتٍ، تزيد قيمةُ أصولِها الماديةِ على مئات ألوف الدولارات، على حين تُقدَّر قيمتُها في السوق بمليارات الدولارات، وذلك بسبب امتلاكها المعارفَ المتمثلةَ بقواعدِ المعطيات المختلفة وبعلاقاتِ تزويدٍ وتسويقٍ متشعّبة، ونظراً لتمتّعها باسمٍ معروفٍ وموثوقٍ به (Trade Mark).

ومن المؤشرات التي تقاس بها درجة التوجُّه نحو اقتصاد المعرفة ما يلي:

- عددُ الحواسيب في أماكن العمل،
- وعددُ الحواسيب المضيفة (host) على الإنترنت،
- وعددُ مواقع الشركات على الإنترنت، ونسبةُ التعامل بالتجارة الإلكترونية فيها،
- وعددُ قواعد المعطيات في قطاعات الخِدْمات، والإنتاج،
- وعدد براءات الاختراع.

---

* اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (أسكوا) - بيروت

هذا وقد درجَ العلماء على تقسيم المعرفة إلى أربعة أقسام هي: معرفة المعلومة (ماذا What)، ومعرفة العلّة (لماذا Why)، ومعرفة الكيفية (كيف How)، ومعرفةُ أهل الاختصاص (مَن Who). والمصطلحُ في هذه الأقسام الأربعة هو حجرُ الأساس في تحصيلِ المعرفة وجمعِها، وخَزْنها في الحاسوب، ومعالجتِها وفهرستها، واسترجاعِها واستخدامها ونشرها.

إن أهميّة المصطلح العلميّ في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، تنبع من الحاجة إلى التعامل مع اقتصاد المعرفة بلغة الأم، فعمليات التقانة (التكنولوجيا) وتوطين المعرفة تحتاج إلى المصطلح العلميّ، إذ لا يمكن جعْلُ العمالة العربية لأكثر من 60 مليون عامل تتقن المعرفةَ باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو اليابانية أو غيرها. ثم إننا لم نَجدْ أيَّ أمّة من الأمم تمكّنتْ من توطين المعرفة والتقانة بغير لغتها الأصلية.

لذلك فإن توليدَ المصطلح وتوحيدَه ونشرَه أصبحتْ ضرورة تنموية لها جدواها الاقتصادية.

وقد ولّد اقتصادُ المعرفة شبكاتٍ معرفيةً على مستوى المؤسسة Intranet، وعلى مستوى العالم Internet، ومن الأمثلة الحيّة على أهمية اللغة والمصطلح في اقتصاد المعرفة ما يجري من مشاريع للترجمةِ الفورية والآلية في الاتحاد الأوربيّ بلغاته الاثنتي عشْرَةَ، وذلك لتسهيل التواصل الاقتصاديّ والاجتماعيّ بين هذه الدول. وهناك أيضاً العديدُ من المشاريع لتحقيق هذه الترجمة على الإنترنت.

ويحقّ لنا أن نتساءل هنا: ما هو المقابلُ العربيّ لهذه المشاريع وأمثالِها؟ وما دور التقانة الحديثة في ذلك؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه باختصار فيما يلي:

لقد تطورتْ تقانة المعلومات تطوراً سريعاً، ودخلتْ جميعَ ميادين الحياة: في البيت والمدرسة والمصنع والمكتب وغيرها. وهذه التقانة في حقيقتها ليست إلا صدىً لاقتصاد المعرفة. أما تطبيقاتُها فحدِّث عنها ولا حرج، فما تكاد تُشرق شمسُ يومٍ جديد إلا ونشاهدُ ونسمع عن جديدٍ فيها.

1- دور التقانة في وضع المقابلات العربية للمصطلحات العلمية:

يمكن الاستفادة من هذه التقانة في أربعة مناحٍ:

1-1- استخدامُ البرامجِ الحاسوبيةِ لنظام الصرف العربيّ، منها -مثلاً-:

أ- برامج توليدِ الأفعال المجردة والمزيدة، الثلاثيةِ والرباعية، المستعملةِ والمهملة.

مثال: يولّد الحاسوبُ اثني عشر فعلاً، مزيداً لكلّ فعلٍ ثلاثيّ مجرد، مع بيان المستعمل والمهمل منها. فإذا طلبنا من الحاسوب مثلاً، الأفعال المزيدة على وزن "فعَّل" المتعلّقة بالألوان أعطانا: "بيَّض وسَوَّد وخَضَّر وصَفَّر وحَمَّر وزَرَّق"، وجميعُها مستعمل عدا "زرَّق". وهذا يدعونا إلى أن نستعمل "زرَّق الشيءَ". بمعنى جعله أزرق، وإن كان هذا الفعلُ غيرَ موجود في المعاجم.

ب- برامجُ توليدِ الأسماء المشتقة القياسية والسماعية، (وهي: اسمُ الفاعل، ومبالغتُه، واسم المفعول، واسما الزمان والمكان، وأسماءُ الآلة، واسمُ التفضيل، والصفاتُ المشبهة).

مثال: إذا احتجنا إلى وضع مقابل عربيّ لاسم آلة ما، فإن الحاسوبَ يساعدنا على ذلك، بأن يولّدَ جميعَ أسماء

الآلة القياسية والسماعية، فمن (جَرَفَ) مثلاً يولّد الحاسوب أكثرَ من خمسة عشرَ اسمَ آلة بعضُها قياسيّ وبعضُها غيرُ قياسيّ نحو: مِجْرَف، ومِجْرَفة، ومِجْراف، وجَرّافة، وجارفة، وجاروفة، وجَرّاف، ومُجَرِّف، ومُجَرِّفة، وجَارِف، ومُجْرِف... إلخ، فنختار منها ما هو أكثرُ مناسبَة.

ج- برامجُ توليدِ المصادر السماعية والقياسية لجميع الأفعال المجردة والمزيدة.

درجت معاجم اللغة العربية على إيراد المصادر السماعية فقط (وهي مصادر الأفعال الثلاثية المجردة)، دونَ المصادر القياسية (وهي مصادر الأفعال ما فوق الثلاثيّ) لأن لهذه الأخيرة قواعد مطّردةً لتوليدها. أما الحاسوبُ فإنه يولّد جميعَ هذه المصادر.

د- برامجُ تصريفِ الأسماء تذكيراً وتأنيثاً، وإفراداً وتثنية وجمعاً، في جميع الحالات الإعرابيّة (الرفع والنصبِ والجرّ) مع مراعاةِ حالةِ الاسم من حيث تنكيرُه أو تعريفُه أو إضافتُه.

مثال :يستطيع الحاسوبُ توليدَ الجموع القياسية والسماعية لأيّ كلمة (اسماً كانت أو صفة)، فمن كلمة (نَهْر) مثلاً يولّد الحاسوبُ أكثرَ من عشرين جمعاً لها، بعضها قياسيّ وبعضها غير قياسيّ نحو: أنهار، وأَنْهُر، ونُهْران، ونِهار، ونُهُور، ونُهْر، ونُهُر،.. إلخ، فنختار من هذه الجموع ما نراه أكثرَ مناسبة.

هـ- برامج تصريفِ الأفعال المعلومة والمجهولة في جميع حالاتها.

فالحاسوبُ يُصَرِّفُ الأفعالَ المجرّدة والمزيدة في صيغة الماضي، والمضارع (مرفوعاً ومنصوباً ومجزوماً ومؤكداً)، والأمرِ (مؤكداً وغير مؤكّد).

و- برامجُ تحليلِ الكلمة العربية سواء كانت مشكولةً أو غير مشكولة، فيحدّد الحاسوب نوع الكلمة، وميزانَها الصرفيّ، وسابقتَها، ولاحقتَها، وجذرَها، ودلالتها... إلخ.

مثال: يعطي الحاسوب عند تحليل كلمة (استيراد) ما يلي:

استيرادٌ - مصدر على وزن (استفعال) من الفعل الثلاثيّ المزيد (اسْتَوْرَدَ)

من الجذر (ورد)

مرفوع بالضمة

اسْتَوْرَدَ = طَلَب الورْدَ.

- الماءَ: وَرَدَه.

- الشيءَ : أحضَرَه.

يقال: اسْتَوْرَدَ السلعةَ ونحوَها:جَلَبَها من خارج البلاد.

2-1 الاستفادةُ من:

- المعاجمِ الحاسوبية اللغوية (وحيدة اللغة وثنائية اللغة).
- المعاجمِ الحاسوبية للمصطلحات العلمية (في جميع الاختصاصات العلمية).
- بنوكِ المصطلحات العلمية.
- المدوناتِ الحاسوبيةِ العربية corpus.

1-3- الاستفادة من:

أ- **الوسائط الترابطية Hypermedia**، وهي مجموعةٌ متكاملة من النصوص المكتوبة والأصواتِ والأفلامِ والأشكالِ البيانية، تستعمل لاستحضار المعلومات وتخزينها،

يتنقل فيها الباحثُ من موضوعٍ إلى آخرَ متعلّقٍ به للبحث عن معلومةٍ ما. ويستطيع الباحث الربطَ بين هذه المواضيع، بدلاً من الانتقال تتابعياً من موضوع إلى آخر. فمثلاً يمكن أن يتضمن عرضٌ ترابطيٌّ في الملاحة ربطاً بعلم الفلك، وهجرةِ الطيور، والجغرافيا، والرادارات... إلخ.

ب- **النصوصِ الترابطيةِ Hypertext**، وهي نصوص مرتبطةٌ بعضُها ببعض ضمن شبكة من الارتباطات المعقدةِ غيرِ التتابعية، بحيث يستطيع الباحث تصفح المواضيع المرتبطة. فمثلاً، في مقالة تحوي كلمةَ (حديد) قد يقود التجوالُ ضمن ارتباطاتِ هذه الكلمة إلى جدول التصنيف الدوريِّ للعناصر، أو تطور استخدام سبائك المعادن في العصر الحجريّ، أو التعريفِ المصطلحيّ للكلمة..، إلخ

ج- **قواعدِ المعرفة knowledgebase**، وهي قواعدُ تحتوي على المعارف الأساسية المتراكمة لمختصّين في مجالٍ معيّن.

د- **قواعدِ المعطيات Database**، وهي مجموعة ملفاتٍ مؤلفةٍ من تسجيلات يحوي كلٌّ منها حقولا، إضافةً إلى مجموعةٍ من عمليات البحث والفرز وإعادة التركيب ووظائف أخرى.

هـ- **النظمِ الخبيرة Expert systems**، وهي برامجُ تطبيقيةٌ تستطيع أن تتخذ قراراتٍ وتَحلّ مسائلَ في مضمارٍ خاص، وذلك باستخدام المعارف والقواعد التحليلية التي يحدِّدها خبراء يعملون في هذا المضمار. تَستخدم هذه البرامجُ مكوِّنَيْن أساسيين هما: قاعدةُ المعرفة، ومحرِّكُ الاستدلال (Inference engine) للوصول إلى النتائج. ويستطيع الباحثُ الحصول على تبرير وتوضيح لخطوات العمل، إضافة إلى تفسيرٍ وشرحٍ لها.

1-4- الاستفادة من:

قاعدةِ معطياتٍ (علاقاتية) تتضمن الحقولَ الدلاليةَ العربية والأجنبية للمصطلحات، يستطيع الباحث بواسطة هذه القاعدة:

- استعراضَ الصفوفِ الدلالية لمصطلح ما،
- واستعراضَ حقلِ المصطلح الدلاليّ،
- واستعراضَ الترابطِ الدلاليّ المتعلق بالمصطلح لاختيار المقابلات المناسبة،
- وتوليدَ مساردِ مصطلحاتٍ مرتبةٍ أبجدياً أو تبعاً للترادف أو التضاد...

2- دور التقانة في توحيد المصطلحات العربية ونشرها:

إن مسألةَ توحيدِ المصطلحات العربية لا تقلّ أهميةً عن مسألة توليد المصطلحات، إنْ لَمْ تَفُقْها، ذلك أن وجودَ مقابلات عربيةٍ عديدةٍ في الأقطار العربية- وأحياناً في القطر الواحد، وأحياناً في الجامعة الواحدة- يؤدي إلى ارتباك وتشويش، ويعرقل تبادلَ المعلومات، ويُضعفُ التفاهمَ والتواصل بين الباحثين إلى درجة أن الباحثين العربَ أنفسَهم كثيراً ما يلجأون في حوارهم إلى استخدام المصطلحات الأجنبية، وذلك بسبب عدم اتفاقهم على المقابلات العربية لهذه المصطلحات.

ومن أبسط الأمثلة على تعدد المقابلات العربية وعدم الاتفاق على مقابل واحدٍ لها مصطلحُ (Computer)، فإذا عدنا إلى معاجم المصطلحات وجدنا: حاسوب، وكومبيوتر، وحاسب، وحاسب آليّ، وعقل إلكترونيّ، ورتّابة، وعالوم... إلخ

مثال آخر: للمصطلح CD -ROM المقابلاتُ التالية: قرص ضوئيّ، وقرصٌ ليزريّ، وقرص سي دي، وقرص مُدْمَج، وقرص متراصّ، وقرصٌ مضغوط...

إن التقانات (التكنولوجيات) التي سنأتي على ذكرها هي وسائلُ معينة على توحيد المصطلحات ونشرها في آن واحد، ولكن علينا قبل أن نشرع في استعمالِها أن نسعى جاهدين لتوفير الرغبة الأكيدة في توحيد المصطلحات. ويبدو أن أقربَ سبيلٍ لتحقيق ذلك هو إلزامُ الجهات العلميةِ على اختلافها باعتماد مقابلاتٍ معينة للمصطلحات. ونذكر في هذا الصدد أن الفرنسيين مثلاً لا يستعملون سوى كلمة Ordinateur مقابل Computer، وذلك بصرف النظر عن دقّتها واستيفائها المعنى المطلوب. ويضبط ذلك تشريعاتٌ تلزم الفرنسيين باستعمالها.

سنوجز فيما يلي ما يتعلق بدور التقانة الحديثة في توحيد المصطلحات ونشرها:

1. **وسائطُ التخزين**: التي تسمح بتخزين قواعدِ المعطيات والمعاجمِ وبنوكِ المصطلحات في حيِّزٍ فيزيائيّ صغير. من أمثلتها: الأقراصُ المتراصة CD-ROM، وتمتاز بيُسر توفّرها، ورُخصِ ثمنها. فبعشَرات الليرات السورية يمكن الحصول على قرص CD يحتوي على المئات من الكتب، أو الأصوات، أو الأفلام، أو البرامج، أو الموسوعات... إلخ.

2. **النشرُ الإلكترونيّ**: الذي يجعل الكتابَ الإلكترونيّ سهلَ التحرير، قليلَ التكلفة، سهلَ التبادل والنقل عبر الشبكات، إضافةً إلى المزايا التي يتمتع بها مما لا نجده في الكتاب المطبوع.

3. **التجارةُ الإلكترونية E-commerce**: التي تتيح بيع المعاجم والموسوعات وقواعد المعطيات عبر الشبكة. وهذه وسيلةٌ فعّالة في إشاعة المصطلح وتوحيده.

4. **الشبكات الحاسوبية**: وهي وسيلة ناجعة لنشر المصطلح، فوضع المعاجم المصطلحية وبنوك المعطيات على الشبكة المحلية للمؤسسات (Intranet)، من شأنه أن يوحِّد استعمال المصطلح ضمن المؤسسة. وكذلك فإن وضعَ المعاجم المصطلحية على الإنترنت، كما هي الحال في اللغات الأخرى، سيسهم إسهاماً قوياً في التواصل المصطلحيّ العربيّ، ليس في الأقطار العربية فحسب، بل في جميع دول العالم.

5. **المجموعاتُ الإخبارية Newsgroup**: وهي منتدى على شبكة الإنترنت مخصّص للمناقشات حول مجال معيّن من المواضيع.

6. **البريدُ الإلكترونيّ E-mail**: وهو تبادلُ رسائلَ نصيةٍ وملفّاتٍ حاسوبيةٍ عبر شبكة اتصالات.

7. **المحادثة Chat**: وهي محادثةٌ بالزمن الحقيقيّ مع الآخرين باستخدام الحاسوب. عندما يقوم أحد المشاركين في المحادثة بكتابة سطر والضغط على مفتاح الإدخال، فإن كلمات هذا السطر تَظهر مباشرةً على شاشات المشاركين الآخرين الذين يستطيعون بدورهم الاستجابة بالطريقة نفسِها.

8. **نقل الملفات FTP: File Transfer Protocol**: يسمح للمستخدِمين بنقل الملفات من (وإلى) نظامٍ حاسوبيّ بعيد موجود على الشبكة.

9. **مواقعُ مراكزِ البحث، ومجامع اللغة، والجامعات، ومؤسساتِ التعريب، والجمعياتِ العلمية، والشركاتِ الخاصة، والأفراد، جميعُها يساعد على** التواصل المصطلحيّ على مستوى الوطن العربيّ. من أمثلة هذه المواقع في اللغات الأخرى الموقع:www.onelook.com الذي يحتوي على أكثر من 625 معجماً.

10. **الجامعات الإلكترونية:** هناك عدةُ مشاريع عربية في هذا المجال، يتوقع أن تستقطب مئات آلاف الطلاب العرب. فإذا أحسن تصميمُها وتعريبُها فستكون وسيلة فعّالة لتوحيد المصطلح العلميّ العربيّ وإشاعته.

11. **شبكاتُ الهاتف المحمول المتكامل مع الحاسوب والإنترنت.**

12. **التلفزةُ التفاعلية Interactive Television:** وهي تقانة تمكن المشاهدَ من أن يتفاعل مع البرمجة التلفزيّة. من تطبيقاتها: النفاذُ إلى الإنترنت، والفيديو عند الطلب Video on demand، والمؤتمرات الفيديوية Video conferencing.

نتائج وتوصيات

خلصت هذه الورقة إلى أن للتقانة الحديثة دوراً كبيراً في توليد المصطلحات وتوحيدها ونشرها، وأن علينا أن نستنهضَ هممنا في استعمالها والاستفادة منها، وأن نحسنَ الانتفاع بها، لذا فإننا نقترح ما يلي:

1. تعريبَ التعليم العالي، وتشبيكَ مجامع اللغة، والجامعات، ومراكزِ البحث، ومؤسساتِ التعريب، ومؤسساتِ علم المصطلح، والجمعياتِ العلمية.
2. دعمَ ترجمةِ العلوم إلى العربية، ودعمَ الترجمة بمساعدة الحاسوب.
3. وضعَ المعاجم الحاسوبية ومجلاتِ المصطلح على الإنترنت وتحديثها دورياً.
4. وضعَ برامجَ تلفزيونيةٍ فضائيةٍ بالتنسيق مع مؤسسات المصطلح.
5. وضعَ برامج لتحويل المكتبات العربية إلى مكتبات إلكترونية.
6. الطلبَ من الجهات العلمية وضعَ صفحة خاصة بالمصطلح في مواقعها.

المعجم من منظور الترجمة الآلية

أ.د.نبيل علي عبد العزيز (*)

أولاً: عن أهمية المعجم عموماً

اللغة- في جوهرها- منظومة من شقين أساسيين، هما: نظام القواعد ونظام المعجم، وتتراوح النظريات اللغوية من حيث مدى تركيزها على أي من هذين الشقين، فبينما تركز بعض هذه النظريات على شق القواعد ناظرة إلى المعجم كنظام فرعيّ تابع لنظام النحو، هناك- في المقابل- نظريات تعطي الأولوية إلى شق المعجم، بل ويتمادى البعض في نزعته المعجمية إلى حد اعتبار أن اللغة بأكملها، صرفاً ونحواً ودلالةً، كامنة في جوف المعجم، وما القواعد صرفية كانت أم نحوية- في رأي هؤلاء- إلا بمثابة تمثيل صوريّ لظواهر الفائض المعجمي(Lexical redundancy)التي يزخر بها المعجم، سواء من حيث انتظام العلاقات التي تربط بين مشتقاته ومعانيه، أو من حيث انتظام علاقات المفرد المعجمي بالسياقات التي يرد بها داخل النصوص، والانتظام هنا لا يعني الاطراد شبه الرياضيّ، بل لا بد أن يؤخذ من منطلق إحصائيّ يتعامل مع المتكرر والسائد ويستأنس الشاذ و الشارد، ولتوضيح ما نقصده بالفائض المعجميّ نكتفي منه هنا الأمثلة الثلاثة التالية:

* الصفات المشبهة الدالة على الخصال مثل: "كريم وشريف وبخيل"، تأتي عادة من باب الفعل فعَل، يَفْعُل (الباب السادس).

* كل أفعال الحركة، ومعظمها أفعال لازمة، مثل: "هرب، صعد، حلق، هبط "ونظائرها التي يكثر استخدامها استعارياً مثل: سما، وتسامى، انحط تأتي منها الصيغة المتعدية بأداة (حرف الباء في حالتنا) الدالة على السببية والمصاحبة معاً:

هرب فلان: هرب فلان بفلان/ بشيء (السببية: هربه المصاحبة: هرب معه)

صعد فلان: صعد فلان بفلان/ بشيء

حلق فلان: حلق فلان بفلان/ بشيء

سما فلان: سما فلان بفلان/ بشيء

تسامى فلان: تسامى فلان / بشيء

هبط فلان: هبط فلان بفلان/ بشيء

انحط فلان: انحط فلان بفلان/ بشيء

* معظم الأفعال التي تستخدم أداة يمكن أن تحل الأداة محل الفاعل(أمثلة: قطع اللحم بالسكين: قطع السكين اللحم/ سدت الشرطة الطريق بالدشم، سدت

(*) مدير مؤسسة هندسة اللغة العربية - القاهرة

الدشم الطريق/ اجتاح العدو المدينة بمدرعاته: اجتاحت المدرعات المدينة".

* العلاقة المنتظمة بين الفعل المزيد ومشتقاته فعلى سبيل المثال، كل فعل مزيد على صيغة يفتعل يأتي منه اسن الفاعل واسم المفعول والمصدر على صورة مُفْتَعِل، مُفْتَعَل، وافتعال.

لقد كان هذا وراء ما توصل إليه أندرسون [1] في تحليله عن العلاقة بين الصرف والمعجم، حيث خرج إلينا برأيه الحاسم أن الصرف برمته واقع في كيان المعجم، ويتخذ جون سنكلير موقفاً مشابهاً فيما يخص النحو، ففي ضوء تجربته المثيرة في بناء معجم اللغة الإنجليزية على أساس ذخائر النصوص الواقعية [2] (corpus-based dictionary)، نراه هو الآخر يزعم أن قواعد النحو ذاته كامنة، هي الأخرى،في صلب المعجم.

وفي مبادراته الأولى كان تركيز نعوم تشومسكي على التركيب دون المعجم، قاصراً دور الأخير على إمداد شق التركيب بالمفردات المكونة للجمل، وكما هو معروف فقد لقي هذا التوجه المسرف في تمركزه التركيبـــي (syntax-centric) معارضة شديدة خاصة من قبل الدلاليين التوليديين، وظهرت نظريات أكثر توازناً مثل نموذج الوظيفيّ المعجميّ (Lexical Functional Grammar). ونحو الحالات (Case Grammar). وقد سعى تشومسكي، خلال سلسلة من المحاولات، إلى تهذيب نظرياته دلالياً، ليظل اهتمامه بالعلاقة بين النحو والمعجم يتزايد بإطراد، حتى بدا جلياً في نظرية الربط والمعمولية (Goverrnment Binding Theory) التي أولت الاهتمام الواجب بالجوانب الدلالية والتركيبية للعناصر المعجمية الداخلة في تكوين الجملة. وهي الجوانب التي تسقط على الجملة لتهبها بنيتها المنطقية العميقة وبنيتها الفونولجية السطحية.

كان القصد مما أوردناه أعلاه، إبراز الأهمية المتزايدة للمعجم الذي لم يعد ينظر إليه كقائمة من المفردات بل كمنظومة معقدة؛ غابة كثيفة زاخرة بعلاقات التداخل والترابط، وهناك دلائل عديدة تؤكد أهمية المعجم، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

* المحاولة التي يقوم بها معهد (MIT) لإقامة نظام عام للمعجم (Universal Lexicon): (UL) يجب جميع معاجم اللغات، أسوة بما قام به تشومسكي فيما يخص النحو العام (Universal Grammar):(UG) الذي يجب جميع أنحاء اللغات.

* النقلة النوعية التي نشهدها حالياً في منهجية تناول إشكالية المعجم، حيث تسعى هذه المنهجية إلى الارتقاء بمستوى الفن والصنعة (Lexicography) لكي تصبح علماً منضبطاً قائماً بذاته (Lexicology).

* الثورة التي نشهدها حالياً في بناء المعاجم على أساس ذخائر النصوص المستخدمة في الواقع (corpus-based lexicons) (ومن أشهر معاجم اللغة الإنجليزية معجم (COBUILD)، وذلك بدلاً من الاعتماد على حصيلة المفردات لدى المعجميين، أو الاستشهادات المأخوذة من مآثر النصوص، وهو التوجه الذي ينحو بالمعجم صوب النخبوية على حساب كونه مورداً لغوياً عاماً مشاعاً للجميع، على اختلاف مستوياتهم وأغراض استخدامهم.

وأخيراً، فلا جدال في أن انتشار نظم معالجة اللغات الطبيعية عموماً، ونظم الترجمة الآلية بصفة خاصة، كان من أهم العوامل التي دفعت بتقانة

(تكنولوجيا) المعجم خطوات واسعة إلى الأمام. ويمكن اعتبار الطفرة التي شهدتها المعاجم والقواميس الإلكترونية ناتجاً فرعياً للتوسع في ترجمة اللغات وهندستها.

ثانياً: عن دور المعجم في نظم الترجمة الآلية

على ضوء ما سبق عن أهمية المعجم داخل منظومة اللغة، يتضح لنا – بالتالي- الدور المهم الذي يعلبه في نظم الترجمة الآلية على اختلاف مستوياتها ومناهجها، وتبرز هذه الأهمية من طبيعة المهمة الأساسية للترجمة، ألا وهي القيام بتحويل المعنى من لغة المصدر (source language) إلى معناه المقابل في لغة الهدف (target language)، ومرة أخرى، فإن لعملية التحويل تلك شقين أساسين:

* شق التحويل المعجميّ Lexical Transfer

*شق التحويل التركيبـــيّ Syntactical Transfer

غني عن القول، إن الأداء الكلي لنظام الترجمة الآلية يتوقف على كفاءة هذين الشقين، وكذلك – وهو الأهم في رأي الكاتب – على العلاقة العضوية التي تربط بينهما، فعملية التحويل المعجميّ أبعد ما تكون عن كونها مجرد إحلال ميكانيكيّ لمعاني كلمات لغة المصدر بمقابلها في لغة الهدف، حيث تنطوي عملية التحويل هذه على كثير من العمليات اللغوية ذات الصلة المباشرة بالتحويل التركيبـــي، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: عمليات الإضمار والحذف والإضافة، ناهيك عن التحويل بين أقسام الكلم، فالصفات في الإنجليزية – على سبيل المثال – يمكن أن يناظرها في العربية عدة أقسام كلم: صفة – اسم (صفة جامدة)- شبه جملة فعلية- جملة حرفية.

ولا شك أن نظم الترجمة الآلية – بحكم طبيعتها- هي أكثر نظم معالجة اللغات الطبيعية ارتباطاً بالمعجم، فهي – أي الترجمة الآلية- تجمع بين التعامل مع المعاجم الأحادية (معجم لغة المصدر فيما يخص شق التحليل، أو الإعراب، ومعجم لغة الهدف فيما يخص شق التوليد) وبين التعامل مع المعاجم الثنائية في شق التحويل بين لغتي المصدر والهدف. ومع تنامي التوجه نحو نظم الترجمة الآلية المتعددة اللغات سيزداد الاهتمام حتماً بالدراسات اللغوية والمعجمية المقارنة بهدف تحديد الخصائص المشتركة بين أنحاء ومعاجم اللغات ومواضع الاختلاف بينها، خلاصة فان نظم الترجمة الآلية، بما لها من ارتباط شديد بالمعنى اللغويّ، تعد معمل اختبار مثاليّ لعلاقة النحو والمعجم من منطلق دلاليّ، وهو المنطلق الذي يجب ما عداه في تناول الظواهر اللغوية.

ثالثاً: بعض مشكلات التحويل المعجميّ من الإنجليزية إلى العربية.

هناك العديد من المشكلات التي تواجه عملية التحويل المعجمي ما بين الإنجليزية والعربية سنكتفي منها هنا بتلك الواردة أدناه، والتي تحتل- من منظور الكاتب- موقع القلب في المنظومة الكلية لهذه العملية المعقدة والمتعددة الجوانب.

(أ) الاختلاف الكبير في آليات تكوين الكلمات بين العربية والإنجليزية.

(ب) الفارق الواضح بين المعاجم الإنجليزية والعربية في دقة تحديد معاني المدخلات المعجمية.

(ج) تحويل المعاني الاستعارية.

(د) تفشي ظاهرة الحذف المعجميّ في معجم اللغة الإنجليزية.

(هـ) الفارق الكبير في لغة وصف اللغة بين الإنجليزية والعربية.

ومن الطبيعي أن تختلف حدة هذه المشكلات وطبيعتها حسب اتجاه الترجمة، ومدى التغطية المعجمية المطلوبة، وكذلك درجة الدقة المستهدفة من نظام الترجمة الآلية:

سنتناول فيما يلي كُلاً من هذه المشكلات الخمس بإيجاز

(أ) الاختلاف الكبير في آليات تكوين الكلمات بين العربية والإنجليزية

كما هو معروف،تنتمي اللغتان العربية والإنجليزية إلى أسرتين لغويتين مختلفتين بدرجة كبيرة من حيث آليات تكوين الكلمات word formation mechanisms، فبينما تعتمد اللغة العربية- عضو أسرة الساميات- على آليات الاشتقاق (derivation)، تعتمد الإنجليزية – عضو الأسرة الهندوأوروبية – على آليات الإلصاق بالسوابق واللواحق "affixation"، وتشمل الأولى عادة سوابق النفي كما في: undo dislike, desalination والتكثير والتقليل كما في: rewrite, bilingual, over-genaration, under, estimate، في حين تختص اللواحق – عادة- بعمليات التحويل بين أقسام الكلم:

*تحويل الفعل إلى صفة breakable (break-able)

*تحويل الاسم إلى صفة National(nation-+al)

* تحويل الصفة إلى فعل Nationalization (national+ization)

• تحويل الفعل إلى مصدر Emergence (Emerge+ ence)

* تحويل الصفة إلى مصدر Ability (able+ity)

* تحويل الاسم إلى فعل Categorise (category+ize)

في هذا الشأن، تكمن الصعوبة بالنسبة للتحويل المعجميّ بين الإنجليزية والعربية في تعذر إيجاد مقابل عربيّ واحد لهذه اللواصق، حيث يتوقف ما تضيفه هذه الزوائد المعجمية إلى معنى الكلمة الأصلية على البنية الدلالية الداخلية للكلمة، وكذلك خصائصها التركيبية من حيث اللزوم والتعدي، أو بصورة أدق وأشمل، من حيث المقولات النحوية المترابطة بها، ونكتفي هنا ببعض أمثلة من حالات السوابق واللواحق مقرونة بمقابلاتها العربية لتوضيح شدة الاختلاف في:

سابقة النفي (للمصادر): نزع السلاح Disarmament

عدم الرضا Dissatisfaction

سابقة النفي (للصفات): لا يقدر بقيمة invaluable

غير دقيق inaccurate

لاحقة تحويل الفعل إلى صفة: صالح للشرب drinkable

خاضع للضريبة taxable

لاحقة تحول الاسم إلى صفة: موضع ثقة Trusty

كثير التلال Hilly

لم تحظ هذه الأمور بالاهتمام الواجب من قبل الدراسات المعجمية التقابلية contrastive lexical studies، ويزعم الكاتب أن آليات توليد الكلمات في اللغة العربية ما زالت دون الفهم الدقيق، خاصة فيما هو خارج آليات الاشتقاق، ونقصد بذلك آليات تكوين الكلمات بالمزج blending (أمثلة: تزلج = تزحلق على الجليد، ضخان= ضباب+ دخان) وبالتركيب (أمثلة

الأسماء المركبة خط النار والأشعة تحت الحمراء)، وكذلك ما زال فهمنا قاصراً عن علاقة الفعل مع ما يلازمه من حروف الجر (مثال: يأتي إليه/ به/ فيه/ عليه)، بل على صعيد الاشتقاق أيضاً، ما زال جل جهدنا منصباً على الاشتقاق القائم على الجذر الثلاثي دون اكتشاف القدرات الكامنة في توليد الكلمات من الرباعي، خاصة في تكوين الكلمات التي تعبر عن المفاهيم المركبة،وما أكثرها في واقعنا المعاصر (ويجازف الكاتب هنا ليسأل القارئ عن مدى استساغته لفعل "تعمل" الذي يخرج بين تعلم، وعمل للدلالة على المفهوم الحديث للتعلم من خلال العمل).

(ب) الفارق الواضح بين المعاجم الإنجليزية والعربية في دقة تحديد معاني المدخلات

الاشتراك اللفظيّ هو ظاهرة طاغية في جميع معاجم اللغات، حيث يمكن أن تتعدد معاني المدخل المعجميّ الواحد، مفرداً كان أو مركباً، وفي هذا الصدد تتميز المعاجم الإنجليزية بدقة متناهية في تحديد معاني مدخلاتها فالمدخل الواحد يمكن أن تتعدد معانيه لتصل أحياناً إلى ما يزيد عن الثلاثين معنى في حالة الأفعال ذات المعنى العام الشامل مثل go,get,take.

ولا شك أن ثمة علاقة مطردة بين اتساع تفريع معاني المدخلات المعجمية للغة ما، ومدى استخدام جماعتها لها في المجالات المختلفة، فكلما زاد الاستخدام واتسع نطاقه كلما أدى ذلك إلى توليد معان جديدة لذات المدخل المعجميّ، إما بتوسيع معناه، أو تضييقه، أو إكسابه معنى جديداً. يفسر ذلك ظاهرة الانفجار المعجمي – إن جاز التعبير– التي تطغى على معجم اللغة الإنجليزية أكثر لغات العالم انتشاراً واستخداماً بلا منازع.

مقارنة بالإنجليزية، تعتبر دقة تحديد معاني المدخلات في المعجم العربي متدنية، خاصة في المعاني الحديثة، ولتوضيح هذا الفارق نورد هنا مقارنة بين عدد معاني بعض الأفعال المتقاربة في اللغتين العربية والإنجليزية.

English verb	Number of senses	عدد معانيه	الفعل العربيّ
Cut	20	16	يقطع
Drive	12	3	يقود
Drop	10	7	يسقط
Fix	11	2	يثبت
Serve	10	1	يخدم
Stand	10	11	يقف

إن اختلاف الدقة في تعريف المعاني بين اللغتين الإنجليزية والعربية يضطر المعجميّ العربيّ إلى أن يلجأ إلى **استخدام صيغ مركبة لتقابل المفرد الإنجليزيّ**، مما يعقد عملية التحويل المعجمي، ويزيد من شدة التداخل بين عمليتي التحويل المعجميّ ونظيره التركيـــي.

من أمثلة ذلك:

He updated them	يطلعهم على آخر التطورات
They baby him	يعاملونه معاملة الأطفال
He railed it off	يحيطه بسياج من القضبان
He read it out	يقرأها على مسمع من الجميع
He will not make it	لن يلحق في الميعاد المحدد
He talked them around	يستدرجهم إلى وجهة نظره
He paid them off	يدفع لهم مستحقات نهاية الخدمة

وقد لاحظ الكاتب، خلال تجربته التي قام بها في مجال التحويل المعجميّ بين الإنجليزية والعربية، أن قدراً غير قليل من المعاني التفصيلية الواردة في المعجم الإنجليزيّ لا يتوفر لها مقابل عربيّ مستساغ بالفصحى، في حين يتوفر لها –في كثير من الأحيان– مقابل في العامية، خاصة فيما يتعلق بالأفعال المركبة (phrasal verbs) والمسكوكة (idiomatic verbs). ونكتفي هنا ببعض أمثلة من العامية المصرية:

المقابل بالفصحى	يخلط أوراق اللعب	shuffle
المقابل بالعامية	يفنط	
المقابل بالفصحى	يعيش على نفقة غيره	He sponges
المقابل بالعامية	يعيش سفلقة	
المقابل بالفصحى	يتخلص من الفوضى	Clear up
المقابل بالعامية	يروق	
المقابل بالفصحى	يعرج بسيارته جانباً	Pull over
المقابل بالعامية	يركن	
المقابل بالفصحى	يدق المسمار إلى الداخل	Punch down a nail
المقابل بالعامية	يسنبك	
المقابل بالفصحى	يقوم بجولة قصيرة	Take a turn
المقابل بالعامية	يبرم برمة	
المقابل بالفصحى	وصف تقريبـي	a pedestrian desertion
المقابل بالعامية	وصف على الماشي	
المقابل بالفصحى	يرهقهم أشد الإرهاق	It knocked them down
المقابل بالعامية	يقصم وسطهم	
المقابل بالفصحى	لم نرك منذ زمن طويل	Long time no see
المقابل بالعامية	عاش من شافك	

وربما لاحظ القارئ أن المقابل بالفصحى لا يحمل دلالات المعنى الإنجليزيّ وإيقاعه وإيحاءاته كما هو الحال في المقابل العامي، ولا شك أنه، لابد لأهل الفصحى لدينا لا بد من بذل جهد كبير لاستحداث مقابلات أكثر استساغة ودلالة لهذه المعاني المهمة التي لا تقل شأناً – بل ربما تزيد في أهميتها– عن المصطلحات التي تتولاها المعاجم المتخصصة، أو بقول آخر، لا يجب أن يقتصر اهتمامنا على المصطلحات بل يجب أن يتسع هذا الاهتمام ليشمل المعاني غير المتخصصة التي يتعامل معها المعجم العام:

(ج) تحويل المعاني الاستعارية

من أصعب المشكلات في معالجة اللغات الطبيعية عموماً، ونظم الترجمة الآلية بصفة خاصة، هي تلك المتعلقة بتحويل المعاني المجازية (الاستعارية)، ولتوضيح أحد جوانب هذه الصعوبة، نورد الأمثلة البسيطة التالية لترجمة بعد الصيغ الاستعارية الإنجليزية:

* **المثال الأول:** خفضوا مرتبه (* قطعوا مرتبه)

They cut his salary

* **المثال الثاني:** أتموا الصفقة (* أغلقوا الصفقة)

They closed the deal

* **المثال الثالث:** أغلقوا باب النقاش.

They closed the debate

***المثال الرابع:** قطعوا الإمدادات.

The cut the supplies

في المثالين الأول والثاني–كما هو واضح– لم تصمد الاستعارة لفعلي(cut وclose) خلال عملية التحويل المعجميّ من الإنجليزية إلى العربية، في حين صمدت في المثال الثالث رغم أنه مرتبط بنفس معنى الفعل الإنجليزي (close) الواردة في المثال الثاني، وكذلك صمدت في المثال الرابع رغم التقارب الشديد في معنى (cut) الوارد في هذا المثال مع نظيره في المثال الأول. يرجع ذلك إلى اختلاف الأفعال في اللغتين فيما

يعرف بالقيود الانتقائية(selectional restrictions) التي تحدد السمات الدلالية للألفاظ التي يمكن أن ترد في المواضع المختلفة التي تحتلها المقولات النحوية المرتبطة بالفعل.

إن دراسة **ظاهرة الاستعارة** عبر اللغات المختلفة تحظى حالياً باهتمام كبير من قبل الدلاليين والمعجميين ومنظري الأدب، وقد انضم إليهم أخيراً، اللسانيون الحاسوبيون والإحصائيون اللغويون، ومن أهم ما خلصت إليه هذه الدراسة، أن هناك عدداً من **الاستعارات المحورية** التي اكتسبت صفة العمومية عبر اللغات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

* استعارة	النقاش: حرب
* استعارة	الوقت: مال
* استعارة	العواطف: لهيب
* استعارة	المخ البشريّ: آلة
* استعارة	الأفكار: غذاء
* استعارة	اللغة: ناقلة
* استعارة	الشخصية: بناء
* استعارة	التواصل الإنسانيّ: عملية إرسال واستقبال
* استعارة	العمر: قطار
* استعارة	الليل: ستار
* استعارة	الكلام: قذائف
* استعارة	حركة الاقتصاد: حركة موانع(هيدروليكا)

وللتدليل على ذلك، يوضح الجدول أدناه عينة من استخدامات بعض هذه **الاستعارة المحورية المتناظرة بين اللغتين العربية والإنجليزية**، ولا شك أن تزايد حركة الترجمة مع تصاعد نزعة العولمة ستعمل على مزيد من العمومية الاستعارية، بين اللغات. (4)

بعض الأمثلة للدلالة على عمومية الاستعارات المحورية

بين اللغتين العربية والإنجليزية

النقاش: حرب	كسبنا جولة الدفاع النقاش	We won the argument
	مزاعمك يصعب الدفاع عنها	Your claim is indefensible
الاقتصاد: موانع (هيدروليكا)	الفيض النقدي	Cash flow
	تعويم العملة	Floating of the currency
	تجميد الأرصدة	Freezing of funds
الوقت: مال	تبديد الوقت	Waste of time
	ميزانية الوقت	Time budget
	استثمرت كثيراً من الوقت	I have invested a lot of time
العقل: آلة	آليات الذهن	Mental mechanisms
	صداء الذهن	My mind is rusty
	عقله مشحون بالأفكار الجديدة	His mind is charged with new ideas
الأفكار: غذاء	أفكار طازجة	Fresh ideas
	تغذى على أفكاره	Feeding ideas
	لم يهضم الفكرة	I did not swallow the idea
اللغة: ناقلة	جملة فارغة بلا معنى	His words carry little meaning
	نقلت له فكرتي	I conveyed to him my idea
	أفرغت شحنة أفكاري	I dumped all my ideas

تحتاج نظم الترجمة العربية ما بين العربية والإنجليزية إلى دراسات متعمقة لتحديد العوامل التركيبية والدلالية والبراجماتية التي تعمل على سريان الاستعارة، أو تحد من انتقالها، عبر اللغتين، ويحتاج ذلك –ضمن ما يحتاج– إلى تأصيل الأسس التي تتوقف عليها قابلية معاني الألفاظ للاستخدام الاستعاريّ (metaphorability)، وتحديد ومسارات التدرج ما بين الحرفيّ والاستعاريّ metaphoric gradient ، وذلك على مستوى كل لغة على حدة، قبل تناولها على مستوى الثنائية اللغوية.

(د) تفشي ظاهرة الحذف المعجمي في معجم اللغة الإنجليزية

كلما زاد استخدام اللغة وترسخت، وكلما تقدمت الجماعات الناطقة بها اجتماعياً وثقافياً، كلما استحدثت هذه الجماعات آليات لزيادة سرعة وفاعلية عمليات التواصل اللغويّ، كاستخدام المختصرات والأكليشيهات والصيغ المقتضبة، ويقوم الاقتضاب على حذف، ما يمكن استنتاجه منطقياً من السياق، أو التعويض عنه بما سار سائداً ومشاعاً (الحذف على العهدية) وتتميز اللغة الإنجليزية بتفشي ظاهرة الحذف هذه، ومن أمثلة ذلك:

* يقود (السيارة) He drives well
* هل طالبت (بقيمة التأمين) بعد Have you claimed yet ?

لذا فمن المهام الذكية الصعبة التي يجب أن تقوم بها نظم الترجمة الآلية من الإنجليزية إلى العربية، التعويض عن الكلمات المحذوفة على العهدية في الإنجليزية والتي لا يستقيم المعنى بدونها في العربية. مما يزيد من صعوبة هذه المهمة تداخل الحذف على العهد الحذف السياقيّ (حذف ما سبق ذكره تحاشياً للتكرار) وكذلك عمليات الإضمار، ناهيك عن إمكانية أن يكون ذاته الفعل لازماً (لايقبل الحذف) ومتعدياً (يقبل الحذف) وما أكثر حدوث ذلك في الأفعال الإنجليزية.

(هـ) الفارق الكبير في لغة وصف اللغة بين الإنجليزية والعربية.

من المصاعب الأساسية التي يواجهها اللسانيون والمعجميون الحاسبيون العرب هو ضمور لغة وصف اللغة (meta-language)، ويقصد بها المصطلحات القياسية التي تستخدم في توصيف الظواهر اللغوية المختلفة. إن لغة وصف اللغة العربية ضامـــرة للغايـــة، وتحتاج إلى عملية تحديث شاملة خاصة في المجالات التالية:

* التصنيف المعجميّ للأفعال (taxonomical verd classification) (مثال: أفعال الحركة والثبوت، أفعال الرفض والقبول، أفعال والعطاء، أفعال التأثير التأثر، أفعال الجذب والتهديد،..)
* السمات الدلالية (Semantic Features)التي تمكن من تفكيك بنية (decomposition) معاني الكلمات.
* تصنيف الظروف(adverb classification)، حيث ما زال تصنيف الظروف (الفضلة عموماً) يدور حول ثلاثية: ظرف زمان – ظرف مكان- ظرف زماني، في حين وصل هذا التصنيف في الإنجليزية إلى ما يزيد عن ثلاثين صنفاً.

* التوصيف القياسي للمقولات النحوية التي ترتبط بالأفعال ومتشقاتها، أو ما يعرف بالبنية الدلالية (verbal semantic argumentation)، أو التصنيف الفرعي للمقولات النحوية (syntactical subcategorization).

المراجـــــع

1) Anderson,S.R. **Where is Morphology?** "Linguistic Inquiry Vol 13 pp 373-418.
2) Sinclaire, John.M: **Grammar in the Dictonary**, pp. 104-115, in « Looking UP: An account of the COBUILD project in lexical computing Collins ELT, 1987.

3) علي، نبيل: **اللغة العربية والحاسوب**، دار تعريب للنشر، 1988، ص 258-263.

4) علي، نبيل: **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب سلسلة عالم المعرفة، العدد 265 الكويت، 2000، ص 212-219.

دور المصطلح العلميّ العربيّ الموحَّد
في تعريب التعليم العالي

د. علي القاسمي(*)

ثروة الأمم:

يتوقف غنى الأمم وفقرُها اليوم على فاعلية التعليم العالي، وقدرته على استيعاب الانفجار المعرفيّ، ومواكبته التحولات الجذرية المتلاحقة في ميدان تقنيات المعلومات والاتصال، ومشاركته في صنع المعرفة، عن طريق البحث العلميّ، وانتقاله من تعليم الخاصة إلى تعليم العامة، وانفتاحه على محيطه الاجتماعيّ والاقتصاديّ لتحقيق التنمية المنشودة. فثروة الأمة لا تقاس بما هو مخزون في أرضها من معادن، وإنما بما تكتنزه أدمغة أبنائها من معارف وعلوم وتقنيات(1).

لم تكن البلاد العربية تتوفر عام 1950 إلا على (10) عشر جامعات فقط لا يتجاوز عدد طلابها بضعة آلاف. ثم تضاعف عددها مراراً حتى أصبح لدينا الآن حوالي (200) مئتي جامعة يزيد عدد الطلاب المنخرطين فيها على (4.000.000) أربعة ملايين طالب وطالبة؛ أي حوالي 20% من السكان من الفئة العمرية 18-23 سنة. ومنذ الخمسينات والدول العربية تخصص للتعليم، ومن ضمنه التعليم العالي، ما يتراوح بين 25% و 30% من موازناتها السنوية. ومع ذلك كله، فإن التعليم العالي في الوطن العربيّ فشل في توفير الشروط اللازمة لقيام تنمية شاملة على الرغم من النمو الكبير الذي أصابه في حجمه وتخصصاته ومستوياته(2).

مظاهر التخلّف:

تصنِّف المنظماتُ الدوليةُ المتخصصةُ الأقطارَ العربية -الغنية منها والفقيرة- ضمن البلدان النامية، وهي تورية دبلوماسية للإشارة إلى البلدان المتخلفة. ومظاهر التخلف متعددة في نظر الاقتصاديين، أهمها: انخفاض معدل الدخل الحقيقيّ للفرد، والتفاوت الحاد في توزيع الثروة بين المواطنين، وعدم استغلال الموارد الطبيعية بشكل كاف، وضعف البنية التحتية من طرق ومواصلات ووسائل اتصال وكهرباء وماء، ونقص في رؤوس الأموال، وعدم استخدام وسائل الإنتاج المتطورة، وضعف الأداء المهنيّ لدى العاملين في قطاعات الإنتاج والخدمات، وانخفاض المستوى الثقافيّ والصحيّ لدى المواطنين، وانفصام بين ما يوجد في القوانين وما يمارس في الواقع، وأخيراً وليس آخراً ضعف الإدارة وفسادها وتفشي المحسوبية والرشوة فيها.

(*)خبير في المعجمية والمصطلحية

التنمية البشرية الشاملة:

لقد حدثت تحولات مهمة في مفهوم التنمية خلال العقود الثلاثة الأخيرة بفضل التطورات التقنية الحديثة خاصة في نظم المعلومات والاتصال وما أعقبها من تغييرات هائلة في السياسات والبنيات الاقتصادية والاجتماعية. فلم يعد (معدل دخل الفرد) معياراً كافياً للنمو الاقتصاديّ أو التخلف؛ فقد يكون متوسط دخل الفرد مرتفعاً جداً في دولة من الدول ولكن نسبة عالية من سكانها تعاني الأمية أو الفقر أو البطالة الحقيقية أو المقنعة. كما لم تعد التنمية تعني العمل على أن يكون معدل الزيادة السنوية في الناتج القوميّ أعلى من معدل الزيادة السنوية في عدد السكان؛ فقد تحقق الدولة ذلك ولكن عدد الفقراء فيها يتزايد ونسبة البطالة ترتفع. ولهذا ظهر مفهوم التنمية البشرية الشاملة ومعيارها (الرفاه الاجتماعيّ).

ويقاس معدل التنمية البشرية الشاملة بإنجازات البلد في مجالات أساسية ثلاثة هي:

1) تمتع الأفراد بصحة جيدة وحياة مديدة، ويقاس ذلك بمعدل العمر المتوقع للفرد،

2) انتشار المعرفة، الذي يقاس بمستوى التعليم بين الراشدين، وبمعدل الالتحاق بالتعليم الابتدائيّ والثانويّ والعالي،

3) مستوى المعيشة، الذي يقاس بمعدل الدخل الفردي.

وتيسر التنمية البشرية للبلاد تحقيق مستوى معين من الإنجاز التقنيّ يتمظهر في مشاركة أهل البلاد في إبداع التقانة (التكنولوجيا)، وانتشار المبتكرات الحديثة بينهم، وتوفرهم على المهارات الإنسانية.

وفي حين تصب التنمية الاقتصادية اهتمامها على زيادة الإنتاج فقط، فإن التنمية البشرية الشاملة لا تتوقف عند الجانب الاقتصاديّ فحسب، وإنما تمتد كذلك إلى الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية، وتركّز على توزيع الثروة بصورة عادلة، وتحسين نوعية الحياة لجميع المواطنين. إنها تنمية إنسانية متوازنة مرنة تتخذ من الإنسان أداة وهدفاً، فهو محور نشاطها ومحط عنايتها، ومعيارها هو (الرفاه الاجتماعيّ) الذي يقيس مدى إشباع حاجات الناس الأساسية من سكن وغذاء وتعليم، ومدى تمتعهم بالرعاية الصحية والضمان الاجتماعيّ والخدمات الترفيهية.

متطلبات التنمية:

ولكي يتحقق هذا النوع من التنمية لا بدّ من توفر المناخ السياسيّ والاجتماعيّ والثقافيّ الملائم؛ مناخ سياسيّ يقوم على مبدإ الحرية والمساواة، تُحترم فيه حقوق الإنسان وتُصان كرامته؛ ومناخ اجتماعيّ يسود فيه التعاون والتكامل بين مكونات المجتمع أفراداً ومؤسسات، ويعمّ فيه الأمن والطمأنينة، مما يتيح للإنسان تحقيق ذاته، وتحرير إمكاناته المبدعة، وإطلاق قدراته الخلاقة؛ ومناخ ثقافيّ تندثر فيه الأمية، وتشيع فيه المعرفة العلمية والتقنية، وتسود فيه قيمة العمل، فيشارك الرجال والنساء معاً في الإنتاج.

الوضع في الأقطار العربية:

وإذا نظرنا إلى الوضع في الأقطار العربية، وجدنا

أن الوضع كارثيّ. فالتنمية ـــ حتى بمفهومها الاقتصاديّ المحدود ـــ بطيئة ومتخلفة إذا ما قورنت بما عليه الحال في أقطار العالم الأخرى. فإحصاءات البنك العالميّ تشير إلى أن معدل نمو دخل الفرد في الأقطار العربية، خلال العقدين الأخيرين، لم يتجـــــاوز 0.5% (نصف بالمائة) بالمقارنة مع الأقطار النامية (اقرأ المتخلفة)، حيث بلغ فيها 3.3%. وحتى في الأقطار الأقل نمواً، كان معدل النمو9.% في الفترة نفسها. وتشير هذه الإحصاءات كذلك إلى أن مؤشر الإنتاجية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، في الفترة من 1960 إلى 1990 قد انخفض بنسبة 02 %. فقد كان معدل الدخل الوطنيّ العام للعامل الواحد في البلاد العربية عام 1960 أعلى منه في هونغ كونغ وكوريا وتايوان. ومن ناحية أخرى، تشير تقديرات اليونسكو إلى أن عدد الأميين في الدول العربية بلغ، عام 1999، حوالي 68 مليون شخص؛ أي ما يمثّل 40% من مجموع السكان الذين تتجاوز أعمارهم 15 عاماً، وأن أكثر من نصف الأميين من الإناث(3).

الجامعة مسؤولة عن التنمية:

قد يتساءل المرء قائلاً: كيف يتسنى للجامعة أن تسهم في تحقيق التنمية البشرية الشاملة التي نتمناها؟ ألسنا نطلب المستحيل منها؟

من المتفق عليه أن التنمية الشاملة تتطلب تضافر جهود القطاع العام والقطّاع الخاص والتعليم. ولكن المسؤولية الأساسية تقع أولاً وبالذات على الجامعات، لأنها هي الأداة الأهم والأكثر فاعلية في العملية التنموية، فعليها يقع عبء تطوير أجهزة الدولة والقطاع الخاص والتعليم بشكل عام، وتوجيه نشاط هذه الأجهزة الوجهة الصحيحة التي تخدم أهداف التنمية البشرية الشاملة.

وتستعين الجامعة على بلوغ غاياتها بثلاثة أنواع من الأنشطة يكمل بعضُها بعضاً: تكوين قيادات المجتمع، وإجراء البحوث العلمية، والتفاعل مع محيطها الاجتماعيّ والاقتصاديّ. فالتعليم الجامعيّ يسعى إلى تكوين قيادات قادرة على إيجاد المناخ السياسيّ والاجتماعيّ والثقافيّ المطلوب لإنجاز العملية التنموية. ولهذا لا يقتصر التعليم الجامعيّ على التكوين الأساسيّ الذي يتلقاه الطلاب الجامعيون فقط، وإنما تتعهد الجامعة كذلك بتزويد قيادات الدولة والقطاع الخاص بالتدريب التكميليّ والتدريب المستمر اللذين تفرضهما التحولات العالمية المتلاحقة والتطورات العلمية والتقنية المستمرة. فإضافة إلى المقررات الدراسية التي تدرّسها الجامعة لطلابها، تضطلع بتنظيم دورات تدريبية قصيرة لقيادات القطاعات المختلفة في البلاد لتزيد من كفاءتها، وترفع من قدراتها، وتجعلها أكثر فاعلية في الإسهام في العملية التنموية.

والجامعة هي المؤسسة المؤهلة لتزويد القيادات الوطنية في مختلف القطاعات بآخر التطورات في حقول المعرفة وتدريبها على أحدث التقنيات، بفضل توفرها على هيئة أكاديمية على صلة دائمة بمصادر المعرفة العالمية، وبفضل ما تجريه من بحوث علمية تستفيد من نتائجها وتطبيقاتها جميع المؤسسات الوطنية. وتضطلع مراكز البحوث العلمية الجامعية بإجراء نوعين من البحوث: **بحوث أساسية نظرية** تساعدنا على فهم ذواتنا، وطبيعة العلاقات بيننا، وإدراك سنن الطبيعة التي نعيش في كنفها، فتنمو المعرفة الإنسانية عموماً،

وبحوث تطبيقية تهدف إلى استثمار المعرفة العلمية في مجالات الإنتاج الزراعيّ والصناعيّ والخدمات لزيادة المردودية الاقتصادية خصوصاً.

ولكي يكون للتعليم العالي والبحث العلميّ فائدة عملية في المجتمع يتوجــب على الجامعة أن تنفتح على محيطها الاقتصاديّ والاجتماعيّ، بمعنى أن الجامعة تنشئ شراكة حقيقية مع مؤسسات القطاعين العام والخاص، بحيث تشترك هذه المؤسسات مع الجامعة في صياغة الأهداف المرحلية للمقررات الدراسية، وفي تحديد نوعية البحوث العلمية المطلوبة واستغلال نتائجها استغلالاً عملياً، وفي تنظيم الدورات التدريبية القصيرة وتأطيرها. وبطبيعة الحال تستخدم تلك المؤسسات خريجي الجامعات وتستفيد من أساتذتها بصفة مستشارين. ولكي تتوثق هذه الشراكة وتتسع قاعدتها فإن الجامعات تُكثر من عقد المؤتمرات والندوات والموائد المستديرة التي تساهم فيها قيادات الدولة والقطاع الخاص لبلورة الأهداف ووضع الخطط وإجراء التقييم والتقويم لمختلف الأنشطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وعندما يتأكد للقطاع الخاص أنه يستفيد من الجامعة في زيادة مردوديته الاقتصادية وأرباحه، فإنه يتحمس لدعم الجامعة مادياً وتمويل أبحاثها ومؤتمراتها ومشروعاتها الأخرى.

تخلّف الجامعات العربية:

وبإلقاء نظرة على أوضاع الجامعات العربية نجد أنها تبتعد كثيراً عن الصورة التي نقلناها عن جامعات البلاد المتقدمة ووظائفها، وأن التعليم العالي عموماً، يعاني مشكلات عويصة متعددة، تعيقه عن أداء مهمته الأساسية المتمثلة في تنمية البلاد وترقيتها، وأهم هذه المشكلات ما يأتي:

1- محدودية التعليم العالي:

إن التعليم العالي في الوطن العربيّ ما يزال تعليماً للخاصة ولم يُصبح بعد تعليماً للعامة. فمعدلات الالتحاق بالتعليم العالي في الدول العربية منخفضة جداً إذا ما قورنت بمثيلاتها في الدول الأكثر نمواً. فمعدل الالتحاق بالتعليم العالي عندنا عام 1997 لم يتجاوز نسبة 14.9% في حين بلغ عندهم 61.1% [(4)].

2 – تدني نوعية التعليم العالي:

من أسباب تدني نوعية التعليم، في بلادنا، عدم التوسع في فتح الجامعات لاستيعاب أفواج الطلاب المتنامية، مما يؤدي إلى اكتظاظ الأقسام والصفوف بسبب ضغط الطلب على التعليم العالي الناتج من تزايد أعداد السكان. فمعدل النمو الديمغرافيّ في الدول العربية يتراوح بين 2.50% و 3.5% بالمقارنة مع المعدل العالميّ الذي لا يتجاوز 1.5%، وهذا يعني أن عدد سكان الأمة العربية يتضاعف ثلاث مرات كل عشرين سنة، وأن 60% من السكان تقلّ أعمارهم عن 25 سنة ولكثير منهم الرغبة في ولوج التعليم العالي. [(5)]

أضف إلى ذلك، أن معظم أساتذتنا الجامعيين لا يتوفرون على تأهيل في طرائق التدريس. ولم نسمع أن كلية من كليات التربية في طول البلاد العربية وعرضها أقامت دورة تدريبية على هذه الطرائق واستخدام التقنيات التربوية لفائدة أعضاء الهيئة التدريسية الجامعية.

ومن ناحية أخرى، لا توجد هناك علاقة رعاية أكاديمية بين الأستاذ والطالب، فالأستاذ ليس له مكتب في بناية الجامعة، ولا يُطلب منه تخصيص ساعات أسبوعية محددة يستقبل فيها الطلاب الذين يحتاجون مشورته أو مساعدته في فهم مـــا استعصى عليهم أو مناقشة أفكارهم وبلورتها.

أما طريقة التدريس المتبعة فهي، على الأغلب، إملاء محاضرات يحفظها الطلاب ويعيدون كتابتها على ورقة الامتحان آخر العام الدراسيّ.

ولا تتوفر جامعاتنا، حتى الحكومية منها، على الموارد المالية والبشرية اللازمة، وتعوزها التجهيزات والمختبرات الضرورية. ويدلنا مؤشر كلفة الطالب السنوية على العوز الماديّ الذي تعانيه جامعاتنا؛ فمعدل الإنفاق السنويّ على الطالب الواحد في البلاد العربية هو 340 دولارا، أما في الغرب فهو 6500 دولار [6].

في عام 1997، كانت هناك 175 جامعة في الوطن العربيّ، تأسست 108 جامعات منها في فترة الخمسة عشر عاما الممتدة من 1981 إلى1996، والأغلبية الساحقة من هذه الجامعات الجديدة تفتقر إلى التجهيزات الضرورية، " وتكاد لا تستحق أن تسمى بالجامعات. وكثير منها أُنشئ لأسباب سياسية، ومعظم الجامعات الخاصة منها أنشئ لغاية الربح فقط"، كما ورد في تقرير اليونسكو.[7]

3 – ثقافة التعليم السلطوية:

إن التعليم العالي عندنا امتداد كميّ للتعليم الابتدائيّ والثانويّ في ثقافته وهياكله ومناهجه وأساليبه. فثقافة التعليم عندنا تقوم على سلطوية المعلم أو الأستاذ الذي يلقّن، وسلبية التلميذ الذي يتلقى. وهذه ثقافة لا تشجع الطالب على الشك والتساؤل والتفكير، ولا تمكنه من الإبداع والابتكار والاختراع.

4 – تقوقع التعليم العالي:

ليست الجامعات عندنا منفتحة على محيطها الاجتماعي والاقتصادي بل منغلقة حتى على نفسها، فكل قسم من أقسامها يواصل استخدام برابجه التقليدية دون الانفتاح على بقية الأقسام العلمية وتبادل المعرفة معها. وقد أمست الهوة سحيقة بين مضامين التعليم العالي وبين متطلبات سوق العمل، فمناهجه لا تواكب التطورات السريعة في ميدان العلوم والتقنيات ولا المتغيرات المتلاحقة في تقنيات المعلومات والاتصال. وعملية تغيير المناهج في الجامعات أبطأ بكثير من التحولات المتلاحقة في سوق العمل. ولهذا فإن جامعاتنا متهمة بتخريج أفواج من العاطلين من أنصاف المتعلمين.

5 – اختلال التوازن الموضوعيّ في التعليم العالي:

تتطلب التنمية الشاملة توفير عدد كاف من العلميين والتقنيين في البلاد لا تقل نسبتهم عن 2.5% من السكان. ولكن الإحصاءات تدلنا على أن معظم البلاد العربية لا تتوفر إلا على نسبة 0.3%، أي أن عدد العلماء والمهندسين في كل مليون نسمة لا يتجاوز ثلاثمائة فرد، في حين أن عددهم في المجتمعات الغربية يبلغ 3600 فرد في كل مليون نسمة. [8]

وعندما نلقي نظرة فاحصة على أعداد الطلاب المسجلين في التخصصات المختلفة يتضح لنا السبب في

عدم توفر العلميين والتقنيين في سوق العمل. فعلى الرغم من أن كليات العلوم والتقانة تشكل أكثر من نصــف الكليات في جامعاتنـا (51.5%)، فإن عدد طلابها يقل عن ثلث مجموع الطلاب الملتحقين بالجامعات (31.9%). وتؤكد هذه الإحصائية إحصائية أخرى تشير إلى أن 52.3% من حملة البكالوريوس سنة 1996/1995 في الوطن العربيّ هم من المتخصصين في الآداب والإنسانيات، في حين لا يوجد سوى 9.8% من خريجي ذلك العام الدراسيّ من المتخصصين في الهندسة، و9.6% في العلوم، و 7.4% في العلوم الطبية، و 3.0% فقط في الزراعة.

ويمكن رد الأسباب في ذلك إلى سوء التخطيط، وزيادة الطلب على التعليم العالي، وعدم توفر الموارد المادية الكافية للتوسع في التخصصات العلمية والتقنية التي تتطلب تجهيزات ومختبرات عالية التكلفة، مما يضطر المسؤولين إلى التوسع في برامج الدراسات الإنسانية والاجتماعية، وهي برامج لا تستجيب لاحتياجات سوق العمل.

6- ضآلة البحث العلميّ في التعليم العالي:

يعدّ بعضهم البحث العلميّ الوظيفة الأساسية للجامعة، ويدعو إلى عدم قيام الجامعات بتدريس معلومات معروفة مسبقاً، وإنما يجب أن يقتصر التدريس فيها على المعارف الجديدة غير المتوفرة خارج أسوارها، وخاصة تلك المعارف التي تكتشفها داخل مختبراتها هي. فالجامعة هي الوكر الذي "يفرّخ" المعرفة. ولكن قصور الإنفاق على الجامعات العربية يضطرها إلى توجيه مـواردها المالية المحدودة إلى تشغيل الإدارة، وصرف رواتب الأساتذة والموظفين، وتسيير المرافق والخدمات الضرورية، ولا يبقى إلا النـزر اليسير للبحث العلميّ والمكتبات.

إن مجموع ما تنفقه البلاد العربية على البحث العلميّ يبقى هامشياً ويقلّ كثيراً، في أحسن حالاته، عن 0,5% من الناتج القوميّ الإجماليّ في حين تخصص بعض الدول المتقدمة أكثر من 6% من ناتجها القوميّ الإجماليّ لإجراء البحوث العلمية. أما الدراسات التي يعدّها طلبة الدراسات العليا في جامعاتنا ونسميها، تجاوزاً، بحوثاً، فهي في معظمها مجرد تمارين نظرية تبقى رهينة رفوف المكتبة ولا علاقة لها بما يجري في قطاعات الإنتاج من قريب أو بعيد.

إن مجموع ما أنفقته الأقطار العربية على البحث العلميّ عام 1996م لم يتجاوز 782 مليون دولار أو 0.14% من الناتج القوميّ الإجماليّ. وتأتي الأقطار العربية في آخر قائمة الدول في الإنفاق على البحث العلميّ، حتى بعد مجموعة الدول الإفريقية ما وراء الصحراء التي تعد مواردها فقيرة جداً إذا ما قورنت بـ " غنى" الدول العربية [9].

7 - انعدام تقييم نوعية التعليم العالي وجودته:

قد تخضع الجامعات في البلاد العربية لرقابة إدارية ومالية ولكنها لا تخضع حالياً لرقابة علمية. فليس هنالك تقويم لبرامجها ومناهجها وأبحاثها وتجهيزاتها من قبل مؤسسة مستقلة، كما هو الحال في الغرب. فالجامعات هناك تتمتع باستقلالها الذاتي وحريتها الأكاديمية، ولكنها في الوقت ذاته تخضع لتقييم مستمر من قبل مؤسسات مستقلة متخصصة محليّة ووطنيّة. وهذه المؤسسات

تضطلع بتقييم الجامعات وتصنّفها حسب مستواها العلميّ في كلّ تخصص من تخصصاتها، وتنشر نتائج تقييمها بوسائل الإعلام المختلفة ليطّلع عليها الطلاب فيستطيعون اختيار الجامعة المعترف بها التي تلائم تطلعاتهم.

لم يعد للطالب الحق في ولوج التعليم العالي فحسب، وإنما أصبح من حقه كذلك معرفة مستوى الجامعة التي يروم ولوجها.

8- تدريس العلوم بلغة أجنبية:

لا تستخدم مؤسسات التعليم العالي في الوطن العربيّ اللغة العربية في تدريس العلوم والتقنيات ولا في البحث العلميّ؛ وإنما تستخدم بدلاً منها لغة المستعمر القديم، الإنجليزية في دول المشرق العربيّ، والفرنسية في دول المغرب العربيّ.

وعلى الرغم من أن الدول العربية سعت بعد استقلالها إلى التخلص من التبعية الثقافية الاستعمارية عن طريق تعريب الإدارة والتجارة والتعليم، فإنها توقفت عند تعريب العلوم الأساسية والتطبيقية في التعليم العالي وظلت هذه الموضوعات تُدرّس بلغة المستعمر القديم. وإذا كان هنالك في السابق بصيص أمل في استكمال التعريب، فإن هذا البصيص أخذ يتلاشى في ظل العولمة الزاحفة، إذ تبنت الجامعات التي أُنشئت في بلادنا مؤخراً استعمال الإنجليزية في جميع المواد حتى الإنسانيات والاجتماعيات.

وسنتناول مشكلة تعريب التعليم العالي بشيء من التفصيل لاحقاً.

ما العمل؟

إن أية استراتيجية ترمي إلى تحسين نوعية التعليم وجودته، لا بد أن تأخذ في النظر جميع العناصر: ماذا نعلّم؟ وكيف نعلّم؟ وما مردودية ما نعلّم؟ وأية ثقافة تعليمية نعتمد؟ وينبغي أن لا ننظر إلى التعليم العالي بوصفه قطاعاً معزولاً، وإنما بوصفه نظاماً فرعياً في نظام أكبر هو المجتمع الذي نعيش فيه والعالم الذي يحيط بنا.

إن القطاعين، العام والخاص، مدعوان لدعم الجامعة مادياً وتمكينها من استقلالها الإداريّ وحريتها الأكاديمية، ولكن في مقابل ذلك يتوجب على الجامعة أن تغير من هيكلتها ومناهجها وأساليبها في ضوء التطورات العلمية والتقنية، وأن تسعى إلى شراكة حقيقية مع الفاعلين الاجتماعيين والاقتصاديين خارج حرمها لخدمتهم، والاستجابة إلى احتياجاتهم، وترقية مستواهم الثقافيّ والمهنيّ، وزيادة مردوديتهم الاقتصادية، عن طريق البحث العلميّ والتدريب المستمر والترجمة والتأليف. وهكذا تستطيع الجامعة أن تقود عملية التنمية الشاملة في البلاد.

مشكلة التعريب

انفصام بين السلطة والمثقف:

إن من أسباب عدم استتباب الأمن الاجتماعيّ والسِّلم الداخليّ في البلاد، أية بلاد، وجود انفصام بين الشعب والحكومة أو بين المثقف وصاحب القرار. وتشكّل قضية التعريب وجهاً من وجوه الانفصام الواضح بين صنّاع القرار وبين المثقفين في وطننا العربيّ. فصنّاع القرار وأصحابه يعتقدون مخلصين أن شعوبهم لا

تستطيع أن تمتلك ناصية العلم والتقانة ما لم تُستعمل "لغة العلم" نفسها في التعليم[10]. والمقصود بـ "لغة العلم" إحـــدى اللغات الغربية التي قطع الناطقون بها شوطاً بعيداً في التقدم العلميّ والتقانيّ (التكنولوجيّ)، كاللغة الإنجليزية أو اللغة الفرنسية. ولهذا فإن الأغلبية الساحقة من الجامعات العربية تستخدم الإنجليزية (في المشرق العربيّ) أو الفرنسية (في المغرب العربيّ) في التعليم العالي وخاصة في تدريس العلوم والطب والهندسة والزراعة.

أما المثقفون والمختصون واللغويون والجامعيون فيرون أن تحسين نوعية التعليم ليقود عملية التنمية يستوجب استخدام اللغة الوطنية في جميع مراحل التعليم وفي جميع تخصصاته ومواده.

ويرى بعضهم أن خيار أصحاب القرار في الدول العربية ليس جديداً أو من تركة الاستعمار الغربيّ في بلادنا، وإنما هو خيار قديم ظهر إبان عصر النهضة العربية الحديثة في القرن التاسع عشر الميلاديّ. فيذكرون أن الوزير المصلح خير الدين التونسيّ (1810-1890)، صاحب كتاب "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"، أسس المدرسة الصادقية في تونس عام 1875، لكي تكون أداة لاستيعاب علوم أوربا وتقنياتها، وذلك قبل أن تقع تونس في قبضة الاستعمار الفرنسيّ، ومع ذلك فقد جعل الفرنسية لغةً لتدريس العلوم والتقنيات في حين كانت العربية تستعمل لتدريس الإنسانيات والآداب في المدرسة نفسها.[11]

أسباب استعمال اللغة الأجنبية في التعليم العالي:

يسوق أنصار استعمال اللغة الأجنبية في تدريس العلوم الأساسية والتطبيقية عدة مسوغات أهمها ما يأتي:

أولاً، عدم استيعاب اللغة العربية العلوم والتقنيات، فهي لا تتوفر على المصطلحات العلمية والتقنية الكافية للتعبير عن المفاهيم المستجدة التي يحتاج إليها التعليم العالي.

ثانياً، قلة المراجع من الكتب والوثائق العلمية باللغة العربية بسبب ضعف حركة الترجمة العلمية والتقنية إلى اللغة العربية.

ثالثاً، إن المصطلحات العلمية والتقنية المتوفرة باللغة العربية ليست موحّدة على صعيد الوطن العربيّ فهي تختلف من قطر لآخر بل من جامعة لأخرى في القطر الواحد.

رابعاً، إن المصطلحات التي تمّ توحيدها في مؤتمرات التعريب العربية ونشَرها مكتب تنسيق التعريب، لم يتمّ توزيعها بشكل كاف ولم تصل من يحتاجها. وهي، بعد ذلك كلّه، مجرد مولدات لم يكتب لها الانتشار والاستعمال ولم تبلغ درجة المصطلحات.

خامساً، إن استعمال اللغة الأجنبية في الجامعات ييسر لطلابنا النابغين متابعة دراساتهم العليا في البلاد المتقدمة.

سادساً، إن معظم أساتذة التعليم العالي تلقوا علومهم في جامعات أجنبية وبلغة أجنبية، ولذلك يصعب عليهم أن يحاضروا باللغة العربية وأن يصوغوا الترجمة العربية الصحيحة لما تعلموه.

سابعاً، إن التطور السريع في العلوم والتقنيات يولّد كمّاً هائلاً من المصطلحات العلمية والتقنية، يقدّرها بعضهم بخمسين مصطلحاً جديداً كل يوم، بحيث لا يمكن مواكبة تعريب هذه المصطلحات، خاصة وأن عمل المجامع العربية يتسم بالبطء والعسر.

ثامناً، إن اللغة العربية لا تتوفر على معاجم علمية متخصصة تعرّف المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة وتحدد مفاهيمها. وأما المعاجم العامة فهي مجرد نقل لمداخل من المعاجم القديمة، فلا تواكب تطور اللغة في مفرداتها ومدلولاتها وتراكيبها، ولا تشتمل على ما يستجد من ألفاظ حضارية.

تاسعاً، عدم امتلاك الطالب الجامعيّ، اللغة العربية الفصيحة، خاصة في التعبير الشفويّ والكتابيّ، وذلك لأن قواعد النحو العربيّ مثقلة بالظواهر الشكلية والعلل المنطقية الصورية الزائفة، ولأن الخط العربيّ يخلو عادة من الشّكل، مما يجعله بعيداً عن الأمانة في تمثيل اللغة المنطوقة، كما أنه ما زال جامداً عند أنماط معينة في كتابة بعض الكلمات.

عاشراً، إن ما يقرب من 80% من المعلومات المتوفرة في شبكة المعلومات الدولية هي باللغة الإنجليزية. فإذا أردنا لأبنائنا الاستفادة من تقنيات الاتصال الحديثة، لا بدّ لنا من استخدام الإنجليزية في تدريس العلوم والتقنيات ليتمكنوا منها. (12)

المثقفون وتعريب التعليم العالي:

أما المثقفون وأصحاب الخبرة والاختصاص في اللسانيات والتربية وقضايا التنمية، فإنهم يختلفون في الرأي مع الساسة وصنّاع القرار حول قضية تعريب التعليم العالي. فهم مجمعون على أن من مصلحة الأمة العربية تعريب التعليم بجميع مراحله وجميع تخصصاته. وقد ظهر هذا الإجماع جلياً في مناسبات عديدة ووثائق كثيرة، منها مثلا:

1- نصّت دساتير الدول العربية على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية في البلاد.

2 ــ نصّت المادة التاسعة من الاتفاقية العربية الثقافية التي وقعتها حكومات الدول العربية، عند تأسيس جامعة الدول العربية عام 1945، على ما يلي:

"الوصول باللغة العربية إلى تأدية جميع أغراض التفكير والعلم الحديث وجعلها لغة الدراسة في جميع المواد في مراحل التعليم في البلاد العربية."

3- أوصت مؤتمرات اتحاد الجامعات العربية بتعريب التعليم العالي، وعلى الخصوص المؤتمر الرابع للاتحاد الذي عُقد تحت شعار " تعريب التعليم العالي" في جامعة دمشق في الفترة من 4/21-1982/5/2 وشاركت فيه 36 جامعة عربية وأُلقي فيه عشرون بحثاً حول تعريب التعليم العالي. فقد أوصى هذا المؤتمر المسؤولين العرب باستكمال تعريب التعليم العالي في جميع تخصصاته. (13)

4- اشتملت قرارات مؤتمرَي وزراء التعليم العالي العرب المنعقدَين في الجزائر (1981) وفي تونس

(1983)، على توصيات بضرورة تعريب التعليم العالي.

5- أوصى الاجتماع الأول للهيئة العامة للاتحاد العربيّ للتعليم التقنيّ المنعقد في بغداد، 16-1983/4/20، بتعريب التعليم التقنيّ. (14)

6- أوصت "ندوة تعريب التعليم العالي والجامعيّ في ربع القرن الأخير" التي عقدها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في الرباط، 26-1984/11/29، بتعريب التعليم العالي بأجمعه (15).

7- تضمنت قرارات مجلس وزراء الصحة العرب وخاصة في دورته المنعقدة في الخرطوم (1987) ودورته المنعقدة في طرابلس (1989)، الدعوة إلى تعريب كليات الطبّ.

8 ـ أوصت مؤتمرات التعريب التسعة التي عقدها مكتب تنسيق التعريب، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (وهي وكالة متخصصة من وكالات جامعة الدول العربية)، الحكومات العربية بتعريب لغة التعليم في مراحله كلها، وبخاصة مرحلة التعليم العالي في جميع تخصصاته ومواده. وقد عُقدت هذه المؤتمرات في الرباط 1961، والجزائر 1973، وطرابلس الغرب 1977، وطنجة 1981، وعَمّان 1985، والرباط 1988، والخرطوم 1994، ومراكش 1998 (حيث عُقد المؤتمران، الثامن والتاسع، في مؤتمر واحد). وشارك في كل مؤتمر من هذه المؤتمرات وفود تمثل حكومات الدول العربية، والمؤسسات المعنية فيها وخاصة وزارات التربية، ووزارات التعليم العالي، والمجامع اللغوية والعلمية، والجامعات، والاتحاد العلميّ العربيّ، والمنظمات والهيئات العلمية المعنية بالموضوعات المطروحة على المؤتمر، وغيرها. (16)

دواعي استعمال اللغة العربية في التعليم العالي:

ويتساءل المرء عن الدواعي التي تجعل اللسانيين والجامعيين والمختصين يصرّون على ضرورة استعمال اللغة العربية في تدريس العلوم والتقنيات وفي البحث العلميّ. وعندما ندقق النظر في دراساتهم، نقف على عدة اعتبارات داعية إلى ذلك، أهمها ما يلي:

1- الاعتبارات القومية:

اللغة عنوان الشخصية القومية المتفردة لكل أمة من الأمم، وهي مقوِّم رئيس من مقومات وجود الأمة ووحدتها وبقائها، لأن استخدام لغة مشتركة يؤدي إلى وحدة الشعور والفكر والثقافة بين المجموعات البشرية الناطقة بها. فباللغة يُدوَّن نتاج عقول أبنائها، وبواسطتها ينتقل التراث من جيل إلى جيل، وبألفاظها وتراكيبها ودلالاتها يتم التفكير والتعبير والتواصل.

واللغة العربية هي أساس وحدة الوطن العربيّ. ولا شك أن التفريط فيها أو التقصير في تنميتها ونشرها سيلحق ضرراً بالغاً بوحدة أمتنا الروحية وتطلعاتها المستقبلية. وإذا كانت النخب العلمية في البلاد العربية تتثقف وتتعلم بلغات مختلفة، فإن ذلك سيؤدي إلى تكوين جماعات ذات ثقافات متباينة، كالمثقفين بالإنجليزية في المشرق العربيّ والمثقفين بالفرنسية في المغرب العربيّ، وهم مختلفون في مصادر ثقافتهم وعلومهم، ومختلفون في طرائق تفكيرهم وسلوكهم. وهذه الظاهرة المستفحلة تزيد من الانقطاع

الثقافيّ بين أطراف الأمة العربية وتجعل من الصعب عليها الاستفادة من نتائج البحوث المنشورة، وتحول دون التعاون بين جامعاتنا في البحث العلميّ وتبادل الأساتذة والباحثين وانتقال الطلاب. ولهذا نجد أن جامعاتنا تتعاون مع جامعات أجنبية أكثر مما تتعاون مع جامعات عربية. وتشير الإحصائيات إلى أن عدد الطلبة العرب الذين كانوا يدرسون في الخارج في منتصف التسعينات وصل إلى 175 ألفاً، ولكن لم يكن سوى 21.4% منهم يدرسون في دولة عربية أخرى(17). ويشكل هذا الوضع أحد الأسباب المؤدية إلى هجرة الأدمغة.

ومن ناحية أخرى، إذا كانت العلوم الأساسية والعلوم التطبيقية تُدرّس باللغة الأجنبية التي لا يجيدها إلا نسبة محدودة من الطلاب الذين درسوا في المدارس الأجنبية الخاصة، فإن العلم يبقى مقصوراً على النخبة. وفي ذاك نوع من التمييز الاجتماعيّ لا يتماشى مع روح العدل والمساواة والديمقراطية التي نتوخاها، إنه تمييز لغويّ بين المواطنين ينتج عنه احتكار المعرفة العلمية من قبل قلّة ضئيلة من المواطنين.

2- الاعتبارات اللغوية:

اللغة كائن حيّ يخضع لقانون الاستعمال والإهمال في علوم الحياة الذي يفيد أن " كلّ عضو يُستعمل ينمو ويكبر، وكلّ عضو يُهمل يضمر ويصغر." فإذا استعملنا اللغة العربية في تدريس الآداب والإنسانيات والاجتماعيات فقط، ولم نستعملها في تدريس العلوم والتقنيات، فإن مفرداتها وألفاظها الحضارية ومصطلحاتها وتراكيبها ستنمو في الميدان الأول وتتجمد وتنحسر في الميدان الثاني، بحيث تغدو بعد فترة لغة شوهاء عرجاء كرَجُل له رِجل صحيحة وأخرى مشلولة.

وتقع على جيلنا هذا مسؤولية الحفاظ على عالمية اللغة العربية، لأننا ورثنا لغة راسخة منذ أكثر من ستة عشر قرناً، وتمتاز بثرائها اللفظيّ، والنحويّ، وبتوفرها على نظام اشتقاقيّ متطور، ولها رصيد معرفيّ هائل، وتُستخدم حالياً لغةً رسمية في المنظمات الدولية والإقليميـــة كالأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة مثل اليونسكو، والاتحاد الدوليّ للمواصلات السلكية واللاسلكية، والمنظمة العالمية للأرصاد الجوية؛ وتُعدّ إحدى اللغات العالمية الكبرى الثلاث، هي والإنجليزية والإسبانية.(18) فإذا أقصيناها عن ميادين العلم والتقانة، فإننا سنقضي عليها بالضعف والهوان، لأن عالم المستقبل يسوده العلم وتحكمه التقنيات، أو كما يقول محمد العربيّ ولد خليفة، سنحولها إلى لهجة فقيرة معدومة الموارد والتجديد ونقضي على قاموسها اللغويّ بالتوقف والجمود، فتمسي مقتصرة على التعبير عن الحاجات اليومية الموروثة عن الأجداد. (19)

3- الاعتبارات النفسية:

إن أوّل درس تلقّنه جامعاتنا لطلابها الذين يتخصصون في العلوم الأساسية والتطبيقية هو أن لغتهم ليست لغة علم وليست وسيلة مناسبة للبحث العلميّ. وينتج عن ذلك حتماً جفاء بينهم وبين تراثهم، وعقدة نفسية تلازمهم طوال حياتهم. وقد وصف بعضهم هذه العقدة النفسية بعقدة احتقار الذات ، ووصفها بعضهم الآخر بعقدة النقص، وسماها بعضهم بـــ " عقدة الخواجة" التي تؤدي بالفرد إلى الشعور بأن أصحاب اللغة الأجنبية هم أفضل منا ومن أهلنا في كلّ شيء.

4- الاعتبارات التربويّة والعلميّة:

يسوق أساتذة الطب والعلوم والتقنيات، الداعين إلى تعريب التعليم العالي، جملة من الاعتبارات التربوية والعلمية تنصب على ضعف التحصيل العلميّ لدى الطلاب الذين يتلقون دروسهم بلغة أجنبية. وأهم هذه الاعتبارات ما يلي:

1- إن التعليم عملية مستمرة متصلة، وثمة ترابط بين مستوياته التي يعتمد فيها اللاحق على السابق ويتأثر به ويتفاعل معه. والتعليم بذلك يشبه التاريخ وأحداثه، وما تقسيمنا له إلى فترات إلا قضية تنظيمية خارجة عنه. فالتعليم العالي يقوم على ما تعلّمه الطالب في التعليم الابتدائيّ والثانويّ، وتنضاف مفاهيمه إلى منظومة المفاهيم التي تكوّنت في ذهن الطالب في أثناء المراحل التعليمية السابقة. فإذا تلقّى الطالب تعليمه العالي مصبوبا في ألفاظ لغته وقوالبها، فإنه يسهل عليه استيعابه وإضافته إلى مخزونه المعرفيّ في منظومة مفهومية متكاملة. وفي هذا يقول الأستاذ الدكتور علي محمد كامل، الذي تلقى تعليمه العالي في بريطانيا، وعاد إلى مصر ليدرّس في كلية الهندسة بجامعة عين شمس: " أود أن أؤكد، عن تجربة، أني ما فهمت بعض ما درسته بالإنجليزية إلا عندما حاولت أن أعبّر عنه بالعربية في محاضراتي وأنسق بينه وبين سائر المادة من مفاهيم." (20)

2- يواجه الطالب العربيّ الذي يتلقى تعليمه باللغة الأجنبية ثلاث مشقات في آن واحد: أ) مشقة فهم اللغة الأجنبية ب) مشقة فهم المادة العلمية ج) مشقة تخزينها في ذهنه ضمن المنظومة المفهومية التي تكوّنت لديه من جرّاء تحصيله العلميّ باللغة العربيـــة خلال التعليم الابتدائيّ والثانويّ. ويواصل الدكتور علي محمد كامل حديثه عن صعوبات التعليم باللغة الأجنبية فيقول: " اكتشفت أني لو ألقيت نصّاً كاملاً بالسرعة المعتادة في الكلام لاتخذ بعضه طريقه إلى ما يدوّنه الطالب من مذكرات في الخطوات التالية:

أ- تفهم سياق النصّ الإنجليزيّ.

ب - ترجمته ذهنيّاً إلى العربية التي يفكّر بها الطالب.

ج - تفهم المحتوى العلميّ للنصّ العربيّ.

د - اختصار النصّ العربيّ ليضعه في قالب المذكّرة المكتوبة.

هـــ-ترجمة النصّ المختصر إلى الإنجليزية لتدوينه." (21)

وهكذا اضطر الأستاذ إلى أن يفعل كما يفعل بقية الأساتذة فيترجم بعض ما قاله باللغة الأجنبية إلى اللغة العربية لمساعدة طلابه على الفهم، فأمست محاضراته خليطاً هجيناً، يقول عنه الأستاذ الدكتور محمد توفيق الرخاوي، أستاذ التشريح في كلية الطب بجامعة القاهرة: " إننا لا ندرّس بالعربية، طبعاً، كما أننا، في الحقيقة، لا ندرّس بالإنجليزية كما هي الإنجليزية أبداً، ولكننا ندرّس خليطاً شاذاً من الإنجليزية المتلعثمة والعربية المكسّرة، واللاتينية التي لا نعلم منها الآن حتى ولو الشيء اليسير." (22)

ولهذا، فإن الدكتور الرخاوي يقترح تدريس الطب بالعربية، "لأن الأستاذ يفكّر ويتكلم بالعربية والطالب يسمع ويفهم بالعربية في يسر وبساطة وسهولة، وهو الشيء الطبيعيّ، ولأنه لا يصح إلا الصحيح، والحق أحقّ أن يُتّبع، و" ما انتفع قوم بعلم لم يزرعوه في لغتهم."(23)

ويروي الدكتور أحمد ذياب الذي درّس علم التشريح في جامعة باريس باللغة الفرنسية، "وهو أمر عاديّ"، ثم عاد إلى تونس ليدرّس نفس المادة في جامعة صفاقس باللغة الفرنسية. ولكنه بعد مدة تأكد له أن مستوى الطلاب باللغة الفرنسية لا يؤهلهم لفهم الدروس، فأخذ يدرّس التشريح باللغة العربية لمدة ثلاث سنوات (1985-1988) وكان "إقبال الطلاب على الدرس وموافقتهم على استعمال العربية بنسبة 97%، "وقد كان ذلك " أمراً بديهيا جداً" كما يقول، ثم يتساءل: " ولكن هل نحن أمة تقبل بديهيات الأمور؟" لأن تجربته الناجحة قد "أُجهضت" (24).

إن الطالب الذي يتلقى تعليمه باللغة الأجنبية لا يستطيع الإبداع، لأنه لايتمكن من استيعاب المادة العلمية وتمثّلها. فاستيعاب المعرفة ييسر تمثلها في البنية الفكرية للفرد مما يمكنه من الإبداع والابتكار بها.

5- الاعتبارات الاقتصادية والتنموية:

إن تعليم العلوم والتقنيات بلغة أجنبية يؤدي حتماً إلى انغلاق الجامعة على نفسها، وعدم انفتاحها على محيطها الاجتماعيّ والاقتصاديّ، وإلغاء دورها القياديّ، في عملية التنمية البشرية الشاملة، وتقليص القيمة العملية للبحوث العلمية التي تجريها. والسبب في ذلك واضح وبسيط وهو أن أغلبية أبناء الشعب لا تجيد اللغة الأجنبية، فإتقان لغة أجنبية يحتاج إلى استعداد خاص وسنوات طويلة من التعلم والتدريب، وهو ما لا يتوفر للأغلبية الساحقة من الشعب التي لا تواصل تعليمها حتى آخر الشوط.

ومن ناحية أخرى، فإن الجامعيّ، الذي تلقى تعليمه باللغة الأجنبية يكون تأثيره في محيطه محدوداً، وتفاعله مع العاملين معه قاصراً. فالطبيب لا يستطيع أن ينقل معلوماته الطبية إلى العاملين معه من ممرضين ومساعدين وعمال، ولا يستطيع أن يتواصل مع مرضاه ويشرح لهم أسباب مرضهم وأعراضه وعلاجه ووسائل الوقاية منه، ولا يستطيع أن يكتب لهم تقريراً يفهمونه عن حالتهم الصحية ومرضهم، ولا يتمكن من كسب ثقتهم لأنه لا يستطيع التواصل معهم بسهولة. والمهندس هو الآخر لا يستطيع رفع كفاءة العاملين معه من تقنيين وفنيين وعمال مهرة بسبب الحاجز اللغويّ. وكذلك المهندس الزراعيّ، الذي لا يتمكن من التواصل بفاعلية مع المرشدين الزراعيين والفلاحين وموظفي الخدمة الاجتماعية، وهكذا.

ولقد روى لي مهندس مغربيّ، أسّس شركة صغيرة خاصة، أنه كان يعطي إرشاداته وتعليماته إلى العاملين بالشركة في اجتماع يعقده في بداية كل أسبوع. ولكنه لاحظ أنهم لا يتّبعون إرشاداته ولا ينفّذون تعليماته جميعها بل يطبقون بعضها بشكل معكوس. فظن في بداية الأمر أنهم إنما يفعلون ذلك نتيجة عدم إخلاصهم أو يفعلون ذلك عمداً وكيداً لإلحاق الخسائر بالشركة. غير أنه اكتشف بعد ذلك أنهم لا يفهمون إرشاداته التي يعطيها باللغة الفرنسية بصورة كاملة أو يفهمونها بصورة معكوسة لعدم معرفتهم الوظيفية باللغة الفرنسية. وهنا واجهته صعوبة صبّ التعليمات التقنية بلغة عربية يفهمونها، لأنه تلقّى تعليمه في مدارس البعثة الفرنسية بالرباط ثم في المدرسة (الكلية) المحمدية للمهندسين التي تستعمل اللغة الفرنسية في التدريس والبحث.

إن أوربا الموحَّدة لا تملك لغة مشتركة واحدة، ولهذا فهي تنفق أموالاً كثيرة جدا على الترجمة بين لغاتها. أما العرب فهم يملكون لغة عالمية واحدة، ومع ذلك فهم لا يستثمرون هذه الميزة حتى في القطر الواحد، إذ نجد مثلا أن بعض الأقطار العربية ما تزال تستخدم لغتين في إدارتها ومرافقها الاقتصادية مما يؤدي إلى عرقلة العمل وإضاعة الكثير من الوقت والجهد والمال.

6– الاعتبارات الثقافية:

إن استعمال اللغة الأجنبية في التعليم العالي يؤدي إلى ضَعف الترجمة إلى اللغة العربية لانتفاء حاجة الأساتذة والطلاب والباحثين إلى الكتب المترجمة ماداموا يستخدمون المراجع الأجنبية في لغاتها الأصلية. وتدلنا إحصائية أجريت في المملكة المغربية على الكتب المترجمة أن 97.5% منها كانت في الآداب والنقد الأدبيّ والحضارة العربية الإسلامية، لأن الكتب العلمية المترجمة لا سوق لها ولا طلب عليها[25]. وهكذا يُحرَم الجمهور الذي لا يتقن اللغة الأجنبية من المعرفة العلمية التي كان يمكن أن تصل إليه عن طريق الترجمة.

تصوروا لو أن الخليفة المأمون قرر تدريس كتب الفلسفة اليونانية وعلوم الهند وآداب الفرس بلغاتها الأصلية بدلاً من ترجمتها إلى العربية، فهل كانت تلك المعارف ستنتشر وتتناسل، وهل سينبغ في البلاد الإسلامية فلاسفة كابن سينا وابن رشد، وعلماء كابن الهيثم والبيروني، وأطباء كالرازي والزهراوي؟

ومن ناحية أخرى، فإن الجامعيّ الذي يتلقى تعليمه العالي باللغة الأجنبية تنقطع عادةً صلته بتراث أمته وآدابها. وهكذا تغدو ثقافته أجنبية بالرغم عنه.

مناقشة مسوغات استعمال اللغة الأجنبية:

1) إن القول بعدم قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم والتقنيات الحديثة تنقضه الدراسات اللسانية الإحصائية التي تؤكد توفر العربية على نظام اشتقاقيّ غنيّ يتيح لها توليد ملايين الكلمات الجديدة. فقد أحصى سيبويه 300 وزن وأحصى ابن القطاع 1200 وزن. واتضح منذ عهد الخليل بن أحمد، الذي ابتكر نظام التقليبات لاستغراق جميع المفردات المستعملة والممكنة والمهملة، أن عدد الكلمات التي يمكن أن تتألف من حروف الهجاء العربية يتجاوز 12 مليون كلمة. وتقدّر إحصائية تقريبية، قام بها أحد الباحثين، عدد الكلمات العربية الممكنة الوجود بأكثر من 16.5 مليون كلمة[26]. وإذا ما علمنا أن معظم المصطلحات هي من نوع المركب اللفظيّ، البسيط أو المعقد الذي يتألف من كلمتين أو أكثر[27]، تأكد لنا أن اللغة العربية تستطيع أن توفر لنا، عند الحاجة، جميع ما نحتاجه من المصطلحات.

2) إن القول بعدم توفر المصطلحات المعرّبة الكافية للتعليم العالي يُردّ عليه بالقول إن تعريب التعليم يختلف عن تعريب المصطلحات. وحتى إذا استخدم الأستاذ المصطلح العلميّ بلفظه الأجنبيّ، فإن هذا لا يمنعه من استخدام العربية في تعريف المفهوم الذي يعبّر عنه ذلك المصطلح، وضرب الأمثلة بها على تطبيقاته، وإجراء المناقشة بها مع طلابه. ولا يشكل المصطلح إلا نسبة ضئيلة من المادة العلمية، فنسبة المصطلحات العلمية في أيّ كتاب طبيّ، مثلاً، لا تمثل أكثر من 2% فقط[28]. إن المصطلح لفظ يدل

على مفهوم محدد أما اللغة فهي بنية لسانية فكرية نفسية اجتماعية. وتعريب التعليم ضرورة وشرط لتعريب المصطلحات، لأن الاستعمال الفعليّ للمصطلح في السياقات اللغوية المختلفة هو الذي يرسخه ويوضح دلالته ويثبتها[29]. ولهذا فإن تعريب التعليم ينبغي أن يسبق تعريب المصطلحات. إضافة إلى أن المصطلحات الجديدة تتوالد وتتناسل يومياً. فإذا انتظرنا تعريبها أولاً قبل أن نعرّب التعليم، فإننا سننتظر إلى ما لا نهاية.

3) إن القول بعدم توفر المراجع العلمية المعرّبة التي يحتاجها التعليم العالي، يُردّ عليه بالقول إن هذه المراجع العلمية العربية لن تتوفر ما دام تعلّم العلوم يتم باللغة الأجنبية لانتفاء الحاجة إليها، كما أسلفنا. فلكي تنشط حركة ترجمة المراجع العلمية والتقنية إلى اللغة العربية يتوجب علينا أولاً تعريب التعليم العالي والتقنيّ. ولكي تتوفر المراجع العلمية العربية الأصيلة لا بد من تعريب البحث العلميّ.

4) إن القول بأن المصطلحات العلمية العربية ليست موحَّدة على نطاق الوطن العربيّ، وما وحِّد منها لا يسد الحاجة، سنناقشه بالتفصيل في الفقرة الخاصة بدور المصطلح العلميّ العربيّ الموحَّد في تعريب التعليم العالي.

5) إن القول بأن استعمال اللغة الأجنبية في التعليم الجامعيّ ييسر لطلابنا النابغين متابعة دراستهم العليا في البلاد المتقدمة، يُردّ عليه بالقول إن التعريب لا يلغي تعليم اللغات الأجنبية واستخدامها في الاطلاع على المراجع الأجنبية أو في مواصلة الدراسة في الخارج. إضافة إلى أن هؤلاء الطلاب النابغين يمكنهم تعلم اللغة الأجنبية في البلاد المناسبة لدراساتهم العليا حتى وإن لم يدرسوا لغتها من قبل، في حين أن وقف التعليم العالي على لغة أجنبية معينة، كالفرنسية مثلاً، سيؤدي إلى حصر متابعة الدراسات العليا في الدول الناطقة بالفرنسية وليس في أمريكا أو بريطانيا أو روسيا، مثلاً.

6) إن القول بأن معظم أساتذة التعليم العالي تلقوا تعليمهم بلغة أجنبية ويصعب عليهم أن يحاضروا باللغة العربية صحيح حقاً، وينبغي أن تنظم لهؤلاء الأساتذة دورات تدريبية على استعمال اللغة العربية في تدريس موادهم. وقد أثبتت التجارب العديدة في هذا المضمار، أن الصعوبة التي تواجه هؤلاء الأساتذة محدودة وتنحصر في الأسابيع القليلة الأولى من التعريب.

7) أما القول بعدم توفر معاجم علمية باللغة العربية تشتمل على تعريفات دقيقة لمفاهيم المصطلحات العلمية والتقنية، فإن البيليوغرافيات المتعددة للمعاجم العلمية والتقنية المتوفرة باللغة العربية لا تؤيد ذلك القول، كما سنوضح ذلك لاحقاً. أما فقر المعاجم العربية العامة للمصطلحات العلمية الحديثة وتفسيراتها، فيرد عليه الدكتور حسين نصار بالقول: " فإذا كان المراد التفسير الدقيق الحديث للكلمات، فإن ذلك لا يتأتى إلا باستخدام المفكرين لهذه الكلمات، ومنحهم المعاني المحددة لها. فإن لم يفعلوا، بقيت هذه الكلمات محتفظة بالرواسب القديمة، هلامية المعنى، ولم يستطع أصحاب المعاجم إلا أن يأتوا بها في تفسيراتها المأثورة في المعاجم القديمة. فمستوى اللغة وتطورها

مرتبطان أوثق الارتباط بمستوى الأمة الثقافيّ وتطورها." (30)

8) إن القول بعدم امتلاك الطالب الجامعيّ اللغة العربية الفصيحة يدعونا إلى القول بأن امتلاك اللغة يتأتى من كثرة استعمالها والمران عليها،وهذا يتطلب تعميم استعمال اللغة العربية الفصيحة في جميع مراحل التعليم ومختلف المواد. ولكن قولنا هذا لا يعفينا من ضرورة تيسير النحو العربيّ، وتحسين طرائق تدريس اللغة العربية، وزيادة كفاءة معلمي اللغة العربية ومدرسيها.

9) إن القول بفقر الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) بالمادة العربية صحيح تماماً ويتطلب منا تشجيع علمائنا على فتح مواقع عربية على هذه الشبكة تضم مهماتهم العلمية، كما يتوجب على الجامعات العربية التوسع في إنشاء مواقع معرّبة لها، وتوفير البرامج الدراسية المعرّبة على الشبكة التي يستطيع الاستفادة منها كلّ مَن له القدرة على التعلم ولم تتح له ظروفه الالتحاق بالجامعة. فالشبكة الدولية للمعلومات توفر الوسيلة اللازمة للتوسع في التعليم العالي والانتقال به من تعليم الخاصة إلى تعليم العامة.

دور المصطلح الموحَّد في تعريب التعليم العالي:

سعت الأمة العربية إلى تنمية لغتها وتوحيد ألفاظها الحضارية وتنميط مصطلحاتها العلمية والتقنية لتكون لغتها أداة مشتركة لتيسير الاتصال بين أبنائها في مختلف الأقطار، واستمرار التواصل بين الأجيال، فأناطت جامعة الدول العربية عام 1969 بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربيّ مهمة توحيد المصطلحات العلمية والتقنية التي تضعها المجامع اللغوية والعلمية العربية والمؤسسات المعنية في الأقطار العربية. وبعد إنشاء المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1970 بوصفها وكالة متخصصة من وكالات جامعة الدول العربية، أُلحق بها المكتب وصار اسمه مكتب تنسيق التعريب.

ازدواجية المصطلح العلميّ العربي:

إن ظاهرة ازدواجية المصطلح العلميّ والتقنيّ العربيّ التي نلمسها في تعدد المصطلحات العربية التي تعبّر عن المفهوم الواحد، بحيث يختلف المصطلح من قطر عربيّ إلى آخر، تعود إلى أسباب عديدة أهمها:

1) تعدد المؤسسات التي تضطلع بوضع المصطلحات العربية، كالمجامع اللغوية والعلمية، والجامعات، ولجان الترجمة والتعريب في وزارات التربية، ودور نشر المعاجم، وغيرها.

2) اختلاف في منهجيات وضع المصطلحات، ففي حين يفضل بعضهم، مثلاً، وسائل لغوية معينة كالاشتقاق والمجاز، يميل بعضهم الآخر إلى وسائل أخرى كالاقتراض والتعريب، فتكون النتيجة وجود لفظين للتعبير عن الشيء الواحد، مثل هاتف وتلفون، ومصرف وبنك.

3) اختلاف في لغة المصدر، ففي حين ينطلق وضع المصطلحات العربية في دول المشرق العربيّ من اللغة الإنجليزية، تُتخذ الفرنسية في دول المغرب

العربيّ منطلقاً لوضع المصطلحات العربية.

4) ثراء العربية في المترادفات وأشباه المترادفات، فاللفظ الأجنبيّ الواحد قد يُترجم إلى العربية بألفاظ متعددة ذات مدلولات متقاربة.

5) ازدواجية المصطلح في لغة المصدر، فتنتقل إلى العربية عندما يُترجم مصطلحان مترادفان يُستعملان للدلالة على مفهوم واحد بلفظين عربيين مختلفين.

6) إغفال التراث العربيّ عند وضع المصطلح، إذ توضع أحياناً مصطلحات جديدة لمفاهيم قديمة سبق أن وضعت لها مصطلحات عربية مبثوثة في كتب التراث [31].

منهجية وضع المصطلح العلميّ العربي:

من أجل القضاء على بعض أسباب ازدواجية المصطلح العربيّ، فإن مكتب تنسيق التعريب عقد في مقره بالرباط في شباط/فبراير 1981، ندوة " توحيد منهجيات وضع المصطلح العلميّ العربيّ" شارك فيها ممثلو المجامع اللغوية والعلمية والمراكز اللسانية ووزارات التربية والتعليم في الوطن العربيّ. وخلصت الندوة إلى إقرار جملة من المبادئ الأساسية الواجب اتباعها عند وضع المصطلحات العلمية الجديدة. وفيما يلي خلاصة أهم هذه المبادئ:

1. ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغويّ ومدلوله الاصطلاحيّ.
2. وضع مصطلح واحد للمفهوم العلميّ الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد.
3. تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك.
4. استقراء وإحياء التراث العربيّ، وخاصة ما استعمل منه وما استقر منه من مصطلحات علمية عربية.
5. مسايرة المنهج الدوليّ في اختيار المصطلحات العلمية.
6. استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية بالأفضلية طبقاً للترتيب التالي: التراث، فالتوليد (لما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت).
7. تفضيل الكلمات العربية الفصيحة المتواترة على الكلمات المعرّبة.
8. تجنب الكلمات العامية إلا عند الاقتضاء، بشرط أن تكون مشتركة بين لهجات عديدة.
9. تفضيل الصيغة الجزلة الواضحة، وتجنب النافر والمحظور من الألفاظ.
10. تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به...إلخ[32].

ثم عقد المكتب ندوة عام 1993 في رحاب مجمع اللغة العربية الأردنيّ بهدف " تطوير منهجية وضع المصطلح العربيّ" المذكورة وكذلك " بحث سبل نشر المصطلح الموحَّد وإشاعته " [33].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المجامع اللغوية والعلمية العربية كانت تتبع منذ إنشائها منهجيات علمية مستفادة من آخر ما توصلت إليه اللسانيات

والمعجمية وعلم المصطلح من مبادئ وطرائق. وقد عقد اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ندوة " إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلميّ العربيّ وسبل توحيده وإشاعته" في دمشق خلال شهر أكتوبر 1999، تضمنت مبادئ لا تختلف كثيراً عن المبادئ المتبعة عالمياً. كما أن المجامع العربية تُخضع عملية وضع المصطلحات إلى خطوات عديدة لتضمن سلامتها، وتتلخص هذه الخطوات فيما يلي:

1. تضع المصطلحات لجنة مؤلفة من لغويين وعلماء مختصين في المجال العليم الذي تنتمي إليه تلك المصطلحات.
2. يناقش مجلس المجمع تلك المصطلحات ويعدّلها.
3. يعرض المجمع تلك المصطلحات على مؤتمره العام، الذي يضم أعضاء من عدد من الأقطار العربية، لدراستها وإقرارها (34).

منهجية التوحيد :

يُقصد بالتوحيد اختيار مصطلح واحد من بين المصطلحات العربية المترادفة التي تعبّر عن مفهوم واحد، واعتماده في الاستعمال، لتحقيق التواصل الفعال بين أبناء اللغة العربية، وتحقيق استمراريتها لغة للعلم والتقنيات في الحاضر والمستقبل (35).

ولكي يحقق مكتب تنسيق التعريب مهمته في توحيد المصطلحات العلمية والتقنية العربية، اتّبع في النصف الأول من حياته منهجية تتلخص في ما يلي:

1) يحدد المكتب الموضوع أو المجال العلميّ (من موضوعات التعليم الثانويّ) ووضع قائمة بمصطلحاته الإنجليزية والفرنسية.

2) يقوم خبراء المكتب ومتخصصوه بجمع المقابلات العربية لتلك المصطلحات، من أعمال المجامع اللغوية والجامعات والمعاجم، وتنسيقها في مسرد يشتمل على المصطلح الإنجليزيّ والمصطلح الفرنسيّ والمقابلات العربية مع ذكر المصدر لكل مقابل.

3) إرسال المسرد المنسق إلى الجهات المعنية في الوطن العربيّ لإبداء الرأي فيه وتسجيل الملاحظات عليه.

4) عقد ندوة علمية مصغرة أو أكثر يشارك فيها اللغويون والمختصون في ذلك الموضوع لمناقشة المقابلات العربية، ومقارنتها مع مقابلاتها الأجنبية، واختيار أفضل المقابلات في ضوء مدلوله العلميّ وصياغته اللغوية.

5) تقديم المسرد المعدّل إلى لجنة متخصصة في مؤتمر التعريب لدراسته وإقراره وليصدر عن المكتب في معاجم موحدة (لا تشتمل على تعريفات) توزع على جميع الأقطار العربية (36).

وفي أواخر الثمانينات من القرن العشرين، أُجريت تعديلات على هذه المنهجية لتصبح على الوجه التالي:

1) يختار المكتب موضوع مشروع المعجم المراد إعداده دون التقيد بمستوى دراسيّ معين.

2) يتعاقد المكتب مع مؤسسة علمية متخصصة في مجال المشروع لتختار الخبراء وتتابع العمل وتشرف على الإنجاز، وتسلمه كاملاً إلى المكتب، وهو يشتمل على: المصطلح الإنجليزيّ، والمصطلح الفرنسيّ، والمقابلات العربية التي وضعتها المجامع والمؤسسات المتخصصة، والمقابل الموحَّد المقترح، وتعريف المقابل المذكور.

3) يبعث المكتب بمشروع المجمع إلى اثنين من المجامع اللغوية والعلمية العربية، لإبداء الرأي، وإعطاء الملاحظات، بالإضافة أو التعديل أو الحذف

4) تقوم المؤسسة العملية التي أعدّت المشروع بتعديله في ضوء الملاحظات الواردة عليه من المجمعين.

5) يعقد المكتب ندوة متخصصة لدراسة المشروع والمقترحات تمهيداً لعرضه على مؤتمر التعريب لإقراره [37].

كما شرع المكتب بمراجعة المعاجم الموحَّدة التي أصدرها في ضوء التطورات العلمية، لإضافة ما استجد من مصطلحات، وإضافة التعريفات للمقابلات العربية.

الجودة النوعية للمصطلحات الموحَّدة:

وبعد هذا كله، يمكننا القول إن باستطاعتنا الاطمئنان للقيمة العلمية والجودة النوعية للمصطلحات العربية الموحَّدة. لأن تلك المصطلحات في معظمها قد وضعتها في الأصل المجامع اللغوية والعلمية والجامعات والمؤسسات المعنية، ولأن المجامع العربية تتبع في توليد المصطلحات منهجيات علمية تسير على المبادئ التي أرستها المنظمة العالمية للتقييس (ISO) جنيف. كما أن المكتب، هو الآخر، اتبع منهجية للتوحيد لا تختلف عن المنهجيات المتبعة في توحيد المصطلح الفرنسيّ أو الألمانيّ أو الاسكندنافيّ. وأن الذين يشاركون في إعداد مشاريع المعاجم الموحَّدة ومراجعتها وإقرارها هم من بين أفضل المختصين في البلاد العربية.

بيد أننا نتفق مع الرأي القائل إن هذه المقابلات العربية تبقى مجرد مولدات في بطون المعاجم ولن تُكتب لها الحياة وتصبح مصطلحات فعلية إلا عندما يشيع استعمالها بين المختصين وفي غرف الدرس ومختبرات البحوث، ويتم تداولها في المراجع والكتب المدرسية والمطبوعات الأخرى ووسائل الإعلام.

الكفاية الكمية للمصطلحات الموحَّدة:

أما من الناحية الكمية، فينبغي الإشارة أولاً إلى وجود عدد كبير من المعاجم المتخصصة الموحَّدة التي أعدها منظمات متخصصة استناداً إلى المصطلحات التي وضعتها المجامع والمؤسسات المعنية العربية، وبتعاون مع مكتب تنسيق التعريب أحياناً. ومن أمثلة هذه المعاجم المتخصصة الموحَّدة ما يلي:

1) المعجم الطبيّ الموحَّد، الذي يشتمل على 150000 مصطلح، والذي أصدره اتحاد الأطباء العرب بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية، وتولى أمانة اللجنة المكلفة بإعداده الدكتور هيثم الخياط. وكانت طبعته الورقية الأولى قد صدرت في بغداد عام 1973، وأُعيد طبعها في القاهرة عام 1977، وصدرت طبعته الثانية في جامعة الموصل في العراق سنة 1978. أما الطبعة الثالثة المزيدة المنقحة فقد صدرت في سويسرا عام 1983. وله تسعة إصدارات محوسبة، آخرها الإصدارة الخامسة عام 1996. وهو متوفر في الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) على موقع المكتب الإقليميّ لشرق المتوسط لمنظمة الصحة العالمية بالقاهرة. وقد استفاد هذا المعجم من جهود رواد تعريب الطب العربيّ من أمثال المرحوم الدكتور تحسين الخياط والمرحوم الدكتور حسني سبح. كما أن عدداً من أساتذة الطب في الوطن العربيّ استخدموا مصطلحاته في مؤلفاتهم الطبية باللغة العربية، ومن هؤلاء الدكتور محمد توفيق الرخاوي (مصر) في مؤلفاته العديدة عن التشريح، والدكتور لهلايدي

(المغرب) في مؤلفه عن التشريح الطبغرافيّ، والدكتور أحمد ذياب (تونس) في دروسه الطبية.

2) المعجم الموحَّد لمصطلحات الحاسبات الإلكترونية، الذي أعدته المنظمة العربية للعلوم الإدارية بعمّان، ونشرته هناك عام 1981. وكان هذا المعجم قد عرض على المؤتمر الرابع للتعريب بطنجة عام 1981 فأقرّه.

3) المعجم العربيّ الزراعيّ في ألفاظ العلوم الزراعية ومصطلحاتها، بجزئيه : الأول: وهـــو خاص بالإنتاج النباتيّ (المحاصيل الحقلية)، والثاني، ويتناول مصطلحات الإنتاج الحيوانيّ. وقد أعدّته المنظمة العربية للزراعة في الخرطوم، وعرض على المؤتمر الخامس للتعريب بعّمان عام 1985.

4) المعجم الموحَّد الشامل للمصطلحات التقنية والفنية، الذي أعدّه اتحاد المهندسين العرب وطبع في الكويت.

5) معجم مصطلحات السكك الحديدية، الذي أعدّه الاتحاد العربيّ للسكك الحديدية بحلب في سورية. وقد عرض هذا المعجم على المؤتمر الخامس للتعريب بعمَّان عام 1985 فأقرّه.

6) معجم المصطلحات الرياضية العربية، الذي أعدّه الاتحاد العربيّ للألعاب الرياضية بالرياض في المملكة العربية السعودية، بتعاون وتنسيق مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية (إدارة الشباب والرياضة) ومكتب تنسيق التعريب، ونشره في تونس عام 1989.

هذه مجرد أمثلة على المعاجم المتخصصة الموحَّدة التي تصدرها منظمات أو اتحادات عربية متخصصة.

أما المعاجم الموحَّدة التي نشرها مكتب تنسيق التعريب والتي تضم حصيلة المصطلحات الموحَّدة التي أقرتها مؤتمرات التعريب، فإنها تناهز ثلاثين معجماً، وتضمّ حوالي مائة وخمسين ألف مصطلح.

يتضح من ذلك كله، أن المصطلح العلميّ الموحَّد متوفر وكاف لتعريب التعليم العالي في مرحلته الجامعية الأولى (أي الإجازة)، على الأقل. وإذا كانت المراحل العليا من التعليم الجامعيّ تعتمد أساساً على البحث العلميّ ونتائجه، فإن المصطلحات الجديدة التي تولد للتعبير عن المفاهيم المستحدثة، يولدها الباحثون أنفسهم إذا كان البحث يقوم به باحثون عرب ويجري باللغة العربية. أما إذا كانت المفاهيم العلمية وافدة، فإن الحاجة لمقابلها العربيّ في تعلم معرّب هي التي تفتق الذهن عن مصطلحات عربية لها.

توفير المصطلحات العلمية العربية الموحَّدة لمن يحتاجها:

من الانتقادات المحقة التي كانت توجه إلى مكتب تنسيق التعريب، أن المكتب لا يطبع من مجلته ومعاجمه الموحَّدة سوى بضعة آلاف نسخة من كل مطبوع؛ وهذا العدد المحدود لا يسد حاجات مؤسسات التعليم العالي وغيرها من المؤسسات المستفيدة في الوطن العربيّ.ولهذا فإن المصطلحات الموحَّدة تبقى محصورة في نطاق ضيق، فلا يكتب لها الشيوع والانتشار والاستعمال. وينتج عن ذلك عدم قيام المصطلح العلميّ الموحَّد بدوره المرتجى.

بيد أن تقنيات الاتصال الحديثة ساعدت على حل المشكلة. فقد أنشأ المكتـــب وحدة الشبكة

المعلوماتية، التي من بين مهامها تخزين المصطلحات الموحَّدة وتزويد المستعملين بها. وتحقيقاً لذلك أخذت الوحدة في توفير إصدارات محوسبة لمجلة اللسان العربيّ وللمعاجم الموحَّدة، كما أنشأت موقعاً لها على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) عنوانه: www.arabization.org.ma ، بحيث يستطيع الفرد الاطلاع على محتويات المعاجم الموحَّدة معجماً معجماً، أو الاستفسار عن المقابل لمصطلح من المصطلحات بإحدى اللغات الثلاث: العربية والإنجليزية والفرنسية. كما يشتمل الموقع على كشاف لمحتويات أعداد مجلة اللسان العربيّ الثلاثة والخمسين. ويستطيع المستعمل مراسلة المكتب بواسطة البريد الإلكترونيّ على عنوانه التالي: bca@arabization.org.ma

الدور الحضاريّ للمصطلح العلميّ العربيّ الموحَّد:

إن الهدف الأساسيّ من توفير المصطلحات العلمية العربية الموحَّدة هو إيجاد لغة علمية عربية مشتركة يفهمها جميع العلميين والتقنيين في مختلف الأقطار العربية، وتكون أداة فاعلة للتعليم والبحث والتأليف والترجمة في مجال العلوم والتقنيات الحديثة، وشبكات المعلومات العربية والدولية، والدوريات العلمية، ووسائل الإعلام والاتصال المسموعة والمرئية والمقروءة؛ بحيث تيسر التبادل العلميّ بين الجامعات العربية، وتبادل الأساتذة والباحثين، وانتقال الطلاب من جامعة عربية إلى اخرى.

لكي يقوم المصطلح الموحَّد بدوره العلميّ والحضاريّ، يتوجب على جامعاتنا العربية الالتزام باستعماله دون غيره في خمسة أنشطة أساسية: 1ـ التعليم 2ـ البحث العلميّ 3ـ الترجمة 4ـ الدوريات العلمية 5ـ مواقع الجامعات على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

الخلاصة:

إن جميع الدلائل العلمية المستقاة من تجارب الأمم الأخرى، ومن خبرة مفكرينا وأساتذتنا في التعليم العالي، تشير إلى أن الجامعات العربية لا تستطيع أن تقوم بدورها القياديّ في التنمية البشرية ما لم يجري إصلاحها في أهدافها وبنيتها ومناهجها وطريقة تسييرها، وما لم نعرِّب التعليم العلميّ والتقنيّ فيها. وينبغي التأكيد هنا على أن الدعوة للتعريب لا تعني بأيّ شكل من الأشكال إهمال اللغات الأجنبية أو التقليل من شأنها، فهي، كما يقول الدكتور كمال بشر، " الأداة الأساسية والفعّالة التي تمكننا من ملاحقة ما يجري في العالم من نشاط علميّ يزيد من معارفنا وينمي قدراتنا وطاقاتنا، ويدفعنا إلى التعمّق والتجويد. وانحسار هذه اللغات عن الساحة العلمية يستتبع، حتماً، حصرنا في دائرة ضيقة تحدّها أسوار العزلة التي تعني الجمود." [38] ولقد بيّنا في هذه الدراسة أن جميع مستلزمات التعريب متوفرة ولا نحتاج إلا إلى أمرين: أولهما، توفر الإرادة الصادقة لدى أصحاب القرار، وثانيهما منهجية واضحة في التعريب تتضمن برنامجا، زمنياً يُلتزم به ويُطبَّق[39]، لتعريب المراجع الأساسية والبرمجيات [40]، باستخدام المصطلحات العلمية العربية الموحَّدة، وتدريب الأساتذة المعنيين على استعمال اللغة العربية في التدريس والبحث العلميّ.

الهوامش والمراجع

(1) يضم التعليم العالي ثلاثة أنواع من المؤسسات: (أ) الجامعات (ب) الكليات الجامعية(ج) المعاهد الفنية/ التقنية.وعندما نستخدم كلمة " الجامعة أو الجامعات " في هذه الدراسة فإن المقصود بها مؤسسات التعليم العالي، وذلك من باب إطلاق الجزء على الكل.

(2) تشير إحصاءات اليونسكو لعام 1997 أن الدول العربية تتوفر على 175 جامعة، منها 128 حكومية و 47 غير حكومية. ولكن منذ ذلك الحين، أُنشئت عدة جامعات ومعاهد تقنية في عدد من الدول العربية، لا نتوفر على إحصاء دقيق لها. أما مجموع طلبة التعليم العالي في البلاد العربية فإن التقرير الذي أعده صبحي القاسم لمكتب اليونسكو في القاهرة بعنوان" أنظمة التعليم العالي في الدول العربية، تطور مؤشرات العلوم والتكنولوجيا، فيقدّره بـــ 1و3 مليون، في حين أن تقرير اليونسكو عن التربية في العالم لعام 1997 يقدره بـــ 9و3 مليون طالب.

(3) وردت الإحصاءات الاقتصادية في دراسة أعدتها مديرة المكتب الإقليمي للدول العربية في برنامج الأمم المتحدة الإنمائي:

Rima Khalaf-Hunaidi, "Transforming the Quality of Arab Higher Education", Paper presented to AMIDEAST International Conference on Higher Education in the Arab World, Marrakech, 13-15 March, 2002 .

أما إحصاءات محو الأمية، فانظر: المكتب الإقليمي للتربية في الدول العربية، "التعليم العالي في الدول العربية" دراسة مقدمة إلى مؤتمر مستقبل التعليم العالي في البلاد العربية، مراكش، 13-2002/3/15).

(4) اليونسكو، تقرير حول التربية في العالم عام 2000.

(5) العنقري، " مشكلات التعليم العالي " في مؤتمر " مستقبل التعليم العالي في العالم العربي" مراكش 13-2002/3/15.

(6) المصدر السابق.

(7) المكتب الإقليمي للتربية في الدول العربية، " التعليم العالي في الدول العربية" بيروت، مارس 2002.

(8) طه تايه النعيمي، " التعاون العربيّ المشترك في مجالات التعليم العالي والبحث العلميّ" المؤتمر السادس للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلميّ، الذي عقدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الجزائر 17-1996/5/19.

(9) النعيمي، المصدر السابق.

(10) أدلى بهذه الفكرة واستخدم هذا المصطلح بالذات السيد الهادي نويرة الوزير الأول التونسي في خطابه الافتتاحي لمؤتمر وزراء التربية العرب المنعقد في تونس عام 1979.

(11)عبد اللطيف عبيد، " حال الترجمة في تونس وعلاقتها بالوضعية اللغوية"، مجلة التعريب، العدد 21 ، حزيران/ يونيو(2001) ص86. ونحن نميل إلى أن الوزير المصلح كان يرمي من وراء ذلك إلى تمكين طلاب المدرسة الصادقية من اللغة العربية، واللغة الفرنسية المستعملة في تدوين العلوم والتقنيات من أجل أن يقوموا بترجمة تلك العلوم إلى اللغة العربية على غرار ما فعله محمد علي الكبير في مصر.

(12) تناول عدد كبير لا يُحصى من الدراسات قضية التعريب، ومنها على سبيل التمثيل لا الحصر:

- أحمد مطلوب، دعوة إلى تعريب العلوم في الجامعات (الكويت: دار البحوث العلمية، 1975)
- حسين نصار، " اللغة العربية في التعليم الجامعي" مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ، بغداد، 4-1978/3/7.
- خضر بن عليان القرشي، " تعريب العلوم ووضع المصطلحات " اللسان العربيّ، العدد 22 (1983/1982) ص 141-150
- شاكر الفحام، " قضية المصطلح العلميّ في تعريب التعليم العالي" مجمع اللغة العربية بدمشق 1992.
- شحادة الخوري، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، ج2 (دمشق: دار الطليعة الجديدة، 2001)
- صالح بلعيد، " اللغة العربية في التعليم العالي: واقع وبديل"، مجلة اللغة العربية التي يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، العدد 6 (2002) ص 327-343.

ــ عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، 1987).

ــ قاسم سارة، التعريب: جهود وآفاق (دمشق: دار الهجرة، 1989).

ــ محمد المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربيّ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1984).

ــ محمد حلمي هليل، " الجوانب العلمية والفنيّة لعملية التعريب: تجربة الأكاديمية العربية للنقل البحري، بالإسكندرية"، مجلة التعريب، السنة 4، العدد 7 (1994)، ص 13-39.

ــ محمود أحمد السيد، "تعريب التعليم العالي: قضية ومستلزمات" بحث أُعدّ لندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ، الخرطوم، 10-12نوفمبر، 1998.

(13) ورد في وثيقة المؤتمر الختامية مايلي:

1) استكمال تعريب التعليم الجامعيّ، قد تأخر في كثير من الأقطار العربية، ولا بد من قرار سياسيّ وخطوة حازمة تتجاوز عوامل التردد والقصور وتضع الجيل المعاصر، حكوماته وجامعاته، أمام مسؤولياته التاريخية تجاه المستقبل العربيّ المنشود. ولم يعد الوقت يتسع للمؤتمرات والندوات التي تضع الافتراضات والنظريات وتصطنع حولها النقاش المعاد العقيم، ولا بد من وضع الخطوات العلمية الكفيلة بتحقيق تعريب التعليم الجامعيّ واستكماله في وقت قريب منظور أسوة ببعض الأقطار العربية.

2) إن الأفراد المشتغلين بالعلم في الجامعات والمؤسسات التعليمية مدعوون إلى النهوض بمسؤوليتهم في نشر العلم باللغة العربية وجعل هذه اللغة وعاء لأقصى ما تصل إليه معارفهم العلمية، انطلاقاً من إيمان راسخ باللغة العربية وقدرتها على استيعاب جميع العلوم والمعارف في الحاضر والمستقبل.

3) إن الاتحاد ينبّه إلى تجارب الشعوب الأخرى التي كانت لغاتها قد أوشكت أن تندثر أو لم يكن للغاتها تراث حضاريّ يعتدّ به، ومع ذلك استطاعت بإصرار أفرادها وعزمهم وإيمانهم بأهدافهم أن يحققوا تعليماً جامعياً كاملاً بلغاتهم، ولذلك يهيب الاتحاد بالأمة العربية التي تملك لغة من أعظم اللغات تراثاً حضارياً علمياً ومرونة، أن تعمل على إنجاز تعريب التعليم الجامعيّ في بلادها.

4) التوصية إلى الجامعات العربية بالاستفادة مما أقرته مؤتمرات التعريب العربية من مصطلحات في مختلف العلوم..." (انظر وثيقة المؤتمر الختامية كاملة في مجلة اللسان العربيّ، العدد 21 (1982-1983) ص 205-206.

14) وجاء في توصيات الاجتماع: " يدعو الدول العربية التي ما زال التعليم فيها بلغات أجنبية إلى استعمال اللغة العربية في مراحل التعليم المختلفة. ويوصي بتوفير الكتاب التقنيّ العربيّ (المؤلّف والمترجم)، وتأهيل الأطر التدريسية والتدريبية التقنية، وتحضير المعنيين بالتأليف والترجمة والتدريس باللغة العربية. (انظر التوصيات كاملة في مجلة اللسان العربيّ، العدد 22 (82-1983) ص 330-331.

15) ومن بحوث هذه الندوة: عبد الكريم خليفة، " تعريب التعليم العالي والجامعيّ بالمملكة الأردنية الهاشمية"، ومحمود حافظ:" تعريب التعليم العالي والجامعيّ في مصر في ربع القرن الأخير."

16) ورد في وثيقة المؤتمر الثاني للتعريب الذي عقد في الجزائر من الثاني عشر حتى العشرين من شهر ديسمبر/كانون الثاني 1973، عدد من المبادئ والاتجاهات والتوصيات، وفي مقدمة المبادئ ما يلي:

"أولاً، اللغة مقوم رئيسيّ من مقومات وجود الأمة واستمرارها. وكل خطر يهدد اللغة هو خطر يهدد شخصية الأمة واستمراريتها وارتباط ما بين أجيالها.

ثانياً، إن تأصيل العلوم وانتشار المعارف في أمة من الأمم لا يكون إلا بلغتها. ولذلك فإن لحاق البلاد العربية بالحضارة العلمية المعاصرة ومواكبتها لها، ثم مشاركتها فيها، يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة تدريس، وإعداد المصطلحات العلمية الموحّدة لذلك.

ثالثاً، يؤكد المؤتمر قدرة اللغة العربية على الوفاء بالتقدم العلميّ والاجتماعي، بما لها من خصائص ذاتية، وما في تراثها من زاد غني، ساعدها على أن تكون لغة حضارة. ويرى أنها بهذه الخصائص والقدرات، وبما عند أبنائها من إيمان وعزم، قادرة على أن تستأنف مسيرتها الحضارية بنجاح أكيد...

ب ــ في التعريب:

أولا، يرى المؤتمر أن الأمة العربية يجب أن تكون قد تجاوزت في أقطارها كلها فترة التفكير في التعريب إلى الأخذ به، والتماس كل الوسائل له، وقطع الطريق على مراحل التشكيك فيه، واعتباره ــ في المرحلة الحاضرة ــ هدفاً أساسياً من أهدافها، وأسلوباً رئيسياً من أساليب تحقيق وجودها الفكري وشخصيتها الحضارية، ووحدتها النفسية واللغوية.

ثالثاً، إن تأصيل اللغة لا يقتصر على الأخذ بها في مرحلة دون مرحلة، وإنما يجب أن يمازج مراحل التعليم كلها منذ بدايتها، حتى يتيسر لأبناء هذه اللغة أن يعايشوها معايشة كاملة تساعد بعد ذلك على التصرف بها وتطويرها...

رابعاً، إن ما لحق اللغة العربية من قصور في العصور المتأخرة، لا يعود إلى العربية نفسها، وإنما يرتد إلى ما فرضه الغزو اللغويّ ــ على درجات متفاوتة ــ من مباعدة بينها وبين أصحابها، ومن تشكيك فيها، وعزل لها عن الحياة والمجتمع. والتجارب اللغوية المعاصرة في العالم تثبت، على نحو لا يقبل الشك، أن دؤوب أصحاب اللغة على الأخذ بها وإشاعة استعمالها في كل الميادين النظرية والعملية، والدراسات العلمية والإنسانية ــ كفيل بتمكينها من الوفاء بحاجات العصر المتطورة.

خامساً، إن اللغة العربية قادرة ــ بحكم طبيعتها وخصائصها وتراثها الذي أسهمت به في الحضارة الإنسانية ــ على أن تكون لغة العلم الحديث: تدريساً وتأليفاً وبحثاً.

سادساً، إن الدعوة إلى تدريس العلوم باللغة العربية والعناية بهذه اللغة لا تعني إهمال الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية ولا تقصد إليه.

وبعد أن تناول وثيقة المؤتمر الاتجاهات المصطلحية في الأقطار العربية، والاتجاهات التي تبناها المؤتمر في اختيار المصطلحات العلمية العربية الموحّدة وضرورة استعمالها في كل مجـــالات الأداء، ينتهي إلى إصدار توصياته التي تتعلق بمنهجية توليد المصطلحات العربية الموحّدة، والالتزام باستعمال هذه المصطلحات، وقضايا التأليف والبحث والترجمة، فيوصي المجامع والجامعات العربية واتحادها بما يلي:

" ...ثانياً، يوصي المؤتمر اتحاد الجامعات العربية باستكمال كل وسائل التعاون بين الكليات العلمية بالطرق المناسبة، مثل تناوب الاجتماعات الدورية وإصدار النشرات والمجلات العلمية باللغة العربية.

ثالثاً، يوصي المؤتمر اتحاد الجامعات العربية، والجامعات العربية التي لم تبدأ تدريس العلوم باللغة العربية، بالمبادرة إلى استعمال العربية في إلقاء الدروس والمحاضرات. كما يوصي أن يكون التدريس في الكليات النظرية باللغة العربية. ويؤكد أن تكون العربية السليمة ــ بعيداً عن اللهجات العامية ــ هي الأصل في ذلك."

ثم يختتم المؤتمر وثيقته بتوصية خاصة يذكر فيها حيثيات ضرورة تعريب التعليم، ثم يخاطب أصحاب القرار بما يلي:

" يرجو المؤتمر الحكومات العربية جميعاً أن تباشر بتطبيق برنامج مرحليّ مرسوم لتعميم التدريس باللغة العربية في مراحل التعليم كلها للمواد العلمية والأدبية بدءاً من العام الدراسي المقبل 74-1975. ويرى في ذلك خطوة أساسية لا بدّ منها لتحقيق الوجود العربيّ المشترك الذي يسعى لكسب المعركة في ساحاتها كلها في المرحلة الحاضرة والمراحل المقبلة. وهو يهيب بالملوك والرؤساء أن يسلكوا إلى ذلك أقرب الطرق..."(انظر وثيقة المؤتمر كاملة في مجلة اللسان العربيّ ، العدد 11، الجزء الأول (1974) ص 271-276)

ويلاحظ أن المؤتمر الثاني للتعريب قد أوصى بتعريب التعليم العالي بجميع تخصصاته على الرغم من أنه لم يوجد من المصطلحات العربية آنذاك إلا بضعة مئات، إيمانا منه أن مجرد استعمال العربية في التعليم العالي سيثريها بالمصطلحات ويساعد على توحيدها.

أما المؤتمر الثالث للتعريب الذي انعقد في طرابلس الغرب بين السابع والسادس عشر من شهر شباط/فبراير 1977 فقد تضمنت توصياته ما يأتي:

" أ ــ في اللغة العربية:

أولاً، يؤكد المؤتمر، من جديد، أهمية العامل اللغوي، في الحياة العربية، حاضرها ومستقبلها، ويلاحظ تزايد أهميته أمـــــام

الصعوبات التي تكتنف الوجود العربيّ، ويرى فيه المعتصم الذي لا مجال للتفريط فيه. ثانياً، يؤكد المؤتمر أهمية العامل اللغوي في حركة النمو العربيّ انطلاقاً من أن أي عملية في التنمية الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية، لا يمكن أن تتم، على أفضل صورها المنظمة، إلا بلغة القوم الذين يمارسونها.

ثانياً، وانطلاقاً من ذلك، يؤمن المؤتمر بأن التعريب يجب أن يأخذ طريقه إلى المؤسسات التعليمية في مراحل التعليم المختلفة، ومرحلة التعليم العالي بخاصة في فروعه كلها، بحيث تصبح اللغة العربية لغة التدريس والبحث معاً لأن قيادة الحياة في المستقبل هي لخريجي الجامعات، الذين سوف يشغلون مناصب التدريس، ويسيرون مرافق الحياة المختلفة..." (انظر توصيات المؤتمر كاملة في مجلة اللسان العربيّ، المجلد 15ــ الجزء 3(1977) ص 82-87)

(17) تقرير المكتب الإقليميّ لليونسكو عن التعليم العالي في الدول العربية، ص 43.

(18) محمد العربيّ ولد خليفة، "الثقافة واللغة والمجتمع"، مجلة اللغة العربية التي يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، العدد 6 (2002)، ص 17-40

(19)رأي أدلى به الأستاذ ماكي W .F. MacKey الأستاذ في جامعة ميغيل الكندية، وورد في محاضرة عنوانها "اللغات العالمية "ألقاها في جامعة تكساس عام 1972. وينقل الدكتور كمال عبد الله القيسي عن المستشرق البريطاني مرجليوث D.S.Margoliouth(1858 ــ1940) أستاذ اللغة العربية في جامعة أكسفورد قوله : "إن اللغة العربية لا تزال حية حياة حقيقية، وإنها إحدى لغات ثلاث استولت على سكان العالم استيلاء لم يحصل عليه غيرها... هي والإنكليزية والإسبانية." (كمال عبد الله القيسي، " عملية التعريب ومستلزماتها في المجالات العلمية والتعليمية" دراسة مقدمة إلى مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ، بغداد 4-1978/3/7 ، ص 3.

(19) محمد العربيّ ولد خليفة، "الثقافة واللغة والمجتمع"، مجلة اللغة العربية التي يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، العدد 6 (2002) ص 13-36.

(20) علي محمد كامل، " معالجة التعريب في العلوم الهندسية"، دراسة مقدمة إلى مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ، بغداد 4-1978/3/7، ص4

(21) المرجع السابق.

(22) محمد توفيق الرخاوي، "عناصر التعريب، وقضيتنا الحضارية"، مجلة اللسان العربيّ، العدد 52(2001)، ص 197.

(23) المرجع السابق.

(24) أحمد ذياب، " التعريب: هدف ووسيلة "، مجلة اللسان العربيّ، العدد 43(1997) ص 92-96.

(25) علي القاسمي، " الترجمة في تجربة المغرب العربي"، دراسة مقدمة إلى المؤتمر العربيّ الأول للترجمة في بيروت، 29-2002/1/30، ص 30.

(26) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، (القاهرة: مكتبة الشباب، 1992) ص 151.

(27) محمود فوزي حمد، " اتخاذ العربية لغة لتدريس العلوم في التعليم العالي، مجلة اللسان العربيّ، العدد 24 ، (84-1985)، ص 67-93.

(28) عبد الوهاب الإدريسي، "تعليم الطب بلغة الأم"، مجلة اللسان العربيّ، العدد 43 ، (1997)، ص 97-108.

(29) مازن المبارك، " حتمية التعريب في التعليم العالي"، دراسة قُدمت في مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ، بغداد، 4-1978/3/7.

(30) حسين نصار، " اللغة العربية والتعليم الجامعي"، دراسة قُدمت في مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ، بغداد، 4-1978/3/7.

(31) للتفاصيل انظر علي القاسمي، " مشكلات التعريب في الوطن العربي"مجلة الفيصل،العدد32،(1400/1980)،ص 1-20.

(32) للوقوف على وثيقة الندوة كاملة انظر مجلة اللسان العربيّ العدد 18، الجزء 1، (1980)، ص 175-178. وانظر دراسة أحمد شفيق الخطيب، التي تتناول هذه الوثيقة بعنوان "منهجية وضع المصطلحات العملية الجديدة، مع ترجمة السوابق واللواحق "في مجلة اللســــــان العـــربيّ، العدد 19،

الجزء 1 (1982)، ص 37-66. ولمناقشة مبادئ تعريب المصطلح وتوحيده، انظر: عباس الصوري، " بين التعريب والتوحيد " في: قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية، إعداد عز الدين البوشيخي ومحمد الوادي (مكناس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2000) الجزء 1، ص 99-107.

(33) انظر أعمال هذه الندوة في مجلة اللسان العربيّ، العدد 39، (1995).

(34) محمد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة (بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، 1988).

(35) محمود فهمي حجازي، " دور المصطلحات الموحَّدة في تعريب العلوم ونشر المعرفة" مجلة اللسان العربيّ، العدد 47 (1999)، ص 41-49.

(36) عبد العزيز بنعبد الله، " استراتيجية التعريب"، مجلة اللسان العربيّ، المجلد 12، الجزء 1، (1975)، ص5-7.

(37) دليل مكتب تنسيق التعريب، أعدّه محمد أفسحي (الرباط: مكتب تنسيق التعريب، 1998).

(38) كمال بشر، " التعريب بين التفكير والتعبير"، مجلة التعريب، السنة 5، العدد 9 (1995)، ص 31-47.

(39) محمود أحمد السيد، "إشكالية تعريب التعليم العالي" مجلة التعريب، السنة 6، العدد 12 (1996)، ص11-39

(40) عبد القادر الفاسي الفهري، "كلمة الافتتاح في ندوة " العربية في الاقتصاد والإدارة"، الرباط، 12-1998/2/13، ونشرت أعمالها في كتاب: العربية في الاقتصاد والإدارة، إعداد أحمد بريسول (الرباط: معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، 1998)، ص 13-17.

وبخصوص استخدام الحاسوب في البحث اللغويّ، انظر: نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب (الكويت: تعريب، 1988)، وكذلك: نبيل علي، العرب وعصر المعلومات (الكويت: عالم المعرفة رقم 184، 1994).

قضايا التعريب والمصطلح

وحدة المصطلح وسياسة التعريب

أ.د. عبد الكريم خليفة (*)

تجمع البحوث التربوية الحديثة، على أن الإنسان يستوعب بلغته الأم وهي اللغة القومية، أضعاف أضعاف ما يستوعبه باللغة الأجنبية، مهما كانت درجة إتقانه لهذه اللغة. وقد دلّت البحوث قديماً وحديثاً، أنه لا توجد لغة عاجزة عن استيعاب المعرفة الإنسانية، ولكن العجز يكمن في أهلها وفي تخلفهم الحضاريّ والفكريّ. وقد اجتازت العربية هذه التجربة في تاريخها القديم، ومنذ نزل بها القرآن الكريم وحياً إلهياً على الرسول الأمين (ρ)، بلسان عربيّ مبين. وازدهرت حضارة عربية إسلامية من الصين شرقاً إلى الأندلس وأطراف أوروبا غرباً. وكانت العربية لغة هذه الحضارة، ولغة العلم الأولى لعدة قرون.

وقد احتل وضع المصطلحات العربية وتلمُّس سبل توحيدها وإشاعتها، مكانة مهمة في بناء حضارة عربية إسلامية أصيلة. وإن علاقة المصطلح، وتعريفه وتحديد مدلوله، علاقة أساسية وحيوية، بجميع العلوم وحقول المعرفة ونمائها وتطورها. وربما كان من أدق التعابير عن هذه العلاقة الحيَّة، عبارة "مفاتيح العلوم " التي اختارها العالم الشهير "الخوارزميّ " (ت: 387 هـــ) عنواناً لمؤلفه[1].

يحدد الخوارزميّ هدفه من تصنيف هذا الكتاب، فيقول في مقدمته: ("يكون جامعاً لمفاتيح العلوم، وأوائل الصناعات، متضمناً ما بين كل طبقة من العلماء من المواضعات والاصطلاحات، التي خلت منها أو من جلّها الكتب الحاصرة لعلم اللغة"[2]

ويوضح أهمية هذه"المواضعـــات" و"الاصطلاحات "، ويبين أهمية تعريفها وتحديد مفاهيمها، في حقول العلوم، وفي جميع حقول المعارف المتخصصة، وكذلك يؤكد أهمية إشاعة استعمالها بين أهل الصنعة، على حدّ تعبيره، فيقول: "حتّى إنّ اللغويّ المبرِّز في الأدب، إذا تأمَّل كتاباً من الكتب التي صُنِّفَت في أبواب العلوم والحكمة، ولم يكن شدا صدراً من تلك الصناعة، لم يفهم شيئاً منه، وكان كالأميّ الأغتَم، عند نظره فيه ".[3]

فالخوارزميّ، يجعل تعريف الاصطلاحات والمواضعات أساساً لفهم هذه العلوم، واستيعابها. وأن معرفة اللغة وحدها، بل والتبريز بها وبآدابها، لا يغني شيئاً. وإن مثل هذا الدارس للعلوم، لهو بمنـــزلة الأمّي الذي لا يفصح لعجْمة في منطقه. وفي تبيانه لأهمية فهم الاصطلاحات والمواضعات، فقد جمع لهذا الدارس الجاهل

(*) رئيس مجمع اللغة العربية الأردنيّ

بها، صفة الأمية إلى صفة العجمة في منطقه، مهما بلغت درجة إتقانه للغة العربية وآدابها..

ويحدد الخوارزميّ، مكانة الاصطلاحات والمواضعات في اللغة. وأن اللغة بحد ذاتها وسيلة للفهم والإفهام ومعرفه الاصطلاحات والمواضعات، وليست غاية بحدّ ذاتها. فيقول: "وأحوج الناس إلى معرفة هذه الاصطلاحات :الأديب اللطيف الذي تحقق أنّ علم اللغة آلة لدرسه الفضيلة، لا يُنتَفع به بذاته، ما لم يجْعل سبباً إلى تحصيل هذه العلوم الجليلة. ولا تستغني عن علمها طبقات الكتاب، لصدق حاجتهم إلى مطالعة فنون العلوم والآداب". (4)

وبعد أن بين الخوارزميّ منهجه، يشير إلى كيفية استيعاب ما اخترع من الأسامي والألقاب، وما وفد من كلام العجم. فيقول: "ولم أشتغل بالتفْريع المفرط، والاشتقاق البارد، ولا بإيراد الحجج والشواهد، إذ كان أكثر هذه الأوضاع أسامي وألقاباً اخترعت، وألفاظاً من كلام العجم أعربت." (5) ويختم مقدمته بقوله: "وسمّيْت هذا الكتاب "مفاتيح العلوم "، إذ كان مَدْخلاً إليها، ومفتاحاً لأكثرها. فمن قرأه وحفظ ما فيه ونظر في كتب الحكمة هذّها هذّاً، وأحاط بهـــا علْماً، وإنْ لم يكن زاولها، ولا جالس أهلها". (6)

وربما كان من المفيد أن نورد بعض الأمثلة التي أوردها الخوارزميّ يوضح فيها منهجه في وضع الاصطلاحات. ومن هذه الأمثلة: "لفظة "الرَّجْعة"، يقول: "فإنها عند أصحاب اللغة: المرّة الواحدة من الرجوع، لا يكادون يعرفون غيرها وهي عند الفقهاء: الرجوع في الطلاق الذي ليس ببائن. وعند المتكلمين: ما يزعمه بعض الشيعة، من رجوع الإمام بعد موته أو غيبته. وعند الكُتّاب: حساب يرفعه المعطي في العسكر لطمع واحد.(7) وعند المنجمين: سير الكواكب من الخمسة المتحيِّرة، على خلاف نضد البروج.. (8).

ومما تجدر ملاحظته أن الخوارزميّ استعمل لفظة "اصطلاحات " ولفظة "مواضعات"، للدلالة على معان محددة. فلفظة "اصطلاحات" جمع "اصطلاح " وقد استعمله بمعنى "المصطلح" الذي أصبح شائع الاستعمال في عصرنا الحاضر. يُلاحظ أنه خص بالاستعمال لفظة "المواضعات " في حديثه عن "مواضعات" متكلمي الإسلام"(9) وفي حديثه عن أصناف النصارى ومواضعاتهم"(10) وكذلك عن "أصناف اليهود ومواضعاتهم"(11) و "مواضعات أسماء الذكور والدفاتر والأعمال المستعملة في الدواوين"(12) و "مواضعات كُتّاب ديوان الخراج"(13) و "مواضعات كُتّاب ديوان الخزن"(14) ومواضعات كتاب ديوان الجيش"(15)، و"مواضعات كُتّاب الرسائل"(16) وكذلك في حديثه عن "اشتقاقات هذه الألقاب والمواضعات" (17).

وتلاحظ أن الخوارزميّ قد استعمل لفظة "المواضعات " في بعض الموضوعات من المقالة الأولى. وفي بعضها الآخر تتعدد تسمياته، وخصوصاً فيما يتعلق بالأسماء مثل "أسامي أرباب الملل والنحل المختلفة" و "عبدة الأصنام من العرب وذكر أسمائهم" ويتجنب ذكر "المواضعات " بصورة كلية في "الفقه " و "النحو" و "الشعر والعروض " و"الأخبار". و إن كان في باب "الكتابة"، بصورة خاصة، يستعمل إلى جانب لفظة المواضعات، عبارة "ألفاظ تستعمل في كذا... " وفي باب "الأخبار" يقتصر على ذكر الأسماء

واستعمال عبارتي: "ألفاظ يكثر جريها" و "ألفاظ يكثر ذكرها"... أما في المقالة الثانية التي تشتمل على أبواب الفلسفة والمنطق و الطب و الارثماطيقي و "الهندسة" و"علم النجوم" و "الموسيقى" و "الحيل " و"الكيمياء"، فإنه يستعمل عبارة "ألفاظ يكثر ذكرها" مرة واحدة فقط وذلك في باب الفلسفة [18] وكذلك قوله في باب "الحيل" الألفاظ التي يستعملها أهل الحيل في جرِّ الأثقال بالقوة اليسيرة"[19]. وما عدا ذلك فإنه يقتصر على إيراد ألفاظ الدلالات العلمية. وهو في جميع الأحوال يحرص على ذكر حدودها وتعريفاتها، بإيجاز ووضوح ودقة، وقد يأتي بأمثلة للشرح والتوضيح.

وإذا تأملنا قول الخوارزميّ السابق في تحديد أهدافه "متضمناً ما بين كل طبقة من العلماء من المواضعات والاصطلاحات التي خلت منها أو من جُلِّها، الكتب الحاصرة لعلم اللغة"، يتضح لنا أنه يميز بدقة بين لفظة "المواضعات " ولفظة "الاصطلاحات " وأنه إذا استثنينا الألفاظ التي ذكرها تحت عنوان لفظة "المواضعات " وعبارات" ألفاظ يكثر ذكرها" و "ألفاظ يكثر جريها" و"ألفاظ تستعمل في... " " فإنه يتَعَيَّنُ اعتبار ما عداها "اصطلاحات ".

ومما له دلالة مهمة في هذا السياق أن لفظة "الاصطلاحات" لم ترد في معجم ابن منظور، "لسان العرب". وهذا يعني أنها لم ترد في المعاجم الستة السابقة التي أفرغها ابن منظور في معجمه. وأما لفظة المواضعة، فقد وردت بمعنى "متاركة البيع " و "المناظرة في الأمر" و"المراهنة".[20]

وقد تنبه الخوارزميّ منذ وقت مبكر، في القرن الرابع الهجريّ إلى خلو "الكتب الحاصرة لعلم اللغة أو جُلّها، من هذه الاصطلاحات والمواضعات العلمية ". وهذا يعني أن وضع "الاصطلاحات والمواضعات العلمية" قد بدأ منذ بداية حركة ترجمة العلوم ونقلها إلى العربية، والتأليف بها، في جميع حقول المعرفة، في القرن الرابع الهجريّ وما سبقه من قرون، لا سيما في القرنين الثاني والثالث الهجريين، بل ومنذ بدأ تعريب دواوين الدولة في النصف الثاني من القرن الأول الهجريّ. فقد أرست سياسة الدولة منذ وقت مبكر في العصر الأمويّ قواعد تعريب الدواوين، وجعلت همّها نقل العلوم والمعارف إلى العربية، ووضع اصطلاحاتها ومواضعاتها.

ومما يلقي ضوءاً على قضية وضع الاصطلاحات، وأنها رهينة الشيوع والتواتر، نورد هذا النص. يقول الخوارزميّ في الفصل الثاني من الباب الثاني في المنطق، وتحت عنوان: "قاطيغورياس" الكتاب الأول من كتب أرسطوطاليس في المنطق، يسمى "قاطيغورياس ". وأما "إيساغوجي " فإنه لفورفوريوس، صنَّفه مدخلاً إلى كتب المنطق. "يُثْبِتُ الخوارزميّ الاصطلاح باليونانية معرَّباً ويضع مقابله بالعربية، ويحدِّدُ معناه. وفي شرح مدلوله العلميّ بالعربية، قد يجد الحاجة في بعض العبارات، إلى ذكر ما تُسمَّى به باليونانية، فيقول مثلاً: ومعنى "قاطيغورياس " باليونانية، يقع على المقولات. والمقولات عشر، وتسمَّى: "القاطاغوريات". ويواصل الخوارزميّ تعداد اصطلاحات المقولات العشر بالعربية فيقول:

إحداها- الجوهر: وهو كل ما يقوم بذاته، كالسماء والكواكب والأرض وأجزائها، والماء والنار والهواء، وأصناف النبات والحيوان، وأعضاء كل واحد منها..[21] ويشير الخوارزميّ في هذا الموضع إلى مبدأ مهم في حياة الاصطلاح، ومنه يبين مبدأ الشيوع والتواتر، فيقول: "ويسمّي عبد الله بن المقفّع "الجوهر" عُنيّاً،[22] وكذلك سمّى عامة المقولات وسائر ما يذكر في فصول هذا الباب (أي باب المنطق)، بأسماء اطّرحها أهل الصناعة، فتركْتُ ذكرها، وبينت ما هو مشهور فيما بينهم"[23]. فقد أخذ الخوارزميّ بمبدأ الشيوع بين أهل الصناعة، وترك ما هو غامض غريب[24]. وعزف عمّا أسماه "الاشتقاق البارد".

كان الخوارزميّ، كما تجمع كثير من المصادر، كاتباً باحثاً، وعالماً مشاركاً في علوم كثيرة. لم يذكر الخوارزميّ مصادره في تصنيف كتابه "مفاتيح العلوم "، ولكنه أوضح أن عمله في هذا المؤلّف، كان يقوم على الجمع، وفق مبادئ معينة. يقول: "وقد جمعت في هذا الكتاب، أكثر ما يُحتاج إليه من هذا النوع؛ أي الاصطلاحات والمواضعات، متحرياً للإيجاز والاختصار، ومتوقياً للتطويل والإكثار. وألغيت ذكر المشهور، والمتعارف بين الجمهور، وما هو غامض غريب، لا يكاد يخلو إذا ذكر في الكتب، من شرح طويل، وتفسير كثير...[25]. وفي جميع الأحوال كان مبدأ الشيوع سمة بارزة في منهجه.

وقد يصبح موضوع مصادر الخوارزميّ في جَمْع المصطلحات والمواضعات واضحاً إذا استعرضنا أسماء العلماء الذين عاصرهم، وأولئك أيضاً الذين سبقوه في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وأحصينا مصنفاتهم العلمية المشهورة التي وجدت طريقها من المشرق إلى الأندلس والمغرب، وكذلك من الأندلس إلى المشرق. فطريق الحج كانت سابلة، وطريق العلماء ومؤلفاتهم كانت لاحبة، لا يعيقهـــا عائق. فحقوق المواطنة كان معترفاً بها في دار الإسلام، على الرغم من وجود الكيانات السياسية المتصارعة في كثير من الأحيان.

ونذكر من هؤلاء العلماء ومصنفاتهم في مختلف العلوم والفنون، ابن سينا (ت: 428 هـ) وكتابه: "القانون في الطب "، والرازي (ت: 340 هـ) وكتابه الحاوي في الطب، وكذلك كتابه محنة الطبيب وخواص الأشياء، ورسالة في الجدري. وابن الهيثم (ت:430 هـ) وكتابه: مقالة في الضوء، والبيروني (ت: 440 هـ) وكتابه: الصيدلة في الطب، وابن جلجل أبو داود سليمان (ت: 372 هـ) وكتابه: تفسير أسماء الأدوية المفردة، وجابر بن حيان (ت: 210هـ) ومصنفاته في علم الكيمياء، ومؤلفات الكندي (ت: 252 هـ) وثابت بن قُرّة (ت: 288 هـ) والبوزجاني (ت: 388 هـ) والمجريطي وأبناء موسى بن شاكر الذين نبغوا في الرياضيات، وخاصة في الهندسة والفلك والفلسفة، ولهم كتاب "الحيل ". وكانوا محل رعاية الخليفة المأمون في القرن الثالث الهجريّ. وابن يونس (ت:399 هـ) في مصنفاته في الهيئة والرياضيات، والبتاني (ت: 317 هـ) ومؤلفاته في الفلك، وحساب المثلثات، و الجبر، و الهندسة، و الجغرافيا. والزّهراوي (ت 403هـ) ثالث نوابغ الأطباء العرب (الرازي وابن سينا و الزهراوي).. والفارابي (ت: 339) في كتابه: إحياء العلوم، وغيرهم من مشاهير علماء القرون: الخامس والسادس والسابع الهجرية. مثل: البغدادي (ت: 619 هـ) الذي شغل بدراسة علم الطب، وابن البيطار (ت: 646 هـ)، إمام النباتيين وعلماء الأعشاب. وابن النفيس (ت: 696 هـ)، مكتشف "الدورة الدموية الصغرى" و القزويني (ت: 682 هـ)...

إن هذا العرض الشامل للعلماء وذكر بعض مصنفاتهم في تراثنا العلميّ، يظهر لنا أن قضية "الاصطلاحات "، أو كما شاع في استعمالنا في الوقت الحاضر، "قضية المصطلحات"، لم تكن بهذا التعقيد الذي تطرحه الندوات والمؤتمرات في العصر الحديث. لا أحد ينكر أن سيلاً عارماً من المصطلحات العلمية تتدفق في العصر الحاضر، ولا مجال للمقارنة النوعية والكمية بينها وبين المصطلحات العلمية التراثية. ولكن المبدأ العلميّ في النقل إلى العربية والتعريب يبقى ثابتاً. فطريقة حنين بن إسحاق في الترجمة والنقل، التي سادت بين علماء المسلمين في كتبهم ومصنفاتهم، ما زالت تشكل مبدءاً أساسياً في عملية الترجمة والتعريب في الوقت الحاضر.. وهذه الطريقة تقوم على فهم معنى الجملة في الكتاب الأصليّ، والتعبير عنها بلغة عربية دقيقة وواضحة. وعندما تجابهه كلمات أعجمية (يونانية) لم يستطع نقلها إلى العربية، يعتمد على شرح المعنى بأسلوب فصيح واضح وسهل، مع المحافظة على لفظ المصطلح العلميّ، ومحاولة صقل الكلمة اليونانية وإضفاء رونق العربية عليها.

ولم نَرَ أو نسمع أصواتاً ارتفعت بوجوب وضع "المصطلحات العلمية" و "الاتفاق على منهجية موحَّدة"، قبل أن تبدأ عملية التعريب أو حركة الترجمة والنقل والتأليف... لقد انطلقت عملية تعريب دواوين الدولة بإقرار سياسيّ، لا لبس فيه، من أعلى سلطة في الدولة. وانطلقت حركة ترجمة العلوم، ونقلها إلى العربية، برعاية سياسية تتمثل بالخلفاء ورؤساء السلطة التنفيذية والقضائية... ولم تكن منهجية وضع المصطلحات وتوحيد استعمالها وإشاعتها، لتشكل عائقاً أو عقبة كأداء. فقد انطلق مشاهير العلماء التراثيين، في عملية النقل والترجمة والتأليف، بلغة عربية فصيحة وواضحة. فكان العالم يخرج من بغداد، ويجلسُ للتدريس في حلقات العلم بدمشق والقاهرة و القيروان وقرطبة وإشبيلية وبجاية وتلمسان وفاس، ولا يجد صعوبة في الفهم والإفهام عند تلاميذه، في حلقات العلم، وبين نظرائه من العلماء. فهذا الفارابيّ محمد بن محمد بن طرخان، التركيّ المولد. ولد في فاراب (على نهر جيحون)، وانتقل إلى بغداد، فنشأ فيها، وألف بها أكثر كتبه. ورحل إلى مصر والشام، وتوفيّ بدمشق. كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره.. وعُرِف بالمعلم الثاني وكان يجلس للتدريس والمذاكرة والمناظرة أينما حلّ. وفي جميع الأحوال كانت مصنفات العلماء جميعهم، في مختلف فروع العلم، في الطب والصيدلة والكيمياء، وعلوم الحيوان والنبات و المعادن والأرض، وعلوم الصوت والحرارة والضوء و المغناطيس والرياضيات والميكانيك (علم الحيل) والفلك والموسيقى.. أقول كانت مصنفاتهم، تجد طريقها إلى معاهد العلم وحلقاته في المشرق والمغرب والأندلس... وبعد ذلك وجدت طريقها إلى معاهد العلم ومؤسساته في أوروبا في القرون الوسطى وفي عصر التنوير... وكانت الاجتهادات في وضع "الاصطلاحات " تتفاوت، ولكنها تخضع في جميع الأحوال لقانون البقاء للأصلح، وهو ما يترجم هنا بالشيوع والتواتر في الاستعمال. وقد أشار الخوارزميّ إلى ذلك بصريح العبارة كما مرَّ معنا سابقاً. وإنه لمن البديهي أن الشعور بالحاجة إلى "تصنيف كتاب... يكون جامعاً لمفاتيح العلوم، وأوائل الصناعات، متضمناً ما بين كل طبقة من العلماء من المواضعات والاصطلاحات... على حدّ تعبير الخوارزميّ، قد جاء في أواخر القرن الرابع الهجريّ، تالياً لظهور المصنفات العلمية المترجمة والمؤلفة... ونضوج العلم وازدهاره في مراكز الإشعاع العلميّ والثقافيّ من بغداد وأصفهان شرقاً إلى قرطبة واشبيلية غرباً... وكان لخصائص

العربية في نحوها وصرفها وقابليتها اللامحدودة للتوليد والاشتقاق، القدرة على استيعاب حصيلة ما وصل إليه الإنسان في حقول المعرفة، والانطلاق من دور الاستيعاب والنقل، إلى دور التأليف والإبداع والاكتشافات العلمية، التي كان لها دور كبير، في النهضة الأوروبية في القرنين السادس والسابع عشر للميلاد. وكان للعلماء العرب والمسلمين دور كبير في وضع الأسس العلمية والعملية للرواد الأوائل في اكتشاف قارات العالم الجديد.

وبعد سبات عميق امتد عدة قرون، عادت العربية من جديد تتلمّس طريقاً للحياة العلمية والثقافية والفكرية، تنفض ما ران عليها من غبار الجهل والفقر والتخلف. ولا شك أن حديثنا عن اللغة هو حديث عن الأمة، وأن حديثنا عن تخلف اللغة هو حديث عن تخلف الأمة...

بدأت حركة التعريب ونقل مختلف العلوم الحديثة إلى العربية، منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر في أرض الكنانة بمصر، استجابة لسياسة واضحة، اتخذتها الدولة الحديثة إذ ذاك، في جعل العربية لغة التعليم، في المؤسسات العلمية والتقنية المصرية. وقد جابهت المترجمين صعوبات في نقل العلم إلى العربية، وإيجاد المصطلحات والمقابلات العربية، كما جابهت الروّاد الأوائل في مسيرة تاريخ العلوم بالعربية. ولا بد لنا أن نلاحظ هنا، أن المنهج في النقل ووضع المصطلحات (الاصطلاحات) العلمية، قد اتخذ المسيرة الأولى إياها، من حيث المبدأ. فهي المسيرة التي تمليها قوانين الحياة الشاملة ونواميس الطبيعة. والحياة الشاملة هنا تعني حياة العمران البشريّ في جميع جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية والفكرية، وحياة اللغة التي بدونها لا يكون عمران بشريّ.

انطلقت هذه الحركة العلمية العربية الحديثة، في أوائل القرن التاسع عشر، على غرار ما بدأت به الأصول. فاتجهت إلى نقل العلوم من منابعها الأصلية. فاستعملت العربية في التعبير عن الفكر العلميّ الحديث، وحَرَصت على توضيح المعاني التي تحملها الألفاظ والمصطلحات، بلغة عربية سليمة، وبشتى الوسائل التي تتيحها خصائص العربية في الاشتقاق والتوليد والمجاز والنقل والنحت والتعريب، بمعناه اللغويّ، وذلك بأخذ اللفظة الأعجمية كما هي أو إضفاء رونق العربية عليها، وإدخالها في نظام الجملة العربية. فجميع هذه الروافد تمدُّ العربية بالثراء والحياة المتجددة. ولا يَقبل العقل والمنطق أن تحرم العربية من روافدها، و أن تقتصر لسببٍ أو لآخر على بعضٍ منها.. " هذا مع العلم أن نقل المصطلح الأعجميّ إلى العربية قد يكون بترجمة المعنى أيضاً.

ولم يزعم أحد في القديم أو في الحديث، أن هذه الألفاظ الاصطلاحية، لا يجوز غيرها، بل إن باب الاجتهاد مفتوح، ويترك للاستعمال والشيوع وللأجيال القادمة دورها في حياة المصطلح وتطويره أو تستبدل به آخر. ويقودنا التجوال مع مسيرة التعريب، وموقع المصطلح منها، إلى أوائل القرن العشرين. وما كان منها من تجربة التعريب الشامل، وجعل العربية لغة التدريس في معهد الطب العربيّ، ومعهد الحقوق، في القطر السوريّ الشقيق منذ العقد الثاني من القرن العشرين. وبعد الحرب العالمية الثانية، واستقلال القطر السوريّ الشقيق، تكاملت الكليات، وتعدّدت الجامعات، وأصبحت العربية في جميع الأحوال والظروف لغة التدريس الجامعيّ والبحث العلميّ. فوضعت الكتب، ترجمة وتأليفاً باللغة العربية. وعرض الدارسون والمؤلفون والمترجمون إلى قضية المصطلح " بالعربية. وكان استعمال المصطلح ونشره و إشاعته المِعْيار الأساسيّ لبقائه وذيوعه في

القطر العربيّ الواحد، واجتيازه أيضاً إلى أقطار العروبة. فتحيا مصطلحات وتموت أخرى. وفي هذه المسيرة الحيَّة، يرسي المصطلح العربيّ قواعد أساسية لوحدته، وبالتالي وحدة اللغة العلمية العربية بين المتخصصين. وهؤلاء هم الذين سمَّاهم الخوارزميّ في مفاتيح العلوم، أهل الصنعة.

ونحن في هذا العصر، عصر المعلوماتية، تجابه تدفق المصطلحات في جميع حقول المعرفة، بأعداد كبيرة في كل يوم، إلى جانب الأعداد الهائلة من الرموز العلمية والمختصرات. وإذا كانت ثورة المعلومات قد فرضت نفسها على اللغة العربية، فإن ثورة أخرى مماثلة في مجال التقنيات والأجهزة الحاسوبية والإنترنت، تفرض على مراكز البحث العلميّ، في الجامعات والمؤسسات العربية، وعلى العلماء العرب، من لغويين ومعلوماتيين وحاسوبيين، بناء أجهزة حاسوبية وتقنية، في حقول المعلوماتية وشبكاتها الحديثة المتطورة، تُوائم خصائص اللغة العربية في صرفها ونحوها وكتابتها. وربما لا نعدو الصواب، إذا قلنا إن ما جرى من جهودٍ مشكورة في هذا المجال، هي جهود متواضعة، أمام ضخامة الهدف. فالأجهزة الحاسوبية التي تغرق أسواقنا وشبكات الاتصالات (الإنترنت)، قد بنيت، من حيث الأساس، لخدمة اللغة الإنجليزية بخاصة، واللغات الأجنبية بعامة، لا سيما التي تستعمل الحروف اللاتينية. ونحن نعلم أنَّ للغات خصائص وأن للغة العربية خصائص ذاتية تغاير خصائص اللغة الإنجليزية في نحوها وصرفها وكتابتها، لا سيما فيما يتعلق ببناء الجملة والشكل والترقيم. وأن حقائق العلم، ومنطقه، تقتضي بأن تُبْنى أجهزة حاسوبية ومعلوماتية وغيرها من التقنيات اللغوية الحديثة، بناءً علمياً أصيلاً، منطلقاً من خصائص العربية وثوابتها في النظم والصرف. فالجهود المتفرقة التي بذلت حتى الآن في هذا المجال، لم تتجاوز محاولة تطويع هذه الأجهزة والتقنيات التي بنيت في الأصل، لخدمة لغات أجنبية معينة، لا سيما اللغة الإنجليزية، أقول: لتطويع هذه الأجهزة، لخدمة العربية في العصر الحاضر. ومهما بلغت هذه الجهود في تطويع الأجهزة، وتحوير البرمجيات لخدمة اللغة العربية، فإنها ستبقى قاصرة عن ملء فجوات كثيرة في تقنياتها لإيجاد الحلول السليمة لقضايا العربية، في نحوها وصرفها وكتابتها.

ونحن إذا وضعنا جانباً، قضية البناء الأصيل، لأجهزة الحاسوب والمعلوماتية والتقنيات الحديثة وفق خصائص اللغة العربية وسماتها الذاتية، فإن سياسة التعريب الشامل، وفرض العربية لغة للتدريس والبحث العلميّ، يشكل المحور الأساسيّ والقضية الجوهرية في عملية التعريب، في جميع الأقطار العربية في العصر الحاضر. وإن الدول العربية مدعوة في جميع أقطارها لاتخاذ قرارها السياسيّ في أعلى المؤسسات التشريعية والتنفيذية والقضائية، لجعل العربية لغة العلم والتدريس الجامعيّ، ولغة جميع دوائر السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وذلك في جميع مجالات الحياة العامة. وأن الواجب ليقضي تهيئة جميع الوسائل العلمية والإمكانات، لتحقيق هذا الهدف السامي. فلا إبداع يتوقع في الوطن العربيّ إلا من خلال العربية، ولا نهضة علمية واقتصادية وثقافية وفكرية أصيلة إلا من خلال العربية التي تعطي لأمتنا هويتها، في العمق التاريخيّ وعلى الامتداد الجغرافيّ. وهي في الوقت ذاته لغة العروبة والإسلام.

إن الواجب الوطنيّ والقوميّ، وما تمليه قوانين الحياة ونواميس الطبيعة، في تقدم الأمم وازدهار حضارتها، ليوجب علينا، تلمّس الواقع، ومعرفة الظروف والأحوال والقضايا التي تجابهها العربية، في مواجهة تحديات القرن الواحد

والعشرين، عصر ثورة المعلوماتية، والحوسبة، وعصر تَغَوّل العَولمة، بمفهومها الحديث في الهيمنة الاقتصادية والسياسية والثقافية، وإقصاء اللغات القومية لاسيما اللغة العربية، عن سيادتها في أوطانها، وعن مجالاتها الحيوية والطبيعية في التدريس الجامعيّ والبحث العلميّ وإحلال اللغة الإنجليزية محلها.

إن حجم المشكلات التي تواجهها العربية في هذا القرن كبيرة ومتعددة. ولكننا أيضا نقول: إن ما تمدنا به، التقنيات الحديثة وأجهزة الحاسوب المتطورة، وشبكات المعلومات والإنترنت، واستخدام "العقول الإلكترونية " في مجالات الترجمة، تجعل حلّ جميع هذه المشكلات ممكناً وميسوراً، ولا أقول سهلاً، إذا توافرت الإرادة الحازمة لخدمة العربية، لغة الهوية والانتماء العقائديّ لأمتنا، لغة العلم والتعليم والحياة الشاملة. وإن حديثنا في هذا البحث يتناول جانباً من جوانب قضايا التعريب. وهو موقع المصطلح وتوحيده في عملية التعريب الشامل... إن أمامي الآن مسارد بأسماء المعجمات والمصنفات والمؤلفات العلمية العربية، وما أسميه "أدبيات التعريب " منذ النصف الثاني من القرن العشرين وحتى الآن. فقد تناولت المصطلحات العلمية التي أنجزتها مؤتمرات التعريب على مدى أكثر من أربعين عاماً، وتدارست قواعد الترجمة، والنقل، ومنهجيات وضع المصطلحات، والرموز العلمية، والمختصرات، وآراء مؤيدي التعريب وآراء معارضيه أو مرجئية!. ونحن الآن أمام المؤتمر العاشر للتعريب الذي يعقد بدمشق العروبة، لدراسة معجمات للمصطلحات العلمية في عدد من الحقول العلمية. وقد بذل مكتب تنسيق التعريب جهوداً خيرة، لإعداد هذه المشروعات. فكلف علماء متخصصين لوضعها، وآخرين لدراستها، وتدقيقها، وإبداء الملاحظات. وهي الآن تعرض على هذا المؤتمر العام، ليضيف ما يضيفه، ويعدّل ما يراه مناسباً، خلال عددٍ من الجلسات، قد لا تتعدى عدد أصابع اليد الواحدة، وذلك لإضفاء الشرعية العلمية والمعنوية على هذا العمل العلميّ الكبير..

وإن المحور الأساس لمؤتمرات التعريب على مدى العقود الأربعة الماضية، كان وما زال وضع المقابلات العربية، للمصطلحات العلمية من مصادرها الأجنبية، باللغتين الإنجليزية والفرنسية. وكذلك تقديم بحوث حول منهجية وضع المصطلحات واستعمالها وإشاعتها وتطور اللغة العربية العلمية والحضارية...

وكان لمكتب تنسيق التعريب الذي انبثقت نواته الأولى عن مؤتمر التعريب الأول الذي عُقد بالرباط سنة 1961م، أقول: كان له دور تاريخيّ، في إثراء الخزانة العربية بالمعجمات المتخصصة، في مختلف حقول العلوم الحديثة وعلى الرغم من الإمكانات المادية المحدودة، فقد استطاع أن يحافظ على بقاء شعلة التعريب مضيئة في الأجواء السياسية والعلمية العربية المتردية في مختلف الأقطار. وكانت وسيلته الأولى وما زالت مؤتمرات التعريب، التي دأب على عقدها بصورة دورية، في الأقطار العربية التي تستضيفها...

وربما يحق لنا أن نطلق على هذه العقود الأربعة الأخيرة مرحلة مؤتمرات التعريب. ونحن نتساءل الآن: ماذا بعد هذه المرحلة؟ وكيف يمكن التعامل مع هذا الكم الهائل من المصطلحات العلمية التي تتدفق بأعداد كثيرة في كل يوم؟ وهل بقي الأسلوب الذي درجت عليه مؤتمرات التعريب، منذ حوالي أربعين عاماً، صالحاً في عصر ثورة المعلومات وأجهزة الحاسوب والإنترنت ووسائل الاتصالات

الحديثة؟ أليس من الواجب وضع آلية حديثة تقوم، بصورة منتظمة، بنقل المصطلحات العلمية وتعريفاتها من مصدرها العالميّ المتجدد، والمتسارع النمو بصورة مذهلة، إلى بنك للمصطلحات باللغة العربية؟ أليس من الواجب دعم مكتب تنسيق التعريب مادياً وعلمياً وتزويده بالخبراء والباحثين والفنيين والأجهزة الحاسوبية المتطورة؟ أليس من الضروريّ دراسة إمكانية تطوير بنك للمصطلحات باللغة العربية في مكتب تنسيق التعريب ليصبح بنك المصطلحات العربية الأساسيّ؟

وقد يقودنا الاجتهاد، في تطوير آلية العمل، أن نقترح تأليف هيئات علمية، يتراوح عدد كل هيئة بين ثمانية وعشرة من العلماء المتخصصين في كل حقلٍ من حقول العلم والمعرفة، لوضع المقابلات العربية للمصطلحات العلمية والفنية والتقنية، وتعريفاتها، على أن يتم الاتصال والحوار، فيما بينهم، من مواقعهم في جامعاتهم أو في مؤسساتهم العلمية في مختلف الأقطار، وذلك باستعمال وسائل الاتصالات الحديثة (e-mail) والإنترنت... وأن تعرض أعمالهم على لجنة لغوية وعلمية متخصصة، تجتمع مرة كل ستة أشهر مثلاً، في مقر اتحاد المجامع اللغوية العربية، بمشاركة مكتب تنسيق التعريب، أو في أيّ مكان آخر، لدراسة ملحوظاتهم ومناقشة ما اختلف عليه. وأن تدخل بعد ذلك في بنك المصطلحات العربيّ... وأن تجد طريقها إلى الاستعمال في الجامعات والمؤسسات العربية.

أليس من الضروريّ توزيع المسؤوليات في إنجاز المشروعات اللغوية الأساسية، وتنظيم المهام العلمية واللغوية على المجامع اللغوية العربية، والجامعات العربية في الوطن العربيّ؟ ألا يمكن أن يقوم كل مجمع من المجامع الأعضاء في اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بدراسة قضية معينة من قضايا العربية، في إطار خطة علمية يضعها الاتحاد؟ ألم يعد من الضرورات اللغوية والعلمية والقومية، وضع المعجم التاريخيّ للغة العربية؟ وأين موقع حوسبة النصوص العربية منذ أقدم النصوص التي وصلت إلينا حتى الوقت الحاضر؟ وأين موقع المعجمات العربية المتخصصة؟ أليست الحاجة ماسة إلى إنشاء مؤسسة عربية قادرة علمياً ومادياً على نقل الفكر العالميّ إلى العربية، وترجمة المصادر والمعاجم العلمية والبحوث التي تنشر في أهم الدوريات العلمية العالمية إلى اللغة العربية؟ أليس الأخذ بالمنهـــاج العلميّ وأساليب البحث الحديثة، وترجمة الفكر العلميّ الحديث ونقل المعرفة العلمية والتقنية، الأساس الوحيد لإنشاء حضارة علمية عربية، تواكب العصر، وتمد بجذورها إلى تراثنا العلميّ والثقافيّ والفكريّ؟

ألم نستوعب نتائج مسيرة التعريب على مدى الأربعين سنةً الماضية؟ أليس من الواضح أن تعريب المصطلحات، ووضع المقابلات العربية في معجمات تخلو من تحديد المفاهيم وشرح معانيها بمعزل عن النص، لا تحقق الهدف المنشود؟ أليست النصوص هي المجال الوحيد الذي ينمو فيه المصطلح ويتطور، و الاستعمال وحده هو الذي يمد المصطلح بالحياة؟.

وما دور الباحث العلميّ في تطور المصطلحات وتغير دلالاتها؟ أليس هو وحده القادر على فهم هذا التطور وصنعه؟ وما دور العلماء المتخصصين؟ وما موقع اللغويين في عملية وضع المصطلحات وتطويرها ؟ أليس توحيد المصطلحات العلمية هدفاً سامياً، لإيجاد لغة علمية عربية واحدة؟ أليس الاشتقاق في اللغة العربية ونظام الجذور

والأصول المشتركة للألفاظ العربية تخفف كثيراً من حجم مشكلة اختلاف المصطلحات. أليس من البدهيات أن يكون لقرارات المجامع اللغوية العلمية العربية، صفة الإلزام لاستعمال المصطلحات التي تقرّها، في الكتب المدرسية وفي الكتب الجامعية، والكتب الأخرى المؤلفة والمصنفة والمترجمة... وفي الدوريات العلمية؟ أليس من الضروريّ الحرص على أن يبقى باب الاجتهاد مفتوحاً أمام الباحثين العلميين؟

وهل يحق لنا أن نزعم أن قضية وضع المصطلحات وتوحيدها تستعصي على الحل خلال حوالي نصف قرن ؟ ألم تعقد ندوات، لتوحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية واختيارها، وإقرار مبادئها الأساسية؟ فقد عقدت مثلاً ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية، بدعوة من مكتب تنسيق التعريب بالرباط من 18-1981/2/20م... وبعد حوالي اثني عشرة سنة، عقدت ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العربيّ، وبحث سبل نشر المصطلح الموحَّد وإشاعته، في رحاب مجمع اللغة العربية الأردنيّ بعمّان من19-1414/3/22هـ الموافق 6-1993/9/9م، وذلك بدعوة من مكتب تنسيق التعريب، استكمالاً للندوة الأولى. ولا يتسع المقام لذكر جميع الندوات والاجتماعات الأخرى وقراراتها.

فهذه مجموعة من التساؤلات والملاحظات، استوحيتها من المسيرة المتعثرة لحركة التعريب في الوطن العربيّ، وعلى امتداد العقود الأربعة الماضية. وربما تساعد الإجابة عنها على وضع سياسة لغوية عربية شاملة وملزمة، تجعل اللغة العربية الفصيحة لغة التعليم في جميع مراحله الأساسية والثانوية والجامعية وتكون لغة البحث العلميّ والتقنيات الحديثة، ولغة الإعلام المقروء والمسموع والمنطوق، وتجد طريقها إلى ألفاظ الحياة العامة، وأصحاب المهن، وإلى جميع شرائح المجتمع في بيئاته المختلفة.

إن السياسة اللغوية العربية، مدعوة للعناية باللغة العربية، ووضع برامج محدّدة للدراسات اللغوية، وتطوير الدراسات الصوتية العربية، في ضوء ما وصل إليه البحث العلميّ اللغويّ في العالم المتقدم. وإن الواجب القوميّ والعلميّ ليدعو إلى تقديم اللغة العربية للمتعلمين والدارسين من أبنائها، ومن غير الناطقين بها، بثوبها الجميل ووجهها المشرق، وبالأساليب التربوية والوسائل التقنية الحديثة. وإن واجب هذه السياسة اللغوية العربية، زرع محبة العربية واحترامها في نفوس أبنائها، وفي جميع الأوساط الرسمية الداخلية والدولية.

الهوامش

[1] انظر : الخوارزمي، محمد بن يوسف (المتوفى/387 هـ)، مفاتيح العلوم، القاهرة
[2] المصدر نفسه، ص 7.
[3] مفاتيح العلوم، ص 7.
[4] مفاتيح العلوم، ص8
[5] مفاتيح العلوم، ص 9.
[6] المصدر نفسه.
[7] الطَّمع: أرزاق الجند، وأطماع الجند: أرزاقهم. وقيل: أوقات قبضها، واحدها طَمَع، ابن منظور، لسان العرب، مادة طمع.
[8] مفاتيح العلوم، ص 8.
[9] مفاتيح العلوم، ص 28.
[10] مفاتيح العلوم، ص 35.
[11] مفاتيح العلوم، ص 36.
[12] مفاتيح العلوم، ص 52.
[13] مفاتيح العلوم، ص 55.
[14] مفاتيح العلوم، ص 58.
[15] مفاتيح العلوم، ص 59.
[16] مفاتيح العلوم، ص 64.
[17] مفاتيح العلوم، ص 80.
[18] مفاتيح العلوم، ص 111.
[19] مفاتيح العلوم، ص 187.
[20] انظر ابن منظور: وضع.
[21] مفاتيح العلوم، ص 118.
[22] عَنِيَ يَعْنَى عَنْياً، بكسر النون من عَنِي. ومن أمثالهم: عَنِيَّه تشفي الجرب. يضرب مثلاً للرجل إذا كان جيِّد الرأي... انظر: ابن منظور، لسان العرب، عَنا.
[23] مفاتيح العلوم، ص 117 .
[24] مفاتيح العلوم، ص 8.
[25] المصدر نفسه.

تعريب التعليم الطبيّ والصيدليّ في الوطن العربيّ

أ. شحادة الخوري(*)

المقدمة

إن ما يدفعنا إلى التحدث عن "تعريب التعليم الطبيّ والصيدليّ في الوطن العربيّ" هو أن هذا الأمر، وهو من أهم قضايا العلم واللغة في بلادنا العربية، لم يجد حلاً مرضياً حتى الآن، على الرغم مما انعقد من أجله من مؤتمرات وندوات، وما اتخذ بشأنه من قرارات وتوصيات، وما كتب حوله من بحوث ودراسات، خلال السنوات الخمسين الأخيرة.

والقضية هي أن هذا التعليم يؤدى في كليات الطب ومعاهده ومدارس التمريض في البلدان العربية بلغة أجنبية: الإنجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية، ولا يؤدى باللغة العربية، لغة العرب القومية، إلا في بعض الأقطار العربية، وفي حدود ضيقة. أما في القطر العربيّ السوريّ فيؤدى باللغة العربية منذ ثلاث وثمانين سنة، بدون انقطاع، وبيسر ونجاعة كبيرين.

وهذه الحال لا تقتصر على التعليم الطبيّ والصيدليّ فحسب، بل تشمل تعليم العلوم الأساسية والعلوم التطبيقية وبعض العلوم الأخرى في مرحلة التعليم العالي، ومراحل التعليم العام. ولذا فإن السعي لتعريب التعليم الطبيّ يتصل بالسعي لتعريب التعليم عامة في جميع مراحل الدراسة، بل هو جزء لا يتجزأ من تعريب المجتمع في جميع وجوه نشاطاته.

بَيْدَ أن لتعريب التعليم الطبيّ خصوصيةً واسعةً لأن العلوم الطبية تمثل شريحة واسعة من العلوم، ولذا فإن تعريب هذا التعليم يعد مدخلاً لتعريب العلوم الأخرى. أضف إلى ذلك أن للطب والأطباء، على اختلاف تخصصاتهم، وللصيادلة والعاملين في التمريض والإدارات الصحية صلةً مباشرةً بالناس من مختلف الفئات الاجتماعية. فإذا كانت العربية لغة هؤلاء، بعضهم مع بعض، ومع المرضى والمراجعين، وصلت اللغة العربية، بمفاهيم علمية ومفردات فنية، أذهان الناس فيعون معانيها ويألفون مصطلحاتها، وفي ذلك تعزيز لمكانة العربية لدى أهلها ولدى الآخرين وتنمية لها لتمكينها من استيعاب العلم والتعبير عنه في هذا العصر الحافل بالإنجازات المتلاحقة، عصر التفجير المعرفيّ، والثورة العلمية والتقانية والتقنية.

1- منشأ القضية:

ولكن ألا يهمنا أن نعرف كيف نشأت هذه المشكلة الشائكة؟

لقد بدأ التعليم الطبيّ، العلميّ عامة، بداية طبيعية سليمة، إذ كان يعلم باللغة العربية منذ أحدث محمد علي المدرسة الطبية في أبي زعبل عام 1826، ثم نقلت إلى قصر العيني بالقاهرة عام 1937. وقد حدث هذا في سياق متكامل علمياً ولغوياً، إذ افتتحت مصر إذّاك المدارس

---

* جامعة دمشق - سورية

العسكرية ومدارس الهندسة والزراعة والبيطرة ودار الألسن الشهيرة. ولبثت الأمور على حالها وظلت العربية اللغة الرسمية في الدولة ولغة التدريس في المدارس الرسمية حتى كان الاحتلال البريطانيّ في مصر عام 1882. وبعد سنوات خمس، عام 1887، جرى تحويل التدريس بقصر العيني إلى اللغة الانجليزية.

لقد لبثت العربية لغة الطب والطب البيطريّ والكيمياء والفيزياء وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم الجيولوجيا، لمدة واحد وسبعين عاماً: إليها ينقل ويترجم وبها يؤلف ويدرّس.

وفي بيروت، تأسست الكلية الإنجيلية السورية التي سميت فيما بعد الجامعة الأمريكية عام 1866. وكانت العربية لغة التدريس في جميع أقسامها بما في ذلك الطب والصيدلة، وشارك في التعليم أطباء أمريكيون أتقنوا العربية. وبعد ثمانية عشر عاماً؛ أي عام 1884، استبعدت العربية من التدريس لتحل محلها الإنجليزية.

إن القوة الغاشمة التي عصفت باستقلال العرب ووحدتهم وحريتهم قد امتدت إلى اللغة العربية، لإضعافها والحط من شأنها، لأنها تعرف أن هذه اللغة هي رابطة الأمة العربية وعُرْوَتها الوثقى ومقوم كيانها ونُسغ بقائها.

وهكذا أقصيت اللغة العربية عن التعليم الطبيّ اثنين وعشرين عاماً (1887-1919) إذ قام في العهد الفيصليّ، المعهد الطبيّ في دمشق واعتمدت اللغة العربية لغة للتدريس فيه، وكان قبل ذلك في دمشق، في العهد العثمانيّ، مدرسة طبية تدرس باللغة التركية وعاشت عشر سنوات (1903-1913) إذ أغلقت مع التأهب للحرب العالمية الأولى.

شمّر الفريق المؤسس للمعهد الطبيّ عن ساعد الجد، وعقد العزم على النجاح، وبذل المؤسسون الجهود المخلصة لتأمين مستلزمات التعليم بالعربية: ترجموا وألفوا ووضعوا المصطلحات وصنفوا المعجمات. وبعدئذ تابع اللاحقون ما قام به السابقون في هذا المضمار، حتى اليوم.

وقد حذت حذو كلية الطب بدمشق كليات الطب وطب الأسنان والصيدلة والمعاهد المتوسطة الصحية ومدارس التمريض المحدثة في نطاق جامعات دمشق وحلب وتشرين (اللاذقية) والبعث (حمص).

أضف إلى ذلك أن التعليم العالي باللغة العربية قد شمل، عدا الطب وما يلحق به، جميع العلوم الأساسية والتطبيقية والاجتماعية والإنسانية. وخلال ثلاثة وثمانين عاماً تخرج من كليات الطب بسورية، ألوف من الأطباء الذين عملوا ويعملون بنجاح داخل قطرهم وخارجه في أقطار الوطن العربيّ، ومنهم عدد كبير أتم دراساته العليا في البلدان الأوروبية والأمريكية بلغات تلك البلدان دون عناء. وجدير بالذكر أنه لم يُقصد بالتعريب الانطواء والانكماش أو هجران اللغات الأجنبية، بل على العكس توافر على الدوام حرص على إكساب الطالب لغة أجنبية تعين على متابعة التخصص في الخارج والاطلاع على المراجع الطبية المكتوبة بلغة أجنبية.

وقد تبين أن خريجي هذه الكلية ومثيلاتها في سورية يتفوقون في امتحانات القبول التي يجريها المجلس التعليميّ للأطباء الأجانب في الولايات المتحدة، بعد اجتيازهم دورة قصيرة في اللغة الإنجليزية. ففي عام 1980 نجح (71) طبيباً سورياً في دورتي الامتحانات، وذلك بمعدل 71.4 في الدورة

الأولى ومعدل 72.6 في الدورة الثانية، في حين أن المعدل العام للناجحين من مختلف البلدان بلغ 71.1 و 72.0.

إن ابتداء التعليم الطبيّ في مصر ولبنان باللغة العربية في القرن التاسع عشر واستمراره بنجاح فيهما عشرات السنين، ثم تحوله إلى اللغة الأجنبية لم يكن من قبيل المصادفة، إذ لكل فعل دافع ولكل ظاهرة سبب. وبعد التحول استحكمت العادة وجاء التوسع ومباشرة التعليم الطبيّ في أقطار أخرى فجرى التعليم باللغة التي يتم بها الأطباء المدرسون اختصاصهم حتى آلت الأمور إلى الحال الراهنة.

2- الحال الراهنة

نعتمد في وصف الحال الراهنة للتعليم الطبيّ في الوطن العربيّ على التقرير الختاميّ لمؤتمر تعريب التعليم الطبيّ الذي عقد في القاهرة عام 1990، إذ ينص على التالي:

يدرس الطب باللغة العربية في:

1- جميع الجامعات العربية السورية.

2- كلية طب سبها وفي الجامعة الطبّية العربية (بنغازي) في الجماهيرية العربية الليبية.

3- في بعض الجامعات السودانية.

4- وباللغة الفرنسية في الكليات المغربية والجزائرية والتونسية وكلية الطب الفرنسية ببيروت، وباللغة الإيطالية في الصومال وباللغة الإنجليزية المختلطة بالعربية في بقية دول الوطن العربيّ.

وبمتابعة الأوضاع في كليات الطب بعد المؤتمر المذكور حتى عام 1996 الذي انعقد فيه مؤتمر تعريب التعليم الطبيّ في الكويت، اتضح الآتي:

1- أن كلية طب صنعاء قررت تدريس الطب الشرعيّ والسموم وطب المجتمع باللغة العربية، كما أن بعض أساتذتها كتبوا بحوثاً ومؤلفات طبية باللغة العربية.

2- أن كليتي الطب بجامعتي الشرق ووادي النيل بالسودان بالاتفاق مع جامعة أم درمان الإسلامية، بدأتا بتدريس مواد التشريح ووظائف الأعضاء والكيمياء الحيوية باللغة العربية.

3- أن جامعة المنوفية في جمهورية مصر العربية قررت إلزام الباحثين ومقومي الرسالات العلمية بتقديم موجز باللغة العربية لأبحاثهم ورسائلهم لا يقل عن 25 % من حجم الرسالة أو البحث الأصليّ.

4- أن كلية طب الأزهر قررت وضع خطة لتعريب التعليم الطبيّ فيها على مدى عشر سنوات، كما قررت تدريس مادتي الطب الشرعيّ والصحة النفسية والامتحان فيهما بالعربية، واستعمال اللغة العربية في الدراسات العليا.

5- أن كلية طب قناة السويس تطبق نظام التعليم المرتكز على المجتمع، ولذا فإن لغة التعليم والتدريب الميدانيّ في معظمها هي العربية، وتعد أسئلة الامتحان بالعربية والإنجليزية ويختار الطالب اللغة التي يجيب بها.

وجاء في الكتاب الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1996 بعنوان: "التعريب في

الوطن العربيّ واقعه ومستقبله " (من أجل خطة عامة للتعريب)، استناداً إلى دراسة تحليلية عن واقع استخدام اللغة العربية في المجالات المختلفة، لأجوبة وردت من خمسة عشر قطراً عربياً عن أسئلة مدرجة في استبانة وضعت لهذا الغرض ما يلي:

تدرس العلوم الطبيّة كلياً باللغة العربية في سورية فقط، وتدرس باللغة الأجنبية في الأردن والبحرين والجزائر والسعودية وفلسطين والكويت ولبنان. ويدرس بعضها باللغة العربية وبعضها الآخر باللغة الأجنبية في العراق ومصر. وفي ليبيا تدرس بعض الكليات الطبية باللغة الأجنبية وبعضها الآخر باللغة العربية.

والحال هذه تنسحب على التعليم العلميّ العالي بمجمله، إذ دلت الدراسة المذكورة التي شملت (15) قطراً على أن العلوم الأساسية تدرس، بلغة أجنبية كلياً، في ست دول عربية، وجزئياً، في خمس دول، والعلوم الهندسية تدرس بلغة أجنبية، كلياً، في عشر دول عربية، وجزئياً، في ثلاث دول، والعلوم الاجتماعية والإنسانية تدرس بلغة أجنبية، جزئياً، في سبع دول فقط.

يتضح من ذلك أن ثمة رغبةً صادقةً في تعريب التعليم العالي، وفي طليعته الطب والصيدلة وما يتصل بهما، بغية إحلال اللغة العربية المحل الذي شغلته اللغات الأجنبية في ظروف معينة. فيكون ذلك تصحيحاً وتقويماً وإعادة للأمور إلى وضعها الطبيعيّ، كما يتضح أن جهوداً بذلت وتبذل لتحقيق هذا الهدف مما أحدث تحولات مهمة في العديد من الكليات الطبية في الأقطار العربية.

ولكن يلاحظ من جانب آخر، أن الخطوات بطيئة لا تتفق مع الوعي القوميّ والطموح الحضاريّ الذي يعم أبناء الوطن العربيّ ويدفعهم إلى بناء ذاتهم الثقافية، ولا سيما في العشرية الأخيرة التي تهب فيها رياح العولمة والتغريب والاستعلاء المقيت لاقتلاع ما ضعف من الجذور وتبديد ما وهن من القوى، وأنها خطوات لا تتوافق مع التطور العلميّ والثقافيّ والاجتماعيّ الذي حققته بلداننا، ولا تتوازى مع الخطوات السّريعة التي خطتها الشعوب الأخرى في الحفاظ على تراثها ومقومات وجودها من جهة، ومواكبة العصر بكشوفه وابتكاراته العلمية و التقانية من جهة أخرى.

3- دواعي التعريب :

ولعل بعض العاملين في ميدان التعليم الطبيّ والمسؤولين عنه يتساءلون عما إذا كانت ثمة أسباب تدعو إلى تغيير الحال الراهنة وجعل التعليم الطبيّ باللغة العربية.

أجل ثمة دواع عديدة نجملها فيما يلي:

أ- العامل النفسيّ – التربويّ

لقد ثبت بالتجربة والبرهان أن من يتعلم أيّ علم من العلوم بلغة الأم؛ أي اللغة التي يكتسبها الطفل من أمه ثم تثبت في وعيه ولسانه، يكون أكثر استيعاباً للمعلومات، والاستيعاب يقود إلى التمثل، وتمثل المعرفة هو السبيل إلى الابتكار والإبداع.

وقد تبين أن استيعاب السامع أو القارئ لمضمون نص عربيّ يزيد حوالي 16-20 % على استيعابه مضمون نص مقابل بلغة أجنبية. وبناء على توصية الخبراء، أوصت المنظمة العالمية للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) باستخدام اللغة القومية في التعليم إلى أعلى مرحلة ممكنة. وكذلك دعت الاستراتيجيات القطاعية التي عملت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) على وضعها وأقرتها

المؤتمرات الوزارية العربية المختصة، إلى اتخاذ اللغة العربية لغة أساسية في التعليم ووجوه النشاطات الفكرية الأخرى:

- دعت استراتيجية تطوير التربية العربية إلى اعتماد اللغة العربية الفصيحة لغة للتعليم في جميع مراحله ومجالاته، وإلى تعريب المفاهيم والمصطلحات وتوحيدها واستخدامها.
- وأفردت الخطة الشاملة للثقافة العربية فصلاً خاصاً للموضوع ذاته، وربطته بموضوع الأمن الثقافيّ.
- وخصصت استراتيجية تطوير العلوم والثقافة فصلاً كاملاً لتعريب العلوم وتوحيد مصطلحاتها، كما دعت إلى توطين الثقافة واستنبات العلم عربياً.

ب- العامل المهنيّ - الاجتماعيّ

إن التعليم بالعربية في مجال الطب يتيح للأطباء العرب، على اختلاف البلدان العربية والأجنبية التي درسوا أو تخصصوا فيها، أن يمارسوا التدريس بلغة واحدة جامعة هي اللغة العربية ويجعلوها لغة تآليفهم وترجماتهم وبحوثهم العلمية، هذا مع العلم بأن تعدد أماكن الدراسة والاختصاص يتيح الاستفادة من مختلف الإمكانات العلمية في أكثر من بلد أجنبيّ متقدم.

وتنبغي الإشارة إلى أن التعليم الطبيّ باللغة الأجنبية يقيم حاجزاً بين الطبيب من جهة، وبين معاونيه في الجهاز الطبيّ من فنيين ومرشدين وممرضين وإداريين من جهة أخرى، لأن هؤلاء يتلقون تعليمهم عادة باللغة العربية، كذلك يقيم حاجزاً بين الطبيب والمريض، لأن المريض عاجز عن فهم لغة الطبيب العلمية التي هي لغة أجنبية والطبيب يجهد نفسه لإبلاغ المريض ما يريد إبلاغه فيلجأ إلى لغة هجينة هي مزيج من الأجنبية والعربية العامية.

أضف إلى ذلك أن كلفة التعليم الطبيّ باللغة العربية أقل بكثير من كلفته باللغة الأجنبية، لأنه في هذه الحال يكون مسبوقاً، عادة، بدراسة متمكنة باللغة الأجنبية في المدارس الخاصة أو الأجنبية التي تتقاضى من طلابها أجوراً باهظة.

إن من فوائد التعليم الطبيّ بالعربية فتح أبوابه أمام الموهوبين من جميع الفئات الاجتماعية والاستفادة من المواهب لدى الشباب، أياً كان وضعهم الماديّ، وبذلك تحقق للمجتمع عدالة أوفر وديموقراطية أوسع.

حـ - العامل - القوميّ - الحضاريّ :

إن اللغة العربية ليست شيئاً منفصلاً عنا، كساءً نرتديه اليوم ونخلعه غداً، أو زينة نقلب فيها أذواقنا، سلباً وإيجاباً. إننا نعيشها منذ الطفولة، فتخالط شعورنا وتفكيرنا ونحس بالألفة معها والأنس بها. هي معنا منذ نعومة أظفارنا، هي مثل الأم قرباً إلى النفس وانبثاثاً في حنايا القلب وخلجات الضمير. واللغة العربية تنفرد بخصائص تجعلها من أكثر اللغات غنىً ومرونة وقدرة على النماء والتطور، وهي لغة أثرت بالقرآن الكريم الذي تنـزّل بها وحفظها عبر الزمن ونشرها في أرجاء واسعة من الأرض.

لقد حققت علميتها وعالميتها مدة لا تقل عن ثمانية قرون، وفي مقدور أهلها إذا صح عزمهم، وهي مرتكز هويتهم القومية، أن يعيدوا إليها علميتها ويجعلوها مشعلاً حضارياً. ولا سيما أن العالم أقر عالميتها بجعله إياها إحدى اللغات الرسمية الست في هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها الدولية.

4- آفاق التعريب :

إن التعليم الطبيّ بلغة أجنبية- ويتبعه التعليم العلميّ عامة- يحتاج إلى عملية تحويل معاكسة لما تم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، استجابة للدواعي التي ذكرنا.

وإذا أخذنا في حسابنا حجم هذه العملية وظروفها، من حيث وجودُ هذا التعليم في العشرات من كليات الطب وطب الأسنان والصيدلة ومئات معاهد القبالة والتمريض، وجود ألوف الفنيين العاملين في المستشفيات والمراكز الصحية والمختصين بتركيب الأجهزة الطبية وصيانتها، وإذا علمنا أن في الوطن العربيّ اثنتين وعشرين دولة باثنتين وعشرين سلطة سياسية لكل منها توجهاتها الثقافية والعلمية، وأن دستور جامعة الدول العربية لا يساعدها على اتخاذ قرارات شاملة ملزمة لكل هذه الدول ولا يتيح لمنظماتها أن تفعل ذلك، وعلمنا أن الدول المتقدمة التي تمسك بزمام المعرفة العلمية وتعمل على تطويرها تحرص على أن تكون لغاتها لغة العلم في العالم بأسره دعماً لنفوذها الثقافيّ والسياسيّ... إذا أخذنا ذلك كله في حسابنا، تبينت لنا صعوبة هذه العملية.

ولكن على الرغم من ذلك، وبدفع من رواد النهوض والتقدم، وبالفعل المستطاع من قبل جامعة الدول العربية والمؤتمرات الوزارية العربية والاتحادات النوعية كاتحاد الأطباء العرب واتحاد الصيادلة العرب، وبسعي حثيث من مجامع اللغة العربية والعديد العديد من أساتذة التعليم العالي، فقد تم خلال السنوات الخمسين الماضية إرساء قاعدة متينة لإنجاز هذا المشروع في ميادين عديدة:

أ – التشريعات والقرارات

ثمة نصوص تشريعية وقرارات وزارية وتوصيات من جهات عديدة تدعو إلى تحقيق هذا الهدف، نذكر منها التالي:

1- نصت المادة العاشرة من ميثاق الوحدة الثقافية الذي أقره مجلس جامعة الدول العربية في شهر أيار/مايو 1964 على ما يلي: "إن الدول العربية الأعضاء توافق على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم والدراسات والبحث في مراحل التعليم كلها".

2- دعت المؤتمرات الوزارية التي تدعو إلى انعقادها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) كل سنتين: مؤتمرات وزراء التربية العرب ووزراء الثقافة ووزراء التعليم العالي والبحث العلميّ، إلى تعريب تعليم العلوم جميعها واتخذت قرارات وتوصيات بذلك، بل أقرت إقامة أجهزة تساعد على تحقيق هذا الهدف.

3- دعت مؤتمرات مجلس وزراء الصحة العرب منذ عام 1974 حتى اليوم، إلى تعريب التعليم الطبيّ، كما دعت إلى ذلك المؤتمرات والندوات التي أقيمت لهذا الغرض وأذكر منها: "ندوة تعريب التعليم الصحيّ في الوطن العربيّ، التي عقدت بدمشق من 5-7 كانون الأول ديسمبر 1988 و "مؤتمر تعريب التعليم الطبيّ " الذي عقد في الكويت من 8- 10 نيسان/ أبريل 1996 "والاجتماع الأول لعمداء كليات الطب حول مشروع بناء مناهج طبية باللغة العربية" الذي عقد في القاهرة في 17 كانون الثاني/يناير 2002.

ب- الخطط والبرامج

وضعت خطط وبرامج عديدة لتحقيق هذا الهدف، نذكر منها:

1- خطة بعنوان: "خطة تنفيذية واقعية لتعريب التعليم الطبيّ" وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1987، بناء على طلب مؤتمر وزراء الصحة العرب.

2- خطة بعنوان: "الخطة العامة لتعريب التعليم الصحيّ"، قدمت إلى ندوة تعريب التعليم الصحيّ في الوطن العربيّ التي انعقدت في دمشق من 5-7 كانون الأول/ ديسمبر 1988.

3- الخطة الشاملة التي وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعنوان : "التعريب في الوطن العربيّ- واقعه ومستقبله (من أجل خطة عامة للتعريب)" عام 1996 استناداً إلى دراسة تحليلية لاحتياجات التعريب المختلفة.

4- "الخطة المقترحة لتعريب التعليم الطبيّ" التي أقرها مؤتمر تعريب التعليم الطبيّ ، المنعقد بالكويت من 8-15 نيسان/ أبريل 1996.

جـ - المؤسسات والمراكز

أحدثت مؤسسات ومراكز عدة لتقوم بتأمين مستلزمات التعريب ولا سيما المصطلح الطبيّ والكتاب الطبيّ المؤلف والمترجم، نذكر منها:

1- مكتب تنسيق التعريب:

أنشئ هذا المكتب بالرباط في المغرب عام 1961 بمثابة هيئة مستقلة، إدارياً ومالياً (تحت مظلة جامعة الدول العربية)، ثم ألحق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بصفة جهاز من أجهزتها عام 1972. ومهمة هذا المكتب تنسيق المصطلحات وتوحيدها، في مؤتمرات التعريب الدورية التي يدعو إليها، وإصدارها في معجمات متخصصة. وقد أصدر حتى الآن مائة وخمسين ألف مصطلح، أقرتها تسعة مؤتمرات. وهو يصدر مجلة "اللسان العربيّ ".

2- المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر:

أحدث هذا المركز بدمشق، جهازاً من أجهزة المنظمة العربية المذكورة، وبدأ عمله عام 1990. ومهمة هذا المركز الأساسية تأمين حاجات التعريب من المراجع والكتب والدراسات والبحوث والمستخلصات، ترجمةً وتأليفاً ونشراً وتوزيعاً. وقد بلغت الكتب المرجعية التي أصدرها نحو مائة كتاب، بعضها في موضوعات طبية، وهو يصدر مجلة "التعريب ".

3- المنظمة العربية للترجمة:

ومنذ ثلاثة أعوام، قامت "المنظمة العربية للترجمة" ومقرها بيروت. وهي منظمة دولية متخصصة غير حكومية ولا تهدف إلى الربح، وهدفها الأساسيّ تحقيق قفزة نوعية وكمية في نشاط الترجمة، من العربية وإليها.

هذا، وهناك المئات من المؤسسات الحكومية ودور النشر الخاصة التي من أهدافها ونشاطاتها إصدار كتب طبية مؤلفة أو مترجمة إلى جانب كتب علمية وثقافية أخرى.

4- المركز العربيّ للوثائق والمطبوعات الصحية:

أقيم هذا المركز عام 1985 بقرار من مجلس وزراء الصحة العرب في دورته الخامسة بتونس في آذار/مارس 1980. وهدفه الرئيسيّ توفير الوسائل العلمية والعملية لتعليم الطب باللغة العربية وتوحيد المصطلحات الطبية وترجمة المراجع لتعليم الطب... وقد أصدر المركز حتى الآن

عشرات المجلدات في العلوم الطبية، كما قام بوضع مشروع المناهج الطبية العربية، وهو يصدر مجلة "تعريب الطب".

الخاتمة:

ولعل المرء يتساءل بعد هذا كله: لِمَ تتباطأ الخطوات في هذه الطريق؟ ثمة حجج يقدمها المعارضون للتعريب والمترددون في تطبيقه، هي أنه لا يصح البدء بالتحويل إلا بعد تأمين المصطلح الطبيّ الموحد والكتاب الطبيّ، متجاهلين أن الشروع بالتعليم المعرب يحرض على وضع وتوحيد المصطلح وإيجاد الكتاب الطبيّ المترجم والمؤلف، وأن العمل في مجالات التأليف والترجمة ووضع المصطلحات والتدريس ينبغي أن يتم بتوازٍ وتواقت وبجهد مخلص ودأب متصل لتحقيق الهدف وبلوغ الغاية. وإذا كانت القاعدة للتعريب قد أرسيت خلال السنوات السابقة فما علينا إلا أن نقيم عليها البناء المطلوب، وهذه هي المهمة العاجلة في هذا الوقت. ومن أجل ذلك أقترح التالي:

1- قيام الجهات المعنية بالعمل على تنفيذ التشريعات والقرارات التي أشرت إليها دون إبطاء.

2- العمل على تنفيذ الخطط والبرامج التي ذكرتها، وإدماجها في خطة واحدة تتجسد في برامج سنوية محددة.

3- تفعيل المؤسسات والمراكز القائمة ومدّها بالقدرات البشرية والفنية والمالية لأداء المطلوب منها.

4- القيام بحملة توعية شعبية كي يصبح التعريب مطلباً جماهيرياً، وتنظيم حملات إعلامية لهذا الغرض بكل الوسائل الممكنة.

5- السعي لتحويل القرار الشعبيّ إلى قرار سياسيّ تتبناه الحكومات العربية وتعمل على تنفيذه.

وخلاصة القول: إن تعريب التعليم الطبيّ، بخاصة، والعلميّ، بعامة، ليس قضية لغوية فحسب، بل هي قضية أوسع شمولاً وأبعد مدىً إذ تتصل بهوية الأمة وذاتها الثقافية. إنها وجه من وجوه التحرر: التحرر السياسيّ والتحرر الفكريّ، لأن اللغة هي جوهر الأمة التي إليها ننتمي، وهي عدتها وزادها في معركة الوجود والتقدم والحضارة.

المراجع

1- الأمير مصطفى الشهابي (رئيس مجمع العلميّ العربيّ بدمشق سابقاً) كتاب "**المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث** " الطبعة الثانية 1965.

2- الدكتور عبد الكريم خليفة (رئيس مجمع اللغة العربية الأردنيّ): كتاب "**اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث** " إصدار مجمع اللغة العربية الأردنيّ- عمان 1987.

3- الدكتور ممدوح خسارة: كتاب "**التعريب والتنمية اللغوية**"، إصدار دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق 1994.

4- الدكتور محمد هيثم الخياط (كبير مستشاري المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية- القاهرة): "**التعريب حديث مستطرد**"، منشور في مجلة "تعريب الطب"، العدد (13) أيار/مايو 2002 الصادرة عن المركز العربيّ للوثائق والمطبوعات الصحية بدولة الكويت.

5- الأستاذ شحادة الخوري: كتاب "**الترجمة قديماً وحديثاً**"، إصدار دار المعارف في سوسة بتونس 1988.

6- الأستاذ شحادة الخوري: كتاب "**تعريب التعليم الطبيّ والصيدليّ في الوطن العربيّ**" إصدار دار الرائد العربيّ ببيروت- لبنان 1987.

7- الأستاذ شحادة الخوري : كتاب "**دراسات في الترجمة والتعريب والمصطلح**"، إصدار دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر بدمشق، الطبعة الثانية 1992.

8- مراجع ودراسات أخرى متعددة.

نظرات ومقترحات في قضايا التعريب

د. الشاهد البوشيخي (*)

أول ما أبدأ به: الشكر أجزل الشكر لسورية الشقيقة التي طبقت التعريب، ونادت بالتعريب، واستضافت مؤتمر التعريب، رئيساً وحكومةً وشعباً، ووزارةً للتربية ولجنةً.

ثم الشكر أجزل الشكر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وجهازها المتخصّص: مكتب تنسيق التعريب، التي صبرت وصابرت ورابطت في ثغر التعريب سنين عددا.

أما بعد، فهذه رؤوس أقلام أقدمها بين أيديكم، في شكل نظرات ومقترحات، باسم معهد الدراسات المصطلحية بفاس – وهو معهد للبحث شبه متخصص في المصطلحات التراثية في مختلف أصناف العلوم: الشرعية و الإنسانية والمادية – أقدمها بعد الاستماع طوال المؤتمر لطيب الكلام، إسهاماً من المعهد في محاولة تجاوز الكلام:

أ– النظرات:

1- التعريب بالنسبة لأمتنا اليوم شرط وجود، بدونه لا يكون لنا وجود، وبوجوده قد يكون لنا وجود وقد لا يكون لنا وجود، إذ ليس هو وحده فقط الذي به يكون لنا الوجود.

2- التعريب بالنسبة لأمتنا اليوم فريضة شرعية، وضرورة حضارية وحتمية تاريخية،لا تحصيل للأمة لرضى الله جلّ وعلا بدونه، ولا دخول لها إلى التاريخ من جديد من غير بابه ،ولا مفر لها – ولو ازورت ما ازورت–من حلول قدره : أينما يكون العرب يدركهم التعريب ، ولو كانوا في نوم عميق أو في شك مريب .

3- التعريب مفهوم شامل أهونه هذا اللغويّ الذي جاوز الخوض فيه بغير حسم مدة تيه بني إسرائيل ولو أرادو الحسم لأعدوا له عدة، ولكنه هزل المسؤولين ونوم السائلين:

نامت نواطير "عرب" عن ثعالبها فقد بشمن وما تفنى العناقيد.

4- التعريب مرحلة تمهيدية، كان ينبغي أن يفرغ منها من زمان، لينتقل منها إلى التحدي الحضاريّ، فالشهود الحضاريّ، فالشهادة على الناس التي هي حاق موقع الأمة، والأفق المنتهى لكل واقع في الأمة.

5-التعريب، حاجةٌ، مداره على أمرين :

– ترجمة ما حقه الترجمة من معارف أولا،

– وإيجاد المقابل العربيّ للمصطلحات الأجنبية ثانياً.

وهما متكاملان، يستفيد بعضهما من بعض، ولا يتوقف وجود بعضهما على بعض. وما أحسن أن يتفرغ "المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف

(*) مدير معهد الدراسات المصطلحية -فاس- المغرب

والنشر" لهمّ الترجمة، ولاسيما في المجالات التي تشتد فيها الحاجة، منسقاً وناشراً ومعمماً!

وما أحسن أن يتفرغ "مكتب تنسيق التعريب بالرباط" لمعاجم المصطلحات، مزيلةً للعجمة بشروحها، ولا سيما في المجالات التي تشتد فيها الحاجة، منسقاً وناشراً ومعمماً !

فهل نطمع في قرار قريب بهذا أو توجّه مركّز إلى شيء من هذا ؟

6- التعريب، إنجازاً في التعليم العالي وغير العالي، مداره على محورين:

أولاً – الأستاذ: ولابد من إعداده الشامل نفسياً، ولغوياً، وعلمياً، حتى نصل إلى استعداده. ومن ذلك الإعداد ما يسبق وما يلحق، وفي الجاهز منه ما يكفي للانطلاق، وفي التكوين الموازي والإنجاز التدريجيّ ما يسد الحاجة فيما هو باق، ومن خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزلة .وللمدلج الساري صفاء المناهل.

ثانياً– الكتاب: ولابد من إيجاده، مؤلَّفاً أو مترجَماً، وفق شروط الجودة بلغة أهل الاقتصاد، منشوراً معمماً، وذلك واجب "المركز العربيّ للتعريب" منسقاً ، ناشراً ، معمّماً .

7- التعريب، تنزيلاً، مداره على ثلاثة أمور:

1- عزم أهل الحل والعقد في الأمة، حكاماً، مقررين كانوا أم ناصرين للقضية مبادرين ضاغطين. وما ضاع حق وراءه طالب، ومن طلب الحسناء لم يغله المهر.

2-السرعة في تلبية الحاجة من جهات الإنتاج، والتنسيق، والنشر، والتعميم. ولم تكد وسائل الاتصال والتواصل الحديثة تترك عذرا لمعتذر. فهل نطمع في تعميم الموجود بأسرع ما يمكن، والإعداد للمنتظر المفقود بأسرع ما يمكن، ياليت قومي يفعلون.

3- منهجية صارمة حازمة في المتابعة للقرارات والتوصيات، والتقويم المستمر للإنجازات تبعاً للمخططات، بإنشاء جهاز للحسبة بلغة الفقهاء في قضية التعريب، يحفظها من شر شهوات التخريب، وكيد شبهات التغريب، لتستوي بسلام على جوديّ الواقع في وقت قريب.

ب– المقترحات:

1- إعطاء المركز العربيّ للتعريب ومكتب تنسيق التعريب الدعم اللازم لهما للنهوض برسالتهما الضخمة.

2-حصر جهود المركز العربيّ للتعريب مؤقتاً، استجابة للأوليات، في إعداد كتب المواد المقررة اللازمة للتعليم في مجال العلوم المادية، تأليفاً وترجمةً. على أن يكون هو المكلف بالتنسيق بين المؤسسات المهتمة بذلك، والمسؤول عن النشر والتعميم لكل ما أنجز من ذلك.

3- حصر جهود مكتب تنسيق التعريب مؤقتا استجابة للأولويات كذلك في إعداد المعاجم الخاصة اللازمة في مجال العلوم المادية، على أن يكون هو المكلفَ بالتنسيق بين جميع المؤسسات المهتمة بذلك، والمسؤولَ عن النشر والتعميم لكل ما أنجز من ذلك.

4- تعميم جميع التجارب، وعلى رأسها تجربة سورية في تعريب التعليم العالي، على جميع الجامعات والمدارس والمعاهد العليا بالوطن العربيّ، تيسيراً للانتفاع بها والانطلاق منها في أي تجربة جديدة.

5-توزيع المسؤوليات في إعداد ما يلزم من كتب المواد المقررة ومعاجم المصطلحات على جميع الهيآت والمؤسسات، كلٌّ حسب اختصاصه وقدرته ورغبته، لتتحقق السرعة والجودة في الإنتاج. وبهذه المناسبة، فإن معهد الدراسات المصطلحية يضع كل إمكاناته في حدود اختصاصه وقدرته، رهن إشارة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فيما يوكل إليه من ذلك.

ومتى أسسنا أعمالنا على العلمية، وسرنا في التخطيط العام والخاص لها، وفق ما تقتضيه المنهجية، و أنجزنا كل ما ننجز بتنسيق وتكاملية، فسنحصل، بإذن الله تعالى، على أفضل مردود بأقل مجهود. "وَيَقُولُونَ مَتَىَ هُوَ، قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً". والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. والسلام عليكم ورحمة الله.

خـــــطوات عـــلى طـــريق التعــــريب

د. محمد يونس عبد السميع الحملاوي (*)

بزغ في العقد الأخير من القرن العشرين الميلاديّ العديد من الجمعيات والهيئات العلمية التي اتخذت من قضية التعريب، بمختلف روافدها، محوراً لعملها، نذكر منها، على سبيل المثال، الجمعية المصرية لتعريب العلوم، والجمعية المصرية لهندسة اللغة، بالإضافة إلى جمعية لسان العرب التي تهتم بقضايا استعمال اللغة. والجمعيات الثلاثه تباشر عملها في مصر.

وبجانب هذه الجمعيات، ظهرت في لبنان المنظمة العربية للترجمة وفي الجزائر جمعية الحفاظ على اللغة العربية، وفي الشارقة جمعية الحفاظ على اللغة العربية، وفي ذات الوقت استمر اهتمام الهيئات العامة القومية والوطنية بقضية الاستعمال الصحيح للغة العربية وتعريب التعليم. ويمكننا استنتاج حجم ما تبذله الجمعيات العلمية والأفراد حين نرصد المعاجم العربية الصادرة خلال فترة نصف القرن الميلاديّ الماضي لنكتشف أن عدد ما أنتجته الهيئات الحكومية والقومية والدولية واللغوية من معاجم يقل عما أنجزه الأفراد والجمعيات العلمية العربية. وهذا الأمر يشير بجلاء إلى أهمية دور الأفراد والجمعيات العلمية في مسيرة التعريب .

ولنأخذ الجمعية المصرية لتعريب العلوم، كمثال لتلك الجمعيات النشطة في هذا المجال، حيث تهدف الجمعية إلى تحقيق التعريب بدءاً بتعريب التعليم وانتهاءً بتعريب الأمة. ولقد نهجت الجمعية في هذا السبيل نهجاً علمياً في التعامل مع مختلف فروع وجزئيات القضية وتناولت تلك الجزئيات في مؤتمراتها السنوية الثمانية (حتى يوليو 2002 م) والتي عالجت العديد من جوانب القضية ومنها لغة التعليم قبل الجامعيّ، اللغة والهوية، اللغة العربية في الحاسوب، معوقات التعريب، الجوانب الاقتصادية لمنظومة التعريب، الجوانب القانونية لمنظومة التعريب، تعريب العلوم والعولمة، تقويم مسيرة تعريب العلوم، العقبات والمسوِّفات المعطلة للتعريب. كما قامت الجمعية بعقد اثنتي عشرة ندوة عن الأرقام العربية الأصيلة (0, 9876543210) وعن الرموز العلمية، وعن تعريب التعليم الطبيّ، وعن تعريب التعليم الهندسيّ، بالإضافة إلى المحاضرات المتخصصة في مجمع اللغة العربية المصريّ والمجلس الأعلى للثقافة بمصر.

ولقد تعاونت الجمعية مع العديد من الهيئات الوطنية والقومية والدولية، في تحقيق رسالتها، وارتفع الاهتمام الوطنيّ في مصر بالقضية. ويمكن أن نشير هنا إلى تدرج رعاية ندوات ومؤتمرات الجمعية حتى وصل إلى أن رعى مؤتمرات الجمعية الثلاثة الأخيرة الأستاذ الدكتور رئيس الوزراء، إضافة إلى وزير التعليم العالي. كما تدرج الاهتمام بندوات الجمعية، في الخط ذاته، إلى أن أصبحت قضية تعريب التعليم بمفرداتها من القضايا التي يتم تداولها في أروقة جهات صنع القرار و التشريع في مصر.

(*) أستاذ هندسة الحاسبات، كلية الهندسة، جامعة الأزهر.

ولا يفوتني أن أشير إلى زيادة اهتمام ومشاركة الأفراد والمؤسسات، من مختلف بقاع وطننا العربيّ، في نشاط الجمعية، حيث شارك حتى الآن في مؤتمرات الجمعية وندواتها باحثون من مختلف جامعات وهيئات الوطن العربيّ، من مشرقه إلى مغربه. ونشير إلى أن الجمعية تركز ضمن قائمة أولوياتها على الأستاذ الجامعيّ باعتباره الهدف والوسيلة في ذات الوقت لتحقيق التعريب الكامل لأمتنا. ونشير إلى أن سياسة الجمعية لا تستهدف إصدار قرار سياسيّ جديد لدفع مسيرة التعريب، لأن القرار قد صدر وعلى المتخصصين تفعيله فقط، حيث تنص دساتير جميع الدول العربية وقوانينها على أن العربية هي اللغة القومية وعلى أن التعليم حق للمواطنين باللغة القومية. ونشير كذلك إلى أن معاهدات اليونسكو التي وقعت عليها جميع الدول العربية تنص على حق المواطنين في التعليم بلغتهم. إذاً فالقرار السياسيّ قد صدر. ومن المؤكد أننا حينما نضع تلك الحقائق أمام أساتذة الجامعات فإنهم سيستشعرون واجبهم تجاه مجتمعهم الذي أنفق ما يزيد على ثلث المليون جنيه لتعليم كل فرد منهم.ولا يفوتني أن أشير إلى خطورة القرار السياسيّ حيث نجد ردةً في النهج نحو التعريب، وذلك في اختيار لغة غير العربية في التعليم عن بعد تحت مظلة عربية (؟ !) وكذلك نجد نفس الردِّة فيما حدث في إحدى الجامعات العربية التي استمرت تدرس بالعربية لأكثر من ربع قرن (؟!). ولهذا فيمكننا أن نشير صراحة إلى أن الصواب لم يجانب الجمعية حين ركزت على الأفراد والهيئات العلمية لتحقيق رسالة تعريب الأمة.

ومن جملة الوسائل التي تتبعها الجمعية المصرية لتعريب العلوم، دعوتها المكتوبة والمنشورة على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) لمختلف مناشطها. كما أن الجمعية تصدر"رسالة التعريب " بصورة ورقية وبصورة إلكترونية للترويج لأهدافها. وبالإضافة إلى ذلك يعرض موقع الجمعية على شبكة الإنترنت www.tareeb.org مختلف أعمال الجمعية.

لقد تعاملت الجمعية، بصورة علمية، مع مختلف قضاياها، فقامت بعمل الدراسات عن تقييم التدريس بالعربية والتي لم يقم بها أحد في وطننا العربيّ سوى مجمع اللغة العربية الأردنيّ. ولقد بلغ عدد دراسات الجمعية حتى الآن سبع دراسات حول هذا الموضوع. ونشير هنا إلى ضرورة أن تقوم مختلف الجامعات بعمل مثل تلك الدراسات حتى يمكنها أن تقيم وتقوم تجاربها.

وكمثال على معالجة الجمعية المصرية لتعريب للعلوم للقضايا المختلفة، نستعرض قضية الرقم العربيّ الأصيل (0, 9876543210). لقد قامت الجمعية المصرية لتعريب العلوم بعقد ثمان ندوات، عن هذه القضية، شارك فيها باحثون من مختلف الدول العربية في المشرق والمغرب. وتناولت تلك الندوات مختلف عناصر القضية التي اشتملت على: تاريخ الرقم العربيّ والرقم الغربيّ، أصل الرقم العربيّ، واقع استخدام الأرقام في تراثنا العلميّ، الواقع الحالي لاستخدام الرقم العربيّ، ملاءمة الأرقام للتقانة، انتماء أشكال الأرقام مع أشكال الحروف العربية، كفاءة الرقم العربيّ والرقم الغربيّ، الشبهات المتوهمة عن الصفر، الفهم الصحيح لكتابات المستشرقين عن الرقم، الجوانب القومية في قضية الرقم، الدراسات اللغوية حول الرقم. ولقد خلصت تلك الدراسات إلى تأييد استمرار بلاد المشرق العربيّ في استخدام الأرقام العربية الأصيلة (0, 0 987654321) حيث لا يوجد على الإطلاق ما يبرر العدول عنها إلى الأرقام الغربية المستعملة في أوروبا، مع الالتفات إلى أن تغيير الأرقام

يخشى أن يكون تمهيداً لتغيير الحروف العربية نفسها، كما أثبتت ذلك تجارب التاريخ. كما خلصت الدراسات إلى أن تمسك المشرق بالأرقام العربية الأصيلة، فيه حفاظ على اللغة العربية ذاتها التي تشكل مفرداتها من الحروف بجانب هذه الصورة من الأرقام، وحفاظ على تواصل التراث العربيّ القديم بزمننا الحاضر، ومحافظة على هويتنا، وييسر للتواصل بين البلاد الإسلامية العربية التي تستخدمها. فالأرقام العربية الأصيلة أكثر ملاءمةً للحروف العربية و انتماءً إليها والتصاقاً بها على مر العصور، علاوة على أنها أكثر كفاءة من الأرقام الغربية المستعملة في أوروبا. ومن ثم يكون من المنطق أن يتوحد العرب جميعهم على الأرقام العربية الأصيلة فالتمسك بها تمسك بالعربية. كما أشارت الدراسات إلى تأييد القرار الحاسم الذي سبق أن اتخذه مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بالتمسك بالأرقام العربية المشرقية وقرار اتحاد المجامع العربية الذي يدعو بلاد المغرب العربيّ التي تستخدم الأرقام الغربية بالعودة إلى استعمال الأرقام المشرقية، الأصيلة التي استقر استعمالها من قرون عديدة. ومن ثمّ نخلص إلى أنه يجب أن يولي الجميع قضية الأرقام العربية المشرقية الأصيلة ما تستحقه من اهتمام اعتماداً على حقائق التاريخ وحفاظاً على هوية الأمة العربية وحرصاً على تواصل حاضرها بتراثها المجيد في ضوء الحقائق التاريخية والدوافع القومية المُلحة التي أظهرتها الدراسات العلمية. وإننا لنهيب بالأفراد والمؤسسات بجميع البلاد العربية أن يتبنوا الرقم العربيّ الأصيل (9876543210, 0) وأن يستعملوه بالأسلوب والمواصفات الصحيحة في مختلف مناشطهم وأعمالهم.

في لغة الصحافة وتعريب العلوم

قضاياها وإشكالياتها ومناهج دراستها

د. محمد رشاد الحمزاوي (*)

1- القضية :

لسائل أن يطرح في شأن هذا الموضوع أسئلة متعددة مشروعة، ومنها:

1- لم العودة إلى موضوع قد سبق لك أن عالجته، وفصلت فيه وربطت بمقتضاه بين الصحافة والفصاحة، وعلى أساس ذلك دعوت إلى إقرار مبدإ يقر أن الفصاحة فصاحات [1].

2- لم الربط بين لغة الصحافة وتعريب العلوم، شغلنا الشاغل الذي لا صلة له بالصحافة وأخطائها السلبية المتنوعة؟

3- ما عسى أن يُفيد تعريب التعليم العالي من لغة الصحافة، كمّاً وكيفاً، في مستوى المصطلحات والمفاهيم العملية التي تعنينا بالدرجة الأولى، فضلاً عن مصطلحات "الإنسانيات" التي تخبط فيها الصحافة خبط عشواء من زمان، حسبما نبهت إلى ذلك دراسات قومية عربية متعددة؟ [2].

إن هذه التساؤلات الوجيهة، في كثير من الأحوال، لاتمنع من أن نعود إلى هذا الموضوع الشائك والمتفجر، حتى ننــزله منــزلته التي يستحق في مستويات كثيرة، لاسيما في مستوى تعريب العلوم بالتعليم العالي، وذلك لأسباب كثيرة منها:

أ) تعريب العلوم بالتعليم العالي يفترض مواصفات وخصائص كثيرة مطلوبة قطعاً، منها فصاحة اللغة، ولا سيما لغة الصحافة التي تلعب دوراً مهماً في تبليغ ما يعنى به ذلك التعليم من معارف و معلومات، ومصطلحات، ومفاهيم، ورؤى، ونظريات...إلخ، فضلاً عن أن "الصحافة" في العمق المعجميّ على صلة جذرية وثيقة "بالفصاحة" لأنهما مقلوبان من "الحصافة"، إن اعتمدنا نظرية التقليب الخليلية [3]؛ أي أنها تكون ثلاثتها عنقوداً من "العلاقات المترابطة"[4] المتداخلة، حسبما أشار إلى ذلك مؤسس اللسانيات الحديثة فردنان دي سوسير (Ferdinand de Saussure) ، مما يدعونا إلى العناية بذلك التداخل في الواقع اللغويّ. فالصحافة تعتبر:

ب) ظاهرةً جماهيرية اجتماعية، وحضارية، وثقافية كاسحة قد استبدت بنا أفراداً وجماعات ومؤسسات إلى حد أن اعتبرها أحمد شوقي آية زماننا. فلقد قال فيها:

(*) تونس

لكل زمان مضى آية : وآية هذا الزمان الصحف
لسان البلاد ونبض العباد :وكهف الحقوق وحرب الجنف

ولقد أصبحت اليوم آية الآيات، إن اعتبرنا دور الإعلام والإعلامية و تقاناتها (تكنولوجياتها)، وما إليها من مصطلحات ومفاهيم في عالمنا السيبريّ [5] الافتراضيّ الذي يتجاوز الغريب والعجيب، إلى حدّ اعتبار المستحيل مستحيلاً.

ج) حدثاً لغوياً تاريخياً عربياً ودولياً، يمكن أن نرتبه، بحسب أثره وتأثيره، في المرتبة الرابعة بعد الحدث القرآنيّ، والنثر الفنيّ، والازدواجية اللغوية (فصحى-عامية). فلقد "زعزع" أركان معجمنا، "وشوش" مقاييس نظمنا صرفاً ونحواً، و"قلب" موازين دلالاتنا وبلاغتنا، فضلاً عما طرحهُ من أساليب وما إليها من تضمينات [6]، اعتبرها بعضهم عدولات [7] وانحرافات وتجاوزات... إلخ، المعارك حولها طاحنة. فلقد سبق لليازجيّ أن قال فيها "أصبح كثير من ألفاظ الجرائد لغة خاصة بها، تقتضي معجماً بحاله" [8]، وأكد خليل صابات دورها في نشأة عربية جديدة تتميز بأسلوبها الذي وضعه الصحافيون" إن الأسلوب السهل المشرف الذي وصلنا إليه اليوم في الكتابة بلغتنا العربية لا يعود فيه الفضل إلى معلمي اللغة في المدارس والكليات، ولا يعود فيه الفضل إلى الكُتّاب والأدباء القدامى،بل الفضل الأول في هذا الأسلوب يعود إلى الصحافة اليوم" [9].

د) طرفاً أساسياً في شؤون كل العلوم والمعارف، والمعلومات والتأثير فيها. فلقد كانت الصحافة سباقة إلى التعبير عنها بفصاحتها، سواء أكانت مرفوضة أم مقبولة، والتبشير بها وبمصطلحاتها ومفاهيمها، قبل أهل الذكر والمتخصصين والخبراء بأنواعهم، سواء أكانت مترجمة عربية أم معرَّبة أم دخيلة. فكانت وما زالت تفاجئهم وتسبقهم وتحيرهم... ولعل ذلك ما يفسّر نسبياً موقفهم السلبيّ منها، إن لم نقل الرافض لها بحجج تقليدية أو ضعيفة، لا تفي بمتطلبات عربية العصور الحديثة.

هـ) وسيلة تنتسب إلى علوم الإعلام، وثورتها وفنياتها وتقنياتها التي تنتسب في آن إلى العلوم الإنسانية والصحيحة والتكنولوجية. فهي علم ثلاثيّ الوجوه، جامع مكتمل متنوع، له مصطلحاته ومفاهيمه [10] التي تهم التعليم العالي، بقدر ما تهمه مصطلحات ومفاهيم وأساليب علم الاجتماع والجغرافيا، والرياضيات والفيزياء... إلخ، وبقدر ما تعامل به من رفض وإقصاء يستحقان العناية.

و) قضية مشتركة تعنينا بالذات، لا سيما في المستوى اللغويّ الصحفيّ الذي كان موضوع آراء كثيرة متباينة ومتناقضة، جزئية أو عامة، تمس من قرب أو من بعد قضية تعريب العلوم، ولم يبت فيها بدراسة جامعة وصفية ومقارنة، تستند إلى حجج نصية مقنعة ومبررة.

II- الإشكالية :

وتتمثل، على وجه الخصوص، في الإصرار على تهميش لغة الصحافة، وعزلها عن واقع اللغة، وإن كانت ركناً من أركانها الأساسية، كمّاً وكيفاً، في العصور المعاصرة والقادمة، ورافداً من روافد المعجم العام والمختص لما لهما من مميزات وتقنيات تستحق الاعتبار. ويبرز ذلك التهميش في الوجوه التالية:

(أ) الاقتصار المتشدد على اعتبار لغة الصحافة لغة خلافية مشوشة، لا حل لها سوى رفضها جملة

وتفصيلاً في كثير من الأحيان، وتعويضها ببدائل، لا تمتّ لموضوعها ولا لعصرها ولا لمفهومها... إلخ، بصلة إلى حدّ السخافة. ومن ذلك تعويض كلمة "السكرتير" بكلمة "الناموس" [11] الدخيلة القديمة في انتظار "أمين السر" أو "الكاتب"، وكلمة "التليفون" بالمسرّة"، و"المِقْوَل" و"الإرزيز" [12]... إلخ قبل أن تستقر في لفظين متنازعين: هاتف وتليفون [13]. وتشتد البلبلة في حالة ما إذا عبّر عن المصطلح الغربيّ، المنقول صحفياً، بمترادفات عدة من ذلك: ,Aerolocomotive Aéroplane, Aeronef، فضلاً عن Avion من Avisاللاتينية؛ أي الذبابة، تعبيراً عن "الطائرة" [14] و"الطيارة" [15]. ولقد عوضت Locomotive بالقاطرة؛ كما Automobile؛ أي "المتنقلة بذاتها"، فهي "السيارة و"العربة" و"المركبة"، ولها كلها صلة بالحيوان أكثر من الآلة الميكانيكية العصرية قلباً وقالباً.

(2) تسليط مقولة: " لا تقل بل قل" التراثية... سيفاً قاطعاً على الصيغ، والتراكيب والأساليب المقتبسة من لغات أجنبية، وما إليها من مفاهيم حضارية جديدة أحياناً، حتى بالنسبة لتلك اللغات الأصلية الرائدة، والتي تنقل منها صحافتنا مباشرة. فلا يقال المنظمات الدُّوَلِّيَة بل الدَّوْلية، ولا القرارات الملوكية، بل الملكية، لأنه لا ينسب إلى الجمع، دون اعتبار ورود هذا الأسلوب في القديم الذي أقرَّ استعمال الشعوبية نسبة إلى الشعوب، والتصريف الملوكيّ عنواناً لمؤلف مشهور من مؤلفات ابن جنّيّ.

ودار الجدال حول إجازة تراكيب مثل: "أعطاه فرماناً أبيض أو بطاقة بيضاء" عوضاً عن "أوكل إليه الأمر برمته"، و"القطرة التي طفح منها الكأس"، عوضاً عن "القشة التي قصمت ظهر البعير". أما حروف المعاني وقضاياها، فحدِّث في شأنها ولا حرج. فلقد أدرجت في باب التضمين الذي كثيراً ما يخضعها لتراكيب قياسية قديمة. فإن "ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم" القرآنية، قد تعدى فيها "أكل" بإلى، لأنه ضمن معنى ضمَّ... إلخ، بدون اعتبار ما لهذا الأسلوب القرآنيّ الجديد من تجاوز لمعنى الضم البحت إلى معنى الأكل والنهم. ونقول اليوم: أكلها بعينيه، تعبيراً عن الشراهة التي لا تؤديها أكلتها عيناه.فالأساليب والاستعمالات الجديدة والمعاصرة تُدرج في غالب الأحوال في قوالب ونماذج قديمة لا تمت بصلة للظاهرة الاجتماعية أو العلمية والتقانية (التكنولوجية) الجديدة. فالملاحظ في هذا المستوى أن مقولة "لاتقل بل قل"، لا تعتد بمفهوم " العدول" الذي طرحه ابن حزم من زمان، كما لا تتقيد بما يسميه اليوم اللسانيون المعاصرون "بنحو الأخطاء" [16]، وهو ما يقرب مّما سماه أجدادنا بالخطإ الشائع: خطأ مشهور أحسن من صواب مهجور، أو على أساس التوهم وبابه الواسع.

(3) اختلاف دعاة الفصاحة في شأن الفصاحة، والفصيح والأفصح [17] قديماً وحديثاً. فلقد حُبرت آراء كثيرة في هذا الشأن، تستحق أن تجمع وتوصف وتقارن، مع اعتبار تناقضاتها واختلافاتها ومواقفها الواحدة من الأخرى فيما يخطئه بعضهم ويجيزه البعض الآخر. ولنا في هذا الباب أدبيات مهمة كمّاً وكيفاً، وهي بارزة للعيان، مما يدعونا إلى طرح سؤال كنا قد طرحناه: إن كان الفصحاء أو دعاة الفصاحة يخطئون الفصحاء، فما عسى أن تكون أصول الفصاحة؟ [18] وكلّنا نأمل أن يتجاوز اللسانيون المحدثون هذه المقولة

إلى اقتراح مناهج وآليات جديدة قد عوضها، بعضهم على ما يبدو، بمفهوم لا يختلف عن "لا تقل بل قل"، وهو مفهوم "الرقابة"[19] والمراجعة والمتابعة... [20] إلخ.

والملاحظ في هذا الشأن أن الإشكاليات (1) و(2) و(3) السابقة، كانت غالباً من مبادرات الأفراد الدارسين أكثر منها من مبادرات المؤسسات المتخصصة، مثل المجامع اللغوية.

(4) منهجية الإنكار والإقرار: وهي منهجية تبدو لنا سائدة في مقاربة مجمع القاهرة لهذه الظاهرة التي عني بها أحد أعضائه الأولين، وهو أحمد العوامري [21] الذي كان معنياً بآثارها في النصوص التربوية بمختلف مستوياتها. ولقد كلف بها المجمع لجنة متخصصة تدعى "لجنة الألفاظ والأساليب" التي زودتنا [22] بنماذج صوتية وصرفية، ونحوية ودلالية وبلاغية وأسلوبية، مما يشهد بعناية المجمع بهذه الظاهرة الزاحفة المنكورة مبدئياً، لأن ذكرها "لم يرد في المعاجم العربية القديمة" حسب تعبير المجمع نفسه [23] وهي من نوع: **أمسية مخففة الياء، والبرمجة، والجدولة، والمنهجية، وجمع نية على نوايا، ونشاط على أنشطة، والمرفقات، والمواصفات، ورصد ما لا، وصارت المفاوضات خطوة خطوة، وصاروخ أرض أرض، وصاروخ جو جو، ولعب الكرة، والاستشعار من بعيد، وحبذا لو رضيت، وشباب واعد** [24]**...إلخ. وكلها مفاهيم منقولة عبر الصحافة العربية من اللغات الرائدة، ولا سيما الفرنسية والإنجليزية.**

ولقد جاءت مذكورة كذلك في المعجم الوسيط الذي وضعه مجمع القاهرة، وأشار إليها بين قوسين في مداخله، تحت عنوان"محدثة"[25].فهي تكون رصيداً [26] مهماً يدل على منـــزلة هذه الظاهرة التي سعى المجمع إلى جمع أنواعها المختلفة، موحياً أنه غير ملتزم بها مبدئياً إلى حد إنكارها أساساً، قبل أن يبت في أمرها وإقرارها، أو رفضها حسب منهجية تتمثل في:

- تخصيص دراستين جدليتين فأكثر لها، تجيزها أو ترفضها في نطاق القواعد اللغوية التراثية القياسية، ولو بتعسف.
- إرضاخها إلى عنصرين من عناصر مقولة " لاتقل بل قل" وهما التصويب والإجازة.
- تسخير اللغة لأن تستفيد من معينها الذاتي القديم، باعتماد المجاز في غالب الأحيان لاستيعاب مفاهيم، هي من صميم العالم الحديث ورؤاه الجديدة، حتى وإن أخفق ذلك المجاز في التعبير عنها [27].
- السكوت المقصود على أنها مفاهيم مترجمة عن لغات أخرى، من حق القارئ العربيّ أن يدرك منـــزلتها من الفكر العربيّ والدوليّ، ومن قضاياها ومناخها ومهادها وأهدافها.
- الإيهام بأن الاستعمال الجديد، لا يدخل معجم اللغة العربية، ولا توفر له تأشيرة للاستيطان به باعتبار جدته وتخصصه، الطارئين على الذهنية العربية.
- تأكيد ضرورة العودة إلى سلطة أهل الذكر والمتخصصين للبت فيها، على حساب تزكية الاستعمال الشائع [28] المطرد والغالب، مثلما تفعل أغلب المجامع المعاصرة ولغاتها الرائدة، لا سيما وأنّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة كثيراً ما يقرّ في نهاية الأمر أغلبية النماذج المدروسة [29]، وذلك من حسن حظ لغتنا، التي تستوجب منهجية أخرى للإقرار والإجازة [30]. ولا

شك في أن هذه المنهجية لا تسلم من النقد والتجريح. ومن ذلك:

– استغراب الذهنية العربية المتعلمة والمثقفة من هذه المقاربة التي تصر على إقرار المثال الجديد، انطلاقاً من النموذج القديم.

– تجاهل مقولة "الاستعمال محكم" التي نادى بها محمد كرد علي، الرئيس الأول للمجمع العلميّ العربيّ بدمشق، مجمع اللغة العربية بدمشق اليوم، ولا سيما إذا كانت مركزة على الشيوع والاطراد، وهما من أسس القياس الغالب [31].

– غياب كل مقاربة وصفية، وإحصائية للظاهرة المعنية، حسب ميادين معينة تفرضها أسباب مقنعة، فالأمثلة المعروضة الجزئية والطارئة، لا تحيط بالمئات بل بالآلاف من الألفاظ والأساليب المستعملة في المعاجم الثنائية الاستشراقية (انظر الملحق رقم 1)، والتي لم تذكر في قائمة ما درس منها وما أقر، فضلاً عن أننا لا نعلم المبررات الداعية إلى اختيارها دون غيرها.

– انعدام كل ما من شأنه أن يؤرخ لتلك الاستعمالات من ألفاظ وأساليب، انطلاقاً من نصوصها الأولى وواضعيها، إن أمكن، حتى نؤسس للمعجم الصحفيّ التاريخيّ العربيّ الذي يعتبر جزءاً مهماً من المعجم التاريخيّ العربيّ العام.

– اعتماد حجج واهية أحياناً لإقرار البعض منها، قياساً واستعمالاً، مما يؤول، بعملية الاحتجاج لها، إلى مجرد إجراءات روتينية غير مقنعة.

– التهاون بمرحلية الترجمة ومختلف مترادفاتها التي تتأثر باللغة المصدر المترجم منها، وبالقطر العربيّ المترجم لها. فمصطلح "كمبيوتر" قد نقل إلى العربية الحديثة بمصطلحات مختلفة منها: "كمبيوتر" وحاسب إلكتروني" و"محيسب كهربائي" و"رتابة" و" نظامه" و"حاسوب" و"حسوب"... إلخ، وهي خليط من الدخيل والمعرَّب والمحدث، فكيف العمل على أساس ما طرحنا من قضايا وإشكالات حتى تحظى لغة الصحافة بالمنـزلة التي تستحق من تعريب التعليم العالي ومن معارفنا وعلومنا اللغوية وغيرها، ومعاجمنا طبقاً لمتطلبات اللسانيات الحديثة؟

III– تجربة الرائد التونسيّ [32]

إنّ القضايا السابقة وما إليها من إشكاليات، قد أوحت إلينا بمشروع لغويّ معجميّ حضاريّ مركز أساساً على الصحافة، ولا سيما الرسمية منها، اعتماداً على منهجية مبررة، بغية الإسهام في جمع [33] مادة الصحافة العربية ووضعها [34]، والتأريخ لها، وضبط نصوصها المؤيدة راجين أن ينسج على منوالها في أقطار عربية أخرى [35]، قصد المقارنة والاتفاق على قواعد لغوية، ومقاييس منهجية مبررة ومتطورة، تساعدنا على الاستفادة من رصيدنا اللغويّ الصحفيّ ومن عطائه الإيجابيّ المتحرك والمتطور.

فما هي أهم خصائص منهجية هذا المشروع ونتائجه؟ لقد ارتضينا أن نركزها على ما يلي:

(•) **المثال المدروس**: إن دراسة لغة الصحافة تستوجب اختيار مثال "مرجع" تجمع منه اللغة حسب رأي ابن منظور، وهو ما يسميه اللسانيون المحدثون بالمدونة [36] التي من شأنها أن تحيط نصوصها، مكاناً وزماناً، كمّاً وكيفاً، بتلك اللغة نسبياً، دون إهمال ولا إسقاط ولا تكرار، على غرار تقليبية الخليل بن أحمد المثلى. ولا شك في أنه لا يوجد "جمع" أو "مدونة"

مثالية، دون أن يمنع ذلك من أن تلتزم كل "مدونة" بالضرورة بمواصفات مبررة ومقنعة.

ولقد ركزنا مدونتنا على صحيفة الرائد التونسيّ التي أصدرتها الدولة التونسية المستقلة قبل الاحتلال الفرنسيّ لأنها:

1) أول تجربة صحفية عربية تصدر مبكراً بتونس. ولقد تواصل صدورها من سنة 1860 إلى سنة 2000 وما بعدها، فيكون عمرها قد بلغ 140 سنة، منها 21 سنة بالعربية، و 119 سنة بالعربية والفرنسية. وقد أصبحت تدعى في العهد الاستعماريّ **بالرائد الرسميّ التونسيّ، ثم الرائد الرسميّ للجمهورية التونسية** بعد عهد الاستقلال بقليل. ولقد استقرأنا في خطوة أولى، نصوصها من 1860 إلى 1900م.

2) وثيقة أساسية تبرز، من خلال مواضيعها، أهم مشاغل البلاد في قسمين بارزين منتظمين، أحدهما قسم رسميّ، والآخر غير رسميّ، ويعنى الأول بالقضايا القانونية والإدارية، والفنية والسياسية والعلمية والاقتصادية والحضارية... إلخ، والثاني إخباري، يعنى بالأحداث الدولية والثقافية، والإعلانات الشرعية، والإشهارات التجارية. ولقد تم فصلهما في الإصدارات الحديثة [37].

3) مرآة تعكس رؤى تراثية وتحديثية متزاحمة ومتنافسة أحياناً، لمواجهة تحديات العصور الحديثة، ومواكبة تيار التطور والتقدم. فهي تمثل تجربة تعريبية مبكرة، مطبقة ومتواصلة، تعبر عن تعلق الدولة التونسية باللغة العربية أداة حضارة وتطور، والجدل قائم فيها بين شرائح نخب البلاد الأحادية اللغة وثنائيتها، أمام مؤهلات الذهنية اللغوية العربية بتونس، لاستيعاب ظواهر التغيير والتطور.

4) مخبر من أحسن المخابر التي تيسّر، بالمثال المطبق المتنوع والمكثف، رصد محاولات العربية للتآلف، صيغاً ودلالات، وتراكيبَ وأساليب، مع مصطلحات العصر ومفاهيمه، مواكبة لتياراته ورؤاه ونظرياته.

5) ميدان خصب لحوار اللغات من خلال عملية الترجمة وقضاياها الزاحفة التي تواجهها العربية من موقع اللغة المستهدفة التي تأخذ أكثر مما تعطي، مع الطمع في الوصول إلى موقع اللغة المصدر الرائدة.

ولا شك في أن تسمية هذه الصحيفة **بالرائد** تهدف أساساً إلى تعلق الساهرين عليها، دولةً ونخبةً، بدور الصحافة في التعبير عن المظاهر الحضارية الحديثة ونشرها بالعربية بين المستفيدين منها من أغلب جميع الشرائح.

(••) **خصائص الاستقراء**: وتتمثل في:

1) الوصفية: ومفادها استقراء كل المفردات والتراكيب والأساليب، وقد بلغت ما يقرب من 4000 مدخل معجميّ، كما جاءت في النصوص الرسمية أساساً، وكذلك في النصوص غير الرسمية، من دون أن نصوبها إذا كانت خاطئة، ودون أن نغيرها لسبب من الأسباب، قبل أن نصف ونحلل طرق وضعها، ونستخلص مبادراتها، مهما كان مستواها من السلب والإيجاب، في التعبير عن مختلف الأحداث التي ينتسب أغلبها إلى مظاهر جديدة من الحياة الاجتماعية ببلادنا.

2) إدراج المصطلحات والمفاهيم الصحفية في مداخل متنوعة ليتكون منها معجم وصفيّ توثيقيّ، سياقيّ تاريخيّ. ومعنى ذلك أن تلك **المداخل** (ج.مدخل) التي عبرنا عنها كذلك بمصطلح "**المعيجمة**" [38]، يمكن أن تكون مدخلاً مفرداً بسيطاً

(**معيجمة بسيطة**) مثل فرس، طائرة، حسوب...إلخ، أو مدخلاً مركباً (**مُعيجمة مركبة**) مثل: فرس بحر، أكسيد الكربون، حيص بيص... إلخ، أو مدخلاً معقداً (**معيجمة معقدة**) مثل: حمض هيدرو فيرسيانيك [39]، أو تشوه إبراق متساوي الفترات الزمانية [40].

ويلي تلك المداخل بأنواعها **نصها المعجميّ** المتكون هنا من تعريف المعنى تعريفاً سياقياً في مرحلة أولى، مع ذكر تاريخ وضعه، ونشره بالرائد التونسيّ، والإشارة إلى عدد الرائد وسنته وصفحته. ولا شك في أن ما يتميز به هذا النص المعجميّ، أنه يختلف عن النص المعجميّ بالمعجم العام، وينتسب إلى نص المعجم الصحفيّ المختص الوصفيّ المؤرخ، طمعاً في وضع المعجم الصحفيّ العربيّ الذي يعتبر رافداً من روافد المعجم التاريخيّ العربيّ العام [41].

وتشمل **تلك المداخل، المداخل العربية الأصل، ثم المداخل المعرَّبة والدخيلة والعربية التونسية المحضة، سواء القديمة منها أو المحدثة، الواردة في الصحافة العربية، وبالأحرى الواردة منها بالرائد التونسيّ في مرحلته الأولى من سنة 1860 إلى 1900، في انتظار مواصلة المشوار إلى حدود سنة 2000.**

وللقارئ أمثلة عن مداخل المعجم الصحفيّ المذكور (انظر ملحق رقم2)، مع ملاحظة أنه يمكن أن نعيد نفس المدخل أكثر من مرّة، لأنّه يزودنا بمعلومات جديدة، يمكن في مرحلة لاحقة أن ندرجها تحت مدخل واحد عام، إثراءً للخطاب المعجميّ المعاد [42].

3) المسح الكامل والشامل حسب المستطاع لكل المفردات والتراكيب، والأساليب الصحفية الجديدة التي لا تنتسب، صيغة ودلالة وتركيباً... إلخ، إلـى رصيد المعجم التراثيّ أو المعاصر العام التقليديّ. ويدخل في ذلك على وجه الخصوص ما هو من محض الترجمة الموفقة أو المتوسطة أو الهزيلة من الفرنسية إلى العربية لمتابعة حظها من الصواب والشيوع والرسوخ في اللغة، باعتبارها ظاهرة تستحق النظر للحكم لها أو عليها.

ويشمل هذا المسح كل أجزاء صحيفة الرائد التونسيّ، التي تصدر مرتين في الأسبوع و8 مرات في الشهر، وبمعدل 104 أعداد في السنة الواحدة. وليس من المفروض أن يأتي ذلك المسح بغنيمة وافرة ومضمونة في كل قراءة، لأن كثيراً من المفردات والقوانين والإعلانات والإشهارات، تنسب إلى الرصيد المعاد الذي لا يأتي بجديد.

ولا شك في أن لكل معجم مؤيداً وخصماً، وما لهما من حجج وحجاج، سنعرض لهما لاحقا. وقد بادرنا بالاستدراك على الأخطاء المطبعية وترتيب بعض المداخل... إلخ .

IV- استنتاجات المرحلة الأولى:

إننا مدينون لكل القراءات، سواء أكانت إيجابية أم سلبية— إن إلتزمت بحدود آداب النقد- لأنّها نبهتنا إلى الأخطاء المطبعية، وتَنَقُّل مداخل من مواقعها، وقد أصدرنا في ذلك استدراكاً أدرجناه بطبعة معجمنا "معجم المفاهيم الحضارية" الذي نعتبره محاولة تجريبية أولى لا بد منها، استفدنا منها كثيراً، لا سيما فيما يتعلق باستنتاجات هذه المرحلة من مقاربة لغة الصحافة منهجاً، وكمّاً وكيفاً.

فنذكر من تلك الاستنتاجات التي لا بد أن نأخذها بعين الاعتبار والدرس، والتحليل والمعالجة ما يلي:

1/ المداخل المسجلة بمعجمنا والمأخوذة من الرائد الرسميّ، قد بلغت ما يقرب من 4000 مدخل من ميادين إدارية وقانونية، وعلمية وتقنية وثقافية واجتماعية... إلخ، جديدة في مبناها ومعناها.

2/ أغلب المفاهيم الواردة في المداخل المعنية، مأخوذة من الغرب، وجلها مترجم عن الفرنسية أو متأثر بها. وهي تعبر عن آفاق الرسالة الحضارية الحديثة التي دعا المصلح خير الدين التونسيّ شعبه إلى العناية بها في أطروحته التحديثية، " **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"** سواء باقتباسها من الذات والحداثة، أو تآلفاً مع نظام الحماية الفرنسية، والثورة الصناعية الزاحفة. ولقد أسس الرائد التونسيّ لبلوغ تلك المقاصد التي لا ذكر لها بالمعجم التقليديّ.

3/اللغة المعتمدة في الأغلبية الغالبة من المصطلحات والمفاهيم هي من صميم العربية الفصيحة الحديثة، الميسرة والبسيطة، الرامية إلى تبليغ محتواها إلى أكبر عدد من الأفراد، تعميماً لمعانيها وأهدافها، وتطبيقاً لقوانين الدولة العصرية ونظمها، ولذلك جاءت خالية من المحسنات البديعية، والتعقيدات الأسلوبية والأدبية. وتغطي هذه العربية نسبة99% أو أكثر من مداخل معجمنا، إن قسنا ذلك بما جاء منها بعينات من تلك المداخل الغالبة، وهي حروف الجيم والدال والراء، والعين والنون. وبالتالي فهي تكاد تصالح بين العربية المكتوبة والعربية المنطوقة، مما لا يتناسب بالضرورة، في مبناه ومعناه، مع لغة النخبة الأدبية الانتقائية.

4/ المعرَّبات والدخيلات الواردة منها قليلة في المداخل الرئيسية. فلقد وردت مثلا الجرناطة والجرنال، والجنرال والجرنالات، والجنرال من حرف الجيم، ودراوباك، والديمكرات، والديمكراسية من حرف الدال، وريال، وريال دورو من حرف الراء، والناترون والنمرة والنومروات، ونيترات السودا ونيشان ونيشان هميونِ، ونمليست من حرف النون.

وهي لا تمثل في مجموعها أكثر من 1 في المائة من مجموع معجم الصحافة، مما يشهد على حرص محرري الرائد من شيوخ ومدرسين، ومترجمين وصحافيين وإداريين حدثيين على خيار العربية أرضية للتحديث، دون إقصاء المعرَّبات والدخيلات الضرورية بقدر.

5/ الاستعمالات العربية بمفهومها التونسيّ المحليّ حاضرة بنصيب يستحق الاعتبار. فلقد جاء منها التبريز (شهادة علمية) البزيم العياريّ (الإبزيم المعياريّ) التكية (رباط العجز)، المجبي (المجموع من المال)، البوليصة (سند الحساب)، التجريبات الكتابية والشفاهية (الامتحانات)، الجائحة (الفاقة)، حجة الفقر (شهادة الفقر)، الحريم الحربيّ(المنطقة الحربية) استحصال المداخيل (أي استخلاصها)، الحاضرة (العاصمة)، الحومة (الحيّ)، الخماس (العامل الفلاحيّ بالخمس)، دخان السبسي (تبغ الغليون)، الربض والربط (المربض والرباط بمعنى الحي)، مرتحلون (مسافرون)، السوقاية (تجار السوق)، الشكاية (الشكوى)، شايط (فائض)، الصابة (النتاج الزراعيّ الوافر)، المضاربة (المشاجرة)، التطويع (شهادة ختم الدروس الثانوية بجامع الزيتونة وتقابل تقريباً الباكلوريا بالمدرسة الثانوية الحديثة)، عسة (حراسة)، عامل (وال، محافظ)، والصارمية من الدراهم أي الصريم منها والمجموع، كاهية (نائب)، الكراكة (السجن)، الكيالة (المكتالون)، المونة (المؤونة)، النازلة النوازل (القضية القضايا العدلية)، النازلة الشرقية (القضية أو

المسألة)، النصبة (إطار منصوب لبيع الخضر وغيرها)، المستوطنون (السكان)... إلخ. وهي في جلها من أصل عربيّ مستعمله استعمالاً محلياً يعود لأسباب بيئية أو اجتماعية، أو ناتجة عن الاقتراض اللغويّ، أو عن الترجمة وإشكالياتها كما سنرى.

ولا غرابة أن يكون لتلك المحلية العربية التونسية شأن ما دام يعبر بـــ: بطيخ (مصر) وجح/بح(الخليج)، وجبس (سوريا)، ودلاع (المغرب العربيّ)، ورقي (العراق)، وسندي (الكويت) عما هو معروف بـــ (Pasteque) بالفرنسية و (Water Melon) بالإنجليزية. والغريب في هذه المصطلحات المحلية الدالة على مفاهيم مستوردة، أنها تراثية الأصل قد خرجت من الاستعمال المعاصر في كثير من الأقطار العربية. فالتكية كانت رباطاً للصوفية، والمجبى ما يجبى من الخراج، والجائحة المصيبة، والحجة الرسم المثبت، والدخان تعبيراً عن التبغ يسمى بدخانه، والعسة الحراسة الليلية أساساً، ومنها العسّاس للمبالغة، وهو الحارس، وعامل بمعنى والٍ... إلخ، مما يشهد بجهود صحافيي الرائد التونسيّ ومترجميه وحرصهم على التميز، وربط صلة الرحم بين الماضي والحاضر بمصطلحات تتفق فيها اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة اليومية بتونس. وتلك لعمري مهارة تستحق التقدير، وتدرج لغة الصحافة في مستوى الإبداع والوضع، والتحديث والتطوير اللغويّ، فضلاً عن ظاهرة انقراض دلالات من الاستعمال، أو زحزحتها عن معانيها الأصلية في أقطار أخرى غير تونس التي ظلت حريصة على المحافظة على التراث لتوظيفه من جديد، مما يتطلب دراسة لغوية اجتماعية لتفسير ذلك وتخريجه.

5/ نسبة المداخل المفردة، كما هو الشأن في كل اللغات، غالبة في معجمنا على المداخل المركبة أو المعقدة السائدة اليوم في التقانات (التكنولوجيات). فلقد بلغت 62 مدخلاً مفرداً، و33 مدخلاً مركباً، و7 مداخل معقدة، إن أخذنا بعين الاعتبار مداخل حرف الباء من معجمنا، مما يفيد أن أصحاب الرائد كانوا على وعي من أن المصطلحات الحديثة ومفاهيمها المستوردة والمترجمة متنوعة، وتستوجب مقابلات من نوعها بالعربية حتى تؤدي مقاصدها في الحياة اليومية وليمثل لها كما هي مركبة ومعقدة، وإلاّ انعدم معناها إن فصلنا بين أجزائها. **فالفرس يختلف عن فرس البحر والحمض يختلف عن حمض هيدروحديد وسيانيك كما أقره مجمع القاهرة.**

6/ قضايا الترجمة: وهي كثيرة، سنقتصر على عينات منها، فمن ذلك:

أ) أغلب مصطلحات الرائد ومفاهيمه منقولة عن مقابلاتها الدولية، وبالأحرى الفرنسية عموماً. فمن ذلك التبريز للتعبير عن شهادة (Agregation) الفرنسية التي لا مثيل لها في العالم الجامعيّ الدوليّ، والدولة الحبيبة (Etat Ami) والدولة الفخيمة (La Grade Puissance) والتسعيرة (Le Tarif) ، والضمانة (La Garantie)، وقيمة المعاش (Le Cout de la vie).. إلخ. ولقد تطورت ترجمتها، فأصبحنا نقول مثلاً: الدولة الصديقة، والدولة العظمى، والضمان الاجتماعيّ، ومنها ما ظل على حاله مثل التبريز التونسيّ الفرنسيّ البحت.

ب) الترجمة تأتي في غالبها ترجمة مباشرة، لا تسلم من السطحية. ومثال ذلك التجريبات الكتابية والشفاهية

من الفرنسية (Epreuves Ecrites et Orales)، باعتبار أن (Epreuve) تعني الامتحان وفيه محنة، وقد تغلب مصطلح "الامتحان" الذي تجنبه الرائد نظراً لوقعه النفسيّ على ما يبدو. ومن هذا القبيل السعر المتهاود (Prix en baisse)، وإن كان تهاود غير مثبت في المعجم الوسيط وقد أوهم أنه من هاد، والجنود السواقط (Soldats infirmes) ويعني بهم المعوقين جسمياً. وتنسب هذه الترجمة إلى ما يدعى بالنسخ (Calque) عموماً، وستظل مستعملة في الرائد إلى اليوم. فمن ذلك "كراس التحملات" (Cahiers des Charges)؛ أي كراس الشروط الذي استعمله الرائد كذلك. وجاء في الرائد: التأسيسات الدولية (Institutions Internationales) التي تدعى اليوم بالمؤسسات الدولية، والفاعل والفَعَلة تعبيراً عن العامل أو العملة حتى لا تختلط بمفهوم الوالي والولاة والمحافظ والمحافظين القديمين أو المشرقيين المتأثرين بالإنجليزية.

ج) الترجمة الأنيقة الصائبة المجددة التي لا تعود بالضرورة إلى الرصيد التراثيّ، ومنها: البراحات، ومجلس الشورى، ومجلس النواب، والدخل والخرج، والإرسالية، والمسطور، والمشاهرة (شهرياً)، والمعدم، والتعطيل، والاستعفاء (الإعفاء). وهي مصطلحات اقتصادية وسياسية وإدارية ودبلوماسية وقانونية جديدة وغالبة في الرائد التونسيّ الذي تميز بهذه الظاهرة.

د) تعطيل الترجمة: ويحدث ذلك عندما تستعصي المفاهيم على الصحافيّ المترجم، ولا يجد فيها مقابلاً مخرجاً، سواء أكان تراثياً أم مجازياً، أو تقريبياً في الذهنية الحضارية العربية، قديماً وحديثاً، فتتزاحم عليه المعرَّبات والدخيلات التي ستنقل نقلاً صوتياً مشوهاً في غالب الأحيان،فمن ذلك أفوكاتو [43] (Avocat) وأفوكات ج.أفوكاتية، وفوكاتوات وبانكير (Banquier)، وبريقادية، (Brigadier) وبُوليتيكية (Politique) وتريبُونال (Tribinal)، وتلغراف (Telegraphe)، وتلغراف تليفونيّ، "شفاهيّ" (Telegraphe Telephoné)، وتليسكوب (Telescope) وتيوكراسية (Théocratie) وكنترباند (contre bande)،وكونستيتوسونية (constutution)، وكونفرنسيونات، (conférences) ولجيون دونور (legion d'honneur)، وليبر براتيك (Libre pratique) ونهيلست (Nihilistes)... إلخ، ولقد عُرِّب جلها فيما بعد، وتجاوز ذلك التعريب نقلها الصوتيّ الحوشيّ إلى وضع معرّبات ودخيلات، منها ما يخضع للأوزان العربية ومنها ما يوازيها: مثل فلم أفلام،ودكتور دكاترة،وتلفزيون وتليفون، وأكسجين، ...إلخ.

هـ) مرحلية الترجمة والنقل: تبين الأمثلة المستقاة من تجربة الرائد التونسيّ العميقة، والطويلة والمتأصلة، أنه كان للصحافة، ولا سيما المتينة منها والملتزمة، دور فعال في تطوير اللغة العربية، وتعريب العلوم، مواكبة لعلوم العصر وفنياته وتقاناته (تكنولوجياته)، فهي تكون مثالاً شاهداً على طبيعة العملية وما يعترضها من عراقيل، وما تستلزمه من معطيات، وما تتطلبه من منهجيات ومرحليات، تقر أن الترجمة ترجمات ومفيدة بأمرين.

- غياب الفكر العربيّ ونتاجه من منظومة العلوم والتقانات (التكنولوجيات) الحضارية الرائدة مما ينـــزله منـــزله المترجم المستهلك الذي يلهث وراء سد فراغات

وثغرات اصطلاحية ومفهومية شاسعة، لم توضع في شأنها إلى اليوم دراسة وصفية وإحصائية للاستدراك وطنياً وقومياً على ما فات، وذلك من خلال مشروع قوميّ منظم.

- الاقتناع بأن تجاوز تلك الهوة يفترض أن الترجمة الجيدة، تمر بثلاث محطات ضرورية:

1- التبعية والاقتراض، ويتولد عنهما الترجمات المباشرة، أو المعربة والدخيلة التي تكثر فيها المترادفات.

2- البحث ما أمكن عن البديل الواحد أو الثنائيّ على أقصى تقدير، سواء أكان تراثياً أم حديثاً.

3- اختيار المصطلح المقيس المبرر من خلال مدونات عربية مقارنة، تنطلق من ميادين مختلفة، ومنها المدونة الصحافية التي انطلقنا منها، والتي بينت، سواء في مستوى الرائد أو في مستوى "الألفاظ والأساليب" المجمعية القاهرية، أنها كانت صائبة في جلها، مما تشهد به تزكيتنا لجملها في مجمع القاهرة. وذلك دليل على إسهامها في قضيتنا والتي تستحق التقدير.

الاقتراحات :

1- إدراج مصطلحات الإعلام بأنواعها في اهتمامات المنظمات العربية المتخصصة وفي مقدمتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والجامعات والمؤسسات المتخصصة.

2- تخصيص دراسات مفردة لأهم الصحف العربية الرسمية، مثل الرائد التونسيّ لاستقراء لغاتها والاستفادة منها في دراسة وصفية مقارنة أولى، لاستخلاص مشتركها ومختلفها من المفردات والتراكيب والأساليب.

3- تنـــزيل لغة الصحافة، مصطلحات ومفاهيم بجميع أنواعها وميادينها، معيناً أساسياً لوضع المعجم العربيّ المعاصر، وجزءاً لا يتجزأ من مصادر المعجم العربيّ التاريخيّ، مع توحيد مداخله حسب منهجية التقييس [44] التي دعونا إليها من زمان، دون أن تطبق رغم دعمها وتأييدها في ندوات مكتب تنسيق التعريب[45].

4- وضع المعجم المؤرخ للغة الصحافة العربية والمتخصص، انطلاقاً من مختلف معاجمها الوطنية.

الملحق رقم : 1

"المحدثات" التي أدرجها مجمع القاهرة في حرف الباء من المعجم الوسيط: [1]

أ/ أدبيّ (ص 9) إذن (ص12)- أرضية (ص 14) – أشّر (ص 19).

ب/ عددها : 7 "محدثات"

جـ/ نسبتها من 945 مدخل من حرف الباء: 00.945 في المائة.

د/ نصها المعجميّ مقارناً في ثلاثة معاجم [2]: المعجم الوسيط – معجم المنهل لروحي البعلبكي- ومعجم السبيل لدنيال ريغ.

ولقد ركزت المقارنة على : أدبيّ – إذن – أشّر

المعجم الوسيط	معجم المنهل	معجم السبيل
I- الأدبيّ : يقال فيه أدبية : تقدير معنويّ غير ماديّ – ومنه مركز أدبيّ، وشجاعة أدبية وكسب أدبيّ – وموت أدبيّ.	أدبيّ: أخلاقيّ، معنويّ، واجب أدبيّ – نقد أدبيّ	أدبيّ: ضغط أدبيّ – التزام أدبيّ- حركة أدبية – ملكية أدبية- اسم أدبيّ – نقد أدبيّ- قيمة أدبية –لغة أدبية- أدبيات- أدبياتي.
II- الإذن: إذن البريد: ورقة مالية تتعامل بها مصلحة البريد لا تتجاوز جُنيهاً أذون. ويقال في الاستئذان: بإذنك وعن إذنك.	إذن: إجازة، رخصة -إذن بالغياب- إذن البريد (ج. أذونات البريد) –إذن بالخزينة–بإذن الله.	إذن ج. أذون – إذن إقامة إذن الخروج – إذن التغيب – إذن بالإقلاع- بإذن الله- إذن بالصرف- إذن بالطبع- أذون الخزينة.
III- أشّره: الكتاب: وضع عليه إشارة برأيه	غير واردة في هذا المعجم	أشّر تأشيراً، تأشيرة، تأشيرات، على جواز السفر، تأشيرة مرور- تأشيرة دخول – تأشير هامشيّ.

ملاحظات:

1- المحدثات، وإن كانت قليلة، تتكيف حسب اختيارات المعجم ومنهجياته، من حيث الإقرار والإسقاط في مستوى الجمع والوضع.

2- تعبر عن مفاهيم جديدة تستحق الاعتبار من حيث اختلافاتها كمّاً وكيفاً حسب مقاربة كل معجم.

1) مجمع اللغة العربية بالقاهرة- المجم الوسيط، طبعة 1960.

2) معجم المنهل لروحي البعلبكي ، بيروت، 1993، معجم السبيل لدنيال ريغ 1983.

3- تكون في مجموعها ثراء للمعجم الصحافيّ العربيّ المختص ومنه للمعجم العربيّ العام.

4- يبدو المعجم الاستشراقيّ أكثر في نصه المعجميّ من غيره لأنه عول على النصوص الصحفية ولأنه نقل مفاهيم أصلها عربيّ من نصوصنا الصحفية العربية.

الملحق رقم (2)

1- د. محمد رشاد الحمزاوي – معجم المفاهيم الحضارية
2- وعرقل كسبه أمين التجار
3- 1 رمضان 1273
4- الرائد التونسيّ – سنة (2)-عدد 32 ص1

1) أمين صباغة
2) أمين صباغة بالحاضرة
3) 9 رجب 26/1310 يناير 1893.
4) الرائد التونسيّ –سنة (34)- عدد 4 ص1.

1) أمين على التجار
2) صدر الأمر العلي...بولاية... أميناً على التجارة.
3) 10 ربيع الثاني 1301/فبراير 1885.
4) الرائد التونسيّ – سنة (26)- عدد 15 ص 1.

1) أمين على الحمالة.
2) وصدر الأمر... بولاية ... أمينا على الحمالة ببنسزرت.
3) 29 محرم 29/1301نوفمبر 1883.
4) الرائد التونسيّ – سنة (26) – عدد 5 ص2.

1) أمين على الخضر والعود الرقيق
2) صدر الأمر... بولاية ... أميناً على الخضر والعود الرقيق بباب البحر.
3) 20 صفر 20/1301 دجمبر 1883.
4) الرائد التونسيّ – سنة(26) عدد 8 ص 2.

1) أمين على السراجين
2) صدر الأمر... بولاية... أميناً على جماعة السراجين بالحاضرة.
3) 21 محرم 4/1303 شتمبر 1886.
4) الرائد التونسيّ سنة (32)- عدد 3 ص1.

1) أمين على السوقاية
2) أمر علي... بولاية أمين على السوقاية بالحاضرة.
3) 5 صفر 12/1303 نوفمبر 1885.
4) الرائد التونسيّ – سنة (28)- عدد 5 ص 1.

1) أمين على الشواشية
2) صدر الأمر العلي... بولاية... أميناً على الشواشية.
3) 10 ربيع الثاني 7/1301 فبراير 1884.
4) الرائد التونسي – سنة (26)- عدد 15.

1) أمين على صناعة الحاكة.
2) صدر الأمر العلي .... بولاية... أميناً على صناعة الحاكة.
3) 7 جمادى الثانية 3/1301 أفريل 1884.
4) الرائد التونسيّ – سنة (26)- عدد 23 ص1.

1) أمين على صنايعية السفن والفلايك
2) صدر الأمر... بولاية ... أميناً على صنايعية السفن والفلايك بصفاقس.
3) 20 صفر 20/1301 دجمبر 1883.
4) الرائد التونسيّ – سنة (26)- عدد 8 ص 2.

1) أمين على المعاش
2) صدر الأمر... بولاية... أمينا على المعاشر بباجة.
3) 20 صفر 20/1301 دجمبر 1883.
4) الرائد التونسي – سنة (26)_ عدد 8 ص 2.

1) أمين على الوزن.
2)صدر الأمر ... بولاية ... أمينا على الوزن ببلد المكنين.
3) 14 جمادى الثانية 10/1301 أفريل 1884.
4) الرائد التونسيّ – سنة (26) – عدد 24 ص 1.

1) أمين معاش
3. 16 شعبان 25/1277 فبراير 1861
الرائد التونسيّ – سنة (1) عدد 23 ص 1

1)دائرة المراسي
2)دائرة المراسي المتجرية والنظامات البحرية
3)1 رجب 1310 / 19 يناير 1893
4) الرائد التونسي – سنة (34) – عدد 3 ص 3

1)دائرة المراسي المتجرية والنظامات البحرية

2) (عنوان)

3) 19 شوال 1310 / 4 ماي 1893

4) الرائد التونسيّ – سنة (34) – عدد 18 ص 2

1) دائرة الغابات

2) صدر الأمر العلي ... بتسمية المحترم.... رئيساً لدائرة الغابات بطبرقة.

3) 9 ربيع الثاني 1306 / 14 يناير 1886

4) الرائد التونسي – سنة (23) – عدد 15ص 3

1) دوائر المراقبة

2) بمقتضى الأمر المؤرخ في 4 أكتوبر 1884 الصادر بتأسيس مراقبة مدينة فرنسوية بالإيالة التونسية وولاية ستة مراقبين مدنيين رتبنا دوائر المراقبة.

3) 30رجب 1302/ 14 ماية 1885

4) الرائد التونسي – سنة (27) – عدد 31ص 1

* دوائر

* انظر رؤساء دوائر الدولة

* الدورية

* انظر الصحف

* دورو

انظر ريال

1) دوش

2) يجعل للمارستان حمام تجاريّ وأحواض للماء المسخن والبارد ودوش

3) 13 صفر 1296 / 5 فبراير 1879

4) الرائد التونسيّ – سنة (20) – عدد 7 ص 2

1) الدولة

2) كل واحد من رعيتنا له الحق في سائر منافع الوطن والدولة

3) 16 شعبان 1277 / 25 فبراير 1861

4) الرائد التونسيّ – سنة (1) – عدد 23ص 1

1) الدولة

2) أعيان الأمراء وأرباب الدولة

3) 14 ربيع الأنوار 1302/ 20 دجمبر 1885

4) الرائد التونسيّ – سنة (27) – عدد 12 ص 1

1) الدولة الحبيبة

2) ... ورأينا أن كثيراً من الدول الحبيبة التي لها قناصل مكلفة بتعاطي شيء من الأحكام

3) غرة شعبان الأكرم سنة 26/1300 الأعجميّ و 7 يونية الإفرنجي 1883

4) الرائد التونسي – سنة (25) – عدد 30 ص 1

1) الدولة الفخمية

2) صدر الأمر العلي للمحترم... بتعاطي خطة كأمثاله من نواب الدول الفخمية...

3) 15 جمادى الأولى 18/1303 أفريل 1886

4) الرائد التونسيّ – سنة (28) – عدد 20 ص 1

* الدولة

* أنظر مجلس شورى

* الدولة

4) الرائد التونسيّ – سنة (20) – عدد 13 ص 1

1) قنصل جنرال

2) قنصل جنرال دولة إسبانية

3) 17 صفر 3/1277 اشتمبر 1860

4) الرائد التونسيّ – سنة (1) – عدد 4 ص 1

1) قناصل الدول

2) قدم لتهنئته ... قناصل الدول المتحابة

3) 3 محرم 1297 / 17 دجنبر 1879

4) الرائد التونسيّ – سنة (21) – عدد 1 ص 1

1) القنصلاة

2) صاحبة التخت الذي به القنصلاة المذكورة

3) 3 محرم 1297 / 17 دجمبر 1879

4) الرائد التونسيّ – سنة (21) – عدد 1 ص 2

1) قنصلاتو

2) صدر الأمر العلي ...بولاية سي ...ترجمانا بقنصلاتو إيطاليا

3) غرة المحرم 1301/ 1 نوفمبر 1883

4) الرائد التونسيّ – سنة (26) – عدد 1 ص 1

1) القنصلاتو الجنرال الفرنسوي

2) إن السفن الواردة من طرابلس الغرب للايالة التونسية لا تعطي لها حرية الجولان بمراسليها إلا إذا كان لديها شهادة من القنصلاتو الجنرال الفرنسوي بها

3) 26 صفر 1303 / 3 دجمبر 1885

4) الرائد التونسيّ – سنة (28) – عدد 8 ص 4

1) قناطر

2) (عنوان)

3) 17 جمادى الثانية 1310 / 5 يناير 1893

4) الرائد التونسيّ – سنة (34) – عدد 1 ص 3

1) قانون

2) الدولة السلطانية تعين قانوناً خصوصياً

3) 3 محرم 1297/ 17 دجمبر 1879

4) الرائد التونسيّ – سنة (21) – عدد 1 ص 3

1) القانونيّ

2) انظر الوكيل

1) **القانون الأساسيّ**

2) القانون الأساسيّ لممالك الدولة العثمانية (عنوان)

3) 2 محرم المحرم الحرام 1304/ 17 يناير 1877

4) الرائد التونسيّ – سنة (18) – عدد 1 ص 3

1) القانون المتجريّ

2) يرخص لمجلس الضبطية بالحاضرة قبول نوازل التجار من رعايا المملكة المتقدم تاريخها على تاريخ القانون المتجريّ الذي سيصدر

3) 16 صفر 1278

4) الرائد التونسيّ – سنة (2) – عدد 7 ص 1

1) قانون الجنايات

2) لما فرغ أعضاء المجالس في دراسة قانون الدولة وقانون الجنايات ... استأذنوا الحضرة العلية في حضورهم

3) 22 جمادى الثانية 1277 /4 يناير 1861

4) الرائد التونسيّ – سنة (1) – عدد 18 ص 1

1) قانون حرية الجرائد

2) الباب الأول والثاني من قانون حرية الجرائد

3) 28 ذو الحجة 1301 / 16 أكتوبر 1884

4) الرائد التونسيّ – سنة (26) – عدد 53 ص 1

الهوامش

1) محمد رشاد الحمزاوي: العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات. دار العرب الإسلامي – بيروت 1986، ص 11- 50 حيث الحديث عن (1) ضرورة مراجعة أصول الفصاحة، (ب) فصاحة الحدث الصحفيّ وأثرها الاجتماعيّ واللغويّ.

2) نفسه حيث نعرض لآرائها المختلفة في هذا الشأن –ولقد آزرتها دراسات أخرى لاحقة، سيأتي ذكرها في محلها من هذا البحث.

3) التقليب الخليلي يهدف إلى تقليب الصيغ الفعلية العربية الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية لاستكشاف الرصيد المعجميّ العربيّ النظريّ من مستعمل ومهمل.

فحصف الثلاثي يقلب إلى ستة وجوه: حصف–حفص– صحف– صفح– فحص– فصح. وكلها مستعملة وفيها تظهر الصلة بين الصحافة والفصاحة.

4) عند دي سوسير، يمكن أن يكون الترابط جذرياً مع التناقض مثل Société, Dissocier Dissociation/ Association. Associer أو دلالياً متقارباً مع متناقضاته مثل: Analphabetisme Pedagogie, Education, Enseignement ...إلخ، والطريقتان تهدفان في الحقيقة إلى ضبط الحقول المتولدة من الصيغة الواحدة أو من الصيغ وأضدادها. وبالأضداد تدرك الأشياء.

5- محمد رشاد الحمزاوي: الكون السيبرني أو وعد أم وعيد؟ جريدة "الصحافة 19 أبريل 2002". والسيبرنية علم يبحث في الصلة القائمة بين الإنسان والآلة، وما يتولد منها من أكوان افتراضية لا حد لها.

6) التضمين في العربية أن يُضمّن فعل معنى فعل آخر، فيحكم عليه بحكمه، ففي "سمع الله لمن حمده " عدي سمع بالحرف "لـ" لأن الفعل ضمن معنى استمع. و"للتضمين" دور كبير في تطوير اللغة وأساليبها، وهو ما يعبر عنه في اللسانيات الحديثة بمصطلح Connotation.

7- استعمل هذا المصطلح ابن حزم في منهاج البلغاء، وهو يفيد عدول المبدع عن الكلام العادي لغاية بلاغية. وهو ما يعبر عنه اليوم بـ Deviation – Ecart في اللسانيات الحديثة، وقد عبر عنه المحدثون العرب المحافظون بمصطلحات سلبية من نوع: انحراف، وتجاوز واختراق وانتهاك...إلخ.

8) إبراهيم اليازجي، لغة الجرائد (ب.ت) مطبعة مطر بمصر ص 2.

9) أديب مروة – الصحافة العربية: نشأتها وتطورها، بيروت 1961 ص 111.

10) ومنها الصحيفة والجريدة، والمجلة والافتتاحية، والسانحة، والعمود والبحث الصحفي، والحديث والتحقيق، والإعلان والإشهار، والكاريكتور. وأفضل عليه الكَرْبَكة ونشتق منها كريك، مُكرْبك، ومكَربك... إلخ، وأغلبها مترجمة عن مصطلحات فرنسية وإنجليزية لها معجمها المختص.

11) جاء في المعجم الوسيط: الناموس صاحب سر الرجل، والذي يطلعه دون غيره على باطن أمره من نَمس السّرّ: كتمه. فيجوز أن نقول عندئذ اجتمع رئيس الوزراء وناموسه للبت في قضايا عاجلة. ولقد تأثر واضع هذا المصطلح بمعنى السر الوارد في مصطلح Secretaire.

12) المسرة اسم آلة تحفظ السر، والمقْول كذلك لأداء القول أما الإرزير، فهو اسم حكاية تعبر عن رنة الهاتف.

13) محمد رشاد الحمزاوي: المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، دار الغرب الإسلامي ببيروت 1986 ص 67 حيث طبقنا منهجية التقييس على 10 ترجمات لمصطلح تليفون ففاز هاتف (34 درجة) يليه تليفون (28 درجة)، فاحتفظنا بهما تاركين للاستعمال البت بينهما.

14) الطيارة تبدو دارجة من العربية المنطوقة. إلا أنها صحيحة، إذ أن مصطفى الشهابي أجاز الحاصدة والحصادة، وصيغة المبالغة أصوب.

15) ولقد عربت بـــ: تمبيل وترمبيل وتوموبيل.

16) وهو ما يعبر عنه بالفرنسية La grammaire des fautes، وفيه مؤلفات كثيرة مفيدة.

17) جلال السيوطي: المزهر (ب.ت) ج/ 1/184- 208 حيث يعالج هذه القضية في منابعها القديمة.

18) انظر أعمال المصوبين واختلافاتهم وتجريح بعضهم بعضاً من أمثال أسعد داغر، ومحمد العدناني، وأحمد مختار عمر، والبر إيميل، والشيخ إبراهيم المنذر، والزعبلاوي، ممن برزوا في مقولة "لاتقل بل قل" ومناهاتها وتناقضاتها.

19) محمد رشاد الحمزاوي: العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات، السابق.ص 50.

20) عربية الصحافة: معهد الدراسات والأبحاث للتعريب – الرباط 1998، الذي لم يضف جديدا للمواقف التقليدية المحافظة، التي تستحق النظر.

21) أحمد العوامري: بحوث وتحقيقات لغوية متنوعة، مجلة مجمع القاهرة، 1/138-169 - 2/256-292، 3/254-276.

22) مجمع اللغة العربية بالقاهرة: كتاب الألفاظ والأساليب- ج2- القاهرة 1985؛ 322 صفحة.

23) نفسه ص 12 حيث قيل في شأنها " لا وجود لها في المأثور من المعجمات اللغوية".

24) نفسه ص 315-322 الفهرس التفصيلي الذي يعالج فيه 90 تصويبا وإجازة.

25- مجمع اللغة العربية بالقاهرة – المعجم الوسيط 1960 ج 14/1.

26- الألفاظ والأساليب: ص 59-63 حيث الجدل في شأن إجازة: الرصد، والرصيد، ورصد مالا.

27) مجمع اللغة العربية بالقاهرة: كتاب الألفاظ والأساليب السابق، ص 59 (رصد مالا)، ص 139 (أكد على...)، وانظر محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي: إشكالات ومقاربات، بيت الحكمة تونس ص 113-136: مكانة مخصص ابن سيده من المعجمية العربية المعاصرة.

28) وقد دأب على المنهج أكاديمية اللغة الفرنسية العريقة.

29) مجمع اللغة العربية بالقاهرة: كتاب الألفاظ والأساليب السابق، حيث تزكية جل لغة الصحافة وأساليبها.

30) النماذج المدروسة، لا تخضع لأية منهجية في الاختيار، أو الإحصاء المغبونين.

31) أقر مجمع اللغة أن القياس والغالب والمطرد والأكثر واحد. وذلك ما سبق أن أيده أبو عمر بن العلاء الذي قال "أقيس على الأكثر".

32) محمد رشاد الحمزاوي: معجم المفاهيم الحضرية. مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية. تونس 1998-347 ص، المخصص للغة الصحافة من خلال صحيفة الرائد التونسي الصادرة سنة 1860.

33) "الجمع" من مصطلحات ابن منظور في لسان العرب، ويعني به المراجع المعتمدة لجمع مادة معجمه وهي خمسة: التهذيب

للأزهري، والمحكم لابن سيده، والصحاح للجوهري، وحواشي ابن بري على الصحاح، ونهاية ابن الأثير الجزري.

34) "الوضع" من مصطلحات ابن منظور في لسان العرب، ويعني به ترتيب مادة المعجم.

35) نشير هنا إلى دراسة لغة "الواقع" المصرية التي يمكن أن نفيد منها كثيراً، لو طبق عليها المنهج المطبق على الرائد التونسي.

36) ويعني بها المصطلح اللساني الحديث Corpusالذي يفترض أن تركز دراسة لغة ما على نصوص مضبوطة زماناً ومكاناً، لا يجوز الخروج عنها.

37) انظر الرائد التونسي، عدد 5، جوان 2002 حيث النصوص المختلفة والرائد عدد 130- السنة 18 جوان 2002 حيث الإعلانات بالعربية والفرنسية.

38)أطلق على مفردات المعجم قديما مصطلح "مادة" ويطلق عليها اليوم مصطلحا "مدخل" أو "مُعَيجمة" في اللسانيات الحديثة. وهما من وضعنا.

39) Acide hydrofericyanique. وهو مصطلح منحوت في جزئه الثاني من ثلاث مفردات زيادة على كلمة Acide.

40) Isochronous Telegraph distorsion.

41) وقد بادر بوضع قضاياه المستشرق الألماني فيشر، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ووضعنا أسسه بتونس في نطاق الجامعة التونسية وجمعية المعجمية العربية بتونس- انظر مجلة المعجمية عدد 5-6 سنة 1989.

42) ويعبر عنه بـ Discours répété في اللسانيات الحديثة، وإليه تنتسب الأمثال والحكم، ومعظم تراكيب الخطاب العادي، شريطة أن تأتي بمعلومات جديدة للمدخل نفسه.

43) عُرِّب في مصر في أول أمره ثم ترجم بمحام كما هو الشأن في تونس. ولقد زاحمه في تونس وكيل وفي مصر مصطلح تركي وهو مدره.

44)محمد رشاد الحمزاوي: المنهجيّة العامة السابقة الذكر ص 67.

45) ندوة مكتب تنسيق التعريب، بالتعاون مع مجمع اللغة العربية الأردني / عمان 1993.

تعليم الترجمة والترجميّة : المفاهيم والمصطلحات

د. هنري عويس - أ. جينا أبو فاضل - أ.لينا صادر الفغالي

استقلّت مادة الترجمة في أوروبا عن سائر مواد التخصّص الأكاديميّ منذ منتصف القرن الماضي. فقامت معاهد الترجمة أو مدارسها في حرم الجامعات واتجه هذا التخصّص باتجاهين : الترجمة التحريرية والترجمة الفورية. وكان للطلاب أن يلتحقوا بهذا التخصّص فور الانتهاء من القسم الثانويّ، كما هي الحال في باريس، أو بعد الانتهاء من واحدة من الإجازات، كما هي الحال في جنيف. وتبلغ سنوات التخصّص 5 سنوات. أما في الوطن العربيّ، فقد شهدت مصر ولادة مدرسة الألسن. ولابدّ هنا من الإشارة إلى المزج الذي كان قائماً في أذهان الناس على أن كلّ من أتقن لغتين أو أكثر أمسى مترجماً. وبقي هذا المفهوم حتى يومنا، فغالباً ما تُدرّس الترجمة من خلال الإجازة في اللغة الأجنبيّة وآدابها.

إلا أن سنة 1980م غيّرت في مسار تعليم الترجمة عندما تأسّست مدرسة الترجمة بيروت، في جامعة القديس يوسف، موازية في برامجها برامج تعليم هذه المادة المستقلّة في أوروبا، وكانت لها منذ تأسيسها صلات كثيرة واتفاقيات وتبادل خبرات مع بلجيكا وفرنسا وإسبانيا وكندا وإنكلترا [1]. وفي هذا السياق، لا بدّ من الإشارة إلى مدرسة الملك فهد العليا في طنجة التي تنحو المنحى نفسه منذ عام 1986م، وتحاول أن تبدّل في مفهوم إعداد المترجمين وتأهيلهم لممارسة المهنة. ويشكّل خريجو مدارس الترجمة ما يُعرف بأهل الاحتراف والتخصّص؛ فالترجمة مهنة وليست خطاباً ثقافياً يمتدح اللغات الأجنبيّة، والمترجم بالتالي يُصبح مترجماً بالإعداد وليس بالفطرة والارتجال.

وما أن ثبّتت الترجمة أقدامها، كتخصّص أكاديميّ مستقل، حتى تنبهت إلى الكمّ الهائل من العلوم الذي يتناول هذا الاختصاص. فالألسنيّة تنظر إليه من زاويتها وتعتبره علماً متفرعاً عنها وتطلق عليه تسمية الألسنية التطبيقيّة. والبلاغة تنظر إليه من زاويتها، وكذلك فقه اللغة والدراسات الاجتماعيّة والنفسيّة والفلسفيّة والدينيّة... إلخ.

في مواجهة هذه العلوم كافة، تصرّف هذا التخصّص بكثير من الدقة واللباقة، فقرّر أن يُحافظ على علاقات وطيدة مع هذه العلوم، من غير أن يُهمل خصوصيّته فيتحوّل من علم متفرّع عن غيره إلى علم قائم بذاته، منضوٍ تحت لواء العلوم الإنسانية. فباتت الترجمية فرعاً "من العلوم الإنسانيّة يهدف إلى دراسة، منهجيّة ومتشبّعة، تطال الظواهر النظريّة والتوصيفيّة والتطبيقيّة في مجالي الترجمة التحريريّة والشفهيّة[2]. و"الترجميّة" مصطلح جديد نسبياً، اقترحته مدرسة الترجمة-بيروت، على قياس "الألسنية" وتعمل به كمعادل للمصطلح الفرنسيّ traductologie، علماً بأن هذا المصطلح الفرنسيّ نشأ عام 1971م، بينما راح المصطلح الإنكليزيّ، يُفتش عن نفسه بين اقتراحات

(*) مدرسة الترجمة بيروت-جامعة القديس يوسف - لبنان

ثلاثة هي: science of translation, translatology, translation studies إلى أن رسا في النهاية على المصطلح translation studies. وقد تبلور مفهوم الترجميّة من خلال مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى وتُعرف بمرحلة التشتت، طغت عليها المراقبة الميدانيّة عندما كان المترجم يورد في مقدمات ترجماته وحواشيها خواطر وانطباعات وشهادات غير منظّمة حول ما قام به. كذلك فعل البستاني مثلاً في مقدمة الإلياذة أو القديس هيرونيموس في ترجمته للكتاب المقدّس أو بلاشير في ترجمته لمعاني القرآن الكريم.

المرحلة الثانية وتُعرف بمرحلة الهيمنة، عندما حاول كلّ علم أن يطوي الترجمة، تحت جناحه راح العلماء غير المترجمين، وهم ينتسبون إلى علوم متنوعة، ينظرون ويبحثون عن أصول الترجمة، كلّ من باب علمه. كذلك فعل جورج مونان مثلاً الذي اعتبر الترجمة علماً متفرعاً عن الألسنيّة.

المرحلة الثالثة وتُعرف بمرحلة اكتشاف الخصوصيّة الذاتيّة، عندما بدأ الترجميّ، وهو الذي يجمع بين شقيّ الممارسة العملية والتفكير النظريّ، يبحث في جذور عمليّة الترجمة وامتداداتها وانعكاساتها. كذلك فعل جان رينيه لادميرال من خلال كتابه " أن تترجم: فرضيّات نظريّة في الترجمة "

(3)Traduire : théorèmes pour la traduction

أما وقد وصلت الترجمة والترجميّة إلى ما وصلتا إليه، فقد بات لزاماً عليهما أن تُتداولا بمفردات خاصّة بهما، على غرار ما يقدّمه الكتاب الذي صدر عن مرجعيتين دوليتين في الترجمة هما: "المؤتمر الدوليّ الدائم للمعاهد الجامعيّة للمترجمين والتراجمة" المعروف بالـ CIUTI و"الفيديراليّة الدوليّة للمترجمين" المعروفة بالـ FIT. وقد صدر هذا الكتاب(4) أصلاً باللغات الأربع الفرنسيّة والإنكليزيّة والإسبانيّة والألمانيّة، وكان لمدرسة الترجمة - بيروت شرف نقله إلى العربيّة.

ويتضمّن الكتاب 200 مفهوم اختارها فريق عمل أوروبيّ- كنديّ على أنها تفي بالمطلوب فتُغني تعليم الترجمة والتفكير في عمليّة الترجمة بأدوات دقيقة تُساعد على توصيف العمليّة والنظر فيها. وقد سلك المؤلّفون في أداء كل مدخل من مداخل هذا الكتاب، المسار التالي وقد تبنيناه كما هو في العربيّة، وعلى سبيل المثال نتوقف عند المدخل العائد إلى مفهوم التعادل ص. 57 من الكتاب (الملحق 1) فنجد:

أولاً: المدخل، ويُقصد به المصطلح الأكثر انتشاراً واستعمالاً أو الذي اعتمده الفريق في اللغة العربيّة كمقابل عربيّ، في حال غياب اللفظة المناسبة.

ثانياً: التحديد، ويتضمّن السّمات الأساسيّة التي تصف المفهوم، كما يُبرز علاقة المفهوم بالمفاهيم الأخرى المنتمية إلى الحقل الفرعيّ نفسه.

ثالثاً: الملاحظات والأمثلة، وهي إنارة لما جاء في التحديد تُساهم في شرحه وفي تقريبه.

رابعاً: الإحالة على المفاهيم المتصلة بالمفهوم المذكور.

وتلتقي هذه المفاهيم، نظراً لصلة القربى القائمة في ما بينها، في أشجار نسب، وتُعيد كل مجموعة إلى حقل انتمائها الأساسيّ. ونتوقف هنا، على سبيل المثال، عند الجدول الذي يجمع المفاهيم الخاصّة بعمليّة الترجمة والوارد في الصفحة 146 من الكتاب (الملحق 2). ونرى، من خلال هذا الجدول، أنّ عمليّة الترجمة تنطلق

من الدليل الألسنيّ، وهو كيان لغويّ مؤلّف من الدال والمدلول معاً. وتكوّن مجموعة الدلائل الألسنيّة النص أو الخطاب، وذلك عندما تتوافر العناصر غير اللغويّة التي تحوط بإصدار القول، أي ما نسميه بالمناسبة. أمّا السياق والمستوى والشبكة المعجميّة فهي عناصر خاصّة بالنص تسهّل عمليّة الترجمة لأنها تبرز المعنى والطابع الذي يتسّم به النص. وتتضمن عملية الترجمة إجراءً هو التفسير، يردفه المترجم بمكمّلات معرفيّة تؤول به إلى إدراك المعنى. وعندما يقوم المترجم بتفسير المفردات والأقوال العائدة إلى النص المصدر، يستشف الدلالة السديدة التي تنبثق عن تحليل السياق المعرفيّ، وعن ما للفظة من دلالة ضمنية ومباشرة، وصولاً إلى مرحلة تحصيل المعنى التي "تقع بين محطة ما قبل الترجمة التي تقضي بفهم النص المصدر ومحطة الترجمة التي تقضي بإعادة التعبير عنه في اللغة الهدف، وتقوم هذه المرحلة على الانعتاق من الدلائل اللغوية وصولاً إلى استخلاص المعنى2." ولهذه الجداول أهميّة تعليميّة لأنها تبرز العلاقات القائمة بين المفاهيم، فلا ينظر إلى المفهوم ككيان مستقل، بل ينظر إليه من خلال علاقة النسب التي يقيمها مع مفهوم آخر.

أما الترجمة العربيّة فاستندت إلى المصدر الفرنسيّ مع العودة، عند الاقتضاء، إلى المصادر الأخرى من إنكليزيّة وإسبانيّة، وأوردت الطبعة العربيّة أربعة مسارد يدخل منها القارئ إلى المصطلحات العربيّة من باب اللغة التي يشاء، فهو مثلاً إذا توقف عند اللفظة traducción palabra por palabra في المسرد الإسبانيّ، وجد إحالة على الصفحة 52 التي يجد فيها المدخل العربيّ الخاص بالترجمة بالرصف مع مقابلاته في الإنكليزيّة والفرنسيّة والألمانيّة.

وقد ارتكز فريق المترجمين إلى العربيّة على ثلاثة خيارات أوردها في مقدمة المترجمين: "أولها الأصالة، والمقصود بها أن تعيش أنت الترجمة، بما فيها من مفاهيم ومفردات، على غرار ما عاشه الأقدمون كعمليّة واحدة مستمرة من القديم إلى الحديث. أما الخيار الثاني المرتبط بالأول، فالتشبّع بأمهات الكتب، ونعني به التأكّد من أنّ اللفظة المقترحة تستمدّ جذورها من المتداول القديم. ويقوم الخيار الثالث على التعامل مع اللغة العربيّة على أنها الناقل الحيويّ القادر على أن يُعالج الترجميّة، هذا العلم القديم الحديث، وما يتّصل بها من إشكاليات ومفاهيم ومفردات[5]".

فاللغة " أياً كانت ليست بحاجة إلى أن تتسلّل إلى ديار جيرانها لتسبيَ لفظةً من هنا وتركيباً من هناك. فلو أكبّت على طاقاتها الذاتيّة لأنجبت من رحْمها أبناءً لها وبنات ينمون تحت الشمس ويتغذّون، فتسري الحياة في عروقهم ويصبحون بدورهم قادرين على الإنجاب. ولو ارتحلت عبر الزمن إلى مفردات وتراكيب لها طواها النسيان لأيقظتها من سبات جمّدها مدى العصور وبعثت فيها حياة جديدة أو ضخّت من مسامها القديمة نفحاً من معنى مستحدث فأعادت لها نزق الصبا وألقتها في التداول من جديد".وبهذا نستعيد الطاقة الهائلة للمفردات التي تحتضنها العربيّة أو التي هي في مستودع بانتظار من يُخرجها منه ويضعها من جديد في التداول. ولعّل مفردة الخطل هي خير مثال على الأصالة والعودة إلى أمهات الكتب على حد سواء فالمفردة التي تدلّ على فساد الرأي، تُطلق أيضاً على السهام التي لا تُدرك هدفَـــها، وهي أفضل معادل لـــ faux sens وترجمته الحرفيّة المعنى المغلوط أو الخاطئ؛ أي المعنى الذي لم يبلغ

هدفه. فالمترجم الذي يرتكب خطلاً هو الذي يُفسد رأي المؤلف أو الذي يأتي بمعنى لا يُدرك فيه هدف المؤلّف.

ولا بدّ في مواكبة تعريب التعليم العالي من التوقّف عند التخصّص في المادة، ونعني به قيام مدارس ترجمة تكون بمثابة الخزان الذي يضخّ، في عمليّة التعريب الكبرى، مجموعات من المتخصّصين يسرّعون في عمليّة التعريب، فيأتي نتاجُهم مُتْقنا ملبيّاً للحاجات، يعكس تدريبهم الأكاديميّ الرفيع المستوى. ولا بدّ أيضاً من التوقف عند أهمية التدريب المتواصل الذي يأتي تكملة لا غنى عنها عن الإعداد الأساسيّ. فيواكب المترجم المتخرج والممارس تطور الترجميّة ويضع مفهوماً أساسيّاً يجب أن يتحلى به كل مترجم وهو تقبّله الدائم للتدريب والإطلاع، فعندما يبلغ المترجم حدّ الاكتفاء، يتقوقع على نفسه ويتقهقر نتاجه. ولمدرسة الترجمة - بيروت خبرة طويلة في الإعداد والتدريب المتواصل، تأمل عندما تضعها في تصرّف هذا المؤتمر الكريم أن تتبادل خبراتها مع الآخرين فيكون المردود خيراً يعمّ الجميع.

الحواشي

[1]-أسّس الأبوان اليسوعيان رولان مينيه ورينيه شاموسي مدرسة الترجمة - بيروت سنة 1980، وهي تُعدّ، خلال خمس سنوات بعد الشهادة الثانويّة العامة، المترجمين والتراجمة. وبوسع المترجم حائز الدبلوم، وبعد مزاولة المهنة ثلاث سنوات، أن يلتحق بقسم الدكتوراه في الترجمة الذي رأى النور سنة 1998.

[2]-أبو فاضل جينا، جردان جرجورد، عويس هنري، صادر الفغالي لينا. مصطلحات تعليم الترجمة، سلسلة المصدر الهدف، مدرسة الترجمة - بيروت، جامعة القديس يوسف، بيروت، 2002، ص 184.

-[3] LADMIRAL, Jean-René, *Traduire : théorèmes pour la traduction*, 2ème édition, Ed.Gallimard, Paris, 1994 (1979), 282 pp.

-[4] ELISLE Jean, LEE-JAHNKE Hannelore et CORMIER Monique(dir.). *Terminologie de la traduction*, Publié sous les auspices de la FIT et de la CIUTI, John Benjamin Publishing Company, Amsterdam, 1999, 434pp.

[5]-أبو فاضل، جينا.أطروحة دكتوراه في الترجميّة قيد الإعداد.

الملحق- 1-

- التعادل	Equivalence
هو علاقة تطابق في الخطاب بين وحدتي ترجمة في لغتين مختلفتين تؤديان الوظيفة نفسها.	
المثل.-	
Prière de refermer la porte derrière vous_	
⇦ الرجاء إغلاق الباب عند الدخول والخروج.	
الملاحظة.- ينبثق التعادل من تفسير يهدف إلى استخراج معنى النص المصدر، ويكون المترجم على موعد مع التعادل عند نقطة التقاء معرفته باللغة وكل ما يحوط النص من مستلزمات التواصل.	
1.راجع الترجمة الكتابيّة(2)	
2.هو نمج في الترجمة يقضي بنقل تعبير جامد في اللغة المصدر إلى تعبير جامد آخر في اللغة الهدف يعبّر عن الفكرة نفسها ولا ينقل المفردات بحرفيّتها.	
المثل –	
Chercher une aiguille dans une botte de foin	
⇦ البحث عن ذرّة تبر في طود من التراب.	
☜ الأقلمة، التقابل، المُرامزة.	
	en :equivalence
	es : equivalencia
	de : Äquivalenz

الملحق- 2-

عمليّة الترجمة			
		↓	
الدال	←	الدليل الألسني	المدلول →
المناسبة	←	الخطاب/ النص	السياق →
			المستوى
			الشبكة المعجميّة
		↓	
		التفسير	المكمّلات المعرفية →
		↓	
		الدلالة السديدة	السياق المعرفي →
			الدلالة الضمنيّة
		↓	الدلالة المباشرة
		تحصيل المعنى	
		↓	
		المعنى	
		↓	
		الترجمة الكتابيّة (2)	

النص المتخصص :
مدخل إلى تحسين تعلم العربية

أ. مي حبيقة الحداد – أ. رنا الحكيم بكداش(*)

تسود بعض المعاهد والجامعات العالمية، منذ سنوات، موجة في تدريس اللغات تفرّق بين اللغة المتخصصة واللغة العامة. فتعرض على أهل الاختصاص دروساً في اللغة المتخصصة مفصولة تماماً عن دروس اللغة العامة. يكفي البحث على شبكة الإنترنت عن "Langue de spécialité". أو "English for specific purpose" للحصول على مئات، بل آلاف المواقع والعناوين لهذا النوع من الدروس. والهدف منها تأهيل المتعلمين لغوياً وتدريبهم، في الوقت عينه، على التواصل في ما بينهم كمتخصصين في ميدان معين.

ولكن قد يطرح السؤال التالي: " إلى أيّ حد يمكن اعتبار اللغة متخصصة وكأنها منفصلة عن اللغة العامة. وهل اللغة متخصصة أم النص هو المتخصص لأنه يحتوي على مصطلحات خاصة بميدان معين؟

سنحاول في ما يلي التفكير في هذا الموضوع على مستويين : فنعرض أولاً لبعض الأفكار التي تنقد هذا الفصل بين اللغتين، ثم نذكر مقترحات وأفكاراً عملية على المستوى الجامعيّ مستمدة من تجربتنا في تدريس اللغة العربية المتخصصة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة القديس يوسف – بيروت.

إن الفصل بين اللغة العامة واللغة المتخصصة قد يؤدي ضمناً إلى إهمال الغاية الأساسية من التواصل اللغويّ، وهي البيان والبلاغة (بالمعنى الذي سنشرحه). فهذا التفريق يفضي تلقائياً إلى إعطاء المصطلح الحيز الأكبر من الأهمية باعتباره عامل الفصل الرئيس بين المستويين. فيتركز البحث عليه من غير النظر إلى اللغة، إلى بيانها كما يحدده الجاحظ: " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى" ويضيف :" إن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذاك هو البيان في ذلك الموضع"(1).

فالجاحظ يولي أهمية كبيرة لكشف المعنى وللعلاقة بين القائل والسامع القائمة على الفهم والإفهام.

أما ابن خلدون فيتكلم عن اللغة – الملكة فيقول:" إعلم أنّ اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها. وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة، للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على

(*) مدرسة الترجمة – بيروت – جامعة القديس يوسف.

مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة". (2)

يستدل من هذا القول على أهمية التركيز على التراكيب قبل المفردات، والتشديد على المعنى المقصود وكيفية التعبير عنه لأنه الغاية الأساسية.

ولئن كان الجاحظ يطرح مسألة الفهم والإفهام وابن خلدون أهمية التراكيب والمعاني المقصودة، فلا يسع الباحث اليوم أن ينظر إلى اللغة، حتى ولو كانت موجهة إلى أهل الاختصاص، من غير النظر إلى بيانها، أيْ إلى قدرها على إفهام المعاني التي تتضمنها. وإلا غاب عامل ضمنيّ، نستشفه من كلام الجاحظ وابن خلدون وهو قدرة اللغة التواصلية، تلك العلاقة بين " القائل والسامع" (بتعبير الجاحظ) أو بين " المتكلم والسامع" (بتعبير ابن خلدون). لذا، فالتركيز على المصطلح يحجب هذا المفهوم ويحصر اللغة بين دفتي المعجم. وبالتالي لا يمكن تعليم اللغة لأهل الاختصاص من غير تعليمهم القدرة على الفهم والإفهام. فيتعلم الطالب فهم المسموع والمقروء ويتدرب على التعبير في ميدان اختصاصه بما تقتضيه أصول اللغة حتى يتمكن من الإفهام.

والكلام عن لغة متخصصة يعني التوجه إلى الخاصة وليس إلى العامة. فالسامع أو الجمهور المستهدف مختلف، وبالتالي على المتكلم أن يراعي حال السامع لأن غايته التواصل معه. وفكرة المراعاة هذه، والتفريق بين مستويات الجمهور نجدها عند القدماء بتعابير متعددة من مثل، مراعاة مقتضى الحال (كما وردت في النص السابق لابن خلدون)، أو لكل مقام مقال (كما ورد عند الجاحظ :" مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال")(3)، كما ينقل الجاحظ على لسان بشر بن المعتمر قوله :

" ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت". (4)

إلا أن هذا التفريق والفصل لا يعني أن اللغة تتغير مع تغير السامع. " فتطبيق الكلام على مقتضى الحال" إنما هي عملية اختيار يقوم بها المتكلم ضمن اللغة نفسها فيؤثر تركيباً على تركيب أو خياراً معجمياً على آخر، هي مسألة أسلوب وطريقة تعبير. أما اللغة بمواردها وأصولها فتبقى هي هي في جميع الأحوال. حتى الجاحظ في معرض تفسيره كلام العتابي حول البلاغة، يشترط أن يكون الإفهام " على مجرى كلام الفصحاء" (5) حتى يمكن الكلام على البلاغة، فيستبعد اللكنة والخطأ واللحن.

لذا لا يمكن اعتماد تركيب غير سليم أو غير مفهوم بحجة أن هذه لغة متخصصة لا يفهمها إلا أهل الاختصاص".

ثم إن الفصل بين التوجه إلى العامة والتوجه إلى الخاصة قد يحمل في طياته موقفاً اجتماعياً يعترف بالفروقات الاجتماعية والعقلية بين الناس. يقول الجاحظ:" كلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات"(6)، وينقل عن بشر بن المعتمر قوله:" ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات"(7).

إلا أن هذا التفريق الطبقيّ (إذا جاز التعبير) لا يضع حدوداً بين العام والخاص على مستوى الفهم لأن المعنى يبقى هو الأهم. والمعنى كما يذكر الجاحظ على لسان بشر بن المعتمر إياه :" ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة،

وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة... وكذلك اللفظ العاميّ والخاصيّ"(8)، حتى إن بشراً بن المعتمر يذهب إلى حد اعتبار تمام البلاغة في ما قد نسميه اليوم تعميم المعرفة، فيقول:" فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك...، على أن تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفوعن الأكفاء، فأنت البليغ التام".

وبذلك يتساوى الكلام العام والكلام الخاص، وتغيب الحدود القاطعة بينهما، ليلتقيا في هدف مشترك هو الكشف عن معنى معين أو "إحراز المنفعة"، ومتى انتفى هذا الهدف فشل المتكلم في عملية تواصله سواء مع العامة أو الخاصة. وفي ما يلي مثل عن كلام لم يصل إلى مبتغاه مع أنه يحتوي مصطلحات علمية وهدفه التوجه إلى الخاصة.

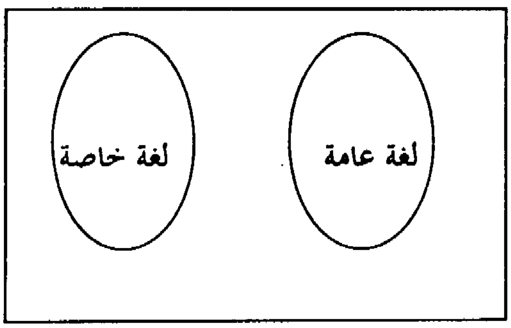
النص مقتطف من مقالة في مجلة علمية عربية:

وأوضحت العوضي أن الهدف الأساسيّ للمشروع يتمثل في تقديم مدى ملاءمة المياه المحلاة الخالصة، وتلك التي يتم خلطها بنسبة 10 من المياه قليلة الملوحة، ومياه الصرف الصحيّ بواسطة تقنية التناضح العكسيّ، مع مياه مكمن بمجموعة الكويت، تمهيداً لاستخدامها في حقن هذا المكمن اصطناعياً في المستقبل، بالإضافة إلى دراسة التغيرات المحتملة في الخصائص الهيدروليكية للمكمن والآثار التي يمكن أن تنجم عن حقن المياه في مكونات المكمن وسبل تلافيها أو الحد منها.

والفصل بين اللغة العامة واللغة المتخصصة ينم كذلك عن نظرة مجتزأة إلى اللغة باعتبارها وعاء يحتوي المفردات. في حين أن اللغة كل متكامل لا يتجزأ، فهي تحمل المصطلحات على قاعدة التراكيب والصيغ والأصول النحوية والصرفية، وهي أساس يستعمل المصطلح للتعبير. فالمصطلح بحد ذاته لا يكفي للتعبير عن المعنى، ولوائح المصطلحات على أهميتها، لا تنفصل عن اللغة، لذا حفظها غيباً مثلاً لا يمكن أن يصل بالطالب (أو بأيّ قارئ) إلى القدرة على الفهم والتعبير في ميدان معين.

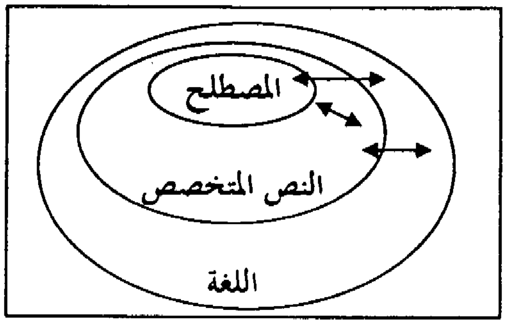
هذا من جهة، ومن جهة أخرى المصطلِح أيضاً يستعمل اللغة عند نشأته. فالمصطلِح؛ أيْ المتخصص في علم المصطلحات أو المصطلحية، يلجأ إلى قواعد هي في الأساس قواعد لغوية تم اعتمادها قياساً على ما قام به الأقدمون من تعريب ونحت وتركيب مزجيّ وغيرها... هذه التبعية المتبادلة أو التفاعل الدائم بين المصطلِح واللغة، تحتم الكلام عن **خطاب** متخصص أو نص **متخصص** عوض الكلام على **لغة** متخصصة. ومشكلة النص المتخصص في العربية لا تكمن في المصطلحات، بقدر ما تكمن في قدرة هذه النصوص على إحداث التواصل المطلوب بين أهل الاختصاص أنفسهم، وبينهم وبين العامة.

بدل أن تكون الصورة على الشكل التالي :



يصبح النظر إلى اللغة كما يلي: اللغة واحدة، النص المتخصص داخل اللغة وفيه المصطلح. أما التفاعل فمتبادل

ودائم بين العناصر الثلاثة.



وتتفاوت ردود فعل القارئ عادة أمام بعض النصوص المسماة " متخصصة"، فأياً كان مستوى القارئ اللغويّ، لا بد له من أن يواجه أحياناً صعوبة في فهم النص "المتخصص" الذي بين يديه، وتتراوح عملية الفهم بين الفهم الجزئيّ وعدم الفهم تماماً. في الحالة الأولى، يحاول القارئ أن يرصد في النص بعض الجمل التي تسمح له فهم المرسلة بشكل عام ؛ أما في الحالة الثانية، فيقع القارئ على نص صيغ بكلمات غريبة ولكن بتراكيب غريبة. و لا بّد لنا من أن نتساءل عن مرد هذا الخلل في عملية الفهم: هل يعود إلى المجال المتخصص أم إلى ضعف التأليف أم إلى ركاكة التركيب؟ ويبرز السؤال هل ابتعد العصر الحالي عن مفهوم الأديب بمعناه الشامل الذي كان سائداً في القرن الماضي؟

مفهوم الأديب العام الذي يسمح للطبيب أن يكون أديباً وللعالم أن يكون أديباً من غير أن يعني هذا الكلام حكماً انتماء أيٍّ من الطرفين إلى مجال الشعر أو مجال الكتابة.

حيال هذا الواقع كيف تبدو حال المرسل إليه أو المتعلم من الخطاب المتخصص؟

لا بد لنا من أن نوضح أن المتعلم يتمرس في العلم كعلم ولكن هذه العملية تبقى مجتزأة، فالمتعلم يتوصل إلى فهم الخطاب المتخصص بشكل عام، ولكنه يبقى غير قادر على التأليف في المجال عينه وإذا كان غير قادر على التأليف، فهل سيتمكن لاحقاً من الترجمة في حال قدر له أن يترجم ؟ والحل الجزئيّ يؤمنه المصطلح ولكن قدراته تبقى محدودة، فالمصطلح وحده لا يكفي في عملية الفهم، لأنه لا يؤدي المطلوب وهو بحاجة إلى وسيط أو ركيزة يسمح للمرسل إليه فهم المرسلة **فهماً تاماً** في مرحلة أولى ليتمكن من **التعبير السليم** في مرحلة لاحقة.

أما الركيزة في هذه العملية فتبقى اللغة السليمة التي تحمل في طياتها إمكانيتي الفهم والإفهام.

ومن المفترض أن يسعى التعليم العالي إلى تأمين هذا الهدف المزدوج في مجال النص المتخصص كأن يتم نقل المصطلح والتمكن من الخطاب المتخصص في الوقت عينه، كما أشارت زميلتي آنفاً في رسمها البيانيّ، يبقى أن القاسم المشترك للميادين كافة هو **اللغة السليمة** وقد تلجأ بعض الميادين المتخصصة إلى ما يعرف بالقوالب (مثلاً المجال القانونيّ الذي يبدأ بالتركيب حيث إن) – ولكن هل يحدد هذا القالب بلغة متخصصة؟

ولتوضيح الفكرة السابقة ننقل، على سبيل المثال، في مسار درس علم النفس، الفصل المتعلق بالذاكرة(9). يشكل النص المتخصص باللغة العربية نقطة الانطلاق لأنه الأساس ويتم التعامل معه انطلاقاً من مستوى المرسل إليه أو المتعلم. ونشير هنا إلى تفاوت مستويات المتعلمين التي تتراوح بين العاميّ والعارف والمتخصص، وتختلف المقاربة باختلاف المرسل إليه.

نذكرعلى سبيل المثال، التحديد: "الخطور التلقائيّ

أو الذكر" لن يغيب التحديد في أيّ مستوى من المستويات الثلاثة، إلا أن المتلقي أوالمرسل إليه يحدد مستوى الصياغة. **فبالنسبة إلى العاميّ : يصبح التحديد"** تفسيرياً" إلى حد بعيد فيتوقف عند كل مفردة ويحاول أن يقربها من المعنى في الشائع ويذوب المصطلح بمجموعة مفردات. كأن يقال مثلاً: الخطور: من فعل خَطَر، أيْ ورد على البال...

التلقائيّ : أيْ عكس المفروض أو الإجباريّ...

الذّكر: كلمة تعني أن يذكر الإنسان حوادث دون أن يقوم بمجهود محدد، وهي المفردة التي تفسر الخطور التلقائيّ الآنفة...

وبالنسبة إلى العارف : تخف نسبة التذويب فيقتصر التحديد مثلا على إيراد المصطلح والمرادف، دون التوقف عند جذور المفردات والتفاصيل.

أما بالنسبة إلى المتخصص: فهو على بينة من هذه المصطلحات ولا حاجة بالتالي إلى تفسيرها أو تذويبها، بل يمكن الانتقال إلى النقطة الثانية من الخطاب المتخصص.

ولكن أياً كان مستوى المتعلم، عامياً أو عارفاً أو متخصصاً، يبقى الهدف تأمين سلامة النص. وسلامة النص تعني سلامة التراكيب وحسن بيانها، فيتحول العمل عند ذلك إلى عمل لغويّ، وتكون اللغة العامة هي المرجع وهي القادرة على تأمين تأدية المعارف باستخدام وضوح الفكرة والاستناد إلى المصطلح؛ فلا يمكن تركيب النص المتخصص على حساب اللغة. والمتخصص لا يقرأ طلاسم ولا يفك رموزاً ولكنه يقرأ لغة عادية سليمة وعليه أن يخاطب الناس وزملاءه بهذه اللغة السليمة.

وبعد،

لعل تعامل البعض والعربية يذكر بتصرف محدثي النعمة أو أثرياء الحرب: يدهشهم الحاسوب أو تشدهم التسميات، ولعل البعض الآخر يبالغ في إنشائية جوفاء، وبين هذا وذاك تقف العربية بوقارها وإمكاناتها اللامتناهية، ولعلها تقول اهتموا بطريقة تعليمي فهنا بيت القصيد.

الهوامش :

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الأول، دار صعب- بيروت،لات. ص54 .

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص 1071 ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967.

(3) الجاحظ، البيان والتبيين، ص 86.

(4) الجاحظ، البيان والتبيين، ص 86.

(5) الجاحظ، البيان والتبيين، ص 99.

(6) الجاحظ، البيان والتبيين، ص 90 .

(7) الجاحظ، البيان والتبيين، ص87.

(8) الجاحظ البيان والتبيين، ص 86 .

(9) جميل صليبا، ميدان علم النفس — الذاكرة، ص 407.

أوضاع تعريب التعليم العالي في الوطن العربي

اللغة العربية وتعريب التعليم العالي

نحو تعريب متوازن

د. عز الدين البوشيخي (*)

مدخل:

لقد كان جيل المقاومة والتحرير — وهو يخوض معركة الاستقلال — يتشوف إلى أن تكون الأرض العربية محررة مطهرة، وأن يصبح الإنسان العربيّ حراً كريماً مستجمعاً عناصر هويته الدينية واللغوية والثقافية.

وتوالت بعد ذلك الأجيال، جيلاً بعد جيل، وهي تكافح وتكابد من أجل تحقيق هذا الهدف. وها نحن اليوم في الأعوام الفواتح من القرن الواحد والعشرين ولما يتحقق الهدف في وطننا العربيّ الكبير بعد. فمازال رواد الجيل، الذين نتشرف اليوم بمجالستهم والاستفادة من خبراتهم والذين نكن لهم أعظم التقدير، يكافحون ويكابدون على ما أصابهم من وهن في العظم وشيب في الرأس، وها هو الجيل الناشئ مدعو إلى حمل الأمانة واستكمال المسيرة.

وها نحن اليوم في وضع يدعونا الى أن نرفع أصواتنا بالسؤال على سبيل الإنكار:

- أليس من حقنا الطبيعيّ أن تكون لنا لغة تميزنا أمة عربية لها حضارة مشهودة ؟
- أليس من حقنا الطبيعيّ أن تكون لنا لغة بها نفكر وبها نعبر ؟
- أليس من حقنا الطبيعيّ أن نمارس لغتنا في كل مرافق حياتنا في تعليمنا وفي إعلامنا وفي إدارتنا وفي مؤسساتنا ؟
- أمن المعقول أن نظل أمة منقوصة السيادة في لغتها وقد توافرت لها كل الإمكانات البشرية والمادية ؟

أستسمحكم — السادة العلماء الأفاضل رواد الجيل — بالكلام، في حضرتكم، عن أوضاع تعليم اللغة العربية وعلاقتها بتعريب التعليم العالي، وبتقديم اقتراحات وتوصيات تتصل بعمل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في هذا المجال.

1- أوضاع تعليم اللغة العربية:

لا تختلف تقارير الخبراء عن وصف اللغة العربية بأنها تعاني اليوم ضموراً بين أهلها وذويها قبل غيرهم، وفي عقر دراها قبل دار غيرها. ولئن كان هناك تفاوت بين المهتمين في تعداد العوائق والأسباب ومواطن الضعف، فإن ثمة إجماعاً على أن للتعليم دوراً يكاد يكون حاسماً في تغيير هذا الوضع.

(*)جامعة مولاي إسماعيل -مكناس — المغرب

فليس يخفى أن التقدم في مناهج تعلم اللغة وتقنياتها يساهم – إلى جانب عوامل أخرى – في التمكين للغة في محيطها، وفي ضمان استمرارها وتطورها، كما أن الارتباك في مناهج التعليم يساعد، إلى حد بعيد، في تحجر اللغة وتخلفها وانحسارها.

في مرحلة التعليم الابتدائيّ يلاحظ أن الطفل، في معظم البلاد العربية، يُعلم اللغة العربية دون أن تخصص لها الوسائل التعليمية ولا المناهج والتقنيات التي يتم تخصيصها لتعليم اللغة الفرنسية بوصفها اللغة الأجنبية الأولى، واللغة الإنجليزية بوصفها اللغة الأجنبية الثانية أو العكس.

ومما يدعو أكثر إلى ضرورة العناية بالوسائل التعليمية المتقدمة في تعليم اللغة العربية، أن العربية الدارجة التي يكتسبها الأطفال في محيطهم ما تزال تشكل عائقاً أمام تعلمهم الفصحى، ولم تستثمر بعد في تعزيز هذا التعليم؛ إذ إن الضغوط التي يمارسها النسق المغربيّ على النسق العربيّ تؤدي إلى نشوء عربية لدى المتكلم المغربيّ تقارب المغربية، والشيء نفسه يحدث لدى المتكلم المصريّ الذي تنشأ لديه عربية تقارب المصرية، وهكذا دواليك في كل أرجاء هذا الوطن العربيّ،[1] حتى إنه بالإمكان أن نتنبأ بأغلب الأخطاء التي قد يرتكبها المغربيّ في إنتاجه العربية وأن نفسر لماذا وقعت هذه الأخطاء، وذلك بافتراض أن المتكلم المغربيّ يستخدم جزءاً مهماً من نسق المغربية لسد الثغرات عند إنتاج اللغة العربية[2].

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الطفل المغربيّ – كأيّ طفل عربيّ – لا يستفيد من أيّ معجم لغويّ عربيّ يناسب سنه ويتوافق مع حاجاته اللغوية ومبنيّ بطريقة تراعى فيها مستجدات البحث المعجميّ، مثلما عليه الأمر في معاجم اللغة الفرنسية ومعاجم اللغة الإنجليزية. ففي الوقت الذي لا يسمع اللغة العربية الفصحى من أبويه وأقاربه، ولا يتواصل بها في محيطه ولا يستفيد في تعلمها من مناهج وتقنيات حديثة، ولا توفر له معاجم تستجيب لمتطلبات مرحلته اللغوية، نجد الدوارج واللهجات تحيط به من كل جانب، وتُقرَّب إليه اللغات الأجنبية بأحدث الوسائل والمناهج، ولايمكن أن ينجم عن وضع كهذا إلا ضعف في تعلم اللغة العربية يبدأ منذ المراحل الأولى.

2- ضرورة تجديد النظر في تعليم اللغة العربية.

لاشك أن وضع برنامج لتعليم اللغة – أية لغة – يجب أن ينبني على معرفة كافية بطبيعة هذه اللغة، وطبيعة المتكلم، وكيفية حصول الاكتساب والتعلم. ولاشك، أيضاً، أن اللسانيات الحديثة قدمت إجابات علمية عن عدد مهم من الأسئلة المرتبطة باللغة والمتكلم والاكتساب والتعلم. وليس مقبولاً، علمياً وحضارياً، أن يتم التغاضي عن النتائج العلمية المحققة في هذا المجال، وعما يواكبها من تطورات في التصورات والوسائل والتقنيات. كما أنه ليس مقبولاً عدم استثمار نتائج الأبحاث والدراسات المنجزة على اللغة العربية ولهجاتها في المجال التعليميّ.

ومن هذه النتائج أن الطفل يكتسب لغته الأم بفضل ملكته اللغوية الفطرية على مراحل، بدءاً من المرحلة الأولى حيث يشرع في اكتساب الكلمات المفردة، فالمركبات، فالجمل البسيطة حتى المرحلة القارة حيث يكتمل لديه هذا الاكتساب. ولا يقوم المحيط الذي يحتضن الطفل إلا بتوفير المجال لاشتغال المبادىء

الفطرية الكامنة في الملكة اللغوية. أما فيما يخص الادعاء الذي بمقتضاه لا تكتسب اللغة فقط، ولكنهـــا تلقن كذلك، وأن هذا التلقين جوهريّ لتأسيس معنى التعابير اللغوية، فإن هذه الفكرة تفتقر إلى الأسس التجريبية والمفهومية على حد سواء(3).

وأما وظيفة المدرسة، فتتحدد في تعزيز الاكتساب بالوسائل التربوية والتعليمية المتوفرة وتنمية المهارات اللغوية، من استماع وكلام وقراءة وكتابة.

وإذا نظرنا في وضع الطفل العربيّ، نجد أنه يواجه الثنائية بين اللهجة واللغة العربية الفصيحة في السنوات الأولى من تعلمه، ويواجه الازدواجية اللغوية بين العربية الفصيحة واللغة الأجنبية كذلك في نفس الفترة دون أن يكتمل لديه أيّ نسق لغويّ. وهذا الوضع يؤثر دون شك على نموه اللغويّ والمعرفيّ والفكريّ ويخلق له اضطرابات نفسية وهو في الأطوار الأولى من النمو(4).

وأهم المقترحات التي قدمت لمعالجة هذا الوضع، المقترح، المدعوم نظرياً وتجريبياً، الداعي إلى اعتماد نموذج بديل قائم على "تلافي إدخال اللغة الأجنبية في سن مبكرة وتمكين الطفل من التغلب على مشكل الازدواجية بتحسين أوضاعه النفسية والبيئية وجعلها أوضاعاً طبيعية". ومقياس الطبيعية يفترض أن يكتسب الطفل اللهجة (أو الثنائية اللهجية إذا اقتضى الأمر ذلك) في محيط الأسرة (ويتابع تنمية هذه اللهجة في هذا الوسط وربما في الشارع) ويكتسب العربية الفصيحة في الحضانة والروض والمدرسة الابتدائية فيما بعد، بدون انقطاع، وبدون أن يستعمل المعلم العامية بضرب من الإغماس، فإذا اكتمل نظام اللغة في ذهنه وممارسته بين الروض والمدرسة فيما بين الثالثة والتاسعة أو الثانية عشرة، حسب النموذج التعليميّ والأفراد، أمكنه أن يتعلم اللغة الأجنبية أو المعارف الأخرى وهو قد نمّى قدراته الإدراكية والمعرفية في ظروف نفسية وبـــيئية مواتية(5).

وقد أثبت الدكتور عبد الله الدنان أن التطبيق العمليّ لتعليم اللغة العربية الفصحى للأطفال، قبل سن السادسة، يؤدي إلى تحقيق نتائج باهرة حيث يتمكن الطفل من إتقان التواصل باللغة العربية الفصحى ومن إتقان التواصل بالعامية أيضاً(6).

ونخلص من ذلك إلى تقرير أن ضمان نمو طبيعيّ و فكريّ ولغويّ ونفسيّ للطفل العربيّ رهين بتوفير شروط منها :

أولاً– محيط لغويّ تسود فيه العربية الفصيحة، ويقلص فيه استعمال اللهجات ما أمكن.

ثانياً– فرصة استكمال اكتساب تثبيت اللغة العربية في ذهنه قبل تعريضه لتعلم أيّ من اللغات الأجنبية.

ثالثاً– اعتماد أحدث نتائج الأبحاث اللسانية في وصف ظواهر اللغة العربية وتفسير اكتسابها وتعلمها على حد سواء.

رابعاً– تبني أفضل المناهج في مجال التعليم والتعلم وتوفير الوسائل والتقنيات التربوية اللازمة.

وسيكون بمقدور الطفل العربيّ آنذاك، كأيّ طفل طبيعيّ في العالم، أن ينمي تفكيره بلغته القومية وأن ينمي التعبير بها والتواصل بها مع الآخرين من بني وطنه، وأن يتابع بها دراساته العليا حين يصير شاباً. كما سيكون

بمقدوره أن يتقن اللغات الأجنبية التي يحتاج إلى استعمالها في حياته العلمية والعملية.

3- تعريب التعليم العالي:

لقد قدمنا الحديث عن ضرورة إصلاح أوضاع تعليم اللغة العربية لأننا نفترض أنه المدخل الطبيعيّ لأيّ تعريب ناجح في جامعاتنا العربية، دون أن يفهم من ذلك تأخير الشروع في تعريب التعليم العالي إلى حين استكمال إصلاح أوضاع تعليم اللغة العربية، بل المقصود هو العناية بالتعريب المتوازن.

إن أفضل مشهد يمكن تصوره والعمل من أجل تحقيقه هو وجود طالب يتقن لغته العربية، و يقبل على تعليم جامعيّ معرَّب، ويتقن لغة أو لغات أجنبية تكون الأداة التي تمكنه من استكمال تكوينه العلميّ بمتابعة أهم المؤلفات والأبحاث في مجاله، في تخصصه، وتمكنه لاحقاً من كتابة أبحاثه بها، إلى جانب أبحاثه المكتوبة باللغة العربية، وهذا المشهد المتصور، للطالب العربيّ والجامعة العربية، هو الوضع الطبيعيّ الذي يشهده التعليم العالي في البلدان التي آمنت بوجودها الحضاريّ مهما كان موقعها بين الأمم المتقدمة.

وهدفنا هو تحقيق هذا الوضع الطبيعيّ بالدعوة إلى اعتماد تعريب متوازن يوازي بين إصلاح أوضاع تعليم اللغة العربية وبين تعريب التعليم العالي وبين تهيئة المحيط اللغويّ العربيّ. وأما إذا كان التعليم الجامعيّ معرَّباً وكان الطالب المقبل عليه غير مؤهل لغوياً فسيلاقي مشاكل لغوية وإدراكية ونفسية تحول دون نجاحه في متابعة دراساته العليا، وتحد من مردوديته. وتؤكد التجربة المغربية صحة ما نقول. فقد توقف تعريب التعليم عند نهاية المرحلة الثانوية وظلت الجامعات تقدم تكويناتها باللغة الفرنسية، خاصة في كليات العلوم والتقنيات والمعاهد المماثلة لها، ووجد الطالب المغربيّ نفسه في وضع لا يحسد عليه، إذ تلقى العلوم باللغة العربية، وألِفَ مصطلحاتها في التعليم الإعداديّ والتعليم الثانويّ ثم أصبح مطالباً بمتابعة دراسته الجامعية باللغة الفرنسية في التخصصات العلمية والتقنية وما شابهها وكانت النتائج سلبية جداً. فقد تخلف بعضهم عن متابعة الدراسة، وتحول بعضهم إلى كليات الآداب ضداً على رغبتهم، وأقبل معظمهم على المعاهد الفرنسية يتلقون فيها الدعم اللغويّ، وغادر من أتيحت له الظروف إلى بلاد أجنبية يتابع فيها دراساته العليا. واستخلص الناس العبرة وأصبح الميسورون يدفعون بأبنائهم إلى المعاهد الأجنبية ليتلقوا تعليمهم هناك منذ المراحل الأولى من التعليم حتى لا يواجهوا نفس المصير الذي لقيه من سبقوهم. ولاستدراك الوضع تم تخصيص ما بين 240 و 400 ساعة يقدم فيها دعم لغويّ للطالب في اللغة التي يريد متابعة دراساته العليا بها، وذلك في مشروع الإصلاح الجامعيّ الذي يتوقع الشروع في تطبيقه الموسم الجامعيّ الموالي للمقبل. كل ذلك يؤكد، بما لا مجال للشك فيه، أن التعليم الجامعيّ، بأية لغة كان، لا يمكن أن يحقق أهدافه ما لم يكن الطالب المقبل عليه متمكنا، إلى حد مقبول، من اللغة التي يقدم بها ذلك التعليم. وعندما نتحدث عن تعريب التعليم العالي يجب أن نستحضر هذه الحقيقة.

وباتباع التعريب المتوازن نستطيع في مستقبل قريب أن نؤمن وجود رصيد مهم من الطاقات البشرية المؤهلة؛ إذ سيتحول الطلبة إلى أساتذة وباحثين مترجمين، فنوفر بذلك من يدرس في الجامعة بلغة عربية فصيحة،

ومن يعد المادة العلمية اللازمة للتدريس، عـن طريق التأليف والترجمة، ومن ينجز الأبحاث العلمية. ونكون في الوقت ذاته قد أسهمنا في تهيئة المحيط اللغويّ وتعريبه .

وإني لأرى أننا، نحن دعاة التعريب، جامعيين وباحثين علماء وخبراء، مدعوون لبذل مزيد من الجهود لتصحيح طريقة عملنا من أجل بلوغ الهدف المنشود. وأما إلقاء المسؤولية على الحكومات العربية وعلى القرار السياسيّ، في شأن التعريب، فلا يخلو من تملص من المسؤولية، فقد أثبتت التجارب أن قرارات سياسية عديدة اتخذت عندما ظهر أن هناك دعماً متزايداً لمطالب محددة، وأن هناك ضغطاً عملياً مستمراً من أجل اتخاذ هذه القرارات. ولقد قدم المرحوم، الأستاذ محمد أبو طالب، نماذج على هذا الطريق باتصاله المستمر بوسائل الإعلام المختلفة مستنكراً ومصححاً وناصحاً. وقد كان عازماً على مقاضاة التلفزة المغربية بسبب عدم تقيدها بسلامة اللغة العربية والمصطلح العربيّ، ولست أدري إن كان قد فعل ذلك قبل وفاته.

ولذلك، فإن كل المعنيين باللغة العربية مدعوون لتكثيف جهودهم من أجل تمكين لغتهم في كل مناحي الحياة العلمية والثقافية والإدارية والإعلامية والتعليمية وغيرها. وسيكون القرار السياسيّ إلى جانبهم بعد الجهد المتواصل والعمل الدؤوب، ما دام ذلك كله في خدمة الأمة العربية ونهضتها. ثم إن عدداً غير قليل منا ، نحن دعاة التعريب، لا يكلفون أنفسهم عناء البحث عن الجهود الكبيرة التي تبذلها المجامع العلمية اللغوية العربية ومكتب تنسيق التعريب، (قراراته ومعجماته وأعماله وتوصياته)، في موضوع المصطلح العلميّ العربيّ، فيسمحون لأنفسهم، تحت وطأة نزعة التفرد، باستحداث مقابلات مصطلحية جديدة لا تدعو إليها حاجة، فيزيدون في وضع العقبات أمام توحيد المصطلح العربيّ، وإرباك القارئ العربيّ؛ فلا هم اطلعوا على المصطلح الموجود، ولا هم، إن اطلعوا عليه، بينوا سبب تركه وعدم صلاحه، وإن حصل أن التفتوا إليه قالوا : إنه لا يعجبني ! وما أبعد هذا عن الأسلوب العلميّ وعمل العلماء حقاً.

ولذلك، فإننا ندعو المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى نشر أعمال مكتب تنسيق التعريب وأعمال المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر على أوسع نطاق ممكن، كما أن المعنيين بالكتابة عموماً مدعوون إلى الاطلاع على هذه الأعمال وعدم تجاوزها إلا بدليل.

4- دور المنظمة العربية في إقامة تعريب متوازن:

تعد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الجهة المؤتمنة على تنفيذ ميثاق الوحدة الفكرية العربية الذي أقرته الدول العربية سنة 1964، والموكول إليها تحقيق مضمونه المتمثل في"التمكين للوحدة الفكرية بين أجزاء الوطن العربيّ عن طريق التربية والثقافة والعلوم ، ورفع المستوى الثقافيّ لهذا الوطن حتى يقوم بواجبه في متابعة الحضارة العالمية والمشاركة الإيجابية فيه"(7) .

ولما كان من اقتضاءات الوحدة الفكرية الوحدة اللغوية، فقد تم إنشاء أجهزة متخصصة أبرزها في هذا المجال مكتب تنسيق التعريب بالرباط والمركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، الذين أنيط بهما أمر توفير الوسائل الكفيلة بتحقيق تعريب شامل عبر التعاون مع المجامع اللغوية والجامعات والجمعيات وغيرها، والتنسيق بين جهودها.

وقد انكب مكتب تنسيق التعريب على توفير المصطلح العربيّ في مجال التعليم بمختلف مراحله وأسلاكه وفي مجالات الحياة ومرافقها العامة، في حين اتجه المركز العربيّ إلى "تأمين حاجات التعريب من المراجع والكتب والدراسات والبحوث والمستخلصات، ترجمة وتأليفاً ونشراً" (8).

وعلى الرغم مما بذل من مجهودات وأوقات وأموال، فإن أعمالاً كثيرة مازالت تنتظر التنفيذ لتحقيق الهدف.

وأستسمح حضراتكم بلفت الانتباه إلى سد بعض الثغرات بتقديم المقترحات الآتية.

5- الاقتراحات والتوصيات:

1- لا يمكن لمكتب تنسيق التعريب أو المركز العربيّ للتعريب، مهما بُذِل من جهود، أن يحققا الأهداف التي أنشئا من أجلها دون تعاون كامل ومخلص مع المجامع اللغوية العربية واتحادها بصفة خاصة؛ لأنها هي التي تزودهما إجمالاً بالمادة المصطلحية، وهي التي تساهم برأيها في إقرار توحيد المصطلحات العلمية أثناء انعقاد مؤتمرات التعريب، وهي التي تملك أدوات التأثير في محيطها. ومن ثمة فإن أيّ خلل أو قصور يشوب العلاقة بين هذه المؤسسات سيؤدي حتماً إلى أعمال ناقصة قاصرة، وإلى مزيد من تشتت الجهود. لذلك فإن التعاون مطلوب قيامه وتوثيقه بين المجامع اللغوية وكل الهيئات ذات الصلة وبين هذين الجهازين. لذلك فإننا ندعو المجامع اللغوية العربية واتحادها، وكل الهيئات ذات الصلة، كلجنة اللغة العربية في أكاديمية المملكة المغربية ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب وكل الجمعيات اللغوية في الوطن العربيّ ، إلى التعاون الكامل والمخلص مع مكتب تنسيق التعريب والمركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق. ويتم ذلك بتزويدهما بما توافر من مؤلفات وترجمات ومصطلحات في شتى ميادين العلم والمعرفة ومناحي الحياة والالتزام بما يصدر عنهما من قرارات وتوصيات، خاصة ما تعلق منها بمنهجية وضع المصطلحات وتوحيدها والعمل على استعمال المصطلحات الصادرة عن مؤتمرات التعريب في صياغتها النهائية، كل في مجال اختصاصه، ونشرها على أوسع نطاق بين المهتمين.

2- رصد حاجات الجامعات العربية في مجال الكتب العلمية والمصطلحات والتعاون معها تعاوناً وثيقاً في إنجاز المشاريع التي تستجيب للحاجات الفعلية.

3- تعميم الكتب المعرّبة على الجامعات العربية ووضع تجارب الجامعات السورية والمصرية والسودانية والأردنية وغيرها بين أيدي الأساتذة الجامعيين في البلدان العربية.

4- تنسيق العمل بين المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر وبين مكتب تنسيق التعريب بصورة تتعدى تبادل الإصدارات إلى التخطيط وإنجاز مشاريع مشتركة.

5- تنسيق العمل بين المركز العربيّ للتعريب وبين كل مراكز الترجمة في العالم العربيّ، كمركز الترجمة بالرياض وغيره.

6- مد جسور التعاون بين أجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المختصة وبين المعاهد والجمعيات

والمؤسسات المعنية بالتعريب والمصطلح، والاستفادة من أعمالها وخبراتها لإنجاز أعمال مشتركة، كل في مجال اختصاصه، كمعهد الدراسات المصطلحية بفاس المعنيّ بالمصطلح التراثيّ خاصة، وغيره.

الهوامش:

1- حجفة، عبد المجيد و شوطا عبد اللطيف (1992)، ص 48.

2- المرجع السابق.

3- تشومسكي (1975)، ص 69.

4- الفاسي الفهري (1999)، ص 8 و 9.

5- المرجع السابق، ص 9 و 10.

6- الدنان (1999).

7- انظر دليل تعريف مكتب تنسيق التعريب.

8- انظر دليل تعريف المركز العربيّ للتعريب و الترجمة و التأليف والنشر.

المراجع :

1- حجفة عبد المجيد و شوطا عبد اللطيف (1992)

تحويل القدرة من المغربية إلى العربية

في: قضايا اللسانيات العربية، إعداد شوطا و حجفة وكنكاي مطبعة دار قرطبة، الدار البيضاء، المغرب.

2- الفاسي الفهري، عبد القادر (1999) :

"اكتساب اللغة العربية و التعلم اللغويّ المتعدد"،

مجلة أبحاث لسانية، المجلد 4، العدد 1 و 2، دجنبر 1999،

منشورات معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب،الرباط، المغرب.

3- الدنان، عبد الله (1999):

دليل نموذج تربويّ متكامل لتعليم اللغة العربية الفصحى لأطفال الرياض بالفطرة، النظرية و التطبيق.

وثائق معرض الباسل للإبداع و الاختراعات السوريّ الثامن، دمشق 1999.

(4)- Chomsky, N (1975):
Reflections on language
Pantheon Books, Nerw York, 1975.

قضية التعريب في مصر

الدكتور/ محمود حافظ إبراهيم (*)

شهدت مصر على مدى الخمسين سنة الأخيرة، اهتماماً متزايداً بتعريب التعليم العالي والجامعيّ واتخاذ اللغة العربية لغةً للعلم والتعليم من منطلق واع مستنير، يستشرف الآفاق الرحبة لهذه اللغة ويـرى في قوتها وتراثها قدرة فائقة على استيعاب التطور المتلاحق في شتى قطاعات العلم والمعرفة، وعلى مواكبة الإيقاع السريع الذي نشهده اليوم وفي قابل الأيام لحركة العلم والتقدم العلميّ والتقانيّ (التكنولوجيّ)، متمثلاً في ثورتي الاتصالات والمعلومات، وعلوم الوراثة، والبيئة، والفضاء وغيرها، وما تفرزه من مصطلحات حديثة ومستحدثة قد تجل عن الحصر.

كما ينطلق الاهتمام بقضية التعريب من قناعة كاملة بأنه يعمل على النهوض بالتعليم الجامعيّ وبمستوى خريجيه الآخذ في الهبوط لدرجة لفتت إليه الأنظار في كل مكان.

كما يُعد التعريب قضية قومية والتزاماً له أبعاده العلمية والتعليمية والاجتماعية والثقافية، ووثيق الصلة بلغتنا وكياننا العربيّ وبمستقبل الأجيال الصاعدة بمختلف مراحل التعليم في مصر.

بداية التعريب في مصر:

يرجع الاهتمام بتعريب العلوم في مصر إلى سنوات بعيدة خلت، حين جدت مصر في نقل العلوم الحديثة إلى العربية في عصر محمد علي وما بعده، بغية استعمالها في التدريس في المدارس العليا، ومن هذه الجهود ما قامت به مدرسة الطب والصيدلة عام 1833 من ترجمة 86 كتاباً أجنبياً في عدة تخصصات لتعليم الطب والصيدلة، ولم تلبث هذه الكتب بعد نجاحها أن أخذت طريقها إلى تركيا والجزائر وتونس ومراكش.

كما قام رفاعة الطهطاوي (1801-1873)، شيخ المترجمين في عصره، مع معاونيه بحركة واسعة في هذا السبيل واتسع نطاقها بعد إنشاء مدرسة الألسن. وبعد عودة المبعوثين من أوربا، قاموا بالتدريس في المعاهد العليا باللغة العربية، وألفوا كتباً كثيرة ومراجع.

وبذلك تجمعت في مصر، في النصف الأول من القرن التاسع عشر وما بعده بسنوات، حصيلة ضخمة من علوم الغرب نقلها إلى اللغة العربية هؤلاء العلماء وأضافوا إليها، مما ساعد في حركة التنوير وفي تدريس هذه العلوم بالمدارس والمعاهد بلسان عربيّ مبين.

وبعد سنوات من الانحسار في عهد الاحتلال البريطانيّ، انتعشت الحركة العلمية مرة أخرى وعادت للغة العربية مكانتها بعد إنشاء الجامعة الأهلية عام 1908 والجامعة المصرية عام 1925. وقد نص قانون الجامعة على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم والتدريس، وإن كان قد سمح بتأجيل إعمال هذا

(*) نائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

النص في بعض الأحوال، فإنما كان ذلك لأجل موقوت.

الوضع الحالي بالنسبة لقضية التعريب في مصر:

ترتكز قضية تعريب التعليم العالي والجامعيّ على ثلاثة محاور أو اهتمامات هي: الأستاذ والكتاب والطالب، وسأعرض إلى كل منها وما أصابها جميعاً من تطور خلال ربع القرن الأخير في مصر، مع الاستشهاد بكلية العلوم بجامعة القاهرة- التي أعمل بها- منذ قرابة سبعين (70) عاماً حتى اليوم.

وأود أولاً أن أذكر أنّ في مصر الآن (12) اثنتي عشرة جامعة، بالإضافة إلى جامعة الأزهر، وخمس جامعات خاصة، وثلاث جامعات أجنبية إنجليزية وفرنسية وألمانية في الطريق إلى إنشائها. وللجامعات الحكومية عدد من الأفرع ستصبح في القريب جامعات إقليمية مستقلة. وتضم هذه الجامعات (215) مائتين وخمسة عشر كلية ومعهداً جامعياً، يدرس بها قرابة مليون ومائتي ألف من الطلاب، بالإضافة إلى 31 من المعاهد العليا، يدرس بها نحو ثلاثمائة ألف من الطلاب.

أما جامعة الأزهر فتضم 20 كلية بها 70 ألف طالب. وقد شهد ربع القرن الأخير في مصر الجانب الأكبر من هذه الزيادة الهائلة في أعداد الطلاب والكليات والمعاهد، وازداد تبعاً لذلك عدد أعضاء هيئة التدريس بالجامعات. ومن بين هؤلاء الطلاب نحو نصف مليون طالب يدرسون معظم مقرراتهم العلمية باللغة الإنجليزية، وهم طلاب كليات العلوم والهندسة والطب البشريّ وطب الأسنان والصيدلة والطب البيطريّ والمعهد العالي للتمريض ومعهد العلاج الطبيعيّ.ويقوم بالتدريس لهم نحو 30 ألفا من أعضاء هيئة التدريس.

دور الأستاذ والمعلم في قضية التعريب:

لا شك أن دور الأستاذ والمعلم دور رئيسيّ في تعريب التعليم العالي والجامعيّ وأحد أركانه الركينة. ويقوم الأستاذ بالتدريس للطلاب باللغة الإنجليزية، إذ تجذبه المادة العلمية المتاحة في مراجعها العلمية الأجنبية ويعزف عن استخدام اللغة العربية لغيبة المراجع العلمية بهذه اللغة، كما أن التدريس بالعربية يحتاج إلى بذل جهود مضاعفة لترجمة المراجع الأجنبية إلى العربية وهو في غنى عن ذلك.

وفي حقيقة الأمر أن التدريس بلغة أجنبية لا يساعد الطلاب على استيعاب المادة العلمية وفهمها و هضمها تماماً، ويزيد الطين بلة تكدس الطلاب بأعداد كبيرة، مما يجعل مهمة الأستاذ بالغة الصعوبة، ويظهر ذلك جليّاً في أوراق إجابات الطلاب في كليات العلوم والطب، حيث نلحظ انخفاض المستوى اللغويّ والعلميّ بدرجة لم يسبق لها مثيل، ومع ذلك نرى عزوفاً عن التدريس باللغة العربية.

وجملة القول، لا سبيل إلى تعريب التعليم العالي والجامعيّ ما لم يؤمن بذلك الأستاذ وعضو هيئة التدريس، ويرسخ في وجدانه قناعة قوية بأهمية التعريب باعتباره قضية قومية ووسيلة فعالة للارتقاء بمستوى التعليم، وأن يتوافر، بجانب هذه القناعة وهذا الإيمان، أحدث المراجع العلمية، ولا شك أن للأستاذ في ذلك دوراً كبيراً، ترجمةً وتأليفاً وتعريباً للمصطلحات،مع تأهيله للتدريس بالعربية لتحسن لغته

ويستقيم لسانه. إذا اجتمعت كل هذه المقومات واقترنت بقرار سياسيّ ملزم، فلا شك أن الأستاذ سيمضي في تأدية رسالته التعليمية بالجامعة بلسان عربيّ مبين.

الكتاب وقضية التعريب:

في السنوات الأخيرة زخرت المكتبة العربية في مصر، بالآف من الكتب العلمية في الطب، والمعاهد العليا التي تدرس علومها باللغة العربية، ولكن، على النقيض من ذلك، ظلت المكتبة العربية حتى اليوم فقيرة في المراجع والكتب العلمية التي يُعتدّ بها، مؤلفةً أو مترجمةً إلى اللغة العربية بكليات العلوم والهندسية والطب بفروعه المختلفة. وعلى سبيل المثال، قلّما تجد في مكتبة كلية العلوم بجامعة القاهرة كتباً باللغة العربية في الكيمياء أو الفيزياء أو علوم الحيوان والنبات، اللهم إلا بعض كتب طواها النسيان حين كنا ندرس لإعداديات الطب بالعربية لعدة سنوات مضت ثم تبدل الحال.

ومرد ذلك، الذي نشهده اليوم من قلة المراجع العلمية العربية بالجامعات في مصر، إلى العزوف عن التأليف بالعربية وترجمة أمهات المراجع والكتب إليها، في غيبة ما يدفع إلى ذلك. وها هو قانون الجامعات بمنأى عن التنفيذ منذ سنين طويلة، ومرد ذلك أيضاً إلى الأزمة التي تمر بها حركة الترجمة بوجه عام، لا في مصر وحدها، بل في بلاد أخرى من الوطن العربيّ.

هيئات علمية ولغوية تنهض بحركة التعريب في مصر:

في مصر الآن، ومنذ أكثر من ربع قرن، اهتمام من هيئات علمية ولغوية بقضية التعريب، وفي مقدمة هذه الهيئات مجمع اللغة العربية، وإيماناً منه بأهمية المصطلحات العلمية في هذه القضية وغيرها، فقد أنجز منها حتى اليوم قرابة (150) ألف مصطلح علميّ سجلت على الحاسوب في أقراص ممغنطة ووزعت على عدد من الهيئات العلمية والجامعية. ويرجع الفضل في تسجيلها إلى الدكتور محمد هيثم الخياط، بمنظمة الصحة العالمية، وهذه خدمة جليلة أداها للمجمع، كما أنجز المجمع(17) معجماً في مختلف التخصصات العلمية، عدا آلاف المصطلحات الحديثة والمستحدثة -تحت الإعداد- وقد عقد المجمع أيضاً مؤتمرين كبيرين عن قضية التعريب، وشهدت ساحته في السنوات الأخيرة العديد من المحاضرت والدراسات حول هذا الموضوع.

ومن الهيئات الأخرى ذات النشاط الكبير، الجمعية المصرية للتعريب، التي يرأسها العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي وأمينها الأستاذ الدكتور الحملاوي، وهما بيننا في هذا المؤتمر. كما يقوم مركز الأهرام للترجمة العلمية بنشاط ملحوظ بنشر الكتب والموسوعات العلمية في الرياضيات والطب والتقانة (التكنولوجيا) والحاسوب. كما أن الرسائل العلمية لدرجتي الماجستير والدكتوراه بالجامعات، (80) ألف رسالة باللغة الإنجليزية، كلها مذيلة بملخص باللغة العربية، وهكذا أيضاً كل البحوث العلمية المنشورة في مصر من قبل الجمعيات العلمية وغيرها.

بارقة أمل وتفاؤل:

مما يبعث على الأمل والتفاؤل أن بدأ تدريس بعض المقررات باللغة العربية في عدد من كليات العلوم والهندسة والطب البيطريّ، لا سيما في الجامعات الإقليمية والمعاهد العليا. ومن هذه المقررات الدراسية

باللغة العربية مقررات في الرياضيات في كلية العلوم في جامعة القاهرة. في السنوات الأولى، مقررات في خواص المادة والمساحة في كلية الهندسة – جامعة عين شمس- والبيئة النباتية في كلية العلوم – جامعة عين شمس- والفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان في كلية العلوم-جامعة المنصورة- في السنة الأولى، وعلوم الأجنة والتطور والبيئة بجامعة الأزهر، والوراثة وتربية الحيوان في كلية الطب البيطريّ – جامعة القاهرة.

اقتراحات وتوصيات لتعريب التعليم العالي والجامعيّ في مصر

أولاً: علينا أن نستمر في دعوتنا لتعريب العلوم والتعليم العالي والجامعيّ في مصر، وأن نعمل لذلك جهد الطاقة، وأن نتصدى بالحجج الدامغة لهؤلاء الذين يقفون ضد هذه القضية القومية.

ثانياً: دعوة المجلس الأعلى للجامعات إلى تبني هذه القضية ووضع خطة شاملة وزمنية لها، ودراسة وسائل تنفيذها، وتشجيع التأليف باللغة العربية وإعداد المكتبة العلمية العربية في مختلف التخصصات.

ثالثاً: العمل على توحيد المصطلحات العلمية في الوطن العربيّ.

رابعاً: إنشاء هيئة أو مؤسسة كبرى للترجمة والتأليف والنشر.

خامساً: ضرورة التوسع في تعريب المصطلحات العلمية، بما فيها الحديثة والمستحدثة، ووضع المعاجم العلمية المتخصصة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية.

سادساً: تكثيف العناية باللغة العربية في جميع مراحل التعليم الجامعيّ بخاصة، مع تأهيل أعضاء هيئة التدريس للتدريس باللغة العربية.

سابعاً: توجيه عناية خاصة إلى تعليم اللغات الأجنبية في مراحل التعليم العالي والتعليم الجامعيّ ومراحل الدراسات العليا، ليتاح الانفتاح على التقدم العلميّ العالميّ.

ثامناً: التأكيد على ضرورة إعداد ملخصات باللغة العربية لجميع البحوث التي تنشر بلغة أجنبية في المجلات العلمية، وكذلك الرسائل العلمية.

تاسعاً: على الإعلام، بروافده الثلاثة، أن يكثف عنايته باللغة العربية في جميع برامجه وبين المشتغلين به.

هذه اقتراحات وتوصيات حول استخدام اللغة العربية لغة للعلم والتعليم بالجامعات، طالما رددتها المؤتمرات والندوات واتحاد الجامعات العربية ومكتب تنسيق التعريب بالرباط ومنظمة اليونسكو واتحاد الأطباء العرب، كما نص عليها قانون الجامعات منذ 75 عاماً، ولا تزال القضية- قضية التعريب- قيد البحث والدراسة حتى اليوم.

وفي رأيي أنه إذا أريد لهذه القضية الحل فعلى الدولة أن تحسمها بقرار سياسيّ ملزم، يوفر لها أولاً كل الإمكانات، ويضع لها الخطة والبرامج للعمل والتنفيذ والانطلاق، باعتبارها قضية قومية ووطنية وثيقة الصلة بكياننا العربيّ ومستقبل التعليم والأجيال الصاعدة في مصر.

تجربة التعريب في التعليم العالي
في تونـــــس

د. الحبيب دلالة(*)

بقطع النظر عن بعض الخصوصيات اللغوية المميزة لمختلف الأجزاء القطرية والمحلية في الجناح الغربيّ من العالم العربيّ، تُطرح قضية التعريب في تونس، كما تُطرح في بلدان المغرب العربيّ الأخرى التي عاشت فترة ليست بالقصيرة كانت الفرنسية، خلالها، أساس التعاملات الإدارية والاقتصادية والتعليمية. واعتباراً لهذا الإطار التاريخيّ، يأخذ طرح القضية، من زواياها اللغوية والثقافية والعلمية التعليمية، شكلاً مميزاً ومغايراً لما هو عليه الأمر في الجناح الشرقيّ من وطننا العربيّ.

والحقيقة الأساسية الأخرى، التي تحتاج التأكيد، هي الأهمية المتزايدة التي ما انفكت تونس توليها لقضية التعريب، ذلك:

-لأن اللغة العربية هي لغة حوار وإبداع، يشترك فيها عدد كبير من الأقطار العربية، تربطنا بها أواصر تاريخية حضارية واحدة؛

-وهي مكون أساسيّ من مكونات هويتنا باعتبارها لغة الثقافة التي تربطنا بماضينا وتشدنا إلى محيطنا الجغرافيّ؛

– وهي كذلك أداة لنقل العلم وتدوين إبداعاته، ترفدنا بعلوم العصر التي نستوعبها فنصوغها بلغتنا حتى نقربها من طلبة التعليم العالي ونفتح أمامهم آفاقاً جديدة واسعة، بحيث يزيد ما ننقل باعتمادها في درجة وعيهم الثقافيّ واستيعابهم لمعارف ومناهج العصر وينمي قدراتهم على تدوين ابتكاراتهم في ميدان البحث.

أما تجربة التعريب التونسية في ميدان التعليم العالي فقد شهدت تطوراً، نستعرض بداية مراحله الرئيسية، قبل التركيز على التوجهات المعتمدة حالياً في تونس لمواكبة المستجدات التي ترتبت على الثورة المعلوماتية وتسارع نسق الإبداع العلميّ والتقنيّ (التكنولوجيّ) في العالم.

1- أطوار تجربة التعريب التونسية في التعليم العالي

في مرحلة أولى، جعلت دولة الاستقلال من العربية بديلاً عن الفرنسية، ولغة رسمية للنظام الجمهوريّ الجديد، باعتبارها ركناًمن أركان السيادة وإحدى مقومات الهوية الوطنية، وسبيلاً لاسترجاع الثقافة العربية التي لم يتمكن الاستعمار، إطلاقاً، من طمسها في تونس.

لكن، اعتباراً لأهمية الإرث اللغويّ الاستعماريّ، واستجابة لضرورات التعاون الخارجيّ، من أجل التنمية، لم تثر الازدواجية اللغوية في الإدارة والتعليم جدلاً بعد

(*) أستاذ تعليم عالي وعميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

تعريب قطاعات السيادة الرئيسية، كالعدالة والدفاع الوطنيّ، بل إن الإرادة السياسية كانت آنذاك أشد حرصاً على تونسة الأطر والمؤسسات، لتلافي النقص في الموارد البشرية خدمة لأهداف الاستقلال وأولويات التنمية.

وفي مرحلة ثانية، اتجه الاهتمام إلى دعم التعريب في قطاع الإدارة والتربية، نتيجة المجهودات الكبيرة التي بذلت في ميدان التعليم وتكوين الإطار الكفء. وفي هذا المجال، تم منذ الثمانينات تعريب العلوم الإنسانية والاجتماعية في المرحلتين الأساسية والثانوية، كما تم منذ التسعينات تعريب العلوم والرياضيات في المرحلة الأساسية، استعداداً لتعميم التجربة على المرحلة الثانوية بأكملها.

وبالتوازي مع ما تحقق في التعليم الأساسيّ والثانويّ، قطع التعريب في مختلف مراحل التعليم العالي، وبصفة خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، أشواطاً مهمة وذلك بالشروع، بعد تركيز الجامعة التونسية العصرية تركيزاً كاملاً، وبالتحديد منذ الثمانينات، في برمجة نسبة متزايدة الارتفاع من الدروس والأشغال المسيرة والتطبيقية باللغة العربية، وتدرجت النسبة إلى ما يزيد عن 50 % على أن يقع الإبقاء على نسبة 30 % تدرس بلغة أجنبية، وهو القدر الأدنى الذي يضمن قدرة الاطلاع، بشكل مَرْضِيّ، على مصادر المعرفة الأجنبية ويتيح إمكانية المساهمة الفعالة في المؤتمرات العلمية بالخارج لتيسير الإشعاع العلميّ العالميّ الضروريّ للجامعة و الجامعيين.

هذا، ولا تزال المسالك العلمية والتقنية والإعلامية تستخدم اللغة الفرنسية في التدريس والبحث، على الرغم من بعض المحاولات المحدودة والمتفرقة في التعريب (في مجال الطب مثلاً)، وذلك لندرة المراجع العربية والمعاجم المختصة ولمحدودية التأليف العربيّ المبتكر، وحفاظاً على المستوى العلميّ في هذه الاختصاصات، على أن يشرع في تطوير تدريس العلوم والتقنيات حالما يعمم التعريب على المرحلة الثانوية بأكملها.

والجدير بالتأكيد في هذه المرحلة، أن تعريب الدروس ومناهج البحث في التعليم العالي، وبشكل خاص في العلوم الإنسانية والاجتماعية، تم بصفة غير قسرية حيث أوكل اختيار لغة التدريس والبحث لمجالس الأقسام وللأستاذ والباحث؛ أي لأهل الذكر من الجامعيين الذين بادروا بنسج علاقات مع جامعيين وجامعات في بلدان الشرق الأوسط و المغرب الأقصى، وجلبوا ما أصدرته من مؤلفات، للاستعانة بها في تعريب المفاهيم والمصطلحات.

والحقيقة أن في السعي إلى تعريب الإنسانيات، التي تُعنى في جوانبها الميدانية والعملية على الأقل بالواقع المحليّ وبالآليات المتحكمة في إنتاجه على مر العصور، سعي إلى نحت شخصية المواطن التونسيّ العربيّ وتجذّره في ماضيه وحاضره، وكذلك في محيطه المباشر وغير المباشر، مع الحرص على تعليم اللغات الأجنبية الفرنسية والإنجليزية، وعند توفر الإمكانية، الإسبانية والألمانية. ويعني ذلك أنه لا توجد رغبة في إضعاف اللغات الأجنبية، باعتبارها رافداً أساسياً لإثراء معارفنا وإنماء مناهجنا، بحيث نستفيد من أحدثها ونتابع ما جد في مختلف قطاعاتها ونسيطر على ما فيه من طرافة وإضافة، ولكي نتجنب الانغلاق الناتج عن قلة المراجع باللغة العربية ومحدودية الإنتاج العلميّ إجمالاً بمنطقتنا.

في مجال التأليف الجامعيّ المبتَكر، استخدمت عدة قنوات لعل أهمها في المرحلة الثانية، وكذلك في المرحلة الثالثة:

أولاً- مصالح النشر الخاصة بكل مؤسسة، وتتولى هذه المصالح نشر الأطروحات وفعاليات الندوات العلمية والمجلات المختصة باللغتين العربية والفرنسية، كحوليات الجامعة والكراسات التونسية والمجلة الجغرافية التونسية والمجلة التونسية لعلوم الشغل " العمل والتنمية" ومجلات أخرى عديدة يطول استعراضها الآن.

ثانياً-مصلحة النشر بالمعهد العالي للتربية والتكوين المستمر التي أصدرت سلسلة مراجع باللغتين العربية والفرنسية قبل أن تختفي.

ثالثاً- المجمع التونسيّ للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة) المتخصص في ترجمة الكتب العربية القيمة إلى اللغات الأجنبية والكتب القيمة والقديمة من لغتها الأصلية إلى العربية، وكذلك نشر فعاليات الندوات العلمية في الفلسفة والفنون والأدب.

رابعاً- الجمعيات العلمية، كجمعية الجغرافيين التونسيين والجمعيات الفلسفية وغيرها التي تصدر مجلات.

خامساً- مركز النشر الجامعيّ الذي ينشر الكتب الجامعية وفعاليات الندوات العلمية باللغتين العربية والفرنسية. وإذا حصرنا اهتمامنا، على سبيل المثال، في منشورات هذا المركز، تطالعنا بعض الأرقام المعبرة. ففي العلوم الإنسانية، بمختلف فروعها، وفي العلوم الاقتصادية والمحاسبة والقانون والعلوم السياسية، تمكن المركز من نشر 38 مؤلفاً، باللغة العربية، من مجموع 77 كتاباً.

والواقع أن مبادرة التأليف تعود إلى أساتذة باحثين، فرادى أو جماعات، بعضهم يتقن اللغتين يكلفون بالتقييم، للتأكد من طرافة العمل وصلاحيته لتكوين الطلبة في مختلف مراحل التعليم العالي والبحث العلميّ. ويراجع النص، المقترح للنشر، مبرز في اللغة العربية أو الفرنسية، حسب الحالة.

2-توجهات التعريب الجديدة وصناعة المحتوى باعتماد الحوامل الجديدة والكتابة الرقمية.

في المرحلة الحالية، تحول الرهان من تونسة الإطار والمؤسسات والتعريب التلقائيّ أو المدعوم، للغة التدريس والبحث والتأليف في الجامعة، إلى رهان جديد متعدد الأوجه:

- يتمثل الوجه الأول في الحث على الابتكار في الإنتاج العلميّ والتقنيّ وفي إحداث الشعب والمسالك الجديدة والمؤسسات الجامعية المناسبة لتمكين الطالب من انتهاز فرص الشغل السانحة. ويؤكد ضرورة الاطلاع على الآخر والاحتكاك به ومحاكاته في نطاق انفتاح الجامعة على محيطها المحليّ و العالميّ.

-ويتمثل الوجه الثاني في إرساء صناعة للمحتوى الرقميّ باعتماد الحوامل الجديدة. وفي هذا الإطار تحولت الأولويات إلى التجديد البيداغوجيّ وتنويع الإنتاج العلميّ بأشكال تتراوح بين التبسيط والتخصص الدقيق وبين كتابة النص العاديّ وكتابة الملتيميديا، وذلك استجابة لحاجات التسويق المختلفة في الداخل والخارج. ويعتبر ذلك وسيلة مهمة للتعريف بإنتاجنا العلمي وبتراثنا الحضاريّ، وذلك باعتماد أكثر من لغة، إلى جانب اللغة العربية

طبعاً، مع السعي الجاد إلى إبراز الخصوصية والتميز.

- ويتمثل الوجه الثالث في ضرورة تخطي مرحلة الانفتاح لاقتحام مرحلة الشراكة واستغلال كل الإمكانات المتاحة مع مختلف الجامعات العمومية والخاصة، في الداخل والخارج وفي المنطقة العربية والمتوسطية ومع الاتحاد الأوروبي، في نطاق اتفاقية التبادل الحر. ولقد شرعنا في تنفيذ بعض التجارب المتعلقة بفتح شهادات مزدوجة مع بعض الجهات الجامعية الأجنبية.

- ويتمثل الوجه الرابع في تأسيس التكوين عن بعد بتأسيس جامعة تونس الافتراضية، المكلفة بإعداد دروس متعددة الوسائط، تندرج مباشرة في برامج التعليم العالي. ويهدف هذا التوجه الجديد إلى مجابهة تسارع نسق ارتفاع عدد الطلبة، وكذلك إلى تجديد المقاربات البيداغوجية. والجدير بالذكر أن الشروع في تنفيذ هذه التجربة يتم بلغة التدريس.

والجدير بالذكر أيضاً، في هذا السياق، أن تعريب المعارف والمناهج أصبح في المرحلة الحالية يضطلع بدور أساسيّ، بالنسبة إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية، في نقل المحتويات العلمية والتقنية، إلى جانب أهمية دور اللغتين الفرنسية والإنجليزية اللتين تم تعميمها على كل الاختصاصات الأدبية والإنسانية والاجتماعية والعلمية والتقنية والفنية تماماً كما تم تعميم دروس الإعلامية وحقوق الإنسان في الحقل الجامعيّ.

وفي خاتمة تقديمنا للتجربة التونسية، نؤكد على سعي تونس إلى تكثيف التعريب في التعليم العالي، وعلى اعتبار اللغتين الفرنسية والإنجليزية أداةً لدعم التعاون العلميّ لتكوين المكونين والتوثيق والبحث وكسب التقانات (التكنولوجيات) وتطوير التكوين عن بعد. وبقدر ما حرصت تونس على ربط المواطن التونسيّ بالموروث التاريخيّ والثقافيّ العربيّ الإسلاميّ فهي تحرص في نفس الوقت على مزيد من الانفتاح على العالم الخارجيّ، في نطاق التزاماتها المستندة إلى انتماءاتها الإقليمية والحضارية وإلى اتفاقية التبادل الحر مع أوروبا ولضرورة الاطلاع على ثقافة الآخر وإبداعاته وتطوره. وقد قاد هذا الأمر تونس إلى توخي سياسة توفيقية متوازنة في ظرف يحتاج إلى مزيد من التشبث بمقومات الهوية، ويفرض التقيد بالضغوطات الإقليمية وبحتمية ظاهرة العولمة.

وإن كان لابد من مضاعفة الجهود لتنشيط حركة التعريب في منطقتنا، تثميناً للجهود التي بذلت في إعداد المعاجم المختصة، فإن دعم تبادل المنشورات يصبح أساسياً للتعريف بالإنتاج العلميّ العربيّ، فضلاً عن ضرورة تكثيف الملتقيات العلمية العربية وتبادل الأساتذة والطلبة، كما يحتاج استكمال مشروع التعريب إلى إحداث جامعة افتراضية رقمية عربية، تتولى نقل الدروس وربط الصلة بين الجامعات والمؤسسات الجامعية وأساتذتها وطلبتها، في كامل أرجاء الوطن العربيّ.

اللغة العربية في التعليم العالي بالجزائر
-واقع وبديل-

د. صالح بلعيد (*)

المقدمة: إنّ بحثي في موضوع اللغة العربية في التعليم العالي في الجزائر (1)-واقع وبديل- جاء ليقدّم مسحاً شاملاً لواقع الجامعة الجزائرية منذ دولة الاستقلال إلى يومنا هذا عبر كل المستويات والطروحات التي عاشت الجامعة مخاضها، وما تولّد عنها من ارتكاز وانتكاس. وعن طريق ذلك أدعو إلى إعادة النظر في مألوف لم تؤتَ ثمارُه، فكان لابدّ من رؤية أخرى تأتي عن طريق التغيير في أنماط قديمة، وهو ما سميته "بديلا". إنّ الواقع في بعده الحقيقيّ يعطي لنا الوضع القائم كما هو، وعن طريقه نقدّم البدائل النوعية والصياغة الجديدة لبعد مستقبليّ يعمل على ردم بعض الانتكاسات التي لوحظت في تردّي أوضاع اللغة العربية في التعليم العالي.

لقد بلغ السيل الزبى، وأصبحت العربية رمزاً للبعد عن العلم في منظوره التقنيّ، وباتت لصيقة بالآداب والحقوق وعلم الاجتماع، وهي علوم استطاعت أن تجيد فيها فنون الكرّ والفرّ لا غير. ومن ذلك استدعى مني الموضوع إلقاء نظرة مختصرة على السيرورة التي مرّت بها اللغة العربية في الجامعة الجزائرية بغية استخلاص ما يؤخذ على اللغة العربية في التعليم العالي، وعليه أبني مقترحاتي التي تحاول تفادي تكرار تلك المعيقات التي تلصق بها. وهكذا فمن خلال هذه المقدمة، فإنّ المعطيات التي أمتلكها تشير إلى أنّ اللغة العربية شهدت مراحل ثلاث (2) وهي:

1- المرحلة الأولى: وهي مرحلة الستينيات، حيث تعتبر هذه الفترة أسيرة الموروث الفرنسيّ؛ جامعة واحدة، ومركزان جامعيان، وأربع مدارس عُليا. فأما الجامعات والمراكز الجامعية فهي:

- جامعة الجزائر.
- المركز الجامعيّ بقسنطينة.
- المركز الجامعيّ بوهران.

وأما المدارس العليا، فهي:

- المدرسة العليا المتعدّدة التقنيات بالحراش.
- المعهد الفلاحيّ بالحراش.
- المدرسة العليا للتجارة بالجزائر.
- المدرسة العليا للأساتذة بالقبة.

وفي تلك الفترة كانت العربية واللغات الشرقية تدرس بالفرنسية. وأما قسم اللغة العربية فلم يظهر إلا في سنة 1968م عندما صدر مرسوم يقضي بمنح الإجازة بالعربية. وسبقه تأسيس الفرع المعرّب للحقوق سنة 1967م(3). وبذلك أصبح الأدب العربيّ يدرّس في

(*) عضو المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر

ذاته وبلغته العربية، إلا أنّ الإقبال عليه ظلّ قليلاً. وعلى العموم فإنّ وجود اللغة العربية في تلك الفترة اقتصر على أقسام الآداب وبعض مساقات في الحقوق، ويضاف إلى ذلك أنّ الهيئة التدريسية والبرامج والمحتوى مشرقية.

ومما يعزى لهذه الفترة أنّ الظروف أعطت للغة الفرنسية روح الريادة، وأنّ التراتب اللسانيّ كان في صالح اللغة الفرنسية، فكانت لغة الانتقاء الاجتماعيّ. فأغلب المدرسين سبق أن تلقوا تكوينهم الأكاديميّ بالفرنسية، ومن يتمكن شيئاً ما من العربية يُدرِّس بها، فكان يحتاج إلى إعادة تكوين حقيقيّ لغويّ ومعرفيّ، في الوقت الذي عرفت اللغة العربية ثغرات في نظامها النّحويّ والمعجميّ والمصطلحيّ وفي طرائق التدريس، إلى جانب غياب مشروع حقيقيّ لتصحيح وضع اللغة العربية ثقافة وتدريساً. وفي ذلك الوقت، برزت فكرة التعريب كشعار لمعارضة وضع لسانيّ كانت الفرنسية (لغة المستعمر) هي السائدة فيه. واستفادت من هذا الوضع الشرائح الاجتماعية المحظوظة على حساب الفئات الأخرى المحكومة بالتعريب، التي كانت تأمل وجود تكافؤ بين سائر أفراد المجتمع.

2-المرحلة الثانية: وهي مرحلة السبعينيات، فقد ورثت هذه المرحلة إرث الستينيات حيث عاشت اللغة العربية وضعية متدهورة، خرج الرعيل الأول معرباً مائة في المائة وحاملاً لرصيد معرفيّ كانت فيه العربية وسيلة للثقافة، حيث تزوّد الطالب بمعارف تعتمد الزينة اللفظية والشكلية التي لا روح فيها. لكنّ العربية بدأت تأخذ الحيّز الأوفى في منظومة التعليم العالي، وذلك في المخطط الرباعيّ (1970-1974) الذي طرح تعريب المواد الإنسانية، إلى جانب إصلاح التعليم العالي لسنة 1971م، والقاضي بأن تأخذ اللغة العربية حيّزاً أكثر ممّا كان. وفي هذه المرحلة تمّ:

أ- تعريب بعض الأقسام والمعاهد تعريباً شاملاً.

ب- توحيد أنماط التعليم، بإدماج التعليم الأصليّ التابع للشؤون الدينية.

جـ-افتتاح الفروع المعرّبة الأخرى كالرياضيات والفيزياء.

د- إنشاء لجان دائمة في كل الجامعات لمتابعة عملية التعريب.

هـ- بداية ظهور "جَزْأَرَةِ" الهيئة التدريسية في العلوم الإنسانية.

ورغم ما أُنجز لصالح اللغة العربية، فقد أنتجت تلك الفترة جيلين متناقضين، من موروث الفصل بين التعليم العام والتعليم الأصليّ، وهما:

- جيل "مُفرنَس": لا يفهم العربية، وهذا الجيل خريج جامعة جزائرية ببرنامج موروث.
- جيل "معرَّب": لا يفهم الفرنسية بتاتاً، وهذا الجيل في أصله، من تلاميذ ثانويات التعليم الأصلي، أو الزوايا، أو المدارس الحرة، وبعضهم من أولئك التلاميذ الذين تلقوا تكويناً بسيطاً في السجون، وبعضهم الآخر من التلاميذ أو الطلبة العائدين من البلاد العربية الذين كانوا يزاولون دراساتهم بالعربية أثناء فترة الاحتلال، فدخلوا الجامعة إثر الاستقلال. وإلى جانب ذلك التناقض، عرفت هذه المرحلة بعض الوضعيات الصعبة مثل:

- عدم تكافؤ في الحظوظ بين العربية والفرنسية.
وقد أشار المخطّط الرباعيّ إلى تعليم اللغات الأجنبية من أجل التبادل والانفتاح على الثقافات الأخرى، واعتبارها واسطة لامتلاك المعارف العصرية، وسكت عن ذكر اللغة الفرنسية ذات الخصوصية، فعدّها لغة من اللغات الأجنبية ضمنياً، إلا أنّ وضعها يختلف عن وضع اللغات الأجنبية الأخرى، وهذا ما كرّس ضمنياً دونية اللغة العربية في السياسة التعليمية.

- سكوت المخطّط الرباعيّ عن قضية تعريب المواد العلمية، وعن التعدّد اللغويّ والاختلاف الثقافيّ، وهذا موقف مبرر لوضعية عرفتها الجزائر منذ الاستقلال.

ولقد أضحى الشباب المتخرّج من الجامعة الجزائرية آنذاك يعيش شرخاً لغوياً؛ بعضهم لا يتحكّم في لغته، وبعضهم لا يتحكّم في الفرنسية، وكان ذلك امتداداً للمرحلة الثانوية التي عرفت تخصيص أقسام معرَّبة وأقسام مُفَرنَسة، وكاد أن يضيع الطالب، بل كان أحدَ الأزمات في الصراع بين المعرَّب والمفرنَس. وظهرت آنذاك، بعض المناوشات في التنظيمات الطلابية، وفي حملات التطوّع.

ومع كل ما قُدم في تلك الفترة، فإنّها لم تمر بسلام؛ ويمكن اعتبارها مرحلة تأسيسية لتأخذ اللغة العربية في الجامعة مكانها، رغم تلك المآخذ التي سجّلتها استبانة الألكسو سنة 1974م وما ترتب عليها من تدهور الوضع اللغويّ المتمثل في:

1- ضعف الذخيرة اللغوية لدى الطلبة المعرَّبين.

2- قلة اطّلاع المدرسين على الجديد في مجال العربية.

3- الازدواج اللغويّ بين الفصيح العربيّ وعاميه.

4- القصور في إعداد مدرسي اللغة العربية.

5- تقسيم اللغة إلى فروع لا يتماشى مع طبيعة اللغة التي هي وحدة متكاملة [4].

وأمام هذه الوضعية، ما زال بعض أعضاء الهيئة التدريسية يُنتدبون من المشرق، والبرنامج مستورد، في معظمه، مع محتواه اللغويّ والعلميّ، باستثناء بعض اللمحات البسيطة عن الأدب الجزائريّ المدوّن في الأربعينيات. وفي الجانب الآخر، نرى المدرسة العليا للأساتذة في العلوم قد سجلّت طفرة نوعية في مجال توظيف اللغة العربية، ولكن بإطار وببرنامج مشرقيّ في الكثير من الحالات. وأما المدارس الأخرى والكليات الجامعية فلا يُذكر فيها اسم اللغة العربية.

وما يمكن أن يسجّل على تلك المرحلة التي رفعت شعار الثورة الثقافية، أنّ التنظير الثوريّ رأى أنّ التعليم أساس التنمية، وهو السبيل إلى اقتصاد المعرفة، وأنّ الثورة التي تصنع الفكر لا يمكن أن تبرز إلا إذا حصلت معها ثورة في اللغة؛ أي مراجعة اللغة وبعث لأصولها وإجراء تحوّل في طرائق استخدامها، ولكن كان ذلك من باب التنظير؛ حيث سجّل التعجيم[5] بعده العام في مناحي الحياة، وعرفت المرحلة ازدواجية متوحشة[6]؛ لأنّه حصل حصار لسانيّ للعربية على أنّها عاجزة عن تنظيم تواصلها بطريقة علمية.

3- المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الثمانينيات وما بعدها، وفيها وضع مشروع لتعريب التعليم العالي المستمدّ من مبادئ الميثاق الوطنيّ سنة 1979م. وعرفت

الجامعة إضراب 1979-1980م والذي عجّل باستصدار القرار السياسيّ القاضي بتعريب العلوم الإنسانية، وشهدت الفترة ما يلي:

- تحويل الأساتذة المدرسين للعلوم الاجتماعية بالفرنسية إلى التدريس بالعربية.
- السير في وضع المصطلحات العلمية.
- تطوير سياسة الكتاب المعرّب.
- ترقية الدراسات العليا.
- تدعيم التعاون العلميّ بين البلدان العربية.
- تنظيم ملتقيات لمعالجة ظاهرة القصور اللغويّ بالعربية لدى هيئة التدريس.
- تنظيم دورات تدريبية لفائدة أساتذة اللغة الفرنسية الذين تعرّبوا.

وهكذا بدأت العربية تأخذ الحيّز اللائق بها في دواليب التعليم العالي، بعد تعريب العلوم الإنسانية. ولكن المرحلة اصطدمت بصعوبات عدة، يمكن إجمالها في النقاط التالية:

1- إنّ تحويل الأساتذة المفرنسين والمدرسين للعلوم الإنسانية، للتدريس بالعربية، تمّ دون تخطيط عقلانيّ، فعدد لا يستهان به من الأساتذة المجبرين على التدريس بالعربية لا يتقنون العربية، وأكثرهم تلقّوا تكوينهم بالفرنسية، وبعضهم من كبار السنّ؛ يصعب عليهم خوض غمار إتقان اللغة العربية، وكان ذلك أحد الأسباب التي أدّت بهم إلى إلقاء دروسهم ومحاضراتهم بالعامية. فسببت تلك العملية نفوراً لدى المتمدرسين، الذين لاحظوا أنّ العربية ليست راقيةً في أفواه أساتذتهم ممّا كرسّ مرة أخرى دونيةَ اللغة العربية، وبفعل ذلك تأخرّت سيرورة التعريب في الميادين العلمية بسبب العجز المنسوب إلى اللغة العربية، التي وُصفت بأنّها لا يمكن أن تكون رافداً للمعرفة الحديثة، الأمر الذي يقتضي تطويرها أولاً، ونعلم أنّ ذلك يتطلب زمناً وتكلفة وإجماعاً قومياً، وهو فعل نجح فيه مخططوه.

2- نقص المراجع باللغة العربية، وافتقار بعض الكتب المعرَّبة إلى الدقة العلمية التي يقتضيها البحث العلميّ.

3- قلّة استخدام الوسائل والمعينات التعليمية الحديثة.

4- بقاء التعليم العالي في نمطية مغلقة، وببرامج منسوخة، تحدث فيها تغييرات تجميلية.

5- عدم الاهتمام بالندوات والرسكلة (التدريب الإضافي)، وخلايا البحث التربويّ.

وأدّت هذه المعطيات عند تقويمها، في أوائل التسعينيات، إلى نتائج سلبية، بل حدث أن رفعت هذه الشريحة صوتها بإعادة النظر فيما قُرِّر، مما جعل أصحاب القرار يتريّثون في المشروعات المتمّمة. ويتمثّل ذلك في:

- التراجع عن التدريس بالعربية في بعض مواد العلوم الإنسانية في بعض الجامعات الوطنية.
- التخلّي عن تدريس مادة المصطلحات في المعاهد العلمية.
- السكوت عن السياسة المبرمجة لتعريب المواد العلمية، والآجال المحدّدة لذلك.
- بقاء الجامعة والمعاهد العليا تسير بوتيرة تقليدية، وعدم مسايرة المستجدات العصرية.

وهذه المعطيات صاحبتها مجموعة من فعاليات المحيط الخارجيّ الذي يشهد قفزات نوعية في اللغات

الأجنبية بحثاً وإنتاجاً. ومحيطنا العربيّ الذي يشهد انحداراً شاقولياً في كثير من فعاليات اللغة العربية، ويمكن التنصيص على هذه النقاط:

1- المحيط العالميّ الذي يتصف بتقدّم رهيب في مجال الإعلام الآليّ.

2- الإنتاج النوعيّ والرهيب والمتلاحق يومياً باللغات الأجنبية.

3- العولمة اللغوية التي تسلّطها اللغات الأجنبية على لغات الشعوب المتخلّفة.

وفي الجانب الآخر نشهد:

1- الفقرَ اللغويّ المزريّ في مجال الإنتاج المعرفيّ الغة العربية.

2- فشلَ سياسة التعريب في أكثر الأقطار العربية.

3- ضعفَ التخطيط اللغويّ للمؤسسات الثقافية العربية، وغياب سياسة لغوية مبنية على منهجية دقيقة.

4- نقصَ الصرامة اللغوية في متابعة الأفكار والمقترحات المتعلّقة بتطوير اللغة العربية.

وبعد سردي للمراحل التي مرّت بها العربية في التعليم العالي، وتعرضي للصعوبات التي واجهتها في كل مرحلة، بصُرت بنظرة جديدة تعمل على التغيير، ويبدو لي أنّها محكّ في الفعل التربويّ للتعليم العالي الذي يحتاج إلى إصلاح جديد. وإنّ النظرة الجديدة التي أقدّمها في شكل مقترحات هي مناط القضاء على الصعوبات التي مُثلت للعربية في تلك المراحل الأولى، بإضافة بعض المعطيات المتعلّقة بالظرف الراهن. وكان عليّ أن أقدّم هذه النظرة المتماشية مع الإصلاحات التي نرمي أن تعرفها الجامعة لاحقاً، وهي:

أولاً: الإقرار بالحلّ العقلانيّ للمسألة اللغوية في بلادنا، فيجب طرح كل الأفكار التي ما تزال تبحث عن مواقعها من خلال اللغة التي تتحكّم فيها، وتكون هناك قراءة جديدة لمواد الدستور في مجال اللغة العربية واللغات الوطنية. وإعطاء وضع خاص للغات الليبرالية[7] ذات الاستقطاب الثقافيّ والعلميّ في اللغات الأجنبية، لأنّ العولمة تفرض أنماطاً يصعب تلافيها كما أنّ الوضع الاستعماريّ لبلادنا فرض اللغة الفرنسية كمكسب يجب الاستفادة منه.

ثانياً: يجب الإقرار بأنّ أساليب تعليم العربية تحتاج إلى إصلاح؛ حيث لم تحقّق الطرائق التعليمية أهدافها، فتخرج طلاب معوجي اللسان ينطقون بعربية ملحونة، ورجعنا القهقرى في شتى الميادين، بلهَ الحديث عن ميادين العلوم والتعليم العلميّ والتقنيّ. وهنا نحتاج إلى تخطيط لغويّ يأخذ في الحسبان المراجعة الدقيقة لكل أنماط اللغة، وأن نجتهد في تعليم وتعلّم اللغات الأجنبية: فمن الخطأ أن لا نتعلّمها نستفيد منها.

ثالثاً: العمل بتقنيات الاستبيان أو دراسات الجدوى، لمعرفة مشكلات اللغة العربية في الجامعة الجزائرية وفي المعاهد العليا؛ بغية تحصيل نقاط القوة لتدعيمها، ونقاط الضعف لتفاديها. وهذا هو العمل العلميّ الذي تعمل به اللغات الحيّة من أجل سدّ النقائص التي تعرقل نموّها اللغويّ وإنتاجها المعرفيّ. وسابقاً لم يكن العمل بهذه التقنية التي تلبي طلبات المستهلك للغة باعتباره يتعرّف صعوبات لغته وهو

يوظّفها. وفي هذه النقطة أريد أن أشير إلى ضرورة التكامل بين أنماط المنظومة التربوية عن طريق وصاية واحدة تعمل على الامتداد الطبيعيّ للبرامج والمحتوى اللغويّ [8].

رابعاً: يجب أن لا تناقش قضية اللغة العربية الآن من خلال واجهة سياسية أو نقابية ترتبط بالروح العاطفية والمطلبية، وعلينا الابتعاد عن المناداة باستصدار القرار السياسيّ للتدريس بالعربية في كل الكليات، أو التعريب التدريجيّ. وعلى المنادين بذلك العمل على تهيئة الأرضية المناسبة للتعريب، وحينئذ سيتم التعريب دون قرار سياسيّ. وإنّنا لسنا في حاجة إلى قرارات جديدة فإنّ السنين تمرّ، ونحن نصدر قرارات وتوصيات، والمشكل ما يزال قائماً، والأجدر بنا أن ننظر إلى الموضوع من زاوية علمية وأكاديمية تأخذ في الاعتبار العناصر المختلفة للمشكلة اللغوية. ولا بدّ من التروّي والتخطيط لجعل العربية لغة علمية أولاً كحال اللغات المعاصرة، ويكون ذلك عن طريق الأخذ بالبرامج المتدرّجة، واعتماد الحلول النوعية للمشكلات، ولا يوجد حلّ نهائيّ، لكن يمكن إعداد برنامج عمل شامل ومفصّل، من خلال اجتهاد المؤسسات الوطنية وبعض الأفراد والعلميين، لتصبح العربية لغة التعليم العالي ولغة علمية ذات مصداقية. ولقد سئل الخبير حسام الخطيب عن الكيفية العلمية التي يمكن أن تصبح بها اللغة العربية لغة التعليم العالي، فأجاب: علينا أن نعمل على توفّر المعطيات الآتية:

- بلورة المصطلح واللغة العلمية.
- إتقان اللغة العربية.
- توفير المادة العلمية بالعربية (الترجمة والتأليف).
- الاهتمام باللغات الأجنبية [9].

خامساً: لا توجد موانع تجعلنا لا نعمل في الاتّجاه الذي يجعل اللغة العربية لغة علمية لها ما لها من كمال وعليها ما عليها من نقص، فهي ليست مقدّسة، فمثلها مثل اللغات الأخرى، فهي معرضة للتطوّر، وستلحق الرّكب متى وقع الاهتمام بها. وينبغي التركيز على إزالة الحاجز النفسيّ عند البعض؛ والقاضي بأنّ اللغة العربية تخلّفت فلا يمكنها اللحاق بركب اللغات المتقدمة. ومن هذا الباب، كان علينا أن نتجند من أجل إقناع الناس بأنّ العربية عندنا هي الوسيلة الحاسمة التي يستطيع بها الفرد الانتماء لمجتمعه وحضارته، وهي قاعدة مداركه العقلية. وليس هذا القول دعوة إلى الشوفينية، بل هو شيء منطقيّ يلبي حاجاتنا ويسهّل أمور حياتنا ويحلّ مشاكلنا التعليمية. فلا نستطيع أن نكتشف علماء ونبرع في مختبر، ونتفهّم طبيعة الكون وظواهر العلم إلا بعد أن يتخرّج جيل ممّن تلقوا العلوم باللغة العربية.

سادساً: كسر حواجز اللغات وتوسيع مدارك فهمنا لمعنى الجوار، فنتعلّم كمواطنين في كوكب واحد يعتمد بعضنا على الآخر، والمهمّ البحث عن الكفاءة العالية، من خلال فهمنا للترابط القائم بين الشعوب، مع تشجيع التنوّع الحضاريّ من خلال البرامج. وهكذا فالتعدّدية اللغوية أكثر من ضرورة، إن لم تقم على الاستلاب اللغويّ الذي يعتبر مشكلاً. وأما اللغات فيجدر بنا تعلُّم الكثير منها وتفعليها تفعيلاً حقيقياً، والاستفادة منها بالعمل بمبدأ النفعية، ولذا يتطلّب منّا الوضع الحالي الإلمام الجيّد بلغات العلم، فهي نافذة التفتّح على النوعية. وعليه، كان على التخطيط اللغويّ أن يراعي المكسب اللغويّ المحصّل (الفرنسية في أقطار

المغرب العربيّ) لا لغة مستعمر سابق يجب إقصاؤها، والذي يهمّ هو مدى ما تقدّمه هذه اللغة. ولا يجب أن نقف عند لغة المكسب، بل أن نستفيد من اللغات حيث وُجدت. وفي هذه النقطة أرى ضرورة إدخال مادتين سنويتين تدرّسان باللغات الأجنبية في أقسام الأدب العربيّ وكل العلوم الإنسانية، وإدخال مادتين سنويتين تدرسان بالعربية في الكليات التي تدرس باللغة الفرنسية. وهذا بغية تخريج أجيال تتحكّم في لغتها أولا، مع إتقان اللغات الأجنبية؛ أي ينبغي أن نعمل على تأهيل جيل مزدوج بمعنى الكلمة.

سابعاً: إنّ ثورة العولمة تتسارع وتتزايد أنماطها يومياً، وهذا يعني إعادة النظر في قرارات وإجراءات تتناسب مع الزمان والمكان والتعليم الجديد، ويعني بشكل آخر أنه لا يمكن أن تبقى هذه الجامعات والمدارس العليا تقليدية تعلّم الطلاب ولا تدرّبهم، تخرج أجيالاً أعينهم نصف مفتوحة، فلمَ لا تتجاوب مع حركية العالم. وهكذا ظهر جلياً أنّه لابدّ من تصميم وإعداد وسائل عصرية لمواجهة التحدّيات العصرية والآتية قريباً. فنحن في عصر التقنية وتوظيف البريد الإلكترونيّ والبريد الصوتيّ، كان الأجدر بالجامعة أن تكون معاصرة لهذه الأنماط، فإنّ عولمة الكليات ومراكز البحوث آتية. فما موقعنا في هذا التغيّر وما موقع اللغة العربية في هذا التحوّل؟ إنّه بات من الضروريّ أنّ يكون التنافس القادم قائم على أساس نوعية البرامج ومدى قابلية الجامعة لتطبيقها، وكيفية تأهيل وتدريب الطلبة على النجاح، بضمان إتقان اللغة الأم، واللغات الأجنبية. ولا نقف عند هذه النقطة، بل نشير إلى ضرورة إيجاد جامعات تعتمد أسلوب التعليم بالانتساب أو بالمراسلة، أو التعليم على الهواء أو الجامعة الشعبية أو العمالية، أو الجامعة المفتوحة، أو الجامعة المفترضة. فلا بد من توسيع شبكة الجامعة لتأخذ أشكالاً متنوعة، وبأنماط معاصرة، وفي ظلّ استراتيجيات المستقبل دائماً، وهذا يتطلّب الانفتاح وفق معايير ومناهج ننظمها لتهيئة قواعد التعاون بين القطاع العام والقطاع الخاص، من أجل تقوية دور الجامعة في المجتمع.

ثامناً: التخطيط اللغويّ ضمن سياسة وطنية تعمل على وضع خطة مناسبة، لتعميم استخدام العربية في الجامعة. وهذه السياسة تكون من البنيات التحتية التي تعمل الدولة على تحيينها وتمويلها، ورقيها داخلياً، عن طريق البحث في مختلف علومها؛ من أدب ونحو ورياضيات وفيزياء وإعلام آليّ... لجعلها سليمة ولغة للعلم والتعليم. وكذلك رقيها خارجياً، عن طريق تفعيل مجامعها ومؤسساتها الثقافية الأخرى. ولقد كان هذا العمل مجسداً في أكثر من موقع إلا أنّه لم يخرج عن دائرة الاجترار والتعقيد اللذين لا يقدّمان أدنى حركة في تغيير البنية التحتية للغة. وأضحت المؤسسات أسيرة بعض الآراء المنافية للتطوّر.

تاسعاً: لا مانع من الاسترشاد بالتخطيط اللغويّ الجامعيّ الذي اتبعته كل من سورية والأردن والسودان في مجال ترقية اللغة العربية، ولقد أعطت بعض الخطط نتائج مستحسنة، وخاصة في سورية والسودان. ولا يمكن أن نطبّق تلك الأنماط الفعلية كما هي حيث يمكن التفعيل حسب الخصائص والمعطيات التي نتحكّم فيها. ولا يجب أن نعود إلى العمل عن طريق الاستيراد لبرامج ومضمون ونطبّقه عنوة على طلابنا، وأن نبقى دائماً نعيش ويعيش طلابنا في التجارب.

عاشراً: تكوين هيئة تدريس مزدوجة في العلوم؛ فيشترط في كل متخصّص في المواد العلمية أن يتقن لغة أجنبية واحدة على الأقلّ، وهي اللغة التي تمكّنه من الاطلاع على المبتكرات الحديثة، والإفادة منها في المصطلحات العلمية. وهنا ينبغي تفعيل المدارس العليا لتخريج هذا النّوع من الإطار المتقن للغات.

حادي عشر: إجبار طلاب الدراسات العليا الممنوحين في الدول الغربية على ترجمة أطروحاتهم أو تقديم ملخص عنها بالعربية.

ثاني عشر: إقامة مؤسسات ترجمة، تعمل على ترجمة المصطلحات الأجنبية إلى العربية، وتترجم إلى اللغات الأخرى. ولا تكفي مؤسسة واحدة، لأنّ العمل العلميّ الجبّار يستدعي تجنيد طاقات كبيرة. وهنا يجدر بنا أن نعمل على إقامة مؤسسات تختصّ بالترجمة بكل أنواعها. والإفادة من الكتب القيمة التي عملت اللجان العلمية على ترجمتها من أمهات الكتب العلمية.

ثالث عشر: الاهتمام بالجانب التطبيقيّ. فلا يكفي أن يبقى الطالب في الجامعة يعيش في التنظير، وتلك أحد مصائبنا حتى أصبحت أفكارنا جمّاعة لا محللة، وأصبحنا نعيش في القرون المظلمة بنمط آخر، فما أحوجنا إلى تجسيد النظريّ في أشكاله التطبيقية، وإيلاء التقنيات المعاصرة كل الأهمية باللغة العربية، لجعلها منتجة قبل أن تكون مستهلكة والاهتمام بالعلوم التطبيقية على وجه الخصوص.

رابع عشر: الاهتمام بمدرس اللغة العربية الذي يعدّ العمود الفقري في العملية التعليمية، ومعالجة ضعف مستواه اللغويّ والعلميّ، ورعاية المدرس الجامعيّ بصفة عامة، والتأهيل المستمر لأعضاء هيئة التدريس، وتشجيعهم عن طريق الترقيات.

الهوامش

1- يؤسفني أنّني لم أعتمد التقنيات المعاصرة في مقاربة هذا الموضوع، كما لم أعتمد الدراسات الميدانية، التي من شأنها إعطاء التشخيص الفعليّ لواقع اللغة العربية في التعليم العالي. لكنّني اعتمدت السيرورة التي عرفتها الجامعة الجزائرية من خلال المقالات والمراسيم التي نشرت في هذا المجال، وهي:

1- همزة الوصل. وزارة التربية الوطنية. العدد الثالث.

2- الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية المتضمنة لإصلاح التعليم العالي، سنة 1971.

3- المخطط الرباعيّ 1970-1974.

4- مراسيم تنظيمية في التعليم العالي.

5- أمرية سنة 1976.

6- كراسات المجلس الأعلى للتربية.

2 - لقد استرشدت في هذا التقسيم بمقال الأستاذ مولود قاسم، والموسوم: اللغة العربية في مؤسسات التعليم العام والعالي وأساليب النهوض بها في الجزائر. الموسم الثقافيّ السادس (19 آذار-9 نيسان 1988) عمّان: 1988، منشورات مجمع اللغة العربية الأردنيّ، ص 119-139.

3-شحادة الخوري، القضية اللغوية في الجزائر وانتصار العربية. دمشق: 1991، مطبعة الكاتب العربيّ ص 53.

4 - الألكسو، تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام. تونس: 1987.

5- عبد القادر الفاسي الفهري، عن التربية والتعليم واللغة عند علال الفاسي. الرباط: 2000، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ص 19.

6- A. Moatassame , "Le bilinguisme sauvage" . Revue du tiers-monde .Toure : xv n 59/60 Dec 1974, p 6225.

7- جلبير كرانكيوم، اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربيّ، ترجمة: محمد أسليم، ط1. الرباط: 1997 دار الفرابي للنشر.

8- أشير إلى استبيان وزع على 500 طالب من جامعة باب الزوار، أنجزه باحثون عن العوائق الداعية للتسرّب الجامعيّ وتغيير الفروع، وكان أهمّ عائق هو العائق اللغويّ.

9 - حسام الخطيب "العربية: لغة التدريس في التعليم العالي (مقاربة مباشرة) بجلة الوحدة. الرباط: 1990 المجلس القوميّ للثقافة العربية، العدد 72، ص 41-49.

رُؤى حـــول تعـــريب التعـــليم الجامعيّ

د. أحمد بن عبد القادر المهندس (*)

ملخص

ترتكز هذه الورقة على بعض الرؤى حول تعريب التعليم الجامعيّ من وجهة نظر جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، مع التركيز على تجارب اليابان والصين وكوريا الجنوبية.

وقد أجمعت مؤتمرات التعريب التي عقدها وزراء التعليم العالي ووزراء الصحة، والتربية، والمعارف العرب واتحادات الجامعات العربية على أهمية تعريب التعليم العالي بكافة مراحله وتخصصاته.

وتستعرض الورقة أهمية تعريب التعليم الجامعيّ بإيجاز، وموقف الطلاب من الترجمة والتعريب، كما تعرض لتجارب الدول الرائدة في الاعتماد على لغاتها الوطنية مثل اليابان والصين وكوريا، وتعرض أيضاً لبعض معوقات تعريب التعليم العالي وإمكانية التغلب على أهم المعوقات التي تتلخص في ندرة الكتاب الجامعيّ، والضعف اللغويّ عند الأستاذ الجامعيّ، بالإضافة إلى مشكلة المصطلحات العلمية.

وتخلص الدراسة إلى أن تعريب التعليم الجامعيّ يحتاج إلى المزيد من تنشيط الترجمة وبشكل مكثف كما يحدث في الدول المتقدمة. ولاشك أن تعريب التعليم العالي لا يكون فاعلاً " إلا بوجود حركة نشطة للترجمة. وإذا لم تتحقق هذه الحركة النشطة، فإن التعريب سيتعقد كثيرا "، ولن نستفيد من ذلك إلا النقل والاقتباس، دون الإسهام الفعليّ في الحركة العلمية والتقنية في العالم المعاصر.

1. مقدمة

ترتكز هذه الورقة على ما جاء في خطاب وكيل وزارة التعليم للشؤون التعليمية رقم 21/26/ 5950 في 1421/3/17هـ، المتضمن الإشارة إلى خطاب معالي رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء رقم 6730/7 في 1420/5/19هـ، الموجه لمعالي وزير التعليم العالي والمتضمن الإشارة إلى خطاب معالي رئيس مجلس الشورى رقم 3/1/305 في 1420/1/4هـ، المشار فيه إلى أن عدداً من أعضاء مجلس الشورى تقدموا باقتراح تعديل المادة (الحادية عشرة) من نظام مجلس التعليم العالي والجامعات الصادر بالمرسوم الملكيّ رقم (م/8) في 1414/6/4 هـ، التي تنص على أن (اللغة العربية هي لغة التعليم في الجامعات، ويجوز عند الاقتضاء التدريس بلغة أخرى بقرار من مجلس الجامعة المختص) بحيث يتم تقييدها بمدة زمنية قدرها خمس سنوات

(*) كلية العلوم – جامعة الملك سعود – الرياض

ليصبح نص المادة كالتالي (اللغة العربية هي لغة التعليم في الجامعات، ويجوز عند الاقتضاء وخلال مدة خمس سنوات فقط التدريس بلغة أخرىّ، بقرار من مجلس الجامعة المختصّ، على أن تبتدئ المدة المحددة من تاريخ الموافقة على تعديل هذه المادة، ولا يجوز بعد ذلك التدريس بغير اللغة العربية).

ونظراً لأهمية ما جاء في ذلك الاقتراح، فقد تقرر أن (تعد كل جامعة ورقة عمل في حدود 5 صفحات عن مرئيات الجامعة عن التعريب والترجمة في ضوء ما ورد من مجلس الشورى من مرئيات بهذا الشأن).

وقد ورد في اقتراح مجلس الشورى بعض الآثار السلبية التي يمكن أن يتعرض لها الطلاب، ويمكن إيجاز أهمها فيما يلي:

- كثرة الرسوب بين الدارسين في الكليات التي يقوم تدريسها على لغة أجنبية، وتسرب نسبة كبيرة منهم- في أثناء الدراسة- إلى كليات أخرى، نتيجة عدم استطاعتهم مواصلة الدراسة وضعف نتائجهم الدراسية.
- ضعف مستوى كثير من الدارسين، وعدم قدرتهم على ما تقتضيه الدراسة من حوار ومناقشة وبحث. مما ينشأ عنه تخرج طلاب ذوي مستويات علمية متواضعة.
- ضياع وقت طويل من زمن الدارس، حيث يستقطع تفكيره- إبان الدراسة باللغة الأجنبية- وقتا طويلاً من أجل ترجمة اللغة وفهم مدلول مصطلحاتها، ومن ثم الدخول إلى مضمون المادة التعليمية المرادة.

2- الهدف من الورقة

إن الهدف من ورقة العمل المقدمة يتلخص في عرض النقاط التالية:

- أهمية الترجمة والتعريب.
- موقف الطلاب من الترجمة والتعريب .
- معوقات التعريب .
- عرض لتجارب اليابان والصين وكوريا الجنوبية.
- المناقشة و التوصيات.

وفيما يلي سوف نلقي بعض الأضواء على الموضوعات الآنفة:

2-1 أهمية الترجمة والتعريب

تعد الترجمة والتعريب ضرورة تنموية مهمة بالنسبة للمملكة، وذلك لاستيعاب معطيات التقدم العلميّ والتقنيّ. كما أن الترجمة وسيلة لا غنى عنها لنقل العلوم والتقنية، وذلك كمرحلة أساسية لاستنبات العلم والتقنية في المجتمع السعوديّ.

وقد اختصرت كثير من الدول الطريق نحو التقدم العلميّ والتقنيّ عن طريق ترجمة العلوم والتقنية إلى لغاتها الأم، كما يسرت تعلمها لأبنائها بلغاتهم الأم. ونذكر من هذه الدول اليابان والصين وكوريا الجنوبية وفيتنام وغيرها.

وقد فرض مركز المملكة العربية السعودية الإسلاميّ حاجتها إلى الترجمة بشكل دائم، حيث تتشرف بخدمة الحرمين الشريفين، كما تتشرف بحمل مسؤولية الدعوة إلى الإسلام ونشره والدفاع عنه بالترجمة من العربية إلى كثير من اللغات الحية. وللترجمة أهمية اقتصادية للمملكة نظراً لتشعب علاقاتها الاقتصادية مع كثير من الدول الأجنبية.

كما أن للترجمة أهمية أمنية خاصة للمملكة لكثرة الوافدين إليها سواء للحج أو العمرة أو الزيارة أو العمل.وهي مهمة أيضاً في الاطلاع على جميع التقارير

الأمنية والمعلومات والأخبار التي تمس الإسلام أو تمس أمن المملكة ومصالحها للرد عليها ودرء مخاطرها وإيضاح الحقيقة فيها.

وللترجمة أهمية سياسية للمملكة، حيث إن المملكة عضو فاعل في المنظمات الإسلامية والعالمية، ولها علاقات سياسية مع معظم دول العالم.

ويحسن بنا هنا أن نوضح مدلول مصطلح التعريب قبل أن نعرف أهميته في التعليم الجامعيّ. ولعل أشهر مدلولات التعريب ما يلي:

- تستخدم كلمة التعريب كمرادف لكلمة ترجمة؛ أي نقل المعرفة بشتى ألوانها من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية.
- التعريب تبديل أو تغيير في حروف اللفظ الأجنبيّ لتتفوه به العرب على مناهجها، أو نقل كلمات أو مصطلحات من لغة أجنبية إلى اللغة العربية بلفظها ومعناها وتحوير نطقها، لتلائم النطق العربيّ وأوزانه وموسيقاه.
- التعريب مجموعة النشاطات التي تتعلق باستعمال اللغة العربية في تعليم طلاب الجامعة في مختلف الكليات، وكتابة البحوث والتقارير، وكتابة الألفاظ الأجنبية بحروف عربية تخضع لقواعد اللغة العربية ، ويشمل التعريب أيضاً إيجاد المقابلات، والعمل على توطين العلوم والمعارف الجديدة في البيئة والثقافة العربية (صابر، 1982م).

أما تعريب التعليم الجامعيّ أو العالي فنقصد به تدريس جميع مواد التعليم العالي، بجميع فروعه وتخصصاته ومراكز بحوثه، باللغة العربية، بحيث تكون أهداف المناهج ومحتوياتها وكتبها ولغة تدريسها والبحث فيها والامتحان باللغة العربية الفصيحة.

ولا شك أن للتعريب أهمية كبيرة منذ العهد الأمويّ، وذلك بفضل الأمير خالد بن يزيد بن معاوية، الذي كان مولعاً بالعلوم، فنقل كتباً من اللغة القبطية واللغة اليونانية إلى اللغة العربية. أما في عهد المأمون، الخليفة العباسيّ، فقد نشطت حركة الترجمة والتعريب نشاطاً عظيماً فشملت كتب الرياضيات والطبيعيات والمنطق والأخلاق والإلهيات (صالح، 1994).

ويقول الأستاذ رسل (Russell) من معهد "ولكوم لتاريخ الطب " بلندن، في معجم تاريخ العلوم باللغة الإنجليزية ما يلي: " كانت اللغة العربية هي أداة هذا النشاط العلميّ كله، وهي التي قامت بالدور الحاسم؛ فمرونتها الرائعة قد مكنت المترجمين من دمغ مفردات محددة دقيقة للمصطلحات العلمية التقانية أو ابتكارها. وهكذا اتخذت لغة للشعر، واللغة العالمية للعلم والحضارة " (1981، Russell).

إن أهمية تعريب التعليم الجامعيّ وتدريس العلوم والطب والتقنيات بصورة خاصة يمكن إيجازها في النقاط التالية :

- المحافظة على لغة القرآن.
- صيانة كيان الأمة العربية .
- إحياء التراث العلميّ العربيّ.
- تيسير الفهم وسرعة الإنجاز.
- توطين العلوم والتقنية في البلاد العربية.
- تأصيل العلوم في الفكر العربيّ.

- نشر العلوم والتقنية باللغة العربية بين جميع المواطنين.

وقد أجمعت جميع مؤتمرات التعريب، التي عقدها وزراء التعليم ووزراء الصحة والتربية والمعارف العرب واتحاد الجامعات العربية، على أهمية تعريب التعليم الجامعيّ بكافة أنواعه. ويقول الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد (1996م): " إن تعريب العلوم في الجامعات أصبح ضرورة ملزمة، حتى إن ظن البعض أنه ليس الوضع الأمثل. والاعتراف بهذه النتيجة هو ما تمليه علينا النظرة الموضوعية العلمية الشجاعة للقضية. ونحن لا نكاد نعرف بين أمم العالم، صغيرها وكبيرها، أمة تقدم العلم لأبنائها بغير لغتهم سوى ما يحدث في بعض الجامعات العربية . فلا صعوبة كتابة اللغة اليابانية، مثلاً، ولا صغر حجم بعض دويلات أوربا، مثلا، حالا دون أن تكون اللغة القومية هي لغة تدريس العلوم في تلك البلاد ".

2-2 موقف الطلاب من الترجمة والتعريب

قد يكون من المناسب أن نعرض هنا ملخصاً لنتائج دراستين إحصائيتين تناولتا موقف الطلاب من التدريس باللغة الإنجليزية في جامعة الملك سعود. ففي دراسة حول أداء الدورة المكثفة في اللغة الإنجليزية لطلاب كلية العلوم تمت في عام 1406هـ تناولت عينة من 169 طالباً، تبين أن ما بين 66 % إلى 79 % من طلاب كلية العلوم يفضلون أن يكون التعليم باللغة العربية ، وذلك بمعامل ثقة 95 %. وفي دراسة أخرى تمت عام 1410هـ حول البرنامج الموحد الذي تقدمه كلية العلوم الصحية؛ أي طلاب كليات الطب البشريّ وطب الأسنان والصيدلة والعلوم الطبية التطبيقية، ذكوراً وإناثاً، ضمت 210 طلاب (111 طالباً، 99 طالبة). بينت الدراسة أن ما بين 60 % إلى 70 % من طلاب كليات العلوم الصحية، ذكوراً وإناثاً، يفضلون التدريس باللغة العربية ، وذلك بمعامل ثقة 95 % (كنجو، 1986).

ويقول الدكتور السباعي في بحثه (تجربتي في تدريس الطب باللغة العربية ، 1416): "إن طالب الطب، في الغالب، لا يملك أن يكتب صفحة واحدة باللغة الإنجليزية دون أن يرتكب فيها عشرة أخطاء على الأقل، كما تجده يتجنب الحوار والمناقشة لضعف لغته، ولبطء قراءته تجده يعتمد على الملخصات، وقليلاً ما يعود إلى المراجع".

وتبين من نتائج دراسة استطلاعية أجريت في كلية الطب بجامعة الملك فيصل عن موقف طلاب الطب من تعريب التعليم الطبيّ أن:

1. 80 % من الطلاب يوفرون ثلث الزمن أو أكثر عند القراءة باللغة العربية ، مقارنة بالقراءة باللغة الإنجليزية.
2. 72% من الطلاب يوفرون ثلث الزمن أو أكثر عند الكتابة باللغة العربية، مقارنة بالكتابة باللغة الإنجليزية.
3. 23% فقط من الطلاب يفضل الإجابة عن أسئلة الامتحان باللغة الإنجليزية.
4. 75% من الطلاب يرى أن مقدرتهم على الإجابة الشفوية والنقاش أفضل باللغة العربية(السحيمي والبار، 1992).

3-2 عرض لتجارب بعض الدول

إن التعريب ضروريّ لأمتنا العربية إذا أرادت أن تنهض من غفوتها، وتستعيد زمام المبادرة والإسهام في الحضارة المعاصرة. ولعل التجارب التي قامت بها بعض دول العالم في الاعتماد على لغاتها من الأدلة القوية على إمكانية القيام بهذه المهمة الضرورية والمصيرية. وفيما يلي بعض تجارب الدول، ونركز هنا على التجارب اليابانية والصينية والكورية.

أ- **التجربة اليابانية** : لقد أوضح الطائي (1978) أن اليابان قد فطنت إلى أهمية العلم والتقنية وتأثيرهما الكبير في رفع مستوى الحياة للشعب اليابانيّ، فأعارتهما اهتماماً كبيراً. وقد أرسلت اليابان بعوثها إلى الأمم التي برزت في العلوم التطبيقية، كالدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية آنذاك، لدارسة هذه العلوم، كما أوفدت بعض بعثاتها لدراسة العلوم الأساسية. ولما عادت هذه البعثات بدأت بصنع الآلات الزراعية الحديثة وبناء المعامل التي تستخدم مواردها الطبيعية، ولم يكن التصنيع والبناء بجديدين بل نقلت ما هو معروف في أوروبا وأمريكا إلى بلدها، وأفادت منه فائدة كبيرة في الحفاظ على دخلها القوميّ أولاً ثم استغلال الأيدي العاملة استغلالاً يضمن رفع المستوى الاقتصاديّ والاجتماعيّ، كما صيرت من خاماتها الطبيعية موارد تجارية تدر عليها الربح الكثير. لقد اعتمدت اليابان في إبان نهضتها على التقليد والنقل لما كان موجوداً في الأمم التي سبقتها في المضمار الحضاريّ الماديّ، وعندما اطمأنت إلى مستوى شعبها المعاشيّ ودخله القوميّ، تبنت الاهتمام بالنوع الثاني؛ أي التقنية، وقد برز علماؤها في العلوم الأساسية والعلوم التقنية، وانطلقت إلى العالم بنهضة قومية، وفي فترة قصيرة جداً كانت موضع إعجاب الأمم الأخرى. كما أنها جعلت من لغتها الرسمية أداة مستعملة في شتى العلوم والتقنيات ومختلف المجالات. ونلاحظ أن معظم بحوث اليابانيين منشورة باللغة اليابانية، ولكنهم يلحقونها غالباً بملخصات باللغة الإنجليزية.

وقد لعبت الترجمة دوراً مهما في تطوير العلوم الأساسية والتطبيقية. ويترجم من اللغة الإنجليزية إلى اليابانية كمّ هائل من الكتب. ويوجد في اليابان حوالي 3700 دار نشر منها 2900 في طوكيو وحدها.

وتقترح ترجمة الكتب الأكاديمية بوساطة أساتذة الجامعات، وعند اتخاذ قرار، لترجمة كتاب أو مادة علمية، تتم الترجمة بشكل سريع. والهيئة المتخصصة الرئيسة في مجالات الترجمة هي الجمعية اليابانية للمترجمين، وتوجد بعض المنظمات المتخصصة في المجالات الفنية للترجمة، كما توجد أقسام للترجمة تتبع للشركات اليابانية. ويحصل المترجم في اليابان على 7 % من قيمة بيع الكتاب المترجم، وتوفر الدولة المساعدة للترجمات الأدبية من اليابانية إلى اللغات الأخرى. ويهتم اليابانيون بالترجمة الآلية وتطويرها لأهمية استعمالها في المستقبل.

ب- **التجربة الصينية** : إذا كانت اليابان قد عُنيت منذ بداية نهضتها العلمية والتقنية بالتكوين الأساسيّ لمبادئ العلوم، ثم تدرجت في الاستفادة من هذه العلوم والتقنيات من خلال لغتها القومية، فإن الصين قد اعتمدت على لغتها وقدراتها الذاتية بشكل كبير، ولم تعتمد على إرسال البعثات إلى الخارج. وعلى الرغم من الصعوبة التي تواجه اليابانيّ في ممارسة كتابة لغته، التي يبلغ عدد حروفها عشرة آلاف حرف، فإن عدد حروف اللغة الصينية أكثر من اليابانية؛ فهي تحتوي على (44444 حرفاً). مع ذلك، فقد ابتكرت، بما يشبه الإعجاز، " آلة كاتبة " تستطيع أن تستوعب تلك الحروف. واستطاعت الصين أن توحد اللغة الصينية التي كانت تتجزأ إلى 300 لغة. وقد استطاعت هذه اللغة أن تستغني عن اللغة الإنجليزية في كثير من مجالات العلوم والتقنية (غنيم، 1989).

وعندما كنت في ريو دي جانيرو بالبرازيل، لحضور المؤتمر الجيولوجيّ العالميّ الحادي والثلاثين في أغسطس 2000 م، التقيت بأفراد الوفد العلميّ الصينيّ، حيث عقدت بعض الاجتماعات معهم حول الترجمة والتدريس باللغة

الصينية. ويؤكد الصينيون أن هنالك حركة نشطة للترجمة من اللغات المختلفة، وخاصة من الإنجليزية إلى الصينية. ومع ذلك فلا يمكن، بأي حال، تغطية جميع الإنتاج العلميّ الذي يظهر في الكتب أو الدوريات العلمية باللغة الإنجليزية.

ومع أن الصين تشارك بنشاط ممتاز في كثير من المؤتمرات العالمية، إلا أن هناك كثيراً من المشكلا ت اللغوية عند حضور كثير من هذه المؤتمرات، نظراً لضعف الاتصال بطلاقة وخاصة فيما يتعلق بالنقاش باللغة الإنجليزية.وتدرس جميع المناهج في التعليم الجامعيّ باللغة الصينية، كما تترجم الكثير من المقالات والأبحاث من اللغة الصينية إلى اللغة الإنجليزية (المهندس، 2000).

جـ - **التجربة الكورية** : تدرس كوريا الجنوبية جميع المناهج الدراسية في الجامعات باللغة الكورية. ومع ذلك فإن اللغة الإنجليزية تستخدم على نطاق واسع . ويقول أحد كبار المسؤولين في وزارة التعليم الكورية: إن اللغة الإنجليزية لغة مهمة جداً في المرحلتين الوسطى والعليا في المدارس، وكذلك في الجامعات ". ويؤكد رئيس جمهورية كوريا الجنوبية، داي جونغ، أهمية اللغة الإنجليزية في تصريح قال فيه: " إن الإنجليزية لم تعد لغة بلد ما، بل أصبحت لغة عالمية يستخدمها الجميع " (البندك، 2000).

وفي إطار زيارتي العلمية، في مدينة ريو دي جانيرو بالبرازيل، التقيت بعض الباحثين في علوم الأرض، وسألتهم عن نشاط الترجمة والتدريس باللغة الكورية. ويقول هؤلاء الباحثون إن جميع المناهج الدراسية في التعليم الأساسيّ والعالي تدرس باللغة الكورية، ولكن نشاط الترجمة ليس شاملاً، بل يتركز أساساً في العلوم التطبيقية والأساسية. وهناك ميل قويّ نحو اللغة الإنجليزية التي أصبحت هي اللغة الثانية بعد الكورية، ولا يوجد نشاط مكثف للترجمة مثل اليابان، ذلك لأن كوريا الجنوبية تحبذ اللغة الإنجليزية كلغة عالمية يمكن للطلاب والباحثين أن يعودوا إليها بسهولة (المهندس،2000).

وتتسم تجارب الدول المتقدمة في الترجمة، ومنها اليابان وكوريا الجنوبية والصين، بالسمات التالية :

1. رصد مبالغ كبيرة للإنفاق على الترجمة والنشر.
2. تصل نسبة الترجمات العلمية والتقنية إلى حوالي 65 % من إجمالي المواد المترجمة.
3. جميع الدول المتقدمة تسعى عملياً لاستخدام الترجمة الآلية لتوفير الجهد البشريّ، ولتقضي على مشكلات إعداد المترجمين.
4. توحيد المصطلحات العلمية لمساعدة المترجمين وتوفير الوقت لهم.
5. الدول التي تنقل عن الآخرين بالترجمة لا تتخلى عن شخصيتها وأصالتها بل تحافظ عليهما.
6. تتميز الدول المتقدمة بوجود التنسيق بين الأجهزة المسؤولة عن الترجمة، وإن تعددت تلك الأجهزة إقليمياً أو وطنياً، حكومية كانت أو خاصة، وذلك منعاً لتكرار الجهود وتضخم الإنفاق.
7. يصل نشاط الترجمة في الدول المتقدمة إلى أقصاه، بحيث تترجم الآلاف من الكتب والمقالات والبحوث العلمية، سنوياً، في الدولة الواحدة.

2-4- معوقات التعريب

يمكن تلخيص معوقات التعريب في النقاط التالية:

- عدم توفر الكتب والمراجع الدراسية باللغة العربية .
- عدم توفر دوريات علمية متخصصة باللغة العربية.

- ضعف تنسيق جهود الترجمة والتعريب في مؤسسات التعليم العالي.
- ندرة المؤتمرات المتخصصة والأبحاث المنشورة باللغة العربية التي يمكن أن تحظى بالتقدير العالميّ.
- الضعف اللغويّ لدى كثير من أعضاء هيئة التدريس لإعداد مراجعهم وأبحاثهم باللغة العربية.
- وجود بعض الخلافات حول المصطلحات العلمية بين المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية.

5-2 المناقشة والتوصيات

نناقش هنا إمكانية التغلب على أهم معوقات أو صعوبات التعريب، التي تتلخص في ندرة الكتاب الجامعيّ، والضعف اللغويّ عند الأستاذ الجامعيّ، بالإضافة إلى مشكلة المصطلحات العلمية.

الكتاب الجامعيّ : تعد مشكلة توفر الكتاب الجامعيّ من أهم المشكلات، إذ إن عدم توفر الكتاب أو المرجع الجامعيّ باللغة العربية يعود إلى استخدام اللغة الأجنبية نظراً لتوفر الكتاب الأجنبيّ في المجالات العلمية والطبية والتقنية. ويمكن حل هذه المشكلة بأن تنجز مذكرة منهجية لكل مقرر في نهاية كل فصل من خلال عضو هيئة التدريس، وهذه يمكن أن تصبح كتاباً جامعياً بعد المراجعة والتنقيح والتعديل (الأحمد، 1993). ويحتاج هذا إلى حماس أعضاء هيئة التدريس وتشجيعهم على ذلك، من خلال المكافآت المجزية.

الأستاذ الجامعيّ : لتسهيل عملية التعريب، يجب الحرص على اختيار الأستاذ الجامعيّ، وخاصة من حيث إتقانه للغة العربية الفصحى. ولا شك أن الوطن العربيّ يزخر بكثير من أعضاء هيئات التدريس، فقد جاء أن هناك ما يزيد على (هـ 110.00) عضو هيئات تدريس في الوطن العربيّ، وما يزيد على (35.000) مبتعث للدراسات العليا. ولاشك أن هذا العدد الهائل لا يستهان به، فلو ترجم أو ألف لأغنى المكتبة العربية بآلاف المراجع العلمية المتخصصة (بوبطانة، 1988).

المصطلحات العلمية: لا يمكن أن تشكل المصطلحات العلمية أية صعوبة في التدريس، ما دامت اللغة العربية لغة شاملة وواسعة ودقيقة يمكن التعبير بها عن أيّ مصطلح. ومشكلة المصطلحات موجودة في كل اللغات، فالإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات لا تخلو من مشكلة المصطلحات، وهناك وسائل متعددة لحل هذه المشكلات كالمعاجم وغيرها (الأحمد، 1993). والواقع أن تعريب التعليم يسبق تعريب المصطلحات العلمية، بل إن تعريب الأول يؤدي إلى تعريب الثاني. ولقد صدر حتى الآن ما فيه الكفاية من المعاجم والقواميس سواء عن المجامع اللغوية في القاهرة ودمشق وعمان أو عن مكتب تنسيق التعريب بالرباط.

ولابد أن نذكر هنا بنك المعلومات السعوديّ للمصطلحات العلمية (باسم) الذي أنشأته مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية والذي يحتوي على قرابة (330.000) مصطلح (الفاضل، 1420).

ويعد تدريس العلوم والطب والتقنية مطلباً مهماً في المملكة العربية السعودية وذلك لتوفير الخريجين الأكْفَاء، ولمواكبة التعليم العالي للنهضة الشاملة في البلاد. وتنفيذاً لتوصيات المؤتمرات والندوات المتعددة في مجال الترجمة والتعريب ، وبخاصة ندوة " تعميم التعريب وتطوير الترجمة في المملكة العربية السعودية " التي أقيمت في جامعة الملك سعود خلال الفترة من 2-3 /1419/6هـ، فقد صدر التوجيه

السامي الكريم رقم 226 في 1420/2/18 هـ بدارسة " فكرة تكوين لجنة دائمة للترجمة والتعريب"، تقوم بوضع خطة شاملة للترجمة في المملكة، وتكون أولى مهامها التخطيط لتعريب التعليم العالي، وتتولى جامعة الملك سعود أمانتها وأعمالها.

لذلك فإنه من المناسب أن تتكون هذه اللجنة، التي يمكن أن تقوم بتعميم تعريب التعليم العالي في المملكة العربية السعودية ووضع الخطط الكفيلة لذلك والإشراف على تنفيذها، قبل أن يتم تعديل المادة الحادية عشرة من نظام مجلس التعليم العالي والجامعات الصادر بالمرسوم الملكيّ رقم (م/8) في 1414/6/4هـ.

وفيما يلي نعرض لبعض التوصيات التي يمكن أن تسهم في الوصول إلى قرارات مناسبة:

1. التعرف على واقع الترجمة في المملكة، وحصر الجهود التي تمت في مجال الترجمة والتعريب، والتعرف على الهيئات المعنية بذلك، ومعرفة إمكاناتها المادية والبشرية.
2. معالجة موضوع التعريب، خاصة- تعريب التعليم العالي- بسياسة النفس الطويل في خطة مدروسة من خلال اللجنة الوطنية الدائمة للترجمة والتعريب .
3. أن يكون التعريب تدريجياً، فيبدأ بالسنة الدراسية الأولى في الكليات الطبية والعلمية، ثم يبدأ بعد ذلك في السنة الدراسية الثانية، وهكذا.
4. العمل على التدريس باللغة العربية الفصحى، وتعريب جميع مجالات الحياة، وتهيئة الرأي العام للأخذ بمبدأ التعريب.
5. العناية بتدريس اللغات الأجنبية الحية بما يخدم متطلبات المجتمع السعوديّ، ويعين على تحقيق تعميم التعريب في الكليات العلمية والطبية والتقنية.
6. كسر الحاجز النفسيّ الذي يوجد لدى بعض أعضاء هيئة التدريس، وكذلك لدى الشباب، من تشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة علوم العصر وتقنياته، وذلك بإبراز ما تحقق من تأليف وترجمة وتعريب لمعطيات الحضارة المعاصرة.
7. التركيز على: القطاع الأهليّ والشركات، بتعريب بيئة العمل ومراسلاته، لتسهيل التفاهم باللغة العربية، تمشياً مع توجيهات الدولة، وتسهيل قبول من يتخرج من مؤسسات التعليم المعرب.

الخلاصة: إن معظم الدول في العالم، مثل الصين واليابان وكوريا الجنوبية، تعتمد اعتماداً كبيراً على الترجمة الفورية والمكثفة إلى لغاتهم من أجل التدريس في المراحل العليا، وخاصة في مجال التخصصات العلمية والتقنية والطبية. ويكون التدريس أحياناً مزيجاً من اللغتين وخاصة في كوريا الجنوبية.

إن جامعة الملك سعود لا ترى أن يكون التعريب فورياً في جميع التخصصات، ولاسيما في التخصصات العلمية الأساسية، والعلوم التطبيقية التي تشمل الهندسة

والصيدلة والزراعة والطب بجميع فروعه، بل ترى أن التعريب يحتاج إلى مزيد من تنشيط الترجمة وبشكل مكثف كما يحدث في الدول المتقدمة، لأن تنشيط الترجمة يعد مرحلة أولية للتهيئة الشاملة لعملية التعريب في جميع مجالات التعليم العالي.

ولا شك أن التعريب لا يكون فاعلاً إلا بوجود حركة نشطة للترجمة خاصة الترجمة الفورية للمجلات والدوريات العلمية التي تصدر في الدول المتقدمة. وإذا لم يتحقق ذلك، فإن التعريب سوف يتعقد كثيراً، ولن نستفيد من ذلك إلا النقل والاقتباس دون الإسهام الفعليّ في الحركة العلمية والطبية والتقنية في العالم المعاصر.

المراجع :

1. الأحمد، نوفل، 1993. **من تجارب التعريب في بعض الجامعات العربية**، التعريب، العدد السادس، ديسمبر، ص ص 21-30.
2. البندك، مازن، 2000، **معركة اللغة الإنجليزية في اليابان وكوريا**، مجلة الجيل، عدد فبراير، ص 20- 27.
3. بوبطانة، عبدالله، 1988. **أنماط التعليم العالي التي يحتاجها الوطن العربيّ حتى عام 2000**، مجلة اتحاد الجامعات العربية، يوليو 1988.
4. السباعي، زهير أحمد، 1416هـ. **تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية**، نادي المنطقة الشرقية الأدبيّ، الدمام، الطبعة الثانية، 115 صفحة.
5. السحيمي، سليمان عبدالعزيز، والبار، عدنان أحمد، 1992. **موقف طلاب الطب من تعريب التعليم الطبيّ**، رسالة الخليج العربي، العدد 42، 1421 هـ (1992 م)، الرياض، مكتب التربية لدول الخليج العربية، ص 41- 65.
6. صابر، محي الدين، 1982. **قضايا الثقافة العربية المعاصرة**، الدار العربية للكتاب، تونس، 87 ص.
7. صالح، سعد الدين، 1994 م، **قصة الصراع بين اليونان ومنطق المسلمين**، دار الصحوة، القاهرة.
8. الطائي، فاضل أحمد، 1978م. نحات علمية، مطبوعات المجمع العلميّ العراقيّ.
9. غنيم، كارم السيد، 1989م. **اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة**. عالم الكتب: مارس، ص 37- 80.
10. الفاضل، عبدالرحمن عبد العزيز، 1420هـ. **نشاط مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية في مجال توثيق المصطلحات العربية وتوحيدها**، " ندوة تعميم التعريب وتطوير الترجمة في المملكة العربية السعودية " في الفترة 2-3 جمادى الآخرة 1419هـ، ص 487-516، الرياض، المملكة العربية السعودية.
11. كنجو، أنيس، 1986. دراسة (غير منشورة) حول أداء الدورة **المكثفة في كلية العلوم بطريقة المعاينة الإحصائية**، لجنة الخطط والنظام الدراسيّ بكلية العلوم، جامعة الملك سعود.
12. محمد، عبد الحافظ حلمي، 1996. **تعريب التعليم الجامعيّ**، مجلة مجمع اللغة العربية – القاهرة، بحوث مؤتمر الدورة الستين 1414 هـ -1994م، الجزء التاسع والسبعون نوفمبر 1996م.
13. المهندس، أحمد عبد القادر، 2000. مقابلة مع الوفدين الصينيّ والكوريّ في ريو دي جانيرو عن نشاط الترجمة والتدريس بالصينية والكورية في التعليم الجامعيّ، المؤتمر العالمي الجيولوجيّ الحادي والثلاثين 11-17 أغسطس 2000 م.
14. Russel. G.A, 1981, Islamic Science in Dictionary of the History of Science. Eds. : W.F. Bynum, E.J. Brown, R. Porter. The Macmillan Press, London.

تعريب التعليم العالي في ليبيا

د. مصطفى محمد أبو شعالة(*)

كان القرار السياسيّ بداية الانطلاقة لمسيرة التعريب في ليبيا،

وكان أول قرار يتعلق بالتعريب، في هذا القطر، هو قرار مجلس قيادة الثورة الذي صدر في سنتها الأولى، والخاص بمنع الكتابة على واجهات المحلات واللوحات التي تحمل أسماء الشوارع واللوحات المعدنية للسيارات بحروف غير عربية.

ومن هنا كان مبعث مسيرة التعريب في ليبيا مبعثاً قومياً، انطلاقاً من أن اللغة هي الهوية، فليست اللغة وسيلة للتعبير فحسب، وإنما هي رمز لشخصية المتحدث. ونادت ثورة الفاتح من سبتمبر، منذ انبلاجها، بدور الشخصية العربية، رداً على من كان ينادي، قبل الثورة، بتأكيد دور الشخصية الليبية.

أما تجربة تعريب التعليم العالي في ليبيا، وأقصد هنا: تعريب العلوم الأساسية والتطبيقية، لأن العلوم الإنسانية كان التدريس فيها منذ نشأتها باللغة العربية، فقد انطلق من مؤتمر التعريب الذي عُقد في مدينة طرابلس، وأصدر أمين اللجنة الشعبية العامة للتعليم العالي، آنذاك، قراراً بتعريب العلوم في الجامعات، وأنشئت، ضمن هيكل ديوان أمانة اللجنة الشعبية العامة للتعليم العالي "الإدارة العامة للتعريب " التي تتولى الاهتمام والعناية بشؤون التعريب وتقوم بالتنسيق بين الجامعات في هذا المضمار.

وقد أصدر أمين اللجنة الشعبية العامة للتعليم العالي منشوراً يقضي بتعريب المحاضرة وتعريب الأستاذ وتعريب الكتاب.

ولكن عندما بدأت الجامعات في تنفيذ هذا المنشور واجهت بعض الصعاب والمعوقات، وبالذات في مجاليّ الطب والهندسة. أما تعريب العلوم الأساسية من رياضيات وفيزياء وكيمياء وعلوم الحياة، فكان التعريب فيها أحسن حظاً، وذلك لتوفر الأستاذ العربيّ بهذه التخصصات. وقد كرّس الأساتذة جهودهم لتعريب المحاضرة أولاً، ثم الكتاب ثانياً، وإن ظهرت أمامهم مشكلة المصطلح العلميّ التي تُركت في تلك الفترة لاجتهادات أعضاء هيئة التدريس.

أما في مجال العلوم الهندسية، فنجد أن الجهود التي بُذلت في التعريب، كانت أفضل من تلك المبذولة في مجال العلوم الطبية، وذلك لتوفر الأستاذ الناطق بالعربية في الهندسة وعدم توفره في الطب.

وعندما قامت اللجنة الشعبية للتعليم العالي سنة 1990 بتقويم تطبيق قرار التعريب في الجامعات، ظهر من ذلك أن عدد أعضاء هيئة التدريس الناطقين بالعربية

(*) أستاذ اللغة العربية- كلية الآداب- جامعة مصراتة

في جامعة العرب الطبية مثلا، يقل عن الثلث، ولهذا السبب لم تتمكن جامعة العرب الطبية من وضع توصيات مؤتمر التعريب الذي عقد بها سنة 1990، تحت شعار" الكتابة العلمية باللغة العربية " موضع التنفيذ، رغم حرص المسؤولين بها على الاستفادة منها.

وبذلك أعطي هذا التخصص مجالاً أوسع لتطبيق تعريب العلوم الطبية.

وقد نص قانون التعليم العالي رقم (1) لسنة 1991 على أن التدريس في المؤسسات التعليمية في الجماهيرية والجامعات يكون باللغة العربية، إلا ما يكون ذا طبيعة خاصة تدفع، بسبب من الأسباب، إلى التدريس بغير العربية، ويتطلب هذا قراراً بالموافقة من أمين اللجنة الشعبية للتعليم العالي.

ورغم أهمية القرار السياسيّ، وضرورته في حل قضايا التعريب،وتأكيد حيويته، إلا أنه لا يفي وحده بالغرض، لأننا أمام مسألة فكرية تتطلب اقتناع الأستاذ وإيمانه بهذه القضية، وبالتالي جديته في التطبيق. ومن هنا اتجه النظر إلى تفعيل دور الأستاذ ودفعه إلى الإبداع والابتكار والتأليف والترجمة، فصدرت عن اللجنة الشعبية العامة لائحة التأليف والترجمة والنشر التي تضمنت حوافز مادية ومعنوية لمن يؤلف أو يترجم باللغة العربية، منها العائد الماديّ للكتاب الذي يصل إلى خمسة آلاف دينار عن الكتاب المنهجيّ وأربعة آلاف دينار عن الكتاب المرجعيّ، واعتبار العمل المترجم عملاً إبداعياً يحسب للأستاذ ضمن البحوث المطلوبةللترقية. وصدر عن أمين اللجنة الشعبية للتعليم العالي قرار يقضي بأن يقوم كل أستاذ درس في دولة أجنبية بترجمة أطروحته إلى اللغة العربية.

ومن خلال تطبيق هذا القرار، وُجد أن الأطروحة المترجمة لم تجد كبير نفع في تدريس المادة المقررة للطالب، لأنها لا يمكن الاستفادة منها، كتاباً منهجياً، ومع ذلك أفادت في أمرين:

1-توفير كتاب مرجعيّ في مجال تخصص الأستاذ، وهو أمر لا شك في استفادة الطالب وأعضاء هيئة التدريس الآخرين كذلك منه.

2- ربط صاحب الأطروحة بلغته القومية في مجال تخصصه.

وقد كان لهذا القرار دور في تغيير فكرة العديد من المتخصصين في العلوم التطبيقية عن قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم مما دفعهم إلى التأليف فيما بعد باللغة العربية.

أما المصطلح العلميّ، فقد تم وضع آلية لخلقه وتوليده وتداوله بين الجامعات، وذلك بتكوين لجان للتعريب في الجامعات، تبدأ من القسم المختص وتنتهي بلجنة التعريب على مستوى الجماهيرية.

ويتم اختيار أمين للتعريب بكل قسم من الأقسام العلمية بالكلية، وهؤلاء يكوّنون لجنة التعريب بالكلية يُختار من بين أعضائها أمين لها، ومن أمناء التعريب في الكليات، تتكون لجنة التعريب في الجامعة، ويختار من بين أعضائها أمين لها، وأمناء التعريب في الجامعات يكونون لجنة التعريب على مستوى الجماهيريـــة. ويتم خلق وتوليد المصلح العلميّ داخل الأقسام العلمية ويكون دور هذه اللجان تجميع المصطلحات المختارة والتوفيق بينها.

ولكن ظهرت بعض العراقيل والصعوبات أمام عمل هذه اللجان أعاقت عملها، ومنها:

1- إن تعدد هذه اللجان خلق سلسلة طويلة في عملية التجميع هذه،حيث تبدأ من القسم إلى الكلية إلى الجامعة إلى لجنة التعريب، مما يتطلب فريقاً خاصاً بهذا العمل.

2- إن مسألة توليد وشيوع المصلح العلميّ مسألةٌ قومية، لابد من التنسيق فيها مع جامعات الأقطار العربية الأخرى.

وبذلك ترك الأمر فيها لاجتهادات الأساتذة في اختيار المصلح العربيّ المناسب، على أن يرد في الكتاب المصطلح الأجنبيّ المقابل له ويكون أحدهما بين قوسين.

وإيماناً بقومية معركة التعريب، لأنها تتعلق بالعرب جميعاً، ولأن نجاحها يتوقف على تكاتف الجهود والعمل المشترك، من أجل ذلك اتجه المسؤولون في التعليم العالي في الجماهيرية، إلى التنسيق مع نظائرهم من العرب، من خلال عقد اتفاقات في هذا المجال، من بينها اتفاق مع الشقيقة سورية واتفاق مع الشقيقة مصر، أبرما عام 1991، كما تم تشكيل لجنة موحدة للتعريب بين، الهيئة العليا للتعريب في السودان، والإدارة العامة للتعريب في الجماهيرية، وقام الجانب الليبيّ بأول زيارة للسودان بهذا الخصوص عام 1992، ولكن للأسف حالت الظروف دون الإفادة من هذه الاتفاقات جميعاً، فلم تؤت أكلها.

وحيث إن الجامعات في حاجة إلى مؤسسات مساعدة في إنجاح عملية التعريب بها، فقد صدر قرار اللجنة الشعبية العامة رقم (25)، لسنة 1992، بإنشاء المركز الوطنيّ للتعريب والترجمة، توكل إليه مهمة ترجمة الكتب العلمية ونشرها، ولكن لم يتم تنفيذ هذا المركز حتى الآن. كما صدر أيضاً قرار اللجنة الشعبية العامة بإنشاء مجمع اللغة العربية في الجماهيرية، وكان هذا حظه أفضل من سابقه، فقد تم إنشاؤه فعلا، وهو يمارس الآن دوره بجدية وحرص، إلى جانب مجامع اللغة العربية الأخرى، في حل قضايا التعريب.

وفي الختام، أود الإشارة إلى أن التعريب في الجماهيرية بخير، بفضل إيمان أبناء هذا البلد بضرورة التعريب وحيويته وقيام الأساتذة العرب الليبيين في الجامعات بدورهم في التأليف والنشر باللغة العربية. ويكفي أن أشير إلى أن منشورات جامعة قاريونس وحدها تجاوزت ثلاثمائة كتاب.

وقد نشر أساتذة العلوم الطبية العشرات من الكتب المترجمة والمؤلفة، وهو جهد يحسب لهم رغم خصوصية هذا المجال.

ومع هذا كله، لا يخلو الأمر من وجود معوقين لمسيرة التعريب في الجامعات من الأساتذة يدفعهم إلى ذلك:

1- إما عجزهم في مجال اللغة العربية، فلا يمكنهم التعبير بها في مجال العلوم، ناهيك عن التفكير بها وخلق وتوليد المصطلح العلميّ، فآثروا السلامة وركنوا إلى حجج واهية بدعوى عدم قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم الطبية، وألبسوا عجزهم اللغة العربية.

2- أو إحساسهم بتفوق العنصر الأجنبيّ وهو ما يسمى بعقدة الخواجة، نتيجة دراستهم في بلاد أجنبية مما يدفعهم إلى الولاء لأهلها ولغتها، لارتباط العلم عندهم

بها، فلا يستطيعون التفكير إلا بها ولا يتصورون العلم بدونها.

3- ومنهم من يدفع به الكسل إلى ذلك والتباطؤ في التحصيل العلميّ وعدم الرغبة في التعب والعناء، فيجد في تعريب العلوم مشقة ناتجة عن ترجمة المادة العملية التي يريد تدريسها. والبحث عن المقابل العربيّ للمصطلح الأجنبيّ، وبذلك فهو يرى نفسه في غنى عن ذلك إذا قام بالتدريس باللغة الأجنبية.

ويبقى لأهواء المسؤولين في المؤسسات العلمية والتعليمية الأثر الذي لا ينسى في تطبيق تعريب العلوم، إذ يختلف الحماس من مسؤول لآخر، حسب القناعة الشخصية بدور التعريب في دفع عجلة التطور والتقدم، وتذبذب هذا الحماس من مسؤول لآخر وأثره في اتخاذ القرارات والإجراءات التنفيذية لتعريب العلوم في الجامعات.

ولهذا يكون لزاماً متابعة الجامعات في تنفيذ القرار السياسيّ متابعة جادة ودقيقة، ووضع الحلول لما يواجهها من مشاكل وصعوبات وتذليلها بما يضمن تحقيق هذا الهدف السامي لتوطين العلوم وربطها باللغة الأم للطالب والأستاذ والباحث.

تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال

د. عاطف نصار (*)

هل في مصطلحات التجارة تعريب؟ هذا سؤال.. وهل في إدارة الأعمال تعريب؟ هذا سؤال آخر، لابد منه، ويبدو أننا في مؤتمرات التعريب لا ننتبه كثيراً لهذا السؤال أو ذاك، نحن ننتبه إلى مصطلحات العلوم والتقانة (التكنولوجيا)..إلى مصطلحات الطب والعلوم الصحية.. وهذا هو أيضاً الهم الأكبر لأنشطة المجامع اللغوية. أما مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال. فلا تأتي كثيراً في حساب المؤتمرات أو حساب المجامع اللغوية العربية، مع أن التجارة هي أول نشاط بدعه الإنسان في دنيا الحياة والمعاملات. وهي أقدم نشاط لغويّ مارسه الإنسان، أفراداً وجماعات وشعوباً وقبائل، أما إدارة الأعمال فهي أحدث نشاط لغويّ بدعه الإنسان، فهو نشاط رابطٌ جامع لكل أنشطة الحياة، و محور مصطلحات التجارة يرتكز على أسماء السلع والمنتجات بتصنيفها المعمول به في حصر إجمالي الناتج القوميّ، وأما مصطلحات الإدارة فهي ترتكز على تصنيفات إدارة الحياة من موضوعات في القوانين، والتمويل، والتأمين، و المحاسبات، وضبط الدفاتر والسجلات، والاتصال، والإعلام، والإدارة العامة، و إدارة المشروعات والأعمال... إلخ . و على الرغم من ضعف التغلغل المجمعيّ في نشاط ألفاظ التجارة، وألفاظ إدارة الأعمال إلا أنه أقوى وجوداً من أيّ نشاط لغويّ آخر، إذ جاء هذا النشاط أهلياً قوياً، والدليل على ذلك عراقة وقِدم المعاني التي تناولت وساعدت عملية النقل من اللغة العربية وإليهـــا، وساعدت بالتالي على رواج الأنشطة التجارية بين العرب وسائر البشر من مختلف الجنسيات والألوان واللغات. يشهد بذلك إصدارات عريقة في معاجم القانون العام والقانون التجاريّ والتأمين العام والتأمين البحريّ وخلافه، كما يشهد على ذلك أيضاً المعاجم العامة من وإلى اللغة العربية، الأمر الذي يتطلب اهتماماً خاصاً وتنسيقاً يضم هذه الأفرع القوية لتعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال. ويُلاحظ، في هذا المقام، أن مكتب تنسيق التعريب قد بدأ ينتبه إلى هذا النشاط الذي يحتاج إلى مزيد من الاهتمام والدعم على المستوى الرأسيّ داخل كل قطر عربيّ، وعلى المستوى الأفقيّ الذي يقرب بين المصطلحات السائدة في أجزاء الوطن العربيّ ويوحد بينها عاجلاً أو آجلاً.

وتهدف هذه الورقة إلى استخلاص الدروس المستفادة من عمليات تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال، بغرض الإحاطة بها وترويجها وتعميم ما يصلح منها في سائر عمليات التعريب. هذا هو الهدف من هذه الورقة، التي تهدف أيضاً إلى لفت نظر المجامع الرسمية والمؤسسات التعليمية المختلفة إلى أهمية الالتفات إلى الجهد الأهليّ غير الحكوميّ في دعم مسيرة التعريب.

(*) رئيس جمعية لسان العرب – القاهرة

ولقد أثبتت الجهود الأهلية، غير الحكومية، جدارة ملحوظة في عمليات التعريب، لفتت نظر الجهات الرسمية إليها بشدة،إلى درجة أنه يمكن الاعتراف بأن قاطرة التعريب يجرها جوادان متلازمان، الجواد الأول هو العمل الأهليّ والجواد الثاني هو العمل الرسميّ.

مفردات نشاط التجارة وإدارة الأعمال:

تشير هذه الورقة إلى أمثلة لمفردات الكلمة في كل من نشاطي التجارة وإدارة الأعمال، وذلك تحديداً أو بمعنى أصح استطلاعاً لنطاق البحث في التصنيفات الرئيسية لكل موضوع، مما يسهل عمليات البحث على الباحثين ويفتح المجال للبحث في التصنيفات الرئيسية لكل موضوع. ومن الطريف أن عراقة النشاط اللغويّ في مجال التجارة بصفة خاصة، قد جعل هذا الموضوع موضوعاً ثرياً بألفاظه وتصنيفاته، لأن ألفاظ التجارة، باختصار شديد،هي ألفاظ السلع والمنتجات والخدمات، وهي ذات الألفاظ المستخدمة في كتب إجمالي الناتج القوميّ وهي ألفاظ مستقرة، وهي ألفاظ قبلت التوحيد والترجمة التطابقية إلى كل اللغات، كما أنها قبلت التبويب الموحد. يوضح ذلك كل الكتب السنوية الإحصائية التي تصدرها الدول والبنوك المركزية ببيانات إجماليّ الدخل القوميّ، فهذه الكتب عبارة عن حصر شامل لألفاظ السلع والمنتجات. أما مفردات ألفاظ إدارة الأعمال فعلى الرغم من حداثة هذا الموضوع كمادة دراسية متغلغلة في كل أنشطة الحياة، إلا أنّها ولدت بوضوح كامل، وجاءت بتفريعات وثمرات سهلة الاستيعاب، سريعة الانتشار، غنية في إمكانية التكاثر والتوليد. الأعمال الحاكمة في الحياة هي أعمال الإدارة العامة؛ أي الإدارة المدنية وإدارة الأمن والدفاع؛ أي الأمن الداخليّ والدفاع، أي الأمن الخارجيّ.. يلي ذلك إدارة المشروعات الصغيرة والمشروعات الكبيرة (Micro Economics,Macro Economics)، أو ما يسمى باقتصاديات المشروعات الصغيرة واقتصاديات المشروعات الكبيرة، ويتفرع من ذلك موضوعات عامة بألفاظ مصاحبة تدخل في أنشطة إدارة الحياة، مثال ذلك: التأمين بأنواعه ونشاط المشتريات والمخازن والبيع والشراء والتصنيع والمحاسبة والموازنات التقديرية والتخطيط والمتابعة، وتتميز هذه الأنشطة بالمصطلحات التي تدل عليها من نمطية وتوحد لتطابق التعبير عنها باللغات المختلفة.ولعل من أجمل ما ظهر من مصطلحات إدارة هذه الأنشطة في كل اللغات تلك المصطلحات التي وضعها المهندس الفرنسيّ: هنري فايول (1841-1925) وما زالت متغلغلة رائجة في كل اللغات، تلك المصطلحات هي أربعة عشر مصطلحاً أطلق عليها:

تقسيم العمل	Division of work
السلطة والمسؤولية	Authority and Responsibility
النظام	Discipline
وحدة إصدار الأوامر	Unity of Command
وحدة التوجيه	Unity of Direction
خضوع مصلحة الفرد لمصلحة المجموع	Subordination of individual to the Group
حسن الجزاء	Remuneration of Personnel
المركزية	Centralization
التسلسل الرئاسيّ	Scalar chain
الترتيب	Order
الإنصاف	Equity
استقرار العمالة	Tenure de personnel
الابتكار	Initiative
روح الجماعة	Esprit de Corps

مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال في الفعل:

إن الاستعراض السريع لمصطلحات التجارة وإدارة الأعمال، حسبما ألمحنا إليها، توحي بعالمية هذه المصطلحات، فهي مصطلحات موحدة تقريباً بين كل اللغات، موحدة المفهوم، وموحدة التطبيق، وطاغية الانتشار، وهذا يعني أن تعريب هذه المصطلحات كان وافياً مبيناً. وليس هذا هو الدرس الوحيد المتاح من عملية تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال، هذا الدرس هو أن الاستعمال والانتشار هما الأسلوب والمقياس، ونقصد بالأسلوب الاستعمال السهل المبين، وأما المقياس فهو مدى الانتشار والاعتراف. وأما الدرس التالي في الأهمية، فهو تتبع التعريب في الفعل واستخلاص ما يكون من دروس مستفادة أخرى. وقد ثبت لنا من، مشاهدتنا اللغوية، أكثر من درس مفيد آخر. عندنا من ذلك درس المختصرات اللغوية الموحدة بين اللغات الأوسع انتشاراً، ثم درس الأرقام، ودرس التعبير بالشكل والصورة.

اقتحام المعنى في عملية التعريب:

أثبتت عمليات مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال، جدارة منقطعة النظير في إصابة المعنى والإبانة عن مقصود المصطلح دون حرفية مبهمة... إذ لا تتمسك عملية التعريب بالترجمة الحرفية التطابقية إذا كانت الإبانة عن المفهوم غير واضحة.كما أثبتت عمليات التعريب جدارة أخرى في استعمال المختصرات، وأثبتت تقليداً لغوياً عالمياً في استعمال المختصرات، كذلك التوسع في استخدام الحروف المقطعة والأرقام والأشكال جنباً إلى جنب مع المصطلحات، وحيث تستغل بنفسها كمصطلح مبين أو تأتي قرين المصطلح، وهذا بالطبع سبيل إلى عالمية اللغة وتقريب المفهوم وربما توحيده على المستوى العالميّ.

أسلوبية تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال:

1- لا تأخذ الترجمة والتعريب في أنشطة التجارة وإدارة الأعمال بالنقل الحرفيّ، وإنما تأخذ بإصابة مضمون المعنى. والطريف أن الترجمة على هذا النحو تكون أسرع في الرواج والانتشار من الترجمة الحرفية، ومن أمثلة ذلك، في التعبير عن مبادئ الإدارة الأربعة عشر الخالدة التي وضعها هنري فايول، ترجمة المصطلح (Esprit de corps) ومعناها الحرفيّ روح الجسد، أما تعريبها الكاشف عن المفهوم فهو روح الجماعة، وكذلك اصطلاح (Tenure de personnel) ومعناه الحرفيّ الإمساك أو الاحتفاظ بالعمالة، أما تعريبها الكاشف عن المفهوم فهو المحافظة على العمالة؛ أي استقرار القوى العاملة؛ أي عدم التفريط فيها أو الاستغناء عنها في كل شاردة، وكذلك كلمة (Equity) فهي تعني حرفياً المساواة، وأما معناها العمليّ فهو الإنصاف، والإنصاف هو مزيج من العدل والرحمة، وهكذا في العديد مئات من الأمثلة التي تمتلئ بها معاجم مصطلحات الإدارة.

2- استعمال المختصرات:

تستعمل المختصرات والحروف المقطعة على نطاق واسع في تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال، وتكتسب على هذا النحو، شيوعاً واستعمالاً عالمياً لا لبس فيه ولا إبهام. والطريف أن هذه المختصرات تنتقل من لغة إلى أخرى بنفس حروفها ومنطوقها الذي ظهرت به، حتى وإن ترجمت إلى لغة أخرى، مثال ذلك (C.O.D) بمعنى الدفع قبل الاستلام،

(C.I.D) بمعنى نولون تسليم ظهر الناقلة، والنولون هو مصاريف الشحن والنقل والتعتيق، و (F.O.B) بمعنى البناء مقابل الملكية المؤقتة، وقد كان هذا المصطلح شائعاً معروفاً معمولاً به في منتصف القرن العشرين، بمعنى حق الامتياز؛ أي الانتفاع بريع المشروع بعد بنائه لمدة معينة من السنين... ويمثّل استعمال المختصرات على هذا النحو نمطاً دولياً في التعاون من أجل الخير العام، مع تحقيق سرعة وكفاءة التعامل، ويطبق هذا النمط من التعبير بأقصر حرف أو رمز ممكن في قطاع الطيران حيث يكون الحرف (Y) مثلا دليلاً على الدرجة السياحية، وحرف (B) دليلاً على درجة رجال الأعمال، وحيث كل شركة لها حرف أو حرفان يدلان عليها، ويتعارف على ذلك كل العاملين في الطيران التجاريّ في كل العالم.

3- الاستيعاب والفهم أولاً:

تتصف اللغة العربية بميزة كبرى هي أن الفهم والاستيعاب جزء لا يتجزأ من القراءة الصحيحة، والفهم هو الأولوية الأولى وهو السبيل إلى القراءة الصحيحة، ولا يدري كثير من الناس أن صوت الحروف يساعد على تجلية ووضوح المعاني، هذا يعرفه المترجم المتمرس في اللغة والموضوع، وهذا يؤدي إلى التوفيق في اختيار اللفظ المنقول إليه، مثال ذلك مصطلح (Bench Marking) في علم الإدارة، وقد ظهر هذا، المصطلح في أدبيات الإدارة أوائل سنوات التسعين، واحتار بعض المترجمين غير المتمرسين في فهمه، فالكلمة الأولى (Bench) تعني المقعد الطويل بدون مساند أو جوانب، والكلمة الثانية (marking) "تعني تدوين الملاحظات، والترجمة الحرفية تكون على هذا النحو "تدوين الملاحظات على المقاعد"، وهذا طبعاً شيء مضحك. أما استيعاب اللفظ والمناخ الذي استعير منه اللفظ فهو يشير إلى مراقبي بعض الألعاب الرياضية مثل "كرة القدم" أو "الملاكمة"، حيث يجلس فريق من الحكام على مقعد غير وثير ليسجلوا عن كثب ما يجري في المباراة، وبهذا تكون الترجمة الصحيحة لهذا المصطلح في ممارسات الإدارة هي:"المراقبة عن كثب" بغية التطوير وتصحيح الأداء، وهذا طبعاً يتم من خلال الإشراف المباشر، ومن خلال وسائل التصوير واستشعار الصوت والحركة والتغيرات بطريقة إلكترونية متناهية في الدقة.

4- نظرية الحاجة في نشاط التعريب:

بدأ نشاط تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال على استحياء، وسرعان ما شهد النمو والتطور رأسياً وأفقياً. ومن أمثلة النمو الرأسيّ في تعريب المصطلحات المعجم القانونيّ لمؤلفه حارس سليمان الفاروقي. إذ وضع معجماً في المصطلحات القانونية الشائعة،مثل مصطلحات الفقه والطب الشرعيّ والتجارة والبنوك والتأمين والدبلوماسية والبترول والطيران المدني. أما الأمثلة على النمو الأفقيّ الذي شهد توسعاً شاسعاً، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر، معاجم إدارة الأعمال: التدريب والتسويق والاقتصاد والتأمين بأنواعه والتمويل بأنواعه ومصطلحات النفط والغاز ومصطلحات الطيران التجاريّ والمصطلحات المعمارية ومصطلحات الطقس ومصطلحات الإعلام والاقتصاد والحواسيب الإلكترونية.

توفير القواعد العربية وقيادة التطوير:

نشطت حركة التعريب ووضع المعاجم في شؤون التجارة وإدارة الأعمال وأسماء السلع والمنتجات كنشاط

أهليّ غير حكوميّ، ومع ذلك فقد أعطت لنفسها صورة الشرعية التي لا تنتظر بيروقراطيات المجامع اللغوية في إقرار ألفاظها ومصطلحاتها الجديدة.. إذ التزمت بأصول وقواعد اللغة صرفاً ونحواً، وتقديم هذه الأصول والقواعد بشكل عصريّ سهل، ولعل هذا جاء أوضح ما يكون في مقدمة معجم لاروس العربيّ/ العربيّ الذي قدم بوضع موجز جامع مبسط لقواعد النحو والصرف،.. وقد أعطى مثل هذا التوقير شرعية مقبولة لهذا المعجم من مجامع اللغة العربية، كما كانت مثل هذه المعاجم هي الأسبق في ترتيب ألفاظ المعجم ترتيباً ألفبائياً، وهو الترتيب الذي أخذت به المجامع اللغوية العربية تباعاً.. وأخذت به كل المعاجم اللغوية من الجيل الأول حتى الجيل الرابع من المعاجم الذي نعيشه الآن، وهو المعجم الصوتيّ.

السليقة اللغوية:

كان الفيصل دائماً في استحداث ألفاظ جديدة تعرّب أسماء السلع والمنتجات ومصطلحات أنشطة الحياة والإدارة الجديدة، هو سيادة السليقة اللغوية وملاكها الاستعمال والقبول الجماهيريّ وعدم التزام حرفية النقل من اللغات الأخرى، مثال ذلك شيوع كلمة الهاتف بدلاً من المسرة (التليفون)، وكلمة الحافلات والنقل الجماعيّ بدلاً من الأتوبيسات والباصات، والمخبوزات تعبيراً عن كلمة المعجنات المنقولة حرفياً من الفرنسية.. وقد كان الرائد الأعظم في هذا المقام هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في تعريب ألفاظ الحضارة، اعتماداً على الجرس العربيّ للفظ وقبول الأذن واللسان له، وتلك هي السليقة اللغوية التي أعادت معاجم التعريب الحديثة، الحياة إليها في العصر الحديث.

الخاتمة ودرس الدروس المستفادة:

إن درس الدروس في تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال ليس في إصدار المعاجم المتخصصة المتنوعة التي تغطي أنشطة التجارة وإدارة الأعمال، بل إن درس الدروس هو الوعي بأسلوب وتقنية وضع وتعريب هذا المصطلح، إذ إن سيد التعريب وحاكمه هو القائم بهذا النشاط، فهو ناقل الجديد ومبتدع اسمه ومصطلحه بناءً على سليقة لغوية سليمة وحس ترويجيّ يقظ، وفعل ديناميّ فوريّ أو لحظيّ، ذلك أن طلبات السوق وآليات الاستعمال ليس لديها ترف التلكؤ في وضع المصطلح أو نقله... ولقد نشأت دعوة قوية إلى تدريس العربية في مراحل التعليم العالي تمكيناً لطلاب هذه المرحلة من لغتهم، وهذا مطلوب، ولكن الطلب أيضاً والحاجة الشديدة تقضي بألا يكون هذا التدريس هو عودة إلى تكديس دراسة النحو والصرف أو الإبداع الأدبيّ المأثور أو المحمود، فهذا مجاله التعليم قبل العالي، أما التعليم الجامعيّ والعالي فينبغي أن يركز على دراسة اللغة في الأغراض الخاصة بحسب فرع تخصص التعليم العالي، وينبغي أن يركز على تقنية وضع وتعريب المصطلحات، فهذا من شأنه أن يروج استعمال المعاجم الحديثة المتطورة، ومن شأنه أيضاً أن يرفع ويصقل مهارة التعبير في الحياة العلمية والعملية، كما يساعد على تيسير تعليم العلوم الأساسية والتطبيقية باللغة العربية، والبحث بها والتأليف والابتكار.. وهذه كلها تجارب محققة النفع والجدوى والفائدة بحسب التجارب العربية المَعِيشَة، وتجارب التعليم باللغة الأم في علم اللغة المقارن.

طريقـــة إنجاز مشروع الذخيرة اللغوية العربية

د. عبد الرحمن الحاج صالح (*)

كان لي الشرف أن عرضت هذا المشروع على مؤتمر التعريب الذي انعقد بعمان في 1986م، وفكرة الذخيرة اللغوية العربية وفوائدها الكبيرة بالنسبة للبحوث اللغوية والعلمية عامة، وبالنسبة لوضع المصطلحات وتوحيدها خاصة. وحاولت أن أقنع زملائي الباحثين بأهمية الرجوع إلى الاستعمال الحقيقيّ للغة العربية واستثمار الأجهزة الحاسوبية الحالية وإشراك أكبر عدد من المؤسسات العلمية لإنجاز المشروع، لامتيازه بأبعاد تتجاوز المؤسسة الواحدة بل البلد الواحد. ثمّ عرضت الجزائر هذا المشروع على المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في ديسمبر 1988م، فوافق أعضاؤه على تبنّيه في حدود إمكانات المنظمة.

وبادرت المنظمة بعد ذلك بمراسلة المؤسسات العلمية العربية والجهات الرسمية، المعنية بالتربية والتعليم العالي، تطلب منها إبداء الرأي في جدواه وطرق تنفيذه. فتوالت على المنظمة إجابات كثيرة جداً ومفيدة من قبل المؤسسات؛ من المجامع اللغوية كلها في ذلك الوقت والجامعات ومراكز البحوث والجهات المعنية في وزارات التربية. وأجمعت هذه الإجابات على أهمية المشروع وضرورة الشروع في إنجازه في أقرب الآجال.

وعلى إثر ذلك نظمت جامعة الجزائر، بالاتّفاق مع المنظمة، ندوة أولى لدراسة المشروع واتّخاذ القرارات اللازمة مع خبراء المؤسسات العلمية العربية. وساهم في هذه الندوة عدد من الخبراء والمسؤولين، وخرجوا بتوصيات تخصّ تنظيم العمل والمشاركة وإنشاء لجان لمتابعة المشروع.

وقد قرّر المشاركون في هذه الندوة الأولى أن تعقد ندوة ثانية، يجتمع فيها جميع الممثلين للمؤسسات الراغبة في المشاركة في إنجاز المشروع، وتكرّم مركز البحوث والدراسات العلمية بدمشق باقتراح استضافته للندوة في دمشق، وكان من المقرر أن تنعقد هذه الندوة في سنة 1995م.و لم يحصل ذلك.

ومن حسن حظ المشروع أن تبناه المجمع الجزائريّ للغة العربية فنظم المجمع، بمشاركة جزئية من جامعة الجزائر، ندوة تأسيسية انعقدت في الجزائر بين 26 و27 ديسمبر 2001م، بالرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية. وجمعت تسع دول عربية ووعد الباقي من المدعوين بالمشاركة في الندوة المقبلة. وخرجت هذه الندوة بتوصيات وقرارات مهمة، وأنشأت لجنة دولية دائمة للمتابعة والتخطيط والتنسيق.

(*) رئيس المجمع الجزائري للغة العربية

فالمقصود من هذا البحث هو التحديد الدقيق لمفهوم الذخيرة اللغوية، والأهداف العلمية التي رسمت للمشروع، والتحديد أيضاً لجميع وظائفها والفوائد العلمية التي سيحصل عليها المستثمرون لها، وتحديد العصور والأقاليم والميادين وتدرّج العمل، وكذلك المنهجية الخاصة بالمتابعة، كل ذلك بالتعاون مع المهندسين وغيرهم من الخبراء.

I- أهداف المشروع:

1-1- الذخيرة كبنك معلومات آليّ: إنّ الهدف الرئيسيّ لمشروع الذخيرة هو أن يتمكّن الباحث العربيّ، أياً كان وأينما كان، من العثور على معلومات شتّى من واقع استعمال العربية بكيفية آلية وفي وقت وجيز. وسيتحقق هذا بإنجاز بنك آليّ للغة العربية المستعملة بالفعل؛ يتضمّن أمهات الكتب التراثية الأدبية والعلمية والتقنية وغيرها، والإنتاج الفكريّ العربيّ المعاصر، في أهم صوره، بالإضافة إلى العدد الكبير من الخطابات والمحاورات العفوية بالفصحى في شتّى الميادين.

وعلى هذا فهو بنك نصوص لا بنك مفردات. ثمّ إنّ هذه النصوص لا يصطنعها المؤلفون، بل هي نصوص من اللغة الحيّة الفصحى المحررة أو المنطوقة. وأهم شيء في ذلك هو أن يكون هذا الاستعمال، الذي سيخزّن بشكل النص، كما ورد في ذاكرة الحواسيب، هو استعمال العربية طوال خمسة عشر قرناً في أروع صوره، بحيث يغطي الوطن العربيّ أجمعه في خيرما يمثله من هذا الإنتاج الفكريّ (زيادة على الكثير جداً من الخطابات العفوية).

1-2- الذخيرة كمصدر لمختلف المعاجم والدراسات: سيستخرج من هذا البنك(المسمى عند المهندسين بقاعدة المعطيات النصّية) العديد من المعاجم، نذكر منها:

1- المعجم الآليّ الجامع لألفاظ العربية المستعملة: وسيحتوي على جميع المفردات العربية التي وردت في النصوص المخزّنة قديمة أو حديثة. وتحدد فيه معاني كل مفردة باستخراج هذه المعاني من السياقات التي ظهرت فيها، ثمّ يضاف إلى ذلك تحديدات العلماء. وسيأتي وصف هذا المعجم فيما يلي.

2- المعجم الآليّ للمصطلحـــات العلمية والتقنية المستعملة بالفعل: سيحتوي على المصطلحات التي دخلت في الاستعمال، ولو في بلد واحد أو جهة معيّنة لأنّها وردت في نصّ واحد على الأقلّ، ويذكر مع كل مصطلح ما يقابله في اللغتين الإنجليزية والفرنسية. أما ما لم يدخل في الاستعمال وورد فقط في معجم حديث، فيشار إليه فقط مع ذكر مصدره. وسيجزأ هذا المعجم العام إلى معاجم متخصصة بحسب فنون المعرفة ومجالات المفاهيم.

وكل واحد من هذين المعجمين آليّ، مثل الذخيرة في شكلها الأول، ومعنى ذلك أنّه يقوم على ركيزة متّصلة بالحواسيب في أحدث صورها، مثل الأقراص البصرية أو المغنـــاطيسية التي يمكن أن تحتوي على ملايير النصوص. كما يمكن أن ينشر كل منهما وكذا المعاجم المتخصصة على الشكل التقليديّ. والفضل الذي تمتاز به الذخيرة، كبنك آليّ ومعاجمها، هو أنّها مفتوحة وقابلة للإضافة لأيّ معلومة جديدة، ويدخل فيها أيّ كتاب جديد مهم أو أيّ كتاب

يعثر عليه في التراث، وهي قابلة لأيّ تصليح في أيّ وقت كان.

3- المعجم التاريخيّ للغة العربية.

4- معجم الألفاظ الحضارية (القديمة والحديثة).

5- معجم الأعلام الجغرافية.

6- معجم الألفاظ الدخيلة والمولّدة.

7- معجم الألفاظ المتجانسة والمترادفة والمشتركة والأضداد.

وغير ذلك من المعاجم المفيدة.

فكما رأينا، كل ما يذكر من الألفاظ في هذه المعاجم فهو مأخوذ، لا من القواميس الموجودة، بل من الاستعمال الحقيقي قديماً كان أو حديثاً. أما ما لم يرد في نصّ، فيشار إلى ذلك حتى يعرف (وهذا يقتضي أن تدخل في الذخيرة جميع القواميس وقوائم المصطلحات التي وضعتها المجامع أو المؤسسات العلمية أو الأفراد).

II- مزايا الذخيرة وفوائدها:

المزايا الرئيسية للذخيرة وما سيستخرج منها هي كما رأينا:

- الاستعمال الحقيقيّ للغة العربية، لا ما تأتي به بعض القواميس من أمثلة مصطنعة.
- استفاضتها وشموليتها بتغطية هذا الاستعمال لجميع البلدان العربية وامتدادها من العصر الجاهليّ إلى عصرنا الحاضر.
- تمثيلها لهذا الاستعمال بوجود كل النصوص ذات الأهمية فيها، المحررة منها والمنطوقة، الفصيحة في الآداب والحضارة والدين والعلوم والثقافة العامة والفنون وكذا الحياة اليومية.
- اعتمادها على أجهزة إلكترونية في أحدث صوَرها، وهي الحواسيب وما إليها من الوسائل السمعية البصرية وهي الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تجمع وتسع هذه الكمية الهائلة من النصوص (الملايير من الجمل والألفاظ)، والوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تجيب عن مختلف الأسئلة بسرعة الضوء؛ أي في بضع ثوان، والوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تقوم بعمليات تعالج بها النصوص، وذلك مثل الترتيب الآليّ الأبجديّ لمجالات المفاهيم وفهرسة الكتب. هذا زيادة عن الاستخراج الآليّ لجذور الكَلِم (الكلمات) أو أوزانها الواردة في نصّ من النصوص وغيرها من العمليات العلاجية المفيدة.
- إمكانية طرح الآلاف من الأسئلة على الذخيرة عن بُعْد وفي نفس الوقت عبر العالم (وسرعة الإجابة كما قلنا) بعرضها على الشاشة، وإمكانية طبعها بالطابعات الآلية في وقت وجيز، والحصول عليها في أيّ مكان، وذلك بفضل شبكة الإنترنت التي سيخصص فيها موقع للذخيرة، إن شاء الله.

4- أما الدراسات التي يمكن القيام بها، انطلاقاً من الذخيرة وبالنظر في محتواها، فيمكن أن تخصّ اللغة العربية في ذاتها. لأنّ الذخيرة هي بمنزلة ما دوّن من كلام العرب في عهد اللغويين العرب الأولين. فقد جمعوا العدد الهائل من النصوص النثرية والشعرية وأمثال العرب وكلامهم العفويّ، بالإضافة إلى النصّ القرآنيّ، وانطلقوا من هذه المدوّنة العظيمة لاستنباط قوانين العربية وأوصافها من الاستعمال الحقيقيّ لها، كما استخرجوا منه المعجم العربيّ. وعلى هذا، فإنّ أنواع الدراسات اللغوية التي يمكن أن تقام على الذخيرة كثيرة جداً، مثل دراسة تطوّر معاني الكلمات عبر العصور، ودراسة ترددها بالنسبة لعصر واحد أو مؤلف واحد، ودراسة تردّد المواد الأصلية وأوزانها في كتاب واحد أو عدة كتب، ودراسة صيغ الجمل بحسب الأغراض والموضوعات، ودراسة أساليب الكتاب في كل عصر، ودراسة اتّساع رقعة الاستعمال للمصطلحات في عصرنا هذا، ودراسة الأصوات العربية (من خلال الذخيرة الآلية الصائتة)، ودراسة مجالات المفاهيم الحضارية أو العلمية خاصة، ودراسة المترادف والمشترك من الألفاظ في الاستعمال في وقت معيّن، ودراسة الغريب والشواذ، إفراداً وتركيباً، كيفًا وكمًّا، بالنسبة إلى كل مؤلف أو نصّ وكل عصر، ودراسة صيغ الجمل وظواهر الفصل والوصل في الخطاب، ودراسات في المجاز والاستعارة والكناية وغيرها من الصور البيانية، ودراسة تطور كل هذا[1] وغير ذلك ممّا يخص اللغة كلغة، قديمًا أو حديثاً، وعبر العصور والبلدان[2]. كل هذا قد قام به الكثير من العلماء قديمًا وحديثًا، ولكنّ مزية الاستفاضة الزمانية المكانية لمحتوى الذخيرة وآليتها يسهل على الجميع الخوض في أعماق الواقع التعبيريّ والاتصاليّ، ومن ثمّ الفكريّ المعيش للأمة العربية، القديم والحديث.

وفيما يخص الميادين الأخرى غير اللغوية، فكثيرة جداً أيضاً، نذكر منها الدراسات التاريخية وخاصة تاريخ الحضارة العربية وتاريخ الفكر العربيّ الاجتماعيّ والعلميّ والدينيّ وغيرها، وكذلك الدراسات الاجتماعية والنفسية الاجتماعية بحصر مجالات التصورات الخاصة بكل فئة(من خلال استعمال الألفاظ والأساليب وغيرها) في كل قطر أو إقليم عبر العصور، ودراسة تفاعلها ومدى تأثيرها وما ترتّب على ذلك بالبناء جزئياً على العناصر اللغوية ذات الدلالة ومعرفة مدى اتّساع رقعتها ومعرفة ترددها في الخطابات الرسمية وغير ذلك. وكذا الدراسات الاقتصادية والعمرانية والحضارية من خلال استعمال الناس للغة.

III- وظائف الذخيرة الأساسية:

رأينا المزايا التي تمتاز بها الذخيرة فماذا يا ترى يمكن أن تقوم به من وظيفة بناء على هذه المزايا، أو بعبارة أخرى كيف يمكن أن تستثمر الذخيرة، وتوظف عملياً؟ إنّ الإجابة عن هذا السؤال ستفسر لماذا التزمنا بأهم الأوصاف التي سبق أن ذكرت وهي صفة الحيوية النابعة من الاستعمال الحقيقيّ ثمّ الصفة الآلية في مباشرة الذخيرة والتفاعل معها. فهذه بعض الوظائف التي ستقوم بها الذخيرة أو أحد معاجمها:

1/ تحصيل معلومات تخصّ الكلمة العربية عادية كانت أو مصطلحاً. الأسئلة التي يمكن أن يطرحها الباحث:

1/1 هل توجد كلمة (س) في الاستعمال (المكتوب أو المنطوق أو كليهما)؟ وأين ظهرت[3]، وبأيّ معنى في كل واحد من مصادر وجودها، وما هي السياقات التي وردت فيها، وبالنسبة فقط لكل كتاب أو نصّ، أو بالنسبة لكل عصر أو كل بلد؟

2/1 هل وردت (س) قديماً مع نفس الأسئلة السابقة ؟

3/1 ما هو المجال المفهوميّ الذي تنتمي إليه (س)، وهل لها مرادفات وما هي؟ ثمّ ما هو المقابل، أو المقابلات لها بالإنجليزية أو الفرنسية، إن وُجدت؟

4/1 متى وردت لأول مرة بالمعنى الفلاني أو معنى آخر؟ ومتى اختفت، لآخر مرة، إن خرجت عن الاستعمال بهذا المعنى أو بهذه المعاني؟ إلخ...

2/ تحصيل معلومات تخص الجذور وصيغ الكَلِم:

1/2 هل وردت المواد الأصلية أ ب ج د... في الاستعمال عند مؤلف أو متكلم خاصة، وما هي الكَلِم التي صيغت عليها واستعملها هذا المؤلف؟

2/2 نفس السؤال بالنسبة إلى الصيغ أَ بَ جَ دَ...

3/2 اذكر جميع الكَلِم التي صيغت على صيغة أ، أو ب، أو ج، أو د، مع الإشارة إلى مدلول كل واحد من هذه الكَلِم كصيغة فُعْلة بضم الفاء وسكون العين أو فَعالية بفتح الفاء وغير ذلك.[4]

3/ تحصيل معلومات تخص أجناس الكلم:

1/3 ما هي أسماء الأعلام أو المصادر أو الأفعال الثلاثية أو الرباعية المجردة والمزيدة وغيرها، والصفات الخاصة بمجال مفهوميّ (الألوان والعيوب وأيّ حِلْية) وغير ذلك من أجناس الكَلِم الواردة في نصّ معيّن أو عدة نصوص وعبر الزمان؟

2/3 ما هو تردد كل واحد منها بالنسبة إلى نصّ واحد أو عدة نصوص؟ وما هي سياقاتها؟

4/ تحصيل معلومات تخصّ حروف المعاني: نفس الأسئلة (وإحصاؤها بالنسبة إلى عصر واحد أو نصّ واحد أو عدة نصوص).

5/ تحصيل معلومات تخصّ المعرّب الذي ورد في الاستعمال: أسئلة عن قائمة المعرَّبات (وميادينها) التي وردت في عصر معيّن أو مؤلف أو عبر العصور.

6/ تحصيل معلومات تخصّ صيغ الجمل والأساليب الحيّة والجامدة منها (والصور البيانية العربية) نفس الأسئلة.

7/ تحصيل معلومات تخصّ بحور العروض والضرورات الشعرية والزحافات والقوافي وغيرها.

8/ تحصيل معلومات تخصّ المفهوم الحضاريّ أو العلميّ (البحث عن ألفاظ عربية لتغطية مفاهيم علمية) وغير ذلك من الأسئلة. وذلك مثل:

1- هل توجد كلمة عربية للدلالة على مفهوم معيّن (خاص بالطب أو البيطرة أو الهندسة المعمارية أو غير ذلك) المعبر عنه بالإنجليزية أو الفرنسية بكذا، وذلك في الإنتاج العلميّ العربيّ المعاصر؟

2- هل يوجد هذا المفهوم وما يقاربه في نصّ قديم معيّن (كتاب من كتب ابن سينا أو ابن الهيثم أو...)؟ وذلك من خلال الكلمة العربية التي جاءت في الجواب السابق (ويمكن على هذا أن تبيّن الفوارق الدلالية بين مفهوم الكلمة العربية عند القدماء والمفهوم الحديث بالسياقات).

3- ما هي الألفاظ العربية التي كانت تدل عند القدامى على مفاهيم ربّما لا يكون لها مقابل باللغات الأجنبية (وهو شيء كثير مثل الحركة والسكون وحروف المدّ في صوتيات العربية).

4- ما هي الألفاظ الدخيلة التي لها ما يقابلها في العربية، وماذا كانت درجة شيوع هذه وتلك؟.

وفي كل واحد من هذه الأسئلة، يمكن أن تكون الإجابة مرفوقة بذكر جميع السياقات التي ورد فيها العنصر اللغويّ أو مجموعة خاصة منها في عصر أو مؤلف وذكر مصدر كل واحد منها أو كل مجموعة منها (اسم الكتاب والصفحة والجزء وتاريخ الطبع).

ويحسن ههنا أن نلفت نظر القارئ إلى الأهمية الكبرى التي تكتسيها السياقات وحصرها باستفاضة فإنّها **تمكّن الباحث اللغويّ، هي وحدها، من تحديد مقصود مستعملها في مكان معيّن** من نصّه، أو في أكثر من مكان، وقد يكون مقصوده منها شيئاً آخر في مكان آخر (مثل كتاب سيبويه). وهذا يتعذر أن يجده الباحث في المعاجم العادية، لكثرة المقاصد بل لعدم تناهيها، **والمقصود غير المعنى المعجميّ العاديّ**، ولا سبيل إلى تحديد المقصود أو المقاصد إلا بالرجوع إلى جميع السياقات التي ورد فيها العنصر اللغويّ والمقارنة بينها، بالاعتماد على منهجية التحليل الدلاليّ الذي يعرفه بعض علماء اللسان المعاصرين، وعلماؤنا القدامى وخاصة أهل التفسير والبلاغيين الأولين. **ولا يمكن أن يحصل الباحث على جميع سياقات المفردة في نصّ كبير أو في آلاف النصوص إلا باللجوء إلى ذخيرة آلية** ليس غير (وإلا قضى الباحث في جمع ذلك عمره كله).

ومن فوائد الذخيرة، زيادة على شموليتها، موضوعيتُها، لأنّها مجموعة أحداث كلامية مدوّنة كما وردت وهي مثل شواهد اللغة والنحو لا مردّ لها إذا كانت كثيرة في الاستعمال. وعلى هذا الأساس، يمكن أن يكون استعمال الكلمة بكثرة واتّساع رقعتها (بمعنى من المعاني)، أو أيّ عنصر لغويّ، **مقياساً موضوعياً لاختيار المصطلحات وإقرارها**. وكل المقاييس الأخرى، مثل خفّة الكلمة في النطق وتركيب حروفها وقابليتها للاشتقاق وعدم تضمنها لمعنى منفور منه أو محظور اجتماعياً وعدم غرابتها وغير ذلك من المقاييس، فإنّ كل ذلك تستلزمه كثرة الاستعمال وهو إقبال الناطقين الكثيرين على استعمال الكلمة من أجل كل هذه الصفات الإيجابية فيها. وبذلك **يحصل التوحيد المنشود للمصطلحات العربية** وتبتعد المجامع وجميع المؤسسات العلمية من الذاتية في اختيار المصطلح الأنسب، (وسببه انغلاق كل قطر، بل كل مؤسسة على نفسها، وعدم اكتراث أهل البلد أو أصحاب المؤسسة بما يروج وما يشذّ في استعمال غيرهم للعربية).

وفائدة أخرى للذخيرة أنّها تمكّن الباحث من تتبّع تطور الألفاظ عبر العصور ولا يمكن أن يتتبع أيّ باحث هذا التطور من خلال مطالعاته لجميع النصوص التي ظهرت منذ العصر الجاهليّ، وأنّى له ذلك وقد تستغرق المدة التي يقضيها لتصفح الآلاف من النصوص عشرات السنين؟ فالحاسوب هو الوحيد الذي يمكّن الباحث من اكتشاف تحوّل المعاني بأن يضع تحت تصرفه كل النصوص التي ورد فيها بالفعل العنصر اللغويّ الذي يهمه ولا يعطيه إلا تلك النصوص، فهذا الاختيار للنصوص المعيّنة لا سبيل إلى تحقيقه إلا باللجوء إلى الحاسوب وحده.

ومن ثمّ فإنّه لا يتصور أبداً أن **يوضع معجم تاريخيّ للغة العربية إلا بالاعتماد على مدوّنة نصّية تغطي كل العصور** وكل البلدان العربية. فكيف يمكن أن نضمن شمولية ما يقرره الباحث من التحولات الدلالية، إن لم يعتمد على عدد هائل من القرائن والسياقات تنتمي إلى كل عصر. ولهذا كانت المحاولات لوضع مثل هذا المعجم قاصرة أو جزئية تقتصر على عصر واحد أو على عدد محدود جداً من المصادر.

IV– كيفية إنجاز الذخيرة: اقتراح منهج معيّن:

أ– الكيفية المثلى: توزيع المهام على أكبر عدد من المؤسسات مع التنسيق والمتابعة

– مبدأ المشاركة الحرّة: نظراً للضخامة المهولة التي تتصف بها الذخيرة، وبالتالي ضخامة الجهود والتكاليف الباهظة التي يتطلبها إنجاز مثل هذا العمل الجبّار، ومن ثمّ أيضاً عدم وجود أيّ منظمة في العالم تستطيع أن تتكفل بإنجاز هذا المشروع، فإنّ المشاركين في الندوة الأولى التي عقدت في الجزائر من أجل إرساء المبادئ الأساسية لإنجاز مشروع الذخيرة (في يونيو1991م) قد أجمعوا على ما بدا لهم بأنّه الحلّ الأنسب، وهو إشراك أكبر عدد من المؤسسات العلمية العربية في إنجاز المشروع على أساس التمويل الذاتيّ. فكل مؤسسة علمية في الوطن العربيّ، مثل الجامعات بكلياتها ومعاهدها ودوائرها المتخصصة. ومراكز البحوث والشركات ذوات النشاط العلميّ أو التقنيّ والتطبيقيّ التي ترغب في المشاركة في إنجاز جزء من العمل، تختصّ به دون غيرها، عليها أن تخصص في ميزانيتها بنداً لإنجاز الجزء المخصص لها في كل سنة حتى ينتهي العمل.

وأقرت هذا المبدأ الندوة الثانية للمشروع وهي الندوة التأسيسية التي انعقدت في الجزائر في 26 و27 من ديسمبر2001.وأنشأت هذه الندوة لجنة دولية دائمة للإشراف على إنجاز المشروع.(5)

ب–كيفية توزيع العمل و تنظيمه و تنسيقه:

– **تكوين الفِرَق وإعداد التجهيز اللازم:** لقد حدَّدت الندوة التأسيسية العدد الأدنى من الوسائل البشرية والمادية التي ينبغي لكل مؤسسة متطوعة توفيرها من اعتماداتها المالية وهي كالتالي:

1– **إنشاء فريق من الممارسين** والاختصاصيين يُفرّغ بعضهم أو كلهم للمشروع ويمكن أن يتكوّن من خمسة إلى عشرة ممارسين يكلفون بإدخال المعطيات في ذاكرة الحاسوب (أي تفريغ الكتب والدراسات والخطابات

وغيرها في الأقراص الذاكرية). ويشرف عليهم، وعلى فرق أخرى، إن اقتضى الحال، مهندس أوتقنيّ في الحاسوبيات من الناحية التقنية ودكتور في اللغة العربية، أو متخصص علميّ متمكن من العربية.

2-اقتناء مجموعة أجهزة تتكوّن من خمسة إلى عشرة حواسيب صغيرة (ميكرو) وعدد كاف من الركائز الذاكرية المنقولة (الأقراص) وآلة ماسحة للقراءة الآلية للنصوص (سكانير). وهذه الآلة تجعل الفريق يستغني عن الملامس التي يدخل بواسطتها المعطيات مثل الآلة الكاتبة. وبالماسحة ستوفر الكثير من الجهود ومن المال لدخول المعطيات في الذاكرة بكيفية آلية وكلما كثرت الوسائل -في حدود هذه الأعداد الدنيا- كان المردود طبعاً أكبر والعمل التخزينيّ أسرع وأفيد وأصح. وكل هذا قليل في حق لغة القرآن.

3- توزيع الحصص: لكل مؤسسة الحق في أن تختار المعطيات التي تريد تخزينها وهي بذلك أولى ولها أن تختار بعض أمالي أساتذتها ودراسات باحثيها والكتب والمنشورات التي يرتبط محتواها بتخصصها أو اهتماماتها عامة، وذلك لتتمكّن من استثمارها وعلاجها كمعطيات علمية للاستفادة منها بمجرد ما يتمّ لها ذلك **وهذا سيكون حافزاً لها في العمل التخزينيّ.**

ونقترح بهذا الصدد المبدأ التالي:

تتكفل كل مؤسسة تشارك في إنجاز المشروع بتخزين عدد من الكتب التراثية تقترحها اللجنة الدولية للمشروع من بين المؤلفات التراثية التي تعالج موضوعات لها علاقة باختصاص المؤسسة على قدر الإمكان. وذلك لمدة خمس سنوات. وعلى هذا الأساس ستقترح مخططاً عاماً يشتمل على قائمة عامة للكتب التراثية والمعاجم اللغوية والاصطلاحية وغيرها من الوثائق ممّا ينبغي أن يخزن في ذاكرة الحواسيب وقوائم جزئية تمثل كل قائمة منها العمل الذي تتكفّل به كل واحدة من المؤسسات. أما فيما يخص الخطابات المنطوقة مثل المحاضرات العلمية في الجامعات وغيرها والمحاضرات العمومية المهمة في شتى الموضوعات كالأدب ومختلف الفنون(المسرح والسنيما وغيرها) والرياضة والخطابات السياسية والاجتماعية المهمة مما هو منطوق، فيطلب من المؤسسات المتخصصة الراغبة في تدوين المحاضرات الشفاهية وكذا المؤسسات الإذاعية والتلفزيونية، أن تساعدنا وتشاركنا في إنجاز الذخيرة بإمداد اللجنة الدولية بما لديها من هذه التسجيلات.

4- تنظيم العمل وتخطيطه وتنسيقه: تنشأ لجنة محلية دائمة في كل دولة من الدول العربية التي توجد فيها مؤسسات علمية مشاركة وتتكون من ممثل واحد لكل مؤسسة للجنة لمدة خمس سنوات (حسب مدة التخطيط للمشروع). ويشرف عليها ممثل البلد في اللجنة الدولية (وهو مدير أو من يمثله للجامعة الكبرى في البلد).

وتكون مهمة هذه اللجنة المتابعة العلمية والفنية للعمل، والتنسيق بين المؤسسات المشاركة، ودورها الرئيسيّ ينحصر في السهر على استمرار العمل في أحسن الظروف وبالنوعية المطلوبة، وذلك بتبادل الآراء والخبرات واقتراح الحلول للمشاكل الطارئة وخاصة التقنية منها، وكذا تفادي التكرار لنفس العمل بين مؤسسة وأخرى في داخل البلد

الواحد. وتجتمع كل لجنة في كل بلد مرة واحدة في السنة على الأقلّ، وتقدم على إثرها تقريرًا للجنة الدولية.

5- برمجة العمل

1- التراث : حصر ما أدخل في الإنترنت.

كما سبق أن قلنا، فهناك عدد من الشركات قد بادرت بإدخال بعض كتب التراث، زيادة على القرآن الكريم والحديث الشريف، في ذاكرة الحاسوب ثم بعد ذلك في الإنترنت منذ عهد قريب. ونذكر منها شركة صخر العالمية و المجمع الثقافيّ بأبو ظبي (الشعر القديم خاصة) وشركة كوسموس بدبيّ وشركة التراث بعمّان.

وعلى هذا، فأول شيء يجب أن تقوم به اللجنة الدولية للمشروع هو حصر عناوين هذه الكتب أو النصوص الشعرية والنثرية وتبعث هذه القوائم إلى كل المؤسسات المشاركة في إنجاز المشروع عبر الوطن العربيّ وذلك حتى يتفادى التكرار.

هذا، ويطلب من هذه الشركات أن تطلع اللجنة، في أقرب الآجال، على ما أدرجته من الكتب والنصوص التراثية.

2- برمجة التراث وتوزيعه على المشاركين :

تقوم اللجنة الدولية، زيادة على حصرها للتراث المحوسَب (المدون إلكترونياً)، بجرد التراث غير المحوسَب (المطبوع المحقق). ويكون ذلك على مقاييس ثلاثة:

- إلى عصور قصيرة (من 30 إلى 50 سنة).

- وفي داخل كل عصر: إلى بلدان.

- وفي داخل كل بلد وكل عصر: إلى ميادين عامة ثم خاصة.

3 - الإنتاج المعاصر(العلميّ والأدبيّ والفنيّ والتقنيّ):

يتكفل كل مشارك بحيازة إنتاجه الخاص، ويمكن أن يضيف إلى ذلك إنتاج الفيديو، بشرط الحصول على إذن صاحبه مكتوباً.

4 - ما تكتبه الصحافة من الأخبار والمقالات وغير ذلك وما تسجله أو تذيعه وسائل الإعلام المسموعة والمرئية: تكون لجنة فرعية في داخل اللجنة القطرية تتألف من ممثلي وسائل الإعلام وتتكفل هذه اللجنة الفرعية باختيار عينة كبيرة من هذا الكلام المنشور أو المذاع (الفصيح)، في كل شهر أو كل شهرين: المقياس الرئيسيّ : يفصل بين الفصيح والمختلط بغير الفصيح وتوزع النصوص إلى ميادين دقيقة جداً.

6- تدرج العمل و المتابعة

قررت الندوة التأسيسية تحديد المرحلة الأولى للعمل المشترك لمدة خمس سنوات، ابتداءً من تاريخ انعقادها، وحرر المكتب التنفيذيُّ برنامجاً للسنة الحالية.

أما المتابعة والتقييم، فهي على مستويين اثنين: القطريّ والدوليّ، حسب ما يقتضيه التنظيم المتفق عليه. فعلى المستوى القطريّ تتكفل اللجنة القطرية بالمتابعة وذلك في اجتماع تعقده في كل ستة أشهر، للنظر فيما

أنجزته كل مؤسسة، و يحصل التقييم قبل الاجتماع على يد مجموعة من الخبراء. وعلى المستوى الدوليّ فتتولى لجنة الخبراء المتفرعة من اللجنة الدولية الدائمة الأعمال التي أشرنا إليها.

أما المقاييس الأساسية التي سوف يعتمد عليها عمل المتابعة و التقييم فهي كالتالي:

1. لا يدخل في الإنترنت إلا النصوص التي تمّ تصححُها على يد اللغويين الذين يوجدون في كل فريق.

2. مراقبة مدى احترام كل فريق للمبادئ العلمية للحيازة وإثبات مقاييس التعرف على النص أو مصدره (المؤلف و عصره و إقليمه و ميدان النص و غير ذلك).

3. مراقبة كمية النصوص التي قررت كل مؤسسة أن تتكلف بحيازتها في كل ستة أشهر.

تقدير عدد الصفحات المدخلة

-خلية من 05 عمال للحيازة

- الحجم الزمنيّ المتوسط لكل عامل في اليوم: 06 ساعات

-شهر 22 يوما

-سنة 11 شهرا

الحيازة اليدوية (40 دقيقة / الصفحة)			الحيازة بواسطة القارئ الضوئيّ (20 دقيقة / الصفحة)		
اليوم	الشهر	السنة	اليوم	الشهر	السنة
45	1000	11000	90	2000	22000

الوحدة = الصفحة

للوصول إلى مليون صفحة في سنة:

الحيازة اليدوية	الحيازة بواسطة القارئ الضوئيّ
90 خلية حيازة	45 خلية حيازة

الهوامش

(1) ويستحيل هذا العمل الأخير دون أن نلجأ إلى مثل هذه الذخيرة.

(2) ويمكن أن يخصص جزء من الذخيرة للهجات العربية، إذا وافق على ذلك المشاركون، فيوكل إلى بعض المعاهد العربية المتخصصة القيام بمسح كامل لاستعمال العربية في مستواها اللهجيّ، بالمنهجية المتعارف عليها في هذا الميدان، ويمكن أن تقام على هذه المدوّنة اللهجية دراسات مفيدة جداً بالنسبة للفصحى والعلم عامة منها:

- تحديد القدر المشترك بين الفصحى ولهجاتها القديمة والحديثة.
- اكتشاف أسماء الحيوانات والنباتات في الأقاليم المختلفة.
- اكتشاف المصطلحات العفوية الحضارية والحرفية والصناعية والفلاحية وغيرها الجارية في اللهجات.
- تحديد أوصاف النطق اللهجي ودراسة ظواهر الخفّة في اللهجات.
- دراسة مقارنة بين الفصحى واللهجات (في جميع مستوياتها).

(3) بذلك تعرف أولاً درجة شيوع الكلمة جغرافياً في وقت معين، وثانياً ترددها بالنسبة إلى عصر واحد أو مؤلف واحد. ويمكن أن يحصر السؤال: هل وردت (س) في العصر العباسيّ وأين، أو عند الجاحظ وأين، وما هي السياقات في كل حالة وغيرها من الأسئلة.

(4) وبذلك تعرف المعاني الأساسية الشائعة لكل صيغة بدون استثناء.

(5) وقد اقترح في هذه الندوة أن يكون عضوا فيها رئيس أكبر جامعة في كل بلد (أو من يمثله)، ورئيس كل مجمع لغويّ، ومدير لكل مؤسسة علمية من القطاع الخاص. والجامعة الكبرى في كل بلد هي المشرفة فيه على العمل.

مجلـــــة العلـــوم

د. عدنان الحموي(*)

أشكرك سيدي الـرئيس لإتاحـة الفرصـة لي للتحدث عن "مجلة العلـوم" في هـذا المـؤتمر المهـم، وأستسمح الحضور عذرا لأنني لم أحضِّر تمامـاً لهـذه المداخلة، فقد عرض عليَّ شرف التحدث إليكم في هذه الجلسة.

كما يعلم الكثيرون، تصدر "مجلة العلوم" في دولة الكويت عن مؤسسة الكويت للتقدم العلميّ" منذ عـام 1986، وهي في ثلثي محتوياتها ترجمة للمجلة العلميـة الأمريكية الشـهرية (Scientific American) الـتي تُترجم إلى إحدى عشرة لغة عالمية.

أما الثلث الثالث من محتوياتها فيمكن أن يكـون عربيّ المنشأ أو ترجمة للثلث المقابل لدى أخوات مجلـة العلوم العشرة.

وتتميز المجلة العلمية الأمريكية بنهجها في تبسيط ما تعرضه من مواد علمية، وذلك من دون تفـسريط في المحتوى أو سلامة المبنى، ومن دون تسطيح على شاكلة ما يُلاحظ في أغلب الكتابات الصحفية "العلمية" الـتي تسعى وراء الإثارة قبل كل شيء.

وهكذا وجدت مجلة العلوم لتلبي الحاجة الماسة إلى مجلة علمية عربية تقدم إلى القارئ، ذي الخلفية العلميـة خاصة، علوم العصر على نحو مبسط، قدر الإمكـان، ليتابع تطورها، ويتفهم مسيرتها، وليتعمق الفهم العلميّ لديه، وليترسخ في عقله الأسلوب العلميّ.

وما إقدام مؤسسة الكويت للتقدم العلمـيّ علـى إصدار مجلة العلوم ودعمها دعماً كـاملاً، إلا اسـتمرار للجهود التي تبذلها لنشر الثقافة العلميـة الجـادة باللغـة العربية. وتبنّي هذه المؤسسة ترجمة مجلة علميـة واحـدة، وليس ترجمة مقالات مختارة من عدة مجلات علمية، يُمثل التزاماً صعباً من قبلها، إذ يتطلب الوفاء به مواجهة كافـة الصعوبات في ترجمة مواد علمية لم يسبق طرحها في اللغة العربية، سواء في موضوعاتها أو في مفرداتها.

إنّ همّ مجلة العلوم وشغلها الشاغل هو إيجاد المترجم الكفء في مادة تخصصه أينما وجد... وإدراكـاً لأهميـة الترجمة العلمية وتحفيزاً إلى الإجادة في هذه المهمة الصـعبة فعلاً، تسعى المجلة إلى أن تكون مكافآتها علـى الترجمـة والمراجعة مجزية قدر الإمكان، ولكن هـذا لا يكفـي في معظم الحالات، ومن الضروريّ أن تعطى الترجمة العلميـة في مادة تخصص صاحبها القيمة الاعتبارية التي تسـتحقها وبخاصة في عدد مؤهلات الترقيات الأكاديمية.

والمعاناة الحقيقة لمجلة العلوم ليست ذات طبيعة لغوية بقدر ما هي علمية... فبعض مترجمينا يلجأ إلى الترجمـة الحرفية، التي كثيراً ما تغيّب المعنى، بدلاً من أن يجهد نفسه بما يكفي في البحث عن المعنى الدقيق للنص المراد ترجمته، علماً بأن مترجمي مجلة العلوم يُختارون من بين المتخصصين في حقل ما يترجمونه.

(*) رئيس تحرير مجلة العلوم

أما بشأن المصطلحات العلمية، فإن المجلة تلتزم قدر الإمكان بالمصطلحات الشائعة والواردة في المعاجم الرصينة. وعند تعدد المقابلات العربية لمصطلح واحد ولا يتيسر اختيار أحدها، نلجأ في كثير من الأحيان إلى تعريبه، كما في المصطلحين التاليين:

chip شيبّة (وقد أُنثت لكونها أداة صغيرة) ، ومن مقابلاتها في معاجم مصطلحات الحاسوب والمعلوماتية : رقاقة، مرققة، شريحة، جذاذة، شذرة، شذفة...

Barcode باركود، ومن مقابلاتها : شفرة الخطوط العمودية، كود قضيبيّ، رمز القضبان المتوازية، ترميز قضبانيّ، كود مخطط...

ونحن لا نرى في سلبيات الحالة الراهنة لمصطلحات العلمية العربية عائقاً فعلياً يبرر أيّ تباطؤ في مسيرة التعريب، كما أننا لا نتخوف من احتمال طغيان المصطلحات المعرّبة، فما يميز اللغة ليست مفرداتها وإنما أصولها وقواعدها... ونرى أن خير سبيل لتوحيد المصطلحات هو تواتر استخدامها، وهذا ما تسعى إليه مجلة العلوم. وفي هذا العام سيصدر عن المجلة قوائم بالمصطلحات العلمية، موزعة حسب الموضوعات العلمية المختلفة، تحتوي على ما ورد في أعداد المجلة منذ نشأتها عام 1986، مع الإشارة إلى آخر موضعين ظهر فيهما كل مصطلح، وبالسياقات المختلفة. كما سيصدر عن المجلة كتيب يتضمن خلاصات مقالاتها والكلمات الدالة على هذه المقالات.

هذا، ولكي تلاقي المجلة قبولاً شاملاً في الوطن العربيّ، نسعى إلى أن تتم الترجمة في قطر عربيّ والمراجعة العلمية في قطر عربيّ آخر.

تقوم المجلة حالياً بتوزيع 13 ألف نسخة شهرياً من كل عدد من أعدادها العادية، و15 ألف نسخة من أعدادها الخاصة، وثمة طلبات كثيرة لزيادة هذه الكميات.

وبفضل الدعم الكامل الذي تتلقاه "مجلة العلوم" من "مؤسسة الكويت للتقدم العلميّ"، أمكن وصول المجلة إلى قرائها بسعر رمزيّ، فمردود بيع المجلة لا يُغطّي سوى جزء زهيد من تكلفة الإنتاج الفعلية التي تفوق بكثير القدرات المالية لمعظم قرائها.

يلقى دور "مجلة العلوم" في خدمة البحث العلميّ ثناءً واسعاً من قبل الأكاديميين العرب، وبخاصة فيما يتعلق بتضييق الفجوة بينهم في المجال العلميّ والتقانيّ، في عصر يتميز فيه التقدم في هذا المجال، بأنه متعدد التخصصات multidisplinary.

وتتطلع المجلة إلى مواصلة مسيرتها في تعميق الثقافة العلمية والتقانية لدى قرائها، ونجاحها في هذا المضمار، يعتمد على استمرار دعمها الكامل من قبل "مؤسسة الكويت للتقدم العلميّ"، وعلى تعاون ذوي الاختصاص والاطلاع العلميّ والثقافيّ، من خلال إسهامهم في ترجمة أو مراجعة مقالاتها بالمستوى المطلوب.

وتأمل المجلة أن تزداد فيها المادة المؤلفة بالعربية، والتي تعرض التطورات العلمية والثقافية في الوطن العربيّ، وما يجري في مراكزه العلمية، وما ينتج منها.

أشكركم على كريم إصغائكم لهذه النبذة القصيرة عن مسيرة "مجلة العلوم".

تقاريــــــر اللجـــــــــان

تقرير لجنة دراسة معجم مصطلحات تقانات الأغذية

اجتمعت اللجنة المخولة مراجعة معجم تقانات الأغذية خمسة اجتماعات خلال الفترة الممتدة من 20-2002/7/24 ، وكانت مكونة من :

- أ.د. كرم العودة (سورية)، رئيس اللجنة.
- أ. د. غياث سمينة (سورية)، مقرر اللجنة.
- أ.د هشام قطنا (سورية).
- أ.د حامد التكروري (العراق).
- د هنري عويس (لبنان).
- د. عبد الغني أبو العزم (المغرب).
- د. عاطف نصار (مصر).
- رنا الحكيم بكداش (لبنان).
- لينا صادر فغالي (لبنان).

وقد ناقشت اللجنة، على مدار جلساتها، التصويبات المقترحة والتي وردت من عدد من المقيمين في الأقطار العربية، وأجريت التعديلات اللازمة على ضوء هذه المقترحات والمناقشات، وقامت اللجنة بتفريغها في إحدى نسخ المعجم والمرفق مع هذا التقرير.

وخلصت اللجنة إلى التوصيات الآتية:

1- ارتأت اللجنة الإبقاء على المصطلحات باللغة الإنجليزية كما جاءت في المعجم باستثناء بعض التعديلات المتعلقة بالتهجئة وحذف المكرر.

2- اعتمدت معظم المصطلحات العربية الواردة في المعجم، مع ترجيح المصطلحات المستعملة في الكتب الجامعية والتدريس الجامعيّ، مستفيدة من خبرة الأساتذة من الجامعات ذات الاهتمام بالتدريس باللغة العربية.

3- تبين للجنة أن ثمة كثيراً من المصطلحات الفرنسية لا تنسجم في المعنى مع المقابل الإنجليزيّ أو العربيّ الواردين، إضافة إلى وجود عدد من الأخطاء المطبعية والكتابية، لذا توصي اللجنة بأن يقوم مكتب تنسيق التعريب بإحالة هذه المصطلحات إلى لجنة مختصة لتصويبها انسجاماً مع المصطلح الإنجليزيّ، وتقترح اللجنة أن يكون من بين أعضائها مختص أو أكثر في علوم الأغذية بالإضافة إلى إتقانهم اللغة الفرنسية.

4- تقترح اللجنة إعادة النسخة التي حررت عليها التصويبات إلى ممثل لجنة تأليف المعجم ليجري إدخال هذه التصويبات في صورتها النهائية.

لجـــــنة دراســــــة مشـــــروع

"معجم مصطلحات علم الوراثة"

تقدم للمشاركة في أعمال هذه اللجنة الأساتذة الآتية أسماؤهم:

- الدكتور أحمد دويدار البسيوني (مصر).
- الدكتور حسن حلمي خاروف (سورية).
- الدكتور سعيد بن محمد القرني (السعودية).
- الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد (مصر).
- الدكتور عبد الكريم خليفة (الأردن).
- الدكتور محمد أبو حرب (سورية).
- الدكتور محمود حافظ إبراهيم (مصر).
- الدكتور محمود عبد الرحمن قصراوي (الأردن)، المشرف على المشروع المقدم.

وعقدت اللجنة عدداً من الاجتماعات، كان أولها بعد ظهر يوم السبت 20 يوليو (تموز)، بدأت فيه باختيار:

- الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد، رئيساً.
- الدكتور محمود قصراوي، مقرراً.

واستعرضت اللجنة ما تجمع لديها من وثائق فكانت على النحو الآتي:

1- مشروع المعجم موضع الدراسة.

2- ملف أعده مكتب تنسيق التعريب، يتضمن الآتي:

أ - ملاحظات مقدمة من اللجنة الوطنية السعودية.

ب- ملاحظات مقدمة من اللجنة الوطنية الكويتية.

جـ- جدولاً مُنَسّقاً يتضمن التعديلات المقترحة التي وردت إلى مكتب تنسيق التعريب من بعض المجامع والهيئات العربية.

3- تقريراً أعده الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد، في ست صفحات، يتضمن ملاحظاته العامة على مشروع المعجم، مصنفة في سبعة عناصر عن:

العنوان، ونواح مُعجمية، وملاحظات مصطلحية، وملاحظات لغوية، وملاحظات عن مصادر المشروع، واقتراح، وخاتمة.

وأشار التقرير إلى أن الملاحظات الخاصة بمداخل معينة، سوف تُعرض لها في حينها.

4ـ ملاحظات الجانب السوريّ، أعدها الدكتور حسن حلمي خاروف والدكتور محمد أبو حرب (ولم تدرج في ملف مكتب تنسيق التعريب).

ورأت اللجنة أن تدرس الملاحظات العامة أولاً، ثم تمضي في استعراض مواد المعجم وفقاً لترتيبها الألفبائيّ، ناظرة في الوقت نفسه إلى ما قد يرد بشأنها في الملف الذي أعده مكتب تنسيق التعريب وملاحظات الجانب السوريّ.

وفي الجلسات التالية مضت اللجنة في عملها وفقاً للخطة التي وضعتها، فانتهت إلى الآتي:

1- عند استعراض التقرير الذي أعده الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد، وافقت اللجنة على ما يأتي:

أ- تعديل عنوان المعجم إلى" معجم مصطلحات علم الوراثة (مع المقابلين باللغتين الإنجليزية والفرنسية)، وذلك لأن هذا العنوان يعبر عن شمول المعجم لحجم مناسب من مصطلحات علم الوراثة، وعن عدم اقتصاره على ما يتعلق بالمورثات (أو الجينات) وحدها.

ب- رأت اللجنة أنه من المفيد أن يراعى في تنظيم المعجم اتباع أسلوب محكم من الإحالات، للربط والتنسيق والمقابلة، وأن هذا يرفع من فائدة المعجم لمن يرجع إليه، وكذلك اتفقت على ما ينبغي اتباعه بشأن المترادفات، وعلى ضرورة الالتزام بالاطراد في جميع هذا العمل المعجميّ.

جـ- تناقشت اللجنة فيما قدم من ملاحظات على بعض المصطلحات العربية العامة، وعلى النواحي اللغوية والنحوية والإملائية، وتبنت ما رأته مفيداً من هذه الملاحظات.

د- أوصت اللجنة بأن يلحق بالمعجم مسردان: أحدهما عربي/إنجليزي والآخر فرنسي/إنجليزي، حتى يصبح للمعجم ثلاثة مداخل تناسب حاجات المراجعين المختلفة.

2- مضت اللجنة في استعراض مواد المعجم المقترح مادة، مادة، بالتفصيل، وناقشت محتوياتها مناقشةً مستفيضة، في ضوء ما قدم من مقترحات وتعديلات في الملف الذي أعده مكتب تنسيق التعريب، وملاحظات التقارير العامة، وملاحظات الجانب السوريّ، وما أبداه الخبراء أعضاء اللجنة.

3- أثبت مقرر اللجنة ما انتهى إليه الرأي بشأن المصطلحات المدروسة على نسخة(ملحقة بهذا التقرير) ، ولما اتضح أن هذا الأسلوب المحكم المتأني سوف يستغرق وقتاً طويلاً غير متاح، انتهت اللجنة إلى اتباع الأسلوب الآتي(بعد التشاور مع الأستاذ الدكتور عباس الصوري):

أ- تقدم اللجنة كل ملاحظاتها في الصفحات الستين التي تمكنت من دراستها (وهي تتجاوز ربع المعجم كله) مدونة على نسخة من مشروع المعجم.

ب- تقدم اللجنة النسخة التي دون عليها الجانب السوريّ ملاحظاته.

جـ- تقدم اللجنة النسخة التي دون عليها د. عبد الحافظ حلمي محمد ملاحظاته، وكذلك التقرير الذي أعده عن مشروع المعجم.

د- رأت اللجنة ضرورة أن يُتِمّ العمل مراجع علميّ، ترشح اللجنة أن يكون الدكتور محمود قصراوي (المشرف على مشروع المعجم والمشارك في اللجنة، كما يعهد به إلى مراجع لغويّ لتحري الأوجه الصحيحة من النواحي اللغوية، واقترحت أن يكون هذا المُراجع هو الدكتور سعيد القرني (لاستيعاب منهاج اللجنة وروح المناقشات التي دارت في جلساته).

وأعضاء اللجنة على استعداد لتقديم أيّ مشورة أو عون يتطلبه إتمام الإعداد النهائيّ لمعجم مصطلحات علم الوراثة.

والله ولي التوفيق.

تقرير

لجنة مراجعة مشروع معجم الحرب الإلكترونية

1- تكوين اللجنة:

أ.د.سعد محمد الحريقي	تخصص تقنيات التعليم	السعودية	رئيساً
أ.د.أحمد عمر يوسف	هندسة كهربائية	سورية	عضواً
أ.د.محمد مكي الحسيني الجزائري	فيزياء	سورية	عضواً
أ.د.عبد الرحمن الحاج صالح	لغة عربية	الجزائر	عضواً
أ.د.دفع الله عبد الله الترابي	هندسة مدنية	السودان	عضواً
أ.د.محمد يونس الحملاوي	هندسة كهربائية	مصر	عضواً
د.مسلم المعني	لغويات وترجمة	عمان	عضواً
د. عوض الجميعي	لغويات وترجمة	السعودية	عضواً
د.منذر نعمان بكر التكريتي	هندسة كهربائية	العراق	عضواً
د.الطاهر بلال		الجزائر	عضواً
د.الحبيب دلالة	جغرافيا	تونس	عضواً
أ.د.يوسف حسن عبد الرحيم	هندسة كهربائية	السودان	مقرراً

2- طريقة عمل اللجنة:

2-1- في بداية اجتماعها الأول، قامت اللجنة باختيار مقرر لها، كما توضحه قائمة أعضاء اللجنة.

2-2-أحاطت اللجنة علماً بما أعد من دراسات سابقة لمشروع المعجم، قيد الدراسة، وقررت توزيع نسخ منها على الأعضاء للاطلاع عليها، والدراسات هي:

أ-ملف بملاحظات مجامع اللغة العربية في البلدان العربية.

ب-دراسة تفصيلية أعدتها لجنة مكلفة من الهيئة العليا للتعريب بالسودان.

ج- ملاحظات عامة على المشروع أعدها الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسيني.

وقد كان لما ورد في هذه الدراسات عون كبير في إقرار كثير من المصطلحات الواردة في المعجم قيد الدراسة.

2-3-اتفقت اللجنة على الوقوف على كل مصطلح ورد في مشروع المعجم والاتفاق على مقابله في اللغة

العربية ومراجعة شرحه وتدوين ملاحظاتهم في نسخة مقرر اللجنة. كما اتفقت على أن ترجئ التقييم الكلي للمشروع إلى حين الفراغ من إجازة المفردات.

2-4-استغرق عمل اللجنة وقتاً مقدراً استمر لخمسة اجتماعات استغرقت/18/ساعة، وقد كان الحضور في كل الاجتماعات بنسبة فاقت 80% من الأعضاء.

3-ملاحظات اللجنة

3-1- قامت اللجنة بمراجعة كل مصطلح ورد في المشروع، كما قامت بمراجعة الشرح المصاحب لبعض تلك المصطلحات، وقد كان لتعدد تخصصات وأقطار أعضاء اللجنة الفضل الكبير في إثراء النقاش وإظهار وجهات النظر المختلفة، مما جعل اللجنة تستيقن من دقة ما توصلت إليه وقربه من مدلولاته الصحيحة.

3-2- اعتمدت اللجنة غالبية المصطلحات الواردة في مشروع المعجم، كما اقترحت بدائل مناسبة لبقية المصطلحات حسب ما تقتضيه اللغة والمدلول.

3-3- لاحظت اللجنة أن مشروع المعجم قد اشتمل على عدد كبير من المصطلحات ذات الدلالات الدقيقة في مجال علميّ ومهنيّ له طبيعة خاصة تجعل الكثير مما ورد منها لا يرد في كثير من معاجم الهندسة الكهربائية العامة.

3-4 - لاحظت اللجنة عدم تسلسل بعض المصطلحات حسب الترتيب الأبجديّ وتأمل أن يلاحظ ذلك في المرحلة التالية من إعداد المشروع.

4- التوصيات:

4-1- لقد عُنيّ مشروع المعجم بمجال مهم من مجالات العلم الحديث الخاصة بتطور تقنيات الحروب وقد شمل مجالاً من أهم مجالاتها هو مجال الدفاع الجويّ براً وبحراً وجواً.

4-2- يحمد للمشروع أنه شمل غالب المصطلحات الواردة في مجال الحرب الإلكترونية، رغم حداثة المجال واستمرارية توسع وتجدد مصطلحاته.

4-3- لهذه الأسباب توصي اللجنة باعتماد مشروع معجم الحرب الإلكترونية، وذلك بعد استيفاء ملاحظات اللجنة التي تضمنتها نسخة مقرر اللجنة وطباعته وتوزيعه بعد إجراء التعديلات.

5-خاتمة:

5-1- في الختام، تود اللجنة أن تعبر عن إشادتها وتقديرها للمجهود الكبير الذي بذل في إعداد المشروع، وترجو مزيداً من النجاح في المراحل المقبلة للمشروع، كما تشكر للجنة المنظمة الثقة التي أولتها لها لدراسة المشروع.

تقرير لجنة دراسة
مشروع مصطلحات الطب البيطريّ

1- أ.د محمد طه شقدي، رئيساً (السودان).

2- أ.د حسن ابو شيبه بابكر، مقرراً (السودان).

3- أ.د مؤيد حسن عبد الرحيم، عضواً (العراق).

4- أ.د محمد بركات أبو علي، عضواً (الأردن).

5- أ.د محمد رشاد الحمزاوي، عضواً (تونس).

6- أ.د احمد رمزي، عضواً (المغرب).

7- أ.د صالح بلعيد، عضواً (الجزائر).

8- أ.د عبد الحليم سويدان، عضواً (سوريا).

9- أ.د عز الدين البوشيخي، عضواً (المغرب).

10- أ.د ميلود حبيبي، عضواً (المغرب).

11- د عبد اللطيف عبيد، عضواً (تونس).

الموضوع:

دراسة مشروع معجم الطب البيطريّ.

–وصف المعجم: يقع المعجم في 353 صفحة.

ويبلغ عدد مصطلحاته 2944 مصطلحاً مرتبة ترتيباً ألفبائياً إنجليزياً، مع ذكر المصطلح الفرنسيّ والمقابل العربيّ المقترح مرفوقاً بتعريف، في معظم الأحيان، ويتضمن مقدمة لمكتب تنسيق التعريب وقائمة بأسماء العلماء والخبراء المشاركين في ندوة القاهرة، التي عرض فيها هذا المشروع للدراسة، وملحقاً بالأسماء وملحقاً ثانياً لتصنيف الحيوانات، وملحقاً ثالثاً خصص لأهم السوابق واللواحق، ومسرداً إنجليزياً وآخر فرنسياً.

ويرى المجتمعون أن هذا المعجم سيمثل إضافة قيمة في سلسلة المعاجم المتخصصة التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب والذي بإصدارها يسعى إلى توحيد المصطلحات العلمية العربية التي أصبحت اليوم مطلباً أساسياً وملحاً.

– الوقائع:

اجتمعت اللجنة المكونة من الأعضاء المذكورين أعلاه لدراسة مشروع معجم مصطلحات الطب البيطريّ، وبعد اطلاعها عليه وعلى الملف المرفق به، المتضمن ملاحظات واقتراحات اتحاد الجامعات العربية والمجامع اللغوية العربية والهيئات والمعاهد واللجان، ودراستها قررت الآتي :

قبول المشروع المعروض عليها مع الأخذ بعين الاعتبار ما ورد من ملاحظات وتوصيات وتصويبات، وقبل إبداء هذه الملاحظات يود المجتمعون أن يشيدوا بالجهد الذي بذل لإعداد هذا المشروع، وأن يشيدوا أيضاً بعمل كل من:

1- اتحاد الجامعات العربية.

2- مجمع اللغة العربية الأردنيّ.

3- الهيئة العليا للتعريب السودانية.

4- اللجنة الوطنية الكويتية.

5- المجمع العلميّ العراقيّ.

6- معهد الدرسات والأبحاث للتعريب بالرباط

- ملاحظات اللجنة:

أ- عدم تبيان المنهجية التي اتبعت لإعداد المشروع.

ب- إغفال عدد كبير من المصطلحات الضرورية في الطب البيطريّ والمختصرات.

ج- إغفال عدد من السوابق واللواحق الأجنبية التي تدخل في تركيب عدد كبير من مصطلحات الطب البيطريّ.

د-وجود بعض الاختلافات والعديد من المترادفات العربية مقابل المصطلح الأجنبيّ.

هـ- وضع الحرف الكبير في المصطلحات الأجنبية الشيء الذي يدعو للبس بين المصطلح العام وأسماء الأعلام، والعائلات والأجناس التي تكتب بالأحرف الكبيرة حسب التصنيف والتسمية الثنائية العلمية.

و- استخدام تعريفات غير دقيقة لبعض المصطلحات.

ز- ورود بعض الأخطاء اللغوية والإملائية.

ح-تسبيق التعريب في بعض الحالات على الترجمة.

ط- ورود كثير من الكلمات التي توجد في المعاجم العامة دون أن يكون لها معنى في الطب البيطريّ.

ى- ورود مقابلات فرنسية متعددة لمصطلح إنجليزيّ واحد.

ل – عدم مطابقة المقابلات العربية للمصطلحات الإنجليزية وللمختصرات العلمية المستعملة في مجال الطب البيطريّ في بعض الحالات.

– توصيات اللجنة:

1-يستحسن إضافة تعريف للمصطلحات التي لم تُعرَّف.

2-إشراك اللغويين والمعجميين في إعداد المعجم.

3-وضع مسرد للمصطلحات العربية.

4- إدراج التصويبات المرفقة.

تقرير لجنة دراسة مشروع معجم مصطلحات الصيدلة

مقدمة

لقد قامت اللجنة المكلفة من مكتب تنسيق التعريب لدراسة مشروع معجم الصيدلة. وهي تشكر مكتب تنسيق التعريب والمشرفين الذين أعدوا هذا المشروع على جهودهم الطيبة لإخراج هذا العمل إلى حيز النور، وقد اجتمعت اللجنة المكونة من :

الأستاذ الدكتور زهير البابا (سورية)، رئيساً.
الأستاذ الدكتور سليمان الخليل(الأردن)، مقرراً.
الدكتور هشام عبد الله العوامي (البحرين).
الدكتور ابراهيم عبد النور (سورية).
الدكتور شحادة الخوري (سورية).
الدكتور أحمد شفيق الخطيب (لبنان).
الأستاذة مي حبيقة الحداد (لبنان).
الأستاذة جينا أبو فاضل (لبنان).
الدكتور قاسم سارة (سورية).

وبعد الدراسة المستفيضة والمناقشة التي أثرت الاجتماعات توصي اللجنة بما يأتي:

1- يستحسن وضع جدول بالسوابق واللواحق التي يحتاج إليها الطالب لفهم المصطلح الأجنبيّ. .
2- إعادة النظر في المصطلحات الأجنبية والعربية لتصحيح الأخطاء المطبعية.
3ـ لما كان في كلية الصيدلة عدد كبير من المقررات الدراسية والتي تشمل عددا كبيرا أيضاً من المصطلحات، كان من المستحسن إضافة المصطلحات الواردة في المقررات الآتية:
أ - علم النبات العام وكيمياء النبات.
ب-علم الكيمياء(معدنية،صيدلانية،طبية، .....)
جـ- علم المداواة والأدوية.
د - الطفيليات والجراثيم.
هـ-الصيدلانيات (الصيدلة الصناعية، صرف الأدوية، تقانة صيدلانية، الفيزياء الصيدلانية).
و- الصيدلة السريرية.
ز- الأجهزة والأدوات والمعدات المستعملة في التحاليل الصيدلانية والصناعة الدوائية.
4- لما كان اتحاد الأطباء العرب قد قام بإصدار معجم طبيّ موحد، يشمل علوم الطب والصيدلة وطب الأسنان، كان من المستحسن التنسيق مع الاتحاد لإضافة المصطلحات غير الواردة في المعجم.
5- إضافة نواة التركيب الكيميائية للزمر الدوائية الرئيسية.
6- يفضل تأليف لجنة تضم أعضاء من أساتذة كليات الصيدلة في العالم العربيّ للإشراف على إعادة النظر في مشروع معجم + مصطلحات الصيدلة.

الجلســــة الختاميــــة

التقرير الختامي الصادر عن المؤتمر العاشر للتعريب

(دمشق 20 ـ 25 /7 / 2002)

برعاية السيد محمد مصطفى ميرو، رئيس مجلس الوزراء، وباستضافة كريمة من الحكومة السورية ممثلة بوزارة التربية، عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المؤتمر العاشر للتعريب، تحت شعار: **قضايا تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ**، في الفترة 11 - 16 جمادى الأولى 1423 هـــ، الموافق 20-25 تموز/يوليو 2002م بدمشق.

افتتح المؤتمر صباح يوم السبت، بحضور الدكتور محمود السيد وزير التربية بالجمهورية العربية السورية، ممثلاً لراعي المؤتمر، كما حضره بعض الوزراء، والدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبل، نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والدكتور عباس الصوري، مدير مكتب تنسيق التعريب، والسادة رؤساء وممثلو المجامع اللغوية والعلمية العربية، ووفود الدول العربية المشاركة، وبعض أعضاء السلك الدبلوماسيّ العربيّ المعتمد بدمشق، وممثلو بعض المؤسسات الجامعية والهيئات العربية المتخصصة، وجمهور عريض من الخبراء والأفراد المهتمين بقضايا اللغة العربية والتعريب والمصطلح.

وقد سارت أعمال المؤتمر على النحو الآتي:

حفل الافتتاح:

جرت مراسم افتتاح مؤتمر التعريب العاشر على النحو الآتي:

بعد تلاوة مباركة من آي الذكر الحكيم، تناول الدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبل، نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكلمة فشكر باسم المنظمة وباسم مديرها العام الدكتور المنجي بوسنينة، الجمهورية العربية السورية، رئيساً وحكومةً وشعباً، على استضافتها الكريمة للمؤتمر، كما شكر السيد محمد مصطفى ميرو، رئيس مجلس الوزراء، على تفضله برعاية المؤتمر، والسادة ممثلي المجامع اللغوية والعلمية العربية وممثلي المؤسسات الجامعية والهيئات العربية المتخصصة والخبراء، على استجابتهم للدعوة الموجهة إليهم لحضور المؤتمر، كما نوه بالجهود التي بذلتها وزارة التربية واللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، للإعداد للمؤتمر والسهر على راحة المشاركين فيه.

وقد استعرض السيد نائب المدير العام، بعض جهود مكتب تنسيق التعريب في مجال الدراسات المعجمية والمصطلحية وإعداد المصطلحات العربية وتوحيدها، على مستوى الوطن العربيّ، مشيراً إلى أن

المكتب عقد تسعة مؤتمرات للتعريب، صودق فيها على أكثر من مائة وخمسين ألف مصطلح (150000)، وكلها نشرت في معاجم ثلاثية اللغة (الإنجليزية والفرنسية والعربية).

ثم ألقى الدكتور محمود السيد، وزير التربية بالجمهورية العربية السورية، كلمة رحب فيها بالمشاركين ونقل إليهم تحيات رئيس مجلس الوزراء الدكتور محمد مصطفى ميرو، راعي المؤتمر.

وأشار السيد الوزير إلى اعتزاز سورية بلغتها العربية وحرصها على سلامتها، انطلاقاً من إيمانها بعراقة اللغة العربية وبأنها رمز لكياننا القوميّ والرابطة التي تربط بين أبناء الأمة، وشدد على أهمية تنفيذ التوصيات والمقترحات التي كانت قد توصلت إليها المؤتمرات والندوات المتعددة، في موضوع تعريب التعليم العالي، وعبّر عن أسفه أن يظل الموضوع مطروحاً خلال قرن كامل، وقال السيد الوزير إن للمشكلة أبعاداً متعددة يرجع بعضها إلى التلكؤ في إصدار القرار السياسيّ الملزم لاعتماد التعريب منهجاً في الحياة، إذ إن التسويف لا يحسمه إلا القرار السياسيّ، ويرجع بعضها الآخر إلى فتور الانتماء القوميّ وإلى التأخر في وضع المصطلحات و في تشتت الجهود و عدم التنسيق بين العاملين في مجال التعريب وفي عدم الجدية، في متابعة التنفيذ، في استخدام اللغة العربية ونجاعة هذه التجربة في مواكبة روح العصر.

وبعد ذلك ألقى الدكتور عباس الصوري، مدير مكتب تنسيق التعريب، كلمة عبّر فيها عن سروره البالغ بهذه الخطوة التي خطتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فكرمت علماً من أعلام الأمة العربية، الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، نظير ما قدمه من خدمات جليلة للثقافة واللغة العربيتين، جهداً وأخلاقاً وعلماً، كما عبّر أيضاً عن سعادته وهو يعيش فرحة تكريم مؤسسة عريقة، هي جامعة دمشق، ممثلة في رئيسها الأستاذ الفاضل الدكتور هاني مرتضى.

واغتنم السيد المدير المناسبة فحيّا الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى التي وضعت لبنة أخرى في صرح اللغة العربية، بإنشاء مجمع لغويّ سيكون، بإذن الله، إضافة متميزة تسهم في تحقيق عملية التعريب في الوطن العربيّ.

وكرر السيد المدير الشكر والتقدير للجمهورية العربية السورية، رئيساً وحكومةً وشعباً، على كل ما أحيط به المؤتمر من عناية واهتمام.

ο

ثم قدم الدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبل، نيابة عن المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الدكتور المنجي بوسنينة درع المنظمة، إلى أ.د. شاكر الفحام، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، إشادة بجهوده العلمية في ميدان التعريب، وقدم الدرع الآخر إلى الدكتور محمود السيد لتسليمه إلى أ.د. هاني مرتضى، رئيس جامعة دمشق، إشادة بجهودها وبما بذلته الجمهورية العربية السورية من خدمات جليلة للغة العربية والتعريب.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور شاكر الفحام كلمة شكر فيها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، على الجهد الذي يقدمانه في سبيل خدمة لغتنا العربية، وشكر الأستاذ الدكتور محمود السيد وزير التربية، على جهوده في سبيل الارتقاء باللغة العربية.

وعبّر الأستاذ شاكر الفحام عما خامره من غبطة وهو يقرأ رسالة الدكتور المنجي بوسنينة، التي زَفّت إليه خبر هذا التشريف، مجدداً الشكر للسيد المدير العام للمنظمة.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور هاني مرتضى، رئيس جامعة دمشق، كلمة حيّا فيها العاملين المجدين المجتهدين، ومن بينهم هؤلاء الذين كرموا الجامعة السورية في شخصه، مذكراً بأن للغة العربية خصوصيةً، ذلك أنها رمزُ هُوية الأمة العربية، وقد حققت سورية مبتغاها في الدفاع عن هذه الهوية بنجاحها في تجربتها التعريبية، وذكّر بأن نجاح تجربة سورية في التعريب هو الذي دعاه، ودعا سورية، إلى وضع هذه التجربة الرائدة بين أيدي الأشقاء، لتكون جامعاتُنا عربيةً قلباً وقالباً، وختم كلمته متمنياً أن يكون هذا المؤتمر مناسبة للعود إلى قرارات المؤتمرات السابقة والعمل على تحقيقها عملاً ومنهجاً في التدريس والبحث والتأليف.

الجلسة الإجرائية:

بعد استراحة قصيرة عقد المؤتمر جلسة إجرائية برئاسة الدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبل ، حيث اقترح الدكتور أحمد شحلان ، نيابةً عن رئيس المؤتمر التاسع للتعريب، أن تؤول رئاسة المؤتمر العاشر للجمهورية العربية السورية ، ممثلةً في شخص الأستاذ الدكتور محمود السيد، فرحب المشاركون بالإجماع بهذا الاقتراح ، ثم وافق المشاركون على تسمية مكتب المؤتمر ولجانه الخمس وذلك على النحو الآتي :

- الدكتور عبد الكريم خليفة، و الدكتور دفع الله عبد الله الترابي: نائبين للرئيس.
- الأستاذ أحمد شحلان ، مقرراً عاماً.
- الأستاذ إسلّمو ولد سيدي أحمد، نائباً للمقرر العام.
- لجنة صياغة تتألف من المقرر العام، ونائب المقرر العام، ومقرري لجان المؤتمر المتخصصة.

ثم أقر المؤتمر جدول الأعمال.

وشكل المؤتمر خمس لجان متخصصة تتولى دراسة مشاريع المعاجم المعروضة عليه، وهي:

- لجنة دراسة مشروع معجم مصطلحات الصيدلة، برئاسة: الأستاذ الدكتور زهير البابا.
- لجنة دراسة مشروع معجم مصطلحات الطب البيطريّ، برئاسة: الأستاذ الدكتور محمد طه شقدي.
- لجنة دراسة مشروع معجم مصطلحات تقانات الأغذية، برئاسة: الأستاذ الدكتور كرم العودة.
- لجنة دراسة مشروع معجم مصطلحات علم الوراثة، برئاسة: الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد.
- لجنة دراسة مشروع معجم مصطلحات الحرب الإلكترونية، برئاسة: الأستاذ الدكتور سعد محمد الحريقي.

على أن تنتخب كل لجنة مقررها.

جلسة العمل الأولى

في هذه الجلسة، التي أدارها الدكتور محمد رشاد الحمزاوي، شُرع في إلقاء البحوث وفق برنامج المؤتمر الملحق، وذلك على الشكل الآتي:

البحث الأول بعنوان: تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ، ضروراته، معوقاته، شروطه ومتطلبات نجاحه"، للأستاذ الدكتور أحمد دويدار البسيوني، جاء فيه أن التعليم باللغة القومية يمثل أفضل تصور للذات، ويسهل التعبير عن مكامن النفس والاستيعاب والتواصل بين كل مكونات الأمة، ويحقق اكتساب القدرات التي بواسطتها تبدع هذه الأمة في كل مناحي الفكر، وتُسهم في بناء الحضارة الإنسانية.

و للوصول إلى الأهداف المنشودة، يرى الباحث أنه لابد من الوقوف عند أمور منها:

1- المصطلح العلميّ 2-إجادة اللغة الأجنبية 3-الأستاذ الجامعيّ 4- الكتاب الجامعيّ 5- القرار السياسيّ.

البحث الثاني بعنوان: التعليم العالي في الوطن العربيّ، قدمه الأستاذ الدكتور هاني مرتضى، تحدث فيه عن اللغة العربية باعتبارها لغةً حضارية في بنيتها وإمكاناتها، لذلك انتقلت من لغة المعارف الشفوية إلى لغة العلم عندما توفرت أسباب هذا العلم، وانتقلت من المحلية إلى العالمية، لَمّا توفرت لها أسباب الانتشار، و لم تجد أيّ حرج في تعاملها مع الترجمة والتعريب، أمّا ما تعيشه اليوم، فيعود إلى أسباب منها: التقهقر العلميّ العربيّ، تطور المعارف السريع لدى الغرب، استهداف اللغة العربية لأمور قد تكون غير علمية، رضى المثقفين العرب بهذه الحال، الجهل باللغة العربية نفسها، عجز المختص في اللغة عن اتخاذ الإجراء اللازم، إهمال ذوي الحل والعقد من أهل السياسة لاتخاذ قرار حاسم. ويتوقف تعريب التعليم العالي على عناصر هي: الطالب والكتاب والأستاذ.

ويرى أنّ تعليم الطالب باللغة العربية شديد الصلة بكل إرثه الفكريّ ويسهل عليه الفهم ويمكنه من اختصار الوقت، ويحقق تأليفُ الكتاب باللغة العربية الأهداف نفسها.

وبعد مناقشة العرضين، شرعت اللجان المتخصصة في دراسة المشاريع المعجمية المعروضة على المؤتمر.

الأحد 21 تموز 2002م

الجلسة الثانية التي أدارها الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب، عُرض فيها البحث الثالث والبحث الرابع. **البحث الثالث بعنوان: "إعداد الكتاب العلميّ الجامعيّ باللغة العربية تأليفاً وترجمةً، أعده الأستاذ الدكتور موفق دعبول والأستاذ الدكتور خضر الأحمد.**

وبعد المقدمة التي ذكر فيها الباحثان بواكير النهضة العربية والتطلعات القومية، وبعد تذكيرهما بالتجربة السورية الرائدة في تعريب التعليم الجامعيّ، وقف الباحثان عند دواعي إعداد الكتاب الجامعيّ باللغة العربية وربطا ذلك بجودة التعليم وجودة الإنتاج، فذكّرا بأن التجربة أبانت أن اللغة الأم هي الأقدر على تمكين الطالب من المعارف بالدقة المطلوبة والزمن المحدود، وأن الجامعات التي درَّست بلغات أجنبية لم تنجح في مهامها

ذلك أن الطالب يعاني أصلاً من ضعف في اللغة الأجنبية، والأستاذ نفسه قد يعاني من ضعف فيها. وقدم الباحثان، دليلا على نجاح التدريس باللغة العربية في الجامعة، تجربة أساتذة الرياضيات في السودان، الذين عَدلوا عن التدريس بالإنجليزية، فشعروا بأنهم اقتربوا من الطلاب وأن الطلاب كانوا أسرع إلى الفهم والتمثّل.

ورجع الباحثان إلى ضعف كان قد ألم بالتعليم الجامعيّ و أرجعا الأسباب إلى ضعف تأليف الكتاب، عندما تصدى لذلك أساتذة غير أكْفَاء.وتعرّض الباحثان إلى المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، وذكّرا بعدد منشوراته المؤلفة والمترجمة.

البحث الرابع بعنوان: دور الحاسوب في توليد المصطلح وتوحيده، أعده الدكتور مروان البواب، بالتعاون مع الدكتور محمد مراياتي والدكتور عماد الصابوني، والذي أشاروا فيه إلى التطور الحادث في مجالات العلوم المختلفة مما أنتج فيضاً من المصطلحات، التي وضعت مقابلات لها في غياب منهج موحد متفق عليه، وعدم وجود تشريع الجهات المختصة باستخدام ما جد من مصطلحات عربية.

كما أشار البحث إلى أن القصور في المصطلح هو قصور في المعرفة، التي أصبحت اقتصاداً في حد ذاتها، وغدت وسائلها علامة على التفوق، بحيث تقاس درجة التوجه نحو المعرفة بعدد الحواسيب وعدد ما يتصل منها بالإنترنيت، وعدد مواقع المؤسسات في هذه الشبكة، ونسبة التعامل بالتجارة الإلكترونية، وعدد قواعد المعطيات في قطاعات الخدمات والإنتاج، وعدد براءات الاختراع.

لذلك دعت الضرورة إلى توليد المصطلح وتوحيده ونشره باللغة العربية، رغبةً في التنمية الاقتصادية قبل كل شيء، واقتداءً بالاتحاد الأوروبيّ الذي طوّر مشاريعه الترجمية لتخدم اثنتي عشرة لغة مختلفة.

وفي هذا يمكن الاستفادة من:

1- دور التقانة في وضع المقابلات العربية للمصطلحات العلمية.

2- دور التقانة في توحيد المصطلحات العربية ونشرها، قصد توحيد المصطلح في البلد الواحد وبين الأقطار العربية.

ثم استأنفت اللجان المتخصصة أعمالها.

الاثنين 22 تموز 2002 م

الجلسة الثالثة، التي أدارها الدكتور أحمد عبد القادر المهندس، عُرض فيها البحث الخامس والبحث السادس. **البحث الخامس بعنوان: "المعجم من منظور الترجمة الآلية" للدكتور نبيل علي**، الذي أبرز أهمية المعجم عموماً، في إطار لغة يحكمها نظامان، أحدهما نظام القواعد، والآخر نظام المعجم، وأبان أن لهذين دورَهما في نُظم الترجمة الآلية. وأشار إلى أن لهذه الترجمة مشاكل إذا ما قيست بالترجمة الآلية الإنجليزية، وذلك ناتج عن الاختلاف الكبير في آليات تكوين الكلمات في كل من اللغة العربية والإنجليزية، وفي الفوارق الواضحة بين اللغتين كلما تعلق الأمر بمعاني المُدخلات المعجمية، وفي تحويل المعاني الاستعارية وطرق الحذف والزيادة.

البحث السادس ألقاه الدكتور علي القاسمي بعنوان: "دور المصطلح العربيّ الموحد في تعريب

التعليم العالي"، جاء فيه أن الهدف الأساسيّ من توفير المصطلحات العلمية العربية الموحدة هو إيجاد لغة علمية عربية مشتركة يفهمها جميع العلميين والتقنيين في مختلف الأقطار العربية، وتكون أداة فاعلة للتعليم والبحث والتأليف والترجمة في مجال العلوم والتقنيات الحديثة، وشبكات المعلومات العربية والدولية، والدوريات العلمية، ووسائل الإعلام والاتصال المسموعة والمرئية والمقروءة؛ بحيث تيسّر التبادل العلميّ بين الجامعات العربية، وتبادل الأساتذة والباحثين، وانتقال الطلاب من جامعة عربية إلى أخرى.

ولكي يقوم المصطلح الموحد بدوره العلميّ والحضاريّ، يجب على جامعاتنا العربية الالتزام باستعماله دون غيره في خمسة أنشطة أساسية: 1-التعليم 2- البحث العلميّ 3- الترجمة 4- الدوريات العلمية 5- مواقع الجامعات على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

وبعد مناقشة البحثين استأنفت اللجان المتخصصة أعمالها.

الثلاثاء 23 تموز 2002 م

الجلسة الرابعة، التي أدارها الدكتور عبد الله واثق شهيد، تميزت بعرض سبع مداخلات حول التعريب والمصطلح، وذلك على النحو الآتي:

- وحدة المصطلح وسياسية التعريب: أ.د. عبد الكريم خليفة.
- تعـــريب التعليم الطبيّ والصيدليّ في الوطن العربيّ: أ. شحادة الخوري.
- رؤى حـــول تعريب التعليم الجامعيّ، د. أحمد بن عبـــد القادر المهندس.
- خطوات على طريق التعريب، د. محمد يونس عبد السميع الحملاوي.
- لغة الصحافة العربية المعاصرة في معاجمنا، د. محمد رشاد الحمزاوي.
- تعليم الترجمة والترجمية، الأساتذة: هنري عويس، وجينا الياس أبو فاضل، ولينا فغالي.
- النص المتخصص: مدخل إلى تحسين تعليم اللغة العربية : أ. مي حداد وأ. رنا الحكيم.

ثم واصلت اللجان المتخصصة أعمالها.

الأربعاء 24 تموز 2002 م

الجلسة الخامسة التي أدارها الدكتور أحمد مختار عمر، عرضت فيها سبعُ مداخلات حول أوضاع تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ، وذلك على النحو الآتي:

- اللغة العربية وتعريب التعليم العالي، د.عز الدين البوشيخي.
- قضية التعريب في مصر، د. محمود حافظ إبراهيم.
- اللغة العربية في التعليم العالي بالجزائر -واقع وبديل، د.صالح بلعيد.
- تجربة التعريب في التعليم العالي في تونس، د.الحبيب دلالة.
- تجربة التعريب في مجمع اللغة العربية بدمشق، د. عبد الله واثق شهيد.

- تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال، د.عاطف نصار.
- طريقة إنجاز مشروع الذخيرة اللغوية العربية، د. عبد الرحمن الحاج صالح.
- **إضافات توضيحية حول بعض التجارب الخاصة للأساتذة:**

- د. محمد مصطفى أبو شعالة، حول تعريب التعليم العالي في ليبيا.
- د. دفع الله الترابي، عن تجربة التعريب في السودان.
- د. عدنان الحموي، تجربة إصدار مجلة علمية"العلوم".
- د. هشام هاني البرهاني، حول تجربة إصدار مجلة الوسيط في طب الأسنان باللغتين العربية والإنجليزية.
- د.قاسم سارة، جهود منظمة الصحة العالمية في تعزيز التعليم الطبي باللغة العربية.

وأتمت اللجان المتخصصة أعمالها وقدمت تقاريرها للجنة الصياغة.

الخميس 25 تموز 2002 م

الجلسة السادسة والأخيرة برئاسة الدكتور محمود السيد، رئيس المؤتمر.

في صبيحة يوم الخميس، عقد المؤتمر جلسته الختامية واستمع فيها إلى:

- كلمات الوفود العربية المشاركة في مؤتمر التعريب العاشر.
- تلاوة تقارير اللجان.
- تلاوة بيان دمشق المنبثق عن أعمال المؤتمر.
- تلاوة التقرير الختاميّ والتوصيات الصادرة عن المؤتمر.
- تلاوة البرقية المرفوعة إلى السيد رئيس الجمهورية العربية السورية الرئيس بشار الأسد.
- كلمات الجلسة الختامية:

أ-كلمة ممثل المشاركين (الأستاذ الدكتور أحمد شفيق الخطيب).

ب-كلمة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

جـ-كلمة السيد وزير التربية، ممثل راعي المؤتمر.

التوصيات:

إن مؤتمر التعريب العاشر المنعقد بدمشق، بعد أن درس الموضوعات المعروضة عليه، انتهى إلى مجموعة من التوصيات العامة والخاصة نثبتها فيما يلي:

أولاً: التوصيات الخاصة:

ـــ إقرار المعاجم، المعروضة على المؤتمر، وطبعها، بعد وضع اللمسات الأخيرة عليها، في ضوء ملاحظات اللجان المتخصصة.

ـــ إيجاد آلية مناسبة لاستثمار المعاجم الموحدة الصادرة عن مؤتمرات التعريب والاستفادة منها وتسهيل توزيعها وتداولها على نطاق واسع.

ثانياً: التوصيات العامة

يؤكد المؤتمر ما أقرته مؤتمرات التعريب السابقة من أن حركة التعريب ستظل ناقصة ومهدّدة ما لم تشمل مراحل التعليم كلها، وأن توقف التعريب وتباطؤه، عند التعليم العالي، سيؤدي إلى انفصام فكريّ وإلى وجود طبقية ثقافية في الوطن العربيّ تهدد نموه الفكريّ والعلميّ. لذلك يوصى المؤتمر بما يلي:

1- مناشدة الدول العربية التي لم تبدأ بعد عملية التعريب في التعليم العالي، أو لم تستكملها، أن تتخذ الإجراءات اللازمة لتحقيق ذلك.

2- وضع الكتب العلمية، في البلاد العربية التي طبقت التعريب بين أيدي الجامعات والمؤسسات الأخرى المماثلة، والاستفادة من تجارب هذه الدول، وتفادي تكرار الجهود السابقة.

3- دعوة الدول العربية إلى معالجة مشكلات تعريب التعليم العالي، في ضوء النتائج التي توصلت إليها أبحاث المؤتمر حول هذه المشكلات، لتشخيص أسباب معوقات التعريب وإيجاد الحلول المناسبة.

4- المزيد من التنسيق والتعاون بين المؤسسات المعنية والمهتمة بتعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ.

5- متابعة تنفيذ الخطة، التي سبق أن وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخاصة بتحليل وضع التعريب في الأقطار العربية.

6- القيام بدراسة تحليلية عن وضع التعريب في الأقطار العربية، ومتابعة مجرى التقدم فيه، ووضع آلية لتنفيذه.

7- الحرص على احتواء كل كتاب علميّ منهجيّ على مسرد ـــ أجنبيّ ـــ عربيّ، وعربيّ ـــ أجنبيّ يضم كل المصطلحات العلمية الواردة فيه.

8- العمل على نشر الأبحاث والكتب المترجمة على شبكة الإنترنت لتعم الفائدة منها.

9- دعم الجهود التي تضطلع بها المجامع العربية اللغوية والعلمية والإفادة من تجاربها في تفعيل مسيرة التعريب في جامعات الوطن العربيّ.

10 - إدخال مادة المصطلح في المقررات الدراسية الجامعية.

11-دعم مركز التعريب والتأليف والترجمة والنشر بدمشق الذي يسهر على توفير كتب التعليم العالي المترجمة والمؤلفة باللغة العربية، ووضعها تحت تصرف الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في الوطن العربيّ.

12- دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى دعم أيّ مبادرة تقوم بها مؤسسات أو هيئات أو جمعيات أو منظمات غير حكومية عاملة في مجال التعريب، والتنسيق معها في هذا المجال.

13- دعوة الدول العربية إلى تنفيذ القرارات التي اتخذها المؤتمرات الوزارية والتوصيات التي أصدرتها الندوات والاجتماعات التي عقدت بشأن التعريب والترجمة والمصطلح، وما صدر عن مؤتمرات التعريب من توصيات.

14- دعم الصناعة المعجمية وأبحاثها ومشروعاتها التي تخدم قضية التعريب، كمشروع الذخيرة اللغوية، ومشروع المعجم الصحفيّ العربيّ المعاصر، ومشروع تقييس المصطلح، وغيرها من المشروعات المعجمية.

15-تشكيل لجنة تنبثق عن المؤتمر العاشر للتعريب لتتبع تنفيذ توصيات هذا المؤتمر، على أن تعرض نتائج التتبع في مؤتمر التعريب القادم.

16- التعريف بالتجربة السورية الرائدة العريقة في تعريب التعليم العالي والتجارب التعريبية الأخرى في الدول العربية.

وينوه المؤتمر بمبادرة الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية العظمى بإنشاء مجمع اللغة العربية، سنداً للمجامع العلمية واللغوية العربية الأخرى.

ويشيد المؤتمر بأنشطة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وأجهزتها المختلفة، الخاصة بقضايا التعريب والترجمة والمصطلح، كما ينوه — بصفة خاصة- بجهود مكتب تنسيق التعريب في هذا المجال، وجهود المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق.

يتوجه المشاركون في المؤتمر العاشر للتعريب إلى الجمهورية العربية السورية، رئيساً وحكومةً وشعباً، وإلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، التابع لها، على ما أولوه من عناية واهتمام بالمؤتمر والمشاركين فيه، مما ساعد على نجاحه، ويشكرون معالي رئيس مجلس الوزراء في الحكومة العربية السورية، الدكتور محمد مصطفى ميرو، على رعايته للمؤتمر، ومعالي وزير التربية الأستاذ الدكتور محمود السيد، على رئاسته له ومتابعته لكل أعماله، كما يتوجهون بالشكر إلى كل من ساهم في إعداد المؤتمر وتنفيذه من وزارة التربية، وفي مقدمتهم أمين اللجنة الوطنية، الأستاذ لطوف العبد الله ومساعديه في اللجنة، وكذلك أسرة مكتب تنسيق التعريب، وفي مقدمتها الأستاذ الدكتور عباس الصوري ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة.

بيـــــان دمشق

حول تعريب التعليم العالي

إن مؤتمر التعريب العاشر المنعقد في دمشق في المدة الواقعة بين 20-25 تموز (يوليو) سنة 2002 يؤكد :

أولاً : أن التعريب قضية أمن قوميّ لأمتنا العربية وقضية كيان وهوية، وقضية تربوية ومجتمعية، يحافظ على الذاتية الثقافية، ويعزّز الانتماء، ويصون وحدة الأمة في مواجهة هيمنة العولمة، ومحاولتها طمس هويات الشعوب، وتهديد ثقافتها بالذوبان والامحاء.

ثانياً: أن الحفاظ على اللغة العربية وتنميتها واستخدامها في جميع مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والإدارية، هو حفاظ على الوحدة النفسية والثقافية للأمة العربية، وصون لكرامتها وتسريع لعملية التنمية، وقيام بالواجب تجاه الشعوب الإسلامية التي تشارك الأمة العربية في استخدام العربية لغة دين وثقافة.

ثالثاً: أن التعليم العالي هو أساس التنمية البشرية الشاملة في الوطن العربيّ، إذ إنه يضطلع بإعداد الأطر القيادية في المجتمع، وينهض بإجراء البحوث العلمية اللازمة لتطوير عملية التنمية في مختلف مجالاتها، ويتولى خدمة المجتمع في جميع الميادين.

رابعاً: أن التعليم العالي والبحث العلميّ ليس بمقدورهما تأدية رسالتهما التنموية في البلاد العربية ما لم يستخدما اللغة العربية في جميع المستويات وفي مختلف التخصصات، لمساعدة الطلاب على استيعاب المعطيات العلمية والتقانية وتمثلها والإبداع فيها، ولتمكين الجامعات من نشر المعرفة العلمية والتقانية باللغة العربية التي تفهمها جماهير الأمة.

خامساً: أن اللغة العربية، بما لها من خصائص ومزايا وعمق حضاريّ، قادرة على التعبير ومواكبة مستجدات الثورة العلمية والتقانية ومعطياتها، أثبتت ذلك في الماضي، كما أثبتته التجربة السورية في التعريب في مختلف ميادين المعرفة في الوقت الحاضر.

سادساً: ضرورة سيرورة اللغة العربية في جامعات الوطن العربيّ ودعوة أعضاء الهيئة التدريسية في جامعات الوطن العربيّ إلى استخدام اللغة العربية في التدريس والبحث والتأليف والترجمة، على أن يضطلع اتحاد الجامعات العربية بدوره في هذا المجال، تيسيراً للتواصل العلميّ والثقافيّ بين أبناء الأمة، وتوحيداً للفكر بينهم، وتعزيزاً لاستخدام المصطلحات العربية الموحدة.

سابعاً: تشجيع عملية الترجمة في الجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات العلمية المتخصصة، انطلاقاً من دورها في إغناء المكتبة العربية وتيسير عملية التعريب، على أن تستخدم المصطلحات التي اشتملت عليها المعاجم المتخصصة.

ثامناً: دعوة الجامعات العربية إلى التوسع في إنشاء مواقـع معرّبة لها في شبكة الاتصالات العالميـة (الإنترنـت)، وتدريب الطلاب على كيفية الاستفادة من الكم الهائل من المعلومات التي تزخر بها الشبكة، وتوفير الـبرامج الدراسية المعرّبة على الشبكة، تأكيداً للحضور المعرفيّ العربيّ، وانتقالاً بالتعليم العالي من تعليم الخاصـة إلى تعليم العامة، كما يدعو المؤتمر إلى تطـوير البحـث العلميّ بتقنيات المعلومـات والاتصـال، وتعريـب البرمجيات التطبيقية لتتمكن أوسع الجماهير العربية من الإفادة من ثورة التقانة والمعلوماتية والاتصال والمشاركة فيها وتوظيفها في عملية التنمية.

تاسعاً: دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلـوم إلى دعم مكتب تنسيق التعريب والمركز العربيّ للتعريـب والترجمة والتأليف والنشر، نظراً لـدورهما الفعـال في تأمين مستلزمات التعريب من معاجم متخصصة وكتب مرجعية، والعمل على إيصال إصدارالهما إلى الجامعات والتعريف بها على أوسع نطاق.

عاشراً: تقديره العالي للتجربة السورية في التعريب ودعوة الجامعات العربية إلى الإفادة من هذه التجربة التي أثبتت على مدى قرن كامل شـجاعتها في تخـريج الأطـر الأكفاء في مختلف ميادين المعرفة، ولم تكـن دراسـة الدارسين بلغتهم الأم بحائل دون تفوقهم وإبداعهم على مختلف الصُّعُد المحلية والعربية والدولية .

كلمة الوفد التونسيّ
في سبيل التعاون العلميّ العربيّ

أ.د. الحبيب دلالة

سيادة الوزير

حضرات الأساتذة الأجلاء

سيداتي سادتي

يطيب لي أن أبدأ، باسم وفد الجمهورية التونسية، بالتعبير عن جزيل الشكر والامتنان لوزارة التربية بالجمهورية العربية السورية على كرم الضيافة وحسن الاستقبال والتنظيم المحكم لأعمال مؤتمرنا.

كما أريد أن أتوجّه بوافر الشكر لمكتب تنسيق التعريب على جهوده الجبارة، السابقة والحاضرة، خدمة للغة العربية في مختلف المستويات، ولا سيما في مستوى التعليم العالي، تعريباً وتدريساً ومعرفةً وثقافةً وحضارةً. ونرجو له – وهو يواصل جهوده- النجاح والتوفيق في الآمال والأعمال.

ويسعدني بهذه المناسبة أن أُذكّر بأن جهود تونس في ميدان التعريب متواصلة بشكل رصين. فلقد شملت التعليم الأساسيّ والثانويّ، كما شملت جميع العلوم الإنسانية والاجتماعية والقانونية في التعليم العالي، إلى جانب المحاولات الجادة التي أُنجزت مثلاً في ميدان الطبّ البشريّ.

ولا بد من التذكير أيضاً بأنّ الإرادة السياسية، عن طرق إصدار مناشير حازمة، عملت على تعريب كلّ المراسلات الإدارية والمحاسبة العمومية. والمشوار متواصل بتؤدة واعتدال وتعمّق وتوازن.

ورجائي، ونحن نتحدث عن تعريب التعليم العالي، أن أُلفت النّظر إلى ضرورة التركيز مستقبلاً على المسائل العملية والمشاريع الجديدة والتجارب التطبيقية، التي تسعى إلى تقديم رؤى جديدة ومُجَدّدة أو تقدّم مشاريع في حيز البحث أو أنجزت بالكامل، للإفادة من تجاربها في ميدان التعريب مع العناية بالاستدراكات عليها والتصويبات لها التي تفرضها المقاييس العلمية. ونوصي بتكوين لجنة تحكيم في مؤتمرات التعريب للنظر في البحوث المقترحة، من حيث ملاءمتُها للجوانب العملية والتطبيقية، سابقة الذكر، قبل عرضها على المؤتمر.

ولا يسعني إلاّ أن أتمنّى للجميع عودة ميمونة مع أمل التعاون معهم تعاوناً عميقاً ومتيناً، راجياً أن ألقاهم في مناسبات مماثلة لنضيف جديداً إلى رصيدنا الحضاريّ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كـــلمة وفــــد العراق

أ.د. أحمد مطلوب

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد وزير التربية بالجمهورية العربية السورية

السيد نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

السيد مدير مكتب تنسيق التعريب

أيها الإخوة الكرام

ستبقى قضية التعريب تدور في حلقة مفرغة لأن معظم المؤتمرات التي عُقدت من أجل التعريب تطرح المعوقات المتمثلة في :

1. المصطلحات.
2. الكتاب.
3. الأستاذ.

إذا أردنا أن نحقق هذه المستلزمات الثلاثة فلن يكون هناك تعريب لأن المصطلحات مستمرة والعلم مستمر ولن تنتهي حتى تقوم الساعة، فهل ننتظر قروناً حتى يتوقف العلم ثم نعرب؟.

لا بد من البدء، وحل المشكلات يأتي في أثناء التطبيق، وسنرى العملية تسير سيراً طبيعياً.

أما الأستاذ، فأستغرب عدم قدرة العربيّ على التدريس بلغته، وهذه حجة غير حقيقية لأن صاحب اللغة أقدر من غيره على إتقان لغته والتدريس بها.

هذه الحجج كلها تطرح لتعوق عملية التعريب. أما إصدار قرار سياسيّ، فمهم كما فعل العراق وأصبح قانون الحفاظ على سلامة العربية ملزماً حتى في الأسماء التجارية والعلامات الصناعية، ولا تمنح الجهات المختصة إجازات للمحالّ، والشركات التجارية، والصيدليات، وغيرها ما لم تكن الأسماء عربية. وهذا ما تفعله الدول التي تحترم لغتها مثل فرنسا التي فيها عدة هيئات تراقب سلامة اللغة الفرنسية، وهناك أمانة عامة باسم الفرنكفونية تقدم الجوائز لمن يتحدث بالفرنسية ويكتب بها من غير الفرنسيين.

ألا نقتدي بها وبغيرها من الأمم التي تحافظ على كيانها وتعتز بلغتها.

وصفوة القول : إن البدء بالتعريب هو الخطوة الأولى، أما المصطلحات والكتب والأساتذة فتحل في أثناء تحقيق التعريب.

وختاماً أسأل الله أن يهدينا إلى السبيل القويم.

كـــلمة وفد مصر

د. محمود حافظ

معالي وزير التربية

العلماء الأجلاء

باسم وفد مصر أصدقكم القول إني أكاد لا أجد الكلمات التي أعبر بها أصدق تعبير عما يحتشد في صدري من سعادة غامرة بهذه الأيام التي عشناها في الضيافة الكريمة للوطن الشقيق، سورية الحبيبة ودمشق الفيحاء، ولمسنا فيها المحبة والإخاء، وفيضا من الرعاية والعناية، وجواً رائعاً من العلم والعرفان، فالشكر خالصاً وجزيلاً أتوجه به إلى معالي وزير التربية الذي حرص على حضور جلسات المؤتمر، على الرغم من مشاغله، فضرب بذلك مثلاً رفيعاً للمشتغلين بالعلم والعلماء الأجلاء.

أتوجه بالتحية الخالصة أيضاً إلى مجمع اللغة العربية بدمشق، أعرق المجامع اللغوية في الوطن العربيّ، الذي ظل سنين طويلة يعمل، برئاسته الحكيمة وعلمائه الأعلام، على إعلاء شأن العربية والارتقاء بها وحمل مشعل العلم والأدب واللغة والثقافة والتنوير- تهنئة صادقة لرئيسه الدكتور شاكر الفحام على تكريم الدولة له وهو بهذا التكريم جد جدير.

أما المؤتمر — المؤتمر العاشر للتعريب- فسعادتنا به غامرة، فقد جاء قمة في الأداء والاستقصاء وفي الروعة والبهاء. وسعادتنا بهذه الكوكبة، بل الحشد من علماء الأمة العربية الأعلام الذين جاءوا بعقولهم النيرة وفكرهم الثاقب وببحوثهم الرائدة، ليتبادلوا الرأي في قضية طالما شغلت بال القائمين على التعليم بالجامعات والمعاهد العليا- ألا وهي قضية التعريب واتخاذ اللغة العربية لغةً للعلم والتعليم- وقد سعدنا بهذا الكم الكبير من البحوث والدراسات والمداخلات، واستمتعنا بالمناقشات الجادة والتعقيبات مما أضفى على المؤتمر وجلساته حيوية وقيمة يعتد بها. ولست في حاجة إلى القول إن عمل لجان المعاجم الخمسة كان جاداً وعظيماً، وستؤدي هذه المعاجم، بعد نشرها، خدمة جليلة لقضية التعريب بالجامعات والمعاهد العليا وغيرها في الوطن العربيّ.

وإذا كان الفضل يرجع لأصحابه وذويه، فهو من حق مكتب تنسيق التعريب بالرباط ومديره العالم الجليل، الدكتور عباس الصوري، الذي يسوسه مع معاونيه بحنكة واقتدار وبخبرته الواسعة وعمق فكره ورجاحة عقله — ونجاح هذا المؤتمر، وهو مؤكد بإذن الله، فإن له فيه الصرح المعلّى- فشكراً جزيلاً له ولمكتب تنسيق التعريب وللمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وأختتم كلمتي بتحية صادقة حمّلني إياها الأستاذ الدكتور شوقي ضيف، رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إلى المؤتمر والقائمين عليه متمنياً له التوفيق والنجاح.

وشكراً لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة وفد الأردن

أ.د. سليمان الخليل

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الأستاذ الدكتور محمود السيد

وزير التربية – رئيس المؤتمر

الأستاذ الدكتور نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

الأستاذ الدكتور مدير مكتب تنسيق التعريب

الأساتذة رؤساء وأعضاء الوفود المشاركة في المؤتمر

الزملاء الكرام

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،

يسرني أن أعبر لكم باسم الوفد الأردنيّ، عن عميق الشكر والتقدير، للجهود الطيبة التي صاحبت هذا المؤتمر، إعداداً وتنظيماً، واحتفاءً.

لقد جاءت مشاركتنا في المؤتمر، انطلاقا من إيمان المملكة الأردنية الهاشمية بالعمل العربيّ المشترك، وبما للتعريب من أهمية قصوى، بوصفه مقوماً أساسياً من مقومات التعليم العالي في بلادنا، وأن الخطوات التي قطعناها في الجامعات الأردنية تقف على أرض صلبة، وتسعى إلى النمو المضطرد في الوقت الذي تتوافر فيه الإمكانات المادية والمعنوية والوسائل لتحقيق هذا الغرض.

فعلى سبيل المثال، لا الحصر، تخصص الجامعات الأردنية 4 % من موازناتها للإنفاق على البحث العلميّ والذي يشمل الترجمة والتأليف، ونحن نشجع جميع أعضاء هيئة التدريس في الجامعات على المشاركة في هذه الأنشطة، وكما أشار أستاذنا الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردنيّ، إلى أن قانون التعليم العالي يذكر بأن "لغة التدريس هي اللغة العربية، ويجوز في بعض الحالات التدريس بلغة أخرى.

أيها الزملاء الكرام

لقد كان هناك تقاطع كبير في المداخلات التي جرت في هذا المؤتمر، وإن دساتير الدول العربية تنص على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، وكل الجهد يقع على عاتق عضو هيئة التدريس للبحث والتدريس والإبداع في اللغة العربية.

إن ما طرح في المؤتمر من بحوث، شخَّص الواقع بإيجابياته وسلبياته، بما عرضه من تجارب، وما قُدّم فيه من معاجم، وما صدر عنه من توصيات، يدعونا أن نقف وقفة واقعية مع الذات أولاً، ومع الموقف العربيّ من مسألة التعريب ثانياً، وهي وقفة تنبئ أننا بحاجة إلى أن يصاحب العمل صدق النية فيه، وأن نضاعف الجهد وأن ترصد له الإمكانات المطلوبة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة وفد الكويت

د. حسن علي المسري

بسم الله الرحمن الرحيم

يسعدني، كثيراً كثيراً، أنْ أحيي اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم، المنظِمة لهذا المؤتمر، وعلى رأسها السيد الوزير الدكتور محمود السيد، الذي حضر معنا معظم جلسات هذا المؤتمر مع ضيق وقته وارتباطاته، وكان لحضوره الأثر الواضح على تفعيل الجلسات مما كان له الأثر الإيجابيّ على أنفسنا، فله منا جزيل الشكر والامتنان، ثم ما لمسناه من كرم الضيافة وحسن المعاملة من سورية العروبة سورية الإسلام.

أيها الإخوة الكرام، أما فيما يتعلق بمحاور هذه الجلسات، فإنني أرى من الضروريّ أن تكون هناك روح "الجدية في تفعيل دور التعريب".

الكل يعلم ما للتعريب من أهمية كبرى على الحركة العلمية وعلى تطوير اللغة العربية وإثرائها وجعلها لغة حية تواكب التطور وتواكب كل جديد، لاسيما ونحن أمام ثورة معلوماتية رهيبة.

ولكن للأسف الشديد، مع ما لهذا الموضوع من أهمية، لا نجد ذاك الاهتمام الذي يتواءم مع أهمية التعريب، ولا يتواءم، في الوقت ذاته، مع قدرة اللغة العربية -لغة الضاد- على العطاء والإبداع.

فهذا هو المؤتمر العاشر الذي يعقد، إلا أننا لا نرى في الأفق من جديد.إذاً، فمن الضرورة بمكان، أيها الإخوة أن نكون أكثر جدية في تذليل جميع الصعوبات والعوائق التي تقف في وجه حركة التعريب.

لذا، فإنني أقترح إنشاء مؤسسة علمية لتقوم بتفعيل دور التعريب، وتكون، في الوقت نفسه، مشرفة عليه ومسؤولة عنه، وتشكل أعضاء هذه اللجنة من جميع الأقطار العربية، كما أقترح أن يكون مقرها بدمشق. وأرى أن تشكل لجنة منبثقة عن هذه المؤسسة تقوم بمتابعة هذ المشروع. وشكراً لكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كـــلمة وفد ليبيا

د. أنيس أبو بكر الغرياني

معالي الأستاذ وزير التربية بالجمهورية العربية السورية الشقيقة.

السيد نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو).

السيد الأمين العام للجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم.

السيد مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط.

الإخوة الأساتذة الأفاضل.

يسعدني نيابة عن الوفد الليبيّ ورئيسه د. شعيب المنصوري، أن أشكر الجمهورية العربية السورية الشقيقة، قيادةً وحكومةً وشعباً، على حسن الاستقبال وكرم الضيافة.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو) واللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط، على ما قاموا به من مجهودات في سبيل إنجاح هذا الملتقى. كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى كل الإخوة الأفاضل الذين شاركوا في تنظيم هذا المؤتمر ولجانه المختلفة، بحيث توالت اجتماعاتنا بكل نظام وجدية. ومن الواجب أن لا يفوتني شكر جميع أعضاء الوفود والذين ساهموا، سواء بمشاركتهم أو تعليقاتهم أو أسئلتهم، في إنجاح هذا الملتقى العلميّ المفيد... والذي بنيت فيه جسور التفاهم والتواصل بين أبناء لغة الضاد.

معالي الوزير، الإخوة الأفاضل.

لقد لاحظت أن مؤتمرنا هذا قد عُقد تحت شعار "تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ". حيث تصدر هذا الشعار أوراق أهداف المؤتمر. ومرة أخرى تحت شعار "قضايا تعريب التعليم العالي" ووقفت عند كلمة "قضايا" حائراً فيما قصد بها في هذا المقام. هل هو وجود مشاكل تعيق التعريب؟ أم لوجود مناهضين للتعريب؟ أم أنّ هناك صعوبات في سبيل التعريب؟ أم لوجود كل هذه الأشياء مجتمعةً؟ وكأن هذا الشعار ينم عن تردد فيما نحن بصدد تحقيقه وتعميمه... أو أن هناك من يقاضينا عند تحقيق التعريب... ورأيت التردد مبطّناً، إن لم نقل ظاهراً، تحت هذا الشعار... ورجوت لو بقيّ الشعار الأول ألا وهو "تعريب التعليم العالي في الوطن العربيّ" لأن هذا يدل وبجلاء على قرار لا رجعة فيه. وإنما نحن هنا لمواصلته ودعمه والإسراع في استكماله وتعميمه في الوطن العربيّ..

أما نحن أبناء هذه الأمة في القطر الليبـــيّ، فقد حسمنا أمرنا، وعقدنا العزم على تحقيق الهدف... اتخذنا قرارنا السياسيّ، وأصدرنا الأمر الإداريّ بالتعريب ووفرنا له الإمكانات.. وقد اكتمل بحمد الله وعونه التعريب، في جميع مراحله الدراسية وفي جميع الكليات، عدا القليل منها، وهي الكليات الطبية. وقد بيّن الزميل د. مصطفى أبو شعالة بالأمس أسباب ذلك، وهو عدم وجود العدد الكافي من أعضاء هيئة التدريس الليبيين والعرب، بهذه الكليات.. وقد لجأنا في السابق فعلا إلى بعض الدول الشقيقة التي لها خبرات في مجال تعريب العلوم الطبية.. ولكن للأسف اكتشفنا عندها أن الأستاذ الجامعيّ الجيد والقادر على التعريب قليل حتى في هذه الدول المعروفة بطاقاتها البشرية وخبرتها الكبيرة في مجال التعريب.. لذا فقد لجأنا إلى تعريب وتلييب الأستاذ الجامعيّ أولا في هذه الكليات. وقد قاربنا على الانتهاء من هذه المرحلة، رغم وجود بعض الصعوبات فيما يتعلق بتوفير أساتذة عرب

وليبيين في المراحل ما قبل المرحلة السريرية. أما الكتاب، فلم يكن مشكلة كبيرة، حيث أعدنا طباعة بعض الكتب المتداولة في الجامعات السورية، وبعد مراجعتها، طُبعت على ورق جيد، طباعة فاخرة. وهي متوفرة الآن في مكتبة الكليات الطبية. لذا فإنني أطالب الدول العربية، القادرة بشرياً ومادياً، على تدريب وإعداد المزيد من الأساتذة الجامعيين. حتى يمكن إعارتهم لدول عربية تعاني من ندرة الأساتذة المحليين، للاستفادة من خبراتهم. كما أرجو أن تتاح فرصة تبادل أعضاء هيئة التدريس، ليس للامتحانات فقط، بل للتدريس في الكليات الطبية. كما أرجو أن يوازي تبادل الخبرات بين الجامعات العربية، تبادل الطلبة أيضاً، ولو لفترة فصل دراسيّ واحد أو سنة واحدة... حيث سيؤدي ذلك إلى تبادل الخبرات في مجال التعريب والبحث العلميّ. ويتم التواصل والتفاهم بين أبناء الأمة.

الأساتذة الأفاضل،

لقد سعدت كثيراً في هذا المؤتمر بملاحظة أننا لم نعد نجادل أو نسأل هل نعرب أم لا؟ ما جدوى التعريب؟ وما هي مزايا التعريب أو مساوئه؟ وغيرها من الأسئلة التي توحي بالتردد والخوف..

وأننا انتقلنا إلى مرحلة أخرى من النقاش، هي دعم جهود التعريب، وتوحيد الجهود لتحريك التعريب، وتطوير منهجية التعريب، والعناية بالمصطلح، وتنسيق التعريب، وغيره من المفردات والتي توصي بعزيمة قوية للتعريب وعدم التردد أو التشكيك في ضرورة التعريب أو حتميته. إن القرن الجديد يفرض علينا ذلك والكل يرى بوادره لا تنبئ بخير.. وأن سنينه الأولى تشير إلى أنه سوف يكون عصر العلم والعولمة والتطور التقني. كما أنه قد أصبح عصر التحديات والصراعات. لذا لا يفوتني هنا أن أنبه، في هذا المقام، إلى أن الجهود السابقة في مجال التعريب رغم أنها قيمة، إلا أنها ليست كافية. ويبدو لي أن أهم أسباب ذلك هو عدم الاهتمام بالإنسان الذي يعرب وهو المحرك والمستفيد من هذا الإنجاز.. فالمعرب، سواء كان أستاذاً جامعياً أو طبيباً، أو مهندساً أو لغوياً.. أو غيره، يقوم بالتعريب إلى جانب ما يقوم به من التزامات أخرى كثيرة.. مثل التدريس أو التطبيب أو الممارسة- العلمية المهنية إلى جانب الكثير من الالتزامات الأخرى، مثل الأعمال الإدارية والاستشارية وغيرها، حيث أن هذا المعرب لم يكن، لا في السابق ولا في الحاضر، متفرغا لما يقوم به سوى في مجال التعريب أو في مجالات البحث العلمي. لذا أرجو أن تضم توصيات هذا المؤتمر دعم المعرب والباحث، مادياً ومعنوياً حتى يتمكن من أن يصب جل اهتمامه في هذا المجال، دونما حاجة للبحث عن اللقمة الكريمة من نشاطات كثيرة تشتت ذهنه وتركيزه، ويصبح يسرق الوقت للبحث أو التعريب. وقد نحتاج في السنوات القادمة إلى جيل جديد من الباحثين والمعربين والمترجمين المتفرغين لأعمالهم، دون انقطاعهم عن الحياة العملية. كما يجب أن نوصي بدعم البحث العلميّ، وتنشيطه في جميع المجالات، وذلك بتخصيص المزيد من الموارد من ميزانية الدول العربية لهذا الغرض، لأننا بدون ذلك سوف لن نتمكن من اللحاق بالركب العلميّ المسرع وسيتعمق تخلفنا الواضح.

وأخيراً، وقبل أن أنهي كلمتي هذه ونغادر دياركم الكريمة ولسان حالنا يقول لكم ولهذا الجمع الكريم إننا ملتزمون وكلنا إصرار على مضاعفة الجهود من أجل إعلاء لغة الضاد. ولا يخالجني أدنى شك أن مجمع اللغة العربية الليبيّ وهو آخر إضافة، على مستوى القطر الليبيّ والوطن العربيّ، سيكون رديفاً رائعاً لجهود نظائره من المجامع العربية، خاصة وقد كُلِّف بإدارة شؤونه عالم من منزلة الأستاذ الجليل الدكتور علي فهمي خشيم.

ختاماً، أشكر لكم حسن انتباهكم، ولكم منا جميعاً أسمى عبارات التقدير والاحترام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

برقية شكر وتقدير

السيد رئيس الجمهورية العربية السورية

الدكتور بشار الأسد حفظه الله

بمزيد من الفخر والاعتزاز يتقدم كل الأعضاء المشاركين في المؤتمر العاشر للتعريب، المنعقد في دمشق الفيحاء في الفترة من 10 إلى 15 جمادى الأولى 1423هـ الموافق 20 إلى 25 تموز " يوليو " 2002، في ختام أعمال المؤتمر، لسيادتكم، بأسمى آيات الشكر والتقدير، لاستضافتكم الكريمة للمؤتمر، ولرعايتكم الشاملة لأعماله، وما اشتملت عليه هذه الرعاية من تعبئة لكل الطاقات، وكرم ضيافة وحسن تنظيم، مما جعل أعمال المؤتمر تتكلّل بالنجاح التام.

إن انعقاد المؤتمر العاشر للتعريب بأرض الجمهورية العربية السورية الطيبة، ليعطي لحركة التعريب زخماً وتمكيناً، لما لهذا القطر الصامد من أياد بيضاء في مجال التعريب ونصرة القضايا القومية. ونحن بهذه المناسبة نُعرب عن اعتزازنا وتقديرنا لمواقف سورية الصامدة لا في مجال التعريب فحسب، وإنما أيضاً أمام ما تمر به الأمة العربية من أزمات ومحن، خاصة ما يتعرض له إخواننا في فلسطين، من غزو واحتلال وقتل وتشريد. ونرفع أصواتنا عالياً، من هذا المنبر العلميّ المجيد، لنؤكد دعمنا لكل المساعي التي يقوم بها قائد البلاد من أجل استرجاع الأراضي المغتصبة وتمكين الشعب الفلسطينيّ من تأسيس دولته المستقلة ، وعاصمتها القدس الشريف.

وفقكم الله لما فيه خير الأمة العربية، ودمتم لها ذخراً وسنداً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

كلمة الدكتور أحمد شفيق الخطيب

في الجلسة الختامية للمؤتمر

معالي وزير التربية الدكتور محمود السيد

سيادة نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

حضرة الأخ الموقر مدير مكتب تنسيق التعريب

أيها السيدات والسادة:

عُرسُ العربية هذا، في عَروس الوطن العربيّ سورية العروبة، بارقة أمل تتجدد بمستقبل العربية.

المشاركون في هذا العُرس تشرئب طموحاتهم لأن تحظى العربيةُ، على المستوى الرسميّ في سائر أنحاء الوطن العربيّ، بما تتوق قلوبُهم لرؤيته يتحقق — كما تحقق هنا في سورية. أليس إذا ما ذكر التعريب، في أيّ موقع أو منتدى أو مؤتمر في دنيا العرب، ذُكرت معه سوريا- سوريانا ؟،قلعة العربية المعتزة بالعربية والحريصة على سلامتها كرابط لعلّه لم يبق لنا — للأسف- سواء بين أبناء الأمة العربية وراياتها الاثنتين والعشرين- توحيداً لأفكارهم وصهراً لمشاعرهم.

سورية تبقى دوماً سوريانا — مُذ كنا فتيان الثلاثينيات والأربعينيات في القرن الماضي، ننشد مع الأخوين فليفل:

بلاد العرب أوطاني   من الشام لبغدان

أو من شبّ و لم يحمل سيفاً   ليذود به عن سورية

يموت فداها أو يحيا لا يحسب منها عربياً !

شُكرا لسورية الأسدين على بقائها

حصن العربية وحِصن العروبة وأمل العربية والعرب المُشْرِق

أيها السيدات والسادة

للأسف، العربية في بلاد العرب ما تزال تشكو من بذور الشك والريبة في نفوس أبنائها بها. اللغة العربية، نالت اعتراف العالم أجمع كلغة رسمية دولية إن كان في مجلس الأمن أو في المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم. لكنها، للأسف أيضاً،في وطنها وفي غالبية معاهد التعليم العالي في أقطارنا العربية هي اللغة الرسمية اسماً، الدُّونيةُ فعلاً.

كيف لا والطالب عندنا يرى مواد التدريس الرئيسية في مختلف العلوم وفروع الرياضيات تُدرّس باللغة الأجنبية، وأن مستقبله العلميّ والمهنيّ والاجتماعيّ مرهون باللغة الأجنبية.

والواقع أنّ الموقف هنا لا يقتصر على الطالب وحده، فهو إلى حدٍّ تأصَّل في لا وعي الأهل أيضاً، وأحياناً حتى في لا وعي الأساتذة وإدارات التعليم والتوظيف في كثير من القطاعات.

أحدُ وزراء التربية من بلد عريق في العروبة، كان يحضر حفلاً للسفارة الكورية في عاصمة بلده- وفي مجرى الحديث- سأل وزير التربية السفير الكوريّ:

بأيّ لُغة تُدرِّسون الطِبّ والعلوم في بلدكم؟

فلم يجبه السفير.

وكان برفقة الوزير مُرافق من عِلْية القوم- هو في الواقع راوي هذه الحادثة.

يقول المُرافق شعرتُ بالحرج لِتمنُّع السّفير عن الجواب، فكرَّرت أنا السؤال.

فنظر إليّ السفير قائلاً، وهل هذا سؤال يُسأل، بالكورية طبعاً !

السفير الكوريّ ربّما كان جافيَ الردّ، ولكنه كان محقاً في اعتبار أنه من السُّخف أن يعلّم الناس مواد العلوم أو يتعلموها، في بلادهم، بغير لُغتهم القومية.

يقولون إن اللغة الأجنبية ضرورية لمتابعة التخصص، إن الدراسة العلمية باللغة القومية ما كانت أبداً عقبة أمام متابعة التخصص الجامعيّ، وإلا كيف نُفسّر إنجازات الطلاب الألمان أو الطليان أو الصينيين أو المجريين أو سواهم ممن يتابعون دراساتهم في أمريكا أو فرنسا أو بريطانيا ! حتى الذين منهم يجهلون لغة التخصص فإن إعدادهم لذلك لا يستغرق عادة أكثر من سنة.

ويقولون، في معارضة تعريب العلوم، إن تدريس العلوم بلغة أجنبية ضروريّ لرفع مستوى أولئك الطلبة فيها. ويحتجون بأن التعريب يَحْرِمُ الطالبَ من التواصل المستمر مع مصادر تخصصه، وهذا مردود.

فالتعريب لا يعني، بحال من الأحوال، إهمال اللغة الأجنبية، بل على العكس، التعريب، وبخاصة تعريب العلوم، يفترض استمرارية التواصل باللغات الأجنبية على الطلاب كما على الأساتذة.

إنه لمن الأمور المضلّلة ربط قضية تعلُّم اللغة الأجنبية بقضية تعريب العلوم والرياضيات، فنحن مع تعلم اللغات الأجنبية وإتقان واحدة منها على الأقل بمستوى رفيع يضمن تواصل المتعلم لاحقاً بالعالم الخارجيّ علمياً وثقافياً واجتماعياً.

إن أهمية اللغة الأجنبية للطلاب ولدراساتهم اللاحقة مستقبلاً، أمر لا خلاف فيه ولا عليه. ولعلّي أقول فيه : إنه قضية حق يُراد بها باطل.

فإتقان اللغة الأجنبية يتم بأساليب معروفة، من أهمها رفع مستوى من يقومون بتدريسها، وكذلك بتحسين وسائل تعليمها وزيادة حصص تدريس تلك اللغة وإسماعها للطلاب بالنطق الصحيح والسليم.

إن اللغة الإنجليزية اليوم تجتاح العالم، وهي تحتل المرتبة الأولى بين اللغات التي تدرس كلغة ثانية. ولكنا لا نعرف بلداً واحداً، في غير العالم العربيّ، أقدم أو حتى فكّر أو عمل على تدريس مواد العلوم والرياضيات بغير لغته القومية- من فرنسا إلى الصين واليابان والبرازيل وكوريا وألبانيا وفيتنام وإسرائيل- ولعله في بلاد الماوماو أيضاً.

ويا ليت المشككين والمتقاعسين يعتبرون بالإنجاز الرائع الحيّ الذي حققه روّاد التعريب من أساتذة المعهد الطبيّ في دمشق أمثال مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط وصلاح الدين الكواكبي وحسني سبح، ويتواصل حالياً بنجاح مستمر مرموق بهمة الأماجد الذين نجحوا في تحدّي صعوبات تعليم العلوم وتجاوزها.

وإذا أردنا العبرة من خارج الوطن العربيّ فلنعتبر بما حققه اليابانيون، وهم مزامنون لنا في الصّحوة الحضارية، منذ انطلقت بعثاتهم إلى الغرب فنقلوا العلم إلى اليابانية وحققوا، بتوطينه واستنباتة في بيئتهم، ما تعرفون من جبروت الحضارة اليابانية مع المحافظة على اللغة والتراث والكرامة.

وعذراً إن أنا استشهدت بالجامعة العبرية (وسائر الجامعات العبرية اليوم) التي راحت منذ بدأت تُدرس مختلف مواد العلوم بالعبرية.

وعذراً لو قارنت الجامعة العبرية في القدس بأيّ من جامعاتنا التي تأسست في الوقت نفسه. وكم كنت أتمنى لو أن أحداً يُطمئنني إلى أن إنجازات خريجي أعرق جامعاتنا هذه التي اتخذت (طوعاً أو كرهاً) اللغة الإنجليزية كلغة لتدريس مختلف مواد العلوم منذ تأسيسها، تقارن إيجابياً في أيّ مجال علميّ أو تقنيّ أو طبيّ بإنجازات مُزامنتها تلك التي تُدرس كل مواد العلوم والتقانات باللغة العبرية.

التعريب يا سادتي ضرورة علمية، وهو أيضاً ضرورة حضارية تنموية للإنسان العربيّ وتفكيره، تقتضي عضونة العلم وتأصيله باللغة العربية في الوطن العربيّ. وإلا كيف يصل العلم إلى الفلاّح والنجّار والبنّاء والحدّاد والصانع وسائق السيارة وغيرهم من أفراد المجتمع.

والتعريب كذلك ضرورة قومية يقتضيها ترابطنا أفقياً كأمة، أو على الأقل كشعوب، على مدى الوطن العربيّ، ويقتضيها ترابطنا عمودياً مع تاريخنا وجذورنا وتُراثنا وعروبتنا.

والتعريب حتى يتجاوز كل ذلك لأنه قضية كرامة- كرامة لغة وكرامة أمة.

المجال لا يحتمل التطويل لكن، اعترافاً بالفضل، لا بد لي من تقديم الشكر الجزيل باسمنا جميعاً في هذا المؤتمر من مختلف أرجاء الوطن العربيّ إلى سورية الحبيبة حكومةً وشعباً ومؤسسات.

وأخصّ فخامة رئيس الجمهورية النابه بشار حافظ الأسد، ورئيس حكومته الرشيدة دولة الأستاذ محمد مصطفى ميرو، ومعالي وزير التربية الدكتور محمود السيد، على ما لقيناه في كنفهم من رعاية واستضافة حاتمية وتشجيع آمالي في أن يُحذوا كل مسؤولو التربية والتعليم في العالم العربيّ حذوهم لخير الإنسان العربيّ وخير الوطن العربيّ.

كما أشكر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ممثلةً بسيادة نائب المدير العام الدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبل. وأخيراً، وليس آخراً مكتب تنسيق التعريب وأجهزته، وبإشراف وقيادة وتوجيهات سيادة الأخ الموقر الدكتور عباس الصوري.

ولا ننسى فضل أمين اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم ومدبر أعمالها الأستاذ لطوف العبد الله، وشكراً أيضاً للزملاء جميعاً الذين أسهموا في هذا العُرس الحضاريّ للغة العربية وجميع من عملوا على إنجاحه.

شكراً لكم.

كلمة السيد نائب المدير العام للمنظمة في الجلسة الختامية للمؤتمر

الدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبل

معالي الأستاذ الدكتور محمود السيد، وزير التربية

الإخوة الأفاضل الأخوات الفاضلات

السادة رؤساء المجامع اللغوية والعلمية العربية،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

لقد مر الوقت سريعاً بيننا وهكذا هو الوقت بين الأخوة والأحبة... خاصة إذا ما كان المكان رائعا وجذاباً بدمشق م؟؟ العلم والآداب والإبداع والنضال ويسعدنا سوياً بما ساد هذا المؤتمر من أجواء اتسمت بروح الأخوة والجدة في العمل والعمق في الطرح والنقاش ؟؟ التي مكنت من إنجاح مداولاتنا.. فهنيئاً لكم ولنا هذا النجاح المتميز الذي يصب في خدمة قضايا التعريب التي انشغلتم بها عقوداً من الزمن جعلها الله في موازن أعمالكم.

أيها الإخوة والأخوات

إن نجاح هذا المؤتمر يعزى لأسباب عدة أولها الدعم اللامحدود الذي قدمته الجمهورية العربية السورية لإنجاح هذه التظاهرة الثقافية المهمة فالشكر كل الشكر لسوريا رئيساً وحكومةً وشعباً متمنيين لهم كل النجاح والتوفيق والسداد. **والسبب الثاني** لنجاح هذا المؤتمر هو الإعداد العلمي الجيد الذي سبق انعقاد المؤتمر والتنسيق المحكم لأعماله بين الأطراف المعنية بشأن التحضير للمؤتمر وأخص هنا اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم، وعلى رأسها معالي الأستاذ محمود السيد ومعاونيه وأخصُ منه الأستاذ لطوف العبد الله. أما السبب الثالث لإنجاح هذا المؤتمر فهو إسهاماتكم الجادة وعطاءاتكم المتميزة التي أوصلتنا إلى ما أوصلتنا إليه من رؤى ولأفكار مضمنة في التقرير الختامي لهذا المؤتمر.

أيها الإخوة أيتها الأخوات

إن المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم التي وضعت مسألة العناية باللغة العربية والتعريب في أولى سلم أولوياتها تستظل وفية ومخلصة لهذه المسألة نظراً لإيماننا العميق بأن هذه المسألة تعد من القضايا القومية الاستراتيجية الكبرى وجزءا لا يتجزأ من؟ الثقافي للأمة.

وفي هذا الإطار أنقلُ إليكم عبارات الشكر والتقدير والتحية من لدن معالي المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الأستاذ الدكتور المنجي بوسنينة الذي كان متابعا بصورة مستمرة لأعمال هذتا المؤتمر وفعالياته وأسعده ما توصلتم إليه من رؤى وأفكار ستكون محل عناية المنظمة واهتمامها.

أيها الإخوة أيتها الأخوات

لا أود أن أطيل عليكم خاصة وإن البعض منكم على أهبة الاستعداد للسفر ولكن قبل أن أختم لا بد لي من توجيه خالص الشكر والتقدير والامتنان لفخامة رئيس الجمهورية العربية السورية السيد بشار الأسد،

وحكومته؟ والشعب السوري النبيل على كريم عنايتهم بالمنظمة وعلى ما بذلوه من ضيافة كريمة ودعـم غـير محدود لإنجاح هذا المؤتمر، وتحية خاصة للسيد مصطفى ميرو رئيس مجلس الوزراء الذي شمل هذا المؤتمر برعايته وعنايته فله منا كل الشكر والتقدير. وتحيـة خاصـة لصديقنا الأستاذ الدكتور محمود السيد وزيـر التربيـة ورئيس هذا المؤتمر الذي كان لتجربته التربية وحكمتـه وحسن قيادته أكبر الأثر في إنجاح المؤتمر. والشكر كل الشكر لكل من ساهم أو عاون بصورة مباشرة أو غير مباشرة في إنجاح المؤتمر. والشكر والتقدير لكم جميعـاً لتلبية الدعوة وتجنبتم عناء السفر داعين لكـم جميعـاً بالتوفيق والسداد. والله يحفظكم ويرعاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة السيد وزير التربية السوريّ
في الجلسة الختامية للمؤتمر

الأخ الدكتور عبد العزيز السنبل نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

العلماء الأفاضل:

أيتها السيدات، أيها السادة، أعضاء المؤتمر العاشر للتعريب.

يطيب لي، في اختتام أعمال المؤتمر العاشر للتعريب، أن أتوجه إليكم بالشكر الجزيل على الجهود التي بذلتموها، وعلى الروح الطيبة التي سادتْ أجواء المؤتمر، والمناقشات الغنية التي سلطت الأضواء على جوانب الموضوع الذي بحثه المؤتمر والمتعلق بقضايا التعريب عامة، والتعليم العالي خاصة.

كما أشكر جزيل الشكر، الجهود التي بذلها أعضاء اللجان في إبداء ملاحظاتهم على المعاجم الخمسة التي أعدها مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والمقدمة إلى هذا المؤتمر، وللمكتب وللمنظمة أسمى آيات الشكر والتقدير.

والشكر ممتد إلى لجنة الصياغة والمقرر العام، على الجهود التي بذلوها في مواكبة النقاشات، وصوغ التقرير الختاميّ على الصورة التي تبدت أمامكم.

كما أن الشكر ممتد إلى الجنود المجهولين من أعضاء اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم على جهودهم الخيرة في الترتيب والتنظيم وإنجاز طباعة أوراق المؤتمر وتقاريره.

والشكر ممتد أيضاً إلى رجال الإعلام الذين عملوا جاهدين على نشر بعض من أعمال المؤتمر عبر الكلمة المسموعة والمقروءة والمرئية.

أيتها السيدات، أيها السادة أعضاء المؤتمر

جميل جداً أن نطّلع على تاريخ حركة التعريب وعلى إسهامات المجمعيين من قبل، وعلى إسهامات أساتذة الجامعات، وأن نتخذ الدروس والعبر من سيرة رجالات التعريب في قوة إرادتهم وصدق انتمائهم.

ولكن الأجمل أن نقدم نحن حالياً شيئاً عملياً في مجال التعريب، وأن نكمل البناء الذي شيدوه على أسس من الانتماء إلى أمتهم والإيمان العميق بخدمة لغتها، والتصميم على تذليل كل العقبات التي تقف حائلاً دون تحقيق أهدافها، يزين ذلك كله إرادة قوية، وعزيمة جبارة على مواجهة التحديات.

إن التجربة السورية في التعريب تجربة جديرة بالاقتداء، لقد كانت سورية، ماضياً وحاضراً وتوجهاً نحو المستقبل، حريصة على الالتزام باستخدام لغتها، وعدّت ذلك أمراً بديهياً وطبيعياً أن يلتزم المرء باستخدام لغته الأم، لغته القومية، رمز كيانه وهويته الشخصية وذاتيته الثقافية.

أما الشيء غير الطبيعيّ، ويبدو نشازاً وأيّ نشاز، أن يتخلى العربيّ عن لغته القومية في الجامعات العربية، متذرعاً بحجج واهية لا يقبلها عقل، ولا يستسيغها أي

منطق، ليحاضر ويبحث ويؤلف باللغات الأجنبية في منأى عن استخدام العربية.

إن الحرص على سلامة اللغة وصفائها ونقائها أمر يستلزمه الإحساس القوميّ النبيل تجاه الأمة، وما دامت اللغة المقوم الأساسيّ للكيان القوميّ، كان لا بد من الحفاظ على هذا المقوم ضد ما يتعرض له من هجمات خارجية وداخلية، خارجية من هجمة اللغات الأجنبية عليه في ظلال العولمة، وداخلية من هجمة العامية التي تعد عامل تجزئة وتفرقة بين أبناء الأمة.

ولنتعظ من الآخرين مرة أخرى، ولنستمع إلى ما دعا إليه الرئيس الأندونيسيّ "سوهارتو" من حيث عدم الخلط بين اللغة الأم واللغات الأجنبية الأخرى، في إطار التخاطب والتواصل اللغويّ اليوميّ قائلاً "إن الكثير من العبارات والكلمات الأجنبية، أصبح يشكل تهديداً للغة الباهاما – وهي اللغة الأصلية والرسمية للبلاد– وهذا يشكل تهديداً للهوية الوطنية للشعب الأندونيسيّ "، وأضاف: " إن التقدم في العلوم والتقانة يتطلب من الأندونيسيين إتقان لغات أجنبية، ولكن ذلك يجب ألا يتم على حساب اللغة الأندونيسية الأم".

وكان "هوشي مينه" من قبل قد دعا أبناء قومه إلى الحفاظ على صفاء اللغة الفيتنامية قائلاً: " حافظوا على صفاء لغتكم حفاظكم على صفاء عيونكم، حذار من أن تستخدموا كلمة أجنبية في مكان بإمكانكم أن تستخدموا فيه كلمة فيتنامية".

أيتها الأخوات، أيها الإخوة:

إن سورية، الوفاء والانتماء، ستبقى كعهدكم بها أمينة على الحفاظ على قيم أمتها وقضاياها المصيرية العادلة، كما هي وفية لهوية الأمة ورمز كيانها، متمثلاً في لغتها، وستبقى تجربتها الرائدة في التعريب بين أيدي المخلصين من أبناء هذه الأمة، المعتزين بتراث أمتهم المجيد وحضارتها العريقة، والساعين إلى استنبات العلم عربياً على النحو الذي كانت عليه أمتهم إبّان ألقها الحضاريّ، و ما كانت عليه لغتهم، تمثلاً واستيعاباً، وقدرة فائقة على وضع المصطلحات وتوليدها بكل سهولة وكفاية واقتدار.

إننا ونحن نختتم أعمال مؤتمرنا بحاجة إلى خطة واضحة ومحددة وبرنامج زمنيّ للتنفيذ، حتى لا تبقى حكاية تعريب التعليم العالي حكاية طويلة من غير حدود ولا مساءلة، وأدعو المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى تأليف لجنة للمتابعة، تنبثق عن هذا المؤتمر بإشراف المنظمة، وأن يكون ثمة توجه إلى من بيدهم القرار من المسؤولين عن التعليم العالي في الدول العربية، بغية تنفيذ التوصيات.

أكرر الشكر الجزيل لكم أيها السادة العلماء، وإذا كان قد بدا منا أيّ تقصير فأرجو أن تغفروه لنا، والكريم من يغفر، وما كنتم إلا كرماء ونبلاء.

أتمنى لكم عودة ميمونة إلى أقطاركم، وحياة ملؤها الصحة والعافية والسعادة والهناء والعطاء العلميّ المتجدد خدمة للتعريب، وبالتالي خدمة لأمتكم.

وفقنا الله جميعاً لما فيه خيرُ أمتنا وعزها وتقدمها وارتقائها.

رافقتكم السلامة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجمهورية العربية السورية
وزارة التربية
اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
مكتب تنسيق التعريب

قائمة

بأسماء وعناوين المشاركين في المؤتمر للتعريب العاشر

دمشق 20 ـ 2002/7/25

الدولة المشاركة	اسم المشارك	الهيئة	الوظيفة	العنوان البريدي
المملكة الأردنية الهاشمية	أ.د.عبد الكريم عبدالرحمن خليفة	مجمع اللغة العربية الأردني	رئيس مجمع اللغة العربية الأردني	مجمع اللغة العربية الأردني ص.ب 13268-الرمز البريدي 11942-عمان مكتب:01 35 34 5 منزل: 70 30 34 5 فاكس : 64 70 35 5
	أ.د. سليمان محمد خلف الخليل	الجامعة الأردنية	عميد كلية الدراسات العليا ـ الجامعة الأردنية- ممثل الدولة	كلية الدراسات العليا -الجامعة الأردنية ـ عمان مكتب:(3150)000 55 53 منزل:78 42 23 5 فاكس : 76 61 533-06
	أ.د.أحمد دويدار عبده البسيوني	اتحاد الجامعات العربية	الأمين العام المساعد لاتحاد الجامعات العربية (معد البحث)	اتحاد الجامعات العربية ص.ب401 الجبيهة 11941 عمّان 00 96 26 5 35 99 61 فاكس : 5332994
	أ.د.محمود عبد الرحمن سعيد قصراوي	الجامعة الأردنية	عضو هيئة تدريس/أستاذ	الجامعة الأردنية/كلية الزراعة ـ عمّان مكتب: 5355000 26 96 00 منزل: 02 96 962 فاكس : 77 555 53-6-962

الدول المشاركة	اسم المشارك	الهيئة	الوظيفة	العنوان البريدي
المملكة الأردنية الهاشمية (تابع)	أ.د.حامد رياح حامد تكروري	الجامعة الأردنية	أستاذ جامعي – ممثل الجهة التي أعدت مشروع معجم تقانات الأغذية	قسم التغذية والتصنيع الغذائي/كلية الزراعة/ الجامعة الأردنيةــ عمّان مكتب:000 55 53 منزل:68 98 23 5 فاكس : 68 98 23 5
	أ.د.محمد بركات أبو علي	الجامعة الأردنية	أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها- عضو وفد	قسم اللغة العربية ــ الجامعة الأردنية مكتب : 5335000/3709
	أ.د.محمد إبراهيم حور	الجامعة الهاشمية	رئيس قسم اللغة العربية وآدابها	قسم اللغة العربية – كلية العلوم والآداب/الجامعة الهاشمية – عمان مكتب :0 66 82 3 25 96 00 منزل:64 86 35 5 26 96 00 فاكس : 64 86 35 5 26 96
مملكة البحرين	د.هشام عبد الله العوامي		صيدلي أول -ممثل الدولة	إدارة الصيدلة ومراقبة الأدوية/وزارة الصحة - البحرين مكتب07 92 27 منزل 94 08 62 فاكس : 57 93 25
الجمهورية التونسية	أ.د.محمد رشاد الحمزاوي	الجامعة التونسية	أستاذ جامعي	نهج عزوز الرباعي زنقة(5) فيلا 8 المنار الثاني- تونس مكتب:93 20 00216/71/88
	د.عبد اللطيف بن عبد الرحمن عبيد	المعهد العالي للغات/ جامعة تونس	أستاذ جامعي – مدعو	المعهد العالي للغات- حي الخضراء-تونس1003 مكتب 60 96 71/77 16 02 منزل:87 50 71/75 16 02 فاكس : 34 01 71/77 216
	د. الحبيب دلالة	وزارة التعليم العالي	عميد كلية العلوم الإنسانية- ممثل الدولة	كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس مكتب/840/ 32 90 56 71 منزل:15 81 33 98 فاكس : 51 75 56 71

الدول المشاركة	اسم المشارك	الهيئة	الوظيفة	العنوان البريدي
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية	د.عبد الرحمن الحاج صالح	المجمع الجزائري للغة العربية	رئيس المجمع الجزائري للغة العربية	06- شارع العقيد بوقرة – الجزائر مكتب:80 07 23 21 213 منزل:55 92 91 21 213 فاكس : 81 07 23 4 43
	د.صالح بلعيد	المجلس الأعلى للغة العربية	أستاذ جامعي- عضو المجلس الأعلى للغة العربية	6 شارع العقيد بوقرة ـــ الأبيار ـــ الجزائر منزل:99 15 21 26-213 فاكس : 99 15 21 26 –213
	د.محمد العربي ولد خليفة	المجلس الأعلى للغة العربية	رئيس المجلس الأعلى للغة العربية	6 شارع العقيد بوقرة ـــ الأبيار ـــ الجزائر مكتب:230709 منزل:230711
	الطاهر بلال	المجمع الجزائري للغة العربية	أمين عام المجمع الجزائري للغة العربية – عضو المجلس الأعلى للغة العربية	6 شارع العقيد بوقرة ـــ الأبيار ـــ الجزائر مكتب:78 07 23 21-213 منزل:51 33 48 فاكس : 83 07 23 2121
المملكة العربية السعودية	د.أحمد بن عبد القادر المهندس	جامعة الملك سعود	أستاذ	كلية العلوم ـــ جامعة الملك سعود الرياض ص.ب 2455 المملكة العربية السعودية مكتب:12 62 67 4 61 96 منزل:98 30 68 4 61 96 فاكس : 96614676214
	د.سعد محمد الحريفي	جامعة الملك فيصل	نائب رئيس الجامعة (ممثل الدولة)	المفوف ص.ب (422) المملكة العربية السعودية مكتب:76 17 80 35 966
	د.اسماعيل بن محمد البشري	جامعة الملك خالد	وكيل جامعة الملك خالد (ممثل الدولة)	أبها ص.ب (418) المملكة العربية السعودية مكتب:72 11 29 2-7 منزل:40 84 29 2-7 فاكس : 92 13 29 2-7
	د. سعيد بن محمد بن عبد الله القرني	جامعة أم القرى	عضو هيئة تدريس (ممثل الدولة)	مكة المكرمة ـــ العوالي ص.ب 13732 المملكة العربية السعودية مكتب:12 12 28 5 منزل:75 18 59 5 فاكس : 75 18 59 5

الدول المشاركة	اسم المشارك	الهيئة	الوظيفة	العنوان البريدي
المملكة العربية السعودية (تابع)	د. سليمان ابراهيم العايد	جامعة أم القرى	أستاذ ورئيس قسم الدراسات العليا (ممثل الدولة)	مكة المكرمة ص.ب (6113) المملكة العربية السعودية مكتب: 83 39 57 25 966 منزل: 37 06 28 25 966 فاكس : 59 16 28 25 966
	د.غنيم بن غانم بن عبد الكريم الينبعاوي	جامعة أم القرى	أستاذ مساعد (ممثل الدولة)	مكة المكرمة ص.ب (875) المملكة العربية السعودية مكتب: 12 12 28 5 منزل: 47 22 20 5 فاكس : 47 22 20 5
	د.عوض بن معيوض زويد الجميعي	جامعة أم القرى	أستاذ مشارك (ممثل الدولة)	مكة المكرمة ص.ب (6231) مكتب 12 12 28 5 2-966 منزل: 90 38 566 2-966 فاكس : 58 39 566 2-966
	عبد الله ابراهيم عبد الله السعادات	جامعة الملك فيصل	مدير مركز الترجمة والتأليف والنشر -ملاحظ	ص.ب 925 الهفوف ــ السعودية 31982 مكتب :64 24 81 5 3 966 منزل: 78 50 80 5 3 966 فاكس : 64 24 518 3 966
	د. حامد أحمد سعد الشنبري	جامعة أم القرى	رئيس قسم لغات الشعوب الإسلامية (ممثل الدولة)	مكة المكرمة ص.ب (7535) مكتب 12 12 28 5 منزل 43 09 28 5 فاكس : 36 43 54 5
جمهورية السودان	أ.د.حسن أبو شيبة بابكر	جامعة أمالي النيل	أستاذ جامعي (ممثل الدولة)	السودان ــ الخرطوم ــ أم درمان منزل 1/892-1 منزل 48 42 56
	أ.د.يوسف حسن عبد الرحيم	كلية الهندسة	عميد كلية الهندسة (ممثل الدولة)	الخرطوم – السودان – ص.ب (12304) مكتب:16 65 77 منزل:5 9 69 22

الدول المشاركة	اسم المشارك	الهيئة	الوظيفة	العنوان البريدي
جمهورية السودان (تابع)	أ.د.محمد طه شقدي	جامعة الخرطوم	عميد كلية الطب البيطري (ممثل الدولة)	الخرطوم البحري ص.ب (32) مكتب: 02 01 31 منزل: 74 21 31 فاكس : 38 26 31
	أ.د.دفع الله عبد الله الترابي	الهيئة العليا للتعريب	رئيس الهيئة العليا للتعريب أستاذ بكلية الهندسة /جامعة الخرطوم (ممثل الهيئة العليا للتعريب)	ص.ب 2081 الخرطوم مكتب:72 29 78 منزل: 52 21 27-11-249 فاكس : 54 76 77-11-249
الجمهورية العربية السورية	أ.د.شاكر الفحام	مجمع اللغة العربية بدمشق	رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق	ص.ب (321) دمشق
	أ.د.م.غسان حلبوني	المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر	مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر- معد بحث	ص.ب 3752 دمشق مكتب: 76 48 333 منزل: 14 17 312 فاكس : 98 09 333
	أ.د.موفق دعبول	جامعة دمشق	أستاذ في كلية العلوم- مشارك في إعداد بحث	جامعة دمشق
	أ.د.خضر الأحمد	جامعة دمشق	أستاذ في كلية العلوم- مشارك في إعداد بحث	جامعة دمشق
	أ.د.هاني مرتضى	جامعة دمشق	رئيس جامعة دمشق- معد بحث ومدعو لتكريم الجامعة	دمشق ـــ رئاسة جامعة دمشق ـــ البرامكة مكتب:2232152
	د.م.أحمد عمر يوسف	جامعة دمشق	أستاذ الهندسة الإلكترونية- ممثل الجهة التي أعدت مشروع معجم الحرب الإلكترونية	حرستا البصل-دمشق منزل 60 00 31 5 فاكس : 17 29 532
	د.شحادة الخوري	جامعة دمشق	مدير التأليف والترجمة والنشر بوزارة التعليم العالي (سابقاً)	دمشق -المزة- فيلات شرقية فارابي7رقم43ص.ب3577 منزل 6132521 فاكس : 6003764

الدولة المشاركة	اسم المشارك	الهيئة	الوظيفة	العنوان البريدي
الجمهورية العربية السورية (تابع)	د.مصطفى عبيسي	جامعة دمشق	أستاذ جامعي – ملاحظ	دمشق ص.ب 2440 منزل 7543039 فاكس : 5743063
	د.عبد الله واثق شهيد	مجمع اللغة العربية بدمشق	أمين مجمع اللغة العربية بدمشق- ممثل المجمع	مجمع اللغة العربية ص.ب 321 دمشق
	د.عبد الحليم سويدان	مجمع اللغة العربية	عضو مجمع اللغة العربية بدمشق- ممثل المجمع	31 شارع زيد بن الخطاب –منطقة المزة /3/ حي الفيلات الغربية 7 منزل 71 26 11 6
	د.غياث سمينة	جامعة دمشق	أستاذ جامعي- عضو وفد الدولة	ص.ب (9198)دمشق مكتب 41 33 13 5 منزل 36 74 11 6 فاكس : 29 74 611
	د.محمد أبو حرب	هيئة الموسوعة العربية– جامعة دمشق	أستاذ جامعي — رئيس قسم العلوم التطبيقية في هيئة الموسوعة العربية- عضو وفد الدولة	هيئة الموسوعة العربية — الروضة — دمشق (وزارة التعليم العالي سابقاً) مكتب 12 31 96
	د.حسن خاروف	المجلس الأعلى للعلوم	أستاذ جامعي- عضو وفد الدولة	كلية العلوم — جامعة دمشق — قسم البيولوجيا منزل96 42 32 3
	أ.د. هشام قطنا	جامعة دمشق	أستاذ جامعي وخبير في هيئة الموسوعة العربية- ممثل المجمع	هيئة الموسوعة العربية — الروضة — دمشق (وزارة التعليم العالي سابقاً) منزل 95 30 333
	د. ابراهيم عبد النور		اختصاصي للبرنامج المشترك WHO/UNDP- ملاحظ	دمشق/ ساحة التحرير بناء رقم 6
	أ.د. محمد مكي الحسني الجزائري	مجمع اللغة العربية بدمشق	أستاذ في قسم الفيزياء بجامعة دمشق (سابقاً) – ممثل المجمع	مجمع اللغة العربية — دمشق
	د. كرم عودة	جامعة دمشق	رئيس المجلس الأعلى للعلوم - عضو وفد الدولة	

الدول المشاركة	اسم المشارك	الهيئة	الوظيفة	العنوان البريدي
الجمهورية العربية السورية (تابع)	د. دارم طباع	جامعة دمشق	أستاذ جامعي	
	د.إحسان النص	مجمع اللغة العربية بدمشق	نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق	ص.ب 321 دمشق
	د. زهير البابا	مجمع اللغة العربية	أستاذ وعميد كلية الصيدلة بدمشق (سابقاً)	دمشق ـــ المزة ص.ب (16027) مكتب:19 44 11 6
جمهورية العراق	د.أحمد مطلوب الناصري	المجمع العلمي العراقي	أمين عام المجمع العلمي العراقي	المجمع العلمي العراقي ص.ب 4023 بغداد مكتب90 85 22 4 منزل 34 58 555 فاكس : 23 45 25 4-1 –964
	د.مؤيد حسن عبد الرحيم	جامعة الموصل	أستاذ في كلية الطب- عضو وفد الدولة	المجمع العلمي العراقي ص.ب4023ـــ بغداد مكتب 4008590 منزل:47 06 81 فاكس : 4254523
	د.منذر نعمان بكر التكريتي	المجمع العلمي العراقي	أستاذ جامعي وعضو المجمع العلمي	بغداد -شارع حيفا ص.ب(7329) مكتب 27 50 22 4 منزل 22 78 37 5 فاكس : 22 78 37 5
سلطنة عمان	د.مسلم بن علي بن سالم المعني	جامعة السلطان قابوس	أستاذ مساعد- ممثل الدولة	ص.ب(42) جامعة السلطان قابوس كلية الآداب ـــ مسقط مكتب 10 56 51
دولة الكويت	د.حسن علي حجي طاهر المسري	جامعة الكويت	أستاذ مساعد- ممثل الدولة	جامعة الكويت ـــ كلية الآداب ـــ قسم التاريخ ص.ب5969 الرمز البريدي 13060 الكويت مكتب 60 01 83 4 منزل:60 33 54 2
الجمهورية اللبنانية	د.هنري أنطوان عويس	مدرسة الترجمة / بيروت /جامعة القديس يوسف	مدير مدرسة الترجمة ـــ بيروت- ممثل الدولة	طريق الشام ص.ب (175208) مار ميخائيل1104202 0 مكتب56 14 61 منزل 33 42 91 فاكس : 60 13 61
	أ.لينا صادر الفغالي	مدرسة الترجمة / بيروت / جامعة القديس يوسف	مديرة مركز الدراسات والأبحاث في المصطلحات العربية- ممثل الدولة	ص.ب 208-175 بيروت مكتب: 56 14 61 /01 منزل: 02 48 32/01 فاكس : 60 13 61/01

الدولة المشاركة	اسم المشارك	الهيئة	الوظيفة	العنوان البريدي
الجمهورية اللبنانية (تابع)	أ.د.أحمد شفيق الخطيب	دائرة المعاجم مكتبة لبنان	رئيس دائرة المعاجم ـــ مكتبة لبنان	ص.ب 11/945 بيروت ـــ لبنان مكتب:3.2.21 68 38 منزل: 01/74 85 58 فاكس : 09611/37 68 18
	أ.رنا الحكيم بكداش	مدرسة الترجمة / بيروت /جامعة القديس يوسف	مديرة مركز الأبحاث والدراسات العربية - ممثل الدولة	شارع مار ميخائيل / 11042020 ص.ب (5208 ـــ 17) بيروت لبنان مكتب 56 14 61-01 فاكس : 60 13 61- 01
	أ. مي حبيقة الحداد	مدرسة الترجمة / بيروت /جامعة القديس يوسف	رئيسة شعبة التدريب المتواصل في مدرسة الترجمة ببيروت- ممثل الدولة	طريق الشام ص.ب (175208) مار ميخائيل 11042020 بيروت مكتب 56 14 61 منزل 74 36 91 4 فاكس : 60 13 61
	أ. جينا الياس أبو فاضل	جامعة القديس يوسف	رئيسة شعبة الترجمة التحريرية في مدرسة الترجمة- ممثل الدولة	طريق الشام ص.ب(175208) مار ميخائيل –بيروت (11042020) بيروت مكتب 56 14 61 منزل 12 94 22 فاكس : 60 13 61
الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى	د. علي فهمي خشيم		رئيس مجمع اللغة العربية- ممثل المجمع	ص.ب 551 - ميدان الجزائر ـــ طرابلس مكتب 40728 منزل 15401 فاكس : 40126
	د.شعيب يونس آدم المنصوري	الجامعة	أمين اللجنة الشعبية لشعبة القبة- ممثل الدولة	اللجنة الشعبية / القبة مكتب 32 72 63 84 0 منزل: 37 39 63 84 0
	د.مصطفى محمد أبو شعالة	مجمع اللغة العربية	عضو هيئة تدريس- عضو الوفد	جامعة مصراتة/ كلية الآداب مكتب: 78 57 61 منزل: 32 41 61 فاكس : 13 96 62

الدولة المشاركة	اسم المشارك	الهيئة	الوظيفة	العنوان البريدي
الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى (تابع)	د. إبراهيم محمد أبو فروة	عضو هيئة تدريس جامعي	أمين الجامعة المفتوحة- ممثل الدولة	ص.ب 13375 طرابلس مكتب 07 55 62 14 منزل 42 38 50 43 فاكس : 07 55 62 14
	د. أنيس أبو بكر الغرياني	جامعة قاريونس/كلية الطب	أستاذ مشارك- ممثل الدولة	بنغازي ص.ب (7853) البركة مكتب 38 02 09 9 منزل77 75 22 2
	عبد السلام محمد العتيري بريش	اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم	أمين شعبة المنظمة الإسلامية باللجنة الليبية للتربية والثقافة والعلوم -ممثل الدولة	عمارة شركة فروة- الظهرة ــ طرابلس ص.ب (1091) ليبيا مكتب10 25 34 13 منزل 26 11 90 14 فاكس : 89 44 33 3
جمهورية مصر العربية	د. محمود حافظ إبراهيم	مجمع اللغة العربية بالقاهرة	نائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة- رئيس الوفد وممثل المجمع	شارع عزيز أباظة ــ الزمالك ــ القاهرة مكتب 31 59 45 7 منزل 4153310 فاكس : 7355931
	د. عبد الحافظ حلمي محمد	مجمع اللغة العربية بالقاهرة	أستاذ بكلية العلوم ــ جامعة عين شمس ــ القاهرة -ممثل المجمع	16 شارع مصطفى النحاس ــ مدينة نصر ــ القاهرة منزل 2707237 فاكس : 2756202
	د.نبيل علي محمد عبد العزيز	مؤسسة هندسة اللغة العربية	مدير مؤسسة هندسة اللغة العربية ــ القاهرة- معد بحث	8 شارع السعادة / روكسي / مصر الجديدة 11341 بريدة مكتب 97 30 39 6 منزل 74 67 56 2 فاكس : 97 30 39 6
	أ.د. محمد يونس عبد السميع الحملاوي	جامعة الأزهر ــ كلية الهندسة	أستاذ هندسة الحاسبات - مدعو	5 شارع سليمان محمد أباظة الحي الثاني ــ مصر الجديدة ــ القاهرة مكتب41 08 34 6 منزل 65 14 32 6 فاكس : 3477446

الدولة المشاركة	اسم المشارك	الهيئة	الوظيفة	العنوان البريدي
جمهورية مصر العربية (تابع)	د. عاطف عبد العزيز نصار	جمعية لسان العرب	رئيس جمعية لسان العرب- مدعو	2 شارع أفلاطون مصر الجديدة — القاهرة 11361 مكتب 41 79 15 4 فاكس : 3608873
	أ.د. أحمد مختار عمر عبد الحميد عمر	جامعة القاهرة	أستاذ بقسم علم اللغة— كلية دار العلوم جامعة القاهرة- مدعو	22شارع هارون — ميدان المساحة — الدقي — الجيزة — القاهرة مكتب 3380073 منزل 3363457 فاكس : 73 00 38 3
	د. قاسم طه السارة	منظمة الصحة العالمية	مسؤول البرنامج العربي والمصطلحات- ملاحظ	شارع عبد الرزاق الشهوري ص.ب 7608 مدينة نصر — القاهرة 11371 هاتف : 17 50 76 2 فاكس : 6702492
المملكة المغربية	د. محمد غاليم	معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط	كاتب عام معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط -ممثل الدولة	معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ص.ب 62165(المعاهد) الرباط أكدال مكتب 7773012 فاكس : 65 20 777
	د. عز الدين البوشيخي	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	أستاذ جامعي- مدعو	إقامة ابن سينا Iعمارة دال /D الشقة 7 مكناس مكتب88 70 53 55 منزل55524056 فاكس : 56 40 52 55
	د. علي القاسمي	مكتب تنسيق التعريب	خبير غير متفرغ في مكتب تنسيق التعريب -معد بحث	372شارع الدار البيضاء -شاطئ الهرهورة - تمارة 12000 المغرب مكتب 22 24 77 37 منزل037610058 فاكس : 037610048
	د.محمد بنشريفة	أكاديمية المملكة المغربية	عضو أكاديمية المملكة المغربية- ممثل الأكاديمية	ص.ب 5062 الرباط السويسي منزل 7755284 فاكس : 037755178

الدولة المشاركة	اسم المشارك	الهيئة	الوظيفة	العنوان البريدي
المملكة المغربية (تابع)	د.أحمد رمزي	أكاديمية المملكة المغربية	مدير الشؤون العلمية في أكاديمية المملكة- ممثل الأكاديمية	ص.ب 5062 الرباط السويسي مكتب: 7755146 منزل: 28 40 67 فاكس : 01 51 75 37 0
	د. الشاهد البوشيخي	معهد الدراسات المصطلحية	مدير معهد الدراسات المصطلحية ـــ فاس- مدعو	ص.ب 6012 فاس 30024 مكتب 732275 منزل 602878 فاكس : 94 14 61
	د. أحمد شحلان	كلية الآداب ـــ الرباط	أستاذ جامعي- مدعو	11 زنقة أكاسيا -حي الرياض ـــ الرباط منزل 25 16 71 37 فاكس : 7711625
	د.ميلود حبيبي	كلية علوم التربية ـــ الرباط	أستاذ جامعي - مساهم في إعداد أحد المعاجم المعروضة على المؤتمر	ص.ب 1120 القباضة الأصلية ـــ تونس مكتب 66 44 88 فاكس : 65 49 78 17 216
	د. عبد الغني أبو العزم	الجمعية المغربية للدراسات المعجمية	أستاذ جامعي- مدعو	4 شارع مكزة ـــ الرباط ـــ المغرب مكتب7703790 منزل 7736709 فاكس : 7736709
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	د.عبد العزيز بن عبد الله السنبل	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	نائب المدير العام للمنظمة- رئيس وفد المنظمة	تونس - القباضة الأصلية ص.ب1120 مكتب: 68 13 78 71 منزل:21 31 87 71 فاكس : 71784965

الدولة المشاركة	اسم المشارك	الهيئة	الوظيفة	العنوان البريدي
مكتب تنسيق التعريب (الجهة المنظمة للمؤتمر)	د.عباس الصوري	مكتب تنسيق التعريب	مدير مكتب تنسيق التعريب-	82 زنقة واد زيز -أكدال ــ الرباط ص.ب290 مكتب 037772422/23 فاكس : 0021237772426
	أ.إسلمو ولد سيدي أحمد	مكتب تنسيق التعريب	خبير في المكتب	82 زنقة واد زيز -أكدال ــ الرباط ص.ب290 مكتب 037772422/23 فاكس : 0021237772426
	أ.إيمان النصر	مكتب تنسيق التعريب	خبيرة في المكتب	82 زنقة واد زيز -أكدال ــ الرباط ص.ب290 مكتب 037772422/23 فاكس : 0021237772426
	أ.إدريس القاسمي	مكتب تنسيق التعريب	مسؤول وحدة المعلوميات	82 زنقة واد زيز -أكدال ــ الرباط ص.ب290 مكتب 037772422/23 فاكس : 0021237772426
	أ.محمد سالم الحبش	مكتب تنسيق التعريب	مسؤول الشؤون المالية	82 زنقة واد زيز -أكدال ــ الرباط ص.ب290 مكتب 037772422/23 فاكس : 0021237772426
	أ.محمد أفسحي	مكتب تنسيق التعريب	الكاتب العام	82 زنقة واد زيز -أكدال ــ الرباط ص.ب290 مكتب 037772422/23 فاكس : 0021237772426

الجهة المضيفة للمؤتمر	اسم المشارك	الهيئة	الوظيفة
اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم وزارة التربية	د. محمود السيد	وزارة التربية	وزير التربية
	أ. صبحي حرب	وزارة التربية	معاون السيد الوزير
	أ.محمد ياسمينة	وزارة التربية	معاون السيد الوزير
	أ. لطوف العبد الله	وزارة التربية	الأمين العام للجنة الوطنية
	أ. محمد عاطف حزماتي	وزارة التربية	معاون أمين اللجنة الوطنية
	أ. موسى المبسبس	وزارة التربية	
	أ. م.عبد الله بركات	وزارة التربية	
	أ.نبيل أبو عسلي	وزارة التربية	
	الآنسة نسرين جرادات	وزارة التربية	
	أ. شادي جدعان	وزارة التربية	تقني
	أ. فواد حمادة	وزارة التربية	تقني
	أ.أحمد وسوف	وزارة التربية	تقني
	أ.سيرت عبد الرحمن	وزارة التربية	تقني
	السيد رضوان أبو وحدة	وزارة التربية	
	د. ريم عرفة	وزارة التربية	اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم
	عبير حزماتي	وزارة التربية	اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم
	الآنسة إيمان شيخ الأرض	وزارة التربية	اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم
اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم وزارة التربية (تابع)	الآنسة سعاد سليمان	وزارة التربية	اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم
	الآنسة منال مرة	وزارة التربية	اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم
	الآنسة منى العبسي الجندي	وزارة التربية	اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم
	السيدة ميسون الزعبي	وزارة التربية	اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم
	السيد يحيى مللي	وزارة التربية	اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم
	الآنسة صفاء مراد	وزارة التربية	اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم